

الله عنه مرفوعاً قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصُنْعَتَهُ» [وَتَلَا بِفَضْلِهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ]: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ»^(١).

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَمَّا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ عَدَلُوا إِلَى أَخِيهِ بِالْيَدِ وَالْقَهْرِ فَقَالُوا: «أَبْنَا لَمْ بَيِّنَّا قَالِقُوهُ فِي الْجَحِيمِ» وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَنَجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَأَظْهَرَهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَى حُجَّتِهِ وَنَصَرَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ».

«وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّحِينَ»^(٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ^(١٠٠) فَبَسَّرْنَاهُ بِنُوحٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَتِيمٌ إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آيَةً أَذْبَحُ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَى قَالَ يَبَاتَبْتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجَّادٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ^(١٠١) فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُمُ الْبَيْتُ^(١٠٢) وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَابِرْهُمْ^(١٠٣) قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٤) إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْبَيْنُ^(١٠٥) وَقَدَيْنَاهُ بِذَنْبِ عَظِيمٍ^(١٠٦) وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^(١٠٧) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ^(١٠٨) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٩) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^(١١٠) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ^(١١١) وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ^(١١٢)

[هَجَرَةُ إِبْرَاهِيمَ وَابْتِلَاؤُهُ بِذَنْبِ إِسْمَاعِيلَ وَنِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ بَعْدَ مَا نَصَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَوْمِهِ وَأَيْسَرَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ بَعْدَ مَا شَاهَدُوا مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ، هَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَقَالَ: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّحِينَ»^(٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ^(١٠٠) يَعْني أَوْلَادًا مُطِيعِينَ عِوَضًا مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَبَسَّرْنَاهُ بِنُوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ فِي نَصِّ كِتَابِهِمْ: أَنَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِتًّا وَتَمَانُونَ سَنَةً، وَوُلِدَ إِسْحَاقَ وَعُمَرُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تِسْعَ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَعِنْدَهُمْ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ وَجِيدَهُ، وَفِي نُسَخَةٍ أُخْرَى: بِكَرِهٍ - فَأَقْحَمُوا هَهُنَا كَذِبًا وَبُهْتَانًا - «إِسْحَاقَ»، وَلَا يَجُوزُ هَذَا لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِنَصِّ كِتَابِهِمْ، وَإِنَّمَا أَقْحَمُوا إِسْحَاقَ لِأَنَّهُ أَبُوهُمْ، وَإِسْمَاعِيلُ أَبُو الْعَرَبِ، فَحَسَدُوهُمْ، فَزَادُوا ذَلِكَ وَحَرَّفُوا «وَجِيدَكَ»

٤٥٠
فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَهُمُ الْبَيْتُ^(١٠٢) وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَابِرْهُمْ^(١٠٣) قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٤) إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْبَيْنُ^(١٠٥) وَقَدَيْنَاهُ بِذَنْبِ عَظِيمٍ^(١٠٦) وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^(١٠٧) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ^(١٠٨) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٩) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^(١١٠) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ^(١١١) وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ^(١١٢) وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ^(١١٣) وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ^(١١٤) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ^(١١٥) وَءَايَلَتُهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ^(١١٦) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ^(١١٧) وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ^(١١٨) سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ^(١١٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٢٠) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^(١٢١) وَإِنْ أَلْيَسَ لِمَنْ أَلْمَسْتَهُمَا^(١٢٢) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ^(١٢٣) أَتَدْعُونِ بَعْلًا وَتَذَرُونِ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ^(١٢٤) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ^(١٢٥)

بِمَعْنَى الَّذِي لَيْسَ عِنْدَكَ غَيْرُهُ، فَإِنْ إِسْمَاعِيلَ كَانَ ذَهَبَ بِهِ وَيَأْمُرُهُ إِلَى مَكَّةَ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ وَتَحْرِيفٌ بَاطِلٌ فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ: وَجِيدَكَ إِلَّا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ، وَأَيْضًا فَإِنَّ أَوَّلَ وَلَدٍ لَهُ مَعْرُوفٌ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ، فَالْأَمْرُ بِذَنْبِهِ أَبْلَغُ فِي الْإِبْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ» أَي: كَبُرَ وَتَرَعَرَغَ وَصَارَ يَذْهَبُ مَعَ أَبِيهِ وَيَمْشِي مَعَهُ، وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَذْهَبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَقَفُّ وَلَدَهُ وَأُمَّ وَلَدِهِ بِلَادٍ «فَارَانَ» وَيَنْظُرُ فِي أَمْرِهِمَا. وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ عَلَى الْبُرَاقِ سَرِيعًا إِلَى هُنَاكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَغَيْرِهِمْ: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ» بِمَعْنَى شَبَّ وَارْتَجَلَ وَأَطَاقَ مَا يَقْعُلُهُ أَبُوهُ مِنَ السَّعْيِ

(١) خلق أفعال العباد: ١١٧ بإسناد صحيح أي السنة: ١٥٨/١

وَالْعَمَلُ^(١) ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَازِرِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَخَيٍّ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَازِرِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾^(٢). وَإِنَّمَا أَعْلَمَ ابْنَهُ بِذَلِكَ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ، وَلِيُخْتَبِرَ صَبْرَهُ وَجَلَدَهُ وَعَزَمَهُ فِي صَعْرِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَةِ أَبِيهِ ﴿قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ أَي: اْمْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ مِنْ ذَبْحِي ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أَي: سَأَصْبِرُ وَأَحْسِبُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَدَقَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِيمَا وَعَدَ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا [مریم: ٥٤، ٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلْجَبِينِ﴾ أَي: فَلَمَّا تَشَهَّدَا وَذَكَرَا اللَّهَ تَعَالَى: إِبْرَاهِيمُ عَلَى الذَّبْحِ وَالْوَلَدُ [على] شَهَادَةِ الْمُؤْتِ. وَقِيلَ: أَسْلَمَا يَعْنِي اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا: إِبْرَاهِيمُ امْتَثَلَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِسْمَاعِيلُ طَاعَةَ اللَّهِ وَلِأَبِيهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ^(٣) وَغَيْرُهُمْ. وَمَعْنَى ﴿وَتَلَّمَ لِلْجَبِينِ﴾ أَي: صَرَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ لِيَذْبَحَهُ مِنْ قَفَاهُ، وَلَا يُشَاهِدُ وَجْهَهُ عِنْدَ ذَبْحِهِ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ: ﴿وَتَلَّمَ لِلْجَبِينِ﴾ أَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ^(٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمَنَاسِكِ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَسْعَى، فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَبَاتٍ حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَبَاتٍ، وَتَمَّ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَمِصَّ أَيْبُضَ فَقَالَ: يَا أَبَتِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي ثَوْبٌ تُكَمِّئُنِي فِيهِ غَيْرُهُ فَاخْلَعْهُ حَتَّى تُكَمِّئُنِي فِيهِ، فَعَالَجَهُ لِيَخْلَعَهُ فَوَدِي مِنْ خَلْفِهِ: ﴿أَنْ يَكْتَابِرَهُ﴾^(٥) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا ﴿فَالْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَا بِكَشٍ أَيْبُضَ أَقْرَنَ أَغْيَرَ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَدْ رَأَيْنَا نَتَّبَعُ﴾ ذَلِكَ الضَّرْبُ مِنَ الْكِبَاشِ^(٦). وَذَكَرَ هِشَامُ الْحَدِيثَ فِي الْمَنَاسِكِ بِطَوْلِهِ.

وَلَذَلِكَ لِلذَّبْحِ. وَذَكَرَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ أَمَرَ السَّكِينِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَلَمْ تَقْطَعْ شَيْئًا، بَلْ حَالَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ صَفْحَةٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَتَوَدَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا﴾^(٧). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أَي: هَكَذَا نُصَرِّفُ عَمَّنْ أَطَاعَنَا الْمَكَارَةَ وَالشَّدَائِدَ، وَنَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٨) وَبَرِّزَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا [الطلاق: ٢، ٣]. وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِذِهِ الْآيَةِ وَالْفَصَّةَ جَمَاعَةً مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ عَلَى صِحَّةِ النُّسخِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْفِعْلِ، خِلَافًا لِطَائِفَةٍ مِنَ الْمُعْتَرِلَةِ، وَالِدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ ظَاهِرَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَبْحَ وَلَدِهِ، ثُمَّ نَسَخَهُ عَنْهُ وَصَرَفَهُ إِلَى الْفِدَاءِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ شَرْعِهِ أَوَّلًا إِثَابَةَ الْخَلِيلِ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى ذَبْحِ وَلَدِهِ وَعَزَمِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَذَا لَوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أَي: الْإِخْتِيَارُ الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ حَيْثُ أُمِرَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ فَسَارَعَ إِلَى ذَلِكَ مُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مُتَقَادًا لِطَاعَتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَدَّعَيْنَاهُ يَذْنِعَ عَظِيمٍ﴾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْشٌ قَدْ رُعِيَ فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا^(٩). وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: أَخْبَرْتَنِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ - وَلَدَتْ عَامَةً أَهْلِي دَارِنَا - أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَالَتْ مَرَّةً: إِنِّهَا سَأَلْتُ عُثْمَانَ لِمَ دَعَاكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ قَرْنِي الْكَبْشِ حِينَ دَخَلْتُ الْبَيْتَ، فَسَبَيْتُ أَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُخَمَّرَهُمَا فَخَمَّرَهُمَا، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغُلُ الْمُصَلِّيَّ» قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَزَلْ قَرْنَا الْكَبْشِ مُعْلَقَيْنِ فِي الْبَيْتِ حَتَّى اخْتَرَقَ الْبَيْتَ فَاخْتَرَقَا^(١٠). وَهَذَا دَلِيلٌ مُسْتَقِلٌّ عَلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّ قُرَيْشًا تَوَارَتْوَا قَرْنِي الْكَبْشِ الَّذِي قَدَى بِهِ إِبْرَاهِيمُ خَلْفًا عَنْ

(١) الطبري: ٧٣، ٧٢/٢١ (٢) الطبري: ٧٥/٢١ (٣) الطبري: ٧٧/٢١ (٤) الطبري: ٧٨، ٧٧/٢١ (٥) أحمد: ١/ ٢٩٧ (٦) الطبري: ٧٤/٢١ (٧) الطبري: ٩٠/٢١ (٨) أحمد: ٦٨/٤

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَدَّعَيْنَاهُ أَنْ يَكْتَابِرَهُ﴾^(١١) قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا ﴿أَي: قَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنْ رُؤْيَاكَ وَيُضَاجِعُكَ

سَلَفٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[ذَكَرَ الْأَثَارَ الْوَارِدَةَ بِأَنَّ الدَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَقْطُوعُ بِهِ]

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ وَيُوشَفُ بْنُ مِهْرَانَ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(١). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْمَقْدِيُّ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَزَعَمَتِ الْيَهُودُ أَنَّهُ إِسْحَاقُ وَكَذَبَتِ الْيَهُودُ^(٢). عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: الدَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ^(٣). وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤).

وَكَذَا قَالَ يُوشَفُ بْنُ مِهْرَانَ^(٥). وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ رَأَيْتُ قُرْنِي الْكَبْشِ فِي الْكَعْبَةِ^(٦). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ لَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الَّذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ مِنْ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٧). قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ مِنْ ابْنَيْهِ: إِسْمَاعِيلُ، وَإِنَّا لَنَجِدُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جِئَ فَرَعَ مِنْ قِصَّةِ الْمَذْبُوحِ مِنْ ابْنِي

إِبْرَاهِيمَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبَرْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَنَرْتَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] يَقُولُ بَابْنٍ وَابْنِ ابْنِ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَأْمُرَهُ بِذَبْحِ إِسْحَاقَ وَلَهُ فِيهِ مِنَ الْمُؤَعَّدِ بِمَا وَعَدَهُ، وَمَا الَّذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ إِلَّا إِسْمَاعِيلُ^(٨). قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ كَثِيرًا^(٩). وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ سَفْيَانَ بْنِ فُرَوَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ خَلِيفَةٌ - إِذْ كَانَ مَعَهُ بِالشَّامِ - فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا كُنْتُ أَنْظُرُ فِيهِ، وَإِنِّي لَأَرَاهُ كَمَا قُلْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ

عِنْدَهُ بِالشَّامِ، كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ يَرَى أَنَّهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: وَأَنَا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيُّ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ أُمِرَ بِذَبْحِهِ؟ فَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ وَاللَّهُ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ لَتَعْلَمَنَّ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ

أَبَاكُمْ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ، وَالْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ لِيَصْبِرَ لِمَا أُمِرَ بِهِ، فَهُمْ يَحْسُدُونَ ذَلِكَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِسْحَاقُ لِيَكُونَ إِسْحَاقَ أَبَاهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّهُمَا كَانَ، وَكُلُّ قَدْ كَانَ طَاهِرًا طَيِّبًا مُطِيعًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١٠). وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ بْنُ حَبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ سَأَلْتُ أَبِي عَنِ الدَّبِيحِ؟ هَلْ هُوَ إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ؟ فَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ. ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ^(١١). وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: الصَّحِيحُ أَنَّ الدَّبِيحَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قَالَ: وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي الطَّفِيلِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَالشَّعْبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَأَبِي صَالِحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: الدَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ^(١٢). وَقَالَ الْبُغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالسُّدِّيُّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَمُجَاهِدُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَالْكَلْبِيُّ^(١٣). وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَكَاهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عُمَرَ بْنِ الْعَلَاءِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الصَّنَابِيحِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَذَكَرُوا الدَّبِيحَ: إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ؟ فَقَالَ: عَلَى الْخَيْرِ سَقَطْنُمُ، كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عُذُّ عَلَيَّ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ يَا ابْنَ الدَّبِيحِينَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَمَا الدَّبِيحَانِ؟ فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا أُمِرَ بِحَفْرِ زَمْرَمَ نَذَرَ لِلَّهِ أَنْ يَسْهَلَ اللَّهُ لَهُ أَمْرُهَا عَلَيْهِ، لِيَذْبَحَنَّ أَحَدَ وَلَدَيْهِ، قَالَ: فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَمَنَعَهُ أَحْوَالُهُ وَقَالُوا: افِدِ ابْنَكَ بِمَاتِهِ مِنَ الْإِلَالِ فَفَدَاهُ بِمَاتِهِ مِنَ الْإِلَالِ، وَالثَّانِي: إِسْمَاعِيلُ^(١٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبَرْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لَمَّا تَقَدَّمَ الْبَشَارَةُ بِالدَّبِيحِ وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَطَفَ بِذِكْرِ الْبَشَارَةِ

(١) الطبري: ٨٣/٢١ (٢) الطبري: ٨٣/٢١ (٣) الطبري: ٨٢/٢١ (٤) الطبري: ٨٤/٢١ (٥) الطبري: ٨٤/٢١ (٦) الطبري: ٨٤/٢١ (٧) الطبري: ٨٥/٢١ (٨) الطبري: ٨٤/٢١ (٩) الطبري: ٨٥/٢١ (١٠) الطبري: ٨٥/٢١ (١١) الزهد لعبد الله ابن أحمد: ٨٠ (١٢) الطبري: ٨٤-٨٢/٢١ (١٣) البغوي: ٣٢/٤ (١٤) الطبري (٢٩٥٩٧) إسناده ضعيف لوجه فيه عبدالله بن سعد بن فروة ضعيف وعمر بن عبدالرحيم الخطابي وعبدالله بن محمد العتيبي وأبوهم مجاهيل.

الضَّحَّاكُ^(٣). وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنْبِهٍ: هُوَ إِلْيَاسُ بْنُ [يَاسِينَ] ابْنِ فِنْحَاصِ بْنِ الْعِزَّارِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ^(٤). بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ حَزَقِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَكَانُوا قَدْ عَبَدُوا صَنَمًا يُقَالُ لَهُ: بَعْلٌ فَدَعَاَهُمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَكَانَ قَدْ آمَنَ بِهِ مَلِكُهُمْ ثُمَّ ارْتَدَّ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَحَسَّ عَنْهُمْ الْقَطَرُ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَكْشِفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَوَعَدُوهُ الْإِيمَانَ بِهِ، إِنْ هُمْ أَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فَجَاءَهُمُ الْغَيْثُ، فَاسْتَمَرُّوا عَلَى أَخْبَثَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ نَشَأَ عَلَى يَدَيْهِ الْيَسَعَ بْنُ أَخْطُوبٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَمَرَ إِلْيَاسُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا

وَكَذَا، فَهَمَّمَا جَاءَهُ فَلْيَرْكَبْهُ وَلَا يَهِنُ، فَجَاءَتْهُ فَرَسٌ مِنْ نَارٍ فَرَكِبَ، وَأَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى الثَّوْرَ وَكَسَاهُ الرِّيشَ، وَكَانَ يُطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ مَلَكًا إِنْشِيًا سَمَويًا أَرْضِيًا. هَكَذَا حَكَاهُ وَهَبُ بْنُ مُنْبِهٍ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ لَا تَنْفُوتُمْ ﴿أَيُّ: أَلَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرُهُ﴾ ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقَيْنِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ وَالشَّيْخُ: بَعْلًا يَعْنِي رَبًّا^(٥). قَالَ عِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ: وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْيَمَنِ^(٦). وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: وَهِيَ لُغَةُ أَزْدَ شُؤْءَ^(٧). وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ: هُوَ اسْمُ صَنَمٍ كَانَ يَعْبُدُهُ أَهْلُ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: بَعْلَبُكُ غَرْبِي دِمَشْقُ^(٨). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُوَ صَنَمٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ^(٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ أَيُّ: أَنْعَبُدُونَ صَنَمًا ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقَيْنِ﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿أَيُّ: هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوا فَاتَّبَعَهُمْ لَخَصْرُونَ﴾ أَيُّ: لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿وَلَا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ أَيُّ: الْمُؤَحَّدِينَ مِنْهُمْ، وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ

بِأَخِيهِ إِسْحَاقَ، وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي سُورَتَيْ هُودٍ وَالْجُحْرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَبَيِّنَا﴾ حَالُ مَقْدَرَةٍ أَيْ سَيَصِيرُ مِنْهُ نَبِيٌّ صَالِحٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَتُوجِ أَحِبُّطْ بِسُلَيْمٍ مِنَّا وَتَرْكُنْتَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْرِ مِمَّنْ مَعَكُمْ وَأُمُّ سَمْعَةٍ ثُمَّ يَمْسُحُهُمْ مِنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٤٨].

﴿وَلَقَدْ مَنَعْنَا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَصَرَفْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿سَلَّمُوا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿[ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ]

يَذْكُرُ تَعَالَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالنَّجَاةِ بِمَنْ آمَنَ مَعَهُمَا، مِنْ قَهْرِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَمَا كَانَ يَعْتَمِدُ فِي حَقِّهِمْ - مِنَ الْإِسَاءَةِ الْعَظِيمَةِ - مِنْ قَتْلِ الْأَنْبَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ وَاسْتِعْمَالِهِمْ فِي أَحْسَرِ الْأَشْيَاءِ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ نَصَرَهُمْ عَلَيْهِمْ وَأَقْرَأَ أَعْيُنَهُمْ مِنْهُمْ، فَعَلَّبُوهُمْ وَأَخَذُوا أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَا كَانُوا جَمَعُوهُ طُولَ حَيَاتِهِمْ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مُوسَى الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الْوَاضِحَ الْجَلِيلِي الْمُسْتَبِينِ، وَهُوَ التَّوْرَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيكَةَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ هَهُنَا: ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَيُّ: فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ أَيُّ: أَبْقَيْنَا لَهُمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ذِكْرًا جَمِيلًا وَنَاءً حَسَنًا، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَلَّمُوا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ﴾ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلِإِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ لَا تَنْفُوتُمْ ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقَيْنِ﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿فَكَذَّبُوا فَاتَّبَعَهُمْ لَخَصْرُونَ﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ سَلَّمُوا عَلَى إِلْيَاسَ بْنِ يَاسِينَ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

[ذِكْرُ إِلْيَاسَ]

قَالَ قَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: يُقَالُ: إِلْيَاسُ هُوَ إِدْرِيسُ^(١). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِلْيَاسُ هُوَ إِدْرِيسُ^(٢). وَكَذَا قَالَ

(١) الطبري: ٩٥/٢١ (٢) القرطبي: ١١٥/١٥ فيه أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس مختلط كما مر (٣) الطبري: ٩٧/٢١ (٤) الطبري: ٩٧/٢١ (٥) الطبري: ٩٦/٢١ (٦) الطبري: ٢١/٩٦ (٧) الدر المنثور: ١١٩/٧ (٨) الطبري: ٩٧/٢١ رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ضعيفة وهو يروي عن أبيه الموضوعات كما قال الحاكم في المدخل إلى الصحيح (٩) الطبري: ٩٧/٢١

سورة الصافات

٤٥١

سورة الصافات

فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَمُ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٧﴾ لِأَعْبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٣٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ وَإِنْ لَوْطَا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُ وَاهِلَةٌ أَجْمَعٌ ﴿١٤٤﴾ إِلَّا عَجُورًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَإِنَّا لَنُفَرِّقُهُمْ
مُصْبِحِينَ ﴿١٤٧﴾ وَيَأْتِلُّ فَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَإِنْ يُؤْسَسْ لِمَنْ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٩﴾ إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٥٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمَدْحُضِينَ ﴿١٥١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٥٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٥٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٥٤﴾
فَبَدَّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥٥﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٥٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُ ﴿١٥٧﴾
فَعَامَنُوا فَتَعَنَّاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٥٨﴾ فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَّيْكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٥٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٦٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهَمَ لِقَوْلُونَ ﴿١٦١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦٢﴾ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴿١٦٣﴾

الْبَحْرِ، لِيَخْفَ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ
يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَهُمْ يَضْحَكُونَ بِهِ
أَنْ يُلْقَىٰ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقَىٰ نَفْسُهُ وَهُمْ يَأْبُونَ
عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ حُوتًا مِنَ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ أَنْ
يَشُقَّ الْحَارَ وَأَنْ يَلْتَقِمَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَا يَهْشِمُ لَهُ
لَحْمًا، وَلَا يَكْسِرُ لَهُ عَظْمًا، فَجَاءَ ذَلِكَ الْحُوتُ، وَأَلْقَى
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَذَهَبَ بِهِ فَطَافَ بِهِ
الْبَحَارُ كُلَّهَا. وَلَمَّا اسْتَقَرَّ يُوسُفُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ حَسِبَ أَنَّهُ
قَدْ مَاتَ ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ وَرَجُلَيْهِ وَأَطْرَافَهُ، فَإِذَا هُوَ حَيٌّ،
فَقَامَ فَصَلَّىٰ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ دُعَائِهِ: يَا
رَبِّ! اتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِدًا فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَلْعُغْ أَحَدٌ مِنَ
النَّاسِ، وَاخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ مَا لَبِثَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فَقِيلَ:
ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ قَالَهُ قَتَادَةُ. وَقِيلَ: سَبْعَةٌ. قَالَهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ

(١) فتح الباري: ١٩٣/٤ ومسلم: ١٨٤٦/٤ (٢) الطبري:

١٠٦/٢١

مُنْقَطِعٌ مِنْ مُثَبِّتٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾
أَيُّ: ثَنَاءً جَمِيلًا ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ كَمَا يُقَالُ فِي
إِسْمَاعِيلَ: إِسْمَاعِيلُ، وَهِيَ لُغَةٌ بَنِي أَسَدٍ، وَيُقَالُ: مِمَّكَالٌ،
وَمِمَّكَائِيلُ وَمِمَّكَائِينَ، وَإِبْرَاهِيمُ وَإِبْرَاهَامُ، وَإِسْرَائِيلُ
وإِسْرَائِيلِينَ، وَطُورٌ سِبْيَاءٌ وَطُورٌ سَيْنِينَ، وَهُوَ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ،
وَكُلُّ هَذَا سَائِعٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

﴿وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُ وَاهِلَةٌ أَجْمَعٌ ﴿١٤٤﴾ إِلَّا
عَجُورًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَإِنَّا لَنُفَرِّقُهُمْ
مُصْبِحِينَ ﴿١٤٧﴾ وَيَأْتِلُّ فَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴿١٣٨﴾

[ذَكَرَ إِهْلَاكَ قَوْمِ لُوطَ]

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ بَعَثَهُ
إِلَىٰ قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ، فَجَاءَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ هُوَ
وَأَهْلُهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ، فَإِنَّمَا هَلَكَتْ مَعَ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَوْمِهَا،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَهْلَكَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُثُوبَاتِ، وَجَعَلَ
مَحَلَّتَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَحِيرَةً مُثْنِيَةً قَبِيحَةً الْمَنْظَرِ وَالطَّعْمِ
وَالرَّيْحِ، وَجَعَلَهَا بِسَبِيلِ مُقِيمٍ يَمُرُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ لَيْلًا
وَنَهَارًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنُفَرِّقُهُمْ مُصْبِحِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾
وَيَأْتِلُّ فَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٨﴾ أَيُّ: أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ بِهِمْ كَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا.

﴿وَإِنْ يُؤْسَسْ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٨﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمَدْحُضِينَ ﴿١٣٩﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٠﴾ فَلَوْلَا
أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤١﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٢﴾
﴿فَبَدَّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ
يَقْطِينٍ ﴿١٤٤﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُ ﴿١٤٥﴾ فَعَامَنُوا
فَتَعَنَّاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴿١٣٨﴾

[ذَكَرَ قِصَّةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]

قَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سُورَةِ
الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا
يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى» ^(١). وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ الْمُؤَفَّرُ، أَيُّ: الْمَمْلُوءُ بِالْأَمْتِغَةِ ﴿فَسَاهَمَ﴾
أَيُّ: قَارَعَ. ^(٢) ﴿فَكَانَ مِنَ الْمَدْحُضِينَ﴾ أَيُّ الْمَغْلُوبِينَ، وَذَلِكَ
أَنَّ السَّفِينَةَ تَلَعَّتْ بِهَا الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَشْرَفُوا عَلَى
الْغَرَقِ، فَسَاهَمُوا عَلَىٰ مَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ يُلْقَىٰ فِي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَوَهْبُ ابْنِ مُنْبِهٍ وَهَلَالُ بْنُ يَسَافٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاوُسٍ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا كُلُّهُمْ: **الْيَقِطِيُّ هُوَ الْقَرْعُ**^(٧). وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَرْعِ فَوَائِدَ، مِنْهَا: سُرْعَةُ نَبَاتِهِ وَتَطْيِيلُ وَرَقِهِ لِكِبَرِهِ وَنُعُومَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَفْرُبُهَا الذُّبَابُ، وَجَوْدَةُ تَغْذِيَةِ ثَمَرِهِ، وَأَنَّهُ يُؤْكَلُ نَبَاتًا وَمَطْبُوحًا بِلَبِّهِ وَقِشْرِهِ أَيْضًا، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الذُّبَابَ وَيَتَّبِعُهُ مِنْ نَوَاجِي الصَّحْفَةِ^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى يَاقَةَ أُنْثَىٰ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ كَانَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أَوَّلًا أُمِرَ بِالْعَوْدِ إِلَيْهِمْ، بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْحُوتِ، فَصَدَّقُوهُ كُلُّهُمْ وَآمَنُوا بِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قَالَ مَكْحُولٌ: كَانُوا مِائَةً أَلْفٍ وَعَشْرَةَ أَلْفٍ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: مَعْنَاهُ إِلَى الْمِائَةِ الْأَلْفِ أَوْ كَانُوا يَزِيدُونَ عِنْدَكُمْ. يَقُولُ^(٩): كَذَلِكَ كَانُوا عِنْدَكُمْ^(٩). [هَكَذَا] سَلَكَ ابْنُ جَرِيرٍ هَهُنَا مَا سَلَكَهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا فُرِقَ مِنْهُمْ بِمَنْشُورِ النَّاسِ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [هود: ٩٨] الْمُرَادُ لَيْسَ أَنْقَصَ مِنْ ذَلِكَ بَلْ أَزِيدَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَأْمَنُوا﴾ أَيُّ: فَأَمَنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعُهُمْ ﴿فَتَمَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ أَيُّ: إِلَى وَقْتِ آجَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً ءَامَنَتْ فَفَعَلَهَا إِيْمَانًا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾. [يونس: ٩٨]

﴿فَأَسْتَفْهَمَ أَلْرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [١٦] أَمْ خَلَقْنَا

الْمَلَائِكَةَ إِنْسًا وَهُمْ شَاهِدُونَ [١٧] أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ فِيكِهِمْ

لَيَقُولُونَ [١٨] وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكِدْبُُونَ [١٩] أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى

(١) الطبري: ١١١/٢١ (٢) الطبري: ١٠٩، ١٠٨/٢١ (٣)

الطبري: ١٠٨/٢١ (٤) أحمد: ٣٠٧/١ (٥) الطبري: ٢١/

١١٠ (٦) الطبري: ١٠٩/٢١ [إسناده ضعيف فيه أبو صخر حميد

بن زياد بن أبي المخارق المدني ضعيف (٧) الطبري: ٢١/

١١٤، ١١٣ (٨) والدر المنثور: ١٣٠، ١٣١/٧ (٩) البخاري: ٢٠٩٢

(*) والقاتل ابن جرير رحمه الله (٩) الطبري: ١١٦/٢١

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا. قَالَ أَبُو مَالِكٍ^(١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ: **الْتَقَمَهُ ضُحَى وَلَفَظَهُ عَشِيَّةٌ**، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ﴾ [١٦] لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِيَّايَ يَوْمَ يُنْعَثُونَ قَالَ: لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الرَّخَاءِ. قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَوَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٢). وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٣). وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي سَنَدُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ إِنْ صَحَّ الْحَبَرُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ»^(٤).

وَقِيلَ: الْمُرَادُ ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ﴾ هُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَنَّبْنَاهُ مِنْ الْأَعْيُ وَكَذَلِكَ تُشْجَى الْمُؤْمِنِينَ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨] قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُ^(٥). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَا أَعْلَمُ أَنَسًا إِلَّا يُرْفَعُ الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يُؤْنَسَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَدْعُو بِهِذِهِ الْكَلِمَاتِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَقْبَلَتِ الدَّعْوَةُ تَحُفُّ بِالْعَرْشِ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ! هَذَا صَوْتُ ضَعِيفٍ مَعْرُوفٍ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ غَرِيبَةٍ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: يَا رَبِّ! وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي يُؤْنَسُ، قَالُوا: عَبْدُكَ يُؤْنَسُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُقْبَلٌ وَدَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؟ قَالُوا: يَا رَبِّ! أَوْ لَا تَرْحَمَ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ فَتَنْجِيهِ فِي الْبَلَاءِ، قَالَ: بَلَى، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ»^(٦).

زَادَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: طَرِحَ بِالْعَرَاءِ وَأَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْيَقِطِيَّةَ، قُلْنَا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَمَا الْيَقِطِيَّةُ؟ قَالَ: شَجَرَةُ الدُّبَابِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهِيَ اللَّهُ لَهُ أُرُوتُهُ وَخَشِيَّةٌ تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ - أَوْ قَالَ: هَشَاشِ الْأَرْضِ - قَالَ: فَفَشَّخَ عَلَيْهِ قَتْرُوهٍ مِنْ لَبَنِيهَا كُلَّ عَشِيَّةٍ وَبُكْرَةٍ حَتَّى نَبَتْ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أَيُّ: أَلْقَيْنَاهُ ﴿وَالْعَرَاءَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُهُ: هُوَ الْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا نَبْتُ وَلَا بِنَاءٌ ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أَيُّ: ضَعِيفُ الْبَدَنِ. ﴿وَأَثْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقِطِينَ﴾ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ

الْبَسِينِ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنّٰوْا بِكَيْسِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

[الرَّدُّ عَلَى مَنْ يُنْبِئُ اللَّهَ الْوَلَدَ وَيَجْعَلُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ لَهُ] يَقُولُ تَعَالَى مُكْرِمًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَعْلِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ أَيُّ مِنَ الذُّكُورِ، أَيُّ: يُوْدُونَ لِأَنفُسِهِمُ الْحَبِيدَ ﴿١٥٦﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿النحل: ٥٨﴾ أَيُّ: يَسْوُوهُ ذَلِكَ، وَلَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْبَنِينَ، يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: فَكَيْفَ نَسَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْقِسْمَ الَّذِي لَا يَخْتَارُونَهُ لِأَنفُسِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أَيُّ: سَلُّهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ ﴿الزَّيْكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْأُنْثَى﴾ ﴿النجم: ٢١﴾. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ أَيُّ: كَيْفَ حَكَمُوا عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ إِنَاثٌ وَمَا شَاهَدُوا خَلْقَهُمْ، كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمٰنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَخِيبٌ﴾ سَخِيبٌ مُّشْتَبِهٌ وَشَتَّى ﴿الرحرف: ١٩﴾ أَيُّ: يُسْأَلُونَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾ أَيُّ: مِنْ كَذِبِهِمْ ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ ﴿١٥٤﴾ وَلَدَ اللَّهُ ﴿أَيُّ: صَدَرَ مِنْهُ الْوَلَدُ﴾ ﴿وَاللَّهُمَّ لَكِذِبُونَ﴾ فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي الْمَلَائِكَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ فِي غَايَةِ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ.

فَأَوَّلًا، جَعَلُوهُمْ بَنَاتٍ لِلَّهِ - فَجَعَلُوا اللَّهَ وَلَدًا تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ الْوَلَدَ أُنْثَى - ثُمَّ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ. وَكُلٌّ مِنْهَا كَافٍ فِي الشَّخْلِيدِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُكْرِمًا عَلَيْهِمْ: ﴿أَمْطَطِ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَسِينِ﴾ أَيُّ: أَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ الْبَنَاتِ دُونَ الْبَنِينَ؟ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّقَدَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الاسراء: ٤٠] وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أَيُّ: مَا لَكُمْ عَقُولٌ تَنْدَبِرُونَ بِهَا مَا تَقُولُونَ؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ؟ أَيُّ: حُجَّةٌ عَلَى مَا تَقُولُونَهُ ﴿فَأَنّٰوْا بِكَيْسِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ أَيُّ: هَاتُوا بُرْهَانًا عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ مُسْتَبَدًّا إِلَى كِتَابٍ مُنْزَلٍ مِنَ السَّمَاءِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ اتَّخَذَ مَا تَقُولُونَهُ، فَإِنْ مَا تَقُولُونَهُ لَا يُمْكِنُ اسْتِنَادُهُ إِلَى عَقْلِ، بَلْ لَا

٤٥٢
سُورَةُ الصَّافَاتِ
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنّٰوْا بِكَيْسِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعْلَتَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِحٌ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مَتَىٰ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّٰفِرُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْنٌ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْرُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَقُولْ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْبَادًا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِطِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾
سُورَةُ الصَّافَاتِ

يُجَوِّزُهُ الْعَقْلُ بِالْكَلِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَنْ أُمَّهَاتُهُنَّ؟ قَالُوا: بَنَاتُ سُرَوَاتِ الْجَنِّ^(١). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ. وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أَيُّ: الَّذِينَ نَسَبُوا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أَيُّ: إِنْ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَمُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْحِسَابِ لِكَذِبِهِمْ فِي ذَلِكَ وَافْتِرَائِهِمْ، وَقَوْلِهِمُ الْبَاطِلَ بِلَا عِلْمٍ، وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ أَيُّ: تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَعَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الظَّالِمُونَ الْمُلْحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ وَهُوَ مِنْ مُنْبِتٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ عَائِدًا إِلَى النَّاسِ جَمِيعِهِمْ، ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ وَهُمْ الْمُتَّبِعُونَ لِلْحَقِّ الْمُنَزَّلِ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ.

﴿وَإِلَّا لَكُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ﴾ (١٦١) مَا أَشْرَ عَلَيْهِ يَفْتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَمِيعِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا يَمَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِمْ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

[لَا يُؤْمِنُ بِكَلَامِ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ أَضَلُّ مِنْهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿وَإِلَّا لَكُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ﴾ (١٦١) مَا أَشْرَ عَلَيْهِ يَفْتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَمِيعِ ﴿١٦٣﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَنْقَادُ لِمَقَالَتِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْعِبَادَةِ الْبَاطِلَةِ مَنْ هُوَ أَضَلُّ مِنْكُمْ مِمَّنْ ذُرِيَءَ النَّارِ ﴿لَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آفَافٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي يَنْقَادُ لِبِدَنِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَرِي قَوْلَهُمْ خُفْلِينَ﴾ (٨) يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكٌ ﴿[الذاريات: ٩، ٨]﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَضِلُّ بِهِ مَنْ هُوَ مَا فُوكٌ وَمُضْطَلٌّ.

[مَقَامُ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحُهُمْ صُفُوفًا]

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَرَهِّمًا لِلْمَلَائِكَةِ مِمَّا نَسَبُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِمْ وَالْكَذِبِ عَلَيْهِمْ: أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ أَيُّ: لَهُ مَوْضِعٌ مَّخْصُوصٌ فِي السَّمَوَاتِ وَمَقَامَاتِ الْعِبَادَاتِ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَتَعَدَّاهُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ فِي تَفْسِيرِهِ: ﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ قَالَ: كَانَ مَسْرُوقٌ يَزُورُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ» فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١).

عَنِ ابْنِ [مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] قَالَ: إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ لَسَّمَاءَ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ شَيْءٍ إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَةٌ مَلَكٌ أَوْ قَدَمَاهُ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (٢). وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ أَيُّ: نَقَفَ صُفُوفًا فِي الطَّاعَةِ كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾ [الصافات: ١] وَقَالَ أَبُو نَضْرَةَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، اسْتَوُوا قِيَامًا، يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ هَذِي الْمَلَائِكَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾

تَأَخَّرَ يَا فَلَانُ، تَقَدَّمَ يَا فَلَانُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَكْبِرُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ (٣). وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضَّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا، وَتُرِبُهَا طَهْرًا» (٤). الْحَدِيثُ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أَيُّ: نَضَطَّفُ فَتُسَبِّحُ الرَّبَّ وَنَمَجِّدُهُ وَنُقَدِّسُهُ، وَنُزْهِهُهُ عَنِ النَّقَائِصِ، فَتَحْنُ عِبِيدَ لَهُ، فَقَرَاءُ إِلَيْهِ، خَاصِعُونَ لَدَيْهِ.

[تَمَنَّى قُرَيْشٍ لَوْ كَانَ عِنْدَهَا ذِكْرٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٩﴾ أَيُّ: قَدْ كَانُوا يَتَمَنُّونَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِّنْ يَذْكُرُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْقُرُونِ الْأُولَى، وَيَأْتِيَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ جَلَّالَهُ: ﴿وَاقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِّنْ إِبْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَنْكِبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِّنْ قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (١٦٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنَ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْلَاهُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَعَجَرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٦، ١٥٧] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا: ﴿فَكْفَرُوا بِهِمْ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ﴾ وَعَبْدٌ أَكِيدُ وَتَهْدِيدٌ شَدِيدٌ عَلَى كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ ﷺ.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِلْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِئَ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسُوفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعَذَابُنَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِلِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّىٰ جِئَ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسُوفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

[الْوَعْدُ بِالنَّصْرِ وَالْأَمْرُ بِالتَّوَلَّى عَنْ قُرَيْشٍ]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِإِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) أَيُّ: تَقَدَّمَ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْعَاقِبَةَ

(١) الطبري: ١٢٧/٢١ [إسناده ضعيف الحسين بن الفرج الخياط أبو علي متروك وقال ابن معين: يسرق الحديث [ديوان الضعفاء للذهبي: ١٠٠٧] ثم إنه من معلقات الطبري (٢) الطبري: ٢١/ ١٢٧ (٣) الطبري: ١٢٨/٢١ هذا من مراسيل أبي نضرة (٤) مسلم: ٣٧١/١

رَبِّ الْعَرْفِ ﴿١٧١﴾ أَي: ذِي الْعِرَّةِ الَّتِي لَا تَرَامُ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَي: عَنْ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَدِينَ الْمُفْتَرِينَ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أَي: سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ فِي رَبِّهِمْ وَصِحَّتِهِ وَحَقَّقِيهِ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ يَتَضَمَّنُ التَّنْزِيهَ مِنَ النَّقْصِ، قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَفِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَرْفِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٣﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ وَقَالَ سَعِيدُ ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ، فَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَأَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ». هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(١). وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتُمَلَ بِالْمَكِّيَّاتِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَكُنْ آخِرَ كَلَامِهِ فِي مَجْلِسِهِ ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَرْفِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٧٥﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾. وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي كَفَّارَةِ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». وَقَدْ أَفْرَدَتْ لَهَا جُزْءًا عَلَى حِدَةٍ. أَخْرَجَ تَفْسِيرِ سُورَةِ الصَّافَاتِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

سُورَةُ ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِهِمْ (٢) كَرِهُوا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْبُكْرَةُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمَقْطُوعَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبُكْرَةِ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أَي: وَالْقُرْآنُ الْمُشْتَجِلُ عَلَى مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِلْعِبَادِ، وَنَفَعٌ لَهُمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ. قَالَ الضَّحَّاكُ فِي

لِلرُّسُلِ وَأَتَّبَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَكْفِلَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١] وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ نُصْرَتِهِمْ عَلَى قَوْمِهِمْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ، كَيْفَ أَهْلَكَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَنَجَّى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلَنْ جُدْنَا لَهُمُ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَزَّلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أَي: أَصْبَرَ عَلَىٰ أَذَاهُمْ لَكَ، وَانْتَظَرَ إِلَىٰ وَقْتٍ مُّوَجَّلٍ، فَإِنَّا سَنَجْعَلُ لَكَ الْعَاقِبَةَ وَالنُّصْرَةَ وَالظَّفَرَ، وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ أَي: أَنْظِرْهُمْ وَارْتَقِبْ مَاذَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ بِمُخَالَفَتِكَ وَتَكْذِيبِكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى عَلَىٰ وَجْهِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَعِدَانَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أَي: هُمْ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ لِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَغْضَبُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَيُعْجِلُ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ، وَمَعَ هَذَا أَيْضًا كَانُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ وَالْعُقُوبَةَ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِوِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أَي: فَإِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ بِمَحَلَّتِهِمْ فَيُسْنَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمُهُمْ بِإِهْلَاقِهِمْ وَدَمَارِهِمْ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِوِمْ﴾ يَعْنِي بِدَارِهِمْ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أَي: فَيُسْنَ مَا يُصْبِحُونَ، أَي: يَسْنَ الصَّبَاحُ صَبَاحُهُمْ. وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبِيرًا، فَلَمَّا خَرَجُوا بِقُيُوسِهِمْ وَمَسَاجِيهِمْ وَرَأَوْا الْجَيْشَ رَجَعُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ وَاللَّهُ مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَبِيرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» ^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿١٧٩﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تَأْكِيدٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَرْفِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمْ عَلَى

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

يُنَزِّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفْسَهُ وَيُقَدِّسُهَا وَيُبْرِئُهَا عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ الْمُكْذِبُونَ الْمُعْتَدُونَ، تَعَالَىٰ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ

(١) فتح الباري: ١٠٧/٢ ومسلم: ١٠٤٣/٢ (٢) الطبري: ١٣٤/٢١ هذا من مراسيل قتادة (٣) البغوي: ٤٦/٤ إسناده ضعيف فيه الأصم بن نباتة قال ابن حجر: متروك رمى بالرفض [تقريب ٦١٢] قال النسائي متروك الحديث وقال الدار قطني منكر الحديث [الضعفاء والمتروكين ٦٤] وأيضا الضعفاء للدار قطني [١١٨]

سُورَةُ ص

٤٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ﴿٢﴾
 كَرَاهِلِكُنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرْنٍ فَنَادَُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَجَبُوا
 أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
 أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقْنَا لَمَلًا
 مِنْهُمْ أَنْ أَمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلِلٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ
 ﴿٨﴾ أَمْعَدَهُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ
 مِثْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾
 جُئِدْ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ
 لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابِ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
 فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِحْفَةً وَاحِدَةً مَالِهَا
 مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قُنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

هُم فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْعَدَهُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ
 رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مِثْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُئِدْ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنْ
 الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

[تَعَجَّبَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْقُرْآنِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي تَعَجُّبِهِمْ مِنْ بَغْيَةِ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَكَانَ
 لِلنَّاسِ عِجَابٌ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَنُذِرِ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّكَ هَذَا
 لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢٢] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا هَهُنَا: ﴿وَجَبُوا أَنْ
 جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: بَشَرٌ مِثْلَهُمْ ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ
 كَذَّابٌ﴾ ﴿١﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أَيُّ: أَرْعَمَ أَنَّ الْمَعْبُودَ
 وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟ أَتَكْفُرُ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ - فَجَبَهُمُ اللَّهُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
 كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أَيْ تَذَكُّرُكُمْ ﴿١﴾. وَكَذَا قَالَ
 قَتَادَةُ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ﴿٢﴾. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ وَابْنُ عُيَيْنَةَ،
 وَأَبُو حُصَيْنٍ، وَأَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ ذِي
 الشَّرَفِ، أَيْ: ذِي الشَّانِ وَالْمَكَانَةِ ﴿٣﴾. وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ
 الْقَوْلَيْنِ فَإِنَّهُ كِتَابٌ شَرِيفٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى التَّذْكِيرِ وَالْإِعْذَارِ
 وَالْإِنْدَارِ - جَوَابٌ هَذَا الْقِسْمِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا
 كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ [ص: ١٤] وَقَالَ قَتَادَةُ: جَوَابُهُ
 ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾ ﴿٤﴾ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ﴿٥﴾.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾
 أَيْ: إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَذِكْرًا لِمَنْ يَتَذَكَّرُ، وَغَيْرَةً لِمَنْ
 يَغْتَبِرُ، وَإِنَّمَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الْكَافِرُونَ لِأَنَّهُمْ ﴿فِي عِزِّهِمْ﴾ أَيْ:
 اسْتِكْبَارٌ عَنْهُ وَحِمِيَّةٌ ﴿وَشِقَاقِي﴾ أَيْ: وَمُخَالَفَةٌ لَهُ وَمُعَانَدَةٌ
 وَمُفَارَقَةٌ - ثُمَّ خَوَّفَهُمْ مَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ قَبْلَهُمْ
 بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ لِلرُّسُلِ، وَتَكْذِيبِهِمُ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مِنْ
 السَّمَاءِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أَيْ:
 مِنْ أُمَّةٍ مُكَذِّبَةٍ ﴿فَنَادُوا﴾ أَيْ: جِئِن جَاءَهُمُ الْعَذَابُ اسْتَغَاثُوا
 وَجَارُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُجِدِّ عَنْهُمْ شَيْئًا، كَمَا
 قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾
 [الأنبياء: ١٢] أَيْ: يَهْرَبُونَ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ
 فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ رَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ
 التَّيْمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ قَوْلِ
 اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قَالَ: لَيْسَ
 بِحِينَ نِدَاءٍ، وَلَا نَزْوٍ وَلَا فِرَارٍ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي
 قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يَقُولُ: نَادَاوُا بِالتَّوْحِيدِ
 حِينَ تَوَلَّيْتُ الدُّنْيَا عَنْهُمْ، وَاسْتَنَاصُوا لِلتَّوْبَةِ حِينَ تَوَلَّيْتُ
 الدُّنْيَا عَنْهُمْ ﴿٦﴾. وَقَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ أَرَادُوا التَّوْبَةَ
 فِي غَيْرِ حِينَ النَّدَاءِ - وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ
 مَنَاصٍ﴾ لَيْسَ بِحِينَ فِرَارٍ وَلَا إِجَابَةٍ. وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى: ﴿وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أَيْ: لَيْسَ الْحِينُ حِينَ فِرَارٍ وَلَا
 ذَهَابٍ، وَاللَّهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْتَقُ لِلصَّوَابِ.

﴿وَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾
 أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقْنَا لَمَلًا مِنْهُمْ أَنْ
 أَمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي
 الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلِلٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ

(١) الطبري: ١٤٠/٢١ (٢) الطبري: ١٤٠/٢١ (٣) الطبري:

١٤٠/٢١ (٤) الطبري: ١٤٠/٢١ (٥) الطبري: ٢١/

١٤١ (٦) الدر المنثور: ١٤٥/٧

تَعَالَى - وَتَعَجَّبُوا مِنْ تَرْكِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَلَقَّوْا عَنْ آبَائِهِمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأُشْرِبَتْهُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى خَلْعِ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِفْرَادِ الْإِلَهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، أَغْضَبُوا ذَلِكَ وَتَعَجَّبُوا وَقَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَمَةَ إِلَهًا وَجَدًّا إِنَّ هَذَا لَنُفْيٌ مَجَابٌ ⑤﴾ وَأُطْلِقَ اللَّأْلَأُ مِنْهُمْ وَهُمْ سَادَتْهُمْ وَقَادَتْهُمْ، وَرَوَّسَاؤُهُمْ وَكَبَرَاؤُهُمْ قَائِلِينَ: ﴿انْشُرُوا أَيْ: اسْتَمِرُّوا عَلَى دِينِكُمْ وَاصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ وَلَا تَسْتَجِيبُوا لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنُفْيٌ يُرَادُّ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: إِنَّ هَذَا الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ التَّوْحِيدِ، لَشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ الشَّرَفَ عَلَيْكُمْ وَالْإِسْتِعْلَاءَ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْكُمْ أَتْبَاعٌ، وَلَسْنَا نَجِيبُهُ إِلَيْهِ ①﴾.

[ذَكَرُ سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ]

رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلٌ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ إِلَهَتَنَا وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، وَيَقُولُ وَيَقُولُ، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَتَهَيَّئَتْهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدَرٌ مَجْلِسٍ رَجُلٌ، قَالَ: فَخَشِيَ أَبُو جَهْلٌ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ أَرْقَ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَتَّبَعَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَلَمْ يَجِدْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا قُرْبَ عَمِّهِ، فَجَلَسَ عِنْدَ الْبَابِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: أَيُّ ابْنِ أَخِي! مَا بَالُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ إِلَهَتَهُمْ وَتَقُولُ وَتَقُولُ؟ قَالَ: وَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الْقَوْلِ. وَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمُّ! إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُوَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْعِزِّيَّةُ» فَفَزِعُوا لِكَلِمَتِهِ وَلِقَوْلِهِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ: نَعَمْ وَأَبِيكَ عَشْرًا، فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَأَيُّ كَلِمَةٍ هِيَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فَقَامُوا فَرَعِينَ يَنْفَضُونَ ثِيَابَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَمَةَ إِلَهًا وَجَدًّا إِنَّ هَذَا لَنُفْيٌ مَجَابٌ ⑤﴾ قَالَ: وَنَزَلَتْ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى قَوْلِهِ ﴿بَلْ لَمَّا يَدْعُوا عَنَابٌ﴾ لَفْظُ أَبِي كُرَيْبٍ ②. وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ نَحْوَهُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ ③. وَقَوْلُهُمْ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْآخِرَةِ﴾ أَيْ: مَا سَمِعْنَا بِهَذَا الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ مِنَ التَّوْحِيدِ، فِي الْأَلَمَةِ الْآخِرَةِ.

قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿مَا سَمِعْنَا

بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْآخِرَةِ﴾ بِغْنَى النَّصْرَانِيَّةِ، قَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ حَقًّا لَأَخْبَرْتَنَا بِهِ النَّصَارَى ④. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خَيْالٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: كَذِبٌ ⑤. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخَرُّصٌ ⑥. وَقَوْلُهُمْ: ﴿أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بِغْنَى أَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ تَخْصِيصَهُ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ كُلِّهِمْ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الرَّحْف: ٣١] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيعَشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الرَّحْف: ٣٤] وَلِهَذَا لَمَّا قَالُوا هَذَا الَّذِي دَلَّ عَلَى جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عَقْلِهِمْ، فِي اسْتِعَادِهِمْ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ لَمَّا يَدْعُوا عَنَابٌ ⑤﴾ أَيْ: إِنَّمَا يَقُولُونَ هَذَا لِأَنَّهُمْ مَا ذَاقُوا إِلَى حِينٍ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ عَذَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفْثَتُهُ، سَبَعْلَمُونَ غِبَّ مَا قَالُوا، وَمَا كَذَّبُوا بِهِ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُبَيِّنًا أَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي مُلْكِهِ، الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، الَّذِي يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِلُ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْتِمُ عَلَى قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ، فَلَا يَهْدِيهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْعِبَادَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَلَيْسَ إِلَيْهِمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْمُلْكِ وَلَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُكَبِّرًا عَلَيْهِمْ: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ⑥﴾ أَيْ: الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُرَامُ جَنَابُهُ، الْوَهَّابُ الَّذِي يُعْطِي مَا يُرِيدُ لِمَنْ يُرِيدُ، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ هُمْ تَوَسَّيْتُ مِنَ الْمَلَكِ فَاذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ⑦﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ⑧ فَوَيْلٌ مَنَ ءَامَنَ بِهِمْ وَهُمْ مَنَ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ⑨ [النَّسَاء: ٥٣-٥٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

(١) الطبري: ١٥٢/٢١ (٢) الطبري: ١٤٩/٢١ ليست فيه علة دون عنعنة الأعمش وضعف إسناده الألباني انظر سنن الترمذي ط. مكتبة المعارف (٣) أحمد: ١/٣٦٢ والنسائي في الكبرى: ٤٤٢/٦ وتحفة الأحادي: ٩٩/٩ (٤) الطبري: ١٥٢/٢١ العوفي مع عائلته ضعفاء (٥) الطبري: ١٥٥/٢١ (٦) الطبري: ١٥٤/٢١

قَتَرُوا ﴿١٠٠﴾ [الاسراء: ١٠٠] وَذَلِكَ بَعْدَ الْحِكَايَةِ عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ
أَتَكْرُوا بِعَقَّةِ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ ﷺ، وَكَمَا أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ
قَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا: ﴿لَقَدْ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ
بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ ﴿١٠١﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ
[القمر: ٢٥، ٢٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرَوْهُا
فِي الْأَنْسَابِ﴾ أَي: إِنْ كَانَ لَهُمْ ذَلِكَ فَلْيُضْعَدُوا فِي الْأَسْبَابِ.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ
وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ: يَعْني طُرُقَ السَّمَاءِ ^(١). وَقَالَ الضَّحَّاكُ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى: فَلْيُضْعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ^(٢).

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾
أَي: هَؤُلَاءِ الْجُنْدُ الْمُكَذَّبُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ،
سَيَهْرَمُونَ وَيَعْلَبُونَ وَيَكْتَبُونَ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ
الْأَحْزَابِ الْمُكَذِّبِينَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿أَمْ
يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ كَانَ
ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾
[القمر: ٤٤-٤٦].

﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَنُوحٌ وَقَوْمٌ
لُوطٌ وَأَصْحَبُ لُتَيْكَةَ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٠٤﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّابٌ
الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا
مِنْ قَوَائِي ﴿١٠٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا قَلِيلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٠٧﴾
[التَّذْكِيرُ بِمَنْ أَهْلِكَ مِنَ الْأَقْوَامِ السَّائِقِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، وَمَا حَلَّ
بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالنَّقَمَاتِ فِي مُخَالَفَةِ الرُّسُلِ
وَتَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَدْ تَقَدَّمتْ
فِصْصُهُمْ مَبْسُوطَةً فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ
الْأَحْزَابُ﴾ أَي: كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا، فَمَا دَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّابٌ
الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ فَجَعَلَ عَلَيْهِ إِهْلَاكِهُمْ هُوَ تَكْذِيبُهُمْ
بِالرُّسُلِ، فَلْيَحْذَرِ الْمُخَاطَبُونَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْحَذَرِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ
قَوَائِي﴾ قَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَي: لَيْسَ لَهَا مَثْنَوِيَّةٌ ^(٣)
أَي: مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ
أَسْرَاطُهَا، أَي: فَقَدْ افْتَرَبَتْ وَدَنَتْ وَأَرَفَتْ، وَهَذِهِ الصَّيْحَةُ
هِيَ نَفْخَةُ الْفَرْعِ الَّتِي يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ أَنْ يُطَوِّلَهَا،

٤٥٤
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَصْرِعْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٠٨﴾
إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٠٩﴾ وَالطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١١٠﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿١١١﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا
الْمِحْرَابَ ﴿١١٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصَمَانِ بَعْنَى بَعْضَانِ عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١١٣﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِجْمَةً
وَلِيَ نِجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ﴿١١٤﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاضٍ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُطَلَاءِ لَيَسْبِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
﴿١١٥﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَكَابٍ
﴿١١٦﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَاوَأُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١١٧﴾

فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فَرَعٌ، إِلَّا
مَنْ اسْتَشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا قَلِيلَ يَوْمِ
الْحِسَابِ﴾ هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي
دُعَائِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتَعْجِيلِ الْعَذَابِ، فَإِنَّ «الْقِطْعَ» هُوَ
الْكِتَابُ. وَقِيلَ: هُوَ الْحِطُّ وَالتَّصِيبُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ:
سَأَلُوا تَعْجِيلَ الْعَذَابِ ^(١). زَادَ قَتَادَةُ: كَمَا قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ
إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِسَارَةً مِنْ
السَّمَاءِ أَوْ أَتُونَا بِعَذَابِ الْبَرِّ﴾ [الأنفال: ٣٤] ^(٢) وَقِيلَ:
سَأَلُوا تَعْجِيلَ نَصِيهِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً، لِيَلْقُوا
ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا خَرَجَ هَذَا مِنْهُمْ مَخْرَجَ الْأَسْتِيعَادِ
وَالْتَكْذِيبِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: سَأَلُوا تَعْجِيلَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ

(١) الطبري: ١٥٦/٢١ (٢) الطبري: ١٥٧/٢١ (٣) عبد

الرزاق: ١٦١/٣ (٤) الطبري: ١٦٤/٢١ والدر المنثور: ٧

١٤٨ (٥) الطبري: ١٦٤/٢١

فِيَا مُهَنِّ وَرُكُوعُهُنَّ وَسُجُودُهُنَّ وَجُلُوسُهُنَّ سَوَاءً، قَرِيبٌ بَعْضُهُنَّ مِنْ بَعْضٍ، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيَّنَّ اللَّوْحَيْنِ مَا عَرَفْتُ صَلَاةَ الضَّحَى إِلَّا الْآنَ: ﴿يُسَبِّحُنَّ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ وَكُنْتُ أَقُولُ: أَيْنَ صَلَاةُ الْإِشْرَاقِ؟ وَكَانَ بَعْدُ يَقُولُ: صَلَاةُ الْإِشْرَاقِ^(٧).

وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ﴾ أَيُّ: مَحْبُوسَةٌ فِي الْهَوَاءِ ﴿كُلُّ لَهٍ أَوَّابٌ﴾ أَيُّ: مُطِيعٌ يُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَابْنِ زَيْدٍ: ﴿كُلُّ لَهٍ أَوَّابٌ﴾ أَيُّ: مُطِيعٌ^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ أَيُّ: جَعَلْنَا لَهُ مُلْكًا كَامِلًا مِنْ جَمِيعِ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ، قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: كَانَ أَشَدَّ أَهْلَ الدُّنْيَا سُلْطَانًا.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَائِنَتُهُ الْحِكْمَةَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْفَهْمَ وَالْعَقْلَ وَالْفِطْنَةَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كِتَابَ اللَّهِ وَاتِّبَاعَ مَا فِيهِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿الْحِكْمَةَ﴾ النُّبُوَّةُ^(٩). وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ قَالَ شُرَيْحُ الْقَاضِي وَالشَّعْبِيُّ: فَصَّلَ الْخُطَابَ: الشُّهُودَ وَالْأَيْمَانَ^(١٠). وَقَالَ قَتَادَةُ: شَاهِدَانِ عَلَى الْمُدَّعِي، أَوْ يَمِينُ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، هُوَ فَصَّلَ الْخُطَابَ^(١١) الَّذِي فَصَّلَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ، أَوْ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ وَالصَّالِحُونَ، وَهُوَ قَضَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: هُوَ إِصَابَةُ الْقَضَاءِ وَفَهْمُ ذَلِكَ^(١٢). وَقَالَ مُجَاهِدٌ أَيْضًا: هُوَ الْفَضْلُ فِي الْكَلَامِ وَفِي الْحُكْمِ. وَهَذَا يُشْمَلُ هَذَا كُلُّهُ، وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(١٣).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوٌ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا إِلَى الْحَرَابِ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ^(١٤) إِنَّ هَذَا آخِي لَمْ يَسَّعْ وَسَّعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِجْمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ^(١٥) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسَوَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاضِيٍّ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ

مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا^(١٦). وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ جَدِّهِ، وَعَلَيْهِ يَدُورُ كَلَامُ الضَّحَّاكِ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١٧). وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِعْجَادِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ أَمْرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ، وَمُبَشِّرًا لَهُ عَلَى صَبْرِهِ بِالْعَاقِبَةِ وَالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْعُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ^(١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهٍ أَوَّابٌ^(١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَعَائِنَتُهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ^(٢٠)

[ذِكْرُ دَاوُدَ]

يَذْكُرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ ذَا أَيْدٍ، وَالْأَيْدُ: الْقُوَّةُ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: الْأَيْدُ الْقُوَّةُ^(٢١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَيْدُ: الْقُوَّةُ فِي الطَّاعَةِ^(٢٢). وَقَالَ قَتَادَةُ: أُعْطِيَ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُوَّةً فِي الْعِبَادَةِ وَفَقَهَا فِي الْإِسْلَامِ^(٢٣). وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَقُومُ ثَلَاثَ اللَّيْلِ، وَيَصُومُ يَصْفُ الدَّهْرَ. وَهَذَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَتَامُ يَصْفُ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَتَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى، وَأَنَّهُ كَانَ أَوَّابًا»^(٢٤) وَهُوَ الرَّجَاعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَشُؤُونِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ أَيُّ أَنَّهُ تَعَالَى سَخَرْنَا الْجِبَالَ تُسَبِّحُ مَعَهُ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَآخِرِ النَّهَارِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سَبَأُ: ١٠] وَكَذَلِكَ كَانَتِ الطَّيْرُ تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ وَتُرْجَعُ بِتَرْجِيْعِهِ، إِذَا مَرَّ بِهِ الطَّيْرُ وَهُوَ سَابِحٌ فِي الْهَوَاءِ، فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَتَرْتَمُ بِقِرَاءَةِ الرَّزْوَرِ، لَا يَسْتَطِيعُ الدَّهَابَ، بَلْ يَقِفُ فِي الْهَوَاءِ وَيُسَبِّحُ مَعَهُ، وَتُجْبِيهِ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ تُرْجَعُ مَعَهُ وَتُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَوْفَلٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ لَا يُصَلِّي الضُّحَى، فَأَدَخَلْتُهُ عَلَى أُمِّ هَانِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: أَخْبِرِي هَذَا مَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ، فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي بَيْتِي، ثُمَّ أَمَرَ بِمَاءٍ صُبَّ فِي قَضْعَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِقُبُوبٍ فَأَخَذَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ رَشَّ نَاحِيَةَ الْبَيْتِ، فَصَلَّى ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ مِنَ الضُّحَى،

(١) الطبري: ١٦٥/٢١ (٢) الطبري: ١٩٥/٢١ (٣) الطبري:

١٦٧، ١٦٦/٢١ (٤) الطبري: ١٦٦/٢١ (٥) الطبري: ٢١/

١٦٧ (٦) فتح الباري: ٢٠/٣ ومسلم: ٨١٦/٢ (٧) الطبري:

١٦٩/٢١ إسناد الطبري ضعيف مداره على أيوب بن صفوان

البصري وهو مجهول وصلاة الإشراف ثابتة من الأحاديث

الصحيحة (٨) الطبري: ١٦٩/٢١ (٩) الطبري: ١٧١/٢١

(١٠) الطبري: ١٧٣/٢١ (١١) الطبري: ١٧٣/٢١ (١٢)

الطبري: ١٧٢/٢١ (١٣) الطبري: ١٧٣/٢١

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلُهُمْ أَفْتَدَى﴾ [الأنعام: ٩٠] فَكَانَ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمِنْ أَمْرِ نَبِيِّكُمْ ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ، فَسَجَدَهَا دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٥).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿ص﴾، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ، وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ آخَرِ قَرَأَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ تَشَرَّنَ النَّاسُ لِلْسُّجُودِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةٌ نَبِيٍّ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَرَنْتُمْ» فَتَزَلَّ وَسَجَدَ^(٦). وَتَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْلَفًا وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ﴾ أَي: وَإِنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَقُرْبَةً يَقْرُبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، وَحُسْنَ مَرْجِعٍ، وَهُوَ الدَّرَجَاتُ الْعَالِيَةُ فِي الْجَنَّةِ، لِتَوْبَتِهِ وَعَدْلِهِ التَّامِّ فِي مُلْكِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «الْمُسْطُوبُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يُقْسِطُونَ فِي أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ»^(٧).

﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ لَئِذَا خَلَا بِالنَّاسِ يَلْحَقُوا تَتَّبِعَ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾

[الْوَصِيَّةُ لِلْحُكَّامِ وَالسَّلَاطِينِ]

هَذِهِ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرُؤُلَاةِ الْأُمُورِ أَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ الْمُتَزَلِّ مِنْ عِنْدِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا يَغْدِلُوا عَنْهُ فَيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ تَوَعَّدَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَتَنَاسَى يَوْمَ الْحِسَابِ، بِالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ. رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَبِي زُرْعَةَ - وَكَانَ قَدْ قَرَأَ الْكِتَابَ - أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لَهُ: أَيُّحَاسَبُ الْخَلِيفَةُ، فَإِنَّكَ قَدْ قَرَأْتَ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ وَفَقِهْتَ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ أَوْ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ لَهُ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ

الْخُلَطَاءُ لِيَنِّي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْلَفًا وَحُسْنَ

مَنَابِ

[قِصَّةُ الْخُضَمَيْنِ]

قَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ هَا هُنَا قِصَّةَ أَكْثَرِهَا مَاخُودٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهَا عَنِ الْمُعْصُومِ حَدِيثٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَلَكِنْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدِيثًا لَا يَصِحُّ سَنَدُهُ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَيَزِيدُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ - لَكِنَّهُ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْأَيْمَةِ، فَأَلْوَلَى أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى مُجَرَّدِ ثَلَاوَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَأَنْ يَرُدَّ عِلْمُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ - وَمَا تَضَمَّنَ فَهُوَ حَقٌّ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَنَزَعْنَا مِنْهُمْ﴾ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَانَ فِي مَحَرَابِهِ وَهُوَ أَشْرَفُ مَكَانٍ فِي دَارِهِ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِشَخْصَيْنِ قَدْ تَسَوَّرَا عَلَيْهِ الْمَحَرَابَ، أَيِ اخْتِطَاطًا بِهِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ شَأْنَيْهِمَا وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَزَّزْنَا فِي الْخُطَابِ﴾ أَي: غَلَبْنَاهُ. يُقَالُ: عَزَّ يَعْزُزُ إِذَا فَهَرَ وَغَلَبَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَي: اخْتَبَرْنَاهُ^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أَي: سَاجِدًا ﴿وَأَنَابَ﴾. ﴿فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا كَانَ مِنْهُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ: إِنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَبَاتٌ الْمُفَرِّقِينَ.

[سَجْدَةُ ص]

سَجْدَةُ ﴿ص﴾ لَيْسَتْ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، بَلْ هِيَ سَجْدَةُ شُكْرِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: السَّجْدَةُ فِي ﴿ص﴾ لَيْسَتْ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا^(٢). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٣). وَرَوَى النَّسَائِيُّ أَيْضًا عِنْدَ تَفْسِيرِهِ هَذِهِ آيَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي ﴿ص﴾ وَقَالَ: «سَجَدَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَوْبَةً، وَنَسَجَدُهَا شُكْرًا» تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ النَّسَائِيُّ^(٤). وَرَجَالَ إِسْنَادِهِ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِهَا أَيْضًا عَنْ الْعَوَّامِ قَالَ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ سَجْدَةِ ﴿ص﴾ فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مِنْ أَيْنَ سَجَدَتْ؟ فَقَالَ: أَوْ مَا تَقْرَأُ:

(١) الطبري: ١٨١/٢١ (٢) أحمد: ٣٥٩/١ (٣) فتح الباري: ٦٤٣/٢ وأبو داود: ١٢٣/٢ وتحفة الأحوذى: ١٧٦/٣ والنسائي في الكبرى: ٣٤٢/٦ (٤) النسائي: ١٥٩/٢ (٥) فتح الباري: ٨/٤٠٥ (٦) أبو داود: ١٤١٠ (٧) مسلم: ١٤٥٨/٣

سورة ص

٤٥٥

سورة ص

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَرْزُلُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِيَذْبُغَ عَنْكَ إِلَهَهُ وَلِيَسْتَذْكُرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهُا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ وَرَحْمَةٍ مِّنَّا حَتَّى أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانُ
كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مَقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا
عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَنَاقِبٍ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا الْيُوسُفَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بُتْبُصٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرَجُلِكَ هَذَا مَغْسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

يَالْعِشِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهُا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

[ذِكْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا أَنَّهُ وَهَبَ لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ - أَيَّ نَبِيٍّ،
كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أَيُّ: فِي النُّبُوَّةِ -
وَالْأَقْدَقُ كَانَ لَهُ بَنُونَ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ أَمْرَأَةٍ
حَرَائِرُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ثَنَاءٌ عَلَى
سُلَيْمَانَ بِأَنَّهُ كَثِيرُ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيَّتُ الْجِيَادُ﴾ أَيُّ:
إِذْ عَرَضَ عَلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي حَالِ مُمْلَكِيَّةِ
وَسُلْطَانِيَّةِ، الْخَبَلِ الصَّافِنَاتِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهِيَ الَّتِي تَقِفُ
عَلَى ثَلَاثٍ وَطَرَفِ حَافِرِ الرَّابِعَةِ، وَالْجِيَادُ: السَّرَاعُ ﴿٣٩﴾.

تَعَالَى: ﴿يَذْكُرُوا أَنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾... الآية.

وَقَالَ عِكْرَمَةُ: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾
هَذَا مِنَ الْمَقْدَمِ وَالْمَوْخَرِ: لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ
بِمَا نَسُوا ^(١). وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا تَرَكُوا
أَنْ يَعْمَلُوا لِيَوْمِ الْحِسَابِ ^(٢).
وَهَذَا الْقَوْلُ أَمْشَى عَلَى ظَاهِرِ آيَةِ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَرْزُلُهُ
إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِيَذْبُغَ عَنْكَ إِلَهَهُ وَلِيَسْتَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

[الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الدُّنْيَا]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَا خَلَقَ الْخَلْقَ عَتَا، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمْ
لِيَعْبُدُوهُ وَيُوحِّدُوهُ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ فَيُنِيبُ الْمُطِيعَ
وَيُعَذِّبُ الْكَافِرَ، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيُّ: الَّذِينَ لَا
يَرَوْنَ بَعَثًا وَلَا مَعَادًا، وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الدَّارَ فَقَطْ ﴿فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ أَيُّ: وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَنُشُورِهِمْ
مِنَ النَّارِ الْمُعَذِّبَةِ لَهُمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَذْلِهِ
وَجُحْمِيَّةِ لَا يُسَاوِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ أَيُّ: لَا نَفْعُ ذَلِكَ، وَلَا يَسْتَوُونَ
عِنْدَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ دَارٍ أُخْرَى يَثَابُ
فِيهَا هَذَا الْمُطِيعُ وَيُعَاقَبُ فِيهَا هَذَا الْفَاجِرُ، وَهَذَا الْإِرْشَادُ
يَدُلُّ عَلَى الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفِطْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ
مِنْ مَعَادٍ وَجَزَاءٍ، فَإِنَّا نَرَى الظَّالِمَ الْبَاطِلَ يُزَادُ مَا لَهُ وَوَلَدُهُ
وَنَعِيمُهُ وَيَمُوتُ كَذَلِكَ، وَنَرَى الْمُطِيعَ الْمَظْلُومَ يَمُوتُ
بِكَمِّهِ، فَلَا بُدَّ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْعَادِلِ الَّذِي لَا
يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، مِنْ إِنْصَافٍ هَذَا مِنْ هَذَا، وَإِذَا لَمْ يَقَعْ
هَذَا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ هُنَاكَ دَارًا أُخْرَى لِهَذَا الْجَزَاءِ
وَالْمُوَاسَاةِ. وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ
وَالْمَأْخِذِ الْعُقُولِيَّةِ الصَّرِيحَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ أَرْزُلُهُ إِلَيْكَ
مَبْرُكٌ لِيَذْبُغَ عَنْكَ إِلَهَهُ وَلِيَسْتَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أَيُّ: ذَوُو الْعُقُولِ،
وَهِيَ الْأَلْبَابُ جَمْعُ لُبٍّ، وَهُوَ الْعَقْلُ.

﴿وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٢٩﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ

(١) الطبري: ١٨٩/٢١ (٢) الطبري: ١٨٩/٢١ (٣) الطبري:

تَعَالَى بِسَبَبِ أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِهَا حَتَّى خَرَجَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَلِهَذَا خَرَجَ عَنْهَا اللَّهُ تَعَالَى عَوَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا، وَهُوَ الرِّيحُ النَّبِيَّ ﴿يَجْرِي بِأَمْرِهِ رِيحًا حَيْثُ أَصَابَ﴾: غَدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ، فَهَذَا أَسْرَعُ وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْلِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدُّهْمَاءِ - وَكَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ الْبَيْتِ - قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَنَا الْبُدِيُّ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ: «إِنَّكَ لَا تَدَعُ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهُ»^(١).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٢٦) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٧﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِيحًا حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢٨﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاسٍ ﴿٢٩﴾ وَالْخَرِيزَ مَقْرِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٠﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣١﴾ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْفًا وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ﴿٣٢﴾

[إِبْلَاءُ سُلَيْمَانَ ثُمَّ التَّقْضِيلُ عَلَيْهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ أَيَّ: اخْتَبَرْنَاهُ﴾ ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾^(*) ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أَيَّ: بَعْدَ هَذَا الْإِخْتِبَارِ أَنَابَ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَدَعَا وَطَلَبَ مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ، وَطَلَبَ حُكْمًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدَهُ. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، أَيَّ: إِنَّهُ سَأَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مُلْكًا لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلُهُ، وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ، وَبِذَلِكَ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِنْ طُرُقٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عِفْرِيًّا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا، وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَبِّ

وَكَذًا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ - أَوْ خَيْبَرَ - وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ، فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ، عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لَعِبَ. فَقَالَ ﷺ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بَنَاتِي. وَرَأَى بَنَتَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِفَاعٍ، فَقَالَ ﷺ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟» قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَرَسٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَنَاحَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَمَّا سَمِعْتُ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَتْ لَهُ خَيْلٌ لَهَا أُجْنِحَةُ؟ قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَصَحَّحَ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِدَهُ^(١).

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ بِعَرْضِهَا حَتَّى فَاتَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَالَّذِي يُقْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا عَمْدًا بَلْ نِسْيَانًا، كَمَا شَغَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى صَلَّاهَا بَعْدَ الْغُرُوبِ، وَذَلِكَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، مِنْ ذَلِكَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا كِدْتُ أَصْلِي الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا» فَقَالَ: فَتَمَنَّا إِلَى يُطْحَانَ فَتَوَضَّأَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ، وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ^(٢). ﴿رَدُّهَا عَلَى فَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَغْنَقِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: قَالَ: لَا، وَاللَّهُ لَا تَشْغَلِينِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي آخِرَ مَا عَلَيْكَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَعَفِّرَتْ^(٣). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: ضَرَبَ أَغْنَأَهَا وَعَرَّاقِيهَا بِالسُّبُوفِ^(٤).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَعَلَ يَمَسُّحُ أَغْزَافَ الْخَيْلِ وَعَرَّاقِيهَا حُبًّا لَهَا^(٥). وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبْ حَيَوَانًا بِالْعُرْقَبَةِ، وَهَؤُلَاءِ مَالًا مِنْ مَالِهِ بَلَا سَبَبٍ سِوَى أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَنْ صَلَاتِهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا، وَلَا ذَنْبَ لَهَا^(٦). وَهَذَا الَّذِي رَجَّحَ بِهِ ابْنُ جَرِيرٍ، فِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي شَرْعِهِمْ جَوَازٌ وَمِثْلُ هَذَا، وَلَا سِيَّمًا إِذَا كَانَ غَضَبًا لِلَّهِ

(١) أبو داود: ٢٢٧/٥ (٢) فتح الباري: ٨٢/٢ ومسلم: ١/٤٣٨

(٣) الطبري: ١٩٥/٢١ (٤) الطبري: ١٩٥/٢١ (٥) الطبري: ١٩٦/٢١ (٦) الطبري: ١٩٦/٢١ (٧) أحمد: ٥/٧٨

(*) لَمْ يَبَيِّنِ اللَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةَ هَذَا الْجَسَدِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَتَحَنَّنَ نُوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ اخْتَبَرَهُ بِإِلْقَاءِ الْجَسَدِ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَلَا نَعْرِفُ مَا هُوَ؟ وَكُلُّ مَا قِيلَ حَوْلَهُ، فَهُوَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، لَا نَعْرِفُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

بَعْدَمَا اسْتَشَارَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: تَوَاضِعْ، فَاخْتَارَ الْمُنْزِلَةَ الْأُولَى لِأَنَّهَا أَرْفَعُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَى مَنْزِلَةً فِي الْمَعَادِ، وَإِنْ كَانَتِ الْمُنْزِلَةُ الثَّانِيَّةُ، وَهِيَ النُّبُوَّةُ مَعَ الْمُلْكِ، عَظِيمَةً أَيْضًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أُعْطِيَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الدُّنْيَا، بَيَّنَّ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ ذُو حِطِّ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَکُفْرًا وَحُكْمًا مَبَکٍ﴾ أَيُّ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي السَّبْطُ لِيُصِيبَ وَعَذَابٍ﴾ (٤١) ﴿أَكْرَضَ بِرَحْمَتِكَ هَذَا غُلَامًا وَأَنزَلَ فِي سَكَبٍ﴾ (٤٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَامًا وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣) ﴿وَحَدَّ يَدَيْكَ صِغَةً فَأَضْرِبَ بِيَدِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْفَضْلِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤٤)

[اذْكُرْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ]

يَذْكُرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا كَانَ ابْتِلَاءُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الضَّرِّ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي جَسَدِهِ مَعْرُوفٌ إِلَّا بِنُورِ سُلَيْمَانَ سِوَى قَلْبِهِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَرَضِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّ زَوْجَتَهُ حَفِظَتْ وَدَّةَ إِيْمَانِهَا بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، فَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ بِالْأَجْرَةِ وَتُطْعِمُهُمْ وَتَخْدُمُهُمْ نَحْوًا مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَالٍ جَزِيلٍ وَأَوْلَادٍ وَسَعَةٍ طَائِلَةٍ فِي الدُّنْيَا، فَسَلَبَ جَمِيعَ ذَلِكَ، حَتَّى آَلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ أُلْقِيَ عَلَى مَرْبَلَةٍ مِنْ مَرَابِلِ الْبَلَدَةِ هَذِهِ الْمُدَّةَ بِكَمَالِهَا، وَرَفَضَهُ الْقُرْبُ وَالْبُعِيدُ، سِوَى زَوْجَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تَفَارِقُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً إِلَّا بِسَبَبِ خِدْمَةِ النَّاسِ، ثُمَّ تَعَوَّدَ إِلَيْهِ قَرِيبًا، فَلَمَّا طَالَ الْمُطَالُ، وَاشْتَدَّ الْحَالُ، وَانْتَهَى الْقُدْرُ، وَتَمَّ الْأَجَلُ الْمُقَدَّرُ، تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِلَى الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وَفِي هَذِهِ الْكُرَيْمَةِ قَالَ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي السَّبْطُ لِيُصِيبَ وَعَذَابٍ﴾ قِيلَ: يُنْصَبُ فِي بَدَنِي، وَعَذَابٍ فِي مَالِي وَوَلَدِي، فَعِنْدَ ذَلِكَ اشْتَجَابَ لَهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَقَامِهِ وَأَنْ يَرْكُضَ الْأَرْضَ بِرَجْلِهِ، فَفَعَلَ فَاتَّبَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنًا، وَأَمْرُهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ

أَفْقَرُ لِي وَهَبَ لِي مُلْكًا لَا يَلْبِغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ قَالَ رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِيًا^(١). وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ^(٢). وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ - ثُمَّ قَالَ: - أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ قَالَ ﷺ: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ الثَّامَةَ، فَلَمْ يَتَأَخَّرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَخْذَهُ، وَاللَّهِ لَوْ لَا دَعْوَةُ أَحْيَنَّا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوتَفًا، يَلْعَبُ بِهِ صَبِيَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»^(٣).

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُكَاةً حَيْثُ أَصَابَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ. لَمَّا عَقَرَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْخَيْلَ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَسْرَعُ، الرِّيحَ الَّتِي عُذُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ^(٤).

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أَيُّ: حَيْثُ أَرَادَ مِنْ الْبِلَادِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَّالُهُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ أَيُّ: مِنْهُمْ مَا هُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْأَنْبِيَةِ الْهَائِلَةِ، مِنْ: مُحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ. وَطَائِفَةٌ غَوَاصُونَ فِي الْبَحَارِ، يَسْتَخْرِجُونَ مَا فِيهَا مِنَ اللَّالِئِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ الثَّمِينَةِ الَّتِي لَا تَوْجَدُ إِلَّا فِيهَا ﴿وَبَآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أَيُّ: مُؤْتَوَّفُونَ فِي الْأَغْلَالِ وَالْأَكْبَالِ، مِمَّنْ قَدْ تَمَرَّدَ وَعَصَى، وَامْتَنَعَ مِنَ الْعَمَلِ وَأَبَى، أَوْ قَدْ أَسَاءَ فِي صَنِيعِهِ وَاعْتَدَى.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَيُّ: هَذَا الَّذِي أُعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمُلْكِ الثَّامِ وَالسُّلْطَانِ الْكَامِلِ كَمَا سَأَلْتَنَا: فَأَعْطِ مَنْ شِئْتَ وَاحْرُمْ مَنْ شِئْتَ، لَا حِسَابَ عَلَيْكَ، أَيُّ: مَهْمَا فَعَلْتَ فَهُوَ جَائِزٌ لَكَ، أَحْكَمُ بِمَا شِئْتَ فَهُوَ صَوَابٌ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خِيرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا - وَهُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَاسِمٌ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ - وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مُلْكًا يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِلَا حِسَابٍ وَلَا جُنَاحِ: اخْتَارَ الْمُنْزِلَةَ الْأُولَى

(١) فتح الباري: ١/٦٦٠ (٢) مسلم: ١/٣٨٤ والنسائي في الكبرى: ٦/٤٤٣ (٣) مسلم: ١/٣٨٥ (٤) الطبري: ٢١/٢٠١

الْمُرَّةُ الْاَلْفُ مَرَّةً

٤٥٦

سُورَةُ ص

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَاهُ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤١﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّهُ وَجَدَنهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٢﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَاهُ الْدَّارِ ﴿٤٤﴾ وَلِيَتَّبِعُهُمُ الْخَيْرُ الْمُسْتَطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٥﴾ وَادْكُرْ إسماعيلَ وإليسا وعِيسَى وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٦﴾ هَذَا ذِكْرُ وَإِنَ الْمُتَّقِينَ لَحَسَنُ مَثَابٍ ﴿٤٧﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْنُحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٤٨﴾ مُتَكِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٤٩﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْكَافِرِ الْأَرْبَابِ ﴿٥٠﴾ هَذَا مَا تَدْعُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا وَإِلَى الطَّغْيَانِ لَشَرُّ مَثَابٍ ﴿٥٣﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَكْسِلُونَهَا ﴿٥٤﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٥﴾ وَآخِرُ مَنْ شَكَلَهُ أَزْوَاجٌ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِمٌ مَعَكُمْ لَأَمْرَجَابِيهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٧﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْجَابِيكُمُ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَأَفْسِسَ الْقَرَارُ ﴿٥٨﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٥٩﴾

تَعَالَى لَهُ بِأَعْيَانِهِمْ، وَزَادَهُمْ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ^(١). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ أَيُّ: بِهِ عَلَى صَبْرِهِ وَتَبَاتِيهِ وَإِنَابَتِهِ وَتَوَاضُعِهِ وَاسْتِكَانَتِهِ وَذَكَرْنَاهُ لِأُولَى الْأَلْبَابِ أَيُّ: لِدَوِي الْعُقُولِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ الْفَرْجُ وَالْمَخْرَجُ وَالرَّاحَةُ. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ قَدْ غَضِبَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَوَجَدَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ فَعَلْتُهُ، وَخَلَفَ إِنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيَضْرِبَتْهَا مِائَةً جَلْدَةً، فَلَمَّا شَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَافَاهُ مَا كَانَ جَزَاؤُهَا مَعَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ النَّاتِمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ تُقَابَلَ بِالضَّرْبِ، فَأَفْتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَأْخُذَ ضِغْثًا وَهُوَ الشَّمْرَاخُ فِيهِ مِائَةُ قَضِيبٍ، فَيَضْرِبُهَا بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ بَرَّتْ يَمِينُهُ، وَخَرَجَ مِنْ جَنَّتِهِ، وَوَفَّى بِنَذْرِهِ، وَهَذَا مِنَ الْفَرْجِ وَالْمَخْرَجِ لِمَنْ اتَّقَى

مِنَ الْأَذَى، ثُمَّ أَمَرَهُ فَضَرَبَ الْأَرْضَ فِي مَكَانٍ آخَرَ فَأَنْبَعَ لَهُ عَيْنًا أُخْرَى وَأَمَرَهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا فَأَذْهَبَتْ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي بَاطِنِهِ مِنَ السُّوءِ، وَتَكَامَلَتِ الْعَاقِبَةُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَنِيمٍ جَمِيعًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْتَ بِهِ بَلَاءُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ كَانَا مِنْ أَخْصَى إِخْوَانِهِ بِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيُروْحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحِمَهُ اللَّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَا أَذْهَبُ مَا تَقُولُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرًا عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرْ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ يَذْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا فِي حَقٍّ، قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتْ أَمْرَاتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ «اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ» فَاسْتَبَاطَتْهُ [فَنَلَقَتْهُ] تَنْظُرُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيُّ تَبَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُتَبَلَّى، فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، قَالَ: وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرٌ لِلْقَمَحِ وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى سَحَابَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمَحِ، أَفْرَعَتْ فِيهِ الدَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَعَتْ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ حَتَّى فَاضَ هَذَا لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ غُرْبَانَا خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْتُو فِي نَوْبِهِ، فَكَادَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيَنَّكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: بَلَى يَا رَبَّ! وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ^(٢). وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَاهُ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ

(١) الطبري: ٢١١/٢١ (٢) البخاري: ٢٧٩، ٣٣٩١، ٧٤٩٣

(٣) الطبري: ٢١٢/٢١

الطَّرْفِ أَرْبَابٌ ﴿٥٧﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٩﴾

[بَيَانُ مَابِ السُّعْدَاءِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ السُّعْدَاءِ أَنَّ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِحْسَنَ مَآبٍ، وَهُوَ الْمَرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَسَنَ عَدْنٍ﴾ أَي: جَنَّتْ إِقَامَةٌ مُنْتَمِعَةٌ لَّهُمُ الْآلُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ هَهُنَا بِمَعْنَى الْإِضَافَةِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُنْتَمِعَةٌ لَهُمْ أَبَوَاهُ، أَي: إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ لَهُمْ أَبَوَاهُ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُكِّنِينَ فِيهَا﴾ قِيلَ: مُتَرَبِّعِينَ عَلَى سُرُرٍ تَحْتَ الْحِجَابِ ﴿يَعْمُونَ فِيهَا بِفِكَهَمٍ كَثِيرَةٍ﴾ أَي: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَأَخْصَرَ كَمَا أَرَادُوا ﴿وَسَرَّابٍ﴾ أَي: مِنْ أَيْ أَنْوَاعِهِ شَاؤُوا أَتَتْهُمْ بِهِ الْخُدَامُ ﴿يَأْكُوبُ وَآبَارِقُ وَكُلٌّ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ طَّرْفٍ﴾ أَي: عَنْ غَيْرِ أَزْوَاجِهِمْ فَلَا يَلْتَقِشْنَ إِلَى غَيْرِ بُعُولَتِهِنَّ ﴿أَرْبَابٌ﴾ أَي: مُتَسَاوِيَاتٌ فِي السَّنِّ وَالْعُمُرِ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَالسُّدِّيُّ ^(٦). ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أَي: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ صِفَةِ الْجَنَّةِ، هِيَ الَّتِي وَعَدَهَا لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ، الَّتِي يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ نُشُورِهِمْ وَقِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ مِنَ النَّارِ. ثُمَّ أَخْبَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ الْجَنَّةِ أَنَّهُ لَا فَرَاغَ لَهَا وَلَا زَوَالٍ وَلَا انْقِصَاءَ وَلَا انْتِهَاءَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَعَلَا: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مُجْدُوفٍ﴾ [هود: ١٠٨] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] أَي: غَيْرُ مَقْطُوعٍ وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٢٥] وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جَدًّا.

﴿هَذَا وَارِثُ الطَّالِقِينَ لَشَرِّ مَنَآبٍ﴾ جَهَنَّمَ يَسْلُوكَهَا فَيَسُ الْهَذَا ﴿٥٨﴾ هَذَا فَلْيَدْرُؤُوهُ جَمِيعًا وَنَسَاقًا ﴿٥٩﴾ وَاعْتَرَفَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُتَفَحِّمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَحًا يَوْمَ إِنَّهُمْ صَلَّوْا النَّارَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَشْرَ لَا مَرَحًا يَكُونُ أَشْرٌ قَدْ مَشَّوْهُ لَنَا فَيَسُ الْفَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ

(١) الطبري: ٢١٥/٢١ (٢) الطبري: ٢١٨/٢١ (٣) الطبري:

٢١٨/٢١ (٤) الطبري: ٢١٧/٢١ (٥) الطبري: ٢٢٠/٢١

(٦) الطبري: ٢٢٣/٢١

اللَّهُ تَعَالَى وَأَتَابَ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِأَنَّهُ ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أَي: رَجَاعٌ مُنِيبٌ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا [الطلاق: ٢، ٣].

﴿وَذَكَرَ عِدَدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٦١﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٦٢﴾ وَذَكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٦٣﴾ هَذَا ذَكَرَ

[ذِكْرُ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فَصَائِلِ عِبَادِهِ الْمُرْسَلِينَ وَأَنْبِيَائِهِ الْعَابِدِينَ: ﴿وَذَكَرَ عِدَدًا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ يَعْني بِذَلِكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْقُوَّةَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْبَصِيرَةَ النَّافِذَةَ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾ يَقُولُ: أُولَى الْقُوَّةِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ يَقُولُ: الْفِقْهُ فِي الدِّينِ ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: أَعْطُوا قُوَّةَ فِي الْعِبَادَةِ وَبَصَرًا فِي الدِّينِ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَي: جَعَلْنَاهُمْ يَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرُهَا ^(٢). وَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ: ذَكَرَهُمْ لِلْآخِرَةِ وَعَمَلُهُمْ لَهَا ^(٣). وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: نَزَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قُلُوبِهِمْ حُبَّ الدُّنْيَا وَذَكَرَهَا، وَأَخْلَصَهُمْ بِحُبِّ الْآخِرَةِ وَذَكَرَهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا يَذْكُرُونَ النَّاسَ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَالْعَمَلَ لَهَا ^(٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾ أَي: لِمَنِ الْمُخْتَارِينَ الْمُجْتَنِبِينَ الْأَخْيَارِ، فَهَمَّ أَحْيَارٌ مُخْتَارُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قِصَصِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ مُسْتَقْصَاةً فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَا ذَكَرَ﴾ أَي: هَذَا فَضَّلَ فِيهِ ذِكْرُ لِمَنْ يَذْكُرُ. قَالَ السُّدِّيُّ: يَعْني الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ^(٥).

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَنَآبٍ﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ مُنْتَمِعَةٌ لَّهُمُ الْآزَبُ ﴿٥٩﴾ مُكِّنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَمٍ كَثِيرَةٍ وَسَرَّابٍ ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ

لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا
كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾
[بَيَانُ مَالِ الْأَشْقِيَاءِ]

لَمَّا ذَكَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَالَ السَّعْدَاءِ ثَنَّى بِذِكْرِ حَالِ
الْأَشْقِيَاءِ وَمَرَّجَعِهِمْ وَمَا بِهِمْ فِي دَارِ مَعَادِهِمْ وَحَسَابِهِمْ فَقَالَ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَا وَابْتَ لِلظَّالِمِينَ﴾ وَهُمْ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الْمُخَالِفُونَ لِرُسُلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ
﴿لَشَرِّ مَتَابٍ﴾ أَيُّ: لِسُوءِ مُتَقَلِّبٍ وَمُرْجِعٍ. ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ
جَلَّ وَعَلَا: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أَيُّ: يَدْخُلُونَهَا فَتَعْمُرُهَا مِنْ
جَمِيعِ جَوَانِبِهِمْ ﴿فَيَسَّ الْهَادِ﴾ هَذَا فَلْيَدْرِفُوهُ حَيْثُ وَعَسَاقُ
أَمَّا الْحَمِيمُ فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ، وَأَمَّا الْعَسَاقُ
فَهُوَ صِدْهُ وَهُوَ الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ
الْمَوْلِمُ.

وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أَيُّ:
وَأَشْيَاءُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ: الشَّيْءُ وَصِدُّهُ يُعَاقِبُونَ بِهَا. وَقَالَ
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾
الْوَأْنُ مِنَ الْعَذَابِ^(١). وَقَالَ غَيْرُهُ: كَالزَّمْهَرِيرِ وَالسَّمُومِ،
وَشَرْبِ الْحَمِيمِ وَأَكْلِ الزُّقُومِ، وَالصُّعُودِ وَالْهَوِيِّ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُتَضَادَّةِ، وَالْجَمِيعُ مِمَّا
يُعَذِّبُونَ بِهِ، وَيُهَانُونَ بِسَبَبِهِ.

[تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ]

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُتَقَبِّحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ
إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ قَبْلِ أَهْلِ
النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً
لَعَنْتَ أَخْبَارَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، يَعْنِي بَدَلَ السَّلَامِ يَتَلَاَعَنُونَ
وَيَتَكَادِبُونَ وَيَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَتَقُولُ الطَّائِفَةُ الَّتِي
تَدْخُلُ قَبْلَ الْأُخْرَى إِذَا أَقْبَلَتِ الَّتِي بَعْدَهَا مَعَ الْخَزَنَةِ مِنْ
الرِّبَايَةِ: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُتَقَبِّحٌ﴾ أَيُّ: دَاخِلٌ ﴿مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ
لَهُمْ إِنْهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ أَيُّ: لَا تُنْجِيهِمْ مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ
لَا مَرْجَأَ لَكُمْ﴾ أَيُّ: يَقُولُ لَهُمُ الدَّاخِلُونَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ
لَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَثُمْتُمْ لَنَا﴾ أَيُّ: أَنْتُمْ دَعَوْتُمُونَا إِلَى مَا أَفْضَى بِنَا
إِلَى هَذَا الْمَصِيرِ ﴿فَيَسَّ الْفَكَارُ﴾ أَيُّ: فَيَسَّ الْمَنْزِلُ
وَالْمُسْتَقَرُّ وَالْمَصِيرُ ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا
فِي النَّارِ﴾ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُ لِأَوْلَانِهِمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَصْلَحُوا فَخَانَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَنُوعًا
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونِ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا إِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾

لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨] أَيُّ: لِكُلِّ مِنْكُمْ عَذَابٌ بِحَسَبِهِ
﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ أَخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ الْكُفَّارِ فِي
النَّارِ، أَنَّهُمْ يَفْقِدُونَ رِجَالًا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى
الضَّلَالَةِ - وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ فِي زَعْمِهِمْ - قَالُوا: مَا لَنَا لَا
نَرَاهُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ
يَقُولُ: مَا لِي لَا أَرَىٰ بِلَالًا وَعَمَارًا وَصَهْبِيًّا، وَقُلَانَا
وَقُلَانَا^(٢). وَهَذَا ضَرْبُ مَثَلٍ، وَإِلَّا فَكُلُّ الْكُفَّارِ هَذَا
حَالُهُمْ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَلَمَّا دَخَلَ
الْكُفَّارُ النَّارَ افْتَقَدُواهُمْ فَلَمْ يَجِدُوهُمْ، فَقَالُوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ
رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَيُّ: فِي الدَّارِ
الدُّنْيَا. أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ يُسَلِّتُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُحَالِ،
يَقُولُونَ: أَوْ لَعَلَّهُمْ مَعَنَا فِي جَهَنَّمَ، وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَ بَصَرُنَا
عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ فِي الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَاتِ،

(١) الطبري: ٢١ / ٢٣٠ (٢) الطبري: ٢١ / ٢٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥٨

سُورَةُ الصَّ

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الصَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ أَلْيَالِ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَلْيَالٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾

[قِصَّةُ آدَمَ وَإِبْلِيسَ]

هَذِهِ الْقِصَّةُ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَفِي أَوَّلِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَفِي سُورَةِ الْحَجَرِ، وَشُبْحَانَ، وَالْكَهْفِ وَهَؤُنَا، وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمَ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْأَمْرِ مَتَى فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ وَتَسْوِيَّتِهِ فَلْيَسْجُدُوا لَهُ - إِكْرَامًا وَإِعْظَامًا وَاخْتِرَامًا وَامْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ -، فَاِمْتَنَلِ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ ذَلِكَ سِوَى إِبْلِيسَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ جِنْسًا. كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَخَانَهُ طَبْعُهُ وَجَبَلَتْهُ أَسْوَاجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ، فَاسْتَكْبَفَ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ وَخَاصَمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ، وَادَّعَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ، فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، وَالنَّارُ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ - فِي رُغْمِهِ، وَقَدْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ - وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَرَ بِذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَرْغَمَ أَنْفَهُ، وَطَرَدَهُ عَنْ بَابِ رَحْمَتِهِ، وَمَحَلَّ أُنْثِيَهُ، وَحَضَرَةَ قُدْسِيهِ، وَسَمَّاهُ إِبْلِيسَ إِعْلَامًا لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَبْلَسَ مِنْ

وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَادَىٰ أَحْمَدُ الْجَنَّةَ أَحْمَدُ النَّارُ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَعَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّ مُؤَدُّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَشَدُّ تَخَرُّبًا﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أَيْ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ تَخَاصُمِ أَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَلَعْنِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، لَحَقٌّ، لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي هُوَ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَوَّلَىٰ إِذْ يَخْصُونَ ﴿٦٨﴾ إِنْ يُؤْتَىٰ إِلَىٰ إِلَّا آمَنَّا أَنَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾

[رِسَالَةُ الرَّسُولِ ﷺ نَبَأٌ عَظِيمٌ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمِيرًا رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلْكَفَّارِ بِاللَّهِ، الْمُشْرِكِينَ بِهِ، الْمُكْذِبِينَ لِرَسُولِهِ: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ لَسْتُ كَمَا تَزْعُمُونَ ﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي هُوَ الْقَهَّارُ﴾ أَيْ: هُوَ وَحْدَهُ قَدْ فَهَرَّ كُلُّ شَيْءٍ وَغَلَبَهُ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أَيْ هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ وَمُتَصَرِّفٌ فِيهِ ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ أَيْ: غَفَّارٌ مَعَ عَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أَيْ: خَبِيرٌ عَظِيمٌ وَشَأْنٌ بَلِيغٌ، وَهُوَ إِزْسَالُ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّايَ إِلَيْكُمْ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أَيْ: غَافِلُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَوَّلَىٰ إِذْ يَخْصُونَ﴾ أَيْ: لَوْلَا الْوَحْيُ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَذْرِي بِاخْتِلَافِ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى؟ يَعْني فِي شَأْنِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَامْتِنَاعِ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، وَمُحَاجَّاتِهِ رَبَّهُ فِي تَفْصِيلِهِ عَلَيْهِ. وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمُ سَجْدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَئِيلُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَانْخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَصِّصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

عَنْهُمَا. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَخْرَابِ فَأَلْنَا مَوْعِدَهُمْ﴾ [هود: ١٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أَيُّ: خَبَرُهُ وَصِدْقُهُ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أَيُّ: عَنْ قَرِيبٍ. قَالَ قَتَادَةُ: بَعْدَ الْمَوْتِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَا مُتَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ فِي حُكْمِ الْقِيَامَةِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ ص، وَ اللَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

تفسير سورة الزمر وهي مكية

[فضل سورة الزمر]

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ، وَكَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزَّمَرُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَسَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)

[الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالرَّدُّ عَلَى الشِّرْكِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ تَنْزِيلَ هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ - مِنْ عِنْدِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ لَتَنِزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (٦) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٧) بِلِسَانٍ عَرِيفٍ مُبِينٍ (٨) [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَتَنِزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٩) لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلُ

الرَّحْمَةِ، وَأَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مَذْمُومًا مَذْهُورًا إِلَى الْأَرْضِ، فَسَأَلَ اللَّهُ النَّظْرَةَ إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ فَأَنْظَرَهُ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يُعْجَلُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ. فَلَمَّا آمَنَ الْهَلَاكُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَمَرَّدَ وَطَغَى.

وَقَالَ: ﴿فَعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٠) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (١١) كَمَا قَالَ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء: ٦٢] وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُشْتَبُونَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الاسراء: ٦٥].

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (١٢) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ بَعَدَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (١٣) قَرَأَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ: بَرَفَعِ الْحَقُّ الْأَوَّلَ، وَفَسَّرَهُ مُجَاهِدٌ بِأَنَّ مَعْنَاهُ: أَنَا الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْحَقُّ مِنِّي وَأَقُولُ الْحَقَّ^(١٤). وَقَرَأَ آخَرُونَ بِتَضْيِيقِهِمَا. قَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ قَسَمُ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ^(١٥).

(قُلْتُ): وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ بَعَدَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً تَوْفِقًا﴾ [الاسراء: ٦٣].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ (١٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٧) وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨)

يَقُولُ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى هَذَا الْبَلَاغِ وَهَذَا النُّصْحِ، أَجْرًا تُعْطَوْنِيهِ مِنْ غَرَضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أَيُّ: وَمَا أُرِيدُ عَلَى مَا أُرْسَلَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَلَا أَتَّبِعِي زِيَادَةَ عَلَيْهِ، بَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ أَدِّيتُهُ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، وَلِنَّمَا أَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنِ الْأَعْمَشِ وَمَنْصُورٍ عَنْ أَبِي الصُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ أَخْرَجَاهُ^(١٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ

(١) الطبري: ٢٤٢/٢١ (٢) الطبري: ٢٤٢/٢١ (٣) فتح الباري: ٤٠٩/٨ ومسلم: ٢/٢١٥٥ (٤) النسائي في الكبرى: ٤٤٤/٦

الْخَلَائِقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، وَيَجْزِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ ﴿يَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنَّا كُنَّا يَعْبُدُونَنِي﴾^(١) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِئْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿سبأ: ٤٠، ٤١﴾ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أَيُّ: لَا يُرِيدُ إِلَى الْهِدَايَةِ مَنْ قَصَدَهُ الْكَذِبُ وَالْإِفْرَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَلْبُهُ كَافِرٌ بِآيَاتِهِ وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ كَمَا يُزْعَمُهُ جَهْلَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْمَلَائِكَةِ، وَالْمُعَانِدُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْعَزِيرِ وَعِيسَى، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أَيُّ: لَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا يُزْعَمُونَ، وَهَذَا شَرْطٌ لَا يَلْزَمُ وَقُوعُهُ وَلَا جَوَازُهُ، بَلْ هُوَ مُحَالٌ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَجْهِيلُهُمْ فِيَمَا ادَّعَوْهُ وَزَعَمُوهُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] كُلُّ هَذَا مِنْ بَابِ الشَّرْطِ، وَيَجُوزُ تَعْلِيلُ الشَّرْطِ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ لِمَقْصِدِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ أَيُّ: تَعَالَى وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ عَبْدٌ لَدَيْهِ، فَفِيهِ إِلَهِي، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، الَّذِي قَدْ فَهَرُ الْأَشْيَاءَ فَذَانَتْ لَهُ وَذَلِكَ وَخَصَّصَتْ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عَلَوهَا كَبِيرًا.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٢) خَلَقَكَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةً أَرْوَجَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا

نُصْرُونَ ﴿١﴾

[الاستشهاد عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْخَالِقُ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَّهُ مَالِكُ الْمُلْكِ الْمُتَصَرِّفِ فِيهِ، يَقْلِبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ

مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا هَا هُنَا: ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أَيُّ: الْمُنِيعِ الْجَنَابِ ﴿الْحَكِيمِ﴾ أَيُّ: فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أَيُّ: فَاعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَادْعُ الْخَلْقَ إِلَى ذَلِكَ، وَأَعْلِمُهُمْ أَنَّهُ لَا تَضَلُّحُ الْعِبَادَةِ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَلَا عَدِيلٌ وَلَا نَدِيدٌ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أَيُّ: لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا أَخْلَصَ فِيهِ الْعَامِلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِبَادِ الْأَصْنَامِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَصْنَامِ اتَّخَذُوهَا عَلَى صُورِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي رُغْمِهِمْ، فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّورَ تَنْزِيلًا لِذَلِكَ مَنْزِلَةِ عِبَادَتِهِمْ الْمَلَائِكَةَ، لِيَسْمَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي نَصْرِهِمْ وَرِزْقِهِمْ وَمَا يُتَوَبُّهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَأَمَّا الْأَعَادُ فَكَانُوا جَاحِلِينَ لَهُ كَافِرِينَ بِهِ. قَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَابْنِ زَيْدٍ: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أَيُّ: لِيَسْمَعُوا لَنَا وَيَقْرَبُونَا عِنْدَهُ مَنْزِلَةً^(٣). وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيتِهِمْ إِذَا حَجُّوا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ: لَبَّيْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. وَهَذِهِ الشُّبُهَةُ هِيَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الْمُشْرِكُونَ قَدِيمَ الدَّهْرِ وَحَدِيثَهُ، وَجَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - بِرَدِّهَا وَالتَّهْنِي عَنَّا، وَالدَّعْوَةُ إِلَى إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، لَمْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ وَلَا رَضِيَ بِهِ، بَلْ أَبْغَضَهُ وَنَهَى عَنْهُ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٧] وَأَخْبَرَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَغَيْرِهِمْ، كُلُّهُمْ عِبِيدٌ خَاصُّونَ لِلَّهِ، لَا يَشْفَعُونَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِمَنْ ارْتَضَى، وَلَيْسُوا عِنْدَهُ كَالْأَمْوَاءِ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ، يَشْفَعُونَ عَنْدهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فِيمَا أَحَبَّ الْمُلُوكُ وَأَبْوَهُ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عَلَوهَا كَبِيرًا.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَيُّ: سَيَفْصِلُ بَيْنَ

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تُصْرُفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

❖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمِنْ هُوَ قَلِيلٌ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ لِكَيْلٍ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ بِعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَافِ كُفْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ❖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾

[يَغْضَبُ اللَّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَيَرْضَى مِنَ الشُّكْرِ]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أُولَٰئِكَ وَأَجْرَهُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا» (٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أَي: لَا يُجِبُهُ وَلَا

عَلَى الْإِلِّهِ أَي: سَخَّرَهُمَا يَجْرَبَانِ مُتَعَايِنِينَ لَا يَفْتَرَانِ، كُلُّ مِنْهُمَا يَطْلُبُ الْآخَرَ طَلَبًا حَقِيقًا، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُعْشَىٰ آلِيلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَقِيقًا﴾ [الأعراف: ٥٤] هَذَا مَعْنَى مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ وَغَيْرِهِمْ (١). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَي: إِلَى مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ يَنْقُضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَلَا هُوَ الْغَفُورُ﴾ أَي: مَعَ عِزَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ هُوَ غَفَّارٌ لِمَنْ عَصَاهُ ثُمَّ تَابَ أَوْ أَنَابَ إِلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أَي: خَلَقَكُمْ مَعَ اخْتِلَافٍ أَجْنَاسِكُمْ وَأَصْنَافِكُمْ، وَالْأَنْثَى وَالْأُنثَى مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وَهِيَ حَوَاءٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أَي: خَلَقَ لَكُمْ مِنْ ظُهُورِ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ: مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أَي: قَدَّرَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴿خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يَكُونُ أَحَدُكُمْ أَوَّلًا نُطْقَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً، ثُمَّ يَخْلُقُ فَيَكُونُ لَحْمًا وَعَظْمًا وَعَصَبًا وَعُرُوقًا، وَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ فَيَصِيرُ خَلْقًا آخَرَ ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ يَعْنِي فِي ظُلْمَةِ الرَّجَمِ وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ - الَّتِي هِيَ كَالْغِشَاوَةِ وَالْوِقَايَةِ عَلَى الْوَلَدِ - وَظُلْمَةِ الْبُطْنِ. كَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَأَبُو مَالِكٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ (٢). وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ أَي: هَذَا الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَخَلَقَكُمْ وَخَلَقَ آبَاءَكُمْ هُوَ الرَّبُّ، لَهُ الْمُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ فِي جَمِيعِ ذَٰلِكَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَي: الَّذِي لَا تَتَّبِعِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فَآتَىٰ تُصْرُفُونَ﴾ أَي: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ؟ أَيْنَ يَذْهَبُ بِعُقُولِكُمْ؟

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

يَأْمُرُ بِهِ ﴿وَلِإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أَيُّ: يُجِبُهُ لَكُمْ وَيَزِدُّكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أَيُّ: لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، بَلْ كُلُّ مُطَالِبٍ بِأَمْرِ نَفْسِهِ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ﴾ أَيُّ: فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

[مِنْ كُفْرِ الْإِنْسَانِ: ذِكْرُهُ اللَّهُ فِي الشَّدَّةِ، وَالشَّرْكَ بِهِ بَعْدَ الْفَرْجِ]

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أَيُّ: عِنْدَ الْحَاجَةِ يَتَضَرَّعُ وَيَسْتَغِيثُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا خَفَّكُمُ الْبَارِ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الاسراء: ٦٧] وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيُّ: فِي حَالِ الرَّفَاحَةِ يَنْسَىٰ ذَلِكَ الدُّعَاءَ وَالتَّضَرُّعَ كَمَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا غَيْرَهُ وَهُوَ غَافٍ أَوْ قَابِئًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَاكِرًا لِّئَلَّا يَعْتَبِرَ إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ اللَّهُ أَتَذَادًا لِلْضَّلَالِ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أَيُّ: فِي حَالِ الْعَاقِبَةِ يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَيَجْعَلُ لَهُ أَتَذَادًا ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أَيُّ: قُلْ لِمَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ وَطَرِيقَتُهُ وَمَسْلَكَهُ: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا، وَهُوَ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَمَتَّعْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [القصص: ٣٤].

﴿أَمِنْ هُوَ قَنِيتَ عَائَةَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَابِمًا بِحَدَرِ الْآخِرَةِ وَرَجُا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[لَا يَسْتَوِي الْمُطِيعُ وَالْعَاصِي]

يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: أَمِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ كَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَجَعَلَ لَهُ أَتَذَادًا لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَائَةَ الْيَلِّ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَهُنَا: ﴿أَمِنْ هُوَ قَنِيتَ عَائَةَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَابِمًا﴾ أَيُّ: خَاشِعٌ فِي حَالِ سُجُودِهِ وَفِي حَالِ قِيَامِهِ. وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْقَانِتُ: الْمُطِيعُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ^(١). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالغَيْنُ

٤٦٠

سُورَةُ الزَّحَرِ

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مَالَهُمْ هُمْ عَرَفُوا مِنْ فَوْقِهَا عَرَفَ مَبْنِئَةَ جَعْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

وَالْحَسَنُ وَالشَّدِيدُ وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿عَائَةَ الْيَلِّ﴾ جَوْفَ اللَّيْلِ^(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَحْدَرُ الْآخِرَةَ وَرَجُا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أَيُّ: فِي حَالِ عِبَادَتِهِ خَائِفٌ رَاجٍ، وَلَا بُدَّ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَأَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ فِي مُدَّةِ الْحَيَاةِ هُوَ الْغَالِبُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْدَرُ الْآخِرَةَ وَرَجُا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ فَلْيَكُنِ الرَّجَاءُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» فَقَالَ: أَزْجُو وَأَخَافُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يَرْجُو، وَأَمَّنَّهُ الَّذِي يَخَافُهُ»^(٣). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالسَّائِي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ سَيَّارِ بْنِ حَاتِمٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بِهِ.

(١) القرطبي: ٢٣٩/١٥ (٢) القرطبي: ٢٣٩/١٥ (٣) مسند عبد بن حميد: ٤٠٤

وَقَالَ التَّوْمِيذِيُّ غَرِيبٌ^(١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِحَاثَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُتُوبٌ لَيْلَةٍ» وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ: هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ مِمَّنْ جَعَلَ اللَّهُ أُنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ؟! ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَعْلَمُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا مَنْ لَهُ لُبٌّ وَهُوَ الْعَقْلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَعُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿لَئِنْ أُمِرْتُ لَأَكُونُ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى وَالْهَجْرَةِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِسْتِمْرَارِ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَعُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أَيُّ: لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: فَهَاجِرُوا فِيهَا وَجَاهِدُوا وَاعْتَرَلُوا الْأَوْثَانَ^(٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: لَيْسَ يُوزَنُ لَهُمْ وَلَا يُكَالُ لَهُمْ، إِنَّمَا يَعْرِفُ لَهُمْ غَرَفًا. وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ^(٣). وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا أُمِرْتُ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا نَارُ الْهَيْدَرِ﴾ قُلْ اللَّهُ يَخُوفُ إِلَهُ بِهِ عِبَادَهُ يَتَّبِعُونَ فَاتَّقُوا

[التَّخَوُّفُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا شَرْطٌ وَمَعْنَاهُ التَّعْرِضُ بِغَيْرِهِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ. وَهَذَا أَيْضًا تَهْدِيدٌ وَتَبَرُّ مِنْهُمْ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا الْخَاسِرُونَ كُلُّ الْخُسْرَانِ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ﴾ أَيُّ تَفَارَقُوا فَلَا الْبَقَاءَ لَهُمْ أَبَدًا، وَسَوَاءٌ ذَهَبَ أَهْلُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَقَدْ ذَهَبُوا هُمْ إِلَى النَّارِ، أَوْ أَنَّ الْجَمِيعَ أَسْكِنُوا النَّارَ، وَلَكِنْ لَا اجْتِمَاعَ لَهُمْ وَلَا سُورَ ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أَيُّ: هَذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ الظَّاهِرُ الْوَاضِحُ، ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُمْ فِي النَّارِ فَقَالَ: ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا نَارُ الْهَيْدَرِ﴾ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ﴾ وَكَذَلِكَ تَعْرِى الظَّالِمِينَ [الأعراف: ٤١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَشْنَعُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥]

وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يُخَوِّفُ خَبَرَ هَذَا الْكَائِنِ لَا مَحَالَةَ، لِيُخَوِّفَ بِهِ عِبَادَهُ، لِيَتَزَجَّرُوا عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَعُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿لَئِنْ أُمِرْتُ لَأَكُونُ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الْبَشَارَةُ لِلصَّالِحِينَ]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ نَزَلَتْ فِي زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ^(٤). وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا شَامِلَةٌ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ اجْتَنَبَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ، وَأَنَابَ إِلَى عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَهُمُ النُّشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَيُبَشِّرُ عِبَادَهُ﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أَيُّ: يَفْهَمُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ آتَاهُ التَّوْرَةَ: ﴿فَخُذْهَا يَقْوَاهُ وَأُمِرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أَيُّ: الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، هُمُ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أَيُّ: دَوْرُ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ وَالْفِطْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ.

﴿وَأَمِنْ حَقِّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِقُ مِنْ فِي النَّارِ﴾ لَكِنْ

(١) تحفة الأحوذى: ٥٧/٧ والنسائي في الكبرى: ٢٦٢/٦ وابن ماجه: ١٤٢٣/٢ (٢) الطبري: ٢٦٩/٢١ (٣) الطبري: ٢١/٢١ (٤) الطبري: ٢٧٤/٢١ إسناده ضعيف جدًا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه يروي الموضوعات

الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ هُمْ عَرَفُوا مَنْ فَوْقَهَا عَرَفُوا مَبْنِيَّةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى: أَفَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ أَنَّهُ شَقِيٌّ قَدِيرٌ تَقْدِيرُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ؟ أَيْ: لَا يَهْدِيهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِبَادِهِ السُّعَدَاءِ أَنَّ لَهُمْ عُرُفًا فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْقُصُورُ أَيْ الشَّاهِقَةُ ﴿٢١﴾ فَوْقَهَا عُرُفٌ مَبْنِيَّةٌ ﴿٢٢﴾ طِبَاقٌ فَوْقَ طِبَاقٍ، مَبْنِيَّاتٌ مُحْكَمَاتٌ مُزَخْرَفَاتٌ عَالِيَاتٌ. رَوَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرُفًا يُرَى بِطُونُهَا مِنْ ظَهْرِهَا، وَظُهُورُهَا مِنْ بَطُونِهَا» فَقَالَ أَغْرَابِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»^(١). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِي الْعُرُفَةِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ» قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ الثُّمَامَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاسٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الَّذِي فِي الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْغَرْبِيِّ»^(٢) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣). رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ فِي الْجَنَّةِ أَهْلَ الْعُرُفِ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرَجَاتِ الْغَارِبِ فِي الْأَفْقِ الطَّالِعِ، فِي تَفَاضُلِ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُولَئِكَ النَّبِيُّونَ؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! وَأَقْوَامٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الرَّسُولَ»^(٤). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أَيْ: تُسَلِّكُ الْأَنْهَارُ بَيْنَ خِلَالِ ذَلِكَ، كَمَا يَشَاوُونَ وَأَيْنَ ارَادُوا ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَعَدَّ وَعَدَّهُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ فَإِذَا أُنْزِلَ الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ كَمَنْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَصْرِفُهُ تَعَالَى فِي أَجْزَاءِ الْأَرْضِ كَمَا بَشَاءَ، وَيُنْبِعُهُ عُيُونًا مَا بَيْنَ صِغَارٍ وَكِبَارٍ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَسَلَكُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ كُلَّ مَاءٍ فِي الْأَرْضِ فَأَصْلُهُ مِنَ السَّمَاءِ^(٦). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَصْلُهُ مِنَ الثَّلَجِ، يَعْنِي أَنَّ الثَّلَجَ يَتَرَاكُمُ عَلَى الْجِبَالِ فَيَسْكُنُ فِي قَرَارِهَا، فَتَنْبُعُ الْعُيُونُ مِنْ أَسْفَلِهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مَخْلُوقًا آوْنَةً﴾ أَيْ: ثُمَّ يُخْرِجُ بِالْمَاءِ النَّارِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالتَّابِعَ مِنَ الْأَرْضِ ﴿زَرْعًا مَخْلُوقًا آوْنَةً﴾ أَيْ: أَشْكَالُهُ وَطُوعُومُهُ وَرَوَائِحُهُ وَمَنَافِعُهُ ﴿ثُمَّ يَهْبِطُ﴾ أَيْ: بَعْدَ نِزَارَتِهِ وَشَبَابِهِ يَكْتَهِلُ ﴿فَتَرْبَهُ مُصْفًى﴾ قَدْ خَالَطَهُ النَّيْسُ ﴿ثُمَّ

شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ لِلْفَلَسَفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾

[مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ أَصْلَ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا قَالَ عَزَّ

(١) أحمد: ١٥٥/١ (٢) تحفة الأحوذى: ٢٣١/٧ (٣) أحمد: ٣٤٠/٥ (٤) فتح الباري: ٤٢٤/١١ ومسلم: ٤/ ٢١٧٧ (٥) أحمد: ٣٣٩/٢ (٦) تحفة الأحوذى: ٢٧٢/٧ (٧) الدر المنثور: ٢١٩/٧

وَأَجِدْ، فَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَتَارَةً تَكُونُ يَذْكُرُ الشَّيْءَ وَضِدَهُ، كَذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ الْكَافِرِينَ، وَكَصِفَةِ الْجَنَّةِ ثُمَّ صِفَةِ النَّارِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا، فَهَذَا مِنَ الْمَثَانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣، ١٤] وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [إلى أَنْ قَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ٧-١٨] هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَشَبِّهِينَ لِحَسَنٍ مَتَابٍ﴾ [إلى أَنْ قَالَ: ﴿هَذَا وَإِلَى اللَّطَّافِينَ لَشَرٍّ مَتَابٍ﴾ [ص: ٤٩-٥٥] وَنَحْنُ هَذَا مِنَ السِّيَاقَاتِ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَثَانِي، أَيْ: فِي مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ السِّيَاقُ كُلُّهُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَهُوَ الْمُتَشَابِهُ. وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ آتَتْهُ خُكْكَةٌ هُنَّ أُمُّ الْكِكْلِ وَأُمُّ مَسْكِهِنَّ﴾ [آل عمران: ٧] ذَلِكَ مَعْنَى آخَرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَقْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَيْ: هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ، عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الْحَبَّارِ، الْمَهْمِيْنِ الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ، لِمَا يَفْهَمُونَ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ: تَقْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُهُمْ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لِمَا يَرْجُونَ وَيُؤْمَلُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَطْفِهِ، فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُجَارِ مِنْ وَجُوهٍ (أَحَدُهَا): أَنَّ سَمَاعَ هَؤُلَاءِ هُوَ تِلَاوَةُ الْآيَاتِ، وَسَمَاعَ أُولَئِكَ نَعْمَاتُ الْآيَاتِ مِنْ أَصْوَاتِ الْقَيْنَاتِ (الثَّانِي): أَنَّهُمْ إِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سَجْدًا وَبُكْيًا، بِأَدَبٍ وَخَشْيَةٍ وَرَجَاءٍ وَمَحَبَّةٍ وَفَهُمْ وَعِلْمُ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣] أَيْ: لَمْ يَكُونُوا عِنْدَ سَمَاعِهَا مُتَسَاغِلِينَ لَاهِينَ عَنْهَا، بَلْ مُضْغِينَ إِلَيْهَا، فَاهْمِينَ بِصِيرِنَ بِمَعَانِيهَا، فَلِهَذَا إِنَّمَا يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَسْجُدُونَ عِنْدَهَا عَنْ بَصِيرَةٍ لَا عَنْ جَهْلِ وَمَتَابَعَةٍ لِغَيْرِهِمْ.

يَجْعَلُهُ حُطْلَمًا﴾ أَيْ: ثُمَّ يَعُودُ يَابِسًا يَتَحَطَّمُ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أَيْ: الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا فَيَعْتَبِرُونَ إِلَى أَنَّ الدُّنْيَا هَكَذَا تَكُونُ خَضِرَةً نَضِرَةً حَسَنَاءَ، ثُمَّ يَعُودُ عَجُوزًا شَوْهَاءَ، وَالشَّابُّ يَعُودُ شَيْخًا هَرِمًا كَبِيرًا ضَعِيفًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ الْمَوْتُ، فَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَ حَالُهُ بَعْدَهُ إِلَى خَيْرٍ، وَكَثِيرًا مَا يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِمَا يُتْرَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ، وَيُنْبِتُ بِهِ زَرْعًا وَمَسَارًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ حُطَامًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

[لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْحَقِّ وَأَهْلُ الضَّلَالِ]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمَنْ سَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أَيْ: هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمَنْ هُوَ قَاسِي الْقَلْبِ بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَيْ: فَلَا تَلِينُ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَلَا تَخْشَعُ وَلَا تَعِي وَلَا تَفْهَمُ ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ ﴿٢٣﴾

[وَصَفَ الْقُرْآنِ]

هَذَا مَدْحٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكِتَابِهِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُتَشَابِهٌ مَثَانِي^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: الْآيَةُ تُشَبِّهُ الْآيَةَ وَالْحَرْفُ يُشَبِّهُ الْحَرْفَ^(٢). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَثَانِي: تَرْذِيدُ الْقَوْلِ لِيَفْهَمُوا عَنْ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَقَالَ عِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ: نَتَى اللَّهُ فِيهِ الْقَضَاءُ. زَادَ الْحَسَنُ: تَكُونُ السُّورَةُ فِيهَا آيَةٌ، وَفِي السُّورَةِ الْآخَرَى آيَةٌ تُشَبِّهُهَا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿مَثَانِي﴾ قَالَ: الْقُرْآنُ يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُرَدُّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ^(٣). وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَيُرْوَى عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ أَنَّ سِيَاقَاتِ الْقُرْآنِ تَارَةً تَكُونُ فِي مَعْنَى

(١) الطبري: ٢٧٩/٢١ (٢) الطبري: ٢٧٩/٢١ (٣) الطبري:

لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، أَعْظَمُ مِمَّا أَصَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَرِيبًا ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٥﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لِحُكْمِ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ مِيتٌ وَلَهُمْ مَيتُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢٨﴾

[مَثَلُ الشَّرِكِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِيهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فَإِنَّ الْمَثَلَ يَقْرُبُ الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: تَعَلَّمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَرِيبًا ذِي عِوَجٍ﴾ أي: هُوَ قُرْآنٌ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ وَلَا لُجْسَ، بَلْ هُوَ بَيِّنٌ وَوَضُوحٌ وَبُرْهَانٌ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَذَلِكَ، وَأَنْزَلَهُ بِذَلِكَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يَحْذَرُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي: يَتَنَازَعُونَ فِي ذَلِكَ الْعَبْدِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ أي: سَالِمًا ﴿لِرَجُلٍ﴾ أي: خَالِصًا لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لَا يَسْتَوِي هَذَا وَهَذَا. كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُشْرِكُ الَّذِي يَعْبُدُ إِلَهَةً مَعَ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ الَّذِي لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَأَيُّ هَذَا مِنْ هَذَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هَذِهِ الْآيَةُ ضَرَبَتْ مَثَلًا لِلْمُشْرِكِ وَالْمُخْلِصِ^(١). وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ ظَاهِرًا بَيِّنًا جَلِيًّا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: عَلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فَلِهَذَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ.

[مَوْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفُرُشٌ وَاخْتِصَامُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مِيتٌ وَلَهُمْ مَيتُونَ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(الثَّالِثُ): أَنَّهُمْ يَلْزُمُونَ الْأَدَبَ عِنْدَ سَمَاعِهَا، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تِلَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَتَشَعَّرُ جُلُودُهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ مَعَ قُلُوبِهِمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. وَلَمْ يَكُونُوا يَتَصَارَحُونَ وَلَا يَتَكَلَّفُونَ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، بَلْ عِنْدَهُمْ مِنَ الثَّبَاتِ وَالسُّكُونِ وَالْأَدَبِ وَالْخَشْيَةِ مَا لَا يَلْحَقُهُمْ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا فَازُوا بِالْمَدْحِ مِنَ الرَّبِّ الْأَعْلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ قَالَ: تَلَا قِتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿تَشَعَّرَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قَالَ: هَذَا نَعْتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، نَعْتُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَن تَتَشَعَّرَ جُلُودُهُمْ وَتَبْكِي أَعْيُنُهُمْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَنْعَتُهُمْ بِذَهَابِ عُقُولِهِمْ وَالْعَشْيَانِ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذَا فِي أَهْلِ الْبَدْعِ، وَهَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ أَيُّ هَذِهِ صِفَةٌ مِنْ هَذِهِ اللَّهُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ مِمَّنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَالْتَهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾

[مَالُ الْمُكَذِّبِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَيُفْرَقُ فَيُقَالُ لَهُ وَلَا مِثْلَهِ مِنَ الظَّالِمِينَ: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ كَمَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ مِجْأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَتَّبِعِ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَاسْتَفْتَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَحَدِ الْقُسَمَيْنِ عَنِ الْآخِرِ. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَالْتَهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يَعْنِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ، أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بِمَا أَنْزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْكَتَالِ وَتَشْفِي الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ، فَلْيَحْذَرِ الْمُحَاطَبُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا أَشْرَفَ الرُّسُلِ وَخَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَالَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

٤٦٢

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ (٣٢) **وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** (٣٣) **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ** (٣٤) **لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٣٥) **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ** (٣٦) **وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ۖ اللَّهُ ۖ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** (٣٧) **قُلْ يَتَقَوْمِ ۖ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** (٣٨) **مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** (٣٩)

فَتَنَّاوَلَهَا، فَأَيُّهُمَا الْمُتَعَدِّي؟ فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فَإِنِّكُمَا قَدْ حَكَمْتُمَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمَا. يعني أَنَّ الْجَسَدَ لِلرُّوحِ كَالْمَطِيَّةِ وَهُوَ رَاكِبُهُ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا نَعْلَمُ فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ: قُلْنَا: مَنْ نَخَاصِمُ؟ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ خُصُومَةٌ فَمَنْ نَخَاصِمُ؟ حَتَّى وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَذَا الَّذِي وَعَدْنَا رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ نَخْتَصِمُ فِيهِ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ (٣٢) **وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** (٣٣) **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ** (٣٤)

(١) الدر المنثور: ٦١٤/٥ (٢) أحمد: ١٦٤/١ (٣) تحفة الأحوذى: ٢٨٩/٩ (٤) النسائي في الكبرى: ١١٤٤٧ إسناده ضعيف فيه جعفر بن أبي مغيرة ليس بالقوي عن سعيد بن جبير كما قال ابن منده

عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى تَحَقَّقَ النَّاسُ مَوْتُهُ، مَعَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّكُمْ سَتَقُولُونَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ لَا مَحَالَةَ، وَسَتَجْتَمِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَتَخْتَصِمُونَ فِيهَا أَنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ، وَيَفْتَحُ بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ، فَيُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُؤَحِّدِينَ، وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ الْجَاحِلِينَ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ - وَإِنْ كَانَ سَبَاقُهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَذِكْرُ الْخُصُومَةِ بَيْنَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ - فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِّكُلِّ الْمُتَنَازِعِينَ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ تَعَادُ عَلَيْهِمُ الْخُصُومَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَكْرَرُ عَلَيْنَا الْخُصُومَةُ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الْأَمْرَ إِذَا لَشَدِيدٌ. (١) وَكَمَا رَوَى أَحْمَدُ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَيْضًا - قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَبَأٌ ۚ﴾ (٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ! أَتَكْرَرُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الدُّنُوبِ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ» لِيَكْرَرَنَّ عَلَيْكُمْ حَتَّى يُوَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ، قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ إِنْ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ. (٣) وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. (٤) وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يَقُولُ: بِخَاصِمِ الصَّادِقِ الْكَاذِبِ، وَالْمُظْلُومِ الظَّالِمِ، وَالْمُهْتَدِيَ الضَّالَّ، وَالضَّعِيفُ الْمُسْتَكْبِرُ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ مِنْدَةَ فِي كِتَابِ الرُّوحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: يَخْتَصِمُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تَخْتَصِمَ الرُّوحُ مَعَ الْجَسَدِ، فَتَقُولُ الرُّوحُ لِلْجَسَدِ: أَنْتَ فَعَلْتَ وَيَقُولُ الْجَسَدُ لِلرُّوحِ: أَنْتِ أَمَرْتِ وَأَنْتِ سَوَّلْتِ، فَيَنْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا فَيَقُولُ لَهَا: إِنَّ مِثْلَكُمَا كَمِثْلِ رَجُلٍ مُقْعَدٍ بَصِيرٍ وَالْآخَرُ ضَرِيرٌ، دَخَلَا بُسْتَانًا فَقَالَ الْمُقْعَدُ لِلضَّرِيرِ: إِنِّي أَرَى هَهُنَا نِجَارًا، وَلَكِنْ لَا أَصِلُ إِلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ الضَّرِيرُ: إِرْكَبْنِي فَتَنَّاوَلَهَا. فَرَكِبَهُ

(عِبَادَهُ) يُعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى يَخْفِي مَنْ عَبْدَهُ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ يُخَوِّفُونَ الرَّسُولَ ﷺ وَيَتَوَعَّدُونَهُ بِأَصْنَامِهِمْ وَالْهَيْهَاتُمْ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، جَهْلًا مِنْهُمْ وَضَلَالًا، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ؟ أَيْ: مَنِعَ الْجَنَابِ، لَا يُضَامُ مَنْ اسْتَدَّ إِلَى جَنَابِهِ وَلَجَأَ إِلَى بَابِهِ، فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا أَعَزَّ مِنْهُ، وَلَا أَشَدَّ انْتِقَامًا مِنْهُ، مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَأَشْرَكَ وَعَانَدَ رَسُولَهُ ﷺ.

[اعْتِرَافُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْكَوْنِ وَإِفْرَارُهُمْ بِعِزِّ إِلَهَتِهِمْ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَمِمَّا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨] أَيْ: لَا تَسْتَطِيعُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَهُنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: «إِحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، إِحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَضُرُّوكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ لَكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ، جَفَّتِ الصُّحُفُ وَرَفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَاعْمَلْ لِلَّهِ بِالشُّكْرِ فِي الْيَقِينِ. وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» (٤). ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أَيْ: اللَّهُ كَافِيٌّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿كَمَا قَالَ هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ قَالَ [لَهُ] قَوْمُهُ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ (٥) مِنْ دُونِهِ. فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ (٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ

رَبُّهُمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦) [جَزَاءُ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ الْمُصْذِقِينَ] يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاطِبًا الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ وَجَعَلُوا مَعَهُ إِلَهَةً أُخْرَى، وَادَّعَوْا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَجَعَلُوا اللَّهَ وَلَدًا - تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوقًا كَبِيرًا - وَمَعَ هَذَا كَذَّبُوا بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَنَنْظَرُ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْ: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ طَرَفِي الْبَاطِلِ، كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ - قَالُوا الْبَاطِلُ وَرَدُّوا الْحَقَّ - وَلِهَذَا قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ مُتَوَعَّدًا لَهُمْ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وَهُمْ الْجَاغِدُونَ الْمُكَذِّبُونَ. ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَابْنُ زَيْدٍ: الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ (١). وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الرِّسَالَةُ (٢). ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اتَّقُوا الشُّرَكَ (٣) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (٣٧) وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٨) قُلْ يَنْفَعُوكُمْ أَعْمَالُكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ عَمَلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٤٠)

[اللَّهُ كَافٍ لِعَبْدِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ:

(١) الطبري: ٢٨٩/٢١ والقرطبي: ٢٥٦/١٥ (٢) الطبري:

٢٩٠/٢١ (٣) الطبري: ٢٩٢/٢١ (٤) أحمد: ٣٠٧/١

سُورَةُ الزُّمَرِ

٤٦٣

سُورَةُ الزُّمَرِ

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا نَتَّعِلُّهُمْ بِيُوكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَوَلَمْ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ نَوَا لَا يَمْلِكُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتْدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَّلَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

عَاجِذٌ يَبَاصِصُهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿هود: ٥٤-٥٦﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ﴾ أَيُّ: عَلَى طَرِيقَتِكُمْ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ أَيُّ: عَلَى طَرِيقَتِي وَمَنْهَجِي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ: سَتَعْلَمُونَ غَيْبَ ذَلِكَ وَوَبَّالَهُ ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أَيُّ: فِي الدُّنْيَا وَيُجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّثِيرٌ أَيُّ: دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، لَا مَجِيدَ عَنْهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا نَتَّعِلُّهُمْ بِيُوكِيلٍ﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ: لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِتُنْذِرَهُمْ بِهِ ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ أَيُّ: فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ إِلَىٰ نَفْسِهِ ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَّالَ ذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أَيُّ: بِمُكْوِلٍ أَنْ يَهْتَدُوا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿هود: ١٢﴾، ﴿فَلِنَا عَلَىٰكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾. [الرعد: ٤٠]

[اللَّهُ الَّذِي يُمِيتُ وَيُحْيِي]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بِأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْوُجُودِ بِمَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ الْوَفَاةَ الْكُبْرَى - بِمَا يُرْسِلُ مِنَ الْحَفَظَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَهَا مِنَ الْأَبْدَانِ - وَالْوَفَاةَ الصَّغْرَىٰ عِنْدَ الْمَنَامِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الْفَاضِلُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿[الأنعام: ٦٠، ٦١] فَذَكَرَ الْوَفَاتَيْنِ: الصَّغْرَىٰ ثُمَّ الْكُبْرَى، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ ذَكَرَ الْكُبْرَى ثُمَّ الصَّغْرَى، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، كَمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَنَّةٍ وَغَيْرُهُ. وَفِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِدَاحِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١). «فِيْمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ» الَّتِي قَدْ مَاتَتْ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى. قَالَ السُّدِّيُّ: إِلَىٰ بَقِيَّةِ أَجْلِهَا^(٢). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُمِمْسِكَ أَنْفُسَ الْأَمْوَاتِ وَيُرْسِلُ أَنْفُسَ الْأَحْيَاءِ، وَلَا يَغْلُطُ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ نَوَا لَا يَمْلِكُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ

(١) فتح الباري: ١٣٠/١١ ومسلم: ٢٠٨٤/٤ (٢) الطبري:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٤

سُورَةُ الزُّمَرِ

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
﴿قُلْ بِعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَتَأْتُم لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي
عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٥٧﴾

[لَا شَفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَاشْمِزَّازُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ
ذِكْرِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ]

يَقُولُ تَعَالَى دَامًا لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ شَفَعَاءَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ، وَهُمْ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ الَّتِي اتَّخَذُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ
أَنفُسِهِمْ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ حَدَاهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَهِيَ لَا
تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، بَلْ وَلَيْسَ لَهَا عَقْلٌ تَعْقِلُ بِهِ، وَلَا
سَمْعٌ تَسْمَعُ بِهِ، وَلَا بَصَرٌ تَبْصُرُ بِهِ، بَلْ هِيَ جَمَادَاتٌ أَسْوَأُ
حَالًا مِنَ الْحَيَوَانِ بِكثيرٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ﴾ أَيُّ يَا مُحَمَّدُ
لِهَٰؤُلَاءِ الرَّاعِمِينَ: أَنَّ مَا اتَّخَذُوهُ شَفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى. أَخِيرَهُمْ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا لِمَن
ارْتَضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ، فَمَرْجِعُهَا كُلُّهَا إِلَيْهِ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَهُم مَّلَكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ أَيُّ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ ذَٰلِكَ ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَحْكُمُ بَيْنَكُمْ بِعَدْلِهِ وَيَجْزِي
كُلًّا بِعَمَلِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى دَامًا لِلْمُشْرِكِينَ أَيْضًا: ﴿وَإِذَا
ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أَيُّ إِذَا قِيلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
﴿أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ:
﴿أَشْمَازَتْ﴾ انْقَبَضَتْ ^(١) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] أَيُّ: عَنِ
الْمُتَابَعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ لَهَا، فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ، وَمَنْ لَمْ
يَقْبَلِ الْخَيْرَ يَقْبَلِ الشَّرَّ، وَلِذَٰلِكَ قَالَ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا
ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أَيُّ: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ - قَالَهُ
مُجَاهِدٌ - ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ أَيُّ: يَفْرَحُونَ وَيُسْرُونَ.
﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ
تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ وَلَوْ أَنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ
سِوَةِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا
يَحْسِبُونَ ﴿٤٩﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا

بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٠﴾

[تَفْوِيضُ أَمْرِ هَٰؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى اللَّهِ]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ مَا ذَكَرَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ مَا ذَكَرَ،
مِنَ الْمَدْمَةِ لَهُمْ فِي حُبِّهِمُ الشَّرَّكَ، وَتَفَرِّتِهِمْ عَنِ التَّوْحِيدِ:
﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾
أَيُّ: ادْعُ أَنْتَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَفَطَرَهَا، أَيُّ: جَعَلَهَا عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ

[لَا تُقْبَلُ فِدْيَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وَهُمْ

الزمر

٤٦٥

سورة الزمر

أَوْ يَقُولُ لَوَ أَنَّهُ اللَّهُ هَدَيْتَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِيبِينَ ﴿٥٧﴾
 أَوْ يَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوَ أَنِّي كُنتَ فَا كُنتَ
 مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
 وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
 تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
 جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 بِمَقَارِئِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدْ أَيُّهَا
 الْغَافِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
 أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ
 فَا عْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
 وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

الْمُشْرِكُونَ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أَي: وَلَوْ
 أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ وَضَعْفَهُ مَعَهُ ﴿لَأَقْدَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ
 الْعَذَابِ﴾ أَي: الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعَ
 هَذَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ الْفِدَاءُ، وَلَوْ كَانَ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، كَمَا
 قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا
 يَحْسِبُونَ﴾ أَي: وَظَهَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ بِهِمْ
 مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ وَلَا فِي حِسَابِهِمْ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
 كَسَبُوا﴾ أَي: وَظَهَرَ لَهُمْ جَزَاءُ مَا اكْتَسَبُوا فِي الدَّارِ
 الدُّنْيَا مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْمَأْتَمِ ﴿وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَي: وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا كَانُوا
 يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَحْمُ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا
 أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنِّي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَدْ
 قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٩﴾
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
 سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٩﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

[تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ إِذَا أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ بَعْدَ الضَّرِّ]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ فِي خَالَ
 الضَّرَّاءِ يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُسِيبُ إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ، وَإِذَا
 حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ بَعَى وَطَغَى وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾
 أَي: لِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ اسْتِحْقَاقِي لَهُ، وَلَوْ لَا أَنِّي عِنْدَ
 اللَّهِ خِصِيصٌ لَمَا حَوَّلَنِي هَذَا. قَالَ قَتَادَةُ: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾
 عِنْدِي: عَلَى خَيْرٍ عِنْدِي^(١). قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هِيَ
 فِتْنَةٌ﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، بَلْ إِنَّمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
 بِهِذِهِ النِّعْمَةِ لِتَحْتَبِرَهُ فِيمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، أَيُطِيعُ أَمْ يَعْصِي؟ مَعَ
 عِلْمِنَا الْمُتَقَدِّمِ بِذَلِكَ، فَهِيَ فِتْنَةٌ، أَي: اخْتِبَارٌ ﴿وَلَكِنِّي
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَلِهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ وَيَدْعُونَ مَا
 يَدْعُونَ ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَي: قَدْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ
 وَزَعَمَ هَذَا الزَّعَمَ وَادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى، كَثِيرٌ مِمَّنْ سَلَفَ
 مِنَ الْأُمَمِ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَي: فَمَا صَحَّ
 قَوْلُهُمْ وَلَا مَنَعَهُمْ جَمْعُهُمْ وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿فَأَصَابَهُمْ
 سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أَي: مِنَ
 الْمُخَاطَبِينَ ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أَي: كَمَا أَصَابَ
 أُولَئِكَ ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخْبِرًا

عَنْ قَارُونَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿لَا تَنْجُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْفَاحِشِينَ﴾ ﴿٦١﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
 نَصِيحَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغْ
 الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ
 عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ
 مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُؤُوبِهِمْ
 الْمُجْرِمُونَ [الفصل: ٧٦-٧٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ
 أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [سبا: ٣٥] وَقَوْلُهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ﴾ أَي: يُوسِّعُهُ عَلَى قَوْمٍ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى آخَرِينَ ﴿إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: لِعِبَرًا وَحُجَجًا.

﴿قُلْ يَعْجِدُونَ لِلَّذِينَ آسَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٩﴾
 وَإِنِّي لَأَكْتُبُكُمْ رَحْمَةً وَأَسْأَلُكُمْ لَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ

لَا تُصْرُوكَ ۖ (٥٤) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۚ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِهَيِّئْ لِي مِنْ شَيْءٍ فَفَرَّقْتُ فِي حُجُبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ۚ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۚ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۚ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ عَذَابُنَا فكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ ۚ (٥٩)

[الدعوة إلى التوبة قبل أن يأتي العذاب]

هَذِهِ آيَةُ الْكَرِيمَةِ دَعْوَةٌ لِجَمِيعِ الْعَصَاةِ مِنَ الْكُفَرَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَهْمًا كَانَتْ، وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَلَا يَصْحُ حَمْلُ هَذِهِ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ، لِأَنَّ الشُّرْكَ لَا يَغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشُّرْكَ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنُوا فَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً، فَتَزَلْ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] وَنَزَلَ: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ^(١). وَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾... الْآيَةُ [الفرقان: ٧٠].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ -، شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدْعُمُ عَلَى عَصَا لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي عَذْرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ فَقَالَ: «أَلَسْتُ تَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ: «قَدْ غَفَرَ لَكَ عَذْرَاتِكَ وَفَجَرَاتِكَ»^(٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) وَسَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَا يُيَالَى، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٣). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ^(٤). فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ يَغْفِرُ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعَ التَّوْبَةِ. وَلَا يَقْنَطُ عَبْدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ وَكَثُرَتْ، فَإِنَّ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ وَاسِعٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي حَقِّ الْمُتَابِعِينَ: ﴿إِنَّ الْمُتَابِعِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [٥٦] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦] وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ثُمَّ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ رابعٌ وَحْدَهُ وَإِنْ لَمْ يَنْهَهُمَا عَمَّا يَقُولُوا لَيْسَ لَهُ الْبَرُّ وَكُفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَقُولُوا﴾ [البروج: ١٠] قَالَ الْحَسَنُ الْبُصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: أَنْظَرُوا إِلَى هَذَا الْكُرْمِ وَالْجُودِ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جَدًّا. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُ الَّذِي قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، ثُمَّ نَدِمَ وَسَأَلَ عَابِدًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهَا فَقَصَّدَهَا فَأَتَاهَا الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْيَسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ مِنْهَا، فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِيرٍ، فَقَبِضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَذَكَرَ: أَنَّهُ نَأَى بِصَدْرِهِ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ الْبَلْدَةَ الْخَيْرَةَ أَنْ تَقْتَرِبَ، وَأَمَرَ تِلْكَ الْبَلْدَةَ أَنْ تَتَبَاعَدَ^(٥). هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَقَدْ كَتَبْنَاهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِلَفْظِهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾... إِلَى

(١) فتح الباري: ٤١١/٨ ومسلم: ١١٣/١ وأبو داود: ١٦٦/٤ والنسائي في الكبرى: ٤٤٦ (٢) أحمد: ٣٨٥/٤ وهو صحيح بشواهده (٣) أحمد: ٤٥٤/٦ (٤) أبو داود: ٢٨٥/٤ وتحفة الأحوذ: ١١١/٩ (٥) فتح الباري: ٥٩١/٦

أَخْرِجِ الْآيَةَ، قَالَ: قَدْ دَعَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَغْفِرَتِهِ مَنْ رَزَعَهُ أَنْ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، وَمَنْ رَزَعَهُ أَنْ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَمَنْ رَزَعَهُ أَنْ عَزِيزًا ابْنُ اللَّهِ، وَمَنْ رَزَعَهُ أَنْ اللَّهُ فَفِيرٌ، وَمَنْ رَزَعَهُ أَنْ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وَمَنْ رَزَعَهُ أَنْ اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُوْلَاءَ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤] ثُمَّ دَعَا إِلَى التَّوْبَةِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ قَوْلًا مِنْ هَؤُلَاءِ، مَنْ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَاقُ﴾ [النازعات: ٢٤] وَقَالَ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: مَنْ آتَى عِبَادَ اللَّهِ مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ أَنْ يَتُوبَ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(١).

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ شُتَيْرِ بْنِ شَكْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَإِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ بِخَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وَإِنَّ أَكْثَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرْجًا فِي سُورَةِ الزُّمَرِ ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وَإِنَّ أَشَدَّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَفْوِيضًا ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [مَزَّجًا] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فَقَالَ لَهُ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ^(٢).

[ذِكْرُ أَحَادِيثَ فِيهَا نَفْيُ الْقُتُوبِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَخْطَأْتُكُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى لَعَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ! لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٣). تَقَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: قَدْ كُنْتُ كَتَمْتُ مِنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ لَا أَنْتُمْ تَذِيبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمًا يُذِيبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ^(٤).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ - عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ - قَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ أَجْلِ آدَمَ، وَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُهُ إِلَّا

يَسْلُطَانِكَ. قَالَ: فَأَنْتَ مُسَلِّطٌ، قَالَ: يَا رَبِّ! زِدْنِي. قَالَ: لَا يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ إِلَّا وَلَدٌ لَكَ مِثْلُهُ. قَالَ: يَا رَبِّ! زِدْنِي. قَالَ: أَجْعَلُ صُدُورَهُمْ مَسَاكِينَ لَكُمْ، وَتَجْرُونَ مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّمِ. قَالَ: يَا رَبِّ! زِدْنِي. قَالَ: ﴿وَأَتْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكِ وَرِجَالِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٥). فَقَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ! قَدْ سَلَطْتُهُ عَلَيَّ، وَإِنِّي لَا أُمْتِنِعُ إِلَّا بِكَ. قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا يُولَدُ لَكَ وَلَدٌ إِلَّا وَلَدٌ لَكَ وَكُلُّتَ بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ مِنْ قُرْآنِ الشَّوْرِ. قَالَ: يَا رَبِّ! زِدْنِي. قَالَ: الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَوْ أَرْبَعُ، وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ أَوْ أَمُحُّوْهَا. قَالَ: يَا رَبِّ! زِدْنِي. قَالَ: بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَا كَانَ الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ. قَالَ: يَا رَبِّ! زِدْنِي. قَالَ: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٦).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَكُنَّا نَقُولُ: مَا اللَّهُ بِقَابِلٍ مِمَّنْ افْتَنَيْنَ صَرَفًا وَلَا عَذْلًا وَلَا تَوْبَةً، عَرَفُوا اللَّهَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٧) وَأَيُّبُونا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ^(٨) وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَعَثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^(٩) قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: فَكُنْتُهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ، بَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: فَقَالَ هِشَامُ: لَمَّا أَتَيْتَنِي جَعَلْتُ أَقْرُؤُهَا بِذِي طُوى أَصْعَدُ بِهَا فِيهِ وَأَصَوْتُ وَلَا أَفْهَمُهَا، حَتَّى قُلْتُ: اللَّهُمَّ أَفْهَمْنِيهَا. قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أَنْزَلَتْ فِينَا، وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا، وَيُقَالُ فِينَا. قَالَ: فَارْجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْمَدِينَةِ^(١٠).

(١) أخرجه ابن جرير وابن المنذر، الدر المنثور: ٦٢١/٥ (٢) الطبراني: ١٤٢/٩ (٣) أحمد: ٢٣٨/٣ إسناده ضعيف فيه أخشن السدوسي هو مجهول ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكر في جرعا ولا تعديلا (٤) أحمد: ٤١٤/٥ ومسلم: ٤/٢١٠٥ وتحفة الأحوذني: ٢٢٣/٩ (٥) الطبري: ٣١٦/٢١ هذا مرسل (٦) ابن أبي حاتم ١٨٤٠٤ مقطوع صحيح (٧) السيرة لابن هشام ٤٧٢/٢ سند صحيح

الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَمُوتَى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١١﴾ وَيَسْجَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَسْمَعُ السَّوْءَ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾
[عَاقِبَةُ الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ وَعَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ]

يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ تَسَوَّدَ فِيهِ وُجُوهُ وَتَبَيَّضَ فِيهِ وُجُوهُ، تَسَوَّدَ وَجُوهُ أَهْلِ الْفِرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ، وَتَبَيَّضَ وَجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فِي دَعْوَاهُمْ لَهُ شَرِيكًا وَلَوْلَا ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ أي: بِكَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَمُوتَى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: أَلَسْتُ جَهَنَّمَ كَافِيَةً لَهُمْ سِجْنًا وَمَوْئِلًا، لَهُمْ فِيهَا الْخِزْيُ وَالْهَوَانُ بِسَبَبِ تَكْبُرِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ وَإِبَائِهِمْ عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِلْحَقِّ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسْجَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ﴾ أي: بِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ وَالْفَوْزِ عِنْدَ اللَّهِ ﴿لَا يَسْمَعُ السَّوْءَ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: وَلَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ، بَلْ هُمْ آمِنُونَ مِنْ كُلِّ فَرْعٍ، مُرْخَضُونَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ، نَائِلُونَ كُلَّ خَيْرٍ.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ إِنَّمَا الْجَاهِلُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ السَّائِرِينَ ﴿١٧﴾

[اللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ، وَالْإِشْرَاقُ بِهِ يُحِيطُ الْعَمَلُ]

يُخَبِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَرَبُّهَا وَمَمْلِكُهَا وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا، وَكُلُّ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ وَفَهْرِهِ وَكَلَاءَتِهِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمَقَالِيدُ هِيَ الْمَفَاتِيحُ بِالْفَارِسِيَّةِ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ^(٤). وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٥). وَالْمَعْنَى عَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ أَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُور بِيَدِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ أي: حُجِّجِهِ

ثُمَّ اسْتَحَثَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى التَّوْبَةِ فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾... الآية، أي: ارجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَسْلِمُوا لَهُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿أَيُّ: بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ قَبْلَ حُلُولِ النَّقْمَةِ﴾ وَأَتَّعِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رِزْقِكُمْ ﴿وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ وَلَا تَشْعُرُونَ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَحَسَّرُ الْمُجْرِمُ الْمُفْرَطُ فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ أي: إِنَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ سَاجِرٌ مُسْتَهْزِئٌ غَيْرُ مُوفٍ مُصَدِّقٍ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرِهًا فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: تَوَدُّ لَوْ أُعِيدَتْ إِلَى الدُّنْيَا لِتُحْسِنَ الْعَمَلَ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا الْعِبَادُ قَائِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَقُولُوهُ، وَعَمَلُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهُ، وَقَالَ تَعَالَى: - ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ - [فاطر: ١٤]: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّكَ لَهْدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرِهًا فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي! فَتَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً» قَالَ: «وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي؛ قَالَ: فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا»^(٢). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٣). وَلَمَّا تَمَتَّى أَهْلُ الْجَزَائِمِ الْعُودَ إِلَى الدُّنْيَا وَتَحَسَّرُوا عَلَىٰ تَضْيِيقِ آيَاتِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: قَدْ جَاءَكَ أَنَّهَا الْعَبْدُ النَّادِمُ - عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ - آيَاتِي فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، وَقَامَتْ حُجُجِي عَلَيْكَ، فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ بِهَا الْجَاهِلِينَ لَهَا.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾

(١) الطبري: ٣١٦/٢١ (٢) أحمد: ٥١٢/٢ (٣) النسائي في الكبرى: ٤٤٧/٦ (٤) الدرر المنتورة: ٢٤٣/٧ والطبري: ٢١/٣٢١ (٥) الطبري: ٣٢١/٢١

سُورَةُ الزُّمَرِ

٤٦٦

سُورَةُ الزُّمَرِ

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْتُمْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٢٤﴾

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾ الآية (٤). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَٰذَا الْمَوْضِعِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا (٥) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟» (٦). تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَٰذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ (٧). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضِينَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ:

وَبَرَاهِينِهِ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نَزُولِهَا مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ وَبَعْدُوا مَعَهُ إِلَهَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٨) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩). وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أَيُّ: أَخْلِصِ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَخُذْهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ وَصَدَقَكَ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٠)

[مَا قَدَرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أَيُّ: مَا قَدَرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ عَبْدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: مَا عَظُمَ حَقُّ تَعْظِيمِهِ (١١). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَوْ قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا كَذَّبُوا. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ هُمُ الْكَفَّارُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. فَمَنْ آمَنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَقَدْ قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَقْدِرِ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (١٢).

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالطَّرِيقُ فِيهَا وَفِي أَمْثَالِهَا: مَذْهَبُ السَّلَفِ وَهُوَ: إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ. رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ خَبَرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى أَصْبُعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى أَصْبُعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْخَبَرِ، ثُمَّ قَرَأَ

(١) انظر الطبري: تفسير سورة الكافرون (٢) الطبري: ٢١/٣٢١

(٢) الطبري: ٢١/٣٢١ (٤) فتح الباري: ٨/٤١٢

(٥) فتح الباري: ١٣/٤٠٤ وأحمد: ١/٤٢٩ ومسلم: ٤/٢١٤٧

وتحفة الأحوذى ٩/١١٢، ١١٣ والنسائي في الكبرى ٦/٤٤٦

(٦) فتح الباري: ٨/٤١٣ (٧) مسلم: ٤/٢١٤٨

أَنَا الْمَلِكُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(١). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّكَ تَقُولُ: السَّاعَةُ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، قَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَحْدَثُكُمْ شَيْئًا، إِنَّمَا قُلْتُ: سَتَرُونَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا. ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ - لَا أَذْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَأَنَّهُ عُرُوهُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، فَيُظْهِرُ فِيهِلْكُهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَلْبِثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سِنِينَ سَبْعًا، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قُبِضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرِوفاً، وَلَا يُتَكَبَّرُونَ مُتَكَبِّراً، قَالَ: فَيَمْتَلِكُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَيَعْبُدُونَهَا، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارَةٌ أَرْزَأُفُهُمْ، حَسَنَ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَهُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَهُ فَيَصْعَقُ، ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صَعِقَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوْ يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ - أَوْ الظَّلُّ شَكَّ نَعْمَانُ - فَتَنْتَبِثُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» قَالَ: ثُمَّ يَقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقَالُ: كَمْ؟ فَيَقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، فَيَوْمِئِذٍ تُبْعَثُ الْوِلْدَانُ شَبَابًا، وَيَوْمِئِذٍ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ^(٢). انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(٥).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ التَّخْتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

أَنَا الْمَلِكُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(١). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمُنْبَرِ: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، يُحَرِّكُهَا يَقْبِلُ بِهَا وَيُذْبِرُ: «يَمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسُهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ» فَارْجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا لِيَخْرُجَ بِهِ^(٢). وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ^(٣).

«وَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» وَأُتْرِفَتْ الْأَرْضُ بِثَوْرِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَدَاءِ وَفُصِّىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ^(٤) وَوَقِيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ^(٥)

[النفخ في الصور والقضاء والجزاء]

يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالزَّلَازِلِ الْهَائِلَةِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» هَذِهِ النَّفْخَةُ هِيَ الثَّانِيَّةُ، وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعِقِ، وَهِيَ الَّتِي يَمُوتُ بِهَا الْأَحْيَاءُ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، كَمَا جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ مُفسِّرًا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ: ثُمَّ يُقْبَضُ أَرْوَاحُ الْبَاقِينَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ مَنْ يَمُوتُ مَلِكُ الْمَوْتِ، وَيَتَفَرَّدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا، وَهُوَ الْبَاقِي آخِرًا بِالْذِّمَّةِ وَالْبَقَاءِ، وَيَقُولُ: «لَيْسَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ» [غافر: ١٦] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ يَقُولُ: «لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ» أَنَا الَّذِي كُنْتُ وَحْدِي، وَقَدْ فَهَرْتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَكَمْتُ بِالْقَنَاءِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ يُخْبِي أَوَّلَ مَنْ يُخْبِي إِسْرَافِيلُ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَنْفُخَ بِالصُّورِ مَرَّةً أُخْرَى، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّلَاثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» أَيُّ: أَحْيَاءٌ بَعْدَمَا كَانُوا عِظَامًا وَرَفَاتًا، صَارُوا أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «فَلَمَّا هِيَ رَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ^(٦)» فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ [النازعات: ١٣، ١٤]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِئْتُمْ إِلَّا قِيلًا^(٧)» [الإسراء: ٥٢] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا

(١) فتح الباري: ١٣/٤٠٤ (٢) أحمد: ٧٢/٢ (٣) النسائي في الكبرى: ٤٠٠/٤ وابن ماجه: ١٤٢٩/٢ (٤) أحمد: ٢/١٦٦ (٥) مسلم: ٢٢٥٨/٤

إِلَّا عَجِبْتَ ذَنْبِهِ، فِيهِ يُرْكَبُ الْخَلْقُ^(١).

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ بِوَرْدِهَا﴾
أَيُّ: أَضَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ جَلًّا وَعَلَا
لِلْخَلَائِقِ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: كِتَابُ
الْأَعْمَالِ^(٢). ﴿وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُمَا: يَشْهَدُونَ عَلَى الْأُمَمِ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رَسُولَاتِ
اللَّهِ إِلَيْهِمْ^(٣). ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ أَيُّ: الشَّهَادَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
الْحَفَظَةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿وَوُضِعَ يَتِيمُهُمْ
بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ: بِالْعَدْلِ ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ
كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا
حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ أَيُّ: مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا
يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَقِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَوَٰى الْمَكْرِبِينَ﴾ ﴿٧١﴾
[يُسَاقُ الْكُفَّارُ إِلَىٰ جَهَنَّمَ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْكُفَّارِ كَيْفَ يُسَاقُونَ إِلَى
النَّارِ، وَإِنَّمَا يُسَاقُونَ سَوْقًا عَنِيفًا، بِزَجَرٍ وَنَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ،
كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾
[الطور: ١٣] أَيْ يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا دَفْعًا، [هَٰذَا] وَهُمْ عِطَاشٌ
ظَمَاءٌ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿يَوْمَ تُحْشَرُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى الْآخِرِينَ وَفَدًا﴾ ﴿٧٢﴾ وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًا
[مريم: ٨٥، ٨٦] وَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ ضَمٌّ وَبُكْمٌ وَعُغْمٌ،
مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴿وَتُحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ عُمَاً وَبُكَاً وَصُمًّا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ
سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾
أَيُّ: بِمَجْرَدِ وُضُولِهِمْ إِلَيْهَا فَُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا سَرِيعًا،
لِتُعَجَّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنَ الزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ
هُمْ غِلَاطُ الْأَخْلَاقِ، شِدَادُ الْقُوَى، عَلَى وَجْهِ التَّفَرِيعِ

وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّنْكِيلِ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أَيُّ: مِنْ
جَنَسِكُمْ تَتِمَّكَتُونَ مِنْ مُحَاطَبَتِهِمْ وَالْأَخِذِ عَنْهُمْ ﴿يَتْلُونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أَيُّ: يُقِيمُونَ عَلَيْكُمْ الْحُجَجَ
وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا دَعَوْكُمْ إِلَيْهِ ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا﴾ أَيُّ: وَيُحَذِّرُونَكُمْ مِنْ شَرِّ هَٰذَا الْيَوْمِ، يَقُولُ الْكُفَّارُ
لَهُمْ: ﴿بَلَىٰ﴾ أَيُّ: قَدْ جَاءُونَا وَأَنْذَرُونَا وَأَقَامُوا عَلَيْنَا
الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ أَيُّ: وَلَكِنْ كَذَبْنَاهُمْ وَخَالَفْنَاهُمْ لِمَا سَبَقَ لَنَا مِنَ
الشُّقُوعِ الَّتِي كُنَّا نَسْتَحِقُّهَا حَيْثُ عَدَلْنَا عَنْ الْحَقِّ إِلَى
الْبَاطِلِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى:
﴿كُلَّمَا أَلِيقَا فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ
جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَشْتَدَّ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
كَبِيرٍ﴾ ﴿٧٤﴾ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
أَيُّ: رَجَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ وَالتَّدَامَةِ ﴿فَاعْرِفُوا بِذَلِكُمْ
فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١١] أَيُّ: بُعِدَا لَهُمْ
وَحَسَارًا.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَهُنَا: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيُّ: كُلُّ مَنْ رَأَاهُمْ وَعَلِمَ حَالَهُمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
بِأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُونَ لِلْعَذَابِ، وَلِهَذَا لَمْ يُسْنَدْ هَٰذَا الْقَوْلُ إِلَى
قَائِلٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ أُلْطِقَهُ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْكُونَ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ
بِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ مَا هُمْ فِيهِ بِمَا حَكَمَ الْعَدْلُ الْخَيْرُ عَلَيْهِمْ
بِهِ. وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيُّ: مَا كَثُرَ فِيهَا لَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا، وَلَا
زَوَالَ لَكُمْ عَنْهَا ﴿فَبِئْسَ مَوَٰى الْمَكْرِبِينَ﴾ أَيُّ: فَبِئْسَ
الْمَصِيرُ وَبِئْسَ الْمَقِيلُ لَكُمْ، بِسَبَبِ تَكْبَرِكُمْ فِي الدُّنْيَا،
وَبِإِبَائِكُمْ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ فَهُوَ الَّذِي صَيَّرَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ فِيهِ،
فَبِئْسَ الْحَالُ وَبِئْسَ الْمَالُ.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ
وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَنْبَرُؤُا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ﴾ ﴿٧٦﴾

[يُذْهَبُ بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ]

وَهَٰذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ السَّعْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ يُسَاقُونَ
(١) فتح الباري: ٤١٤/٨ (٢) الطبري: ٣٣٥/٢١ (٣)
الطبري: ٣٣٦/٢١

عَلَى النَّجَائِبِ وَفَذَا إِلَى الْجَنَّةِ ﴿زُمَرًا﴾ أَيُّ: جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ: الْمُقَرَّبُونَ ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَ مَنْ يُنَاسِبُهُمُ: الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالصَّادِقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ، وَالشَّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ، وَالْعُلَمَاءُ مَعَ أَفْرَائِهِمْ، وَكُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفٍ، كُلُّ زُمَرَةٍ تُنَاسِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهَا﴾ أَيُّ: وَصَلُوا إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصَّرَاطِ، حُسِبُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَانْقَصَّ لَهُمْ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَتَقَوُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ الصُّورِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَشَاوَرُوا فِيمَنْ يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ، فَيَفْصِلُونَ آدَمَ، ثُمَّ نُوحًا، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى، ثُمَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْعَلِينَ، كَمَا فَعَلُوا فِي الْعَرَصَاتِ عِنْدَ اسْتِشْفَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَأْتِي لِفَضْلِ الْقَضَاءِ، لِيُظَهَّرَ شَرَفُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا. وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ»^(١) وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ - قَالَ: - فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(٣).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمَرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ، صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، آيَتُهُمْ وَأَمْسَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مِثْلُ سَاقِيهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، فُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا»^(٥).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٦). وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمَرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى ضَوْءِ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَفِيلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ،

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَوُتِّحَتْ

أَبْوَابُهَا﴾ وَآوُ الثَّمَانِيَةِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ

(١) مسلم: ١٨٨/١ (٢) مسلم: ١٨٨/١ (٣) أحمد: ٣/

١٣٦ (٤) مسلم: ١٨٨/١ (٥) أحمد: ٣١٦/٢ (٦) فتح

الباري: ٣٦٧/٦ ومسلم: ٢١٨٠/٤ (٧) مسند أبي يعلى: ١٠/

٤٧٠ (٨) فتح الباري: ٤١٧/٤ ومسلم: ٢١٧٩/٤ (٩) فتح

الباري: ٤١٣/١١ ومسلم: ١٩٧/١ (١٠) فتح الباري: ١١/

٤١٤ ومسلم: ١٩٨/١

- أَوْ قَالَ: الْحَوَامِيمُ^(٤). وَقَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ: كَانَ يُقَالُ لَهُنَّ: الْعَرَائِسُ^(٥). رَوَى ذَلِكَ كُلُّهُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ أَبُو عَبْدِ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ»^(٦). وَرَوَى حُمَيْدُ بْنُ زَنْجُوْبَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ انْطَلَقَ يَرْتَادُ لِأَهْلِهِ مَنْزِلًا، فَمَرَّ بِأَثَرِ غَيْثٍ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ فِيهِ وَتَوَجَّعَتْ مِنْهُ، إِذْ هَبَطَ عَلَى رَوْضَاتٍ دُمَيَّاتٍ فَقَالَ: عَجِبْتُ مِنَ الْغَيْثِ الْأَوَّلِ، فَهَذَا أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ مَثَلَ الْغَيْثِ الْأَوَّلِ مَثَلُ عَظَمِ الْقُرْآنِ، وَإِنَّ مَثَلَ هَؤُلَاءِ الرُّوَضَاتِ الدَّمِيَّاتِ، مَثَلُ آلِ حِمٍ فِي الْقُرْآنِ. أَوْزَدَهُ الْبَغَوِيُّ^(٧). وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا وَقَعَتْ فِي آلِ حِمٍ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي رَوْضَاتٍ أَتَانَتْ فِيهِنَّ^(٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْوَحْدِ
الْمُصِيبِ ﴿٢﴾

أَمَّا الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سَمِيعٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ بُيِّنْتُمُ اللَّيْلَةَ فَقُولُوا: حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ»^(٩). وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أَيْ: تَنْزِيلُ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ الْقُرْآنُ مِنَ اللَّهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْعِلْمِ، فَلَا يُرَامُ جَنَابُهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ الدَّرُّ وَإِنْ تَكَافَتْ حِجَابُهُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ أَيْ: يَغْفِرُ مَا سَلَفَ مِنَ الذَّنْبِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَخَضَعَ لَدَيْهِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ أَيْ: لِمَنْ تَمَرَّدَ وَطَعَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَعَنَّا عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَعَى، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿بَنِيَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١٠) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ^(١١) [الحجر: ٤٩، ٥٠] يَثْرُنُ هَذَيْنِ الْوُصْفَيْنِ كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ

لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَنْبَوُا مِنْ آلِ حِمٍّ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ فَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلَيْنِ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَأَبُو صَالِحٍ وَفَتَاةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: أَيْ: أَرْضُ الْجَنَّةِ^(١٢). فَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿نَنْبَوُا مِنْ آلِ حِمٍّ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أَيْ: أَيْنَ شِئْنَا حَلَلْنَا، فَنِعَمَ الْأَجْرُ أَجْرُنَا عَلَى عَمَلِنَا. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْمِعْرَاجِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تَرَائِبُ الْمِسْكِ»^(١٣).

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِظَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٤) لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حُكْمَهُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُ نَزَلَ كُلًّا فِي الْمَحَلِّ الَّذِي يُلِيقُ بِهِ وَيُصْلِحُ لَهُ، وَهُوَ الْعَادِلُ فِي ذَلِكَ الَّذِي لَا يَجُورُ، أَخْبَرَ عَنْ مَلَائِكَتِهِ أَنَّهُمْ مُخَدِّقُونَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَيَمَجِّدُونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ وَيُقَدِّسُونَهُ وَيَنْزِهُونَهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْجَوْرِ، وَقَدْ فَصَّلَ الْقَضِيَّةَ، وَقَضَى الْأَمْرَ، وَحَكَمَ بِالْعَدْلِ. وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: بَيْنَ الْخَلَائِقِ ﴿بِالْحَقِّ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: نَطَقَ الْكُونُ أَجْمَعُهُ - نَاطِقُهُ وَبَهِيمُهُ - اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، بِالْحَمْدِ فِي حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ، وَلِهَذَا لَمْ يُسَيِّدِ الْقَوْلَ إِلَى قَائِلٍ، بَلْ أَطْلَقَهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ شَهِدَتْ لَهُ بِالْحَمْدِ. قَالَ فَتَاةُ: اِفْتَتَحَ الْخَلْقُ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وَاخْتَتَمَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٥).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ آلِ حِمٍّ]

قَدْ كَرِهَ بَعْضُ السَّلَفِ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ أَنْ يُقَالَ: الْحَوَامِيمُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: آلُ حِمٍّ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آلُ حِمٍّ دِيْبَاُ الْقُرْآنِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا وَلُبَابُ الْقُرْآنِ آلُ حِمٍّ

(١) القرطبي: ٢٨٧/١٥ (٢) فتح الباري: ٥٤٧/١ ومسلم: ١/١٤٨ (٣) الطبري: ٣٤٤/٢١ (٤) الدر المنثور: ٢٦٨/٧ (٥) القرطبي: ٢٨٨/١٥ (٦) فضائل القرآن: ١٣٧، ١٣٨ (٧) البغوي: ٩٠/٤ (٨) البغوي: ٩٠/٤ (٩) أبو داود: ٧٤/٣ وتحفة الأحوذى: ٣٢٩/٥

الْقُرْآنَ، لِيَبْقَى الْعَبْدُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَعْنِي السَّعَةَ وَالْعُنَى^(١). وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَى عِبَادِهِ، الْمُتَطَوِّلُ عَلَيْهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمُنَنِ وَالْإِنْعَامِ، الَّتِي لَا يُطِيقُونَ الْقِيَامَ بِشُكْرِ وَاحِدَةٍ مِنْهَا ﴿وَلَنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾... الْآيَةُ [إبراهيم: ٣٤]. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيُّ لَا تُظَاهَرُ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أَيُّ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَى، فَيَجَازِي كُلَّ غَامِلٍ بِعَمَلِهِ ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. ﴿مَا يُجَدِلُ فِي عَايَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْخِلَهُمْ فِي الْخَلْقِ فَالْخُذُّهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾

[مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ الْجِدَالُ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَبَيَانُ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: مَا يَدْفَعُ الْحَقُّ وَيُجَادِلُ فِيهِ بَعْدَ الْبَيَانِ وَظُهُورِ الْبُرْهَانِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيُّ الْجَاذِلُونَ لآيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ ﴿فَلَا يَغْزِرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ﴾ أَيُّ فِي أَمْوَالِهَا وَنَعِيمِهَا وَزَهْرَتِهَا، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَغْزِرُكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْإِلْدَادِ﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْمُكَذِّبِينَ الْإِلْدَادُ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، بِأَنَّهُ لَهُ أَسْوَةٌ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنَّهُ قَدْ كَذَّبَهُمْ أُمَمُهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَمَا آمَنَ بِهِمْ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَقَالَ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ وَهُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ﴿وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أَيُّ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أَيُّ حَرَّصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْخِلَهُمْ فِي الْخَلْقِ﴾ أَيُّ مَا حَلُّوا بِالشَّبَهَةِ لِيَرُدُّوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيِّ.

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾ أَيُّ أَهْلَكْتَهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْأَثَامِ وَالذُّنُوبِ الْعِظَامِ ﴿فَكَفَّ كَانَ عِقَابُ﴾ أَيُّ فَكَفَّفَ بَلْعَكَ عَذَابِي لَهُمْ وَنَكَالِي بِهِمْ؟ قَدْ كَانَ

شَدِيدًا مُوجِعًا مُؤْلِمًا. قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ شَدِيدًا وَاللَّهُ^(٢). وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أَيُّ كَمَا حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ كَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُواكَ وَخَالَفُوكَ يَا مُحَمَّدٌ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى، لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَكَ فَلَا وَثُوقَ لَهُ بِتَصْدِيقِ غَيْرِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

[حَمَلَةُ الْعَرْشِ يَحْمَدُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ الْأَرْبَعَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكُرُوبِيِّينَ بِأَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أَيُّ يَقْرَأُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالَّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ وَالتَّحْمِيدِ الْمُفْتَضِي لِلْإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. أَيُّ خَاشِعُونَ لَهُ أَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَّهُمْ يُسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا. أَيُّ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنُوا بِالْغَيْبِ فَقَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانُوا يُؤْمِنُونَ عَلَى دَعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِهِ»^(٣). قَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثَمَانِيَّةٌ: أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى جَلَمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ، وَلِهَذَا يَقُولُونَ إِذَا اسْتَغْفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أَيُّ رَحِمْتُمْ تَسْعَ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ وَعِلْمَكُمْ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ

(١) الطبري: ٣٥١/٢١ (٢) الطبري: ٣٥٣/٢١ (٣) مسلم: ٤/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٨

سُورَةُ الْغَافِرِ

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[نَدَامَةُ الْكَافِرِ بَعْدَ دُخُولِ النَّارِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكَافِرِ إِنَّهُمْ يُنَادُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ فِي غَمَرَاتِ النَّيرانِ يَتَلَطَّطُونَ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا بَاشَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا قِبَلَ لِأَحَدٍ بِهِ، فَمَقَّتُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَأَبْغَضُوهَا غَايَةَ الْبُغْضِ بِسَبَبِ مَا أَسْلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ دُخُولِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَأَخْبَرْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ إِخْبَارًا عَالِيًا نَادَوْهُمْ نِدَاءً بِأَنَّ مَقَّتَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا جِنٌّ كَانَ يُعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ فَكَفَرُوا أَشَدَّ مِنْ مَقْتِكُمْ - أَيُّهَا الْمُعَذَّبُونَ - أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ. قَالَ فَتَادَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ يَقُولُ: لَمَقْتُ اللَّهُ أَهْلَ الضَّلَالَةِ جِنٌّ عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ فِي الدُّنْيَا فَتَرَكُوهُ وَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهُ أَكْبَرُ

وَسَكَتَانِهِمْ ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ (١). أَيُّ فَاصْطَحَ عَنِ الْمُسِيئِينَ إِذَا تَابُوا وَاتَّبَعُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ ﴿وَفَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيمِ﴾ أَيُّ وَرَّخَزَهُمْ عَنْ عَذَابِ الْحَرِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُوجِعُ الْأَلِيمُ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أَيُّ اجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ لِتَقَرَّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ بِالْاجْتِمَاعِ فِي مَنَازِلٍ مُتَجَاوِرَةٍ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] أَيُّ سَاوَيْنَا بَيْنَ الْكُلِّ فِي الْمَنْزِلَةِ لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَمَا نَقَصْنَا الْعَالِي حَتَّى يُسَاوِيَ الدَّانِي بَلْ رَفَعْنَا نَاقِصَ الْعَمَلِ فَسَاوَيْنَاهُ بِكَبِيرِ الْعَمَلِ تَفْضُلًا مِمَّا وَمِنَهُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبِيهِ وَابْنِهِ وَأَخِيهِ أَيْنَ هُمْ؟ فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا طَبَقَتَكَ فِي الْعَمَلِ فَيَقُولُ: إِنِّي إِنَّمَا عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ. فَيَلْحَقُونَ بِهِ فِي الدَّرَجَةِ، ثُمَّ تَلَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ (٢). قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ: أَنْصَحُ عِبَادَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَلَائِكَةُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ... الْآيَةَ، وَأَعَشُرْ عِبَادَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الشَّيَاطِينِ﴾ (٣). وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ أَيُّ الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُعَالَبُ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ مِنْ شَرْعِكَ وَقَدْرِكَ ﴿وَفَهُمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أَيُّ فِعْلَهَا أَوْ وَبَالَهَا يَمُنُّ وَقَعَتْ مِنْهُ ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ أَيُّ لَطَفَتْ بِهِ وَنَجَّيْتَهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾

(١) البغوي: ٩٣/٤ (٢) الطبري: ٣٥٧/٢١ (٣) القرطبي:

مِمَّا مَقْتُوا أَنْفُسَهُمْ جِئْنَا عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١). وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَدُرُّ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ الْهُمْدَانِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ^(٢). وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَتَيْنَا نَسْتَجِيبَ وَأُحْيِيَّتَنَا أَتَلْتَمِيزُ﴾ قَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمُوتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِنَّهُ رَاجِعٌ﴾^(٣) [البقرة: ٢٨] وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَأَبُو مَالِكٍ^(٤). وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مَرِئَةٌ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ: أَنَّ الْكُفَّارَ يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ وَهُمْ وَفُوقَ بَيْنِ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] فَلَا يَجَازُونَ، ثُمَّ إِذَا رَأَوْا النَّارَ وَعَايَنُوهَا، وَوَقَفُوا عَلَيْهَا، وَنَظَرُوا إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ سَأَلُوا الرَّجْعَةَ أَشَدَّ مِمَّا سَأَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَلَا يَجَازُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نَرُدُّ وَلَا نَكُذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

[الأنعام: ٢٧، ٢٨] فَإِذَا دَخَلُوا النَّارَ وَذَاقُوا مَسَهَا وَحَسِسُوهَا وَمَقَامِعَهَا وَأَعْلَالَهَا كَانَ سُؤَالُهُمْ لِلرَّجْعَةِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَّلَ نَعْمَتِكُمْ مَا يَنْذَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَهَاجَمَ الْتَذَكُّرُ فَذَوَّقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(٦) قَالَ أَخَشُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ [المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨] وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَلَطَّفُوا فِي السُّؤَالِ وَقَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ كَلَامِهِمْ مُقَدِّمَةً وَهِيَ قَوْلُهُمْ: ﴿رَبَّنَا أَتَيْنَا نَسْتَجِيبَ وَأُحْيِيَّتَنَا أَتَلْتَمِيزُ﴾ أَيْ قُدْرَتِكَ عَظِيمَةً، فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَنَا بَعْدَ مَا كُنَّا أَمْوَاتًا ثُمَّ أَمَتْنَا ثُمَّ أَحْيَيْتَنَا، فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ، وَقَدْ اغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا، وَإِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أَيْ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنَا إِلَى أَنْ تُعِيدَنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ لِتَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، فَإِنَّ عُدْنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ، فَأُجِيبُوا أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى عَوْدَتِكُمْ وَمَرْجِعِكُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا، ثُمَّ عَلَّلَ الْمُنْعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ

(١) الطبري: ٣٥٩/٢١ (٢) الطبري: ٣٥٩/٢١ (٣) الطبري: ٣٦٠/٢١ (٤) الطبري: ٣٦٠/٢١ (٥) أحمد: ٤/٤ (٦) مسلم: ٤١٦/١ وأبو داود ١٧٣/٢ والنسائي ٧٨/٣، ٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦٩

الْأَنْعَامِ

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعَ
 يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارُ فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاكْفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَرُونَ
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ
 عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَوْشَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

أَيُّ الْمُتَكَبِّرُونَ؟^(٣) . وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا
 قَبَضَ أَرْوَاحَ جَمِيعِ خَلْقِهِ فَلَمْ يَبْقَ سِوَاهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 حِينَئِذٍ يَقُولُ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ يُجِيبُ
 نَفْسَهُ قَائِلًا: ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٤) . أَيِ الَّذِي هُوَ وَحْدَهُ
 قَدْ فَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ وَعَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
 يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَذْلِهِ فِي حُكْمِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَلَا مِنْ شَرٍّ بَلْ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ
 أَمْثَالِهَا وَبِالسَّيِّئَةِ وَاحِدَةً، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا
 ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ
 قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ
 بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» - إِلَى أَنْ قَالَ - يَا عِبَادِي إِنَّمَا

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ، وَلَا تَعْبُدْ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ
 الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ^(١).

﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٧﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
 مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٨﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

[وَحْيِي اللَّهِ لِإِنْدَارِ عِبَادِهِ يَوْمَ التَّلَاقِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَارْتِفَاعِ عَرْشِهِ
 الْعَظِيمِ الْعَالِيِّ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ كَالشَّفَقِ لَهَا، كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٢٠﴾ تَرْجِعُ الْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿المعارج: ٤، ٣﴾ وَسَيَأْتِي
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بَيَانٌ أَنَّ هَذِهِ مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى
 الْأَرْضِ السَّابِعَةِ فِي قَوْلِ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ،
 وَهُوَ الْأَرْجَحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الْعَرْشَ
 مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، اتَّسَاعُ مَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ مَسِيرَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ
 سَنَةٍ. وَارْتِفَاعُهُ عَنِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ مَسِيرَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ
 سَنَةٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾
 [النحل: ٢٠] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ لِنُزُلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢١﴾ نَزَلَ بِهِ
 الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿الشعراء: ١٩٢-
 ١٩٤﴾ وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ قَالَ عَلِيُّ
 ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَوْمَ التَّلَاقِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَدَّرَ اللَّهُ مِنْهُ عِبَادَهُ^(٢). وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ
 سَيَلَفَى مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ
 شَيْءٌ﴾ أَيِ ظَاهِرُونَ بَادُونَ كُلُّهُمْ لَا شَيْءَ يَخْفَاهُمْ وَلَا يَظْلِمُهُمْ
 وَلَا يَسْتُرُهُمْ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ
 شَيْءٌ﴾ أَيِ الْجَمِيعِ فِي عِلْمِهِ عَلَى السَّوَاءِ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ فِي
 حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ تَعَالَى يَطْوِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا
 الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَيُّ مُلُوكِ الْأَرْضِ؟ أَيُّ الْجَبَّارُونَ؟

(١) مسلم: ٤١٥/١ (٢) الطبري: ٣٦٤/٢١ (٣) الطبري: ٢١/

٣٢٧ (٤) الطبراني في الطوال: ص ٢٧٠

الصُّدُورِ مِنَ الضَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿حَابِئَةَ
الْأَعْيُنِ﴾ هُوَ الْعَمْرُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: رَأَيْتُ وَلَمْ يَرَ. أَوْ لَمْ
أَرَ. وَقَدْ رَأَى^(٤). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُمَا: يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَيْنِ فِي نَظَرِهَا: هَلْ تُرِيدُ
الْحَيَاةَ أَمْ لَا^(٥)؟ وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ^(٦). وَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُخْفِي
الصُّدُورُ﴾ يَعْلَمُ إِذَا أَنْتَ فَدَرْتُ عَلَيْهَا هَلْ تُزَيِّبُ بِهَا أَمْ
لَا^(٧)؟ وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ أَيُّ مِنَ
الْمُوسُوسَةِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ يَحْكُمُ
بِالْعَدْلِ. قَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾: قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْزِيَ
بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ وَبِالسيِّئَةِ السيِّئَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾^(٨). وَهَذَا الَّذِي فَسَّرَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَجْزِي الَّذِينَ اسْتُوا
بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾ [النجم: ٣١]. وَقَوْلُهُ جَلَّ
وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أَيُّ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ
وَالْأَنْدَادِ ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ أَيُّ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا
يَحْكُمُونَ شَيْئًا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أَيُّ سَمِيعٌ
لِقَوْلِهِ خَلْقِهِ، بَصِيرٌ بِهِمْ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَهُوَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَلْحَمَهُمُ
اللَّهُ دُونَهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ﴾^(٩) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَلْحَمَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ
شَدِيدُ الْعِقَابِ^(١٠).

[عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ السَّيِّئَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِرِسَالَتِكَ
يَا مُحَمَّدٌ ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ
قَبْلِهِمْ﴾ أَيُّ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا
أَشَدَّ مِنْ هَؤُلَاءِ قُوَّةً ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أَيُّ أَثَرًا فِي

هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا عَلَيْكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ
خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا
يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١١).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أَيُّ
يَحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ كَمَا يَحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً كَمَا قَالَ
جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدٍ﴾
[لقمان: ٢٨] وَقَالَ جَلَّ جَلَّالَهُ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ
بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمَةً
لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾^(١٢) يَعْلَمُ حَابِئَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
تُخْفِي الصُّدُورُ^(١٣) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(١٤)
[الْإِنذَارُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَضَاءُ اللَّهِ فِيهِ]

يَوْمَ الْأَرْفَةِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ
لِافْتِرَاقِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرْفَتِ الْأَرْفَةُ﴾^(١٥) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ
اللَّهِ كَاشِفَةٌ [النجم: ٥٨، ٥٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَقْرَبَتْ
السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَقْرَبَتْ
لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] وَقَالَ: ﴿أَنَّهُ أَثَرُ اللَّهِ فَلَا
تَسْتَعْلِجُوهُ﴾ [النحل: ١] وَقَالَ جَلَّ جَلَّالَهُ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً
سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... الْآيَةُ [الملك: ٢٧]. وَقَوْلُهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمَةً﴾ قَالَ
قَتَادَةُ: وَقَفَّتِ الْقُلُوبُ فِي الْحَنَاجِرِ مِنَ الْخَوْفِ، فَلَا تَخْرُجُ
وَلَا تَعُودُ إِلَى أَمَاكِنِهَا^(١٦). وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ
وَاحِدٍ، وَمَعْنَى ﴿كَظِيمَةً﴾ أَيُّ سَاكِنِينَ لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِ ﴿يَوْمَ يَوْمِ أَرْوُحَ وَالْمَلَائِكَةِ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُوذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨] وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿كَظِيمَةً﴾
أَيُّ بَاكِينَ^(١٧). وَقَوْلُهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أَيُّ لَيْسَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
بِالشَّرِكِ بِاللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ مِنْهُمْ يَنْفَعُهُمْ وَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ فِيهِمْ،
بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿يَعْلَمُ حَابِئَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ يُخْبِرُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ
عِلْمِهِ النَّامِ الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ جَلِيلِهَا وَخَفِيرِهَا،
صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، دَقِيقِهَا وَلَطِيفِهَا لِيَحْذَرَ النَّاسُ عِلْمَهُ فِيهِمْ
فَيَسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تَقْوَاهُ،
وَيَرَاقِبُوهُ مُرَاقَبَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ الْعَيْنِ
الْحَاشِيَةَ وَإِنْ أَبْذَتْ أَمَانَةً، وَيَعْلَمُ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ حَبَايَا

(١) مسلم: ١٩٩٤/٤ (٢) الطبري: ٣٦٨/٢١ (٣) الدر
المنثور: ٢٨١/٧ (٤) القرطبي: ٣٠٣/١٥ (٥) الطبري: ٢١/
٣٦٩ (٦) الطبري: ٣٧٠/٢١ (٧) الطبري: ٣٦٩/٢١ (٨)
الطبري: ٣٦٩/٢١

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أَيُّ بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ﴿فَقَالُوا أَأَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ وَهَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ يَقْتُلُ ذُكُورَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ لِأَجْلِ الْإِحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى أَوْ لِإِذْلَالِ هَذَا الشَّعْبِ وَقَلِيلِ عَدُوِّهِمْ أَوْ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ. وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي فَلِقِلْعَةِ الثَّانِيَةِ: [لِلْهَانَةِ] هَذَا الشَّعْبِ، وَلَكِنْ يَنْشَأُ مَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أُذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] قَالَ فَتَأَذُّ: هَذَا أَمْرٌ بَعْدَ أَمْرٍ^(١). قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أَيُّ وَمَا مَكْرُهُمْ وَقَصْدُهُمُ الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ - لئَلَّا يَنْصُرُوا عَلَيْهِمْ - إِلَّا ذَاهِبٌ وَهَالِكٌ فِي ضَلَالٍ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ وَهَذَا عَزْمٌ مِنْ فِرْعَوْنَ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَتْلِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيُّ قَالَ لِقَوْمِهِ: دَعُونِي حَتَّى أَقْتُلَ لَكُمْ هَذَا ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ أَيُّ لَا أَبَالِي بِهِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْجَحْدِ وَالتَّجْهَرِ^(*) وَالْعِنَادِ، وَقَوْلُهُ قَبْحَهُ اللَّهُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ يَعْنِي مُوسَى. يَخْشَى فِرْعَوْنُ أَنْ يُضِلَّ مُوسَى النَّاسَ وَيُغَيِّرَ رُسُومَهُمْ وَعَادَاتِهِمْ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: صَارَ فِرْعَوْنُ مُذَكَّرًا! يَعْنِي وَاعْظَا يُشْفِقُ عَلَى النَّاسِ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ! وَقَرَأَ الْأَكْثَرُونَ: (أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: (يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) بِالضَّمِّ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أَيُّ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ فِرْعَوْنَ: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْتَجَرْتُ بِاللَّهِ وَعُذْتُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ أَمْثَالِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أَيُّ عَنِ الْحَقِّ مُجْرِمٍ ﴿لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ

الْأَرْضِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمَعَالِمِ، وَالذِّبَارَاتِ مَا لَا يَتَذَرُ هَوْلًا عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحاف: ٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] أَيُّ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَالْبَاسِ الشَّدِيدِ أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَهِيَ كُفْرُهُمْ بِرُسُلِهِمْ ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ أَيُّ وَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ، وَلَا وَقَاهُمْ وَاقٍ، ثُمَّ ذَكَرَ عِلَّةَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ وَذُنُوبَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَاجْتَرَمُوهَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَيُّ بِالذِّلَالِ الْوَاضِحَاتِ وَالْبُرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ ﴿فَكَفَرُوا﴾ أَيُّ مَعَ هَذَا الْبَيِّنِ وَالْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَجَحَدُوا ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ تَعَالَى أَيُّ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أَيُّ دُو قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَبَطْشٍ شَدِيدٍ ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أَيُّ عِقَابُهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَجِيعٌ، أَغَاذَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٢٣ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَدَنَ وَقَدَّرْتُ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَأَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٧

[فَصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَمُبَشِّرًا لَهُ بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ وَالْثَّوْرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا جَرَى لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ. وَالذِّلَالِ الْوَاضِحَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وَالسُّلْطَانُ هُوَ الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وَهُوَ مَلِكُ الْقُفْطِ بِالذِّبَارِ الْمِصْرِيَّةِ ﴿وَهَدَنَ﴾ وَهُوَ وَزِيرُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ ﴿وَقَدَّرْتُ﴾ وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَتِجَارَةً ﴿فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ أَيُّ كَذَّبُوهُ وَجَعَلُوهُ سَاحِرًا مَجْنُونًا، مُمَوَّهًا، كَذَّابًا فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾ ٥١ اتَّوَصَوْا بِمَنْ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴿[الذاريات: ٥٢، ٥٣]

(١) الطبري: ٣٧٣/٢١ (*) كذا وجدنا في جميع النسخ المطبوعة الحاضرة: التجهر، ولم نجد له أمثالا في اللغة. والجهرية نوع من الثياب وجههم واد بفارس وقرية هناك (اللسان وتاج العروس)

عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَذَرُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ»^(١).

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٢) يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٣)

[تَأْيِيدُ مُوسَى بِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَخِطَابُ هَذَا الرَّجُلِ]

المشهور أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ كَانَ قِطِيًّا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ. قَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ ابْنُ عَمِّ فِرْعَوْنَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي نَجَا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٤). وَقَالَ ابْنُ [جُرَيْجٍ] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ سِوَى هَذَا الرَّجُلِ وَامْرَأَةٍ فِرْعَوْنِ، وَالَّذِي قَالَ: ﴿يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِيَنَّكَ بِكَ لَيَقْتُلَنَّكَ﴾ [القصص: ٢٠] رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٥). وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ عَنْ قَوْمِهِ الْقَبِيضَ فَلَمْ يُظْهِرْ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ حِينَ قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ فَأَخَذَتْ الرَّجُلَ غَضَبُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، كَمَا ثَبَتَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ^(٦). وَلَا أَغْطِمُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ -عِنْدَ فِرْعَوْنَ- وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٧) أَللَّهُمَّ إِلَّا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِبَنَاءِ الْكُعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ غُفْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى تَوْبَةً فِي غُفْبَةٍ فَخَنَقَهُ خَنَقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٨) انفرد بِهِ الْبُخَارِيُّ^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَيَّ كَيْفَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا لِكُفْرِهِ يَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ أَقَامَ لَكُمْ الْبُرْهَانَ عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ؟ ثُمَّ تَنَزَّلَ مَعَهُمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ

الْمُزَكَّاتُ وَالْمُنَافِقُونَ

٤٧٠

سُورَةُ غَافِرٍ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^(١٠) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(١١) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(١٢) يَقُومُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(١٣) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾^(١٤) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾^(١٥) وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾^(١٦) يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدْيَنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(١٧)

يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾^(١٨) بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ لَكُمْ صِحَّةٌ مَا جَاءَكُمْ بِهِ فَمِنْ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ الثَّامِّ وَالْحَزْمِ أَنْ تَتْرُكُوهُ وَنَفْسَهُ فَلَا تُؤَدُّهُ، فَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سِعْجَارِيهِ عَلَى كَذِبِهِ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا وَقَدْ آذَيْنَاهُ يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ، فَإِنَّهُ يَتَوَعَّدُكُمْ أَنْ خَالَفْتُمُوهُ بِعَذَابٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمِنْ الْجَائِزِ عِنْدَكُمْ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فَيَتَّبِعِي عَلَى هَذَا أَنْ لَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ، بَلْ اتَّركُوهُ وَقَوْمَهُ يَدْعُوهُمْ وَيَتَّبِعُونَهُ. وَهَكَذَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ طَلَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الْمَوَادَعَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾^(١٩) أَنْ آذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(٢٠) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي مَسْلُوبٌ مِثْلِينَ﴾^(٢١) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾^(٢٢) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّوا

(١) النسائي في الكبرى: ١٨٨/٥ (٢) الطبري: ٣٧٥/٢١ (٣) القرطبي: ٣٠٦/١٥ (٤) تحفة الأحوذى: ٣٩٥/٦ (٥) فتح الباري: ٤١٦/٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ

٤٧١

سُورَةُ غَافِرٍ

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِيَ صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ دُنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثَرٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَوْنَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

مِنْ إِمَامٍ يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ^(١). وَاللَّهُ شَبَّاحُهُ وَتَعَالَى الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ

الْأَكْرَابِ﴾ (٣٥) مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣٦) وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٧) يَوْمَ تُولَدُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٨) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٩) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٤٠)

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ

[الدخان: ١٧-٢١] وَهَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِفِرْعَوْنَ أَنْ يَرْكُوعًا يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَ اللَّهِ، وَلَا يَمْسُوهُ بِسُوءٍ وَيَصِلُوا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ فِي تَرْكِ أَدْبَتِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ الْفَرِيقِ﴾ إِلَّا أَنْ تَوَدُّونِي - فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ، فَلَا تُؤْذُونِي وَتَتَرَكُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، وَعَلَى هَذَا وَقَعَتِ الْهُدْنَةُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ فَتْحًا مَبْنًى.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ أَيْ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ: كَاذِبًا - كَمَا تَزْعُمُونَ - لَكَانَ أَمْرُهُ بَيْنًا يَطْهَرُ لِكُلِّ أَحَدٍ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَكَانَتْ تَكُونُ فِي غَايَةِ الْإِخْتِلَافِ وَالْإِضْطِرَابِ، وَهَذَا نَرَى أَمْرَهُ سَدِيدًا وَمَنْهَجُهُ مُسْتَقِيمًا، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ الْكَذَّابِينَ لَمَا هَدَاهُ اللَّهُ وَأَرْشَدَهُ إِلَى مَا تَرُونَ مِنْ انْتِظَامِ أَمْرِهِ وَفِعْلِهِ، ثُمَّ قَالَ الْمُؤْمِنُ مُحَذِّرًا قَوْمَهُ زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَخُلُوفَ نِقْمَةِ اللَّهِ بِهِمْ: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ أَلَمُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْمُلْكِ وَالظُّهْرِ فِي الْأَرْضِ بِالْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ وَالْحِجَاةِ الْعَرِيضِ فَرَاغُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَضَدِيقِ رَسُولِهِ ﷺ وَاحْذَرُوا نِقْمَةَ اللَّهِ إِنْ كَذَبْتُمْ رَسُولَهُ ﴿فَمَنْ يَصْرِفْنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ أَيْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ هَذِهِ الْجُبُودُ وَهَذِهِ الْعَسَاكِرُ وَلَا تَرُدُّ عَنَّا شَيْئًا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنَا بِسُوءٍ. قَالَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ -رَادًّا عَلَى مَا أَشَارَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ، الَّذِي كَانَ أَحَقَّ بِالْمُلْكِ مِنْ فِرْعَوْنَ: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أَيْ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُشِيرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي وَقَدْ كَذَبَ فِرْعَوْنُ، فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وُكُلًا﴾ [النمل: ١٤] فَقَوْلُهُ: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ كَذَبَ فِيهِ وَافْتَرَى وَخَانَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ وَرَعِيَّتَهُ فَغَشَّهُمْ، وَمَا نَصَحَهُمْ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أَيْ وَمَا أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَالرُّشْدِ. وَقَدْ كَذَبَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ قَوْمُهُ قَدْ أَطَاعُوهُ وَاتَّبَعُوهُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧] وَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩] وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا

أَسْنَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنُ فِرْعَوْنَ سَوَّاهُ عَلَيْهِمْ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾

[استهزاء فرعون برَبِّ موسى]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ وَعُتُوهُ وَتَمَرُّدِهِ وَافْتِرَائِهِ
فِي تَكْذِيبِهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ أَمَرَ وَزِيرَهُ
هَامَانَ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ صَرْحًا، وَهُوَ الْقَصْرُ الْعَالِي الْمُنِيفُ
الشَّاهِقُ، وَكَانَ اتِّخَاذُهُ مِنَ الْأَجْرِ الْمَضْرُوبِ مِنَ الطَّيْرِ
الْمُسَوِّيِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْفِدَ لِي بِهَمْدَنَ عَلَى الطَّيْرِ
فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨] وَقَوْلُهُ: ﴿لَعَلِّي أَتْلُعَ
الْأَسْنَبَ﴾ ﴿٣٧﴾ أَسْنَبَ السَّمَوَاتِ... الآية. قَالَ سَعِيدُ بْنُ
جُبَيْرٍ وَأَبُو صَالِحٍ: أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ^(١). وَقِيلَ: طُرُقُ
السَّمَوَاتِ ﴿فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾
وَهَذَا مِنْ كُفْرِهِ وَتَمَرُّدِهِ أَنَّهُ كَذَّبَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَكَذَلِكَ زَيْنُ فِرْعَوْنَ سَوَّاهُ عَلَيْهِمْ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أَيُّ
[بِصْنَعِهِ] هَذَا الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُوْهِمَ بِهِ الرَّعِيَّةَ أَنَّهُ يَعْمَلُ شَيْئًا
يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى تَكْذِيبِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلِهَذَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ يَعْني: إِلَّا فِي خَسَارٍ^(٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
الرَّشَادِ﴾ يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ
هِيَ دَارُ الْفَكَارِ ﴿٣٨﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ
عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَنَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِعَثَرٍ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

[مواصلة خطاب مؤمن آل فرعون]

يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ لِقَوْمِهِ مِمَّنْ تَمَرَّدَ وَطَعَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ
سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ لَا كَمَا كَذَّبَ فِرْعَوْنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ثُمَّ زَهَّدَهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ
آثَرُوهَا عَلَى الْآخِرَى وَصَدَّنَّهُمْ عَنِ التَّصَدِيقِ بِرَسُولِ اللَّهِ
مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ
الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ﴾ أَيُّ: قَلِيلَةٌ زَائِلَةٌ فَانِيَةٌ عَنْ قَرِيبٍ تَذْهَبُ
وَتُضْمَحِلُّ ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَكَارِ﴾ أَيُّ: الدَّارُ الَّتِي

مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ حَذَرَ قَوْمَهُ بِأَسْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ فَقَالَ: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾
أَيُّ: الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَتَمُودَ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ كَيْفَ حَلَّ
بِهِمْ بِأَسْرِ اللَّهِ وَمَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ، وَلَا صَدَّهُ عَنْهُمْ صَادٌّ ﴿وَمَا
اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذُنُوبِهِمْ
وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَهُ، فَأَنْقَذَ فِيهِمْ قُدْرَهُ ثُمَّ
قَالَ: ﴿وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ﴾ يَعْنِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مَدْرِينِ﴾ أَيُّ ذَاهِبِينَ
هَارِبِينَ ﴿كَلَّا لَا وَدَّكَ اللَّهُ﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ
[القيامة: ١١، ١٢] وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
عَاصِرٍ﴾ أَيُّ: لَا مَانِعٍ يَمْنَعُكُمْ مِنْ بِأَسْرِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ ﴿وَمَنْ
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أَيُّ: مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ
غَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ
بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ مِصْرَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
قَبْلِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ يُوسُفُ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ غَزِيرَ أَهْلٍ مِصْرَ، وَكَانَ رَسُولًا يَدْعُو
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أُمَّتَهُ بِالْقِسْطِ فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ الطَّاعَةَ إِلَّا
بِمَجْرَدِ الْوِزَارَةِ وَالْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا
رَلْتُمْ فِي شَأْنِكُمْ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أَيُّ: يَسْتَشْمُ قُلْتُمْ طَامِعِينَ: ﴿لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ وَذَلِكَ لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ
﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ﴾ أَيُّ: كَحَالِكُمْ
هَذَا يَكُونُ حَالُ مَنْ يُضِلُّهُ اللَّهُ لِإِسْرَافِهِ فِي أَفْعَالِهِ وَارْتِيَابِ
قَلْبِهِ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ أَنْتَهُمْ﴾ أَيُّ: الَّذِينَ يَدْفَعُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُجَادِلُونَ
الْحُجَجَ بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَحُجَّةٍ مَعَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ يَمُتُّ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْمَمْتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ
أَيْضًا يُنْغَضُونَ مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتُهُ فَإِنْ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ
صِفَتُهُ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَلَا
يُنْكِرُ مُنْكَرًا وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ﴾ أَيُّ: عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ ﴿جَبَّارٌ﴾
قَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ وَقَتَادَةُ: آيَةُ الْجَبَّارَةِ الْقَتْلُ بِغَيْرِ
الْحَقِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ ابْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَتْلُعَ﴾ [الأسنب] ﴿٣٧﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٢

سُورَةُ الْاَنْعَامِ

وَيَقَوْمَ مَا لِيَ ادْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى
النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَاجِرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصْ أَمْرِي إِلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِإِلَافِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
إِلَافِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعِيفُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَمَا هَلَ أَنْتُمْ مُعْتُونُ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
قَدَّحَكَم بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

﴿وَأَبْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: خالدين فيها
بإسرافهم، وهو شركهم بالله عز وجل: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ
لَكُمْ﴾ أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به، ونهيتمكم
عنه، ونصحتكم، ووضعت لكم، وتذكرونها وتندمونها
حيث لا ينفع الندم ﴿وأفؤص أمرتي إلى الله﴾ أي: وأتوكل
على الله واستعينه وأقاطعكم وأباعدكم ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ﴾ أي: هو بصير بهم تعالى وتقدس، فيهدي من
يستحق الهداية، ويضل من يستحق الضلال، وله الحجة
البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ. وقوله تبارك
وتعالى: ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوا﴾ أي: في الدنيا
والآخرة، وأما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه
الصلاة والسلام، وأما في الآخرة فإلجأته.

[ثبوت عذاب القبر]

﴿وَحَاقَ بِإِلَافِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو الغرق في النيم ثم

لَا زَوَالَ لَهَا وَلَا انْتِقَالَ، مِنْهَا وَلَا ظَنَنْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا،
بَلْ إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا جَحِيمٌ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿مَنْ
عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: واحدة مثلها ﴿وَمَنْ
عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي لا يُقَدَّرُ
بِجَزَاءٍ، بَلْ يُبَيِّئُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابًا كَثِيرًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَلَا
نَفَادَ. وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْتِقُ لِلصَّوَابِ.

﴿وَيَقَوْمَ مَا لِيَ ادْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾
تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ
لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْتِ
الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
وَأَفَؤُصْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِ مَا مَكْرُوا وَحَاقَ بِإِلَافِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
إِلَافِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

[نهاية الخطاب ومصير الفريقين]

يَقُولُ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ: مَا بَالِي ادْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ، وَهِيَ
عِبَادَةُ اللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتَصْدِيقُ رَسُولِهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَهُ
﴿وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا
لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴿أَي: عَلَى جَهْلٍ بِلَا دَلِيلٍ﴾ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿أَي: هُوَ فِي عِزِّهِ وَكِبَرِيَّائِهِ يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ
تَابَ إِلَيْهِ﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ يَقُولُ: حَقًّا. قَالَ
السُّدِّيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَا جَرَمَ﴾: حَقًّا. وَقَالَ
الضَّحَّاكُ: ﴿لَا جَرَمَ﴾ لَا كَذِبَ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ،
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَا جَرَمَ﴾ يَقُولُ: بَلَى، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونِي
إِلَيْهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: الْوَتْنُ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ^(١). وَقَالَ
قَتَادَةُ: يَعْني الْوَتْنُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَا
يُجِيبُ دَاعِيَهُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ^(٢). وَهَذَا كَقَوْلِهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا
يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ وَإِذَا
خُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ
[الاحقاف: ٦٠، ٦١]، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا
مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ [فاطر: ١٤] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾
أَي: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيُجَارِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، وَلِهَذَا قَالَ:

فِي قُبُورِكُمْ، فَارْتَأَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا يُفْتَنُ يَهُودُ»
قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَيْسَ لِيَالِي ثُمَّ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ». وَقَالَتْ عَائِشَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَدَّى يَسْتَعِيدُ مِنْ
عَذَابِ الْقَبْرِ^(٢). وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣).

وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى عَذَابِ الْأَرْوَاحِ فِي
النَّبْرَخِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَّصِلَ فِي الْأَجْسَادِ فِي
قُبُورِهَا، فَلَمَّا أُوحِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي ذَلِكَ بِخُصُوصِهِ
اسْتَعَاذَ مِنْهُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ. وَأَحَادِيثُ عَذَابِ
الْقَبْرِ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «عُذُّوا وَعَشِيَّتًا» صَبَاحًا
وَمَسَاءً مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، يُقَالُ لَهُمْ: يَا آلَ فِرْعَوْنَ، هَذِهِ
مَنَازِلُكُمْ؛ تَوْبِيخًا وَنِقْمَةً وَصَغَارًا لَهُمْ^(٤). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ:
هُمْ فِيهَا الْيَوْمَ يُعَذِّدُ بِهِمْ، وَيُرَاحُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.
«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» وَأَلَّ
فِرْعَوْنَ كَاللَّيْلِ الْمُسَوِّمَةِ يَخْطِطُونَ الْحِجَارَةَ وَالشَّجَرَ وَلَا
يَعْقِلُونَ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ
عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ
أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ،
فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(٥). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٦).

«وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعِيفُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنَوْنَ عَنَّْا تَبِعًا مِنَ النَّارِ^(٧)»
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْبَاسِ^(٨). وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ
يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ^(٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ
رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَتُوا إِلَّا الْكَافِرِينَ

إِلَّا فِي ضَلَالٍ^(١٠)

[تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَحَاوُرِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَتَخَاصُمِهِمْ
وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ جُمْلَتِهِمْ، فَيَقُولُ الضَّعِفاءُ وَهُمْ الْأَتْبَاعُ
لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَهُمْ الْقَادَةُ وَالسَّادَةُ وَالْكَبَرَاءُ^(١١) «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ

الْقُلَّةُ مِنْهُ إِلَى الْجَحِيمِ، فَإِنْ أَرَوَّاحَهُمْ تُعْرَضُ عَلَى النَّارِ
صَبَاحًا وَمَسَاءً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
اجْتَمَعَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَأَجْسَادُهُمْ فِي النَّارِ، وَلِهَذَا قَالَ:
«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» أَيْ
أَشَدَّهُ أَلَمًا وَأَعْظَمَهُ نَكَالًا. وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلُ كَبِيرٍ فِي
اسْتِزْلالِ أَهْلِ الشُّنَّةِ عَلَى عَذَابِ النَّبْرَخِ فِي الْقُبُورِ، وَهِيَ
قَوْلُهُ تَعَالَى: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا».

وَلَكِنْ هُنَا سُؤَالٌ وَهُوَ أَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ،
وَقَدْ اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ فِي النَّبْرَخِ، وَقَدْ رَوَى
الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ
تَعْدِمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ
الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَالِكِ اللَّهُ عَذَابِ الْقَبْرِ،
قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ فَقُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ:
«لَا، مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ؟». قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ لَا أَصْنَعُ إِلَيْهَا
شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ: وَقَالِكِ اللَّهُ عَذَابِ الْقَبْرِ.
قَالَ ﷺ: «كَذَبَتْ يَهُودُ، وَهُمْ عَلَى اللَّهِ أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ
دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكِّثَ
فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِتَوْبِهِ مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ
وَهُوَ يَنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ «الْقَبْرُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا
النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا،
أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ عَذَابَ
الْقَبْرِ حَقٌّ»^(١٢). وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ
وَمُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، فَيُقَالُ: فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ
كَوْنِ الْآيَةِ مَكِّيَّةً وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى عَذَابِ النَّبْرَخِ؟
وَالْجَوَابُ أَنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى عَرْضِ الْأَرْوَاحِ عَلَى النَّارِ
غُدُوًّا وَعَشِيًّا فِي النَّبْرَخِ، وَلَيْسَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى اتِّصَالِ
تَأْلِمِهَا بِأَجْسَادِهَا فِي الْقُبُورِ، إِذْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مُخْتَصًّا
بِالرُّوحِ، فَأَمَّا حُصُولُ ذَلِكَ لِلْجَسَدِ فِي النَّبْرَخِ وَتَأْلِمُهُ بِسَبَبِهِ
فَلَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ إِلَّا الشُّنَّةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْصُومَةِ الْآتِيَةِ
ذِكْرُهَا.

وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى عَذَابِ الْكُفَّارِ
فِي النَّبْرَخِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُعَذَّبَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِه
بِذَنْبٍ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا
وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ: أَشَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ

(١) أحمد: ٨١/٦ (٢) أحمد: ٢٤٨/٦ (٣) مسلم: ٤١٠/١

(٤) الطبري: ٣٩٦/٢١ (٥) أحمد: ١١٣/٢ (٦) فتح الباري:

٢٨٦/٣ ومسلم: ٢١٩٩/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٣

سُورَةُ غَافِرٍ

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَقْنَا بِإِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدَى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

مَنْصُورُونَ فِيهَا^(١). وَهَكَذَا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَنَارَاهُ وَكَذَّبَهُ وَعَادَاهُ، فَجَعَلَ كَلِمَتَهُ هِيَ الْعُلْيَا وَدِينَهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَأَمَرَهُ بِالْهَجْرَةِ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَجَعَلَ لَهُ فِيهَا أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، ثُمَّ مَنَحَهُ أَكْثَافَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَصَرَهُ عَلَيْهِمْ وَخَدَّلَهُمْ وَقَتَلَ صَنَادِيدَهُمْ، وَأَسَرَ سَرَاتَهُمْ، فَاسْتَأْفَهُمْ مَقْرَرِينَ فِي الْأَصْفَادِ، ثُمَّ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِأَخْذِهِ الْفَدَاءِ مِنْهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ قَرِيبَةٍ فَتَحَ عَلَيْهِ مَكَّةَ، فَفَرَّقَتْ عَيْنُهُ بَيْلَدَهُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْمُحَرَّمُ الْحَرَامُ الْمَشْرُوفُ الْمُعَظَّمُ، فَأَثَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَفَتَحَ لَهُ الْيَمْنَ، وَدَانَتْ لَهُ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ بِكَامِلِهَا، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ لِمَا لَهُ عِنْدَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ الْعَظِيمَةِ، فَأَقَامَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَصْحَابَهُ خُلَفَاءَ بَعْدَهُ، فَبَلَّغُوا عَنْهُ دِينَ اللَّهِ عَزَّ

تَعَالَى أَيُّ: أَطَعْنَاكُمْ فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنَوُونَ عَنَّْا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ أَيُّ: قِسْطًا تَتَحَمَّلُونَهُ عَنَّْا ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أَيُّ: لَا تَتَحَمَّلْ عَنْكُمْ شَيْئًا كَفَى بِنَا مَا عِنْدَنَا وَمَا حُمِّلْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ أَيُّ: فَقَسَمَ بَيْنَنَا الْعَذَابَ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ مَنَّا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّْا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُمْ، وَلَا يَسْتَمِيعُ لِدُعَائِهِمْ، بَلْ قَدْ قَالَ: ﴿اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] سَأَلُوا الْخَزَنَةَ وَهُمْ كَالسَّجَّانِينَ لِأَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْعُوا لَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ الْكَافِرِينَ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ لَهُمُ الْخَزَنَةُ رَادِّينَ عَلَيْهِمْ: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَيُّ: أَوْ مَا قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجُجُ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ ﴿قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾ أَيُّ: أَنْتُمْ لَا أَنْفُسَكُمْ، فَتَحْنُ لَا نَدْعُو لَكُمْ، وَلَا نَسْمَعُ مِنْكُمْ، وَلَا نُوَدِّ خَلَاصَكُمْ، وَنَحْنُ مِنْكُمْ بُرَاءً. ثُمَّ نُخَبِّرُكُمْ: أَنَّهُ سَوَاءٌ دَعَوْتُمْ أَوْ لَمْ تَدْعُوا لَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ وَلَا يُخَفِّفُ عَنْكُمْ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أَيُّ: إِلَّا فِي ذَهَابٍ وَلَا [يُتَّبَلُّ] وَلَا يُسْتَجَابُ.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَقْنَا بِإِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدَى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ [نُصْرَةُ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولًا قَطُّ إِلَى قَوْمٍ فَيُثْلُوهُ أَوْ قَوْمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ فَيُثْلُونَ فَيَذْهَبَ ذَلِكَ الْقَرْنُ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ فَيَطْلُبُ بِدِمَائِهِمْ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ فَكَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُؤْمِنُونَ يُثْلُونَ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٤

سُورَةُ غَافِرٍ

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّنَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٥٧﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آلِهَةً لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالتَّهَارُ مَبْصِرَاتُ اللَّهِ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَن تَوَفَّوْكُمْ كَذَلِكَ يُوَفِّكُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُتَابِعُونَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٥٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْكِتَابُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾

يَحَاصِلُ لَهُمْ، بَلِ الْحَقُّ هُوَ الْمَرْفُوعُ وَقَوْلُهُمْ وَقَضَاهُمْ هُوَ الْمَوْضُوعُ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أَيُّ: مِنْ حَالٍ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أَوْ مِنْ شَرِّ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْمُجَادِلِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ.

﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّنَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

[الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَمَاتِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْبَهَا عَلَى أَنَّهُ يُعِيدُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَدَيْهِ، بِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَهُمَا أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ بَدَأَةً وَإِعَادَةً، فَمَنْ قَدَرَ عَلَى

(١) الطبري: ٤٠٢/٢١ (*) قوله: بالرفع أي بتنوين الرفع هذا، ولم نجد في كتب القراءة الميسرة. والله أعلم.

وَجَلَّ، وَدَعَوْا عِبَادَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفَتَحُوا الْبِلَادَ وَالرَّسَائِقَ، وَالْأَقَالِيمَ، وَالْمَدَائِنَ، وَالْقُرَى، وَالْقُلُوبَ، حَتَّى انْتَشَرَتِ الدَّعْوَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. ثُمَّ لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا مُنْصُورًا ظَاهِرًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمٍ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النُّصْرَةُ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ وَأَجَلَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَشْهَادُ: الْمَلَائِكَةُ (١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وَقَرَأَ آخَرُونَ: (يَوْمَ) بِالرَّفْعِ كَأَنَّهُ فَسَّرَهُ بِهِ (وَيَوْمَ) يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ (٢) وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ ﴿مَعَذَرَتُهُمْ﴾ أَيُّ: لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ عَذْرٌ وَلَا فِدْيَةٌ ﴿وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ﴾ أَيُّ: الْإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وَهِيَ النَّارُ. قَالَهُ السُّدِّيُّ.

[الإشارة إلى نجاح الرسول والمؤمنين بميثاق موسى وبني إسرائيل]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ وَهُوَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ ﴿وَأَوْثَقْنَا بِتِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ أَيُّ: جَعَلْنَا لَهُمُ الْعَاقِبَةَ وَأَوْثَقْنَا لَهُمْ بِلَادَ فِرْعَوْنَ وَأَمْوَالَهُ وَخَوَاصِلَهُ وَأَرْضَهُ بِمَا صَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاتَّبَعَ رَسُولُهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَفِي الْكِتَابِ الَّذِي أَوْثَقُوهُ وَهُوَ التَّوْرَةُ: ﴿هَذِي وَكَذَٰلِكَ لِأَوَّلَى الْأَلْبَابِ﴾ وَهِيَ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّليمة. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أَيُّ: يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أَيُّ: وَعَدْنَاكَ أَنَا سَتُعَلِّي كَلِمَتَكَ وَنَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَلِمَنِ اتَّبَعَكَ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ هَذَا تَهْنِئَةٌ لِلْأُمَّةِ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ ﴿وَسَيَحْمَدُ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ أَيُّ: فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَأَوَائِلِ اللَّيْلِ ﴿وَالْإِكْرَ﴾ وَهِيَ أَوَائِلُ النَّهَارِ وَأَوَاخِرُ اللَّيْلِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ﴾ أَيْسَبُّ اللَّهُ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ أَيُّ يَدْفَعُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُرُدُّونَ الْحُجَجَ الصَّحِيحَةَ بِالشُّبُهَةِ الْفَاسِدةِ بِلَا بُرْهَانٍ وَلَا حُجَّةٍ مِنَ اللَّهِ ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْقِيوهُ﴾ أَيُّ: مَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَاخْتِفَارٍ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ، وَلَيْسَ مَا يُؤْمِنُونَهُ مِنْ إِحْمَادِ الْحَقِّ وَإِعْلَاءِ الْبَاطِلِ

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ». ثُمَّ قَرَأَ: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»^(٢). وَهَكَذَا رَوَاهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٣). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ^(٤). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي» أَي: عَنْ دُعَائِي وَتَوْحِيدِي «سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» أَي: صَاغِرِينَ حَقِيرِينَ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ، يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ: بُولَسْ، تَغْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ، عُصَاةَ أَهْلِ النَّارِ»^(٥).

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾^(١) إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْمَدُونَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

[آيَاتُ اللَّهِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُثَمِّنًا عَلَى خَلْقِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ الَّذِي يَسْكُنُونَ فِيهِ وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْ حَرَكَاتِ تَرُدُّدِهِمْ فِي الْمَعَاشِ بِالنَّهَارِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ مُبْصِرًا أَي: مُضِيئًا لِيَتَصَرَّفُوا فِيهِ بِالْأَشْفَارِ وَقَطَعَ الْأَفْطَارِ وَالْتِمَكَّنِ مِنَ الصَّنَاعَاتِ ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أَي: لَا يَتُومُونَ بِشُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ،

ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا دُونَهُ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخَرَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِيَفِي مِثْلَهُنَّ يَبْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتُ بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وَقَالَ هُنَا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَلِهَذَا لَا يَتَدَبَّرُونَ هَذِهِ الْحُجَّةَ وَلَا يَتَأَمَّلُونَهَا، كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَرَبِ يَغْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَيُنْكِرُونَ الْمَعَادَ اسْتِيعَادًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا، وَقَدْ اغْتَرَفُوا بِمَا هُوَ أَوْلَى مِمَّا أَنْكَرُوا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ شَيْئًا وَالَّذِي يَرَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ، بَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الْأَنْبَارُ وَالْكُفْرَةُ الْفُجَارُ﴾ [فِيلًا مَا تَنْدَكُرُونَ] أَي: مَا أَقَلَّ مَا يَتَدَكَّرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أَي: لَكَائِتَةٌ وَوَاقِعَةٌ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: لَا يُصَدِّقُونَ بِهَا بَلْ يُكَذِّبُونَ بِوُجُودِهَا.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١)
[الْأَمْرُ بِاللِّدْعَاءِ]

هَذَا مِنْ فَضْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَمَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أَحَبَّ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه

وَبُنِيَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ
وَقَالَ قَتَادَةُ: قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: أُعْطِيتَ هَذِهِ الْأُمَّةُ ثَلَاثًا لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهَا [إِلَّا] نَبِيٌّ كَانَ إِذَا أَرْسَلَ اللَّهُ نَبِيًّا قَالَ لَهُ: أَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِكَ، وَ[جَعَلَكُمْ] شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ. وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، وَقَالَ لَهُذِهِ الْأُمَّةُ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: اذْعُنِي أَسْتَجِبْ لَكَ، وَقَالَ لَهُذِهِ الْأُمَّةُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(١).

(١) القرطبي: ٣٢٧/١٥ (٢) أحمد: ٢٧١/٤ (٣) تحفة الأحوذى: ٣٠٨/٨ والنسائي في الكبرى: ٤٠٥/٦ وابن ماجه: ١٢٥٨/٢ والطبري: ٤٠٧، ٤٠٦/٢١ (٤) أبو داود: ١٦١/٢ وتحفة الأحوذى: ١٢١/٩ والنسائي في الكبرى: ٤٥٠/٦ (٥) أحمد: ١٧٩/٢

الْبُرْجِ الْخَازِنِ

٤٧٥

سُورَةُ الْغَافِرِ

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضَّيْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَضْرُفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَعْظَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُن نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تُزَيِّنُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ فَإِنَّمَا تَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

وَالنَّسَائِي^(٢).

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا فَضَّيْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

[النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ] يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْهَى أَنْ يُعْبَدَ أَحَدٌ سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَوْنَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ أَحَدٌ سِوَاهُ فِي قَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ ﴿فَأَنْ تُوَفَّقُونَ﴾ أَيْ: فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ مَنْحُوْتَةٌ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أَيْ: كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ كَذَلِكَ أَفَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بِلاَ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى. وَجَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرًا﴾ أَيْ: جَعَلَهَا لَكُمْ مُسْتَقَرًّا بِسَاطًا مِهَادًا تَعِيشُونَ عَلَيْهَا، وَتَنْتَصِرُونَ فِيهَا، وَتَمْشُونَ فِي مَنَاكِبِهَا، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ؛ لَيْلًا نَمِيدَ بِكُمْ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ أَيْ: سَقَفًا لِلْعَالَمِ مَحْظُوطًا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أَيْ: فَخَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ، وَمَنْحَكُمُ أَكْمَلَ الصُّورِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أَيْ: مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ فِي الدُّنْيَا، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَالِقُ الدَّارِ وَالسَّكَّانِ وَالْأَرْزَاقِ، فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿بَنَانِهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلُّهُمْ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: هُوَ الْحَيُّ أَرْزَا وَأَبَدًا لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ ﴿فَكَادَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ مِنَ الدِّينِ﴾ أَيْ مُوَحِّدِينَ لَهُ مُقَرِّبِينَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النُّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهْلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ

(١) أحمد: ٤/٤ (٢) مسلم: ٤١٥، ٤١٦ وأبو داود: ٢/

١٧٤، ١٧٣ والنسائي: ٣/٦٩، ٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧٦

سُورَةُ الْاَنْكَافِ

وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
بِشَايَءٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُلْكِ تَحْمَلُونُ ﴿٧٨﴾ وَثَرِيكُمْ أَيْتِيهِ فَأَيَّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِمَّنْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ نَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٢﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَأَلَتْ
اللَّهُ أَلَنِي قَدْ خَلَلْتَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوسٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوعًا ﴿٧٦﴾ أَنَّى: هُوَ الَّذِي
يُقَلِّبُكُمْ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ كُلِّهَا، وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَنْ
أَمْرِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ ﴿٧٧﴾ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ
قَبْلِ ﴿٧٨﴾ أَنَّى: مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوجَدَ وَيَخْرُجَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ
تُسْقِطُهُ أُمُّهُ سُقْطًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتُوفَّى صَغِيرًا وَشَابًا وَكَهْلًا
قَبْلَ الشَّيْخُوخَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنَبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَبْلَغُ مُسَمًّى﴾. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ هُنَا:
﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ:
تَتَذَكَّرُونَ النُّبُوتَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُتَى وَيُصَيَّبُ﴾
أَيُّ: هُوَ الْمُنْقَرَّدُ بِذَلِكَ، لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ
﴿فَإِذَا فَضَحَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَنَّى لَا يَخَالَفُ وَلَا
يُمَانَعُ، بَلْ مَا شَاءَ كَانَ لَا مَحَالَةَ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرَفُونَ ﴿٧٩﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ إِذِ الْأَغْطَلُ فِي أَغْتَفِهِمْ وَالسَّلَسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا
كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا بَلْ لَمْ نَكُنْ
نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَلِكَ بِمَا
كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾
أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَا يَخْرُجُونَ
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾

[مَصِيرُ الْمُجَادِلِينَ الْمُكَذِّبِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: أَلَا تَعْجَبُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيُجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ كَيْفَ تُصْرَفُ
عُقُوبُهُمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ
وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ أَنَّى: مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ ﴿فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، مِنَ الرَّبِّ جَلَّ
جَلَالُهُ لِهَؤُلَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِ يَوْمِزَ الْمُكَذِّبِينَ﴾
[المرسلات: ١٥]، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذِ الْأَغْطَلُ فِي أَغْتَفِهِمْ
وَالسَّلَسِلُ﴾ أَنَّى: مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلَالِ بِأَيْدِي الرِّبَانِيَّةِ يَسْحَبُونَهُمْ
عَلَى وُجُوهِهِمْ، تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ وَتَارَةً إِلَى الْجَحِيمِ،
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
يُسْجَرُونَ﴾ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ
بِهَا الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ جَبِيمٍ عَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤]
وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ أَكْلِهِمُ الرِّقْمَ وَشَرِبِهِمُ الْحَمِيمِ: ﴿ثُمَّ

إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْحَمِيمِ﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاصْبِرْ الشَّمَالُ مَا
أَصْبَحَ الشَّمَالُ ﴿٨٦﴾ فِي سَمِيرٍ وَجِيمٍ ﴿٨٧﴾ وَظِلٌّ مِنْ جَحِيمٍ ﴿٨٨﴾ لَا بَارِدَ
وَلَا كَرِيمٍ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَ السَّالُونَ السَّكِينُونَ ﴿٨٩﴾
لَا كُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٩٠﴾ قَالُوا وَهِيَ الْبُطُونُ ﴿٩١﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنْ
الْحَمِيمِ ﴿٩٢﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْحَمِيمِ ﴿٩٣﴾ هَذَا تَرْكُومٌ يَوْمَ الَّذِينَ
[الواقعة: ٤١-٥٦]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ سَجَرَتَ
الرِّقْمِ ﴿٩٤﴾ طَعَامُ الْإِيمِ ﴿٩٥﴾ كَأَمَلٍ يَقْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٩٦﴾
كَغَلِ الْحَمِيمِ ﴿٩٧﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٩٨﴾ ثُمَّ صُبُّوا
فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٩٩﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: ٤٣-٥٠]
أَيُّ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّحْقِيرِ
وَالْتَضْيِيعِ وَالتَّهْكُمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ
قِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيُّ قِيلَ
لَهُمْ: أَيْنَ الْأَصْنَامُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ
يَنْصُرُونَكُمْ الْيَوْمَ ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾ أَيُّ: ذَهَبُوا فَلَمْ يَنْفَعُونَا
﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أَيُّ: جَحَدُوا عِبَادَتَهُمْ

سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢) كَتَبْتُ فَصَّلَتْ
ءَايَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرَضَ
أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ
أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِلْمُشْرِكِينَ ٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَفِرُونَ ٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨) قُلْ أَيُّكُمْ لَكَ فَرْخٌ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩)
وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ١٠) ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا فَاْتَاَنِا طَائِعِينَ ١١)

وَلَنْ نُعَذِّبَ ١). وَقَالَ السُّدِّيُّ: فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ
بِجَهَاتِهِمْ ٢). فَأَتَاهُمْ مِنْ بَاسِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ
﴿وَحَافٍ بِهِمْ﴾ أَيُّ: أَحَاطَ بِهِمْ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
أَيُّ: يُكَذِّبُونَ وَيَسْتَبْعِدُونَ وَفُوعُهُ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا﴾ أَيُّ:
عَايَنُوا وَفُوعَ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا
بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أَيُّ: وَحَدُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَفَرُوا
بِالطَّاعُونَ، وَلَكِنْ حَيْثُ لَا تُقَالُ الْعَثْرَاتُ، وَلَا تَنْفَعُ
الْمُعْذِرَةُ، وَهَذَا كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ:
﴿آمَنْتُ أَنَّمَا لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَآكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنْتَ مِنَ الْمُسْخَرِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] أَيُّ: فَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ
مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ لِنَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
دُعَاةً حِينَ قَالَ: ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وَهَكَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿فَلَمَّا
يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سَنَّ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي
عِبَادِهِ﴾ أَيُّ: هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ
الْعَذَابِ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ» ٣). أَيُّ فَإِذَا غَرَّغَ،
وَلَبَّغَتِ الرُّوحَ الْحَنْجَرَةَ، وَعَايَنَ الْمَلِكُ فَلَا تَوْبَةَ حِينَئِذٍ،
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾
[آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ].

تَفْسِيرُ سُورَةِ فَصَّلَتْ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢) كَتَبْتُ فَصَّلَتْ ءَايَاتُهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرَضَ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي
آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥)
[صِفَةُ الْقُرْآنِ وَأَقْوَالُ الْمُعْرِضِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿حَمْدٌ ١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بِغَيْرِ
الْقُرْآنِ مَنَزَّلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ٥٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ

فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً مِثْلَ صَبْعَةٍ
 عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
 فَأَنَّا بِنَا أَرْسَلْنَا بِهِ كُفْرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
 ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْسَبَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ
 عَذَابَ الْخُرْبِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابٍ آخِرٍ وَهُمْ
 لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
 الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَبْعَةٌ الْعَذَابِ أَلْهَوْا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿١٧﴾ وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَعْتَدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
 أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ
 عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلُّوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

بِسْمَةِ وَيَضْفُفُ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ الصَّلَوَاتِ
 الْخَمْسَ وَفَصَّلَ شُرُوطَهَا وَأَرْكَانَهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ
 شَيْئًا فَشَيْئًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: غَيْرُ
 مَقْطُوعٍ وَلَا مَجْبُوبٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا
 [الكهف: ٣] وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مُجْدُوفٍ﴾ [هود: ٨].

﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْمَكِيدِينَ﴾ بِأَلَدَى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَهَا
 لَمْ أَدْعَا ذَلِكَ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا مِنْ قَبْلِهِ وَبَرَكَ
 فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِئَاسًا بَيْنَ يَدَيْهِ
 إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ كَمَا قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا
 أَنْتَيْنَا طَائِعَتَانِ ﴿١١﴾ فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ

أَكِنَّةٍ ﴿١٢﴾ أَيٍّ: فِي غُلْفٍ مُغَطَّاةٍ ﴿مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ وَفِي آدَانَا
 وَفَرْ﴾ أَيٍّ: صَمَمَ عَمَّا جِئْنَا بِهِ ﴿وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾
 فَلَا يَصِلُ إِلَيْنَا شَيْءٌ مِمَّا نَقُولُهُ ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ أَيٍّ:
 اْعْمَلْ أَنْتَ عَلَى طَرِيقَتِكَ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقَتِنَا لَا تَتَابَعُكَ.
 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا﴾ وَيُلَى لِلْمُشْرِكِينَ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ﴿٨﴾

[الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ
 الْمُشْرِكِينَ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
 وَاحِدٌ﴾ لَا كَمَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ وَالْأَرْبَابِ
 الْمُتَفَرِّقِينَ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ أَيٍّ:
 أَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ عَلَى مَنَاقِبِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ
 الرُّسُلِ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا﴾ أَيٍّ لِسَالِفِ الذُّنُوبِ ﴿وَيُلَى لِلْمُشْرِكِينَ﴾
 أَيٍّ: دَمَارٌ لَهُمْ وَهَلَاكٌ عَلَيْهِمْ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِينَ لَا
 يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ^(١). وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ ^(٢). وَهَذَا
 كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ
 دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ
 مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَذَكَرَ اسْمُ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الاعلى: ١٤، ١٥]، وَقَوْلِهِ
 عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن زَكَّاهَا﴾ [النازعات: ١٨] وَالْمُرَادُ
 بِالزَّكَاةِ هَهُنَا طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِنْ أَمِّ
 ذَلِكَ طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الشَّرِّ، وَزَكَاةُ الْمَالِ إِنَّمَا سُمِّيَتْ
 زَكَاةً لِأَنَّهَا تُطَهَّرُ مِنَ الْحَرَامِ، وَتَكُونُ سَبَبًا لِيَزَادَتْهُ وَبَرَكَتُهُ،
 وَكَثْرَةُ نَفْعِهِ وَتَوْفِيقًا إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي الطَّاعَاتِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ. وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ
 عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٣). وَفِيهِ نَظَرٌ؛
 لِأَنَّ إِيْجَابَ الزَّكَاةِ إِنَّمَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى
 الْمَدِينَةِ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَهَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ اللَّهُمَّ
 إِلَّا أَنْ يُقَالَ: لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الصَّدَقَةِ وَالزَّكَاةِ كَانَ
 مَأْمُورًا بِهِ فِي ابْتِدَاءِ الْبُعْثَةِ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنذَرُوا
 حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. فَأَمَّا الزَّكَاةُ ذَاتُ النُّصَبِ وَالْمَقَادِيرِ
 فَلَمَّا بَيَّنَّ أَمْرَهَا بِالْمَدِينَةِ، وَيَكُونُ هَذَا جَمْعًا بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ.
 كَمَا أَنَّ أَصْلَ الصَّلَاةِ كَانَ وَاجِبًا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
 غُرُوبِهَا فِي ابْتِدَاءِ الْبُعْثَةِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْإِسْرَاءِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ

(١) الطبري: ٤٣٠/٢١ (٢) الطبري: ٤٣٠/٢١ (٣) الطبري: ٤٣١/٢١

سَمَاءٍ أَمَرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٧﴾

[بَعْضُ تَفَاصِيلِ خَلْقِ هَذَا الْكَوْنِ]

هَذَا إِنكَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبْدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْفَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُقْتَدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ أَيُّ: نَظَرَاءَ وَأَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْأَلَمِينَ﴾ أَيُّ: الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلُّهُمْ. وَهَذَا الْمَكَانُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فَفَصَّلَ هُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا؛ لِأَنَّهَا كَأَسَاسٌ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ ثُمَّ بَعْدَهُ بِالشَّغْفِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾... الآية [البقرة: ٢٩]. فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهُنَّ ﴿٣٨﴾ وَأَغَطَّسَ لِبَلَاهَا وَأَخْرَجَ ضَمَكَهَا ﴿٣٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٤٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٤١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ مِمَّا لَكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣] فَبَيَّنَ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ [دُحُوًّا] الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ، وَبِهَذَا أَجَابَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ صَحِيحِهِ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنِّي لَأَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قَالَ: ﴿فَلَا أَسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهُ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَاللَّهُ رِثَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فَقَدْ كَتَبُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٣٠] فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَالَمِينَ﴾ فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، قَالَ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] ﴿غَرِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦] ﴿سِيمًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَا أَسَابَ بَيْنَهُمْ

يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فِي التَّفْخَةِ الْأُولَى، ثُمَّ نَفَّخَ فِي الصُّورِ ﴿فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فَلَا أَسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، [ثُمَّ] فِي التَّفْخَةِ الْآخِرَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٣٧]، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ رِثَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهُ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نَقُولَ: لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ فَيُخْتَمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُعْرَفُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، وَعِنْدَهُ ﴿يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... الآية [النساء: ٤٢]، وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ، وَدَحَاهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَخَلَقَ الْجِبَالَ وَالرَّمَالَ وَالْجَمَادَ وَالْأَكَامَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] سَمَّى نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أَيُّ: لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزِدْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ. فَلَا يَخْتَلِفَنَّ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(١).

وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ بَعْضُهُ: يَوْمُ الْوَاحِدِ وَيَوْمُ الْاِثْنَيْنِ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِيسًا مِنْ قَوْفِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾ أَيُّ: جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَالْبَذَرِ وَالْغُرَاسِ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، وَهُوَ مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَمَاجِنِ الَّتِي تُزْرَعُ وَتُغْرَسُ يَعْنِي يَوْمَ الثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَاءِ، فَهَمَّا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ أَيُّ: لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ جَعَلَ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَا لَا يَضِلُّ فِي غَيْرِهَا وَمِنْهُ الْعُصْبُ بِالْيَمَنِ وَالسَّابُورِيُّ بِسَابُورٍ وَالطَّيْلِسَةُ بِالرِّيِّ ^(٢). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَتَقَادَةُ وَالسُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ أَيُّ: لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ ^(٣). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَعْنَاهُ ﴿وَقَدَّرَ

(١) فتح الباري: ٤١٨/٨ (٢) الطبري: ٤٣٦/٢١ (٣)

الطبري: ٤٣٨/٢١

فِيهَا أَقْوَمَتْ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْمُذَلِّينَ ﴿١٣﴾ أَيُّ: عَلَى وَفْقٍ [مُرَادٍ] مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى رِزْقٍ أَوْ حَاجَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهُ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ ^(١). وَهَذَا الْقَوْلُ يُشَبِّهُ مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَكُمْ مِنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وَهُوَ بُخَارُ الْمَاءِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْهُ حِينَ خُلِقَتِ الْأَرْضُ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِمَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أَيُّ: اسْتَجَبْنَا لِأَمْرِي وَانْفَعِلَا لِإِعْلَافِي طَائِعَتَيْنِ أَوْ مُكْرَهَتَيْنِ ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَتَيْنِ﴾ أَيُّ: بَلْ نَسْتَجِيبُ لَكَ مُطِيعِينَ بِمَا فِينَا مِمَّا تُرِيدُ خَلْقَهُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَمِيعًا مُطِيعِينَ لَكَ، ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أَيُّ: فَفَرَّغَ مِنْ تَسْوِيَّتِهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ أَيُّ: آخَرَيْنِ وَهُمَا يَوْمُ الْخَوَاسِ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أَيُّ: وَرَتَّبَ مَقَرًّا فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴿وَرَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِضُبُوحٍ﴾ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الْمُنِيرَةُ الْمُشْرِقَةُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ﴿وَجِفْظًا﴾ أَيُّ حَرَسًا مِنَ الشَّيَاطِينِ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أَيُّ: الْعَزِيزُ الَّذِي قَدْ عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ فَعَلَبَهُ وَفَقَرَهُ، الْعَلِيمُ بِجَمِيعِ حَرَكَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَكَتَاتِهِنَّ.

﴿فَإِنْ أَغْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمِ وَهُمْ خَلَفِيهِمْ وَمَنْ خَلَفِيهِمْ إِلَّا تَعَدَّوْا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَحْنُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿١٨﴾

[تَنْبِيهِ لِلْمُكَذِّبِينَ وَتَذَكِيرٌ لَهُمْ بِقَضَاءِ عَادٍ وَثَمُودَ]

يَقُولُ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ إِنْ أَغْرَضْتُمْ عَمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنِّي أَنْذَرُكُمْ حُلُولَ نِقْمَةِ اللَّهِ بِكُمْ كَمَا حَلَّتْ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْمُرْسَلِينَ ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أَيُّ: وَمَنْ شَاكَلَهُمَا مِمَّنْ فَعَلَ كَفَعْلِهِمَا إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمِ وَهُمْ خَلَفِيهِمْ وَمَنْ خَلَفِيهِمْ

تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ لَمَّا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الأحقاف: ٢١] أَيُّ: فِي الْفَرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبِلَادِهِمْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ يَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، [وَرَأَوْا] مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ مِنَ النِّقَمِ، وَمَا أَلْبَسَ أَوْلِيَائَهُ مِنَ النِّعَمِ، وَمَعَ هَذَا مَا آمَنُوا وَلَا صَدَّقُوا، بَلْ كَذَّبُوا وَجَحَدُوا وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أَيُّ: لَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ رُسُلًا لَكَانُوا مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أَيُّ: أَيُّهَا الْبَشَرُ ﴿كَافِرُونَ﴾ أَيُّ: لَا تَتَّبِعُكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أَيُّ: بَغَوْا وَعَتَوْا وَعَصَوْا ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أَيُّ: مَنُوا بِشِدَّةِ تَرْكِيبِهِمْ وَقُوَّاهُمْ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ بِهَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴿أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أَيُّ: أَفَمَا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَنْ يُبَارِزُونَ بِالْعَادَاةِ فَإِنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَرَكَّبَ فِيهَا قُوَّاهَا الْحَامِلَةَ لَهَا وَأَنْ يَطْشَهُ شَدِيدٌ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] فَبَارِزُوا الْجَبَّارَ بِالْعَادَاةِ وَجَحَدُوا بِآيَاتِهِ وَعَصَوْا رُسُلَهُ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهِيَ شَدِيدَةُ الْهُبُوبِ. وَقِيلَ: الْبَارِدَةُ. وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَهَا صَوْتُ وَالْحَقُّ أَنَّهَا مُتَّصِفَةٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا كَانَتْ رِيحًا شَدِيدَةً قُوَّتُهُ لِيَتَكُونُ عُقُوبَتُهُمْ مِنْ جَنْسِ مَا اغْتَرَوْا بِهِ مِنْ قُوَّاهُمْ وَكَانَتْ بَارِدَةً شَدِيدَةً الْبُرْدِ جِدًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] أَيْ بَارِدَةٍ شَدِيدَةٍ وَكَانَتْ ذَاتَ صَوْتٍ مُرْجَجٍ، وَمِنْهُ سَمِيَ النَّهْرُ الْمَشْهُورُ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ "صَرْصَرًا" لِقُوَّةِ صَوْتِ جَرِيهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ﴾ أَيُّ: مُتَتَابِعَاتٍ ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧] وَكَقَوْلِهِ: ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ مُتَمَرٍّ﴾ [القمر: ١٩] أَيُّ: اتَّخَذُوا بِهَذَا الْعَذَابِ فِي يَوْمٍ نَحَسٍ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَاتَّصَلَ بِهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ أَيُّ: أَشَدُّ خِزْيًا لَهُمْ ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أَيُّ فِي الْآخِرَةِ كَمَا لَمْ يُبْصِرُوا فِي الدُّنْيَا، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ يَقِيهِمُ الْعَذَابَ، وَبَدَرَأَ عَنْهُمْ التَّكَالَ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

٤٧٩

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ بَصُرُوا قَالَ تَارَ مَتَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْآخِرَةِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَيْنَا مِنَ الْغَنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدْ آمَنَّا لِيَكُونَ مِنَ الْآسَفِينَ ﴿٢٩﴾

صَحِجَتْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ أَيِّ شَيْءٍ صَحِجَتْ؟ قَالَ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّي، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي، قَالَ: بَلَى. فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَقْبِلُ عَلَيْكَ شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَوَلَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ - قَالَ - : فَيَرُدُّ هَذَا الْكَلَامَ مِرَارًا - قَالَ - : فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكَ لَكُنْ وَسَحَقًا، عَنكَ كُنْتُ أَجَادِلُ»^(١). رَوَاهُ هُوَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٢). وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتَّسَائِي^(٣). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: وَيُدْعَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لِلْحِسَابِ فَعَرِضَ عَلَيْهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلَهُ، فَيَجْعَدُ وَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ كَتَبَ عَلَيَّ هَذَا الْمَلَكُ مَا لَمْ أَعْمَلْ. فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: أَمَّا عَمِلْتَ كَذَا

﴿وَأَمَّا تَعْمُدُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَالشَّيْثِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: بَيَّنَّا لَهُمْ^(١). وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: دَعَوْنَاهُمْ ﴿فَأَسْتَجَبُوا أَلَمَ عَلَى الْهَدَى﴾ أَيُّ: بَصَرْنَاهُمْ، وَبَيَّنَّا لَهُمْ وَوَضَحْنَا لَهُمْ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ وَعَقَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَهَا آيَةً وَعَلَامَةً عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ ﴿فَاخَذَتْهُمْ صَیْقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أَيُّ: بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَرَجْفَةً وَذُلًّا وَهَوَانًا وَعَذَابًا وَنَكَالًا ﴿يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَيُّ: مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْجُمُودِ ﴿وَجَحَّتْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيُّ: مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، لَمْ يَمْسَهُمْ سُوءٌ وَلَا نَالَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ضَرَرٌ، بَلْ نَجَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِتَقْوَاهُمْ لَكَ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَإِنْ بَصُرُوا قَالَ تَارَ مَتَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٣٠﴾

[يَوْمَ الْحَشْرِ تَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُجْرِمِينَ عَلَيْهِمْ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أَيُّ: أَذْكَرُ لَهُوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ يُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ يُوزَعُونَ أَيُّ: تَجْمَعُ الزَّبَانِيَةُ أَوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدَا﴾ [مریم: ٨٦] أَيُّ: عَطَاشًا. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ أَيُّ: وَقَفُوا عَلَيْهَا ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: بِأَعْمَالِهِمْ مِمَّا قَدَّمُوهُ وَأَخَّرُوهُ لَا يَكُنْتُمْ مِنْهُ حَزَفٌ ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا﴾ أَيُّ: لَا مَوَا أَعْضَاءَهُمْ وَجُلُودُهُمْ جِنِّ شَهِدُوا عَلَيْهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَجَابَتْهُمْ الْأَعْضَاءُ ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أَيُّ: فَهَوُ لَا يُخَالَفُ، وَلَا يُمَانَعُ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَحِجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَتَبَسَّمَ فَقَالَ ﷺ: «أَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ أَيِّ شَيْءٍ

(١) الطبري: ٤٤٨/٢١ (٢) الحاكم: ٦٠١/٤ (٣) الطبري:

٤٥٢/٢١ (٤) مسلم: ٢٢٨٠/٤ والنسائي في الكبرى: ٥٠٨/٦

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسَفِينَ ﴿٢٩﴾

[قُرْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ سُوءَ الْأَعْمَالِ] يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَضَلَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَكَوْنِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ بِمَا قَيَّضَ لَهُمْ مِنَ الْقُرْنَاءِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أَيُّ: حَسَّنُوا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فِي الْمَاضِي وَبِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، فَلَمْ يَرَوْا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا مُحْسِنِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَمْ يَشِطَّنَا فَهُوَ لَمْ يَرَيْنِ﴾ ﴿٣١﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الرُحُوفُ: ٣٦، ٣٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أَيُّ: كَلِمَةُ الْعَذَابِ كَمَا حَقَّ عَلَى أُمِّهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلَ كَقَوْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ أَيُّ: اسْتَوُوا هُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي الْخَسَارِ وَالذَّمَارِ.

[تَوَاصِي الْكُفَّارِ بِالْامْتِنَاعِ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَجَزَاءِ ذَلِكَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ أَيُّ: تَوَاصَوْا فِيْمَا بَيْنَهُمْ أَنْ لَا يُطِيعُوا لِلْقُرْآنِ، وَلَا يُنْقَادُوا لِأَوَامِرِهِ ﴿وَالْقَوَا فِيهِ﴾ أَيُّ: إِذَا ثَلِيَ لَا تَسْمَعُوا لَهُ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ ﴿وَالْقَوَا فِيهِ﴾ يَعْنِي بِالْمُكَاةِ وَالصَّفِيرِ وَالتَّخْلِيصِ فِي الْمَنْطِقِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ - قُرَيْشٌ تَعْلَهُ. وَقَالَ الصَّحَّاحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالْقَوَا فِيهِ﴾ عَيَّبُوا فِيهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هَذَا حَالٌ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِخِلَافِ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ثُمَّ قَالَ

فِي يَوْمٍ كَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ أَيُّ رَبِّ مَا عَمِلْتَهُ. قَالَ: فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خُتِمَ عَلَى فِيهِ. قَالَ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِنِّي لَأَحْسِبُ أَوَّلَ مَا يَنْطِقُ مِنْهُ فَخِذُهُ الْيُمْنَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِزُّونَ أَنْ يَتَّهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أَيُّ: تَقُولُ لَهُمْ الْأَغْضَاءُ وَالْجُلُودُ حِينَ يَلُومُونَهَا عَلَى الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ مِنَّا الَّذِي كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ، بَلْ كُنْتُمْ تَجَاهِرُونَ اللَّهَ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا تَبَالُونَ مِنْهُ فِي زَعْمِكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ جَمِيعَ أَفْعَالِكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْكَ؟ أَيُّ: هَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ، وَهُوَ اغْتِقَادُكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، هُوَ الَّذِي أَتْلَفَكُمْ وَأَرَدَاكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أَيُّ: فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ خَسِرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مُسْتَسِرًّا بِأَسْتَارِ الْكُعْبَةِ فَجَاءَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ قُرَشِيٍّ وَخَتَنَاءُ ثَقَفِيَّانَ - أَوْ ثَقَفِيٍّ وَخَتَنَاءُ قُرَشِيَّانَ - كَثِيرٌ شَحْمٌ بَطُونُهُمْ، قَلِيلٌ فِيهِ قُلُوبُهُمْ فَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَسْمَعُهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَنَا هَذَا، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْهُ لَمْ يَسْمَعْهُ فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلُّهُ - قَالَ - فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِزُّونَ أَنْ يَتَّهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَمِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(١) وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٢). وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا بِنَحْوِهِ ^(٣). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَلِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَصِينَ﴾ أَيُّ: سِوَاءَ عَلَيْهِمْ صَبَرُوا أَمْ لَمْ يَصْبِرُوا هُمْ فِي النَّارِ لَا مُجِيدَ لَهُمْ عَنْهَا وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا، وَإِنْ طَلَبُوا أَنْ يُسْتَعْتَبُوا وَيَبْدُوا أَغْدَارًا فَمَا لَهُمْ أَغْدَارٌ وَلَا تُقَالُ لَهُمْ عَثْرَاتٌ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ أَيُّ: يَسْأَلُوا الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا فَلَا جَوَابَ لَهُمْ قَالَ: وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿٣٢﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ قَالَ أَخَشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ ^(٥) [المؤمنون: ١٠٦-١٠٨].

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

(١) أحمد: ٣٨١/١ (٢) تحفة الأحوذى: ١٢٣/٩ (٣)

أحمد: ٤٠٨/١ ومسلم: ٢١٤٢/٤ وتحفة الأحوذى: ١٢٤/٩

(٤) فتح الباري: ٤٢٥، ٤٢٤/٨ ومسلم: ٢١٤٢، ٢١٤١/٤ (٥)

الطبري: ٤٥٨/٢١

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ تَعْنُ أُولِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢١﴾ تَزْلُمْنَ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُوحَضِّ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾

تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قَالَ: فَقَالُوا: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ مِنْ ذَنْبٍ فَقَالَ: لَقَدْ حَمَلْتُمُوهُ عَلَى غَيْرِ الْمَحْمُولِ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ ^(٥). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ^(٦).

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرِ أَغْتَصِمُ بِهِ قَالَ ﷺ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرَ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَرْفِ لِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا» ^(٧). وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٨). وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالتَّسَائِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ

(١) الطبري: ٤٦٢/٢١ (٢) الطبري: ٤٦٢/٢١ (٣) فتح الباري: ٤١٩/٦ (٤) الطبري: ٤٦٤/٢١ (٥) الطبري: ٢١/٢١ (٦) الطبري: ٤٦٥/٢١ (٧) أحمد: ٤١٣/٣ (٨) تحفة الأحادي: ٩١/٧ وابن ماجه: ١٣١٤/٢

عَزَّ وَجَلَّ مُتَّصِرًا لِلْقُرْآنِ وَمُتَمِّمًا مِمَّنْ عَادَاهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرَانِ ﴿فَلْيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أَي: فِي مُقَابَلَةِ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي الْقُرْآنِ عِنْدَ سَمَاعِهِ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَي: بِشَرِّ أَعْمَالِهِمْ وَسَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامًا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿قَالَ سُفْيَانُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ أُضْلَلْنَا﴾ قَالَ: إِبْلِيسُ وَابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ ^(١). وَقَالَ السُّدِّيُّ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَإِبْلِيسُ يَدْعُو بِهِ كُلُّ صَاحِبٍ شِرْكَ، وَابْنُ آدَمَ يَدْعُو بِهِ كُلُّ صَاحِبٍ كِبِيرَةٍ، فَإِبْلِيسُ [هُوَ] الدَّاعِي إِلَى كُلِّ شَرٍّ مِنْ شِرْكَ فَمَا دُونَهُ وَابْنُ آدَمَ الْأَوَّلُ ^(٢). كَمَا بَيَّنَّ فِي الْحَدِيثِ: «مَا قُتِلَتْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» ^(٣). وَقَوْلُهُمْ: ﴿جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامًا﴾ أَي: أَسْفَلَ مِنَّا فِي الْعَذَابِ لِيَكُونَا أَشَدَّ عَذَابًا مِنَّا، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أَي: فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْأَعْرَافِ فِي سُؤَالِ الْأَتْبَاعِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَ قَادَتَهُمْ أَضْعَافَ عَذَابِهِمْ ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨] أَي: أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَعْطَى كُلًّا مِنْهُمْ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ بِحَسَبِ عَمَلِهِ وَإِفْسَادِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ تَعْنُ أُولِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢١﴾ تَزْلُمْنَ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢٢﴾

[الْبَشَارَةُ لِلْمُوحِّدِينَ ذَوِي الْإِسْتِقَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أَي: أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ لَهُمْ. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَمْرَانَ، قَالَ: قَرَأْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ^(٤). ثُمَّ رَوَى مِنْ حَدِيثِ الْأَسْوَدِ ابْنِ هِلَالٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا

[فَضْلُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ]

يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾^(١) أَي: دَعَا عِبَادَ اللَّهِ إِلَيْهِ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أَي: هُوَ فِي نَفْسِهِ مُهْتَدٍ بِمَا يَقُولُهُ فَتَفَعَّلَ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَأْتُونَهُ، بَلْ يَأْتُمِرُ بِالْخَيْرِ وَيَتْرُكُ الشَّرَّ، وَيَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذِهِ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى الْخَيْرِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُهْتَدٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَى النَّاسِ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ وَالسُّدِّيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بَنِ أَسْلَمَ^(٢). وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا الْمُؤَدِّثُونَ الصُّلَحَاءَ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «الْمُؤَدِّثُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَغْنَاءًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣). وَفِي السُّنَنِ مَرْفُوعًا: «الْإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَدِّثُ مُؤْتَمَنٌ، فَأَرْشَدَ اللَّهُ الْأَيِّمَةَ وَغَفَرَ لِلْمُؤَدِّثِينَ»^(٤). وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي الْمُؤَدِّثِينَ وَفِي غَيْرِهِمْ، فَأَمَّا حَالُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْأَذَانُ مَشْرُوعًا بِالْكَلْبَةِ؛ لِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَالْأَذَانُ إِنَّمَا شُرِعَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ حِينَ أَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَنَامِهِ فَقَصَّصَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُ أَنْ يُلْقِيَهُ عَلَى بِلَالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ أُنْذِيَ صَوْتًا، كَمَا هُوَ مُفَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ. فَالصَّحِيحُ: إِذَا أَتَاهَا عَامَّةٌ كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فَقَالَ: هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ، هَذَا خَيْرُهُ اللَّهُ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، أَجَابَ اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ، وَقَالَ: إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا خَلِيفَةُ اللَّهِ^(٥).

[الْحِكْمَةُ فِي الدَّعْوَةِ وَغَيْرَهَا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ أَي: فَرَقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ ﴿أَدْفَعْ بِاللَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ﴾ أَي: مَنْ

يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ ﷺ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ...» وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَتَرَزَلْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَابْنُهُ: يُعْنِي عِنْدَ الْمَوْتِ قَائِلِينَ: ﴿أَلَا تَحْشَرُونَ؟﴾^(٢). قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: أَي: مِمَّا تُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ^(٣). ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ عَلَى مَا خَلَقْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنْ وَلَدٍ وَأَهْلٍ وَمَالٍ أَوْ دِينٍ فَإِنَّا نَخْلُقُكُمْ فِيهِ ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فَيُبَشِّرُونَهُمْ بِذَهَابِ الشَّرِّ وَحُصُولِ الْخَيْرِ. وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ: اخْرُجِي أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتَ تَعْمُرِينِي، اخْرُجِي إِلَى رُوحٍ وَرَبِّحَانِ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانِ»^(٤). وَقِيلَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَّلُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: يُبَشِّرُونَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَفِي قَبْرِهِ وَحِينَ يُنْعَثُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا، وَهُوَ حَسَنٌ جِدًّا، وَهُوَ الْوَاقِعُ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ: نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءَكُمْ أَي: قُرَنَاءَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا نُسَدِّدُكُمْ وَنُوفِّقُكُمْ وَنَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ؛ نُؤْنِسُ مِنْكُمْ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ وَعِنْدَ النَّمُوحَةِ فِي الصُّورِ وَنُؤَمِّنُكُمْ يَوْمَ الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، وَنُجَاوِزُ بِكُمْ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَنُوصِّلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ﴾ أَي: فِي الْجَنَّةِ مِنْ جَمِيعِ مَا تَخْتَارُونَ مِمَّا تَشْتَهِيهِ النُّفُوسُ وَتَقْرُبُ بِهِ الْعُيُونُ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ أَي: مَهْمَا طَلَبْتُمْ وَجَدْتُمْ وَحَضَرَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ كَمَا اخْتَرْتُمْ ﴿تَزَلَّ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أَي: ضِيَاةً وَعَطَاءً وَإِنْعَامًا مِنْ غَفُورٍ لَذُنُوبِكُمْ، رَحِيمٍ بِكُمْ رُؤُوفٍ، حَيْثُ غَفَرَ وَسَرَّ وَرَحِمَ وَلَطَفَ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِاللَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُرٌّ حَصَلٌ عَظِيمٌ وَإِنَّمَا يَرْتَعَنُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

(١) مسلم: ٦٥/١ (٢) الطبري: ٤٦٦/٢١ والقرطبي: ١٥

(٣) ٣٥٨ الطبري: ٤٦٧/٢١ (٤) أحمد: ٢٨٧/٤ (٥)

القرطبي: ٣٦٠/١٥ (٦) مسلم: ٢٩٠/١ (٧) أبو داود: ١

٣٥٦ وتحفة الأحوذى: ١٦٤/١ (٨) عبد الرزاق: ١٨٧/٢

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاها لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْكُمُونَ عَيْنًا أُنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خِزَامٌ مِّنْ يَّأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَةٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءِجْعَلُ
 وَعَرَفِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ أُولَئِكَ
 يُنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

[مِنْ آيَاتِ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْهًا خَلْقَهُ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنَّهُ الَّذِي
 لَا نَظِيرَ لَهُ، عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ ﴿٤٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٤١﴾ أَنَّهُ خَلَقَ اللَّيْلَ بِظُلَامِهِ وَالنَّهَارَ
 بِضِيَائِهِ - وَهُمَا مُعَاقِبَانِ لَا يَفْتَرَانِ - وَالشَّمْسُ نُورُهَا
 وَإِشْرَاقُهَا، وَالْقَمَرُ وَضِيَاءُهُ وَتَقْدِيرُ مَنَازِلِهِ فِي فَلَكِهِ،
 وَاخْتِلَافُ سِيرِهِ فِي سَمَائِهِ؛ لِيُعَرَفَ بِاخْتِلَافِ سِيرِهِ وَسِيرِ
 الشَّمْسِ مَقَادِيرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْجُمُعِ وَالشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ،
 وَيَتَبَيَّنُ بِذَلِكَ حُلُولُ الْحُقُوفِ وَأَوْقَاتُ الْعِبَادَاتِ
 وَالْمُعَامَلَاتِ. ثُمَّ لَمَّا كَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ أَحْسَنَ الْأَجْزَامِ
 الْمُشَاهِدَةِ فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ تَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُمَا
 مَخْلُوقَانِ عَبْدَانِ مِنْ عِبِيدِهِ، تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ فَقَالَ:
 ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ
 إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ أَنَّى: وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، فَمَا

أَسَاءَ إِلَيْكَ فَادْفَعُهُ عَنْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ عُمَرُ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيكَ بِعِثْلٍ أَنْ تُطِيعَ
 اللَّهُ فِيهِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
 وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَهُوَ الصَّدِيقُ أَيُّ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ
 إِلَيْكَ قَادَتْهُ تِلْكَ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ إِلَى مُصَافَاةِكَ وَمَحَبَّتِكَ وَالْحُنُوِّ
 عَلَيْكَ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ لَكَ حَمِيمٌ، أَيُّ: قَرِيبٌ إِلَيْكَ
 مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْكَ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا
 يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَرَفُوا﴾ أَيُّ: وَمَا يَقْبَلُ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ وَيَعْمَلُ
 بِهَا إِلَّا مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ ﴿وَمَا
 يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ أَيُّ: ذُو نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ
 السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ
 ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّبْرِ
 عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ، وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ،
 فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَخَضَعَ لَهُمْ
 عَدُوَّهُمْ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ
 بِاللَّهِ﴾ أَيُّ: إِنَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ رُبَّمَا يَنْخَدِعُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ
 فَمَا شَيْطَانُ الْجَنِّ فَإِنَّهُ لَا حِيلَةَ فِيهِ إِذَا وَسَّوسَ إِلَّا
 الْإِسْتِعَاذَةَ بِخَالِقِهِ الَّذِي سَلَّطَهُ عَلَيْكَ، فَإِذَا اسْتَعِذْتَ بِاللَّهِ
 وَالتَّجَأْتَ إِلَيْهِ كَفَّهُ عَنْكَ وَرَدَّ كَيْدَهُ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»^(٢). وَقَدْ قَدَّمْنَا
 أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ
 عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
 الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
 إِنَّهُمْ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿[الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠]﴾ وَفِي سُورَةِ
 الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ السَّنَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ
 بِمَا يَصِفُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾
 وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
 لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ
 لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى
 الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ
 لَمُنِعُوا الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

تَنْفَعُكُمْ عِبَادَتُكُمْ لَهُ مَعَ عِبَادَتِكُمْ لِعَبْدِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ أَيُّ: عَنْ إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يُشْرِكُوا مَعَهُ غَيْرَهُ ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ ﴿يَسْتَحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّبِيِّينَ﴾ أَيُّ: عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى إِعَادَةِ الْمُؤْتَى ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أَيُّ: هَامِدَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا، بَلْ هِيَ مَيِّتَةٌ ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أَيُّ: أَخْرَجَتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَوَانِ الزَّرُوعَ وَالشَّجَارَ ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَمَّنْ يُلْفَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَةٌ عَزِيزٌ (١٩) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٢٠) مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٢١)

[المُشْرِكُونَ وَأَثَرُ الدَّعْوَةِ فِيهِمْ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْقُرْآنَ وَفَصَّاحَتَهُ وَبَلَاغَتَهُ وَإِحْكَامَهُ فِي لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الْمُشْرِكُونَ نَبَهَ عَلَى أَنَّ كُفْرَهُمْ بِهِ كُفْرٌ عِنَادٍ وَتَعَنَّتْ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ (١٨) فَقَرَأَتْ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩] وَكَذَلِكَ لَوْ أَنْزَلَ الْقُرْآنُ كُلَّهُ بِلُغَةِ الْعَجَمِ لَقَالُوا عَلَى وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَالْعِنَادِ ﴿لَوْ لَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ عَاجِمِي وَعَرَبِي﴾ أَيُّ: لَقَالُوا: هَلَّا أَنْزَلَ مُفَصَّلًا بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَلَا تَكْرُوهَا ذَلِكَ فَقَالُوا: أَعْجَمِي وَعَرَبِي أَيُّ: كَيْفَ يَنْزِلُ كَلَامٌ أَعْجَمِي عَلَى مُحَاطِبِ عَرَبِي لَا يَفْهَمُهُ؟ هَكَذَا رَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَعِكْرَمَةَ وَسَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيَّ وَغَيْرَهُمْ (٥). ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ أَيُّ: قُلْ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ هُدًى لِقَلْبِهِ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الشُّكُوكِ وَالرَّيْبِ ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أَيُّ: لَا يَفْهَمُونَ مَا فِيهِ ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أَيُّ: لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ النَّبَيِّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَمَّنْ يُلْفَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَةٌ عَزِيزٌ (١٩) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٢٠) مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٢١)

[عِقَابُ الْمُلْحِدِينَ وَوَصْفُ الْقُرْآنِ بِكَوْنِهِ مَضُونًا

مَخْرُوسًا مِنَ الْبَاطِلِ]

قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْإِلْحَادُ وَضْعُ الْكَلَامِ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ (١). وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: هُوَ الْكُفْرُ وَالْعِنَادُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ فِيهِ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ أَيُّ: أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِمَنْ يُلْحِدُ فِي آيَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَسَجْزِيهِ عَلَى ذَلِكَ بِالْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُلْفَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أَيُّ: أَيْسَرُ هَذَا وَهَذَا؟ لَا يَسْتَوِيَانِ. ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ تَهْدِيدًا لِلْكَافِرَةِ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءُ الْخُرَاسَانِيُّ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾: وَعِيدٌ (٢). أَيُّ: مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، إِنَّهُ عَالِمٌ بِكُمْ وَيَصِيرُ بِأَعْمَالِكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيَّ وَقَتَادَةُ: وَهُوَ الْقُرْآنُ (٣). ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاِبَةٌ عَزِيزٌ﴾ أَيُّ: مَتَّعَ الْجَنَابِ، لَا يُرَامُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ بِمِثْلِهِ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أَيُّ: لَيْسَ لِلْبَاطِلِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ، لِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أَيُّ: حَكِيمٍ

(١) الطبري: ٤٧٨/٢١ (٢) الطبري: ٤٧٨/٢١ (٣) الطبري: ٤٨٢/٢١

(٤) الطبري: ٤٨١/٢١ (٥) الطبري: ٤٨٢/٢١

سُورَةُ الْفَصْلِ

٤٨٢

سُورَةُ الْفَصْلِ

﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُى قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ إِلَّا سِنًا مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَنْ أَذِقَنَّهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا ءِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدَّكَ عَرِيضٌ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ءَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾

الجميع يعلموه لا يغرب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا بِعِلْمِنَا﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال جلَّ عظمته: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ مِنْ ذَمِّهِمْ وَلَا يُفِضُ مِنْ غَمَرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُى﴾ أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق: أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ عَبْدْتُمُوهُمْ مَعِيَ ﴿قَالُوا ءَاذَنَّاكَ﴾ أي: أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكاً ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ذهبوا فلم ينعفهمهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ﴾ أي: وظنَّ المشركون يوم القيامة وهذا

خساراً ﴿[الإسراء: ٨٢]﴾ ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْني: بَعِيدٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ^(١). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَاهُ كَأَنَّ مَنْ يُخَاطِبُهُمْ يُنَادِيهِمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُ^(٢). قُلْتُ: وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقِي بِمَاءٍ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَهُ وَنِدَاءَهُ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

[الْإِشَارَةُ إِلَى النَّاسِي بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ أَتَى: كُذِّبَ وَأُوذِيَ﴾ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى بَتَأْخِيرِ الْحِسَابِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ﴾ ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مُوْتَلًا ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: وَمَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ عَنْ بَصِيرَةٍ مِنْهُمْ لِمَا قَالُوا، بَلْ كَانُوا شَاكِينَ فِيمَا قَالُوهُ غَيْرَ مُحَقِّقِينَ لِشَيْءٍ كَانُوا فِيهِ. هَكَذَا وَجَّهَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ مُحْتَمِلٌ^(٣). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُى قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ ﴿٤٨﴾﴾

[كُلُّ يُجَازَى حَسَبَ عَمَلِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: إِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: إِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: لَا يَعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ وَلَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَإِذْ سَالَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ.

[عِلْمُ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ]

ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ سَيِّدُ الْبَشَرِ لِحَبْرَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ الْمَلَائِكَةِ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(٤). وَكَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ [النازعات: ٤٤] وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا يَحِيطُ بِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي:

(١) الطبري: ٤٨٥/٢١ (٢) الطبري: ٤٨٤/٢١ (٣) الطبري:

٤٨٧/٢١ (٤) فتح الباري: ١٤٠/١

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَأْتِيَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٣﴾

[الْقُرْآنُ وَدَلَائِلُ صَدَقِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكْذِبِينَ بِالْقُرْآنِ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أَيُّ: كَيْفَ تَرَوْنَ حَالَكُمْ عِنْدَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أَيُّ فِي كُفْرٍ وَعِنَادٍ وَمُسَاقَاةٍ لِلْحَقِّ وَمَسْلَكٍ بَعِيدٍ مِنَ الْهُدَىٰ ثُمَّ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سَرِيبُهُمْ ءَابِتَاتٌ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أَيُّ: سَظْهَرُ لَهُمْ دَلَالَاتُنَا وَحُجَجُنَا عَلَىٰ كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا مُّزَلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدَلَائِلٍ خَارِجِيَّةٍ ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ مِنْ الْفُتُوحَاتِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقَالِيمِ وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ: وَدَلَائِلُ فِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا: وَقَعَةُ بَدْرٍ وَفَتْحُ مَكَّةَ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ، نَصَرَ اللَّهُ فِيهَا مُحَمَّدًا ﷺ وَصَحْبَهُ، وَخَذَلَ فِيهَا الْبَاطِلَ وَجِزْبَهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا الْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُ، وَفِيهِ وَعَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ [وَالْأَخْلَاطِ] وَالْهَيْئَاتِ الْعَجِيبَةِ كَمَا هُوَ مُبْسُوطٌ فِي عِلْمِ التَّشْرِيحِ الدَّلَالِ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَذَلِكَ مَا هُوَ مُجْبُولٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُبْتَايَةِ مِنْ حُسْنٍ وَقُبْحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ تَحْتَ الْأَقْدَارِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَجِيلُهُ وَحَدْرُهُ أَنْ يَجُوزَهَا وَلَا يَتَعَدَّهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَيُّ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا عَلَىٰ أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَأَقْوَالِهِمْ، وَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ كَمَا قَالَ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ... الْآيَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَّا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أَيُّ: فِي شَكٍّ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلِهَذَا لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ لَهُ وَلَا يَحْذَرُونَ مِنْهُ، بَلْ هُوَ عَنْدهُمْ هَذَرٌ، لَا يَعْبَأُونَ بِهِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ وَوَاقِعٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَقَرًّا أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ، وَإِقَامَةُ السَّاعَةِ لَدَيْهِ يَسِيرٌ سَهْلٌ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أَيُّ: الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا تَحْتَ قَهْرِهِ، وَفِي قَبْضَتِهِ،

بِمَعْنَى الْيَقِينِ ﴿مَا لَهُمْ مِّن مَّحِصٍ﴾ أَيُّ: لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْ عَذَابِ اللَّهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ﴿٥٤﴾ وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُمُ الْخُسْرَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آغْرَضْنَا بِحَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدَّ دُعَاءَ عَرِيضٍ ﴿٥٦﴾

[تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ حِينَ تَصِيبُهُ السَّرَّاءُ بَعْدَ الضَّرَّاءِ]

يَقُولُ تَعَالَى لَا يَمَلُّ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ رَبِّهِ بِالْخَيْرِ، وَهُوَ الْمَالُ وَصِحَّةُ الْجِسْمِ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ، وَهُوَ الْبَلَاءُ أَوْ الْفَقْرُ ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ أَيُّ: يَقَعُ فِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ لَا يَنْهَيَا لَهُ بَعْدَ هَذَا خَيْرٌ ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أَيُّ: إِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ وَرَزَقُ بَعْدَ مَا كَانَ فِي شِدَّةٍ لِيَقُولَنَّ: هَذَا لِي، إِنِّي كُنْتُ أَسْتَحِقُّهُ عِنْدَ رَبِّي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أَيُّ: يَكْفُرُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، أَيُّ: لِأَجْلِ أَنَّهُ خَوَّلَ نِعْمَةً يَبْطُرُ وَيَتَخَرَّ وَيَكْفُرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآفٍ﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى [العلق: ٦، ٧] ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُمُ الْخُسْرَىٰ﴾ أَيُّ: وَلَكِنْ كَانَ ثُمَّ مَعَادٌ فَلْيُحْسِنَنَّ إِلَيَّ رَبِّي كَمَا أَحْسَنَ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الدَّارِ، يَتِمَّنِي عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ إِسَاءَتِهِ الْعَمَلِ وَعَدَمِ الْيَقِينِ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يَتَهَدَّدُ تَعَالَى مَنْ كَانَ هَذَا عَمَلُهُ وَاعْتِقَادُهُ: بِالْعِقَابِ وَالتَّكَالِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آغْرَضْنَا بِحَابِهِ﴾ أَيُّ: آغْرَضْنَا عَنْ الطَّاعَةِ وَاسْتِكْبَارِ عَنِ الْإِنْفِادِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَتَوَلَّىٰ رُكْبَهُ﴾ [الذاريات: ٣٩] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ أَيُّ: الشَّدَّةُ ﴿فَوَدَّ دُعَاءَ عَرِيضٍ﴾ أَيُّ: يُطِيلُ الْمَسْأَلَةَ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، فَالْكَلَامُ الْعَرِيضُ: مَا طَالَ لَفْظُهُ وَقَلَّ مَعْنَاهُ، وَالْوَجِيزُ عَكْسُهُ، وَهُوَ مَا قَلَّ وَدَلَّ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ... الْآيَةِ [يونس: ١٢].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٦﴾ سَرِيبُهُمْ ءَابِتَاتٌ فِي الْآفَاقِ

سُورَةُ الشُّورَى

٤٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۝
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فِرْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ
 مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝
 أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

تفسير سورة الشورى وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ
 الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
 يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظٌ
 عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝

[الْوَحْيُ وَعَظْمَةُ اللَّهِ]

قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ
 وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ﴾ أَيُّ كَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ كَذَلِكَ أُنْزِلَ الْكُتُبُ
 وَالصُّحُفُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ
 أَيْ: فِي انْتِقَامِهِ﴾ الْحَكِيمُ﴾ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 قَالَتْ: إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاسَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ
 فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَأْتِينِي الْمَلَكُ
 رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأُعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهَا: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ،
 فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبْنَهُ ﷺ لَيَقْصِدُ عَرَقًا^(١). أَخْرَجَاهُ فِي
 الصَّحِيحَيْنِ وَلَفْظُهُ لِلْبُخَارِيِّ^(٢). وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَمْ
 يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَيُّ: الْجَمِيعُ عِبْدٌ لَهُ وَمِلْكٌ لَهُ
 تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَضَرُّفِهِ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد: ٩] ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
 [سبأ: ٢٣] وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَكَادُ
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا وَالضُّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَكَعْبُ الْأَخْبَارِ أَيُّ: فَرَقًا
 مِنَ الْعَظْمَةِ^(٣). ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
 حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] وَقَوْلُهُ جَلَّ
 جَلَالُهُ: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إِغْلَامٌ بِذَلِكَ وَتَنْوِيهٌ
 بِهِ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءَ﴾ يَعْني: الْمُشْرِكِينَ ﴿اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَيُّ: شَهِيدٌ
 عَلَى أَعْمَالِهِمْ يُحْصِيهَا وَيُعْذِّبُهَا عَذَابًا، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهَا أَوْفَرَ
 الْجَزَاءِ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا
 وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فِرْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقٌ فِي السَّعِيرِ ۝﴾
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
 وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝

(١) الموطأ: ٢٠٢/١ (٢) فتح الباري: ٢٥/١ ومسلم: ٤/١٨١٦ (٣) الطبري: ٥٠١/٢١

[أَوْحِيَ الْقُرْآنَ لِلْإِنْسَانِ بِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أَي: وَاضْحًا جَلِيًّا بَيِّنًا ﴿لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ وَهِيَ مَكَّةُ ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أَي: مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَسُمِّيتَ مَكَّةُ أُمَّ الْقُرَىٰ؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ؛ لِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ مَذْكُورَةٍ فِي مَوَاضِعِهَا، وَمِنْ أَوْجَزِ ذَلِكَ وَأَدْلَاهُ مَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحُمْرَاءِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ وَاظِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»^(١).

هَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٢). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنُذِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَي: لَا شَكَّ فِي وُقُوعِهِ وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ذَلِكَ يَوْمَ الْقُعَاثِ﴾ [التغابن: ٩] أَي: يَجْعَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ، وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُفَىٰ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥] رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ فَقَالَ: «أَتُنْذِرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟». قُلْنَا: لَا، إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ ﷺ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا» ثُمَّ قَالَ ﷺ لِلَّذِي فِي يَسَارِهِ: «هَذَا كِتَابٌ أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَلَا بَيِّنَةَ شَيْءٍ نَعْمَلُ إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرٌ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيُّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيُّ عَمَلٍ». ثُمَّ قَالَ ﷺ بِيَدِهِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ قَالَ: «فَرِّعْ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ - ثُمَّ قَالَ بِالْيَمْنَى فَنَبَذَ بِهَا، فَقَالَ: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ». وَنَبَذَ بِالْيُسْرَى

وَقَالَ: «فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»^(٣) وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: إِنْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعْجِي: يَزُورُونَهُ فَوْجُدُوهُ يَبْكِي، فَقَالُوا لَهُ: مَا يَبْكِيكَ؟ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذْ مِنْ شَارِبِكَ ثُمَّ أَقِرَّهُ حَتَّى تَلْقَانِي». قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً وَأُخْرَى بَالْيَدِ الْأُخْرَى، قَالَ: هَذِهِ لِهَذِهِ، وَهَذِهِ لِهَذِهِ، وَلَا أَبَالِي». فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا»^(٥). وَأَحَادِيثُ الْقَدَرِ فِي الصَّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ كَثِيرَةٌ جَدًّا؛ مِنْهَا حَدِيثٌ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَائِشَةَ وَجَمَاعَةً جَمَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أَي: إِمَامًا عَلَى الْهَدَايَةِ أَوْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى فَآوَتْ بَيْنَهُمْ، فَهَدَى مِنْ يَسَاءٍ إِلَى الْحَقِّ، وَأَصْلٌ مَنْ يَسَاءُ عَنْهُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَسَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّاهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَفِيعٌ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلْمٌ﴾ ﴿١٧﴾

[اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَاكِمُ الْخَالِقُ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمُ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمُخْبِرًا أَنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَقُّ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَي: هُوَ الْحَاكِمُ

(١) أحمد: ٣٠٥/٤ (٢) تحفة الأحوذى: ٤٢٦/١٠ والنسائي في الكبرى: ٤٧٩/٢ وابن ماجه: ١٠٣٧/٢ (٣) أحمد: ٢/١٦٧ تحفة الأحوذى: ٣٥٠/٦ والنسائي في الكبرى: ٦/٤٥٢ (٤) أحمد: ١٧٦/٤ (٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٤

سُورَةُ الشُّورَى

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَقُلْ مَنِيعٌ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتَ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ بَيْنَ أَوْثِقِكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿[الأنبياء: ٢٥]﴾. وَفِي الْحَدِيثِ:
«نَحْنُ مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ»^(١). أَيْ:
الْقَدَرُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنْ
اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ وَمَنَاهِجُهُمْ كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لِكُلِّ
جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى
هَهُنَا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أَيْ: وَصَّى اللَّهُ
تَعَالَى جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِتِّفَافِ
وَالْجَمَاعَةِ. وَنَهَايَهُمْ عَنِ الْإِفْرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أَيْ: سَقَّ
عَلَيْهِمْ وَأَنْكَرُوا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ مِنَ التَّوْحِيدِ. ثُمَّ
قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ﴾ أَيْ هُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ الْهِدَايَةَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا وَيَكْتُبُ
الصَّلَاةَ عَلَى مَنْ آتَرَهَا عَلَى طَرِيقِ الرُّشْدِ.

فِيهِ بِكِتَابِهِ وَسَنَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي﴾
أَيْ: الْحَاكِمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أَيْ:
أَرْجِعْ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَاطِرُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيْ: خَالِقُهُمَا وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أَيْ: مِنْ جَنَسِكُمْ وَشَكْلِكُمْ مِثَّةً عَلَيْكُمْ
وَتَفَضُّلاً جَعَلَ مِنْ جَنَسِكُمْ ذَكَرًا وَأُنْثَى ﴿وَمِنْ الْأَنْعَامِ
أَزْوَاجًا﴾ أَيْ وَخَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ. وَقَوْلُهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَذُرُكُمْ فِيهِ﴾ أَيْ: يَخْلُقُكُمْ فِيهِ أَيْ: فِي
ذَلِكَ الْخَلْقِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لَا يَزَالُ يَذُرُّكُمْ فِيهِ ذُكُورًا
وَإِنَاثًا خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِي وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَنَسَلًا بَعْدَ نَسْلِ
مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ
كَخَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا
نَظِيرَ لَهُ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ وَحَاصِلُ
ذَلِكَ أَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ الْحَاكِمُ فِيهِمَا ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ﴾ أَيْ: يُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ،
وَلَهُ الْحُكْمُ وَالْعَدْلُ الثَّامُ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي
شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾

[دين الرسل واحد]

يَقُولُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ
نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فَذَكَرَ أَوَّلَ الرُّسُلِ بَعْدَ آدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَهُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ،
ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مِنْ أُولِي الْعِزِّمْ [وَهُمْ] إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى
وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ انْتِظَمَتْ ذِكْرُ الْخَمْسَةِ كَمَا
اشْتَمَلَتْ آيَةُ الْأَحْزَابِ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ
أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ﴾... [الآية: الأحزاب: ٧]. وَالَّذِينَ الَّذِينَ جَاءَتْ بِهِ
الرُّسُلُ كُلُّهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا قَالَ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّمْ

[وَجْهَ الْاِخْتِلَافِ]

وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا نَفَرَقُوا^(١) إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: إِنَّمَا كَانَ مُخَالَفَتُهُمْ لِلْحَقِّ بَعْدَ بُلُوغِهِ إِلَيْهِمْ وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الْبَغْيُ وَالْعِنَادُ وَالْمُسَافَقَةُ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْنَا لَأَجَلَ مُسْمَى﴾ أي: لَوْ لَا الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِإِنْظَارِ الْعِبَادِ بِإِقَامَةِ حِسَابِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ لَعَجَلَ عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا سَرِيعًا. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَلَيْدَ الَّذِينَ أُوْرُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يَعْنِي: الْجِيلَ الْمَتَأَخِّرَ بَعْدَ الْقُرُونِ الْأَوَّلِ الْمُكَذَّبَ لِلْحَقِّ ﴿لَفِي شَكِّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ أي: لَيْسُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، وَإِنَّمَا هُمْ مُقْلِدُونَ لِأَبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَهُمْ فِي خَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَشَكِّ مُرِيبٍ وَشِقَاقٍ بَعِيدٍ.

﴿فَلِلَّذَلِكَ فَادَعُ وَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ^(٢)﴾

اِسْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى عَشْرِ كَلِمَاتٍ مُسْتَقِلَّاتٍ كُلُّ مِنْهَا مُتَفَصِّلَةٌ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا، حِكْمٌ بِرَأْسِهَا، قَالُوا: وَلَا نَظِيرَ لَهَا سِوَى آيَةِ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهَا أَيْضًا عَشْرَةُ فُصُولٍ كَهَذِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلِلَّذَلِكَ فَادَعُ﴾ أي: فَلِلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي وَصَّيْنَا بِهِ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ، أَصْحَابَ الشَّرَافِ الْكِبَارِ الْمُتَّبَعَةِ كَأُولَى الْعِزِّ وَغَيْرِهِمْ فَادْعُ النَّاسَ إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتُ﴾ أي: وَأَسْتَقِيمَ أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَكَذَّبُوا وَافْتَرَوْهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أي: صَدَقْتُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: فِي الْحُكْمِ كَمَا أَمَرَنِي اللَّهُ، وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هُوَ الْمَعْبُودُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَتَحْنُ نَقُرُّ بِذَلِكَ اخْتِيَارًا، وَأَنْتُمْ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوهُ اخْتِيَارًا، فَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي الْعَالَمِينَ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: نَحْنُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨٥

سُورَةُ الشُّورَى

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحِشُهُمْ دَاخِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ أَشْرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

بُرَاءَةٍ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أي: لَا خُصُومَةَ^(٢). قَالَ السُّدِّيُّ: وَذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ السَّيْفِ، وَهَذَا مُتَّبَعٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَآيَةُ السَّيْفِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا: ٢٦] وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتِ بِیَوْمِ الْحِسَابِ.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحِشُهُمْ دَاخِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ

بَعِيدٌ ﴿١٩﴾

[تَنْبِيْهُ لِمَنْ جَادَلَ فِي الدِّينِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ أَيْ يُجَادِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ لِيَصُدُّوهُمْ عَمَّا سَلَكَوْهُ مِنْ طَرِيقِ الْهُدَى ﴿مُجَنِّهَهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَيْ: بَاطِلَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ﴾ أَيْ: مِنْهُ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ: جَادَلُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ الْهُدَى وَطَمَعُوا أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالُوا لَهُمْ: دِينُنَا خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ وَنَبِيَّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ وَنَحْنُ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَوَّلَى بِاللَّهِ مِنْكُمْ^(٢). وَقَدْ كَذَبُوا فِي ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يَعْنِي: الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وَهُوَ الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ^(٣). وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وَقَوْلُهُ: ﴿وَالسَّكَّةَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أَيْ: تَطَوُّعًا فِي الْمِيزَانِ ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَغْوُوا﴾ [الرحمن: ٧-٩]. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَذُرْك لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فِيهِ تَرْغِيبٌ فِيهَا وَتَرْهِيْبٌ مِنْهَا وَتَرْهِيْدٌ فِي الدُّنْيَا، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْتَعْجِلْ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أَيْ: يَقُولُونَ: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ تَكْذِيبًا وَاسْتِغْنَاءًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أَيْ: خَائِفُونَ وَجِلُونَ مِنْ وَفُوعِهَا ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أَيْ: كَانَتْ لَهُ لَا مَحَالَةَ، فَهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لَهَا عَامِلُونَ مِنْ أَجْلِهَا. وَقَدْ رَوَى مِنْ طَرَفٍ تَبْلُغُ دَرَجَةَ التَّوَاتُرِ فِي الصَّحَاحِ وَالْحَسَنِ وَالْمُسَانِيدِ، وَفِي بَعْضِ أَفْظَاظِهِ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِصَوْتٍ جَهْوَرِيٍّ وَهُوَ فِي بَعْضِ أَشْفَارِهِ، فَتَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ: «هَؤُلَاءِ»، فَقَالَ لَهُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيَحْكُ إِنَّهَا كَانَتْ»، فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ فَقَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»^(٤). فَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(٥) هَذَا مُتَوَاتِرٌ لَا مَحَالَةَ، وَالْغَرَضُ أَنَّهُ لَمْ يُجِبْهُ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ بَلْ أَمَرَهُ بِالْإِسْتِعْدَادِ

لَهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ أَيْ: يُجَادِلُونَ فِي وُجُودِهَا وَيَدْفَعُونَ وَفُوعَهَا ﴿لِي صَلِّ بَعِيدٌ﴾ أَيْ: فِي جَهْلٍ بَيْنَ؛ لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى إِخْبَاءِ الْمَوْتَى بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٢٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِنَ بِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [رَزَقَ اللَّهُ وَعَطَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ لُطْفِهِ بِخَلْقِهِ فِي رِزْقِهِ إِنَّا هُمْ عَنْ آخِرِهِمْ لَا يَنْسَى أَحَدًا مِنْهُمْ، سَوَاءً فِي رِزْقِهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦] وَلَهَا نَظَائِرٌ كَثِيرَةٌ، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيْ: يُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ أَيْ: لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أَيْ: عَمَلَ الْآخِرَةِ ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أَيْ: نُقْوِيهِ وَنُعِينَهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدْدِهِ، وَنُكْثِرْ نَمَاءَهُ وَنَجْزِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَثْمَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أَيْ: وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا سَعْيُهُ لِيَحْضَلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الْآخِرَةِ هَمٌّ الْبَتَّةَ بِالْكَلْبَةِ: حَرَمَهُ اللَّهُ الْآخِرَةَ وَالْدُّنْيَا، إِنْ شَاءَ أَغْطَاهُ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَحْضَلْ لَا هَذِهِ وَلَا هَذِهِ، وَفَازَ السَّاعِي بِهَذِهِ النَّيَّةِ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هُنَا مُقَدِّمَةٌ بِالْآيَةِ الَّتِي فِي سُبْحَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ

(١) الطبري: ٥١٩/٢١ (٢) الطبري: ٥١٩/٢١ (٣)

الطبري: ٥٢٠/٢١ (٤) فتح الباري: ٥٧٣/١٠ ومسلم: ٤/

٢٠٣٣ (٥) مسلم: ٢٠٣٤/٤

يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِيزُ هَهُنَا وَهَهُنَا مِنْ عَمَلِهِ رَبُّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [الإسراء: ١٨-٢١].

وَرَوَى الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي بَنِي كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّعَادَةِ وَالرَّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»^(١).

[تَشْرِيعُ الْعِبَادِ شَرْكَ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ؟ أَمْ لَا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ، بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيَاطِينُهُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ مِنْ تَحْرِيمٍ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَجِيرَةِ وَالسَّائِيَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِ، وَتَحْلِيلِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَالْقِمَارِ إِلَى نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَةِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي كَانُوا قَدْ اخْتَرَعُوهَا فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْعِبَادَاتِ الْبَاطِلَةِ [وَالْأَقْوَالِ] الْفَاسِدَةِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيْ بْنِ قَمْعَةَ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ»^(٢). لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ أَحَدَ مُلُوكِ خِزَاعَةَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَهُوَ الَّذِي حَمَلَ قُرَيْشًا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ - لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَبَّحَهُ - وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِنَ بَيْنَهُمْ» أَي: لَعُوجِلُوا بِالْمَعْتُوبَةِ لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِنْظَارِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ «وَلَوْ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أَي: شَدِيدٌ مُوجِعٌ فِي جَهَنَّمَ وَيُسَسِّ الْمَصِيرُ.

[فَرَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مِيدَانِ الْحِشْرِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا» أَي: فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ «وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ» أَي: الَّذِي يَخَافُونَ مِنْهُ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ، هَذَا حَالُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ - وَهُمْ فِي هَذَا الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ - «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟ أَي: أَيْنَ مَنْ هُوَ فِي الْعَرَصَاتِ فِي الدَّلِّ وَالْهَوَانِ وَالْخَوْفِ الْمُحَقَّقِ عَلَيْهِ بِظُلْمِهِ، وَمَنْ هُوَ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ فِيمَا يَشَاءُ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ وَمَلَاسٍ وَمَسَاكِينٍ، وَمَنَاطِرٍ، وَمَنَاجِحٍ وَمَلَادٍ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا

أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» أَي: الْقُورُ الْعَظِيمُ وَالنَّعْمَةُ التَّامَّةُ، السَّابِغَةُ الشَّامِلَةُ الْعَامَّةُ.

«ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾»

[الْبَشَارَةُ بِنِعْمِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ]

يَقُولُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، لِعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ «ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أَي: هَذَا حَاصِلُ لَهُمْ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ بِبَشَارَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ بِهِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» أَي: قُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ

[اللَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ يَقْبُولُ تَوْبَتَهُمْ إِلَيْهِ إِذَا تَابُوا وَرَجَعُوا إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ كَرَمِهِ وَجَلَمِهِ أَنْ يَغْفُو وَيَضْفَحَ وَيَسْتُرَ وَيَغْفِرُ، وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ - حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ - مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَتْ رَاحِلَتُهُ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عِنْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(١). وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوَهُ^(٢).

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يَقْتُلَهُ فِيهِ الْعُطَشُ»^(٣). وَقَالَ هَمَّامُ بْنُ الْحَارِثِ: سُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الرَّجُلِ يَفْجُرُ بِالْمَرْأَةِ ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، وَقَرَأَ: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾... الْآيَةَ^(٤). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَغْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ أَيُّ: يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ فِي الْمَاضِي ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا فَعَلْتُمْ وَصَنَعْتُمْ وَقُلْتُمْ، وَمَعَ هَذَا يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي يَسْتَجِيبُ لَهُمْ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَاهُ: يَسْتَجِيبُ لَهُمُ الدُّعَاءَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأَصْحَابِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ^(٥). ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَيُّ: يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ. وَقَالَ قَتَادَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ

الْمُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى هَذَا الْبَلَاغِ وَالنَّصْحِ لَكُمْ مَا لَا تُعْطُونِيهِ، وَإِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَنْ تَكْفُوا شَرْكَكُمْ عَنِّي وَتَذَرُونِي أَبْلُغَ رِسَالَاتِ رَبِّي إِنْ لَمْ تَنْصُرُونِي فَلَا تُؤْذُونِي بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَلْمُودَةُ فِي الْفُرْقَيْنِ﴾ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجَلْتُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: إِلَّا أَنْ تَصْلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ. انفرد به الْبُخَارِيُّ^(٦). وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ^(٧).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أَيُّ: وَمَنْ يَعْمَلْ حَسَنَةً ﴿نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أَيُّ: أَجْرًا وَثَوَابًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أَيُّ: يَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَيُكْثِرُ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ وَيُضَاعِفُ فَيُسْكِرُ.

[رَمَى النَّبِيُّ بِاخْتِلَاقِ الْقُرْآنِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أَيُّ: لَوْ افْتَرَيْتَ عَلَيْهِ كَذِبًا كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْجَاهِلُونَ ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أَيُّ: يَطْبَعُ عَلَى قَلْبِكَ وَ[يَسْلُبُكَ] مَا كَانَ آتَاكَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ نَفَقْنَا عَنَّا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [لَاخِذْنَا مِنْهُ بِأَلْيَمِينٍ] ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْآلِينَ ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧] أَيُّ: لَا نَتَقَمَّنَا مِنْهُ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَمَا قَدَّرَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْجِزَ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أَيُّ: يُحَقِّقُهُ وَيُثَبِّتُهُ وَيُبَيِّنُهُ وَيُوضِّحُهُ بِكَلِمَاتِهِ، أَيُّ: يَحْجِزُهُ وَبَرَاهِينِهِ ﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَيُّ: بِمَا تُكِنُّهُ الصُّمَائِرُ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ.

﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. وَيَعْمُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾^(٨) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَالْكَاثِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾^(٩) وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾

(١) فتح الباري: ٤٢٦/٨ (٢) أحمد: ٢٢٩/١ (٣) مسلم:

٢١٠٤/٤ (٤) مسلم: ٢١٠٣/٤ (٥) عبد الرزاق: ١٩١/٣

(٦) الطبري: ٥٣٣/٢١ إسناده ضعيف، فيه شريك بن عبدالله

الكوفي سعي الحفظ وشيخه إبراهيم بن مهاجر ضعيف يعتبر به (٧)

الطبري: ٥٣٤/٢١

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَسَاءَ لِسُكُنِ الرِّيحِ
فِيظَلِّلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ
يُحَدِّثُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أَوْفَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَحْمَةٍ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَثُونَ كَبِيرَ الْأِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا
عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَاجْزِهِ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ بَدَةٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ
لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهِمْ وَلَوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ
وَطِبَاعِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ وَأَنْوَاعِهِمْ، وَقَدْ فَرَّقَهُمْ فِي أَرْجَاءِ
أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَهُوَ﴾ مَعَ هَذَا كُلِّهِ ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ
الْبَصَرُ فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الْحَقِّ.

[سَبَبُ الْمَصَائِبِ الْعِصْيَانُ]

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ﴾ أَيُّ: مَهْمَا أَصَابَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْمَصَائِبِ
فَاتِمَّا هِيَ عَنْ سَبَبَاتٍ تَقَدَّمَتْ لَكُمْ ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أَيُّ:
مِنَ السَّيِّئَاتِ فَلَا يُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، بَلْ يَغْفُو عَنْهَا ﴿وَلَوْ
يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ
دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «وَالَّذِي نَفْسِي

[اللَّحْمِيَّ] فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَتَجِدُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾ قَالَ: يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِهِمْ ﴿وَيُرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾
قَالَ: يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانٍ إِخْوَانِهِمْ^(١). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَالَهُمْ مِنَ
الثَّوَابِ الْجَزِيلِ ذَكَرَ الْكَافِرِينَ وَمَالَهُمْ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الْمُوجِعِ الْمُؤْلِمِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَحِسَابِهِمْ.
[الْحِكْمَةُ فِي عَدَمِ بَسْطِ الرِّزْقِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَا فِي
الْأَرْضِ﴾ أَيُّ: لَوْ أَعْطَاهُمْ فَوْقَ حَاجَتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ لَحَمَلَهُمْ
ذَلِكَ عَلَى الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ أَشْرًا
وَبَطَرًا.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ يُزِيلُ بُدْرَ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعَادِهِ
خَبِيرٌ صَبِيرٌ﴾ أَيُّ: وَلَكِنْ يَزِيلُهُمْ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَخْتَارُهُ مِمَّا
فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ، فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى
وَيُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾
أَيُّ مِنْ بَعْدِ إِيَاسِ النَّاسِ مِنْ نُزُولِ الْمَطَرِ يُنَزِّلُهُ عَلَيْهِمْ فِي
وَقْتِ حَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُتْسِينَ﴾ [الروم: ٤٩] وَقَوْلُهُ
جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ أَيُّ: يَعْمُ بِهَا الْوُجُودُ عَلَى
أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطْرِ وَيَلْكَ النَّاجِيَّةِ. قَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ
رَجُلًا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، فَحَطَّ الْمَطَرُ وَقَطَّ النَّاسُ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: مُطَرِّتُمْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ﴾^(٢). أَيُّ: هُوَ
الْمُتَصَرِّفُ لِخَلْقِهِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ، وَهُوَ
الْمَحْمُودُ الْعَاقِبَةُ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَفْعَلُهُ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ
عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا
كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

[مِنْ آيَاتِ اللَّهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ
الْعَظِيمَةِ وَسُلْطَانِيهِ الْقَاهِرِ ﴿خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ
فِيهَا﴾ أَيُّ: دَرَأَ فِيهَا أَيُّ: فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَمِنْ
كَاتِبَةٍ﴾ وَهَذَا يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ وَالْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَسَائِرَ

(١) الطبري: ٥٣٤/٢١ (٢) الطبري: ٥٣٧/٢١ إسناده مرسل
قَتَادَةُ لَمْ يَدْرِكْ عُمَرَ.

مُنَاسِبٌ لِلأَوَّلِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ شَاءَ لَسَكَنَ الرِّيحَ فَوَقَفَتْ أَوْ لَقَوَاهُ فَشَرَدَتْ وَأَبْقَتْ وَهَلَكَتْ، وَلَكِنْ مِنْ لُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ يُرْسِلُهُ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، كَمَا يُرْسِلُ الْمَطَرَ بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ، وَلَوْ أَنْزَلَهُ كَثِيرًا جَدًّا لَهَدَمَ الْبُنْيَانَ، أَوْ قَلِيلًا لَمَا أَتَبَتِ الزَّرْعَ وَالثَّمَارَ، حَتَّى إِنَّهُ يُرْسِلُ إِلَى مِثْلِ بِلَادِ مِصْرَ سَبْحًا مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مَطَرٍ، وَلَوْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ لَهَدَمَ بُنْيَانَهُمْ وَأَسْقَطَ جُذُرَانَهُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ أَيُّ: لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْ بَاسِنَا وَنَقَمَتِنَا، فَإِنَّهُمْ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَتِنَا.

﴿فَمَا أُوَيْدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَعْتَجِ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٢) وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٥)

[صِفَاتٌ مَنْ يَسْتَحِقُّ مَا عِنْدَ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُحَقَّرًا لِشَأْنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنَّعِيمِ الْفَنَائِيِّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا أُوَيْدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَعْتَجِ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾ أَيُّ: مَهْمَا حَصَلَتْكُمْ وَجَمَعْتُمْ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ دَارُ دُنْيَاةٍ فَإِنَّهَا زَائِلَةٌ لَا مَحَالَةَ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أَيُّ: وَتَوَاتَبَ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ بَاقٍ سَرْمَدِيٌّ، فَلَا تَقْدُمُوا الْفَنَائِيَّ عَلَى الْبَاقِي، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَيُّ: لِلَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى تَرْكِ الْمَلَأَدِ فِي الدُّنْيَا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أَيُّ: لِيُعِينَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ فِي أَدَاءِ الْوُجُوبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أَيُّ: سَجَّيْتُهُمْ نَقْتَضِي الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ لَيْسَ سَجَّيْتُهُمُ الْإِنْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ (٥).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أَيُّ: اتَّبَعُوا

بِيَدِهِ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ، حَتَّى الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا (١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُعَاوِيَةَ - هُوَ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» (٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَكْفُرُهَا، ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحَزَنِ لِيَكْفُرَهَا» (٣).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٦) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَاكِدًا عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٧) أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٨) وَعَلَّمَ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ (٣٩)

[السُّفُنُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ وَسُلْطَانِهِ: تَسْخِيرُهُ الْبَحْرَ لِتَجَرِي فِيهِ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ، وَهِيَ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ أَيُّ: كَالْجِبَالِ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَالشَّدَاثِيُّ وَالضَّحَّاكُ. أَيُّ: هَذِهِ فِي الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ فِي الْبَرِّ (٤). ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أَيُّ: الَّتِي تَسِيرُ فِي الْبَحْرِ بِالسُّفُنِ لَوْ شَاءَ لَسَكَنَتْهَا حَتَّى لَا تَتَحَرَّكَ السُّفُنُ، بَلْ تَبْقَى رَاكِدَةً لَا تَجِيءُ وَلَا تَذْهَبُ، بَلْ وَافِقَةً عَلَى ظَهْرِهِ أَيُّ: عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أَيُّ: فِي الشَّدَائِدِ ﴿شَكُورٍ﴾ أَيُّ: إِنْ فِي تَسْخِيرِهِ الْبَحْرَ وَإِجْرَائِهِ فِي الْهَوَاءِ بِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِسِيرِهِمْ لَدَلَالَاتٍ عَلَى نِعَمِهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ لِكُلِّ صَبَّارٍ أَيُّ: فِي الشَّدَائِدِ شَكُورٌ فِي الرَّخَاءِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَيُّ: وَلَوْ شَاءَ لَأَهْلَكَ الشُّفُنَ وَغَرَقَهَا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ رَاكِبُونَ فِيهَا ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ أَيُّ: مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَلَوْ أَخَذَهُمْ بِجَمِيعِ ذُنُوبِهِمْ لَأَهْلَكَ كُلَّ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ.

وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ: مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أَيُّ: لَوْ شَاءَ لَأَرْسَلَ الرِّيحَ قُوَّةً عَاتِيَةً فَأَخَذَتِ الشُّفُنَ وَأَحَالَتْهَا عَنْ سَبِيلِهَا الْمُسْتَقِيمَ فَصَرَفَتْهَا ذَاتَ الْيَمِينِ أَوْ ذَاتَ الشِّمَالِ أَبَقَةً لَا تَسِيرُ عَلَى طَرِيقٍ وَلَا إِلَى جِهَةٍ مُقْصِدٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ يَنْتَضِمُنْ هَلَاكَهَا، وَهُوَ

(١) أحمد: ٣٠٣/٢ (٢) أحمد: ٩٨/٤ (٣) أحمد: ١٥٧/٦

إسناده ضعيف فيه الليث بن أبي سليم وهو ضعيف لكن له شواهد

كما سبق (٤) الطبري: ٥٤١/٢١ (٥) فتح الباري: ٥٤١/١٠

تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ [النحل: ١٢٦]، فَشَرَعَ الْعُدْلَ، وَهُوَ الْفَصَاصُ، وَنُذِبَ إِلَى الْفَضْلِ، وَهُوَ الْعَفْوُ، كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْجُرُوحُ فِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَمْلَحَ فَاعْفُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أَي: لَا يَضِيعُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا صَحَّ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْمُعْتَدِينَ وَهُوَ الْمُتَبَدِّئُ بِالسَّيِّئَةِ.

ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أَي: لَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ فِي الْأَنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أَي: إِنَّمَا الْحَرْجُ وَالْعَنْتُ ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أَي: يَبْدُوُونَ النَّاسَ بِالظُّلْمِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِيءِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»^(٢). ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَي: شَدِيدٌ مُوجِعٌ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ، قَالَ: قَدِمْتُ [مِنْ] مَكَّةَ، فَإِذَا عَلَى الْخَنْدَقِ قَنْطَرَةٌ^(*)، فَأَخِذْتُ فَأَنْطَلِقُ بِهَا إِلَى مَرَّوَانَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبُصْرَةِ فَقَالَ: مَا حَاجَّتُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: حَاجَّتِي إِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ تَكُونَ كَمَا كَانَ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ، قَالَ: وَمَنْ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ؟ قَالَ: الْعَلَاءُ ابْنُ زِيَادٍ، اسْتَعْمَلَ صَدِيقًا لَهُ مَرَّةً عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا تَبِيتَ إِلَّا وَظَهْرُكَ خَفِيفٌ، وَبَطْنُكَ خَمِصٌ، وَكَفُّكَ نَقِيَّةٌ: مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ سَبِيلٌ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فَقَالَ مَرَّوَانُ: صَدَقَ - وَاللَّهِ - وَنَصَحَ، ثُمَّ قَالَ: مَا حَاجَّتُكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ: حَاجَّتِي أَنْ تُلْحِقَنِي بِأَهْلِي، قَالَ: نَعَمْ^(٣). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى، لَمَّا دَمَ الظُّلْمُ وَأَهْلُهُ وَشَرَعُ

رُسُلُهُ، وَأَطَاعُوا أَمْرَهُ، وَاجْتَنَبُوا زَجْرَهُ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وَهِيَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أَي: لَا يُبْرِمُونَ أَمْرًا حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ؛ لِيَتَسَاعَدُوا بَأَرَانِهِمْ فِي مِثْلِ الْحُرُوبِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [الآيَةُ]، وَلِهَذَا كَانَ ﷺ يُشَاوِرُهُمْ فِي الْحُرُوبِ وَنَحْوِهَا؛ لِيُطِيبَ بِذَلِكَ قُلُوبَهُمْ، وَهَكَذَا لَمَّا حَضَرَتْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاةَ حِينَ طُعِنَ جَعَلَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ شُورَى فِي سِتَّةِ نَفَرٍ، وَهُمْ عُمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ عُمَانَ عَلَيْهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وَذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ، الْأَقْرَبِ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ، فَلَا قَرَبَ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ أَي: فِيهِمْ قُوَّةُ الْأَنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَاعْتَدَى عَلَيْهِمْ لَيْسُوا بِالْعَاجِزِينَ وَلَا الْأَذَلِّينَ، بَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْأَنْتِقَامِ مِمَّنْ بَغَى عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا إِذَا قَدَرُوا عَفْوًا، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَنْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مُؤَاخَذَتِهِمْ وَمُقَابَلَتِهِمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ إِلَيْهِ، وَكَمَا عَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّمَانِينَ الَّذِينَ قَصَدُوهُ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَزَلُّوا مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ، فَلَمَّا قَدَرَ عَلَيْهِمْ مَنْ عَلَيْهِمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الْأَنْتِقَامِ، وَكَذَلِكَ عَفَوَهُ ﷺ عَنْ غَوْرَثِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي أَرَادَ الْفَتْكَ بِهِ حِينَ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهُوَ نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظَ ﷺ وَهُوَ فِي يَدِهِ مُضَلَّتًا، فَانْتَهَرَهُ فَوَضَعَهُ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ فِي يَدِهِ وَدَعَا أَصْحَابَهُ، ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرَ هَذَا الرَّجُلِ وَعَفَا عَنْهُ. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿وَجَزَّوْا سِنِينَ سِنَيْنِهَا فَمَنْ عَفَا وَأَمْلَحَ فَاعْفُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ^(٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٣) وَلَكِنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَنْ عَزْمٍ الْأُمُورِ^(٤)

[فَضِيلَةُ الْعَفْوِ وَخِيَارُ الْأَنْتِصَارِ مِنَ الظَّالِمِ]

قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَزَّوْا سِنِينَ سِنَيْنِهَا فَمَنْ عَفَا وَأَمْلَحَ فَاعْفُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

(١) مسلم: ٢٠٠١/٤ (٢) مسلم: ٢٠٠٠/٤ (*) كذا عندنا وفي مطبوع ابن أبي شيبه «المنظرة» وهي موضع الحرس على رأس الجبل (رقم ٣٥٤١٧) ويمكن الجمع بينها (٣) ابن أبي شيبه:

وَتَرَبُّهُمْ يَعْزُّونَ عَلَيْهِمْ خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
 مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ
 مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّجْنَا بِهَا وَإِنْ نَضَاهُمْ سَيْئَةً
 يَمَّا فَدَمْتُمُ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ نُرْجِيهِمْ ذَكَرًا وَنُنْشَاءُ
 وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي ليس له خلاص .
 ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا
 لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا
 الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّجْنَا بِهَا وَإِنْ نَضَاهُمْ سَيْئَةً يَمَّا فَدَمْتُمُ
 أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

[الْحَثُّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ
 وَالْأُمُورِ الْعَظَامِ الْهَائِلَةِ، حَذَّرَ مِنْهُ وَأَمَرَ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهُ،
 فَقَالَ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ
 اللَّهِ﴾ أي: إذا أَمَرَ بِكُونِهِ فَإِنَّهُ كَلَّمَجُ الْبَصَرِ يَكُونُ، وَلَيْسَ لَهُ
 دَافِعٌ وَلَا مَانِعٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ
 وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أي: لَيْسَ لَكُمْ حِصْنٌ تَحْتَصِّنُونَ
 فِيهِ، وَلَا مَكَانٌ يَسْتُرُكُمْ، وَتَتَكَبَّرُونَ فِيهِ فَتَعْيُونَ عَنْ بَصَرِهِ

الْقُصَاصِ، قَالَ نَادِبًا إِلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ: ﴿وَلَمْ يَنْصَرِفْ
 وَغَفَرَ﴾ أي: صَبَرَ عَلَى الْأَذَى، وَسَتَرَ السَّيِّئَةَ ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ
 عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يُعْنِي لِمَنْ حَقَّ الْأُمُورِ
 الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، أَي: لِمَنْ الْأُمُورِ الْمُشْكُورَةِ، وَالْأَفْعَالِ
 الْحَمِيدَةِ الَّتِي عَلَيْهَا ثَوَابٌ جَزِيلٌ، وَثَنَاءٌ جَمِيلٌ.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا
 الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٥﴾ وَتَرَبُّهُمْ يَعْزُّونَ
 عَلَيْهِمْ خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ
 يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾

[حَالُ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ
 وَلَا رَادَّ لَهُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَلَا مُوجِدَ لَهُ، وَأَنَّهُ مَنْ
 هَدَاهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، كَمَا قَالَ
 عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ثُمَّ قَالَ
 عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنِ الظَّالِمِينَ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ: ﴿لَمَّا
 رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَمَتُّوا الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا
 ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا:
 ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْعَلُ عَلَى النَّارِ فَعَالُوا يَلْتَنَنُونَ لَا يُكَلِّمُ فِي ذَٰلِكَ رَبُّنَا
 وَكَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُفَعِّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوْا
 لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]. وَقَوْلُهُ
 عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَرَبُّهُمْ يَعْزُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: عَلَى النَّارِ
 ﴿خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِيلِ﴾ أَي: الَّذِي قَدْ اغْتَرَاهُمْ بِمَا أَسْلَفُوا مِنْ
 عِصْيَانِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ:
 يُعْنِي ذَلِيلٌ ^(١) أَي: يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا مُسَارِقَةً؛ خَوْفًا مِنْهَا،
 وَالَّذِي يَحْذَرُونَ مِنْهُ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ، وَمَا هُوَ أَعْظَمُ
 مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا﴾ أَي: يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّ الْخَسِرِينَ﴾ أَي:
 الْخَسَارَ الْأَكْبَرَ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أَي:
 ذَهَبَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَعُدُّوا لَدُنْهُمْ فِي دَارِ الْأَبَدِ وَخَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ، وَفُرَّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّائِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ
 وَقَرَابَاتِهِمْ، فَخَسِرُوهُمْ ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾
 أَي: دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ أَبَدِيٌّ لَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا مُجِدَّ لَهُمْ
 عَنْهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: يُنْقِذُونَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُمْ بِعِلْمِهِ وَبَصَرِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ ﴿١﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَتَذَكَّرُ أَلَمْ نَكُنْ لَكَ آيَةً ﴿٢﴾ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ تَسْتَفْتِي ﴿٣﴾ [القيامة: ١٠، ١١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠] أَيْ: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْعَمَاءُ عَلَيْكَ أَتْلُغُ وَعَلَيْكُمُ الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا هَهُنَا: ﴿إِنْ عَلَيكَ إِلَّا أَتْلُغُ﴾ أَيْ: إِنَّمَا كَلَّفْنَاكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ رَحَاءٌ وَنِعْمَةٌ فَحَرَبٌ بِذَلِكَ ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ﴾ يَعْنِي: النَّاسَ ﴿سَيِّئَةً﴾ أَيْ: جَذَبَ وَنِقْمَةً وَبَلَاءً وَشِدَّةً ﴿فَإِنْ الْإِنْسَانُ كَفُورٌ﴾ أَيْ: يَجْحَدُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ النِّعَمِ، وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا السَّاعَةَ الرَّاهِنَةَ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ أَشِيرَ وَبَطِرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مِحْنَةٌ يَيْسَ وَقَطَطَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَلِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «لِأَنَّكُمْ تَكْثُرُنَ الشَّكَايَةَ وَتَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ، لَوْ أَحْسَنْتُ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ تَرَكْتُ يَوْمًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١). وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَآلَهُمُ رُشْدُهُ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَالْمُؤْمِنُ كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»^(٢).

وَالْأُنْثَى أَيْ: هَذَا وَهَذَا. قَالَ الْبَغَوِيُّ: كُمَحَمَّدٍ ﷺ^(٣): ﴿وَيَجْعَلُ مِنْ يَسَاءٍ عَقِيمًا﴾ أَيْ: لَا يُولَدُ لَهُ. قَالَ الْبَغَوِيُّ: كَيَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٤). فَجَعَلَ النَّاسَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ: مِنْهُمْ مَنْ يُعْطِيهِ النَّبَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطِيهِ النَّبِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطِيهِ مِنَ النَّوْعَيْنِ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَعُهُ هَذَا وَهَذَا فَيَجْعَلُهُ عَقِيمًا لَا نَسْلَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ. ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ﴾ أَيْ: يَمْنُ يَسْتَحِقُّ كُلَّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ ﴿قَدِيرٌ﴾ أَيْ: عَلَى مَنْ يَسَاءُ مِنْ تَقَاوُتِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا الْمَقَامُ شَبِيهُ بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أَيْ دَلَالَةً لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدُّسِ، حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَأَدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَحَوَّاهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَخْلُوقَةٌ

﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أَيْ: دَلَالَةً لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدُّسِ، حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَأَدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَحَوَّاهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَخْلُوقَةٌ

﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أَيْ: دَلَالَةً لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدُّسِ، حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَأَدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَحَوَّاهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَخْلُوقَةٌ

﴿وَلَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أَيْ: دَلَالَةً لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَتَقَدُّسِ، حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، فَأَدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَحَوَّاهُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَخْلُوقَةٌ

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لِكُفْهُمَا وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ يُعْطِي مَنْ يَسَاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَسَاءُ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ، وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَسَاءُ ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتًا﴾ أَيْ: يَرْزُقُهُ الْبَنَاتَ فَقَطَّ. قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَمِنْهُمْ لَوْطٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٥). ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ أَيْ: يَرْزُقُهُ النَّبِينَ فَقَطَّ. قَالَ الْبَغَوِيُّ: كَأِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يُولَدْ لَهُ أُنْثَى^(٦). ﴿أَوْ يَرْزُقُهُمْ ذَكَرًا وَلِإِنْتًا﴾ أَيْ: يُعْطِي لِمَنْ يَسَاءُ مِنَ النَّاسِ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

(١) مسلم: ٨٦/١ (٢) مسلم: ٢٢٩٥/٤ (٣) البغوي: ٤/

١٣٢ (٤) البغوي: ١٣٢/٤ (٥) البغوي: ١٣٢/٤ (٦)

البغوي: ١٣٢/٤

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ﴾ أَي: يَا مُحَمَّدُ ﴿لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَهُوَ الْخُلُقُ الْقَوِيمُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أَي: شَرْعُهُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ اللَّهُ ﴿الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: رُفْعُهُمَا وَمَالَكُهُمَا وَالْمُنْتَصِرُ فِيهِمَا، وَالْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾ أَي: تَرْجِعُ الْأُمُورُ فَبِفَضْلِهَا وَتَحْكُمُ فِيهَا، شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا.

تفسير سورة الزخرف وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ③ وَلَئِنْ فِي أَرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ④ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ⑤ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ⑥ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ⑦ فَاهْلِكُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَنْ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ⑧

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿حَمْدٌ﴾ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② أَي: الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ الْمَعْنِي وَالْأَلْفَاظِ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي هِيَ أَفْضَحُ اللُّغَاتِ لِلتَّخَاطُبِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أَي: أَنْزَلْنَاهُ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أَي: بِلُغَةِ الْعَرَبِ فَصِيحًا وَاضِحًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَي: تَفْهَمُونَهُ وَتَتَذَكَّرُونَهُ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَلِسَانِ عَرَفٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ فِي أَرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ بَيَّنَّ شَرْفَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى لِشَرْفِهِ وَبِعَظَمَتِهِ وَيُطِيعُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿فِي أَرِ الْكِتَابِ﴾ أَي: اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ^(٣). ﴿لَدَيْنَا﴾ أَي: عِنْدَنَا، قَالَهُ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ^(٤). ﴿لَعَلِّي﴾ أَي: دُونَ مَكَانَةٍ وَشَرَفٍ وَفَضْلِ.

(١) مسند الشهاب: ١٨٥/٢ لم أجده في صحيح ابن حبان بل روى البغوي في شرح السنة (٤١١١) عن ابن مسعود بنحوه لكنه منقطع زيد اليامي لم يسمع من ابن مسعود وله شاهد صحيح عن جابر بن عبد الله عند ابن ماجه (٢١٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (٤٢٠) وابن حبان (الموارد ١٠٨٤، ١٠٨٥) (٢) تحفة الأحوذى: ٣٦٠/٨ (٣) الرازي: ١٦٧/٢٧ (٤) البغوي: ٤/١٣٣

مِنْ ذَكَرَ بِلَا أَتَى، وَسَائِرُ الْخَلْقِ سِوَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَكَرَ وَأَتَى. وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَتَى بِلَا ذَكَرَ. فَتَمَّتِ الدَّلَالَةُ بِخَلْقِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فَهَذَا الْمَقَامُ فِي الْأَبَاءِ وَالْمَقَامُ الْأَوَّلُ فِي الْأَبْنَاءِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ، فَسُبْحَانَ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ. ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَنِ الْكَذِبِ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ⑤ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ ⑥

[بَيَانُ كَيْفِيَةِ الْوَحْيِ]

هَذِهِ مَقَامَاتُ الْوَحْيِ بِالنَّبِيَّةِ إِلَى جَنَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَارَةً يَقْدُفُ فِي رُوحِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا لَا يَتِمَّارَى فِيهِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ ابْنِ جَبَّانٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَجْلِبَ رُزُقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِنَّهُ سَأَلَ الرُّؤْيَا بَعْدَ التَّكْلِيمِ فَحُجِبَ عَنْهَا.

وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا»^(٢). كَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَكِنَّ هَذَا فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ، وَالْآيَةُ إِنَّمَا هِيَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كَمَا يُنْزِلُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ فَهُوَ عَلَىٰ عِلْمٍ خَيْرٍ حَكِيمٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ بِعَيْنِي: الْقُرْآنَ ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ أَي: عَلَى التَّقْصِيلِ الَّذِي شَرَعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾... الْآيَةُ [فصلت: ٤٤].

قَالَ فَتَادَةُ^(١). ﴿حَكِيمٌ﴾ أَيُّ: مُحْكَمٌ بَرِيءٌ مِنَ اللَّبْسِ وَالزَّيْغِ. وَهَذَا كُلُّهُ تَنْبِيهُ عَلَى شَرِّهِ وَفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا لِقَوْمٍ كَرِيمٍ﴾ (٧١) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الواقعة: ٧٧-٨٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّمَا لَذِكْرُ اللَّهِ﴾ (١١) فَتَنَ شَاءَ ذِكْرُ اللَّهِ (١٢) فِي صُفْحٍ مَكْرُمٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كَرِيمٍ بَرٍّ (١٦) [عبس: ١١-١٦].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَضْرِبَ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أَيُّ: أَنْتَحَسِبُونَ أَنْ نَضْفَحَ عَنْكُمُ فَلَا نَعَذِّبُكُمْ وَلَمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ؟ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو الصَّالِحِ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٢). وَقَالَ فَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَضْرِبَ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ رُفِعَ حِينَ رَدَّتْهُ أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَهَلَكُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَادَ بِعَائِدَتِهِ وَرَحْمَتِهِ فَكَّرَهُ عَلَيْهِمْ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ^(٣). وَقَوْلُ فَتَادَةَ لَطِيفُ الْمَعْنَى جِدًّا، وَحَاصِلُهُ: أَنَّهُ يَقُولُ فِي مَعْنَاهُ: إِنَّهُ تَعَالَى مِنْ لَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ لَا يَتْرُكُ دُعَاءَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَإِلَى الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَإِنْ كَانُوا مُسْرِفِينَ مُعْرِضِينَ عَنْهُ، بَلْ أَمَرَ بِهِ لِيَهْتَدِيَ بِهِ مَنْ قُدِّرَ هِدَايَتُهُ، وَتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ كُتِبَ شَقَاؤُهُ.

[غافر: ٨٥]، وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ﴾ [الزخرف: ٥٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

﴿وَلَمَّا سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٢) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ (٣) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (٤) لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (٥) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُقِيمُونَ (٦)

[اعْتِرَافُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الْخَلْقِ وَمَزِيدُ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ] يَقُولُ تَعَالَى: وَلَمَّا سَأَلْتُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ

(١) الطبري: ٥٦٧/٢١ (٢) الطبري: ٥٦٨، ٥٦٧/٢١ (٣) الطبري: ٥٦٨/٢١ (٤) الطبري: ٥٧١/٢١ (٥) الطبري: ٥٧١/٢١

[تَسْلِيَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَكْذِيبِ قُرَيْشٍ]

ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا مُسْلِمًا لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيبٍ مِنْ كَذِبِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَأَمْرًا لَهُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ أَيُّ: فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَيُّ: يَكْذِبُونَهُ وَيَسْخَرُونَ بِهِ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أَيُّ: فَأَهْلَكْنَا الْمُكْذِبِينَ بِالرُّسُلِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ بَطْشًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ [غافر: ٨٢] وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: سُنَّتُهُمْ^(٤). وَقَالَ فَتَادَةُ: عُقُوبَتُهُمْ^(٥). وَقَالَ غَيْرُهُمَا: عِبرَتُهُمْ، أَيُّ: جَعَلْنَاهُمْ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُكْذِبِينَ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾

أَتَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ الْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾
أَوْ مَن يُكْسُوهُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَجَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَّتَ آشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٩﴾

[الْكَثِيرُ عَلَى جَعْلِ الْمُشْرِكِينَ لِلَّهِ وَلَدًا]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِيمَا افْتَرَوْهُ وَكَذَّبُوهُ
فِي جَعْلِهِمْ بَعْضَ الْأَنْعَامِ لَطَوَافِيهِمْ وَبَعْضَهَا لِلَّهِ تَعَالَى،
كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ فِي قَوْلِهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِضَاهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كُنَّا لِشُرَكَائِهِمْ فَلََّا يَصِلَ إِلَهُ اللَّهِ وَمَا كُنَّا
لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَهُ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
[الأنعام: ١٣٦] وَكَذَلِكَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ قِسْمِي الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ
أَحْسَهُمَا وَأَرَادَاهُمَا وَهُوَ الْبَنَاتُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الْكُفْرُ
الَّذِي لَهُ الْأُنثَى﴾ ﴿١٦﴾ يَلِكُ إِذَا قِسْمَةُ ضَرِيحَةٍ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢]
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا هَهُنَا: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا
يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ الْبَنِينَ﴾ وَهَذَا إِنكَارٌ عَلَيْهِمْ غَايَةُ
الْإِنْكَارِ. ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَ الْإِنْكَارِ، فَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَإِذَا
بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ
كَظِيمٌ﴾ أَيُّ: إِذَا بُشِّرَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ بِمَا جَعَلُوهُ لِلَّهِ مِنَ الْبَنَاتِ
يَأْتِفُ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْفَةِ، وَتَعْلُوهُ كَاتِبَةٌ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ
بِهِ، وَيَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ حَجَلِهِ مِنْ ذَلِكَ، يَقُولُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: فَكَيْفَ تَأْنِفُونَ أَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتُنْسِبُونَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ؟! ثُمَّ قَالَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ مَن يُكْسُوهُ فِي الْحِلْيَةِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ﴾ أَيُّ: الْمَرْأَةُ نَاقِصَةٌ يَكْمُلُ نَقْصُهَا
بِلِبْسِ الْحُلِيِّ مُنْذُ تَكُونُ طِفْلَةً، وَإِذَا خَاصَمَتْ فَلَا عِبَارَةَ
لَهَا، بَلْ هِيَ عَاجِزَةٌ عَيْبَةٌ، أَوْ مَنْ يَكُونُ هَكَذَا يُنْسَبُ إِلَى
جَنَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ؟ فَلَا أَنْتَى نَاقِصَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فِي
الصُّورَةِ وَالْمَعْنَى، فَيَكْمُلُ نَقْصُ ظَاهِرِهَا وَصُورَتِهَا بِلِبْسِ
الْحُلِيِّ وَمَا فِي مَعْنَاهُ لِيُجَبَّرَ مَا فِيهَا مِنْ نَقْصٍ. وَأَمَّا نَقْصُ
مَعْنَاهَا فَإِنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَاجِزَةٌ عَنِ الْإِنْتِصَارِ عِنْدَ الْإِنْتِصَارِ، لَا

بِاللَّهِ، الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرُهُ ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ
خَلَقْنَاهُ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ أَيُّ: لِيَعْتَرِفْنَ بِأَنَّ الْخَالِقَ لَذَلِكَ هُوَ
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنْ
الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا﴾ أَيُّ: فَرَاشًا قَرَارًا ثَابِتَةً تَسِيرُونَ عَلَيْهَا، وَتَقُومُونَ
وَتَنَامُونَ وَتَنْصَرِفُونَ، مَعَ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ عَلَى تَبَارِ الْمَاءِ، لَكِنَّهُ
أَرَسَاهَا بِالْجِبَالِ؛ لِئَلَّا تَمِيدَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ
فِيهَا سُبُلًا﴾ أَيُّ: طُرُقًا بَيْنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ ﴿لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ﴾ أَيُّ: فِي سَبِيلِكُمْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَفُطِرَ إِلَى فُطُرٍ،
وَإِفْلِيمَ إِلَى إِفْلِيمٍ ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾ أَيُّ:
بِحَسَبِ الْكِفَايَةِ لِرُزْوَاعِكُمْ وَيُمَارِكُمْ وَشُرْبِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَشْرَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيْتًا﴾ أَيُّ:
أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَمَّا جَاءَهَا الْمَاءُ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ
كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ثُمَّ نَبَتْ تَعَالَى بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ عَلَى إِحْيَاءِ
الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَقَالَ: ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾
ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أَيُّ: مِمَّا
تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ مِنْ بَنَاتٍ وَزُرُوعٍ وَنَمَارٍ
وَأَزَاهِيرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ
أَجْنَاسِهَا وَأَصْنَافِهَا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ﴾ أَيُّ: السُّفُنِ
﴿وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أَيُّ: ذَلَّلَهَا لَكُمْ وَسَخَّرَهَا وَبَسَّرَهَا:
لَأَكْلِكُمْ لَحُومَهَا وَشُرْبِكُمْ أَلْبَانَهَا وَرُكُوبَكُمْ ظُهُورَهَا، وَلِهَذَا
قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِئَسْتَوَا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أَيُّ: لِيَسْتَوُوا
مُتَمَكِّنِينَ مُرْتَفِقِينَ ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أَيُّ: عَلَى ظُهُورِ هَذَا
الْجَنَسِ ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ أَيُّ: فِيمَا سَخَّرَ لَكُمْ ﴿إِذَا
أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ
مُقْرِنِينَ﴾ أَيُّ: مُقَامِينَ، وَلَوْ لَا تَسَخِيرُ اللَّهِ لَنَا هَذَا مَا قَدَرْنَا
عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَتَادَةُ وَالسَّدِّيُّ
وَابْنُ زَيْدٍ: مُقْرِنِينَ أَيُّ: مُطِيقِينَ^(١). ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا رَبُّنَا لَمُتْلَبُونَ﴾
أَيُّ: لَصَائِرُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِنَا وَإِلَيْهِ سَبِيلُنَا الْأَكْبَرُ، وَهَذَا
مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ بِسَبِيلِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الْآخِرَةِ، كَمَا نَبَتْ بِالزَّادِ
الدُّنْيَوِيُّ عَلَى الزَّادِ الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُذِّبُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] وَبِالْإِلْبَاسِ الدُّنْيَوِيِّ
عَلَى الْآخِرَوِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ
خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ أَمْ

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

٤٩١

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٣٢﴾
﴿قُلْ أُولَوْ جِئْتُكُمْ بِآهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا
إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَانظُرْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَاهُمْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
﴿٣٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٨﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ أَهْمُ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ إِنَّهُمْ قَسَمْنَا بِنَبِيِّهِمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمَدُونَ ﴿٤١﴾ وَلَوْلَا
أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لِيُيَسِّرَ لَهُمُ السُّبُلَ مِنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٢﴾

مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ أُولَوْ
جِئْتُكُمْ بِآهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَانظُرْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَاهُمْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

[بَيَانُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا حُجَّةَ لَهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ
بَلَا بُرْهَانَ وَلَا دَلِيلَ وَلَا حُجَّةَ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾
أَيُّ: مِنْ قَبْلِ شِرْكِهِمْ ﴿فَهُمْ بِهِ سَمَسِكُونَ﴾ أَيُّ: فِيمَا هُمْ
فِيهِ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٥]
أَيُّ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ أَيُّ: لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا
هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرِكِ سِوَى تَقْلِيدِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

عِبَادَةً لَهَا وَلَا هِمَّةَ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ وَقَدْ بُشِّرَ بِسَيِّئٍ:
مَا هِيَ بِنِعْمِ الْوَلَدِ: نَضْرُهَا بِكَاءٍ، وَبُرْهَا سَرَفَةٌ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا أَلَتَاتٍ لِلَّذِينَ لَا يَدْرُونَ لَوْمَةً لَدُنْهُمْ﴾
الْحَرَمِ إِنَّتًا أَيُّ: اعْتَقَدُوا فِيهِمْ ذَلِكَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَعَالَى
قَوْلَهُمْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ أَيُّ: شَاهَدُوهُ وَقَدْ
خَلَقَهُمُ اللَّهُ إِنَّا نَا ﴿سَكَّابُ سَهْدَتِهِمْ﴾ أَيُّ: بِذَلِكَ
﴿وَيُسَلِّتُونَ﴾ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ
وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أَيُّ: لَوْ أَرَادَ
اللَّهُ لَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ عَلَى صُورِ
الْمَلَائِكَةِ الَّتِي هِيَ بَنَاتُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ وَهُوَ يُقَرِّرُنَا
عَلَيْهِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْخَطَا:

(أَحَدُهَا): جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ
عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

(الثَّانِي): دَعَاَهُمْ أَنَّهُ اضْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ،
فَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَا.

(الثَّلَاثُ): عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا
بُرْهَانٍ وَلَا إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْأَرَاءِ
وَالْأَهْوَاءِ، وَالتَّقْلِيدِ لِلْأَسْلَافِ وَالْكَبَرَاءِ وَالْأَبَاءِ، وَالْخَبْطِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ.

(الرَّابِعُ): إِحْتِجَاجُهُمْ بِتَقْدِيرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ قَدَرًا، وَقَدْ
جَهَلُوا فِي هَذَا الْإِحْتِجَاجِ جَهْلًا كَبِيرًا، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَنْكَرَ
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، فَإِنَّهُ مُنْذُ بَعَثَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ
الْكِتَابَ يَأْمُرُ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ
مَا سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمِنْهُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَنْظَرُوا
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ
إِلَٰهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ
بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حُجَّتَهُمْ هَذِهِ: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَيُّ:
بِصِحَّةِ مَا قَالُوهُ وَاجْتَنَحُوا بِهِ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾
[الأنعام: ١١٦] أَيُّ: يَكْذِبُونَ وَيَقُولُونَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾
يَغْنِي: مَا يَعْلَمُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ^(١).

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِنُونَ ﴿بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ وَكَذَلِكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩٢

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

وَلْيُؤْيُبِهِمْ أَتُوبًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتُكَّوْنَ ﴿٢٦﴾ وَزُخْرًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ نَاقَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٠﴾ وَلَنْ يَفْعَلَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتُكْرَفُونَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَسْمِعُوا أَنَّهُ أَفْأَنُ تَسْمِعُ الصُّمَّ أَتُهْدَى الْغَمَى وَمَنْ كَانَتْ فِي صُلْبٍ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّمَا نَذَرْنَا بِكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مُتَقَمِّمُونَ ﴿٣٣﴾ أَتُورِيكَ الَّذِي وَعَدْتُهُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُشْكِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾

عَلَى أُمَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهَا الدِّينُ هَهُنَا. وَفِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنعام: ٩٢]. وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَلِنَا عَلَى آثَرِهِمْ﴾ أَيُّ: وَرَأَاهُمْ ﴿مُهْتَدُونَ﴾ دَعَاؤُ مِنْهُمْ بِلاَ دَلِيلٍ. ثُمَّ بَيَّنَّ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ مَقَالَةَ هَؤُلَاءِ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهَا أَشْبَاهُهُمْ وَنَظَرَاؤُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمَكْذِبَةِ لِلرُّسُلِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَالُوا مِثْلَ مَقَالَتِهِمْ: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ [أنعام: ١٠٦] بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿[الذاريات: ٥٢، ٥٣] وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ﴾ (*) أَيُّ: يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْكُمْ آيَاتًا قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ﴾ أَيُّ: وَلَوْ عَلِمُوا وَتَبَيَّنُوا صِحَّةَ مَا جِئْتُهُمْ بِهِ لَمَا اتَّقَادُوا لِذَلِكَ؛ لِسُوءِ قُضْدِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَانقَلَبْنَا مِنْهُمْ﴾ أَيُّ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا فَضَّلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصَصِهِمْ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ أَيُّ: كَيْفَ بَادُوا وَهَلَكُوا وَكَيْفَ نَجَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (*) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهَرَأَيْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ تَنْقُصُنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَاءً وَرَحْمَتَ رَبِّكَ حَبْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْيِبَهُمْ سُفْقًا مِنْ فُضْفِةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلْيُؤْيُبِهِمْ أَتُوبًا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يُتُكَّوْنَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

[إِعْلَانُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرَاءَةِ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ] يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ إِمَامِ الْحَقِّ تَعَالَى وَوَالِدِ مَنْ بُعِثَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ قُرْشٌ فِي نَسَبِهَا وَمَذْهَبُهَا أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي عِبَادَتِهِمْ الْأَوْثَانِ، فَقَالَ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (*) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ.

أَيُّ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَهِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَيُّ: جَعَلَهَا دَائِمَةً فِي ذُرِّيَّتِي يَقْنِدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَذَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَيُّ: إِلَيْهَا.

قَالَ عِزُّهُ وَمُجَاهِدُ وَالصَّحَّاحُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ يَعْني: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَزَالُ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَقُولُهَا ^(١). وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَلِمَةُ الْإِسْلَام ^(٢). وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَا قَالَهُ الْجَمَاعَةُ.

[اعْتِرَاضُ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى اللَّهِ فِي أَنْزَالِ الْقُرْآنِ وَجَوَابُهُ] ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ يَعْني الْمُشْرِكِينَ

(*) كذا الظاهر من نسخة المؤلف رحمه الله أنه أمر من قال، وقراءة حفص وابن عامر ﴿قَالَ﴾ بِالْألف على الخبر. والله أعلم (١) الطبري: ٥٨٩/٢١ والقرطبي: ٧٧/١٦ (٢) القرطبي: ٧٧/١٦

﴿وَأَنبَاءَهُمْ﴾ أَي: فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ فِي صَلَاتِهِمْ ﴿حَقٌّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ أَي: بَيَّنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّدَارَةَ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاذِبُونَ﴾ أَي: كَاذِبُوهُ وَعَانَدُوهُ وَدَفَعُوا بِالصُّدُورِ وَالرَّاحِ كُفْرًا وَحَسَدًا وَنَعْيًا ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: كَالْمُعْتَرِضِينَ عَلَى الَّذِي أَنْزَلَهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾

أَي: هَلَا كَانَ أَنْزَالَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ عَظِيمٍ كَبِيرٍ فِي أَغْيَابِهِمْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ؟ يَعْتَوْنَ: مَكَّةَ وَالطَّائِفَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعِكْرَمَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ^(١). وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَعُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مُرَادَهُمْ رَجُلٌ كَبِيرٌ مِنْ أَيِّ الْبَلَدَيْنِ كَانَ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْإِعْزَازِ ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ، بَلْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ أَغْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنْزِلُهَا إِلَّا عَلَى أَرْكَى الْخَلْقِ قَلْبًا وَنَفْسًا. وَأَشْرَفِهِمْ بَيْتًا، وَأَطْهَرِهِمْ أَضْلًا.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا أَنَّهُ قَدْ فَاءَتْ بَيْنَ خَلْقِهِ فِيمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْعُقُولِ وَالْفُهُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَقَالَ: ﴿تَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الْآيَةُ. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُرْحَانًا﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: لِيُسَخَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَعْمَالِ؛ لِإِحْتِيَاجِ هَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا، قَالَهُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ^(٢). ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ حَيْرٌ مِمَّا يَحْمَعُونَ﴾ أَي: رَحِمَهُ اللَّهُ بِخَلْقِهِ خَيْرٌ لَهُمْ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

[لَيْسَ الْمَالُ مِنْ عَلَامَةِ الرِّضَا]

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أَي: لَوْلَا أَن يَعْتَقِدَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْجَهْلَةَ أَنَّ إِعْطَاءَنَا الْمَالَ ذَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّتِنَا لِمَنْ أَعْطَيْنَاهُ فَيَجْتَمِعُوا عَلَى الْكُفْرِ لِأَجْلِ الْمَالِ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ وَغَيْرِهِمْ^(٣). ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِيَهُمْ سُفْهًا مِنْ فَضْلِهِ وَمَعَاجٍ﴾ أَي: سَلَالِمَ وَدُرَجًا مِنْ فَضْلِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ^(٤) وَغَيْرُهُمْ. ﴿عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ﴾ أَي: يَضْعَدُونَ ﴿وَلِيُؤْيِيَهُمْ أَبْوَابًا﴾ أَي: أَعْلَاقًا عَلَى أَبْوَابِهِمْ ﴿وَسُرْرًا عَلَيْهَا

(١) الطبري: ٥٩٢/٢١، (٢) الطبري: ٥٩٥/٢١ (٣) الطبري: ٥٩٧/٢١ (٤) الطبري: ٦٠٠/٢١ (٥) الطبري: ٦٠٢، ٦٠١/٢١ (٦) مسلم: ٢١٦٢/٤ (٧) الترمذي: ٦/٦١١ (٨) البيهقي: ١٣٨/٤ (٩) مسلم: ١١٣/٢ (١٠) مسلم: ١١٠/٢ (١١) فتح الباري: ٤٦٥/٩ ومسلم: ١٦٣٧/٣

صَيَّاهُمْ! هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّدِيِّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(١).

[الْحُثُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ]

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَاسْتَسْكِبْ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَيُّ: خُذْ بِالْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَمَا يَهْدِي إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُنْفِصِي إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوَصِّلِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ. ثُمَّ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: لَشَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالشَّدِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ^(٢). وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ شَرَفَ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَنْزَلَ بِلُغَتِهِمْ، فَهُمْ أَفْهَمُ النَّاسِ لَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا أَقْوَمَ النَّاسِ بِهِ وَأَعْمَلَهُمْ بِمُقْتَضَاهُ، وَهَكَذَا كَانَ خِيَارَهُمْ وَصَفَوْهُمْ مِنَ الْخُلَاصِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ السَّائِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَمَنْ شَاهَبَهُمْ وَتَابَعَهُمْ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أَيُّ: لَتَذَكِيرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ. وَتَخْصِيصُهُم بِالذِّكْرِ لَا يَنْبَغِي مِنْ سِوَاهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. وَكَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، «وَسَوْفَ تُنْشَلُونَ» أَيُّ: عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَكَيْفَ كُنْتُمْ فِي الْعَمَلِ بِهِ وَالْإِسْتِجَابَةِ لَهُ.

وَقَوْلُهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَلَّ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ أَيُّ: جَمِيعِ الرُّسُلِ دَعَا إِلَى مَا دَعَوْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَوْا عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَاسْأَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ [مِنْ] رُسُلِنَا)^(٣). وَهَكَذَا حَكَاهُ قَتَادَةُ وَالصَّحَّاحُ وَالشَّدِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤). وَهَذَا كَأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لَا تِلَاوَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَكُونَ^(٥) وَمَا يُرِيدُهُ مِنَ آيَةِ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذَتْهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ^(٦) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ

تُسْمِعُ الصَّمَّةَ أَوْ تَهْدِيَ الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَتْ فِي صَلَاتِكَ مُبِيبٌ^(٧) فَإِنَّمَا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مُتَقِيَمُونَ^(٨) فَاسْتَسْكِبْ بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٩) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُنْشَلُونَ^(١٠) وَسَلَّ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ^(١١)

[الشَّيْطَانُ قَرِينُ الْمُعْرِضِ عَنِ الرَّحْمَنِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ أَيُّ يَتَعَامَى وَيَتَغَافَلُ وَيُعْرِضُ ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ وَالْعِشَا فِي الْعَيْنِ ضَعْفٌ بَصَرُهَا، وَالْمُرَادُ هَهُنَا عِشَا الْبَصِيرَةِ ﴿فَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى﴾... الآية [النساء: ١١٥]. وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وَكَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾... الآية [فصلت: ٢٥]. وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَهُنَا: ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾^(١٢) حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ أَيُّ: هَذَا الَّذِي تَغَافَلَ عَنْ الْهُدَى فَقِيضَ لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطِ الْحَجِيمِ. فَإِذَا وَافَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّبِعُهُمُ الشَّيْطَانُ الَّذِي وَكَّلَ بِهِ ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَنِي وَبَنِيكَ بَعْدَ الْمَسْرِقِينَ قِيَسَ الْقَرِينُ﴾ وَفَرَأَ بَعْضُهُمْ: (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا) يَغْنِي: الْقَرِينُ وَالْمُقَارِنُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أَيُّ: لَا يَغْنِي عَنْكُمْ أَجْمَاعُكُمْ فِي النَّارِ وَاشْتِرَاكُكُمْ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

[لَا يَهْدِي مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ]

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿أَفَلَنْتُمْ تَسْمِعُ الصَّمَّةَ أَوْ تَهْدِيَ الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَتْ فِي صَلَاتِكَ مُبِيبٌ﴾ أَيُّ: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ فِي ذَلِكَ.

[إِنْتِقَامُ اللَّهِ مِنْ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ وَاقِعٌ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مُتَقِيَمُونَ﴾ أَيُّ لَا بُدَّ أَنْ نَنْتَقِمَ مِنْهُمْ وَنُعَاقِبَهُمْ وَلَوْ ذَهَبَتْ أَنْتَ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ أَيُّ: نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى هَذَا وَعَلَى هَذَا، وَلَمْ يَقْضِ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ حَتَّى أَقَرَّ عَيْنَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَحَكَمَهُ فِي نَوَاصِيهِمْ، وَمَلَكَهُ مَا تَضَمَّنَتْهُ

(١) الطبري: ٦٠٩/٢١ (٢) الطبري: ٦١٠/٢١

(٣) الطبري: ٦١١/٢١ (٤) الطبري: ٦١٢/٢١

عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾

[آيَاتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضَحِكَ آلُ فِرْعَوْنَ وَتَنَاقَشُهُمْ عَهْدَهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ اتَّبَعْتَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْقَادَةِ وَالْأَتْبَاعِ وَالرَّعَايَا مِنَ الْفِطْرِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُ آيَاتٍ عِظَامًا كَبِيدَةً وَعَصَاهُ، وَمَا أَرْسَلَ مَعَهُ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالْدَّمَ، وَمِنْ نَقْصِ الزَّرْعِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ اسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِهَا وَالْإِنْقِيَادِ لَهَا، وَكَذَّبُوهَا وَسَخَرُوا مِنْهَا وَضَحِكُوا مِنْ جَاءِهِمْ بِهَا ﴿وَمَا تُرِيدُ﴾ ^(١) مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَمَعَ هَذَا مَا رَجَعُوا عَنْ غِيهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَجَهْلِهِمْ وَخَبَالِهِمْ، وَكُلَّمَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ يَصْرِعُونَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَلَطَّطُونَ لَهُ فِي الْعِبَارَةِ يَقُولُهُمْ: ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ﴾ أَيِ: الْعَالِمِ. قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٢). وَكَانَ عُلَمَاءُ زَمَانِهِمْ هُمُ السَّحَرَةُ. وَلَمْ يَكُنِ السَّحَرُ فِي زَمَانِهِمْ مَذْمُومًا عِنْدَهُمْ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْتِقَاصِ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْحَالِ حَالُ ضَرُورَةٍ مِنْهُمْ إِلَيْهِ لَا تَنَاسُبُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْظِيمٌ فِي زَعْمِهِمْ، فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَدْعُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ كُتِفَ عَنْهُمْ هَذَا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَنْكُثُونَ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى أَدِغْ لَنَا رَبِّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ لِيَنْ كُفِّتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٥].

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ الْيَسَّى لِي مَلِكٌ مِصْرَ

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

الْآخِرِينَ

٤٩٣

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ الْيَسَّى لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهَئُنَا حَبِطَ آمُومًا ضَرَبُوهُ لَكَ الْإِجْدَالُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

لِلْآخِرِينَ ﴿٥١﴾

[خِطَابُ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ وَمُواخَذَةُ اللَّهِ إِيَّاهُ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ وَتَمَرُّدِهِ وَعُتُوِّهِ وَكُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، أَنَّهُ جَمَعَ قَوْمَهُ فَنَادَى فِيهِمْ مُتَبَجِّحًا مُفْتَحِرًا بِمُلْكِهِ مِصْرَ وَتَصْرِفِهِ فِيهَا: ﴿الْيَسَّى لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ كَانَتْ لَهُمْ جَنَاتٌ وَأَنْهَارُ مَاءٍ ^(٣). ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أَيِ: أَفَلَا تَرَوْنَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْمُلْكِ. يَعْني: مُوسَى وَاتَّبَاعُهُ فَقَرَأَ ضَعْفَاءُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَحَبَّطْنَاكَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٣-٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: يَقُولُ: بَلْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ^(٤). وَهَكَذَا قَالَ بَعْضُ نَحْوَةِ الْبُصْرَةِ: إِنَّ «أُمَّ» هُنَا بِمَعْنَى:

(١) وقع في الأصل هنا: «وما تأنيهم» وهو خطأ. (٢) الطبري:

٦١٥/٢١ (٣) الطبري: ٦١٦/٢١ (٤) الطبري: ٦١٦/٢١

جُبَيْرٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ^(٦).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِزْجَارٌ مِنْهُ لَهُ»، ثُمَّ تَلَا ﷻ: «فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ»^(٧). وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ عَنْهُ مَوْتُ الْعَجَاةِ، فَقَالَ: تَخْفِيفٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ»^(٨) وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَجِدْتُ النِّقْمَةَ مَعَ الْعُقْلَةِ، يَعْنِي قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ».

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ» قَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: «سَلَفًا»: لِمَثَلٍ مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُهُمْ^(٩). وَقَالَ هُوَ وَمُجَاهِدٌ: «وَمَثَلًا»: أَيُّ عِبْرَةٍ لِمَنْ بَعْدَهُمْ^(١٠). وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَأُ.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾^(٥٧)

وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خَصِمُونَ^(٥٨) إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ اتَّعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي

إِسْرَءِيلَ^(٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لَكِثَّةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ^(٦٠)

وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِسَاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّعَمُونَ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ^(٦١) وَلَا يَصْدَنُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٦٢) وَلَمَّا

جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ

الَّذِي تَخْلَفُونَ فِيهِ فَآتَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ^(٦٤) فَاتَّخَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ^(٦٥)

[اِسْتِخْفَافٌ قُرَيْشٍ لِابْنِ مَرْيَمَ، وَدَرَجَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ تَعَنُّتِ قُرَيْشٍ فِي كُفْرِهِمْ

بَلْ^(١). وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا حَكَاهُ الْقُرَّاءُ عَنْ بَعْضِ الْقُرَّاءِ أَنَّهُ قَرَأَهَا: (أَمَّا أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ)^(٢). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَلَوْ صَحَّتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ لَكَانَ مَعْنَاهَا صَحِيحًا وَاضِحًا، وَلَكِنَّهَا خِلَافُ قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ فَإِنَّهُمْ قَرَأُوا (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ^(٣). (قُلْتُ:) وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَإِنَّمَا يَعْنِي فِرْعَوْنُ - لَعَنَهُ اللَّهُ - بِذَلِكَ: أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَدْ كَذَّبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا كَذِبًا بَيِّنًا وَاضِحًا، فَعَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: «مَهِينٌ» كَمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَقِيرٌ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي: لَا مَلِكَ لَهُ وَلَا سُلْطَانَ وَلَا مَالَ. «وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ» يَعْنِي: لَا يَكَادُ يُفْصِحُ عَنْ كَلَامِهِ، فَهُوَ عَمِيٌّ حَصِرٌ. وَقَوْلُهُ: «مَهِينٌ»: كَذِبٌ، بَلْ هُوَ الْمَهِينُ الْحَقِيرُ خَلَقَهُ وَخَلَقَا وَدِيئًا، وَمُوسَى هُوَ الشَّرِيفُ الصَّادِقُ الْبَارُ الرَّاشِدُ. وَقَوْلُهُ: «وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ» اِفْتِرَاءٌ أَيْضًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَصَابَ لِسَانَهُ فِي حَالِ صَغَرِهِ شَيْءٌ مِنْ جَهَةِ تِلْكَ الْجُمْرَةِ، فَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ؛ لِيَفْقَهُوا قَوْلَهُ، وَقَدْ اسْتَحْجَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى» [طه: ٣٦]، وَبِتَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ لَمْ يَسْأَلْ إِزَالَتَهُ، كَمَا قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ. وَإِنَّمَا سَأَلَ زَوَالَ مَا يَخْصُلُ مَعَهُ الْإِبْلَاجُ وَالْإِفْهَامُ، فَالْأَشْيَاءُ الْخُلُقِيَّةُ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ لَا يُعَابُ بِهَا، وَلَا يُدْمُ عَلَيْهَا، وَفِرْعَوْنُ وَإِنْ كَانَ يَفْهَمُ وَلَهُ عَقْلٌ، فَهُوَ يَدْرِي هَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّرْوِيجَ عَلَى رَعِيَّتِهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا جَهْلَةً أَغْيَاءَ، وَهَكَذَا قَوْلُهُ: «فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» وَهِيَ مَا يُجْعَلُ فِي الْأَيْدِي مِنَ الْحُلِيِّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٤). «أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ» أَيُّ: يَكْتَبُونَهُ خِدْمَةً لَهُ، وَيَسْهَدُونَ بِتَصْدِيقِهِ، نَظَرَ إِلَى الشَّكْلِ الظَّاهِرِ، وَلَمْ يَفْهَمْ السِّرَّ الْمَعْنَوِي الَّذِي هُوَ أَظْهَرُ مِمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ لَوْ كَانَ يَفْهَمُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ» أَيُّ: اسْتَحَفَّ عُقُولَهُمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ءَاسَفُونَا» اِسْخَطُونَا^(٥). وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْهُ: اِعْضَبُونَا، وَهَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ

(١) الطبري: ٦١٨/٢١ (٢) الطبري: ٦١٨/٢١ (٣) الطبري:

٦١٨/٢١ (٤) الطبري: ٦١٩/٢١ (٥) الطبري: ٦٢٢/٢١

(٦) الطبري: ٦٢٢/٢١ والدر المنثور: ٣٨٣/٧ (٧) أحمد: ٤/

١٤٥ باختلاف يسير. (٨) الدر المنثور: ٣٨٤/٧ (٩)

القرطبي: ١٠٢/١٦ (١٠) الطبري: ٦٢٤/٢١ والقرطبي: ١٦/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩٤

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

وَنَعْمُدُهُمُ الْغَنَاءَ وَالْجَدَلَ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ وَالضَّحَّاكُ: يَضْحَكُونَ أَيُّ: أَعْجَبُوا بِذَلِكَ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: يَجْزَعُونَ وَيَضْحَكُونَ^(٢). وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يُعْرِضُونَ^(٣).

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ حَيْثُ قَالَ: وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنِي، يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُّوكُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠] الْآيَاتِ.

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ التَّمِيمِيُّ حَتَّى جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَا وَمَا نَعْبُدُ مِنَ إِلَهَتِنَا هَلْ هُوَ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، سَلُوا مُحَمَّدًا أَكُلَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبْدُهُ، فَتَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ نَعْبُدُ عَزِيرًا، وَالنَّصَارَى نَعْبُدُ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبْدُهُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيْطَانَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] أَيُّ: عِيسَى وَعَزِيرٌ وَمَنْ عُبِدَ مَعَهُمَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَنَزَلَ فِيمَا يُذَكِّرُ مِنْ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَأَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩] الْآيَاتِ، وَنَزَلَ فِيمَا يُذَكِّرُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ حُجَّتِهِ وَخُصُومَتِهِ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أَيُّ: يَصِدُّونَ عَنْ أَمْرِكَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فَقَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ ﴿وَإِنَّمَا لَعَلَّمُ لِلنَّاسِ السَّاعَةَ﴾ أَيُّ: مَا وَضِعَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ فَكَفَى بِهِ دَلِيلًا عَلَى عِلْمِ السَّاعَةِ، يَقُولُ: ﴿فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٤).

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ رِوَايَةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلَهُ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قَالَ: يُعْنِي: قُرَيْشًا، لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُّوكُمْ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠]. فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: فَمَا ابْنُ مَرْيَمَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ». فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يُرِيدُ هَذَا إِلَّا أَنْ تَتَّخِذَهُ رَبًّا كَمَا اتَّخَذَتْ

(١) القرطبي: ١٠٣/١٦ (٢) الطبري: ٦٢٧/٢١ (٣)

القرطبي: ١٠٣/١٦ (٤) ابن هشام: ٣٩٦-٣٩٨

هَرِيرَةً وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَأَبِي مَالِكٍ وَعِكْرِمَةَ
وَالْحَسَنَ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَغَيْرَهُمْ^(٨). وَقَدْ تَوَاتَرَتْ
الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَمَرَّتْ بِهَا﴾ أَي: لَا تَشْكُوا فِيهَا
أَنَّهَا وَاقِعَةٌ وَكَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ ﴿وَأَتَّبِعُونَ﴾ أَي: فِيمَا أُخْبِرَكُمْ
بِهِ ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٩) وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ ﴿أَي: عَنِ
اتِّبَاعِ الْحَقِّ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١٠) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ
قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ أَي: بِالْبَيِّنَةِ ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْني مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ
لَا الدُّنْيَوِيَّةِ^(١١). وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ جَيِّدٌ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَي: فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ
﴿وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أَي: أَنَا وَأَنْتُمْ عِبِيدُ لَهُ، فَقَرَأَ إِلَيْهِ،
مُسْتَرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ﴾ أَي: هَذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ
وَهُوَ عِبَادَةُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ. وَقَوْلُهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿فَاخْلَفَ الْأَخْرَابَ مِنْ بَنِيهِمْ﴾ أَي: اخْتَلَفَتْ الْفِرَقُ، وَصَارُوا
شَيْعًا فِيهِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ الْحَقُّ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعي أَنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ اللَّهُ.
تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ غُلُوبًا كَبِيرًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلِيلُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَيسَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ﴾^(١٢) الْأَخْلَاقُ يَوْمِيَّةٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
الْمُنْفِقِينَ^(١٣) يَتَّبِعُونَ لَا حَوْفَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ وَلَا أَشْرَ
تَحْزَنُونَ^(١٤) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ^(١٥) ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ^(١٦) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ
ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّاهِيَ الْأَنْفُسُ وَلَسَدُ الْأَعْيُنِ وَأَنْتُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ^(١٧) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ^(١٨) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ^(١٩)

النَّصَارَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَبًّا، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا
صَرَّيْتُكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(٢٠).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ:
يَقُولُونَ: آلِهَتُنَا خَيْرٌ مِنْهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ (وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا؟) يَعْثُونَ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا صَرَّيْتُكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أَي:
مِرَاءً، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَى الْآيَةِ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا لَا
يَعْقِلُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ ثُمَّ هِيَ خِطَابٌ لِلْفَرِيسِيِّ، وَهُمْ إِنَّمَا
كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ
الْمَسِيحَ حَتَّى يُورِدُوهُ. فَتَعَيَّنَ أَنَّ مَقَالَتَهُمْ إِنَّمَا كَانَتْ جَدَلًا
مِنْهُمْ لَيْسُوا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهَا. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا
أُورِثُوا الْجَدَلَ». ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا
صَرَّيْتُكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(٢١). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَابْنُ مَاجَهَ، وَابْنُ جَرِيرٍ ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ لَا
نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ^(٢٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يَعْني:
عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. مَا هُوَ إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْبَيِّنَةِ وَالرَّسَالَةِ ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي
إِسْرَءِيلَ﴾ أَي: ذِلَالَةً وَحُجَّةً وَبُرْهَانًا عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى مَا
نَشَاءُ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ
بَدَلَكُمْ﴾^(٢٣) ﴿مَلِكًا فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: يَخْلَفُونَكُمْ
فِيهَا^(٢٤). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَتَادَةُ: يَخْلَفُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا يَخْلَفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا^(٢٥). وَهَذَا الْقَوْلُ
يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَغْمُرُونَ الْأَرْضَ بِدَلَكُمُ^(٢٦).

وَقَوْلُهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ﴾^(٢٧) الصَّحِيحُ
فِيهِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ نَزُولُهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] أَي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا﴾ [النساء: ١٥٩]
وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى الْقِرَاءَةُ الْأُخْرَى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ﴾
أَي: أَمَارَةً وَدَلِيلًا عَلَى وَقُوعِ السَّاعَةِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَإِنَّهُ
لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ﴾ أَي: آيَةً لِلْسَّاعَةِ: خُرُوجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢٨). وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي

(١) الطبري: ٢١/٦٢٥ العوفي ضعيف كما سبق (٢) أحمد: ٥/

٢٥٦ (٣) تحفة الأحوذى: ٩/١٣٠ وابن ماجه: ١/١٩

والطبري: ٢١/٦٢٩ (٤) الطبري: ٢١/٦٣١ (٥) الطبري:

٢١/٦٣٠ (٦) الطبري: ٢١/٦٣٠ (٧) الطبري: ٢١/٦٣٢

(٨) الطبري: ٢١/٦٣٢ والقرطبي: ١٦/١٠٦ (٩) الطبري:

٢١/٦٣٥

[تَأْتِي الْقِيَامَةُ بِعَظَّةٍ وَتَفْجَعُ الْعَادَاةُ بَيْنَ الْأَخْلَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ]

يَقُولُ تَعَالَى: هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ ﴿٧٤﴾ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٥﴾ أَيْ فَإِنَّهَا كَأَنَّهَا لَا مُحَالَةَ وَوَاقِعَةً، وَهَؤُلَاءِ غَافِلُونَ عَنْهَا غَيْرَ مُسْتَعِدِّينَ، فَإِذَا جَاءَتْ إِنَّمَا تَجِيءُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهَا، فَحِينَئِذٍ يَنْدَمُونَ كُلَّ النَّدَمِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمْ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أَيْ كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً، إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ؛ فَإِنَّهُ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنَّمَا أَتَخَذُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيًّا أَوْ لَنَا مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ بَعْضٌ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَمَا وَدَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

[بِشَارَةِ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَدُخُولِهِمُ الْجَنَّةِ]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَعْبَادُ لَا حَاقَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ثُمَّ بَشَّرَهُمْ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ أَيْ: آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ وَانْفَادَتْ لِشَرَعِ اللَّهِ جَوَارِحُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ. قَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ: إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ النَّاسَ جِئِينَ يُعْتَنُونَ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا فَرَحٌ، فَيُنَادِي مُنَادٍ ﴿يَعْبَادُ لَا حَاقَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ فَيَرْجُوها النَّاسُ كُلُّهُمْ، قَالَ: فَيُنْبِئُهَا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ قَالَ: فَيُنَاسُ النَّاسُ مِنْهَا غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ^(١). ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أَيْ: نَظَرَاؤُكُمْ ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أَيْ: تَنْعَمُونَ وَتُسْعَدُونَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا فِي سُورَةِ الرُّومِ. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أَيْ: زِيَادِي - آيَةُ الطَّعَامِ - ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ وَهِيَ آيَةُ الشَّرَابِ أَيْ: مِنْ ذَهَبٍ لَا خَرَّاطِيمَ لَهَا وَلَا عُرَى (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: ﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ ﴿وَتَكَلُّدُ الْأَعْيُنِ﴾ أَيْ: طَيِّبُ الطَّعَامِ وَالرِّيحِ وَحَسَنُ الْمَنْظَرِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا﴾ أَيْ: فِي الْجَنَّةِ ﴿تَخْلُدُونَ﴾ أَيْ: لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا تَبْعُونَ عَنْهَا جَوْلًا.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يَفْتَرِعُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٨٠﴾ أَمْ أَتَرْمَوْا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٨١﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٢﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨٣﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٤﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوعَدُونَ ﴿٨٥﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَلِلَّهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٩﴾ وَقِيلَ لَهُ رَبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَوْمَنُونَ ﴿٩٠﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّفْضِيلِ وَالْإِمْتِنَانِ: ﴿وَلَيْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرَثْنَاهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: أَعْمَالُكُمْ الصَّالِحَةُ كَانَتْ سَبَبًا لِشُمُولِ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا عَمَلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَكِنْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وَإِنَّمَا الدَّرَجَاتُ يُنَالُ تَقَوُّنُهَا بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أَيْ: مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أَيْ: مَهْمَا اخْتَرْتُمْ وَأَرَدْتُمْ. وَلَمَّا ذَكَرَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ذَكَرَ بَعْدَهُ الْفَاكِهَةَ؛ لِتَمِّمِ النِّعْمَةَ وَالْغِنَى، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لَا يَفْتَرِعُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ أَتَرْمَوْا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٨٠﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨١﴾

[عَاقِبَةُ الْأَشْقِيَاءِ السَّيِّئَةِ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالِ السَّعْدَاءِ ثَنَّى بِذِكْرِ الْأَشْقِيَاءِ، فَقَالَ: **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴿٧٥﴾ لَا يَفُتِّرُ عَنْهُمْ أَتَى: سَاعَةً وَاحِدَةً ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ أَيْ: آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ﴿وَمَا ظَنَنْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ أَيْ: بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَإِزْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوا وَعَصَوْا فَجُوزُوا بِذَلِكَ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ﴾ وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمَنَبَرِ: ﴿وَنَادَا يَمْلِكُ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ^(١) أَيْ: يَقْضِ أَرْوَاحَنَا فَيَرْحِمَنَا بِمَا نَحْنُ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَجَّجْنَا السَّمَاةَ﴾ ﴿الَّذِي يَصِلُ أَثَارُ الْكُبُورِ﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَجِيءُ ﴿[الاعلى: ١١-١٣] فَلَمَّا سَأَلُوا أَنْ يَمُوتُوا أَجَابَهُمْ مَالِكٌ: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ﴾ أَيْ: لَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا وَلَا مَجِيدَ لَكُمْ عَنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ سَبَبَ شِقْوَتِهِمْ، وَهُوَ: مُخَالَفَتُهُمْ لِلْحَقِّ وَمُعَانَدَتُهُمْ لَهُ، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أَيْ: بَيِّنَاتُهُ لَكُمْ وَوَصَّحْنَاهُ وَفَسَّرْنَاهُ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ أَيْ: وَلَكِنْ كَانَتْ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُهُ، وَلَا تَقْبَلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا تَتَّقَادُ لِلْبَاطِلِ وَتُعْظَمُهُ، وَتَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَتَأْبَاهُ وَتُبْغِضُ أَهْلَهُ. فَعُودُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْمَلَامَةِ، وَانْدِمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُكُمْ النَّدَامَةُ، ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ أَمَرْنَا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَادُوا كَيْدَ شَرٍّ، فَكَذَّبْنَاهُمْ ^(٢). وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مُجَاهِدٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرَانًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَتَحِيلُونَ فِي رَدِّ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ بِحِيلٍ وَمَكْرِ يَسْلُكُونَهُ، فَكَادَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَدَّ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ أَيْ: سِرَّهُمْ وَعَلَانِيَتَهُمْ ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ أَيْ: نَحْنُ نَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَيْضًا يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ سَبَّحَ بِحَمْدِ يَوْمَهُمُ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّا هَتَوْنَاهُمْ قَوْمٌ لَا يَذْكُرُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[لَيْسَ لِلَّهِ وَلَدٌ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ أَيْ: لَوْ فُرِضَ هَذَا لَعَدَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنِّي عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِهِ، مُطِيعٌ لِجَمِيعِ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، لَيْسَ عِنْدِي اسْتِكْبَارٌ وَلَا إِنَاءٌ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَلَوْ فُرِضَ هَذَا لَكَانَ هَذَا، وَلَكِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى وَالشَّرْطُ لَا يُلْزَمُ مِنْهُ الْوُقُوعُ وَلَا الْجَوَازُ أَيْضًا، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أَيْ: تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنَّهُ فَرَّدَ أَحَدَ صَمَدٌ، لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا كُفَّاءَ لَهُ، فَلَا وَلَدَ لَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ أَيْ: فِي جَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فِي دُنْيَاهُمْ ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَيْ: فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ مَصِيرُهُمْ وَمَالُهُمْ وَحَالُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

[بَيَانُ تَفَرُّدِ الرَّبِّ]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ أَيْ: هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَعْبُدُهُ أَهْلُهُمَا، وَكُلُّهُمْ خَاضِعُونَ لَهُ، أَدْلَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] أَيْ: هُوَ الْمَدْعُوُّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أَيْ: هُوَ خَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا بِلَا مُدَافَعَةٍ وَلَا مُمَانَعَةٍ، فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْوَلَدِ وَتَبَارَكَ، أَيْ: اسْتَقَرَّ لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ؛ لِأَنَّهُ الرَّبُّ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْمَالِكُ لِلْأَشْيَاءِ الَّذِي بِيَدِهِ أَرْمَةُ الْأُمُورِ نَقْضًا وَإِبْرَامًا.

(١) فتح الباري: ٤٣١/٨ (٢) الطبري: ١٤٦/٢١

وَالْمَغَارِبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرُّخْرِفِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الدُّخَانِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الدُّخَانِ]

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ خَبَأً، فَمَا هُوَ؟». وَخَبَأَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الدُّخَانِ فَقَالَ: هُوَ الدُّخُّ. فَقَالَ: «أَخْسَأُ مَا شَاءَ اللَّهُ [كَانَ]». ثُمَّ انْصَرَفَ^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾

[نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وَقَدْ ذَكَرْنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أَيُّ: مُعَلِّمِينَ النَّاسَ مَا يَنْفَعُهُمْ وَيَضُرُّهُمْ شَرَعًا، لِنُقَوِّمَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أَيُّ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، يُفَصَّلُ مِنَ اللُّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الْكِتَابَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا

(١) الطبري: ٦٥٦/٢١ (٢) فتح الباري: ٤٣١/٨ (٣) الطبري: ٦٥٦/٢١ (٤) الطبري: ٦٥٦/٢١ (٥) الطبراني: ٥/٨٨ والمعجم الأوسط (٣٨٧٥) كشف الاستار (٣٣٩٩) وقال البزار لم يرو هذا الحديث عن فرات القزاز -ثقة- إلا ابنه الحسن - ولا عن ابنه إلا ابنه زياد - قال أبو حاتم منكر الحديث أورده الهيثمي في المجموع ٤/٨ وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وفيه زياد بن الحسن بن فرات ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان

﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أَيُّ: ﴿لَا يَجْلِيهَا لَوْحَهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أَيُّ: فَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

[نَفْيُ شَفَاعَةِ الْأَوْتَانِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أَيُّ: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْتَانِ ﴿الشَّفَعَةَ﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّفَاعَةِ لَهُمْ ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ. أَيُّ: لَكِنْ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ، فَإِنَّهُ تَنَفَّعَ شَفَاعَتُهُ عِنْدَهُ بِإِذْنِهِ لَهُ.

[إِعْتِرَافُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ]

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّى يَوْفَكُونَ﴾ أَيُّ: وَلَكِنْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرُهُ ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ؟﴾ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ أَيُّ: هُمْ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُ الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ جَمِيعِهَا، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالسَّفَاهَةِ وَسَخَافَةِ الْعَقْلِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَلَّى يَوْفَكُونَ؟﴾

[شَكْوَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اللَّهِ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيُّ: وَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ لَهُ -أَيُّ: شَكَأَ إِلَى رَبِّهِ شَكْوَاهُ- مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، فَقَالَ: ﴿يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] وَهَذَا الَّذِي قُلْتَاهُ هُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، وَعَلَيْهِ فَسَّرَ ابْنُ جَرِيرٍ^(١). قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِي: ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ)^(٢). وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: يُؤْثِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ^(٣). وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ قَوْلُ نَبِيِّكُمْ ﷺ يَشْكُو قَوْمَهُ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أَيُّ: الْمُشْرِكِينَ ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ أَيُّ: لَا تُجَاوِبُهُمْ بِمِثْلِ مَا يُخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ، وَلَكِنْ تَأَلَّفْهُمْ وَاصْفَحْ عَنْهُمْ فِعْلًا وَقَوْلًا، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، وَلِهَذَا أَحَلَّ بِهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يَرُدُّ، وَأَعْلَى دِينَهُ وَكَلِمَتَهُ، وَشَرَعَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجِهَادَ وَالْجِلَادَ، حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْمَشَارِقِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٧ إِنَّ كُنُوزَهُ مَوْقُونٍ ٨ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ١٠ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ١٦ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧ أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨

يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْأَجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُجَاهِدٍ وَأَبِي مَالِكٍ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ^(١). وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: «حَكِيمٍ» أَيُّ: مُحْكَمٍ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُغَيَّرُ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ جَلَّاهُ: «أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا» أَيُّ: جَمِيعٍ مَا يَكُونُ وَيُقَدَّرُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا يُوجِبُهُ، فَبِأَمْرِهِ وَإِذْنِهِ وَعِلْمِهِ «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» أَيُّ: إِلَى النَّاسِ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ كَانَتْ مَاسَةً إِلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» أَيُّ: الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا وَمَا فِيهِمَا «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» أَيُّ: إِنْ كُنْتُمْ مُتَّحِقِينَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ يَتَابِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ»... الآية [الأعراف: ١٥٨].

«بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ» فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ

[تَحْوِيفُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي تَأْتِي السَّمَاءُ بِالدُّخَانِ]

يَقُولُ تَعَالَى: بَلْ هُوَ لَآءِ الْمُشْرِكُونَ «فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ» أَيُّ: قَدْ جَاءَهُمُ الْحَقُّ الْبَقِيَّةُ، وَهُمْ يَشْكُونَ فِيهِ وَيَمْتَرُونَ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ وَمُهْدِدًا: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» عَنْ مُسْرُوقٍ، قَالَ: دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، يَعْنِي: مَسْجِدَ الْكُوفَةِ عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقْصُصُ عَلَى أَصْحَابِهِ: «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» تَذَرُونَ مَا ذَلِكَ الدُّخَانُ؟ ذَلِكَ دُخَانٌ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُتَفَقِّهِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ شِبْهُ الزُّكَّامِ، قَالَ: فَأَتَيْنَا ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَكَانَ مُضْطَجِعًا، فَفَرَعَ فَقَعَدَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لَنَبِّئَكُمْ ﷺ: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» [ص: ٨٦] إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ. سَأَحْذَرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّ قُرَيْشًا

لَمَّا أَبْطَأَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَاسْتَعْصَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنَّينَ كَسَنِي يُوشَعَ، فَأَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ وَالْجُوعِ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ وَالْمِثْنَةَ، وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا الدُّخَانَ ^(٢). وَفِي رَوَايَةٍ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ اسْتَسْقَى اللَّهُ لِمُصْرٍ؛ فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ، فَاسْتَسْقَى ﷺ لَهُمْ فَسَقُوا، فَتَزَلَّتْ «إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَلَمَّا أَصَابَهُمُ الرَّفَاهِيَّةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ» قَالَ: يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ ^(٣). قَالَ

(١) الطبري: ٩/٢٢ (٢) مسلم: ٢١٥٥/٤ (٣) فتح الباري: ٤٣٤/٨

عَبَّاسٌ ذَاتَ يُومٍ فَقَالَ: مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ. قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: قَالُوا طَلَعَ الْكُوكُبُ ذُو اللَّذَنِّ، فَخَبِثَتْ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ. وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ... فَذَكَرَهُ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ خَبَرُ الْأَمَّةِ وَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ. وَهَكَذَا قَوْلُ مَنْ وَافَقَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَجْمَعِينَ مَعَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ وَالْمَوْفُوقَةِ مِنَ الصَّحَّاحِ وَالْحَسَنِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا فِيهِ مَقْنَعٌ، وَدَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّ الدُّخَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْتَظَرَةِ، مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَنْتَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ أَيُّ: بَيِّنٍ وَاضِحٍ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَعَلَى مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ خَيَالٌ رَأَوْهُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْجَهْدِ. وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ أَيُّ يَتَغَشَّاهُمْ وَيَعْمَهُمْ، وَلَوْ كَانَ أَمْرًا خَيَالِيًّا يَخْصُ أَهْلَ مَكَّةَ الْمُشْرِكِينَ لَمَا قِيلَ فِيهِ: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيُّ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ، تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ يَهَا تُكَلِّبُونَ ﴿[الطور: ١٣، ١٤] أَوْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أَيُّ يَقُولُ الْكَافِرُونَ إِذَا عَانَيْتُوا عَذَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، سَائِلِينَ رَفْعَهُ وَكَشْفَهُ عَنْهُمْ كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ وَفَعْنَا عَلَى النَّارِ فَعَالُوا يَكْتَلِبُونَ﴾ وَلَا تُكَلِّبُ بِحَاثِيتِ رَبَّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأنعام: ٢٧] وَكَذَا قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعَ الرُّسُلُ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. وَهَكَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا هَهُنَا: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ لِّبَنَاتٍ يَخَوِّفُنَّ يَقُولُ: كَيْفَ لَهُمْ بِالتَّذَكُّرِ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالتَّذَاذِرَةِ، وَمَعَ هَذَا تَوَلَّوْا عَنْهُ،

ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقَدْ مَضَى خَمْسَةٌ: الدُّخَانُ وَالرُّوْمُ وَالْقَمَرُ وَالْبَطْنَةُ وَاللِّزَامُ. وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(١). وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَالتَّسَائِي فِي تَفْسِيرَيْهِمَا، وَعِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ^(٢). وَقَدْ وَافَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْآيَةِ، بِهَذَا وَأَنَّ الدُّخَانَ مَضَى: جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّلَفِ كُمُجَاهِدٍ وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَالضَّحَّاكَ وَعَطِيَّةَ الْعَوْفِيَّ^(٣). وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

[القول الثاني في تفسير الدُّخَانِ]

قَالَ آخَرُونَ: لَمْ تَمْضِ الدُّخَانُ بَعْدُ، بَلْ هُوَ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَرِيحَةَ حَدَّثَنِي بَنُ أَبِي سِيدٍ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ فَقَالَ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَالدَّجَالُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالشَّمْسِ، وَخَسْفٌ بِالشَّمْسِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارًا تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ - أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ - تَبَيَّتْ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقْبَلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا». تَفَرَّدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(٤). وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِابْنِ صَبَّادٍ: «إِنِّي خَبَأْتُ لَكَ خَبَاءً» قَالَ: هُوَ الدُّخَانُ، قَالَ ﷺ: «أَخْسَأُ، فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ» قَالَ: وَخَبَأَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَأَنْتَبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٥). وَهَذَا فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُنْتَظَرِ الْمُرْتَقِبِ، وَابْنُ صَبَّادٍ كَاشِفٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْكُفَّانِ بِلِسَانِ الْجَانِّ، وَهُمْ [يَقْرَءُونَ] الْعِبَارَةَ، وَلِهَذَا قَالَ: هُوَ الدُّخَانُ، يَغْنِي: الدُّخَانُ. فَعِنْدَهَا عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا دَأَتْهُ، وَأَنَّهَا شَيْطَانِيَّةٌ، فَقَالَ ﷺ: «أَخْسَأُ فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ».

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا: الدُّخَانُ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ كَالرُّكْمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْفِخُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْمَعٍ مِنْهُ، وَالثَّانِيَةُ: الدَّابَّةُ، وَالثَّالِثَةُ: الدَّجَالُ». وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ^(٦). وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَيَدْخُلُ فِي مَسَامِعِ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ حَتَّى يَكُونَ كَالرُّأْسِ الْحَنِيذِ، أَيُّ: الْمَشْوِيِّ عَلَى الرُّضْفِ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: غَدُوْتُ عَلَى ابْنِ

(١) فتح الباري: ٤٣٤/٨ (٢) أحمد: ٣٨٠/١ وتحفة الأحوذى: ١٣٣/٩ والتسائي في الكبرى: ٤٥٥/٦ والطبري: ١٤٠، ١٣/٢٢ (٣) الطبري: ١٦/٢٢ (٤) مسلم: ٢٢٢٥/٤ (٥) فتح الباري: ٢٥٨/٣ ومسلم: ٢٢٤٠/٤ (٦) الطبري: ٣١٠٦٠

سورة الدخان

٤٩٧

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَإِنِّي عَذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٨﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لَوْلَا أَنْ رَّبَّهُ
رَبِّهِمْ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَفُونَ ﴿٢١﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِنْ جَنَّةٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٢﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ
بَجَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٧﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ وَآءَاتَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾
إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣١﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُشْرِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَتُوا بِآيَاتِنَا أَنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٣﴾ أَهَمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِبْعَتِ ﴿٣٥﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا لِأَلَّا يَحِقَّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

[قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَنَجَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ]

يَقُولُ تَعَالَى: وَلَقَدْ اخْتَرْنَا قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَوْمَ
فِرْعَوْنَ، وَهُمْ قَبِيضٌ مَضْرُوبٌ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ يَعْنِي:
مُوسَى كَلِمَةً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿١٩﴾ أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ،
كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ
جِئْنَاكَ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧].
وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أَيُّ: مَأْمُونٌ عَلَىٰ مَا
أُبَلِّغُكُمْوهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ: لَا
تَسْتَكْبِرُوا عَنْ اتِّبَاعِ آيَاتِهِ، وَالْإِنْفِيَادِ لِحُجَجِهِ، وَالْإِيمَانِ
بِبِرَاهِينِهِ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَحْمِلُونَ جَهَنَّمَ دَاحِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ﴾ أَيُّ: بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ وَاضِحَةٍ، وَهِيَ مَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَاتِ. ﴿وَإِنِّي

وَمَا وَافَّقُوهُ، بَلْ كَذَّبُوهُ وَقَالُوا: ﴿مُعَذِّبٌ نَجُونٌ﴾ وَهَذَا كَقَوْلِهِ
جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ وَأَنِّي لَهُ
الذِّكْرُ. . . . الآية [الفجر: ٢٣]، وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ
رَأَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا أَمَّا
بَيْنَهُ وَأَنِّي لَهُمُ النَّاسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ
[سبا: ٥١-٥٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾
مَعْنَاهُ: أَنَّا لَوْ كَشَفْنَا عَنْكُمْ الْعَذَابَ وَرَجَعْنَاكُمْ إِلَى الدَّارِ
الدُّنْيَا، لَعُدْتُمْ إِلَى مَا كُنتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، كَقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

[تَفْسِيرُ الْبَطْشَةِ الْكُبْرَى]

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَىٰ إِنَّا
مُنْتَقِمُونَ﴾ فَسَّرَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ ^(١).
وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ وَمِنْ وَافَقَ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَلَى تَفْسِيرِهِ الدُّخَانُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَرُوِيَ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ رِوَايَةِ الْعَوْفِيِّ عَنْهُ ^(٢). وَعَنْ أَبِي بِنٍ
كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣). وَهُوَ مُحْتَمِلٌ. وَالظَّاهِرُ: أَنَّ ذَلِكَ
يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ يَوْمَ بَطْشَةِ أَبِيصَ. قَالَ ابْنُ
جَرِيرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ بَدْرٍ.
وَأَنَا أَقُولُ: هِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَنْهُ، وَبِهِ
يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَعِكْرِمَةُ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿١٧﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾
أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٩﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ
إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢١﴾
وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لَوْلَا أَنْ رَّبَّهُمْ رَبُّهُمْ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾
فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ
مُغْرَفُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّةٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ
كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾
وَلَقَدْ بَجَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآءَاتَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾

(١) الطبري: ٢٢/٢٢ (٢) الطبري: ٢٢/٢٢ قد عرفتم حكم
رواية العوفي فيما مضى (٣) الطبري: ٢٣/٢٢

وَالْجَاهَاتِ وَالْحُكْمِ فِي الْبِلَادِ، فَسَلُّوا ذَلِكَ جَمِيعُهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفَارَقُوا الدُّنْيَا، وَصَارُوا إِلَى جَهَنَّمَ وَبُسْنِ الْمَصِيرِ.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أَيُّ: لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ تَصْعَدُ فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَتَبْكِي عَلَى فَقْدِهِمْ، وَلَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِقَاعٌ عَبْدُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا فَقَدْتَهُمْ، فَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَنْ لَا يُنْظَرُوا وَلَا يُؤَخَّرُوا؛ لِكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ وَعُتُوهُمْ وَعِنَادِهِمْ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ فَهَلْ تَبْكِي السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَلَى أَحَدٍ؟ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا وَلَهُ بَابٌ فِي السَّمَاءِ، مِنْهُ يَنْزِلُ رِزْقُهُ، وَفِيهِ يَصْعَدُ عَمَلُهُ، فَإِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ فَأُغْلِقَ بَابُهُ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ وَيَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فَفَقَدَهُ، بَكَى عَلَيْهِ، وَإِذَا فَقَدَهُ مُصْلَاهُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ يُصَلِّي فِيهَا وَيَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بَكَتْ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَوْمٌ فِرْعَوْنُ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ صَالِحَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ خَيْرٌ، فَلَمْ تَبْكْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ^(١). وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَ هَذَا^(٢).

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٣) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ يَمْتَنُّ عَلَيْهِمْ تَعَالَى بِذَلِكَ حَيْثُ أَنْقَذَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ إِهَانَةٍ فِرْعَوْنَ وَإِذْلَالِهِ لَهُمْ، وَتَسْخِيرِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْأَعْمَالِ الْمُهِينَةِ الشَّاقَّةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا﴾ أَيُّ: مُسْتَكْبِرًا جَبَّارًا عَنِيدًا، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]. وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

﴿وَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أَيُّ: مُسْرِفٌ فِي أَمْرِهِ، سَخِيفُ الرَّأْيِ

عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكَ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو صَالِحٍ: هُوَ الرَّجْمُ بِاللِّسَانِ وَهُوَ الشَّتْمُ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ أَيُّ: أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكُمْ مِنْ أَنْ تَصْلُوا إِلَيَّ بِسُوءٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ^(٢) ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا لِي فَاغْلِبُوا﴾ أَيُّ: فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِي، وَدَعُوا الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مُسَالَمَةً إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَنَا. فَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَأَقَامَ حُجَجَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ... كُلُّ ذَلِكَ، وَمَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كُفْرًا وَعِنَادًا، دَعَا رَبَّهُ عَلَيْهِمْ دَعْوَةً نَفَذَتْ فِيهِمْ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٣) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا [يونس: ٨٨، ٨٩] وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْرُجَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَمْرِ فِرْعَوْنَ وَمُشَاوَرَتِهِ وَاسْتِئْذَانِهِ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَأَنزِلْ بَعَادِي لَيْلًا إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَنزِلْ بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ١٧٧].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ هَهُنَا: ﴿وَأَنزِلْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا جَاوَزَ هُوَ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، أَرَادَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَهُ بَعْضَاهُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، لِيَصِيرَ حَائِلًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ فَلَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَتْرُكَهُ عَلَى حَالِهِ سَاكِنًا، وَيَسْرُهُ بِأَنَّهُمْ ﴿جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخَافُ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَأَنزِلْ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ كَهَيْئَتِهِ وَأَمْضِهِ^(٤). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿رَهْوًا﴾ طَرِيقًا يَبَسًا كَهَيْئَتِهِ. يَقُولُ: لَا تَأْمُرُهُ بِرُجْعٍ، انْزِلْهُ حَتَّى يَرْجِعَ آخِرُهُمْ^(٥). وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ، وَكَعْبُ الْأَخْبَارِ وَسِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٦). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَهِيَ الْبُسَاتِينُ﴾^(٧) ﴿وَعُيُونٌ﴾^(٨) وَزُرُوعٌ وَالْمُرَادُ بِهَا الْأَنْهَارُ وَالْآبَارُ وَمَقَامِ كَرِيمٍ وَهِيَ الْمَسَاكِينُ الْأَيُّقَةُ وَالْأَمَّاكِينُ الْحَسَنَةُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿وَمَقَامِ كَرِيمٍ﴾ الْمَتَابِرُ^(٩). ﴿وَتَعَمَّرُوا﴾ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهَنَ أَيُّ: عَيْشَهُ كَانُوا يَتَفَكَّهُونَ فِيهَا، فَيَأْكُلُونَ مَا شَاءُوا وَيَلْبَسُونَ مَا أَحَبُّوا، مَعَ الْأَمْوَالِ

(١) الطبري: ٢٦/٢٢ (٢) الطبري: ٢٧/٢٢ (٣) الدر

المشور: ٤١٠/٧ (٤) الطبري: ٣٠/٢٢ (٥) الطبري: ٣٠/٢٢

(٦) الطبري: ٣٢/٢٢ الطبري: ٣١٠٦٢ وإسناده حسن بالشواهد

(٧) الطبري: ٣٤/٢٢ (٨) الطبري: ٣٥/٢٢ تقدم حكم العوفي

عَلَى نَفْسِهِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَى عِلْمٍ
 عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿اخْتَرْتَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ﴾ عَلَى مَنْ هُمْ بَيْنَ ظَهْرِيهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: اخْتِيرُوا
 عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ ذَلِكَ، وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا.
 وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَمُوسَى إني اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾
 [الأعراف: ١٤٤] أَي: أَهْل زَمَانِهِ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ
 لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿وَاصْطَفَيْتُكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل
 عمران: ٤٢] أَي: فِي زَمَانِهَا؛ فَإِنَّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِمَّا
 أَفْضَلُ مِنْهَا أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي الْفَضْلِ، وَكَذَا أَسِيَّةُ بِنْتُ
 مُزَاجِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنُ، وَفَضْلٌ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى
 النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ:
 ﴿وَالْيَنبُتُ مِنْ آلَيْكَ﴾ أَيِ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ وَخَوَارِقِ
 الْعَادَاتِ ﴿مَا فِيهِ بَلَتْوَأُ مُبِيتٌ﴾ أَيِ اخْتِبَارِ ظَاهِرٍ جَلِيلٍ لِمَنْ
 اهْتَدَى بِهِ.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ
 بِمُنشَرِينَ (٣٥) قَالُوا يَا بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ
 تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)

[الرَّدُّ عَلَى مُنْكَرِي الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ
 وَالْمَعَادَ، وَأَنَّهُ مَا تَمَّ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا حَيَاةَ بَعْدَ
 الْمَمَاتِ وَلَا بَعْثَ وَلَا نُشُورَ، وَيَحْتَجُّونَ بِبَابِئِنَّا الْمَاضِينَ
 الَّذِينَ ذَهَبُوا فَلَمْ يَرْجِعُوا، فَإِنْ كَانَ الْبَعْثُ حَقًّا ﴿قَالُوا
 يَا بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَهَذِهِ حُجَّةٌ بَاطِلَةٌ وَشُبْهَةٌ فَاسِدَةٌ،
 فَإِنَّ الْمَعَادَ إِنَّمَا هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، بَلْ بَعْدَ
 انْقِضَائِهَا وَذَهَابِهَا وَفَرَاغِهَا، يُعِيدُ اللَّهُ الْعَالَمِينَ خَلْقًا
 جَدِيدًا، وَيَجْعَلُ الظَّالِمِينَ لِنَارِ جَهَنَّمَ وَقُودًا، يَوْمَ [تَكُونُونَ]
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، ثُمَّ قَالَ
 تَعَالَى مَهْدِدًا لَهُمْ وَمُتَوَعِّدًا وَمُنْذِرًا لَهُمْ بِأَسْءَلِ الَّذِي لَا يَرُدُّ،
 كَمَا حَلَّ بِأَشْبَاهِهِمْ وَنَظَائِرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ
 لِلْبَعْثِ كَقَوْمِ تَبَّعٍ، وَهُمْ سَبَأٌ، حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،
 وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ، وَشَرَدَهُمْ فِي الْبِلَادِ، وَفَرَّقَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ،
 كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ - وَهِيَ مُصَدَّرَةٌ بِإِنْكَارِ
 الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ - وَكَذَلِكَ هَهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأُولَئِكَ، وَقَدْ
 كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانٍ، كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ،
 وَقَدْ كَانَتْ جَمِيرٌ وَهُمْ سَبَأٌ كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَّوْهُ
 تَبَّعًا، كَمَا يُقَالُ: كِسْرَى، لِمَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ، وَفَيْصَرَ لِمَنْ

مَلَكَ الرُّومَ، وَفِرْعَوْنَ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا، وَالتَّجَاشِيَّ
 لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ.

وَلَكِنْ اتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ تَبَاعِيهِمْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ وَسَارَ فِي
 الْبِلَادِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ، وَاشْتَدَّ مُلْكُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ
 وَجَيْشُهُ، وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَتُهُ وَبِلَادُهُ وَكَثُرَتْ رَعَايَاها، وَهُوَ
 الَّذِي مَصَّرَ الْحِجْرَةَ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَذَلِكَ فِي
 أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَرَادَ قِتَالَ أَهْلِهَا فَمَانَعُوهُ وَقَاتَلُوهُ بِالنَّهَارِ،
 وَجَعَلُوا يَفْرُونَهُ بِاللَّيْلِ، فَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ، وَكَفَّ عَنْهُمْ،
 وَاسْتَضَحَبَ مَعَهُ حَبْرَيْنِ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ كَانَا قَدْ نَصَحَاهُ
 وَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْبِلَدَةِ، فَإِنَّهَا مُهَاجِرٌ نَبِيٌّ
 يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَرَجَعَ عَنْهَا، وَأَخَذَهُمَا مَعَهُ إِلَى
 بِلَادِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِمَكَّةَ أَرَادَ هَذِمَ الْكَعْبَةَ فَهَبَاهُ عَنْ
 ذَلِكَ أَيْضًا، وَأَخْبَرَاهُ بِعَظَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ مِنْ بَنَاءِ
 إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ
 عَظِيمٌ عَلَى يَدَيِ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْمُبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ،
 فَعَظَّمَهَا وَطَافَ بِهَا وَكَسَاهَا الْمُلَاءَ وَالْوَصَائِلَ وَالْجَبَرِ، ثُمَّ

تَمْرُونَ ﴿٥٥﴾

[حَالُ الْمُشْرِكِينَ وَعَذَابُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُعَذِّبُ بِهِ الْكَافِرِينَ الْحَاجِدِينَ لِقَائِهِ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٥٦﴾ طَعَامُ الْأَشْيَرِ ﴿٥٧﴾ وَالْأَشْيَمِ ﴿٥٨﴾ أَيْ: فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَهُوَ الْكَافِرُ، وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ، وَلَا شَكَّ فِي دُخُولِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِهِ. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ يَقْرَأُ رَجُلًا ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٥٦﴾ طَعَامُ الْأَشْيَرِ ﴿٥٧﴾ فَقَالَ: طَعَامُ الْأَشْيَمِ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْ: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْفَاجِرِ) ﴿٥٨﴾. أَيْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ مِنْ غَيْرِهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَلَوْ وَفَعَتْ قَطْرَةٌ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَعَاشَهُمْ ﴿٥٩﴾. وَقَدْ تَقَدَّمَ نَحْوُهُ مَرْفُوعًا، وَقَوْلُهُ: ﴿كَالْمُهْلِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا: كَعَكْرِ الزَّيْتِ ﴿٦١﴾ يَعْلَى فِي الْبَطْنِ ﴿٦٢﴾ كَعَلَى الْحَمِيرِ ﴿٦٣﴾ أَيْ: مِنْ حَرَارَتِهَا وَرَدَائِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿خُدُّهُ ﴿٦٤﴾ أَيْ: الْكَافِرُ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا قَالَ لِلزَّيْنَانِيَةِ: ﴿خُدُّهُ﴾ ابْتَدَرَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْتَلَوْهُ ﴿٦٥﴾ أَيْ: سُوقُوهُ سَحَابًا وَدَفَعُوا فِي ظَهْرِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿خُدُّهُ فَاعْتَلَوْهُ﴾ أَيْ: خُدُّهُ فَادْفَعُوهُ، ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٦﴾ أَيْ: وَسَطِهَا ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيرِ ﴿٦٧﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٦٨﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٦٩﴾﴾ [الحج: ١٩، ٢٠] وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَكَ يُصْرِفُهُ بِمِقْمَعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَتَنْفُخُ دِمَاقُهُ، ثُمَّ يَصُبُّ الْحَمِيمَ عَلَى رَأْسِهِ فَيَنْزِلُ فِي بَدَنِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي بَطْنِهِ مِنْ أَمْعَائِهِ حَتَّى تَمْرُقَ مِنْ كَفْيَيْهِ، أَعَادَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٧٠﴾ أَيْ: قُولُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهْكُمِ وَالتَّوْبِيخِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيْ: لَسْتُ بِعَزِيزٍ وَلَا كَرِيمٍ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْرُونَ ﴿٧١﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿٧٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أَيْسَحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الطور: ١٣-١٥] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ

كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ وَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى التَّهَوُّدِ مَعَهُ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ دِينَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فِيهِ - مَنْ يَكُونُ عَلَى الْهَدَايَةِ قَبْلَ بَعْثَةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَتَهَوَّدَ مَعَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْيَمَنِ. وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَذْرِي تُبْعَ نَبِيًّا كَانَ، أَمْ غَيْرَ نَبِيٍّ» ﴿٥١﴾. وَرَوَى عَنْ تَمِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: لَا تَسُبُّوا تَبْعًا؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ سَبِّهِ ﴿٥٢﴾. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَذَابٍ ﴿٥٣﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٥٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [خُلِقَتِ الدُّنْيَا لِحِكْمَةٍ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَذَابِهِ وَتَنْزِيهِهِ نَفْسُهُ عَنِ اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَاكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ أَلَمُكَ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٥٩﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ وَيُثَبِّتُ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦١﴾ أَيْ: يَجْمَعُهُمْ كُلُّهُمْ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ ﴿٦٢﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا ﴿٦٣﴾ أَيْ: لَا يَنْتَفِعُ قَرِيبٌ قَرِيبًا كَقَوْلِهِ سُحْنَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١] وَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَلَا يَسْتَلْ جِيمٌ حِيمًا يُصْرَوْنَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١] أَيْ: لَا يَسْأَلُ أَحَا لَهُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ يَرَاهُ عَيْنَانِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أَيْ لَا يَنْصُرُ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ، وَلَا بَأْتِيهِ نَصْرُهُ مِنْ خَارِجٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ أَيْ: لَا يَنْتَفِعُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخَلْقِهِ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أَيْ: هُوَ عَزِيزٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٥٦﴾ طَعَامُ الْأَشْيَرِ ﴿٥٧﴾ كَالْمُهْلِ يَعْلَى فِي الْبَطْنِ ﴿٥٨﴾ كَعَلَى الْحَمِيرِ ﴿٥٩﴾ خُدُّهُ فَاعْتَلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيرِ ﴿٦١﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ

(١) البغوي: ١٥٤/٤ (٢) عبد الرزاق: ٢٠٩/٣ هذا من مراسيل عطاء (٣) الطبري: ٤٣/٢٢ (٤) الطبري: ٤٣/٢٢

أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اتَّقَى اللَّهَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، يَتَعَمُّ فِيهَا وَلَا يَبْأَسُ، وَيَحْيَا فِيهَا فَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أَيُّ: مَعَ هَذَا النِّعَمِ الْعَظِيمِ الْمُقِيمِ، قَدْ وَقَّاهُمْ وَسَلَّمَهُمْ وَنَجَّاهُمْ وَرَحَّزَهُمْ عَنِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي ذَرَكَاتِ الْجَحِيمِ، فَحَصَلَ لَهُمُ الْمَطْلُوبُ، وَنَجَّاهُمْ مِنَ الْمَرْهُوبِ. وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا كَانَ هَذَا بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اغْمَلُوا وَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَدْخُلَهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(٤). وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ سَهْلًا وَاضِحًا، بَيِّنًا جَلِيًّا ﴿بِلِسَانِكَ﴾ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَجْلَاهَا، وَأَخْلَاهَا وَأَعْلَاهَا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أَيُّ: يَتَفَهَّمُونَ وَيَعْلَمُونَ.

ثُمَّ لَمَّا كَانَ مَعَ هَذَا الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ مِنَ النَّاسِ مَنْ كَفَرَ وَخَالَفَ وَعَانَدَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ مُسْلِيًّا لَهُ وَوَاعِدًا لَهُ بِالنَّصْرِ، وَمُتَوَعَّدًا لِمَنْ كَذَبَهُ بِالْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ أَيُّ: انتَظِرْ ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبِئُونَ﴾ أَيُّ: فَسَيَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ النَّصْرَةُ وَالظَّفَرُ وَعِلْوُ الْكَلِمَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّهَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلِلْإِخْوَانِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾... الآية [المجادلة: ٢١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٥) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ [غافر: ٥١، ٥٢]. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الدَّخَانِ، وَ اللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

مِنْ سُنَدَيْنِ وَإِسْتَرْقَى مُتَقَبِّلَيْنِ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَبِئُونَ ﴿٥٩﴾
[حَالُ الْمُتَّقِينَ وَنِعِيمُهُمْ فِي الْجَنَّةِ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ عَطَفَ بِذِكْرِ السَّعْدَاءِ، وَلِهَذَا سُمِّيَ الْقُرْآنُ مَنَاقِبِي، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ أَيُّ: اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ﴿فِي مَقَامٍ ءَامِينَ﴾ أَيُّ: فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ الْجَنَّةُ، قَدْ آمَنُوا فِيهَا مِنَ الْمَوْتِ وَالْخُرُوجِ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ وَحَزَنِ وَجَزَعٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ، وَمِنْ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، وَسَائِرِ الْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ وَهَذَا فِي مُقَابَلَةِ مَا أَوْلَيْتَ فِيهِ مِنْ شَجَرَةِ الرُّقْمِ وَشَرْبِ الْحَمِيمِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وَهُوَ: رَفِيعُ الْحَرِيرِ كَالْقَمْصَانِ وَنَحْوَهَا، ﴿وَإِسْتَرْقَى﴾ وَهُوَ مَا فِيهِ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ وَذَلِكَ كَالرِّيشِ، وَمَا يُلْبَسُ عَلَى أَعَالِي الْقَمَاشِ ﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾ أَيُّ: عَلَى الشَّرْرِ. لَا يَجْلِسُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَظَهْرُهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أَيُّ: هَذَا الْعَطَاءُ مَعَ مَا قَدْ مَنَحْنَاهُمْ مِنَ الزَّوْجَاتِ الْحَسَنَاتِ الْحُورِ الْعِينِ اللَّائِي ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِشْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٥٨-٦٠].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِينَ﴾ أَيُّ: مَهْمَا طَلَبُوا مِنْ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ أَحْضَرُ لَهُمْ، وَهُمْ آمِنُونَ مِنْ انْقِطَاعِهِ وَامْتِنَاعِهِ، بَلْ يَحْضُرُ إِلَيْهِمْ كُلُّمَا أَرَادُوا. وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ يُؤَكِّدُ النَّفْيَ فَإِنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ أَبَدًا، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُورَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَذْبَحُ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(١). وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعِيشُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَّمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ

(١) فتح الباري: ٢٨٢/٨ ومسلم: ٢١٨٨/٤ (٢) مسلم: ٤/

٢١٨٢ (٣) الطبراني (الأوسط): ٤٨٩٥ (٤) فتح الباري: ١١/

٣٠٠ ومسلم: ٢١٧٠/٤

تفسير سورة الجاثية وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

[الْإِرْشَادُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ]

يُرِيدُ تَعَالَى خَلْقَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ وَنِعَمِهِ، وَقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي خَلَقَ بِهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ، وَالْأَنْوَاعِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، وَالِدَوَابِّ، وَالطُّيُورِ، وَالْوُحُوشِ، وَالسَّنَاعِ، وَالْحَشَرَاتِ، وَمَا فِي الْبَحْرِ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمَتَوَعَّةِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِي تَعَاقُبِهِمَا دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ، هَذَا بِظِلَالِهِ، وَهَذَا بِضِيَائِهِ. وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ السَّحَابِ مِنَ الْمَطَرِ فِي وَفْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَسَمَّاهُ رِزْقًا؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ الرِّزْقُ ﴿فَلَيْحَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أَيُّ: بَعْدَ مَا كَانَتْ هَامِدَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا شَيْءَ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ أَيُّ: جَنُوبًا وَشِمَالًا وَدُبُورًا وَصَبَا، بَرِّيَّةً وَبَحْرِيَّةً، لَيْلِيَّةً وَنَهَارِيَّةً. وَمِنْهَا مَا هُوَ لِلْمَطَرِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ لِلْقَاحِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ غِذَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَقِيمٌ لَا يَنْتِجُ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوَّلًا: ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ ﴿يُوقِنُونَ﴾ ثُمَّ ﴿يَعْقِلُونَ﴾ وَهُوَ تَرَقُّقٌ مِنْ حَالٍ شَرِيفٍ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْلَى، وَهَذِهِ الْآيَاتُ شَبِيهَةٌ بِآيَةِ الْبَقَرَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢﴾ سَمِعَ آيَاتُ اللَّهِ تُنَلِّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُعِيرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا أَوَّلَيْكَ لَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٤﴾ مِنْ رَأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ سَمِعَ آيَاتُ اللَّهِ تُنَلِّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُعِيرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا أَوَّلَيْكَ لَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٩ مِنْ رَأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٌ ١١ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَى الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّنْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣

عَظِيمٌ ١٠ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجَزٍ أَلِيمٌ ١١

[صِفَاتُ الْأَفَّاكِ الْأَثِيمِ وَجَزَاؤُهُ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ: مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ: مُتَضَمِّنَةً الْحَقَّ مِنَ الْحَقِّ، فَإِذَا كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَلَا يَتَّقَادُونَ لَهَا، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أَيُّ: أَفَّاكٍ فِي قَوْلِهِ كَذَابٍ حَلَّافٍ مُهِينٍ، أَثِيمٌ فِي فِعْلِهِ وَقَلْبِهِ كَافِرٌ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سَمِعَ آيَاتُ اللَّهِ تُنَلِّى عَلَيْهِ﴾ أَيُّ: تَفَرَّقَ عَلَيْهِ ثُمَّ يُعِيرُ أَيُّ: عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أَيُّ: كَأَنَّهُ مَا سَمِعَهَا ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَيُّ: فَأَخْبِرْهُ أَنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا﴾ أَيُّ: إِذَا حَفِظَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ كَفَر بِهِ وَاتَّخَذَهُ سُخْرِيًا وَهَرُورًا ﴿أَوَّلَيْكَ لَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أَيُّ: فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَهَانَ بِالْقُرْآنِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَلِهَذَا رَوَى

مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ^(١). ثُمَّ فَسَّرَ الْعَذَابَ الْحَاصِلَ لَهُ يَوْمَ مَعَادِهِ فَقَالَ: ﴿مِنْ رَأْيِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ أَيُّ: كُلُّ مَنْ انْتَصَفَ بِذَلِكَ سَيَصِيرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ أَيُّ: لَا تَنْفَعُهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴿وَلَا مَا اقْتَدَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْبَابًا﴾ أَيُّ: وَلَا تُغْنِي عَنْهُمْ الْأَلِهَةُ الَّتِي عِبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَذَا هُدًى﴾ يَعْني: الْقُرْآنَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُونَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ مِنْ جَحِيمٍ﴾ وَهُوَ الْمَوْلُودُ الْمَوْجِعُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِتَكُونُوا شَاكِرِينَ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

[فِي تَسْخِيرِ الْبَحْرِ وَغَيْرِهِ آيَات]

يَذْكُرُ تَعَالَى نِعْمَهُ عَلَى عِبِيدِهِ فِيمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ ﴿لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ﴾ وَهِيَ الْسُفُنُ ﴿فِيهِ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ تَعَالَى. فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ الْبَحْرَ بِحَمْلِهَا ﴿وَلِتَسْتَقْتُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَيُّ: فِي الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَايِبِ ﴿وَلِتَكُونُوا شَاكِرِينَ﴾ أَيُّ: عَلَى حُصُولِ الْمَنَافِعِ الْمَجْلُوبَةِ إِلَيْكُمْ مِنَ [الْأَقَالِيمِ] النَّاسِيَةِ وَالْآفَاقِ الْقَاصِيَةِ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَيُّ: مِنَ الْكَوَاكِبِ، وَالْجِبَالِ، وَالْبِحَارِ، وَالْأَنْهَارِ، وَجَمِيعِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ، أَيُّ: الْجَمِيعِ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ أَيُّ: مِنْ عِنْدِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣] وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ، تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ كُلُّ شَيْءٍ هُوَ مِنَ اللَّهِ. وَذَلِكَ الْأِسْمُ، فِيهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ. فَذَلِكَ جَمِيعًا مِنْهُ. وَلَا يَنَازَعُهُ فِيهِ الْمُنَازِعُونَ، وَاسْتَيْقِنُوا أَنَّهُ كَذَلِكَ^(٢). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

[الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: لِيُصْفَحُوا عَنْهُمْ وَيَتَحَمَّلُوا الْأَدَى مِنْهُمْ. وَكَانَ هَذَا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، أَمُرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالْتَأْلِيفِ لَهُمْ، ثُمَّ لَمَّا أَصْرُوا عَلَى الْعِنَادِ شَرَعَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْجِلَادَ وَالْجِهَادَ. هَكَذَا رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَادَةَ^(٣). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: لَا يَنَالُونَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى^(٤). وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَيُّ: إِذَا صَفَحُوا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أَيُّ: تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتُعْرَضُونَ

(١) مسلم: ١٤٩١/٣ (٢) الطبري: ٦٥/٢٢ أنظروا حكم العوفي فيما تقدم (٣) الطبري: ٦٧، ٦٦/٢٢ (٤) الطبري:

سُورَةُ الْاِنشِارِ

٥٠١

سُورَةُ الْاِنشِارِ

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَمْلِكُنَا
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا نُفِثَ
عَلَيْهِمْ مَا يَكْتُمُونَ لَمَنَعَ عَنِ اتِّخَافِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّخَذَ آبَاؤُنَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِمَّ يَشَاءُ ثُمَّ يَجْعَلُكَ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ لَارِبٍ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٠﴾
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثيةً كُلِّ أُمَّةٍ دُعِيَ إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٣﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقْبِرِينَ ﴿٣٥﴾

وَلَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُخْرِجَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ
وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى
بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾

[لَا تَسْتَوِي حَيَاةُ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَمَمَاتُهُمَا]

يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ؛ كَمَا قَالَ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]. وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
هَهُنَا: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنِّي أَعْمِلُوهَا
وَكَسَبُوهَا﴾ [أَن يُجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً
تَحِيَّتُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ] أَي: نُسَوِّيهِمْ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَي: سَاءَ مَا ظَنُّوا بِنَا وَبِعَدْلِنَا أَن نُسَوِّيَ
بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَفِي هَذِهِ الدَّارِ.
وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُسْرُوقٍ أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ قَامَ لَيْلَةً
حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

بِأَعْمَالِكُمْ عَلَيْهِ فَيَجْزِيكُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَكَّيْنَاهُمْ مِنْ
الطِّيبِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٢٦] وَءَاتَيْنَاهُمْ يَسَنِينَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا
اختلفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ
جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣٠﴾

[فَضَّلَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ وَاختلفوا فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ]

يَذَكِّرُ تَعَالَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ: مِنْ إِنْزَالِ
الْكِتَابِ عَلَيْهِمْ، وَإِزْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ وَجَعْلِهِ الْمُلْكَ فِيهِمْ،
وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَكَّيْنَاهُمْ مِنَ الطِّيبِ﴾ أَي: مِنْ الْمَاكِيلِ
وَالْمَسَارِبِ ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أَي: فِي زَمَانِهِمْ
﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ يَسَنِينَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أَي: حُجَجًا وَبَرَاهِينِ وَأَدِلَّةً
فَاطِعَاتٍ، فَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَجُ، ثُمَّ اختلفُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ
بَعْدِ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بَعِيًا مِنْهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ
بَعْضًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَي: سَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ.

[تَحْذِيرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ سُلُوكِ مَنْهَجِ بَنِي إِسْرَءِيلَ]

وَهَذَا فِيهِ تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّ تَسْلُوكَ مَسْلِكِهِمْ، وَأَن
تَقْصِدَ مَنْهَجَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى
شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ أَي: أَلْبِغْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]
وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ هَهُنَا: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٢٨]
إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ أَي: وَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا،
فَإِنَّهُمْ لَا يَزِيدُونَهُمْ إِلَّا خَسَارًا وَدَمَارًا وَهَلَاكًا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ
الْمُتَّقِينَ﴾ وَهُوَ تَعَالَى يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ﴾ يَعْنِي:
الْقُرْآنَ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن يُجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [٣٣]

الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الدَّهْرُ^(٣). قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ: كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ، أَوْ بَلَاءٌ، أَوْ نَكْبَةٌ قَالُوا: يَا خَبِيَّةَ الدَّهْرِ. فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسْبُونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَلِهَذَا نَهَى عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الْأَعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ؛ هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ أَخَذُوا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ شِكْرٍ مِّنَ اللَّهِ فَتَأْتُوا بِآيَاتِهِ﴾ أي: إِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ شِكْرٍ مِّنَ اللَّهِ فَتَأْتُوا بِآيَاتِهِ. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْأَبْدَانِ بَعْدَ فَنَائِهَا وَتَفْرِقِهَا ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: أَحِبُّوهُمْ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقًّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ كَمَا تَشَاهِدُونَ ذَلِكَ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمُونَ﴾ فَأَخْبَرَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ. [البقرة: ٢٨] أي: الَّذِي قَدَّرَ عَلَى الْبُدَاةِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: إِنَّمَا يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعِيدُكُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَقُولُوا: ﴿أَتُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الفصل: ١٢، ١٣] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ [هود: ١٠٤] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لَا شَكَّ فِيهِ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فَلِهَذَا يُنْجِرُونَ الْمَعَادَ، وَيُسْتَبْعِدُونَ قِيَامَ الْأَجْسَادِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ [زمر: ٢١] ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٦، ٧] أي: يَرَوْنَ وَقُوعَهُ بَعِيدًا، وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ ذَلِكَ سَهْلًا قَرِيبًا.

السَّيِّئَاتِ أَنْ يَجْمَعَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ^(١). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَلَكَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْخَلْقَ﴾ أي: بِالْعَدْلِ وَلِجَزَائِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ.

ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَلَفَ إِلَهُهُ هَوْنَةً﴾ أي: إِنَّمَا يَأْتُمِرُ بِهِوَاهُ، فَمَهْمَا رَأَاهُ حَسَنًا فَعَلَهُ وَمَهْمَا رَأَاهُ قَبِيحًا تَرَكَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: أَصْلَهُ اللَّهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، أَوْ أَصْلَهُ اللَّهُ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ. وَالثَّانِي يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ، وَلَا يَتَعَكَّسُ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشْوَةً أي: فَلَا يَسْمَعُ مَا يَنْفَعُهُ، وَلَا يَبْصُرُ شَيْئًا يَهْدِي بِهِ، وَلَا يَرَى حُجَّةً يَسْتَضِيءُ بِهَا. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَمْ يَدْرِكْهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [١٩] وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ عَلَىٰ شِكْرٍ مِّنَ اللَّهِ فَتَأْتُوا بِآيَاتِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(٢) قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٢٠]

[مُعْتَقِدُ الْكَافِرِ وَحُجَّتُهُ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَمَنْ وَاظَفَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ فِي انْتِكَارِ الْمَعَادِ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: مَا نَمُ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ، يَمُوتُ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ، وَمَا نَمُ مَعَادٌ وَلَا قِيَامَةٌ، وَهَذَا يَقُولُهُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ الْمُتَكَبِّرُونَ لِلْمَعَادِ. وَتَقُولُهُ الْفَلَسَفَةُ الْإِلَهِيُونَ مِنْهُمْ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ الْبُدَاةَ وَالرَّجْعَةَ، وَتَقُولُهُ الْفَلَسَفَةُ الدَّهْرِيَّةُ [الدَّوْرِيَّةُ] الْمُتَكَبِّرُونَ لِلصَّانِعِ، الْمُعْتَقِدُونَ أَنَّ فِي كُلِّ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. وَرَعَمُوا أَنَّ هَذَا قَدْ تَكَرَّرَ مَرَّاتٍ لَا تَنْتَاهِي. فَكَابَرُوا [الْمُعْقُولِ]، وَكَذَّبُوا الْمُنْقُولَ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَيَّلُونَ، فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ صَاحِبُ الصَّحِيحِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، يَبْدِي الْأَمْرَ، أَقْلُبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»^(٢). وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسْبُوا

(١) الطبراني: ٥٠/٢ (٢) فتح الباري: ٤٣٧/٨ ومسلم: ٤/ ١٧٦٢ وأبو داود: ٤٢٣/٥ والنسائي في الكبرى: ٤٥٧/٦ (٣) مسلم: ١٧٦٣/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٢

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٧﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا
 لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَآيَاتِ اللَّهِ هُرُوءًا وَعَزَّاتُكُمْ
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٢٩﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَهُ
 الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣١﴾

سُورَةُ الْحَقِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَزِيلُ الْكَذِبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَخْلَقًا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا يَالْحَقِّ وَاجِلِ مُسَمًّى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُوْنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
 أَتُنْفِئُونِ بَكْتَبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرٍ قَوْمٌ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٢﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
 لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٣﴾

نَسْنِسُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤﴾

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنَالُ
 عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 وَالسَّاعَةُ لَا رَبَّ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَقُلُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
 بِمُسْتَغْنِينَ ﴿٢﴾ وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ
 النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَآيَاتِ اللَّهِ هُرُوءًا
 وَعَزَّاتُكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٥﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُنِي: آمَنْتُ
 قُلُوبُهُمْ وَعَمِلَتْ جَوَارِحُهُمْ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، وَهِيَ
 الْخَالِصَةُ الْمُوَافَقَةُ لِلشَّرْعِ ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ﴾ وَهِيَ
 الْجَنَّةُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْجَنَّةِ:

﴿وَاللَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ
 الْمُبْطِلُونَ﴾ وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُطَاقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْنِسُ
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

إِبْعَاضُ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْحَاكِمُ
 فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ
 السَّاعَةُ﴾ أُنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ
 بِاللَّهِ الْجَا حِدُونَ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ
 وَالذَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ أُنِي: عَلَى رُكْبَتِهَا
 مِنَ الشَّدَّةِ وَالْعَظَمَةِ، وَيُقَالُ: إِنْ هَذَا إِذَا جِيَءَ بِجَهَنَّمَ فَإِنَّهَا
 تَزْفِرُ زَفْرَةً، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا جَنَّا لِرُكْبَتَيْهِ، حَتَّى إِذَا هِيمُ
 الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي!
 لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي. وَحَتَّى إِنْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ
 مَرَبِّمَ النَّبِيِّ وَلَدَنِّي!

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ يَغْنِي: كِتَابُ
 أَعْمَالِهَا، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالْأَقْبَانِ
 وَالشُّهَدَاءُ﴾ [الزمر: ٧٠] وَلِهَذَا قَالَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ
 تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أُنِي: تُجَاوِزُونَ بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرَهَا
 وَشَرَّهَا، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَبْنُو الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾
 بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ [القيامة: ١٣-
 ١٥] وَلِهَذَا قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطَاقُ عَلَيْكُمْ
 بِالْحَقِّ﴾ أُنِي: يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا
 نَقْصٍ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ
 صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ
 رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا
 نَسْنِسُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أُنِي: إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُ الْحَفَظَةَ أَنْ
 تَكْتُبَ أَعْمَالَكُمْ عَلَيْكُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 وَغَيْرُهُ: تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، ثُمَّ تَصْعَدُ بِهَا إِلَى
 السَّمَاءِ، فَيَقْبَلُونُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي دِيْوَانِ الْأَعْمَالِ عَلَى
 مَا بَأْيَدِي الْكُتَّابَةِ، مِمَّا قَدْ أُبْرِزَ لَهُمْ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْضُوظِ فِي
 كُلِّ لَيْلَةٍ قَدَرٍ، مِمَّا كَتَبَهُ اللَّهُ فِي الْقَدَمِ عَلَى الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ
 يَخْلُقَهُمْ، فَلَا يَزِيدُ حَرْفًا وَلَا يَنْقُصُ حَرْفًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا كُنَّا

أَنْتَ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ^(١). ﴿ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ
الَّذِي﴾ أَيُّ: الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ﴾ أَيُّ: يُقَالُ لَهُمْ
ذَلِكَ، تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: أَمَا قُرِئْتُ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى
فَاستَكْبَرْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ سَمَاعِهَا ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ﴾ فِي أَفْعَالِكُمْ مَعَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ مِنْ
التَّكْذِيبِ؟ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَدَّ اللَّهُ حَقِّي وَالسَّاعَةَ لَا رَبَّ فِيهَا﴾
أَيُّ: إِذَا قَالَ لَكُمْ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ ﴿فَلْتُمْ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾
أَيُّ: لَا تَعْرِفُهَا ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أَيُّ: إِنْ تَوَهَّمُوا وَقُوعَهَا
إِلَّا تَوَهَّمًا أَيُّ: مَرْجُوحًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِينَ﴾
أَيُّ بِمُتَحَقِّقِينَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾
أَيُّ وَظَهَرَ لَهُمْ عُقُوبَةُ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أَيُّ:
أَحَاطَ بِهِمْ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَيُّ: مِنَ الْعَذَابِ
وَالنَّكَالِ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ أَيُّ: نُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ النَّاسِي
لَكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴿كَأَنِّي سِيفٌ لِّقَاءٍ يَوْمَكُمْ هَذَا﴾ أَيُّ فَلَمْ تَعْمَلُوا
لَهُ لِأَنكُمْ لَمْ تُصَدِّقُوا بِهِ ﴿وَمَا وَصَّيْنَاكَ أَن تَقُولَ لَكَ
نَصْرِي﴾. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ
لِبَعْضِ الْعَبِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُكْرِمَكَ؟ أَلَمْ
أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْزِيعٍ؟ فَيَقُولُ:
بَلَىٰ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا.
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: فَالْيَوْمَ أَنَا كَمَا نَسِيتَنِي^(٢).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اخْتَدَتْهُمُ ءَايَةُ اللَّهِ هُزُومًا﴾ أَيُّ
إِنَّمَا جَارَيْنَاكُمْ هَذَا الْجَزَاءَ؛ لِأَنكُمْ اخْتَدَمْتُمْ حُجَجَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ سُخْرِيًّا، تَسَخَّرُونَ وَتَسْتَهْزِئُونَ بِهَا ﴿وَقَرَنَّاكَ الْحَيَاةَ
الْأَدْنَىٰ﴾ أَيُّ: خَدَعْتُمْ، فَاطْمَأْنَنْتُمْ إِلَيْهَا فَاصْبَحْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا﴾
أَيُّ مِنَ النَّارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أَيُّ: لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ
الْعُتْبَى، بَلْ يُعَذَّبُونَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِتَابٍ، كَمَا تَدْخُلُ
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَذَابٍ وَلَا حِسَابٍ. ثُمَّ لَمَّا
ذَكَرَ تَعَالَى حُكْمَهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، قَالَ: ﴿فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ أَيُّ: الْمَالِكِ لَهُمَا وَمَا
فِيهِمَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا:
﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي
السُّلْطَانَ أَيُّ: هُوَ الْعَظِيمُ الْمُمَجَّدُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ
لَدَيْهِ فَفَيَّرَ إِلَيْهِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى: أَلْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكَبِيرَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَارَعَنِي

سُورَةُ الْأَحْقَافِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا
عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَبِّئُونَ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ
هَذَا أَوْ أَنْزَلَهُ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ
عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا

بِعَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾

[الْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ وَالْكَوْنُ مَخْلُوقٌ لَهُ بِالْحَقِّ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
مُحَمَّدٍ ﷺ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، وَالْحِكْمَةِ فِي الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ: لَا عَلَى وَجْهِ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ ﴿وَأَجَلٍ
مُّسَمًّى﴾ أَيُّ: وَإِلَى مُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ مُضْرُوبَةٍ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ،
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ أَيُّ:
لَا هُونَ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ كِتَابًا
وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، وَهُمْ مُّعْرِضُونَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَيُّ:
وَسَيَعْلَمُونَ غِبَّ ذَلِكَ.

[الْأَرْدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ أَيُّ: لَهُؤْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْعَابِدِينَ
مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ﴾ أَيُّ: أَرِشِدُونِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي اسْتَقَلُّوا بِخَلْقِهِ

(١) فتح الباري: ٤٦٠/٨ (٢) مسلم: ٢٢٧٩/٤ (٣) أبو داود: ٣٥٠/٤ (٤) مسلم: ٢٠٢٣/٤

سورة الأحقاف

٥٠٣

سورة الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥٠٣﴾ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْبِتْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠٥﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْ فَكٌ قَدِيمٌ ﴿٥٠٨﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥١٠﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥١١﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَيُّ: لَوْ كَذَبْتُ عَلَيْهِ وَزَعَمْتُ أَنَّهُ أَرْسَلَنِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِعَاقِبَتِي أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ: لَا أَنْتُمْ وَلَا غَيْرُكُمْ، أَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٥٠٦﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ﴿الجن: ٢٢، ٢٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٥٠٨﴾ لَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٥٠٩﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٥١٠﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ﴿المعارج: ٤٤-٤٧﴾ وَلِهَذَا قَالَ سُحْحَانَهُ وَتَعَالَى هَهُنَا: ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَوَعْدٌ أَكِيدٌ، وَتَرْهيبٌ شَدِيدٌ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ تَرْغِيبٌ لَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، أَيُّ: وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ إِنْ رَجَعْتُمْ وَتُبْتُمْ

مِنَ الْأَرْضِ ﴿أَمْ لَمْ يَشْرِكْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أَيُّ: وَلَا شَرِكَ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَاطِعٍ، إِنْ الْمُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ كُلُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ وَتُشْرِكُونَ بِهِ؟ مَنْ أَرَادَكُمْ إِلَى هَذَا؟ مَنْ دَعَاكُمْ إِلَيْهِ؟ أَهْوَى أَمْرُكُمْ بِهِ؟ أَمْ هُوَ شَيْءٌ افْتَرَحْتُمُوهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أَيُّ: هَاتُوا كِتَابًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ ﴿أَوْ أَتَنْفَرُ مِنْتَ عَلَيْهِ﴾ أَيُّ: دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى هَذَا الْمَسْئَلِ الَّذِي سَلَكْتُمُوهُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَيُّ: لَا دَلِيلَ لَكُمْ لَا ثَقِيلًا وَلَا عَقِيلًا عَلَى ذَلِكَ. وَلِهَذَا قَرَأَ آخَرُونَ: (أَوْ أَتَرَى مِنْ عِلْمٍ) أَيُّ: أَوْ عِلْمٌ صَحِيحٌ تُؤَيِّدُونَهُ عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ قَتَلَكُمْ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ أَتَنْفَرُ مِنْتَ عَلَيْهِ﴾. أَوْ أَحَدٌ يَأْثُرُ عِلْمًا^(١).

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ أَيُّ: لَا أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا، وَيَطْلُبُ مِنْهَا مَا لَا تَسْتَطِيعُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ غَافِلَةٌ عَمَّا يَقُولُ، لَا تَسْمَعُ، وَلَا تَبْصُرُ، وَلَا تَبْطِشُ، لِأَنَّهَا جَمَادٌ حَجَارَةٌ صُمٌّ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَقْدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيُكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿٥٠٣﴾ كُلًّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿مریم: ٨١، ٨٢﴾ أَيُّ: سَيُحَوِّثُونَهُمْ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِمْ. وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا أَخَذْتُ مِنَ دُونِ اللَّهِ أَثَرًا مُؤَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَيْتُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ ﴿العنكبوت: ٢٥﴾.

﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْبِتْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠٥﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠٦﴾ [أَقْوَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ]

يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ: أَنَّهُمْ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ بَيِّنَاتٌ أَيُّ فِي حَالِ بَيِّنَاتِهَا وَوُضُوحِهَا وَجَلَانِهَا يَقُولُونَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أَيُّ: سِحْرٌ وَاضِحٌ، وَقَدْ كَذَبُوا وَافْتَرَوْا، وَضَلُّوا وَكَفَرُوا

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْحَارِثِيُّ ذُوْنَ مُسْلِمٍ^(٥). وَفِي لَفْظٍ لَهُ: «مَا أَذْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُفْعَلُ بِهِ»^(٦). وَفِي هَذَا وَامْتَالِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْطَعُ لِمُعَيَّنٍ بِالْجَنَّةِ إِلَّا الَّذِي نَصَّ الشَّارِعُ عَلَى تَعْيِينِهِمْ، كَالْعَشْرَةِ وَابْنِ سَلَامٍ وَالْعُمَيْصَاءِ وَبِلَالٍ، وَسُرَاقَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ وَابْنِ جَابِرٍ، وَالْقُرَاءِ السَّبْعِينَ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَيْتِ مَعُونَةَ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرُ، وَابْنُ رَوَاحَةَ، وَمَا أَشْبَهَ هَؤُلَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا أَتَيْعَ مَا يُنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الْوَحْيِ، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَيُّ: بَيْنَ النَّذَارَةِ، أَمْرِي ظَاهِرٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ وَعَقْلٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ. فَأَمَنْ وَأَسْكَنْتُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ. فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَافٍ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ الْحَقِّ وَمَوْفِقُ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهُ] يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ هَذَا الْقُرْآنُ ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أَيُّ: مَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ صَانِعُ بِكُمْ إِنْ كَانَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ، قَدْ أَنْزَلَهُ عَلَيَّ لِأُبَلِّغُكُمْوهُ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِهِ وَكَذَّبْتُمُوهُ. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أَيُّ: وَقَدْ شَهِدْتُ بِصِدْقِهِ وَصَحِّهِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلِي، بَشَّرْتُ بِهِ وَأَخْبَرْتُ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ هَذَا الْقُرْآنُ بِهِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَنْ﴾ أَيُّ: هَذَا الَّذِي شَهِدَ بِصِدْقِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ لِمَعْرِفَتِهِ بِحَقِيقَتِهِ ﴿وَأَسْكَنْتُمْ﴾ أَنْتُمْ عَنْ أَتْبَاعِهِ، وَقَالَ مَسْرُوقٌ: فَأَمَنْ هَذَا الشَّاهِدُ بِنَبِيِّهِ وَكِتَابِهِ، وَكَفَرْتُمْ أَنْتُمْ بِنَبِيِّكُمْ وَكِتَابِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧). وَهَذَا الشَّاهِدُ اسْمُ جَنْسٍ يَعْمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعِيرُهُ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ قَبْلَ إِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

تَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ وَغَفَرَ وَرَحِمَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَقَالُوا اسْتَطِيرَ الْأَوَّلِينَ أَكْتَنَتْهَا فِيهِ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا غَفُورًا رَحِيمًا ﴿الفرقان: ٥٠﴾. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ﴾ أَيُّ: لَسْتُ بِأَوَّلِ رَسُولٍ طَرَقَ الْعَالَمَ، بَلْ جَاءَتْ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِي، فَمَا أَنَا إِلَّا بِأَمْرِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، حَتَّى تَسْتَكْبِرُونِي ﴿وَتَسْتَعْبِدُوا﴾ بِعِثَّتِي إِلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَبْلِي جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْأُمَمِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: نَزَلَ بَعْدَهَا ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٠] ^(١). وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: إِنَّهَا مَسْخُوحَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قَالُوا: وَلَكِنَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: هَذَا قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ فَاعِلٌ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] ^(٢). هَكَذَا قَالَ، وَالَّذِي هُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: هِنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ الْآيَةُ ^(٣).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ أَخْبَرَتْهُ، وَكَانَتْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: طَارَ لَهُمْ فِي السُّكْنَى - جَيْنَ اقْتَرَعَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ - عُمَمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاشْتَكَى عُمَمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَنَا فَمَرَضْنَا، حَتَّى إِذَا تُوفِّيَ أَدْرَجْنَاهُ فِي أَنْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا يَذْرُوكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُهُ؟» فَقُلْتُ: لَا أَذْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنِّي لَا رَجُو لَهُ الْخَيْرَ. وَاللَّهُ مَا أَذْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُفْعَلُ بِهِ». قَالَتْ: وَاللَّهُ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا، وَأَخْبَرْتَنِي ذَلِكَ، فَمِثْتُ قَرَأْتُ لِعُمَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ عَمَلُهُ» ^(٤).

(١) الطبري: ٩٩/٢٢ (٢) الطبري: ٩٩/٢٢ (٣) فتح الباري: ٥١٦/٧ (٤) أحمد: ٤٣٦/٦ (٥) فتح الباري: ٧/٣١٠ (٦) فتح الباري: ١٣٧/٣ (٧) الطبري: ١٠٣/٢٢ (٨) فتح الباري: ١٠٤

الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴿٣٠﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾
أَيُّ فِيمَا يَسْتَقِيلُونَ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَى مَا خَلَفُوا ﴿أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ فِيهَا جَزَاءٌ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: الْأَعْمَالُ
سَبَبٌ لِتَبِيلِ الرَّحْمَةِ لَهُمْ وَشُبُوحِهَا عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥٦﴾
[وصية الله بالوالدين]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى التَّوْحِيدَ لَهُ وَإِخْلَاصَ
الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِقَامَةَ إِلَيْهِ، عَطَفَ بِالْوَصِيَّةِ بِالْوَالِدَيْنِ كَمَا هُوَ
مَقْرُونٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَصِّ
رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]،
وَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى النَّبِيِّ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ هَهُنَا:
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أَيُّ: أَمَرْنَاهُ بِالْإِحْسَانِ
إِلَيْهِمَا وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِمَا، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ
سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ لِسَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ
أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ، فَلَا أَكُلُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ
شَرَابًا حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَاثْمَنَعْتَ مِنَ الطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ حَتَّىٰ جَعَلُوا يَفْتَحُونَ فَاها بِالْعَصَا، وَنَزَلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ الْآيَةُ ^(٥). وَرَوَاهُ
مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا ابْنَ مَاجَةَ ^(٦). ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾
أَيُّ: قَاسَتْ بِسَبَبِهِ فِي حَالِ حَمْلِهِ مَشَقَّةَ وَتَعَبًا مِنْ [وَحَامِ]
وَعَثْيَانٍ وَيَقِلُّ وَكُرْبٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَنَالُ الْحَوَامِلُ مِنَ
التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا أَيُّ: بِمَشَقَّةٍ أَيْضًا مِنَ
الطَّلَقِ وَشِدَّتِهِ ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾.

سَلَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا بُدِئَ
عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾
[القصص: ٥٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا بُدِئَ
عَلَيْهِمْ يُحْزِنُونَ لَلْأَذْقَانِ سُحْكًا﴾ ﴿١٣٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ: إِنَّهُ
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِنْهٖ﴾ ^(١).
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ ^(٢). وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَعَكْرِمَةُ،
وَيُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَهِيَالُ بْنُ يَسَافٍ،
وَالسُّدِّيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ أَنَّهُمْ
كُلُّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ
خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أَيُّ: قَالُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ: لَوْ
كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا مَا سَبَقَتْ هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، يَحْتَمِلُونَ بَلَاءًا وَعَمَارًا
وَضُحِيًّا وَخَبَابًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَشْبَاهَهُمْ وَأَصْرَابَهُمْ مِنَ
الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ
أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً، وَلَهُ بِهِمْ عِنَاةٌ.
وَقَدْ غَلَطُوا فِي ذَلِكَ غَلَطًا فَاحِشًا، وَأَخْطَأُوا خَطَأً بَيِّنًا،
كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا
أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣] أَيُّ يَتَعَجَّبُونَ
كَيْفَ اهْتَدَى هَؤُلَاءِ دُونَنَا، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا
سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ وَأَمَّا أَهْلُ الشُّبُهَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ
فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَبْتُثَّ عَنْ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هُوَ
بِدْعَةٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا
خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ أَيُّ: بِالْقُرْآنِ
﴿يَسْتَقِيلُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أَيُّ: كَذِبٌ قَدِيمٌ أَيُّ مَا ثَوَّرَ عَنِ
النَّاسِ الْأَقْدَمِينَ، فَيَنْتَقِصُونَ الْقُرْآنَ وَأَهْلَهُ، وَهَذَا هُوَ الْكِبَرُ
الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمُطُ النَّاسِ» ^(٤).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ وَهُوَ التَّوْرَةُ
﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿مُصَدِّقٌ﴾ أَيُّ:
لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أَيُّ: فَصِيحًا بَيِّنًا وَاضِحًا
﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنْشِئَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أَيُّ: مُشْتَمِلٌ عَلَى
النَّذَارَةِ لِلْكَافِرِينَ وَالْإِسَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

(١) الطبري: ١٠٤/٢٢ (٢) فتح الباري: ١٦٠/٧ ومسلم: ٤/١٩٣٠ والنسائي في الكبرى: ٧٠/٥ (٣) الطبري: ١٠٤/٢٢ و١٠٥٥ والقرطبي: ١٨٨/١٦ (٤) مسلم: ٩٣/١ (٥) مسند الطيالسي: ٢٨ (٦) مسلم: ١٨٧٨/٤ وأبو داود: ١٧٧/٣ وتحفة الأحوذى: ٤٨/٩ والنسائي في الكبرى: ٣٤٨/٦

الْبَقَرَةُ

٥٠٤

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
 أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي
 ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
 لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ أَنْتُمْ عَادِنِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِنْ
 قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
 مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
 الْقَوْلُ فِي أُمُورِهِمْ فَكَذَّبَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنَىٰ وَالْإِسْنِ إِنْتُمْ كَانُوا
 خَيْرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ
 لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَاهَبْتُمْ طَبَقَكُمْ
 فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْرَوْنَ عَذَابُ الْهُونِ
 بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

وَعَقِبِي ﴿إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَهَذَا فِيهِ إِرْشَادٌ
 لِمَنْ بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ أَنْ يُجَدِّدَ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ، وَيَعَزِّمَ عَلَيْهَا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾
 أَيُّ: هَؤُلَاءِ الْمُتَصِفُونَ بِمَا ذَكَرْنَا، الثَّابِتُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
 الْمُتَيَبُّونَ إِلَيْهِ، الْمُسْتَدْرِكُونَ مَا قَاتَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ،
 هُمْ ﴿الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾
 فَيَغْفِرُ لَهُمُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، وَنَقَبِلُ مِنْهُمْ الْبَسِيرَ مِنَ
 الْعَمَلِ.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أَيُّ هُمْ فِي جُمْلَةِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ،
 وَهَذَا حُكْمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ
 وَأَنَابَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا
 يُوعَدُونَ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر، الدر المنثور: ٩/٦ إسناده
 ضعيف لتدليس ابن إسحاق ولم يصرح بالسماع (٢) البيهقي:

[أَسْتَبْطِطُ الْحُكْمَ عَلَى مَدَّةِ الْحَمْلِ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ]

وَقَدْ اسْتَدَّلَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَعَ الَّتِي فِي
 لُقْمَانَ ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:
 ﴿وَالْوِلْدَانُ بِضْعَ ثَلَاثِينَ أَشْهُرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
 أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [البقرة: ٢٣٣]: عَلَى أَنَّ أَقْلَ مَدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ
 أَشْهُرٍ، وَهُوَ اسْتِبْطَاطُ قُوَّتِي وَصَحِيحٍ، وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ عُثْمَانُ
 وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ
 إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ [بَعْجَةٍ] بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيِّ قَالَ:
 تَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَّا امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ لِتَمَامِ سِتَّةِ
 أَشْهُرٍ، فَانْطَلَقَ زَوْجُهَا إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرَ
 ذَلِكَ لَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَامَتْ لِتَلْبَسَ ثِيَابَهَا بَكَتْ أُخْتُهَا
 فَقَالَتْ: وَمَا يُبْكِيكِ؟ فَوَاللَّهِ مَا التَّبَسُّبُ بِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
 تَعَالَى غَيْرُهُ قَطُّ، فَيُضْضِي اللَّهُ سُحْبَانَهُ وَتَعَالَى فِيَّ مَا شَاءَ،
 فَلَمَّا أَتَى بِهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بِرَجُلَيْهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ
 عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَا تَضَعُ؟ قَالَ: وَلَدْتُ
 تَمَامًا لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ
 عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وَقَالَ:
 ﴿حَتَّىٰ كَامِلَيْنِ﴾ فَلَمْ نَجِدْهُ بَقِيَ إِلَّا سِتَّةَ أَشْهُرٍ. قَالَ: فَقَالَ
 عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَاللَّهِ مَا فَطَنْتُ بِهَذَا، عَلِيٌّ بِالْمَرْأَةِ.
 فَوَجَدُوهَا قَدْ فُرِغَ مِنْهَا قَالَ: فَقَالَ [بَعْجَةُ]: فَوَاللَّهِ مَا
 الْغُرَابُ بِالْغُرَابِ، وَلَا الْبَيْضَةُ بِالْبَيْضَةِ بِأَشْبَهَ مِنْهُ بِأَبِيهِ، فَلَمَّا
 رَأَاهُ أَبُوهُ قَالَ: ابْنِي وَاللَّهِ لَا أَشْكُ فِيهِ. قَالَ: وَابْتَلَاهُ اللَّهُ
 تَعَالَى بِهَذِهِ الْفَرْحَةِ بِوَجْهِهِ: [فَرْحَةُ] الْآكِلَةِ، فَمَا زَالَتْ
 تَأْكُلُهُ حَتَّى مَاتَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(١).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: إِذَا وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ لِبْسَةَ أَشْهُرٍ
 كَفَاهُ مِنَ الرِّضَاعِ أَحَدَ وَعِشْرُونَ شَهْرًا، وَإِذَا وَضَعَتْهُ لِبْسَةَ
 أَشْهُرٍ كَفَاهُ مِنَ الرِّضَاعِ ثَلَاثَةَ وَعِشْرُونَ شَهْرًا، وَإِذَا وَضَعَتْهُ
 لِبْسَةَ أَشْهُرٍ فَحَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَحَمْلُهُ
 وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ^(٢). أَيُّ: قُوَّتِي وَسَبَّ
 وَارْتَجَلَ. ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أَيُّ: تَنَاهَى عَقْلُهُ، وَكَمَلَ
 فَهْمُهُ وَجَلْمُهُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ غَالِيًا عَمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ
 ابْنُ الْأَرْبَعِينَ ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أَيُّ: أَلْهَمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾
 أَيُّ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أَيُّ نَسْلِي

وَقَوْلُهُ: ﴿أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أَي: أُبْعَثَ ﴿وَقَدْ خَلَّتِ
الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أَي: قَدْ مَضَى النَّاسُ فَلَمْ يَرَجَعْ مِنْهُمْ مُخِيرٌ
﴿وَهُمَا يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ﴾ أَي: يَسْأَلَانِ اللَّهَ فِيهِ أَنْ يَهْدِيَهُ
وَيَقُولَانِ لَوْلَايَهُمَا: ﴿وَتِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا
إِلَّا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّمَا
كَانُوا خَسِرِينَ﴾ أَي: دَخَلُوا فِي زُمرَةِ أَشْبَاهِهِمْ وَأَضْرَابِهِمْ،
مِنَ الْكَافِرِينَ الْخَاسِرِينَ أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿أَوَلَيْكَ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِي قَالَ﴾ ذَلِيلٌ عَلَى مَا
ذَكَرْنَاهُ مِنْ: أَنَّهُ جِنْسٌ يَعْصِي كُلَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ. وَقَالَ
الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: هُوَ الْكَافِرُ الْفَاجِرُ الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ الْمَكْذِبُ
بِالْبُعْثِ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾
أَي لِكُلِّ عَذَابٍ بِحَسَبِ عَمَلِهِ ﴿وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ أَي: لَا يُظْلِمُهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَمَا دُونَهَا. قَالَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بَنِ أَسْلَمَ: دَرَجَاتُ النَّارِ تَذْهَبُ
سِفَالًا، وَدَرَجَاتُ الْجَنَّةِ تَذْهَبُ غُلُوًّا^(٤). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ أَي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا، وَقَدْ
تَوَرَّعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ
كَثِيرٍ مِنْ طَبِيبَاتِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ. وَنَزَّهَ عَنْهَا وَيَقُولُ:
إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ كَالَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ، وَبَخَّهِمْ
وَقَرَّعَهُمْ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾.
وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: لَيُفْقَدَنَّ أَقْوَامٌ حَسَنَاتٍ كَانَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾. وَقَوْلُهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ
يَغِيرُ الْخَوَّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ فَجُوزُوا مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ، فَكَمَا
مَتَّعُوا أَنْفُسَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَتَعَاطَوْا الْفُسُوقَ
وَالْمَعَاصِي، جَازَاهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعَذَابِ الْهُونِ،
وَهُوَ الْإِهَانَةُ وَالْخِزْيُ، وَالْآلَامُ الْمَوْجِعَةُ وَالْحَسِرَاتُ
الْمُتَبَاعِثَةُ، وَالْمَنَازِلُ فِي الدَّرَكَاتِ الْمُفْطَعَةِ، أَجَارَنَا اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿وَذَكَرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّدْرُ مِنْ

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفِي لَكُمَا أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ
الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِثَّانِ اللَّهَ وَتِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّمَا
كَانُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾ ﴿يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي
حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغِيرُ الْخَوَّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ﴿ذَكَرُوا الْأَوْلَادِ الْعَاقِينَ وَمَصِيرُهُمْ﴾]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الدَّاعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ الْبَارِينَ بِهِمَا وَمَا
لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْقُوزِ، وَالنَّجَاةِ، عَطَفَ بِحَالِ الْأَشْقِيَاءِ
الْعَاقِينَ لِلْوَالِدَيْنِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفِي لَكُمَا﴾
وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ قَالَ هَذَا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ
مَرْدُودٌ، لِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ
زَمَانِهِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهِكٍ قَالَ: كَانَ مَرْوَانُ
عَلَى الْحِجَازِ، اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا، فَخَطَبَ وَجَعَلَ يَذْكُرُ زَيْدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ؛ لِكَيْ يَبَايَعَ لَهُ
بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا شَيْئًا، فَقَالَ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ
﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفِي لَكُمَا أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ
الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ وَرَاءِ
الْحِجَابِ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ
اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عُذْرِي^(١).

(طَرِيقٌ أُخْرَى) رَوَى النَّسَائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:
لَمَّا بَايَعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِابْنِهِ، قَالَ مَرْوَانُ: سُنَّهَ أَبِي
بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سُنَّهَ هِرْقُلَ وَقَيْصَرَ. فَقَالَ مَرْوَانُ: هَذَا
الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفِي لَكُمَا﴾
الْآيَةُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: كَذَبَ
مَرْوَانُ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِهِ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الَّذِي أَنْزَلَتْ
فِيهِ لَسَمَّيْتُهُ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ أَبَا مَرْوَانَ وَمَرْوَانَ
فِي صَلْبِهِ، فَمَرْوَانُ فَضَضَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ^(٢).

(١) فتح الباري: ٤٣٩/٨ (٢) النسائي في الكبرى: ٤٥٨/٦

(٣) الطبري: ١١٨/٢٢ (٤) الطبري: ١١٩/٢٢

سورة الأحقاف

٥٥

سورة الأحقاف

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَفَكَّاهُ عَنْ آلِهَتِنَا فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

[قِصَّةُ عَادٍ]

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَبَ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ وَهُوَ هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ [وَالسَّلَامُ]، بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عَادٍ الْأُولَى وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ، جَمْعُ حَقْفٍ، وَهُوَ الْجَبَلُ مِنَ الرَّمْلِ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(١). وَقَالَ عِكْرَمَةُ: الْأَحْقَافُ: الْجَبَلُ وَالْعَارُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَادًا كَانُوا حَيًّا بِالْيَمَنِ، أَهْلُ رَمْلٍ، مُشْرِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الشَّحْرُ ^(٢). قَالَ ابْنُ مَاجَةَ: بَابٌ إِذَا دَعَا فَلْيَدْعُ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُرْحِمُنَا اللَّهُ وَأَخَا عَادٍ» ^(٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يَعْنِي: وَقَدْ أُرْسِلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ حَوْلَ بِلَادِهِمْ فِي الْقُرَى مُرْسِلِينَ وَمُنْذِرِينَ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] وَكَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿٢٧﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ أُرْسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت: ١٣، ١٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أَيُّ: قَالَ لَهُمْ هُوَذَا ذَلِكَ فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ قَائِلِينَ: ﴿أَجِئْنَا لِنَتَفَكَّاهُ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أَيُّ: لِنَتَضَدَّنَا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ ﴿فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ اسْتَعْجَلُوا عَذَابَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ اسْتِعَادًا مِنْهُمْ وَفُوعَهُ، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ، إِنْ كُنتُمْ مُسْتَحِقِّينَ لَتَعْجِيلِ الْعَذَابِ، فَسَيَعْلَ ذَلِكَ بِكُمْ، وَأَمَّا أَنَا فَمِنْ شَأْنِي أَنِّي أَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ أَيُّ لَا تَعْقِلُونَ وَلَا تَفْهَمُونَ.

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَبَ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ وَهُوَ هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ [وَالسَّلَامُ]، بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عَادٍ الْأُولَى وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ، جَمْعُ حَقْفٍ، وَهُوَ الْجَبَلُ مِنَ الرَّمْلِ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(١). وَقَالَ عِكْرَمَةُ: الْأَحْقَافُ: الْجَبَلُ وَالْعَارُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَادًا كَانُوا حَيًّا بِالْيَمَنِ، أَهْلُ رَمْلٍ، مُشْرِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الشَّحْرُ ^(٢). قَالَ ابْنُ مَاجَةَ: بَابٌ إِذَا دَعَا فَلْيَدْعُ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُرْحِمُنَا اللَّهُ وَأَخَا عَادٍ» ^(٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يَعْنِي: وَقَدْ أُرْسِلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ حَوْلَ بِلَادِهِمْ فِي الْقُرَى مُرْسِلِينَ وَمُنْذِرِينَ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] وَكَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿٢٧﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ أُرْسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت: ١٣، ١٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أَيُّ: قَالَ لَهُمْ هُوَذَا ذَلِكَ فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ قَائِلِينَ: ﴿أَجِئْنَا لِنَتَفَكَّاهُ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أَيُّ: لِنَتَضَدَّنَا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ ﴿فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ اسْتَعْجَلُوا عَذَابَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ اسْتِعَادًا مِنْهُمْ وَفُوعَهُ، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ، إِنْ كُنتُمْ مُسْتَحِقِّينَ لَتَعْجِيلِ الْعَذَابِ، فَسَيَعْلَ ذَلِكَ بِكُمْ، وَأَمَّا أَنَا فَمِنْ شَأْنِي أَنِّي أَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ أَيُّ لَا تَعْقِلُونَ وَلَا تَفْهَمُونَ.

[قِصَّةُ عَادٍ]

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي تَكْذِيبِ مَنْ كَذَبَ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ وَهُوَ هُودٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ [وَالسَّلَامُ]، بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عَادٍ الْأُولَى وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ، جَمْعُ حَقْفٍ، وَهُوَ الْجَبَلُ مِنَ الرَّمْلِ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(١). وَقَالَ عِكْرَمَةُ: الْأَحْقَافُ: الْجَبَلُ وَالْعَارُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَادًا كَانُوا حَيًّا بِالْيَمَنِ، أَهْلُ رَمْلٍ، مُشْرِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الشَّحْرُ ^(٢). قَالَ ابْنُ مَاجَةَ: بَابٌ إِذَا دَعَا فَلْيَدْعُ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُرْحِمُنَا اللَّهُ وَأَخَا عَادٍ» ^(٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يَعْنِي: وَقَدْ أُرْسِلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ حَوْلَ بِلَادِهِمْ فِي الْقُرَى مُرْسِلِينَ وَمُنْذِرِينَ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] وَكَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿٢٧﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ أُرْسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت: ١٣، ١٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أَيُّ: قَالَ لَهُمْ هُوَذَا ذَلِكَ فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ قَائِلِينَ: ﴿أَجِئْنَا لِنَتَفَكَّاهُ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أَيُّ: لِنَتَضَدَّنَا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ ﴿فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ اسْتَعْجَلُوا عَذَابَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ اسْتِعَادًا مِنْهُمْ وَفُوعَهُ، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ، إِنْ كُنتُمْ مُسْتَحِقِّينَ لَتَعْجِيلِ الْعَذَابِ، فَسَيَعْلَ ذَلِكَ بِكُمْ، وَأَمَّا أَنَا فَمِنْ شَأْنِي أَنِّي أَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ أَيُّ لَا تَعْقِلُونَ وَلَا تَفْهَمُونَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ أَيُّ: لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ مُسْتَقْبِلَهُمْ، اعْتَقَدُوا أَنَّهُ عَارِضٌ مُمْطِرٌ، فَفَرُّوا وَاسْتَبَشَرُوا بِهِ، وَقَدْ كَانُوا مُمَجِّلِينَ مُحْتَاجِينَ إِلَى

الْمُطَرِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيُّ: هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي قُلْتُمْ ﴿فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أَيُّ: تَحْرُبُ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنْ بِلَادِهِمْ وَمِمَّا مِنْ شَأْنِهِ الْخَرَابُ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أَيُّ: بِأَذْنِ اللَّهِ لَهَا فِي ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] أَيُّ: كَالشَّيْءِ الْبَالِي وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ أَيُّ: قَدْ بَادُوا كُلُّهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ تَبَقْ لَهُمْ بَاقِيَةٌ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أَيُّ: هَذَا حُكْمُنَا فِيمَنْ كَذَبَ رُسُلَنَا، وَخَالَفَ أَمْرَنَا.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعًا صَاحِبًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَبْتَسِمُ وَقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ

(١) الطبري: ١٢٥/٢٢ (٢) الطبري: ١٢٤/٢٢ (٣) ابن ماجه: ١٢٦٦/٢ فيه أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس ولم يصرح بالسماع وضعفه الألباني [ضعيف الجامع وضعيف ابن ماجه]

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٥٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْإِلْمِ ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُقْنَهُنَّ يَفْقِدْ عَلَىٰ أَن يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلْعَ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

فَيُصِيبُكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ الْأُمَّةَ الْمَكْدَنِيَّةَ بِالرُّسُلِ مِمَّا حَوْلَهَا كَعَادَ، وَكَانُوا بِالْأَحْقَافِ يَحْضَرُمُونَ عِنْدَ الْيَمَنِ. وَتَمُودَ وَكَانَتْ مَنَارِلُهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّامِ. وَكَذَلِكَ سَيَأْتِيهِمْ أَهْلُ الْيَمَنِ. وَمَدْيَنَ وَكَانَتْ فِي طَرِيقِهِمْ وَمَمَرِّهِمْ إِلَى غَزَّةَ. وَكَذَلِكَ بُحَيْرَةُ قَوْمِ لُوطٍ كَانُوا يُدْرُونَ بِهَا أَيْضًا، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾ أَيْ: بَيَّنَّاها وَأَوْضَحْنَاهَا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨﴾ يَقُولُ تَعَالَى: وَلَقَدْ مَكَّنَّا الْأُمَّةَ السَّالِفَةَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْهَا مَا لَمْ نَعْطِكُمْ مِثْلَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَيْ: وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ، وَالتَّكَاثُلُ الَّذِي كَانُوا يُكْذِبُونَ بِهِ وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقُوْعَهُ، أَيْ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ أَن تَكُونُوا مِثْلَهُمْ،

اللَّهُ ﷻ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا؛ رَجَاءً أَن يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَتْ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنُنِي أَن يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ الْعَذَابَ وَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ ﴿١﴾. وَأَخْرَجَاهُ ﴿٢﴾.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَىٰ نَاسِيًا فِي أَفْقٍ مِّنْ أَفَاقِ السَّمَاءِ تَرَكَ عَمَلَهُ وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاتِهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ» فَإِنْ كَشَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِمِدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ أَطْمَرَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» ﴿٣﴾.

وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». قَالَتْ: وَإِذَا تَخَلَّتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَحَلُ، وَأَقْبَلَ وَادْبَرَ، فَإِذَا أَطْمَرَتْ سُرِّي عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَسَأَلَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادَ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ﴾» ﴿١﴾. وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّةَ هَلَاكِ قَوْمِ عَادَ فِي سُورَتِي: الْأَعْرَافِ وَهُوَ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا، وَ لِلَّهِ تَعَالَى الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾ فَلَوْلَا نَصَرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ يَقُولُ تَعَالَى: وَلَقَدْ مَكَّنَّا الْأُمَّةَ السَّالِفَةَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنْهَا مَا لَمْ نَعْطِكُمْ مِثْلَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَيْ: وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ، وَالتَّكَاثُلُ الَّذِي كَانُوا يُكْذِبُونَ بِهِ وَيَسْتَبْعِدُونَ وَقُوْعَهُ، أَيْ: فَاحْذَرُوا أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ أَن تَكُونُوا مِثْلَهُمْ،

(١) أحمد: ٦٦/٦ (٢) فتح الباري: ٤٤١/٨ ومسلم: ٢/

٦١٦ (٣) أحمد: ١٩٠/٦ (٤) مسلم: ٦١٦/٢

فَالْعُمْدَةُ هُوَ التَّوْرَةُ، فَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ وَهَكَذَا قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ حِينَ أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقِصَّةِ نَزُولِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: بَخِ بَخِ! هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَىٰ يَا لَيْتَنِي أَكُونُ فِيهِ جَدْعًا^(١). ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّكَ يَدْيُهُ﴾ أَيُّ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ أَيُّ: فِي الْإِغْتِقَادِ وَالْأَخْبَارِ ﴿وَالِكِ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ﴾ فِي الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَتَّى خَيْرٍ وَطَلَبٍ، فَخَبْرُهُ صِدْقٌ وَطَلَبُهُ عَدْلٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَالَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الص: ٩] فَالْهُدَى هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَدِينِ الْحَقِّ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهَكَذَا قَالَتِ الْجَنُّ: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ فِي الْإِعْقَادَاتِ ﴿وَالِكِ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَيُّ: فِي الْعَمَلِيَّاتِ ﴿تَقْوَمَاتٍ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾

[أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّبْرِ]

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْرًا رَسُولُهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أَيُّ: عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ لَهُمْ. وَأَوَّلُوا الْعَزْمَ هُمْ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلُّهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَدْ نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَسْمَائِهِمْ مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ فِي آيَتَيْنِ مِنْ سُورَتَيْ الْأَحْزَابِ وَالشُّورَى.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أَيُّ: لَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ حُلُولَ الْعُقُوبَةِ بِهِمْ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَذَرْنِي وَالْكَافِرِينَ أَوَّلِي النَّعْمَةِ وَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رَوِيًّا﴾ [الطارق: ١٧] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [النازعات: ٤٦] وَكَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُعْشَرُهُمْ كَانَ لَرَّ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ ... [الآيَةُ [يونس: ٤٥]]. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلِّغْ﴾ أَيُّ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ بَلَاغٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أَيُّ: لَا يُهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْقَافِ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

﴿أَوَّلَ يَوْمٍ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَّغَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

وَقَالَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الص: ٩] فَالْهُدَى هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَدِينِ الْحَقِّ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهَكَذَا قَالَتِ الْجَنُّ: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ فِي الْإِعْقَادَاتِ ﴿وَالِكِ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَيُّ: فِي الْعَمَلِيَّاتِ ﴿تَقْوَمَاتٍ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ قِيلَ: إِنَّ (مِنْ) هُنَا زَائِدَةٌ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ زِيَادَتَهَا فِي الْإِثْبَاتِ قَلِيلٌ، وَقِيلَ: إِنَّهَا عَلَى بَابِهَا لِلتَّبَعِضِ ﴿وَمُحَرِّمٌ مِنْ عَذَابِ الْبَرِّ﴾ أَيُّ وَيَقِيكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ، ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيُّ: بَلْ قُدْرَةُ اللَّهِ شَامِلَةٌ لَهُ وَمُحِيطَةٌ بِهِ ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أَيُّ: لَا يُجِيرُهُمْ مِنْهُ أَحَدٌ ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وَهَذَا مَقَامُ تَهْلِيدٍ وَتَرْهيبٍ، فَدَعَا قَوْمَهُمْ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، وَلِهَذَا نَجَعَ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَجَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفُودًا وَفُودًا. وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿أَوَّلَ يَوْمٍ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَّغَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

[دَلِيلُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ]

يَقُولُ تَعَالَى: أَوَلَمْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمُتَكَبِّرُونَ لِلْبُعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُسْتَبْعِدُونَ لِقِيَامِ الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

(١) فتح الباري: ٣٠/١ بدون قوله: «بخ بخ»

تفسير سورة القتال وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ (٣)

[جزاء الكفار والمؤمنين]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بآيات الله ﴿وَصَدُّوا﴾ غيَّبَهُمْ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: أبْطَلَهَا وَأَذْهَبَهَا، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا ثَوَابًا وَلَا جَزَاءً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَلِمَاتُنَا إِلَى مَا نَمِيزُ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْءًا مُنْشُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: آمَنْتْ قُلُوبُهُمْ وَسَرَائِرُهُمْ، وَانْقَادَتْ لِشَرْعِ اللَّهِ جَوَارِحُهُمْ وَبَوَاطِينُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ ﴿وَعَمِلُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ عَطَفَ خَاصًّا عَلَى عَامٍّ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ شَرَطٌ فِي صِحَّةِ الْإِيمَانِ بَعْدَ بَعْثِهِ ﷺ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جُمْلَةٌ مُعَرِّضَةٌ حَسَنَةٌ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَيُّ أَمْرِهِمْ^(١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: شَأْنُهُمْ^(٢). وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ: حَالَهُمْ^(٣). وَالْكُلُّ مُتَقَارِبٌ. وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ تَشْمِيتِ الْعَاطِسِ: «يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُلِّ»^(٤). ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ أي: إِنَّمَا أَبْطَلْنَا أَعْمَالَ الْكُفَّارِ. وَتَجَاوَزْنَا عَنْ سَيِّئَاتِ الْأَبْرَارِ، وَأَصْلَحْنَا شُؤْنَهُمْ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ، أَي: اخْتَارُوا الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ أَي: يَبَيِّنُ لَهُمْ مَالَ أَعْمَالِهِمْ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِذَا مَتَّ بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِنَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٤) سَبَّحَهُمْ وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلْهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرُوا اللَّهَ وَيُنِيبُوا أَقْدَامَهُمْ (٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ (١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِذَا مَتَّ بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِنَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ (٤) سَبَّحَهُمْ وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلْهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرُوا اللَّهَ وَيُنِيبُوا أَقْدَامَهُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ (٩)
[الْأَمْرُ بِضَرْبِ رِقَابِ الْعَدُوِّ وَشُدُّ وَتَاقِهِ ثُمَّ الْمَنْ أَوْ الْفِدَاءِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُرْشِدًا لِلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي حُرُوبِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ أَي: إِذَا وَاجَهْتُمُوهُمْ فَاحْضُدُوهُمْ حَضْدًا بِالسُّيُوفِ ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ﴾ أَي: أَهْلَكْتُمُوهُمْ قَتْلًا ﴿فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾ الْأَسَارَى الَّذِينَ تَأْسِرُونَهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ - بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ وَانْقِصَالِ الْمَعْرَكَةِ - مُخَيَّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ، إِنْ شِئْتُمْ مَنِّتُمْ عَلَيْهِمْ فَأَطَقْتُمْ أَسَارَاهُمْ مَجَانًا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ بِمَالٍ تَأْخُذُونَهُ مِنْهُمْ وَتُسَارِطُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَاتَبَ

(١) الطبري: ١٥٢/٢٢ (٢) الطبري: ١٥٢/٢٢ (٣) الطبري:

١٥٢/٢٢ (٤) تحفة الأحوذى: ١١/٨

اللَّهُ ﷻ: «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ: عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ تُكْفَرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ. وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. وَيَأْمُنُ مِنَ الْفَرَقِ الْأَكْبَرِ. وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَتُحْلَى حُلَّةُ الْإِيمَانِ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١). وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٢). وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الشَّهِيدِ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «سَيِّدِهِمْ» أَيُّ: إِلَى الْجَنَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا الصَّالِحِينَ يَجْعَلُهُمْ رَبُّهُمْ يَوْمَئِذٍ يَعْرِفُونَ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي حَنَّتِ النَّعِيمِ» [يونس: ٩]. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ «وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ» أَيُّ: أَمْرُهُمْ وَحَالَهُمْ «وَيُعْطَاهُمُ الْجَنَّةَ عَرْشًا لَمْ يَكُنْ» أَيُّ: عَرَفَهُمْ بِهَا وَهَدَاهُمْ إِلَيْهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: يَهْتَدِي أَهْلُهَا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ، وَحَيْثُ قَسَمَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهَا، لَا يَخْطِئُونَ، كَأَنَّهُمْ سَاكِنُوهَا مُنْذُ خُلِقُوا، لَا يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهَا أَحَدًا^(٣). رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسِبُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَنْقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَنُقِرُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ أَحَدَهُمْ يَمْنُرِلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَهْدَى مِنْهُ يَمْنُرِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(٤).

[أَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيَكُنَّ أَقْدَامُكُمْ» كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُنِي» فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَيَكُنَّ أَقْدَامُكُمْ» كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ بَلَغَ ذَا سُلْطَانٍ حَاجَةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا، ثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ عَكْسُ نَتِيجَةِ الْأَقْدَامِ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ﷺ،

الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَسَارَى يَوْمَئِذٍ - لِيَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْفِدَاءَ - وَالتَّقْلِيلِ مِنَ الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: «مَا كَانَتْ لِيَنْيَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشْرَى حَتَّى يُنْخَضَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» لَوْلَا كُتِبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [الأنفال: ٦٧، ٦٨].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «حَقٌّ قَضَعُ لِمَرْبِئِ أَوْرَارَهَا» قَالَ مُجَاهِدٌ: حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٦). وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَالُ»^(٧). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ قَالَ: إِنْ سَلِمَ بَنُ نَفِيلٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي [سَيِّئٌ] الْخَيْلِ، وَأَلْقَيْتُ السِّلَاحَ، وَوَضَعْتُ الْحَرْبَ أَوْرَارَهَا، وَقُلْتُ: لَا قِتَالَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَزِيغُ اللَّهُ تَعَالَى قُلُوبَ أَقْوَامٍ، فَيَقَاتِلُونَهُمْ وَيَزِيغُهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنْ غَفَرَ دَارَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَغْفُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٨). وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٩).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنَمَرَ مِنْهُمْ» أَيُّ: هَذَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْتَمَ مِنَ الْكَافِرِينَ بِعُقُوبَةٍ وَكَتَالٍ مِنْ عِنْدِهِ «وَلَكِنْ لَبَلَّوْا بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا» أَيُّ: وَلَكِنْ شَرَعَ لَكُمْ الْجِهَادَ وَقِتَالَ الْأَعْدَاءَ لِيُخَيَّرَكُمْ، وَيَبْلُغُوا أَخْبَارَكُمْ، كَمَا ذَكَرَ حِكْمَتَهُ فِي شَرْعِيَةِ الْجِهَادِ فِي سُورَتِي آلِ عِمْرَانَ وَبَرَاءَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ» [آل عمران: ١٤٢]. وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: «فَقَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبْكُمْ وَيُفْسِدْ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ١٤، ١٥].

[فَضْلُ الشَّهَادَةِ]

ثُمَّ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْقِتَالِ أَنْ يُقْتَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُغْفَلَ عَنْكُمُ» أَيُّ: لَنْ يُذْهِبَهَا، بَلْ يُكْثِرُهَا وَيُثَمِّبُهَا وَيُضَاعِفُهَا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْرِي عَلَيْهِ عَمَلُهُ طَوَّلَ بَرَزَجِهِ، كَمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مَرَّةٍ، عَنْ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ - رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) الطبري: ١٥٧/٢٢ (٢) أبو داود: ١١/٣ (٣) أحمد: ٤/

١٠٤ (٤) النسائي: ٢١٤/٦ والنسائي في الكبرى: ٢١٨/٥

(٥) أحمد: ٢٠٠/٤ (٦) أبو داود: ٢٥٢٢ (٧) الطبري: ٢٢/

١٦٠ (٨) البخاري: ٦٥٣٥ (٩) ضعيف ذكره الألباني في

سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٩٤) وقد ذكر الشيخ الألباني حديثا

آخر في الصحيحة (٩٠٤) وفيه: "ومن مشى مع أخيه في حاجة

حتى تنهيا له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام" وهذا يغني عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠٨

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٠﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١١﴾ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٢﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْقَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٣﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَتَقَبَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَزَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٥﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِدْجَاءُ تَهُمُّ ذَكَرْنَهُمْ ﴿١٦﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٧﴾

الصَّحِيح: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» (٣). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» أَي: يَوْمَ جَزَائِهِمْ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ» وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ فِي تَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَهْلَكَ الْأُمَمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ قَبْلَهُ بِسَبَبِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ، فَمَاذَا ظَنُّ هَؤُلَاءِ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ فَإِنْ رَفَعَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا لِيَرْكَهَ وَجُودَ الرُّسُولِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، فَإِنَّ الْعَذَابَ يُوقَرُّ عَلَى الْكَافِرِينَ بِهِ فِي مَعَادِهِمْ «يَضَعُفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَظِيمُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ» [هود: ٢٠].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدُّنْيَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدُّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْقُطَيْفَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ» (١). أَي: فَلَا شِفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ» أَي: أَخْطَبَهَا وَأَبْطَلَهَا، وَلِهَذَا قَالَ: «ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كِرْهُوًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» أَي: لَا يُرِيدُونَهُ وَلَا يُحِبُّونَهُ «فَأَحْطَطْ أَعْمَلَهُمْ». «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا» (٢) ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (٣) إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (٥) [النَّارُ لِلْكَافِرِ وَالْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا» يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِهِ «فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أَي: عَاقِبَتُهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، أَي: وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَالِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا». ثُمَّ قَالَ: «ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ أَبُو سُفْيَانٍ صَحْرُ بْنُ حَرْبٍ رَئِيسُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَ سَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمْ يُجِبْ، وَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ هَلَكُوا. وَأَجَابَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! بَلْ أَبْقَى اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مَا يَسُوءُكَ، وَإِنَّ الَّذِينَ عَذَّبْتَ لِأَحْيَاءٍ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانٍ: يَوْمَ يَوْمٍ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ مِثْلَهُ لَمْ أَمُرْ بِهَا، وَلَمْ أَنَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ ذَهَبَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ: أَعْلُ هُبْلُ أَعْلُ هُبْلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوهُ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا نَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ». ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانٍ: لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَى لَكُمْ، فَقَالَ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوهُ؟» قَالُوا: وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا: «اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ» (٢).

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَنْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ» أَي: فِي دُنْيَاهُمْ يَسْتَنْعُونَ بِهَا وَيَأْكُلُونَ مِنْهَا كَأَكْلِ الْأَنْعَامِ خَضْمًا وَقَضْمًا، وَلَيْسَ لَهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا فِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي

(١) فتح الباري: ٩٥/٦ وابن ماجه: ١٣٨٦/٢ (٢) فتح الباري: ١٨٨/٦ (٣) فتح الباري: ٤٤٦/٩

يُرْفُونَ ﴿الواقعة: ١٩﴾ ﴿بِضَلَّةِ لَذَوٍ لِلشَّرِيبِينَ﴾ [الصفات: ٤٦] وفي حديث مَرْفُوع: «لَمْ يَعْصِرْهَا الرَّجَالُ بِأَقْدَامِهِمْ» ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصْقًى﴾ أي وهو في غَايَةِ الصَّفَاءِ وَحُسْنِ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالرَّيْحِ. وفي حديث مَرْفُوع: «لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ»^(٦).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِي الْجَنَّةِ بَحْرُ اللَّبَنِ وَبَحْرُ الْمَاءِ وَبَحْرُ الْعَسَلِ وَبَحْرُ الْخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقُّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ»^(٧). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٨). وَفِي الصَّحِيحِ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ تَعَالَى فَاسْأَلُوهُ لِتُرَدُّوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥] وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فُكْهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أَي: مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ﴾ أَي: أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا مَنَزَلَتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ؟ لَيْسَ هَؤُلَاءِ كَهَؤُلَاءِ، وَلَيْسَ مَنْ هُوَ فِي الدَّرَجَاتِ كَمَنْ هُوَ فِي الدَّرَكَاتِ ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أَي: حَارًّا شَدِيدَ الْحَرِّ لَا يُسْتَطَاعُ ﴿فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ أَي: قَطَعَ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنَ الْأَمْعَاءِ وَالْأَحْشَاءِ - عِيَادًا بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَقًّا إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١٠) وَالَّذِينَ أَهْدَوْا رَادَّهُمْ هُدًى وَعَالَمُهُمْ يَقُونَهُمْ^(١١) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى هُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ^(١٢) فَأَعْلَزَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ^(١٣)

(١) وفي إسناده حش لا يدرى من هو؟ ولعله يكون حش بن المعتمر وهو مختلف فيه. (**) في النسخة فأعدى الأعداء من عدا على الله. و المثبت من الطبري. (٢) الطبري: ١٦٥/٢٢ (٣) الطبري: ١٦٦/٢٢ (٤) الطبري: ١٦٧/٢٢ (٥) ضعيف جدًا كما قال الشيخ الألباني [ضعيف الترغيب والترهيب (٣١٨١)] (٦) روى هذا ومعنى ما قبله ابن المنذر عن سعيد بن جبير موقوفًا عليه، الدر المنثور: ٢٥/٦ (٧) أحمد: ٥/٥ (٨) تحفة الأحوذى: ٢٨٧/٧ (٩) فتح الباري: ١٤/٦

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَرَيْكَ أَلَّتِي أَخْرَجَكَ﴾ أَي: الَّذِينَ أَخْرَجُوكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْغَارِ وَأَتَاهُ فَالْتَمَتَ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ: «أَنْتَ أَحَبُّ بِلَادٍ لِلَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتَ أَحَبُّ بِلَادٍ لِلَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَخْرَجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ»^(١٤). [فَأَعْتَى] الْأَعْدَاءِ مَنْ [عَنَا]^(١٥) عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَرَمِهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِذُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرِيْبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ أَلَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ»^(١٦).

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ. كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ. وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١٧) مَثَلُ الْجَنَّةِ أَلَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغْيَرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَوٍ لِلشَّرِيبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصْقًى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ^(١٨)

[لَا يَسْتَوِي عَابِدُ الْحَقِّ وَعَابِدُ الْهَوَى]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أَي: عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَدِينِهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، وَبِمَا حَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِطْرَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ. وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أَي: لَيْسَ هَذَا كَهَذَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ أُلْقُ كَمَنْ هُوَ أَصَمٌّ﴾ [الرعد: ١٩]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

[نَعْتُ الْجَنَّةَ بِأَنْهَارِهَا]

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ أَلَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أَي: نَعْتُهَا ﴿فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: بِعَنِي غَيْرَ مُتَغَيَّرٍ^(١٩). وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ: غَيْرَ مُتَبَيِّنٍ^(٢٠). وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَسِنَ الْمَاءُ إِذَا تَغَيَّرَ رِيحُهُ ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغْيَرْ طَعْمُهُ﴾ أَي: بَلْ فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ وَالْحَلَاوَةِ وَالذُّسُومَةِ، وَفِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ: «لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ضُرُوعِ الْمَاشِيَةِ»^(٢١). ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَوٍ لِلشَّرِيبِينَ﴾ أَي: لَيْسَتْ كَرِيهَةِ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ كَخَمْرِ الدُّنْيَا، بَلْ حَسَنَةُ الْمُنْظَرِ وَالطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ وَالْفِعْلِ ﴿لَا فِيهَا عَوَلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ [الصفات: ٤٧] ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

٥٠٩

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿١٦﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿١٨﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَى آذَانِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢١﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَنَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَثَهُمْ ﴿٢٤﴾

أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»^(١). وفي الصحيح أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢). وفي الصحيح أَنَّهُ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(٣).

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُقَبَّلَكُمْ وَمُؤَخَّرَكُمْ» أي: يَعْلَمُ تَصَرُّفَكُمْ فِي نَهَارِكُمْ وَمُسْتَقَرَّكُمْ فِي لَيْلِكُمْ، كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَهُوَ الَّذِي يُوَفِّقُكُمْ بِالْيَلِّ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ» [الأنعام: ٦٠] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ

[بَيَانُ حَالِ الْمُتَافِقِينَ وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ] يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُتَافِقِينَ فِي بِلَادَتِهِمْ وَقَلَّةِ فَهْمِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا يَجْلِسُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَسْتَمِعُونَ كَلَامَهُ فَلَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «مَاذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ؟ أَيْ: السَّاعَةِ. لَا يَعْقِلُونَ مَا قَالَ وَلَا يَكْتَرِبُونَ لَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» أَيْ: فَلَا فَهْمَ صَحِيحٍ وَلَا قَصْدَ صَحِيحٍ. ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» أَيْ: وَالَّذِينَ قَصَدُوا الْهُدَايَةَ وَتَقَفُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا، فَهَذَاهُمْ إِلَيْهَا وَتَبَتُّهُمْ عَلَيْهَا وَزَادَهُمْ مِنْهَا «وَمَنْهُمْ تَقَوُّهُمْ» أَيْ: أَلْهَمَهُمْ رُشْدَهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَهَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» أَيْ: وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْهَا «فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا» أَيْ: أَمَارَاتُ اقْتِرَابِهَا كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولِ» [آزِفِ الْأَرْفَةِ] [النجم: ٥٦، ٥٧]، وَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: «أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ» [القمر: ١]، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَمَّا فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ» [النحل: ١] وَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: «أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ» [الأنبياء: ١]، فَبِعِثَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ خَاتَمَ الرُّسُلِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الدِّينَ، وَأَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ بِأَمَارَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا، وَأَبَانَ عَنْ ذَلِكَ وَأَوْضَحَهُ بِمَا لَمْ يُوْتَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِأَضْبَعِي هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالتِّي تَلِيهَا: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ» أَيْ: فَكَيْفَ لِلْكَافِرِينَ بِالتَّذَكُّرِ إِذَا جَاءَهُمُ الْقِيَامَةُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَوْمَئِذٍ يَنْدَكِرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى» [البلد: ٢٣]. «وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ» وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَادُّشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ [سبا: ٥٢]. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هَذَا إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَتَأَنَّى كَوْنُهُ أَمْرًا يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِأُمَّتِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»، وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي

(١) فتح الباري: ٥٦٠/٨ (٢) فتح الباري: ٢٠٠/١١ (٣) فتح الباري: ٤٧٣/١٣ (٤) فتح الباري: ١٠٤/١١

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [هود: ٦٠].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ﴾^(١)
 فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ﴾^(٢)

[حَالِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ وَمَرِيضِ الْقَلْبِ عِنْدَ نُزُولِ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّةَ الْجِهَادِ، فَلَمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَرَ بِهِ نَكَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ هُنَا: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: مُشْتَمِلَةً عَلَى حُكْمِ الْقِتَالِ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: مِنْ فَرَعِهِمْ وَرُغْبِهِمْ وَجُبْنِهِمْ مِنْ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ، ثُمَّ قَالَ مُشْجَعًا لَهُمْ: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: وَكَانَ الْأَوَّلَى بِهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا أَيَّ فِي الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: جَدَّ الْحَالُ، وَخَضَرَ الْقِتَالُ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: أَخْلَصُوا لَهُ النَّيَّةَ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: عَنِ الْجِهَادِ وَنَكَلْتُمْ عَنْهُ ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تَعُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، تَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَتَقَطَّعُونَ الْأَرْحَامَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾

[محمد: ٢٣] وَهَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا، وَعَنْ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا، بَلْ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَالْأَفْعَالِ وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ وَالْإِحْسَانُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ

طُرُقٍ عَدِيدَةٍ وَوُجُوهِ كَثِيرَةٍ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّجُمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَهْ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(١). ثُمَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ» ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٢). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أُخْرَى أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخِرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ: مِنَ الْبُغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»^(٤). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ^(٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ النِّسَاءُ فِي الْأَجَلِ وَالزَّيَادَةُ فِي الرِّزْقِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ وَلَهُ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ^(٦).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجِمَ مُعْلَقَةٌ بِالْعُرْسِ، وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»^(٧). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٨). وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَوَضَّعَ الرَّجِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا [حُجَّتُهُ كَحُجَّتِ] الْمَغْزَلِ تَكَلَّمُ بِلِسَانِ طَلِقٍ ذُلٍّ، فَتَقَطَّعَ مَنْ قَطَعَهَا وَتَصِلَ مَنْ وَصَلَهَا»^(٩). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَالرَّجِمُ شُجَّتُهُ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ

(١) فتح الباري: ٤٤٣/٨ (٢) فتح الباري: ٤٤٣/٨ (٣)

مسلم: ١٩٨٠/٤ (٤) أحمد: ٣٨/٥ (٥) أبو داود: ٢٠٨/٥

وتحفة الأحوذى: ٢١٣/٧ وابن ماجه: ١٤٠٨/٢ (٦) أحمد:

٢٧٩/٥ (٧) أحمد: ١٦٣/٢ (٨) فتح الباري: ٤٣٧/١٠

(٩) أحمد: ١٨٩/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٠

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمِهِمْ وَلِتَعْرِفَهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٤﴾ وَلَسَبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّاهِدِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٢٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَا نُوا
وَهُمْ كَفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٨﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَهٗ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا
الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنَاوْا وَتَنَفَّسْتُمْ أَجُورَكُمْ
وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٣٠﴾ إِنْ سَأَلَكُمْ هَا فِي حِفْظِكُمْ
بَبَحْلٍ وَأُخْرِجَ أَصْفَتُكُمْ ﴿٣١﴾ هَٰذَا نَتْلُوهُ لَكُمْ تَدْعُونَ
لِنُفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَأِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٢﴾

وَاسْتَخَرَجْنَاهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْغُفْبِ وَالْقَهْرِ وَالضَّرْبِ، كَمَا قَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمَلَائِكَةَ يَصْرُوتُ وَجُوهُهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٥٠].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ أَيُّ: بِالضَّرْبِ ﴿أَخْرِجُوا
أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] وَلِهَٰذَا
قَالَ هَهُنَا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَمَ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ
أَصْفَتَهُمْ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمِهِمْ وَلِتَعْرِفَهُمْ

(١) أحمد: ١٦٠/٢ (٢) أبو داود: ٢٣١/٥ وتحفة الأحوذى:
٥١/٦ (٣) الطبري: ١٨٠/٢٢ إسناده ضعيف عروة عن عمر
والنبي ﷺ مرسل وله شاهد ضعيف عند اللالكائي في أصول
الاعتقاد (٧٧٢) عن سهل بن سعد وفيه مقدار بن داود الرعيني
ضعيف الحديث.

وَصَلَّاهَا وَصَلَّتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّةً^(١). وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
وَالْتِّرْمِذِيُّ، وَهَٰذَا هُوَ الَّذِي يُرَوَّى بِسَلْسُلِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَقَالَ
الْتِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٢). وَالْأَحَادِيثُ فِي هَٰذَا كَثِيرَةٌ
جِدًّا.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ
أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ
لَهُمْ وَأَمَلَّ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ
اللَّهُ سَطَطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا
تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَصْرُوتُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٧﴾

[الْأَمْرُ بِتَذَكُّرِ الْقُرْآنِ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا بِتَذَكُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهِّمِهِ وَنَاهِيًا عَنِ
الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالُهَا﴾ أَيُّ: بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، فِيهِ مُطَبَّعَةٌ لَا
يَخْلُصُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ
عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فَقَالَ شَابٌ مِنْ
أَهْلِ الْيَمَنِ: بَلْ عَلَيْهَا أَقْفَالُهَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى يَفْتَحُهَا
أَوْ يَفْرَجُهَا، فَمَا زَالَ الشَّابُّ فِي نَفْسِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
حَتَّى وُلِّيَ، فَاسْتَعَانَ بِهِ^(٣).

[ذَمُّ الْأَرْتِدَادِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أَيُّ: فَارْقُوا الْإِيمَانَ وَرَجِعُوا إِلَى
الْكُفْرِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾
أَيُّ: زَيَّنَ لَهُمْ ذَٰلِكَ وَحَسَّنَهُ ﴿وَأَمَلَّ لَهُمْ﴾ أَيُّ غَرَّهُمْ
وَحَدَعَهُمْ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
سَطَطِيْعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أَيُّ مَا لَوْ هُمْ وَنَاصِحُوهُمْ فِي
الْبَاطِلِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَهَٰذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ يُظْهِرُونَ خِلَافَ
مَا يُبْطِنُونَ. وَلِهَٰذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾
أَيُّ: مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُخْفُونَ، اللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَعَالِمٌ بِهِ،
كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْشِرُونَ﴾

[النساء: ٨١].

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَصْرُوتُونَ
وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ﴾ أَيُّ: كَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ
لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَتَعَاصَبِ الْأَرْوَاحِ فِي أَجْسَادِهِمْ

فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾
[كَشَفُ سِرِّ الْمُنَافِقِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ أي: أَيْتَقَدُّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَكْشِفُ أَمْرَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ سَيُوضِّحُ أَمْرَهُمْ وَيُجْلِيهِ حَتَّى يَهْمَهُمْ ذُووُ الْبَصَائِرِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ سُورَةَ بَرَاءَةٍ فَبَيَّنَ فِيهَا فَضَائِحَهُمْ، وَمَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى نِفَاقِهِمْ، وَلِهَذَا كَانَتْ تُسَمَّى الْفَاضِحَةِ. وَالْأَضْعَانُ: جَمْعُ ضِغْنٍ وَهُوَ مَا فِي الثُّفُوسِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَالْقَائِمِينَ بِنَصْرِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَكُمُ فَعْرَفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَوْ نَشَاءُ يَا مُحَمَّدُ لَأَرَيْنَاكَ أَشْخَاصَهُمْ فَعَرَفْتَهُمْ عَيْنًا، وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ تَعَالَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمُنَافِقِينَ سِتْرًا مِنْهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَحَمَلًا لِلْأُمُورِ عَلَى ظَاهِرِ السَّلَامَةِ وَرَدًّا لِلْسَّرَائِرِ إِلَى عَالِمِهَا ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: فِيمَا يَبْدُو مِنْ كَلَامِهِمُ الدَّالِّ عَلَى مَقَاصِدِهِمْ، يَهْمُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ أَيْ الْحِزْبَيْنِ هُوَ، بِمَعْنَى كَلَامِهِ وَقُحُوَاهُ، وَهُوَ الْمُرَادُّ مِنْ لَحْنِ الْقَوْلِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَقَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَسْرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبْدَاهَا اللَّهُ عَلَى صَفْحَاتٍ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: لَنُخَبِّرَنَّكُمْ بِالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾ وَلَيْسَ فِي تَقْدِيمِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى - بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَنَّهُ سَيَكُونُ - شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ، فَالْمُرَادُّ حَتَّى نَعْلَمَ وَفُوعُهُ، وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مِثْلِ هَذَا: إِلَّا لِنَعْلَمَ أَيْ: لِنَرَى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكُبَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾

[إِحْبَاطُ عَمَلِ الْكُفَّارِ وَالْأَمْرُ بِمِلَاحِقَتِهِمْ]

يُخَبِّرُ تَعَالَى عَمَّنْ كَفَرَ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَخَالَفَ الرَّسُولَ وَشَاقَّهُ، وَارْتَدَّ عَنِ الْإِيمَانِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

الْهُدَى أَنَّهُ لَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ وَيَخْسَرُهَا يَوْمَ مَعَادِهَا، وَسَيُحِطُّ اللَّهُ عَمَلَهُ فَلَا يُثْبِتُهُ عَلَى سَالِفٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ - الَّذِي عَقَبَهُ بِرَدِّهِ - مِثْقَالَ بَعُوضَةٍ مِنْ خَيْرٍ، بَلْ يُحِطُّهُ وَيَمْحُوهُ بِالْكَلِمَةِ كَمَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ [مُحَمَّدٌ] بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ذَنْبٌ كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّرِّكَ عَمَلٌ فَتَرَلَّتْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ فَخَافُوا أَنْ يُبْطِلَ الذَّنْبُ الْعَمَلَ ^(١). ثُمَّ رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَشَرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَرَى أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ إِلَّا مَقْبُولٌ حَتَّى تَرَلَّتْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ فَقُلْنَا: مَا هَذَا الَّذِي يُبْطِلُ أَعْمَالَنَا؟ فَقُلْنَا: الْكِبَائِرُ الْمُوجِبَاتُ وَالْفَوَاحِشُ حَتَّى تَرَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] فَلَمَّا تَرَلَّتْ كَفَفْنَا عَنِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، فَكُنَّا نَخَافُ عَلَى مَنْ أَصَابَ الْكِبَائِرُ وَالْفَوَاحِشُ، وَتَرَجُّو لِمَنْ لَمْ يُصِبْهَا ^(٢).

ثُمَّ أَمَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ الَّتِي هِيَ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْارْتِدَادِ الَّذِي هُوَ مُبْطِلٌ لِلْأَعْمَالِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي: بِالرَّدِّ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ كَقَوْلِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ... الْآيَةُ [النساء: ١١٦]. ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ أي: لَا تَضَعُفُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ﴾ أي: الْمُهَادَنَةِ، وَالْمُسَالَمَةِ، وَوَضَعَ الْقِتَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ، فِي حَالِ قُوَّتِكُمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِكُمْ وَعَدُوَّتِكُمْ - وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: فِي حَالِ غُلُوبِكُمْ عَلَى عَدُوَّتِكُمْ - فَمَا إِذَا كَانَ الْكُفَّارُ فِيهِمْ قُوَّةٌ وَكَثْرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَى الْإِمَامُ فِي الْمُهَادَنَةِ، وَالْمُعَاهَدَةِ مَضْلَحَةً فَلَمْ أَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَدَّه كُفَّارٌ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَّةَ وَدَعَا إِلَى الصُّلْحِ. وَوَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَشْرَ سِنِينَ؟ فَأَجَابَهُمْ ﷺ إِلَى ذَلِكَ.

سُورَةُ الْفَتْحِ ٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدَهُمْ مِنْهُمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ
بِاللَّهِ طَرَفَ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتَعَزَّزُوا بِثَوْبِهِ وَنُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

تفسير سورة الفتح وهي مدنية

[فضل سورة الفتح]

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مغلل يقول: قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راجلته فرجع فيها. قال معاوية: لولا أني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته^(٢). أخرجاه من حديث شعبة به^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَبْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فِيهِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ﴿وَلَنْ يَرْكَدَ أَعْمَلُكُمْ﴾ أَي: وَلَنْ يُحِطَّهَا وَيُطْلَها وَيَسْلُبُكُمْ إِيَّاهَا، بَلْ يُوفِّقُكُمْ ثَوَابَهَا، وَلَا يَنْقُصُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿إِنَّمَا لِلْمُتَّقِينَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَان تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلُكُمْ فِي حَيْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَتُخْرِجَ أَصْغَنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَاسَتْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُسْفَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

[بيان حقارة الدنيا والحث على الإنفاق]

يَقُولُ تَعَالَى تَحْقِيرًا لِأَمْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينًا لِشَأْنِهَا ﴿إِنَّمَا لِلْمُتَّقِينَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ﴾ أَي: حَاصِلُهَا ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ أَي: هُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ لَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ الصَّدَقَاتِ مِنَ الْأَمْوَالِ مُوَسَّاءَ لِإِخْوَانِكُمُ الْفُقَرَاءِ، لِيُعَوِّدَ نَفْعَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، وَيَرْجِعَ ثَوَابُهُ إِلَيْكُمْ، ثُمَّ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْ فِي حَيْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَتُخْرِجَ أَصْغَنَكُمْ﴾ وَيُخْرِجُكُمْ تَبَخَّلُوا قَالَ فَتَادَهُ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ فِي إِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ إِخْرَاجَ الْأَصْغَانِ^(١). وَصَدَقَ فَتَادَهُ؛ فَإِنَّ الْمَالَ مَحْبُوبٌ، وَلَا يُصْرَفُ إِلَّا فِيمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَى الشَّخْصِ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَاسَتْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُسْفَهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ﴾ أَي: لَا يُجِبُّ إِلَى ذَلِكَ ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أَي: إِنَّمَا نَقَصَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَإِنَّمَا يُعَوِّدُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ أَي: عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَبِيرٌ إِلَيْهِ دَائِمًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ أَي بِالذَّاتِ إِلَيْهِ، فَوَضَعَهُ بِالْغَنَى وَضَفَّ لَارِمَ لَهُ، وَوَضَفَّ الْخَلْقُ بِالْفَقْرِ وَضَفَّ لَارِمَ لَهُمْ لَا يَتَكُونُونَ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ أَي: عَنْ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ أَي: وَلَكِنْ يَكُونُونَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَهُ وَلَا وَاوِمِرِهِ. أَجَرَ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقِتَالِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(١) عبد الرزاق: ٢٢٤/٣ (٢) أحمد: ٥٤/١ (٣) فتح الباري: ٤٤٧/٨ ومسلم: ٤٤٧/١

[سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ]

نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ، حِينَ صَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [لِیَقْضِي] عُمْرَتَهُ فِيهِ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْمُصَالَحَةِ وَالْمُهَادَاةِ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَامَهُ هَذَا، ثُمَّ بَأْتِيَ مِنْ قَابِلٍ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ عَلَى تَكْرُوهٍ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَمَّا نَحَرَ هَذِهِ حَيْثُ أُحْصِرَ وَرَجَعَ أَتَزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ السُّورَةَ يَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِمْ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الصُّلْحَ فَتَحًا بِإِغْتِيَارٍ مَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَمَا آَلَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَعْدُونَ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ صُلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا كُنَّا نَعُدُّ الْفَتْحَ إِلَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ^(١). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَعْدُونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً. وَالْحُدَيْبِيَّةُ بَنُو فَتَرْحَانَهَا، فَلَمْ تَنْزُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنَانَا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ تَمَضَّمَصَّ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّ فِيهَا فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْ مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرَكَائِبًا^(٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: ثَكِلْتُكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلْخُحْتُ كَرَّرْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ. قَالَ: فَكَيْفَ رَاحِلَتِي فَحَرَكْتُ بَعِيرِي، فَتَقَدَّمْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ، قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِمَنَادٍ يَا عُمَرُ، قَالَ: فَوَجَعْتُ وَأَنَا أَطْنُ أَنَّهُ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَزَلَ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ سُورَةُ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٣) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ^(٤)». وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٥). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ هَذَا إِسْنَادٌ مَدَنِيٌّ جَيِّدٌ لَمْ نَجِدْهُ إِلَّا عَنْهُمْ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرْجِعُهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ أَتَزَلْتُ عَلَى اللَّيْلَةِ آيَةَ أَحَبِّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ» ثُمَّ قَرَأَهَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: هِنَبًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، [لَقَدْ] بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَتَرَكْتُ عَلَيْهِ ﷺ ﴿لِيَنْظُرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿فَوَرَا عَظِيمًا﴾^(٦) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٧).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ ﷺ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»^(٨) أَخْرَجَاهُ وَبَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ^(٩). قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ أَيُّ: بَيَّنَّا ظَاهِرًا، وَالْمُرَادُ بِهِ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَإِنَّهُ حَصَلَ بِسَبَبِهِ خَيْرٌ جَزِيلٌ، وَأَمِنَ النَّاسُ وَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَتَكَلَّمَ الْمُؤْمِنُونَ مَعَ الْكَافِرِ، وَانْتَشَرَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَالْإِيمَانُ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ - فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ - لِعَيرِهِ: غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. وَهَذَا فِيهِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ ﷺ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي لَمْ يَنْتَلِهَا بَشَرٌ سِوَاهُ لَا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ، وَهُوَ ﷺ أَكْمَلَ النَّبَشْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَسَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَمَّا كَانَ أَطْوَعَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى [لِللَّهِ] وَأَشَدَّهُمْ تَعْظِيمًا لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ قَالَ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ النَّافَةُ: «حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا يُعْظَمُونَ بِهِ حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا»^(١٠). فَلَمَّا أَطَاعَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَأَجَابَ إِلَى الصُّلْحِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبَيَّنَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ أَيُّ: فِي

(١) الطبري: ٢٠١/٢٢ (٢) فتح الباري: ٥٥٥/٧ (٣) أحمد: ٣١/٨ (٤) فتح الباري: ٦٧٥/٨ ونحفة الأحوذى: ١٤٧/٩ والنسائي في الكبرى: ٤٦١/٦ (٥) أحمد: ١٩٧/٣ (٦) فتح الباري: ٥١٦/٧ ومسلم: ١٤١٣/٣ (٧) أحمد: ٥٥/٤ (٨) البخاري: ٤٨٣٦ ومسلم: ٢٨١٩ والترمذي: ٤١٢ والنسائي: ٣/٢١٩ وابن ماجه: ١٤١٩ (٩) فتح الباري: ٣٨٨/٥

بَلْ يَغْفِرُ وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَسْتُرُ وَيَرْحَمُ وَيَشْكُرُ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾... الْآيَةُ [آل عمران: ١٨٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ طَرَفَ السَّوءِ﴾ أَيْ: يَتَّهِمُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِي حُكْمِهِ وَيُظَنُّونَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ يُقْتُلُوا وَيَذْهَبُوا بِالْكُلِّيَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أَيْ: أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُؤَكِّدًا لِفُذْرَتِهِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمِنَ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُسِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ٨ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٩ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّوهُ أَجْرًا عَظِيمًا ١٠

[صِفَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أَيْ: عَلَى الْخَلْقِ ﴿وَمُسِيرًا﴾ أَيْ: لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَنَذِيرًا﴾ أَيْ: لِلْكَافِرِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُ وَاحِدٍ: تُعَظِّمُوهُ (٣) ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ مِنَ التَّوَقِيرِ وَهُوَ الْإِحْتِرَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أَيْ: تُسَبِّحُونَ اللَّهَ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أَيْ: أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ.

[بَيَعَةُ الرِّضْوَانِ]

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهَ﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أَيْ: هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَيَرَى مَكَانَهُمْ وَيَعْلَمُ صَمَائِرَهُمْ وَظَوَائِرَهُمْ فَهُوَ تَعَالَى هُوَ الْمُبَايِعُ بِوَاسِطَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْبَلُونَ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَيْ: بِمَا يَشْرَعُهُ لَكَ مِنَ الشَّرْعِ الْعَظِيمِ وَالَّذِينَ الْقَوِيمِ ﴿وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أَيْ: بِسَبَبِ خُصُوعِكَ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُكَ اللَّهُ وَيُنْصِرُكَ عَلَى أَعْدَائِكَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى» (١). وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا عَاقَبْتُ أَحَدًا عَصَى اللَّهَ تَعَالَى فِيكَ، بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٤ ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ٥ ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ طَرَفَ السَّوءِ عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ٦ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٧

[نُزُولُ السَّكِينَةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أَيْ: جَعَلَ الطَّمَأْنِينَةَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْوَقَارُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَانْقَادُوا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ قُلُوبُهُمْ بِذَلِكَ وَاسْتَقَرَّتْ رَأْسُهُمْ إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَا الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى تَفَاضُلِ الْإِيْمَانِ فِي الْقُلُوبِ، ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَانتَصَرَ مِنَ الْكَافِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيْ: وَلَوْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا وَاحِدًا لَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ وَالْقِتَالَ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّامِغَةِ، وَلِهَذَا قَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جِئْنَا قَالُوا: هَيِّنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكَ فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (٢) أَيْ: مَا كَيْفَ فِيهَا أَبَدًا ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَيْ: خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبَهُمْ فَلَا يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا،

(١) مسلم: ٢٠٠١/٤ (٢) فتح الباري: ٥١٦/٧ (٣) الطبري:

إِيَّاهَا وَغَلَطِي عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَذْلَكُ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نَبَعْتُهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافَ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا النَّبِيِّ وَمُعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْطَلَقَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ فَرَغَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالنَّبِيِّ فَطُفْ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَاحْتَسِسْتُهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَلَبَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ قُتِلَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى تُنَاجِرَ الْقَوْمَ».

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى النَّبِيعَةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَبَايِعْهُمْ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرَ، فَبَايَعَ النَّاسُ، وَلَمْ يَتَخَلَفْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَهَا، إِلَّا الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ أَخُو بَنِي سَلِمْ، فَكَانَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا صِفًا يَاطِرُ نَاقِيَةً قَدْ صَبَأَ إِلَيْهَا يَسْتَرِبُّ بِهَا مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاطِلًا^(٨).

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ النَّبْهَقِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَبَايَعَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَاجَةِ رَسُولِهِ» فَضَرَبَ بِأُخْدَى

سِكِّيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ. وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ^(٩). [التوبة: ١١١].

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيزَتْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أَيُّ: ثَوَابًا جَزِيلًا. وَهَذِهِ النَّبِيعَةُ هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، وَكَانَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَمَرَةٍ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ قِيلَ: أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةٍ، وَقِيلَ: وَأَرْبَعُمِائَةٍ، وَقِيلَ: وَخَمْسُمِائَةٍ، وَالْأَوْسَطُ أَصَحُّ.

ذَكَرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ

رَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعُمِائَةٍ^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢). وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمَئِذٍ أَلْفًا وَأَرْبَعُمِائَةٍ. وَوَضَعَ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ حَتَّى رَوَّاهُ كُلُّهُمْ^(٣). وَهَذَا مُخْتَصَرٌ مِنْ سِيَاقٍ آخَرَ حِينَ ذَكَرَ قِصَّةَ عَطِيَّتِهِمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَاهُمْ سَهْمًا مِنْ كِتَابَتِهِ فَوَضَعُوهُ فِي بَثْرِ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ حَتَّى كَفَتْهُمْ، فَقِيلَ لَجَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: كُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعُمِائَةٍ، وَلَوْ كُنَّا مِائَةً أَلْفٍ لَكُنَّا^(٤). وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً^(٥).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: كَمْ كَانَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ؟ قَالَ: خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً، قُلْتُ: فَإِنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانُوا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً؟ قَالَ: رَجِمَهُ اللَّهُ، وَهُمْ، هُوَ حَدَّثَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً^(٦). قَالَ النَّبْهَقِيُّ: هَذِهِ الرِّوَايَةُ تَذُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي الْقَدِيمِ يَقُولُ: خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً، ثُمَّ ذَكَرَ الْوَهْمَ فَقَالَ: أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً^(٧).

ذَكَرُ سَبَبِ هَذِهِ النَّبِيعَةِ الْعَظِيمَةِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ فِي السِّيَرَةِ: ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيُبْعِثَهُ إِلَى مَكَّةَ، لِيُبَلِّغَ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَلِيٍّ بْنِ كَعْبٍ مَنْ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي

(١) فتح الباري: ٤٥١/٨ (٢) مسلم: ١٤٨٤/٣ (٣) فتح الباري: ٥٠٥/٧ ومسلم: ١٤٨٤/٣ (٤) فتح الباري: ٥٠٤/٧ (٥) فتح الباري: ٥٠٧/٧ ومسلم: ١٤٨٤/٣ (٦) فتح الباري: ٥٠٧/٧ (٧) دلائل النبوة: ٩٧/٤ (٨) ابن هشام: ٣/٣٣٠، ٣٢٩

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تَرْوِيهَا، فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبَاهَا يَعْنِي: الرِّكْبِيَّ، فِيمَا دَعَا وَإِمًا بَصَقَ فِيهَا فَجَاشَتْ، فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا إِلَى الْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّاسِ قَالَ ﷺ: «بَايَعِي يَا سَلَمَةُ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ بَايَعْتُكَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ. قَالَ ﷺ: «وَأَيْضًا». قَالَ وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَزَلًا، فَأَعْطَانِي حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً، ثُمَّ بَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ، قَالَ ﷺ: «أَلَا تُبَايِعُ يَا سَلَمَةُ؟». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ بَايَعْتُكَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَأَوْسَطِهِمْ. قَالَ ﷺ: «وَأَيْضًا». فَبَايَعْتُهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا سَلَمَةُ، أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ؟». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقِينِي عَامِرٌ عَزَلًا فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الْأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَنْجِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي».

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ رَاسَلُونَا فِي الصُّلْحِ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ فَاصْطَلَحْنَا. قَالَ: وَكُنْتُ حَادِمًا لِبُطْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْقِي فَرَسَهُ وَأُجْبَتُهُ^(١) وَأَكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي -مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ- فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةَ [فَكَسَحْتُ] شَوْكَهَا، ثُمَّ اصْطَلَجْتُ فِي أَصْلِهَا فِي ظِلِّهَا، فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنْ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقْعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَبْغَضْتُهُمْ وَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى فَعَلَقُوا سِلَاحَهُمْ وَاصْطَلَجُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ نَادَى مُنَادٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ قِيلَ ابْنُ رُثَيْمٍ. فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، فَشَدَدْتُ عَلَى

يَدِيهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَكَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَيْرًا مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ^(٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَشْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ إِلَى فَرَسٍ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَأْتِي بِهِ، لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَدْرِي بِذَلِكَ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْفَرَسِ فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَلِيمُ لِلْقِتَالِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَانْطَلَقَ فَذَهَبَ مَعَهُ حَتَّى بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَشْلَمَ قَبْلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٣). ثُمَّ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَفَرَّقُوا فِي ظِلَالِ الشَّجَرِ، فَإِذَا النَّاسُ مُحْدِقُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ - يَعْنِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يَا عَبْدَ اللَّهِ، انْظُرْ مَا شَأْنُ النَّاسِ قَدْ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَهُمْ يُبَايِعُونَ فَبَايَعَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَخَرَجَ فَبَايَعَ^(٤). وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةً فَبَايَعْنَاهُ، وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ - وَهِيَ سَمُرَةٌ - وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَ، وَلَمْ تُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٥).

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ وَالنَّبِيَّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأَنَا رَافِعٌ غَضًّا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً، قَالَ: وَلَمْ تُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَ^(٦). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. قَالَ يَزِيدُ: قُلْتُ: يَا أَبَا مَسْلَمَةَ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ^(٧). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَيْضًا: عَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ فَقَالَ ﷺ: «يَا سَلَمَةُ، أَلَا تُبَايِعُ؟». قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُ. قَالَ ﷺ: «أَقْبِلْ فَبَايِعْ». فَذَنُوتُ فَبَايَعْتُهُ، قُلْتُ: عَلَامَ بَايَعْتُهُ يَا سَلَمَةُ؟ قَالَ: عَلَى الْمَوْتِ^(٨). وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٩). وَكَذَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ: أَنَّهُمْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ^(١٠).

(١) لم أجده في السنن الكبرى ولا في دلائل النبوة للبيهقي بل وجدت نحو هذا المعنى عند أبي داود ٢٧٢٦ والمزي في تهذيب الكمال ١٣٥/٤ عن ابن عمر وله طريق آخر صححه الحاكم والذهبي المستدرک مع التلخيص ٩٨/٣ وإسناده حسن. (٢) فتح الباري: ٥٢١/٧ (٣) فتح الباري: ٥٢١/٧ (٤) مسلم: ٣/١٤٨٣ (٥) مسلم: ١٤٨٥ (٦) فتح الباري: ١٣٦/٦ (٧) فتح الباري: ٢١١/١٣ (٨) مسلم: ١٤٨٦/٣ (٩) فتح الباري: ١٣٦ (١٠) أي أمشي إلى جنبه وفي رواية أحسّه وفي لفظ: أحلّ ظهره بالمحسّة - أفاده د/ البنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٢

سُورَةُ الْفَتْحِ

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِالْأَسْنَتِ هُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يُمَاتِعُكُمْ
خَيْرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا
وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَائِمٍ لِنَاخِذْهُمَا وَذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ بَرِيدُوكَ أَنْ يُبَدِّلُوا
كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا أَحَدًا. قَالَتْ:
بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ إِلَّا وَارِدَهَا﴾. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَتَّبِعِي الَّذِينَ اتَّقُوا وَتَذَرِ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا﴾»
[مريم: ٧٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١). وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ: إِنَّ عَبْدًا لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ جَاءَ يَشْكُو حَاطِبًا
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا
وَالْحُدَيْبِيَّةَ»^(٢). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي النَّارِ عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ

أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةُ، وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذَتْ سِلَاحَهُمْ، وَجَعَلَتْهُ
ضِعْفًا فِي يَدَيْ ثَمَّ قُلْتُ: وَالَّذِي كَرَّمُ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا
يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرْبَتْ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ قَالَ: ثُمَّ
جِثَّ بِهِمْ أَسْوَفُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي
غَامِرُ بَرْجَلٍ مِنَ الْعَبِلَاتِ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزٌ، مِنَ الْمُشْرِكِينَ
يَقُودُهُ حَتَّى وَفَقْنَا بِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبْعِينَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ، فَظَنَرُ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «دَعُوهُمْ يَكُنْ
لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَنِئَاءَهُ». فَعَمَّا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَابَيْدَ بَيْنَهُمْ
بَيْطَنَ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣). الْآيَةُ
[الفتح: ٢٣]، وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ نَحْوَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ^(٤).

وَتَبَّتْ فِي الصَّحَابَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: كَانَ
أَبِي وَمِنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا
مِنْ قَابِلٍ حَاجِبِينَ فَخَفِي عَلَيْنَا مَكَانُهَا، فَإِنْ كَانَ بَيَّتَ لَكُمْ
فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ^(٥). وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ الْحَمِيدِيُّ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ
وَجَدْنَا رَجُلًا مِتًا يُقَالُ لَهُ الْحَجْدُ ابْنُ قَيْسٍ مُحْتَبًا تَحْتَ إِبطِ
بَعِيرِهِ^(٦). رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٧). وَرَوَى الْحَمِيدِيُّ أَيْضًا عَنْ عَمْرٍو
أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا
وَأَرْبَعِمِائَةً فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ
الْيَوْمَ» قَالَ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كُنْتُ أَبْصُرُ لَأَرَيْتُكُمْ
مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ^(٨). قَالَ شَفِيَّانُ: إِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي
مَوْضِعِهَا. أَخْرَجَاهُ^(٩). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ
أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(١٠).

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ يَصْعَدُ الشَّيْءَ نَيْبَةَ الْمُرَارِ فَإِنَّهُ يُحِطُّ
عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَعِدَ خَيْلُ
بَنِي الْخَزَرَجِ، ثُمَّ تَبَادَرَ النَّاسُ بَعْدَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«كُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ». فَقُلْنَا:
تَعَالَى يَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَأَنْ أَجِدَ
ضَالَّتِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، فَإِذَا هُوَ
رَجُلٌ يُنْشِدُ ضَالَةً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِهِ^(١١).

وَعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:
أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ
حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) دلائل النبوة: ١٣٨/٤ (٢) مسلم: ١٨٠٧ (٣) فتح
الباري: ٥١٢/٧ ومسلم: ١٤٨٥/٣ (٤) مسند الحميدي: ٢/٢
٥٣٧ (٥) مسلم: ١٤٨٣/٣ (٦) مسند الحميدي: ١٤٢/٢
(٧) فتح الباري: ٥٠٧/٧ ومسلم: ١٤٨٤/٣ (٨) أحمد: ٣/٣
٣٥٠ (٩) مسلم: ٢١٤٤/٤ ولم يوجد في المسند
وزوائده (١٠) مسلم: ١٩٤٢/٤ (١١) مسلم: ١٩٤٢/٤

يَسْأَلُكُمْ وَيُذِيبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١﴾ أَيُّ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ وَخَضَعَ لَدَيْهِ.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غُزَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، إِذْ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى خَيْبَرَ يَفْتَحُونَهَا: أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ إِلَى الْمَغْنَمِ، وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنْ وَقْتِ مُحَارَبَةِ الْأَعْدَاءِ وَمُجَالَدَتِهِمْ وَمُصَابَرَتِهِمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ لَا يَأْذَنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، مُعَاقِبَةً لَهُمْ مِنْ جَنَسِ ذَنْبِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِمَغَانِمَ خَيْبَرَ وَخَدَّعَهُمْ، لَا يُسَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ الْمُتَخَلِّفِينَ، فَلَا يَبْقَعُ غَيْرُ ذَلِكَ شَرْعًا وَلَا قَدْرًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَجُوزَيْرٌ: وَهُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٣). ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيُّ: وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَبْلَ سُؤْلِكُمْ الْخُرُوجَ مَعَهُمْ ﴿سَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُونَا﴾ أَيُّ: أَنْ تَشْرِكَكُمْ فِي الْمَغَانِمِ ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيُّ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، وَلَكِنْ لَا فَهَمَ لَهُمْ.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ لِقَائِهِمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ طَلَبُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿١٤﴾﴾

[الْإِخْبَارُ بِمَزِيدِ الْجِهَادِ وَأَنَّهُ يَكُونُ فُرْقَانًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ]

اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَيْهِمْ، الَّذِينَ هُمْ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ، عَلَى أَقْوَالٍ؛ (أَحَدُهَا): أَنَّهُمْ هَوَازِنُ. رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَوْ

فَإِنَّمَا يَنْبَغُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَسْئَلُهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٦﴾﴾ بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّيْتُمْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ طَرَفَ السَّوَةِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾﴾

[الْعُذْرُ الْمَكْدُوبُ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَوَعِيدُ اللَّهِ عَلَيْهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا رَسُولَهُ ﷺ بِمَا يَعْتَذِرُ بِهِ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْمُقَامَ فِي أَهْلِيهِمْ وَشُغْلِهِمْ، وَتَرَكُوا الْمَسِيرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْتَذَرُوا بِشُغْلِهِمْ بِذَلِكَ وَسَأَلُوا أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ، وَذَلِكَ قَوْلُ مِنْهُمْ لَا عَلَى سَبِيلِ الْأَعْتِقَادِ، بَلْ عَلَى وَجْهِ التَّقِيَّةِ وَالْمُضَانَعَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ بِآلِسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرُدَّ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ فِيكُمْ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِسَرَائِرِكُمْ وَضَمَائِرِكُمْ، وَإِنْ صَانِعُكُمْ وَنَافِقُكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أَيُّ: لَمْ يَكُنْ تَخَلُّفُكُمْ تَخَلَّفَ مَعْدُورٍ وَلَا عَاصٍ، بَلْ تَخَلَّفَ نِفَاقٍ وَاعْتَقَدْتُمْ أَنَّهُمْ يُقْتَلُونَ، وَتَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُمْ، وَتُسَبِّدُ خَضِرَاؤُهُمْ، وَلَا يَرْجِعُ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ ﴿وَطَنَنْتُمْ طَرَفَ السَّوَةِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أَيُّ: هَلَكَى. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ (١). وَقَالَ قَتَادَةُ: فَاسِيدِينَ (٢). وَقِيلَ: هِيَ لُغَةُ عُمَانَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَيُّ: مَنْ لَمْ يُلْخِصِ الْعَمَلُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُعَذِّبُهُ فِي السَّعِيرِ، وَإِنْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ مَا يَعْتَقِدُونَ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ الْحَاكِمُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ

(١) الطبري: ٢٢/٢١٤ (٢) الطبري: ٢٢/٢١٤ (٣) الطبري:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٣

سُورَةُ الْفَتْحِ

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَىٰ بِأَسْ سَدِيدٍ
 نُقِيلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوْنَ فَإِنْ تَطَاعُوا يَنْفِكْ عَنْكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
 وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ أَيْسَ
 عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتُ بَعْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
 فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٩﴾ وَمَعَانِهِ
 كَثِيرَةٌ يَأْخُذُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ
 مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
 النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
 مُسْتَقِيمًا ﴿٢١﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَوَلَّوْا الْأَذْبُرُ لَكُمْ لَا يَجِدُوكَ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٣﴾ سُنَّةَ
 اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٤﴾

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ طَارِقٍ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 قَالَ: انْطَلَقْتُ حَاجًّا، فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ فَقُلْتُ: مَا هَذَا
 الْمَسْجِدُ؟ قَالُوا: هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ
 سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ
 الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ نَسِينَاهَا فَلَمْ
 نَقْدِرْ عَلَيْهَا. فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ
 يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ، فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ ﴿١٠﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ: مِنَ الصِّدْقِ
 وَالْوَفَاءِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ وَهِيَ الطَّمَأْنِينَةُ
 عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿وَهُوَ مَا أَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

عِكْرَمَةً أَوْ جَمِيعًا﴾ (١). وَرَوَاهُ هُشَيْمٌ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْهُمَا (٢).
 وَبِهِ يَقُولُ قَتَادَةُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ (٣). (الثَّانِي): تَقِيْفٌ. قَالَهُ
 الصَّحَّاحُ. (الثَّلَاثُ): بَنُو حَنِيفَةَ. قَالَهُ جُوَيْرٌ، وَرَوَاهُ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ (٤). وَرَوَى مِنْهُ عَنْ سَعِيدِ
 وَعِكْرَمَةَ (٥). (الرَّابِعُ): هُمْ أَهْلُ فَارَسَ. رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
 طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبِهِ يَقُولُ عَطَاءٌ
 وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ عَنْهُ (٦). وَقَالَ كَعْبُ
 الْأَخْبَارِ: هُمْ الرُّومُ (٧). وَعَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى وَعَطَاءٍ
 وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ: هُمْ فَارَسُ وَالرُّومُ (٨). وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هُمْ
 أَهْلُ الْأَوْتَانِ (٩). وَعَنْهُ أَيْضًا: هُمْ رِجَالُ أُولُو بَاسٍ شَدِيدٍ،
 وَلَمْ يُعَيَّنْ فِرْقَةٌ. وَبِهِ يَقُولُ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ
 جُرَيْجٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نُقِيلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوْنَ﴾ يَعْنِي: شَرَعَ لَكُمْ
 جِهَادَهُمْ وَقِتَالَهُمْ، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ مُسْتَمِرًّا عَلَيْهِمْ، وَلَكُمُ
 النَّصْرَةُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَيَدْخُلُونَ فِي دِينِكُمْ بِلَا قِتَالٍ، بَلْ
 بِاخْتِيَارٍ.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ تَطَاعُوا﴾ أَيْ: تَسْتَجِيبُوا وَتَتَّبِعُوا
 فِي الْجِهَادِ وَتَوَدُّوا الَّذِي عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾
 وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. حَيْثُ
 دُعِيتُمْ فَتَخَلَّفْتُمْ ﴿بَعْدَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[الْأَعْدَارُ الشَّرْعِيَّةُ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ مَعَ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ]
 ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى الْأَعْدَارَ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمِنْهَا لَازِمٌ
 كَالْعَمَى وَالْعَرَجَ الْمُسْتَمِرَّ، وَعَارِضٌ كَالْمَرَضِ الَّذِي يَطْرَأُ
 أَيْامًا ثُمَّ يَزُولُ، فَهُوَ فِي حَالٍ مَرَضِهِ مُلْحَقٌ بِذَوِي الْأَعْدَارِ
 اللَّازِمَةِ حَتَّى يَبْرَأَ. ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُرَعِبًا فِي الْجِهَادِ
 وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتُ بَعْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْمَدَلَّةِ وَفِي
 الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾
 فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٩﴾
 وَمَعَانِهِ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾

[الْبَشَارَةُ بِالرِّضَا وَالْمَغَانِمِ لِأَهْلِ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ]
 يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَا عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ عِدَّتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا
 أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ كَانَتْ سَمَرَةً بِأَرْضِ الْحُدَيْبِيَّةِ،

(١) الطبري: ٢٢٠/٢٢ (٢) الطبري: ٢٢٠/٢٢ (٣) الطبري:

٢٢٠/٢٢ (٤) الطبري: ٢٢٠/٢٢ (٥) الطبري: ٢٢٠/٢٢

(٦) الطبري: ٢١٩/٢٢ والقرطبي: ٢٧٢/١٦ (٧) الطبري:

٢٢١/٢٢ (٨) الطبري: ٢١٩/٢٢ (٩) الدر المنثور: ٧/

٥٢٠ (١٠) فتح الباري: ٥١٢/٧

سُورَةُ الْفَتْحِ

٥١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤٤﴾ هُمْ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
مَعَكُمْ أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ
لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ شَاءَ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَابُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٦﴾
لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءُوسَ بِالْحَقِّ لِنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤٨﴾

اللهُ عَنْهُمَا: هِيَ خَيْرٌ^(٣). وَهَذَا، عَلَى قَوْلِهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ﴾: إِنَّهَا صَلُحَ الْحُدُودُ. وَقَالَ
الضَّحَّاكُ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ^(٤).
وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ مَكَّةُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥). وَقَالَ ابْنُ
أَبِي لَيْلَى وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هِيَ فَارِسُ وَالرُّومِ^(٦). وَقَالَ
مُجَاهِدٌ: هِيَ كُلُّ فَتْحٍ وَغَنِيمَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٧). وَرَوَى
أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ قَالَ: هَذِهِ
الْفَتْوحُ الَّتِي تَفْتَحُ إِلَى الْيَوْمِ^(٨).

[لَوْ قَاتَلَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِالْحُدُودِ لَفَرُّوا وَلَمْ يَضْمُدُوا]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرُ ثُمَّ لَا

عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الصُّلْحِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ، وَمَا حَصَلَ
بِذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَامِّ الْمُسْتَمِرِّ الْمُتَّصِلِ بِفَتْحِ خَيْبَرَ وَفَتْحِ
مَكَّةَ، ثُمَّ فَتْحِ سَائِرِ الْبِلَادِ وَالْأَقَالِيمِ عَلَيْهِمْ، وَمَا حَصَلَ لَهُمْ
مِنَ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالرَّفْعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ. وَكَفَّ
أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا﴾^(١٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا^(١١) وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَرُ ثُمَّ
لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^(١٢) شَنَّ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ
قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا^(١٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا^(١٤)

[الْبَشَارَةُ بِالْمَغَانِمِ الْكَثِيرَةِ]

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ
كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ هِيَ جَمِيعُ الْمَغَانِمِ إِلَى الْيَوْمِ ﴿فَعَجَلْ
لَكُمْ هَذِهِ﴾: يَعْنِي: فَتْحَ خَيْبَرَ^(١). وَرَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿فَعَجَلْ لَكُمْ هَذِهِ﴾: يَعْنِي: صَلُحَ
الْحُدُودِ^(٢). ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾: أَيُّ: لَمْ يَنْكَلِكُمْ سُوءَ
مِمَّا كَانُوا أَعْدَاؤُكُمْ أَضْمَرُوهُ لَكُمْ مِنَ الْمُحَارَبَةِ وَالْقِتَالِ،
وَكَذَلِكَ كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ الَّذِينَ خَلَقْتُمُوهُمْ وَرَاءَ
ظُهُورِكُمْ عَنْ عِبَالِكُمْ وَحَرِيمِكُمْ ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
أَيُّ: يَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ
عَلَى سَائِرِ الْأَعْدَاءِ مَعَ قِلَّةِ عَدُوِّهِمْ، وَلِيَعْلَمُوا بِصَنِيعِ اللَّهِ
هَذَا بِهِمْ أَنَّهُ الْعَالِمُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَأَنَّ الْخَيْرَةَ فِيمَا
يَخْتَارُهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ كَرِهُوا فِي الظَّاهِرِ، كَمَا قَالَ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
[البقرة: ٢١٦] ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَيُّ: بِسَبَبِ
انْقِبَادِكُمْ لِأَمْرِهِ وَاتِّبَاعِكُمْ طَاعَتَهُ، وَمُوَافَقَتِكُمْ رَسُولَهُ ﷺ.

[الْبَشَارَةُ بِجَمِيعِ الْفَتْوحَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدُرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ
اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أَيُّ: وَغَنِيمَةً أُخْرَى
وَفَتْحًا آخَرَ مُعَيَّنًا لَمْ تَكُونُوا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، قَدْ يَسَّرَهَا اللَّهُ
عَلَيْكُمْ وَأَحَاطَ بِهَا لَكُمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ لَهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذِهِ
الْغَنِيمَةِ، مَا الْمُرَادُ بِهَا؟ فَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ

(١) الطبري: ٢٢/٢٣٠ (٢) الطبري: ٢٢/٢٣٠ ضعف العوفي
مبين (٣) الطبري: ٢٢/٢٣٣ العوفي تقدم حكمه (٤) الطبري:
٢٢/٢٣٣، ٢٣٤ (٥) الطبري: ٢٢/٢٣٤ (٦) الطبري: ٢٢/
٢٣٣ (٧) الطبري: ٢٢/٢٣٣ (٨) عند الطبري بهذا الطريق
قال: فارس والروم وعن مجاهد: فافتحوا حتى اليوم: ٢٢/٢٣٣

يَعِدُّونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٥﴾ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مُبَشِّرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَأَنَّهُ لَوْ نَاجَزَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَنَصَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَهَزَهُمُ جَيْشُ الْكُفْرِ قَارًا مُدِيرًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا، لِأَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِحِزْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سُئِلَ اللَّهُ أَلَيَّْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أَيْ: هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ وَعَادَتُهُ فِي خَلْقِهِ، مَا تَقَابَلِ الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ فِي مَوْطِنٍ فَفُضِلَ، إِلَّا نَصَرَ اللَّهُ الْإِيمَانَ عَلَى الْكُفْرِ، فَرَفَعَ الْحَقُّ وَوَضَعَ الْبَاطِلَ، كَمَا فَعَلَ تَعَالَى يَوْمَ بَدْرٍ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ: نَصَرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَ قَلِيلٍ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعُدْدِهِمْ وَكَثَرَةِ الْمُشْرِكِينَ وَعُدْدِهِمْ.

[حِكْمَةُ اللَّهِ فِي كَيْفِ الْقِتَالِ]

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ هَذَا امْتِنَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ كَفَّ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ عَنْهُمْ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ شَوْءٌ، وَكَفَّ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَلَمْ يَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، بَلْ صَانَ كُلًّا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَأَوْجَدَ بَيْنَهُمْ ضَلْحًا فِيهِ خَيْرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَعَاقِبَةٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ جَاؤُوا بِأَوْلِيكَ السَّبْعِينَ الْأَسَارَى، فَأَوْثَقُوهُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَظَنَرُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَرْسَلُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَنِئَاءُ». قَالَ وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... الْآيَةَ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْحُدَيْبِيَّةِ هَبَطَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بِالسَّلَاحِ، مِنْ قِبَلِ جَبَلِ التَّئِيمِ، يُرِيدُونَ غَرَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا. قَالَ عَفَّانُ: فَعَنَا عَنْهُمْ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا^(٢).

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ

مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوكُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا

الْإِسْمَ ﴿٢٦﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

[وَفَعَّ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، مَعَ كَوْنِ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابِ الْحَقِّ وَالْعَلِيَّةِ، وَذَكَرَ مَصَالِحَهُ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَنْ مَالَاهُمْ عَلَى نُصْرَتِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ: هُمُ الْكُفَّارُ دُونَ غَيْرِهِمْ ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَيْ: وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ﴿وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ﴾ أَيْ: وَصَدُّوا الْهَدْيَ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَحَلِّهِ، وَهَذَا مِنْ بَغْيِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَكَانَ الْهَدْيُ سَعِينٌ بَدَنَةٌ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ أَيْ: بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَمَنْ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ، وَيُخْفِيهِ مِنْهُمْ خِيفَةً عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، لَكُنَّا سَلْطَنَاتُكُمْ عَلَيْهِمْ فَفَقَتَلْتُمُوهُمْ وَأَبَدْتُمْ خَضِرَاءَهُمْ، وَلَكِنْ بَيْنَ أَفْئَاتِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَقْوَامٌ لَا تَعْرِفُونَهُمْ حَالَةَ الْقَتْلِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوكُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ﴾ أَيْ: إِنْهُمْ وَغَرَامَةٌ ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيْ: يُؤَخِّرُ عُقُوبَتَهُمْ لِيُخْلَصَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيَرْجِعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أَيْ: لَوْ تَمَيَّزَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ﴿لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أَيْ: لَسَلْطَنَاتُكُمْ عَلَيْهِمْ فَفَقَتَلْتُمُوهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا.

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ﴾ وَذَلِكَ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَبَوْا أَنْ يَكْتُبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

قَالَ مُجَاهِدٌ: كَلِمَةُ التَّقْوَى: الْإِخْلَاصُ^(٣). وَقَالَ عَطَاءُ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ: هِيَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤). وَقَالَ

(١) أحمد: ١٢٢/٣ (٢) مسلم: ١٤٤٢/٣ وأبو داود: ١٣٧/٣

وتحفة الأحوذى: ١٤٩/٩ والنسائي في الكبرى: ٦٤٤/٦

(٣) الطبري: ٢٥٥/٢٢ (٤) الطبري: ٢٥٦/٢٢

يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ،
عَنِ الْمُسَوِّرِ: «وَأَلَزَمَهُمْ كَلِمَةُ النَّفْثِيِّ» قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

[وَهَذَا ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي قِصَّةِ الْحَدِيثِيَّةِ

وَقِصَّةِ الصَّلْحِ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الشُّرُوطِ
عَنِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، يُصَدِّقُ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
زَمَنَ الْحَدِيثِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى
ذَا الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَذِي وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمَرَةَ، وَبَعَثَ
عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةٍ، وَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ
أَتَاهُ عَيْنُهُ فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ
جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ وَمَانِعُوكَ.
فَقَالَ ﷺ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ نَمِيلَ عَلَى
عِيَالِهِمْ وَذُرَارِيِّ هَؤُلَاءِ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ
الْبَيْتِ؟». وَفِي لَفْظٍ: «[أ]تَرُونَ أَنْ نَمِيلَ عَلَى ذُرَارِي هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ قَدْ قَطَعَ عُنُقًا مِنْ
الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْزُونِينَ». وَفِي لَفْظٍ: «فَإِنْ
فَعَدُوا فَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَجْهُودِينَ مَحْزُونِينَ، وَإِنْ نَجَّوْا يَكُنْ
عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نُوِّمَ الْبَيْتَ فَمَنْ
صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ
عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبًا، فَتَوَجَّهَ لَهُ
فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، وَفِي لَفْظٍ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِءْ
لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ مِنْ حَالِ بَيْنِنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ، فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «فَرُوحُوا إِذَنْ». وَفِي لَفْظٍ: «فَامْضُوا عَلَى اسْمِ
اللَّهِ تَعَالَى». حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ
الْيَمِينِ». فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَنْشِ
فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ
بِالنَّيَّةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ
النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَالْحَتْ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقُصُوءُ،
خَلَّاتِ الْقُصُوءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقُصُوءُ
وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلْقٍ، وَلَكِنْ حَسَبَهَا حَابِسُ الْفِيلِ - ثُمَّ
قَالَ ﷺ: - «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي حُطَّةً يُعْظَمُونَ

فِيهَا حُرُمَاتُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَعْطَيْنَهُمْ إِيَّاهَا». ثُمَّ زَجَرَهَا
فَوَثَّتَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدِيثِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ
قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّاسُ حَتَّى
نَزَحُوا، وَشَكَّيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشَ، فَاِنْتَرَعَ ﷺ مِنْ
كِتَابَتِهِ سَهْمًا ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ
لَهُمْ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُرَاعِيُّ فِي
نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُرَاعَةٍ - وَكَانُوا عَيْنَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ - فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ وَعَامِرَ بْنَ
لُؤْيٍ نَزَلُوا [أَعْدَادًا] مِيَاهِ الْحَدِيثِيَّةِ، مَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ
وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا
لَمْ نَجِءْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ
نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبَ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتَهُمْ مُدَّةً
وَيُخْلَوُا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُ، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ
يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمَعُوا، وَإِنْ
هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى
تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لَيْفَتُنَا اللَّهُ أَمْرُهُ». قَالَ بُدَيْلٌ: سَأَبْلَعُهُمْ مَا
تَقُولُ. فَاِنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا فَقَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ
هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ
عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ
بَشِيءٌ. وَقَالَ ذُو الرَّايِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ.
قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَهُ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ. فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمِ الْأَسْثَمِ
بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى،
قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي
اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَغُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي
وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ
عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةً رُشِدَ فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيَهُ. قَالُوا:
آتِيَهُ، فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يَكْلِمُ النَّبِيَّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ نَحْوًا
مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ
مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتُ [أَمْرًا] قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ
بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكَ الْأُخْرَى
فَأِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا مِنَ النَّاسِ
خَلِيقًا أَنْ يَقْرَؤُوا وَيَدْعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
امْضُصْ بَطْرَ اللَّابِ، أَنْحُنْ نَفْرًا وَنَدْعُهُ؟ قَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا
أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدُ [كَانَتْ] لَكَ

عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ». قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِتَابًا. فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: «اَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فَقَالَ سُهَيْلُ ابْنُ عَمْرٍو: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». فَقَالَ سُهَيْلُ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ النَّبِيِّ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ [النَّبِيُّ ﷺ]: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ». قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا أَعْظَمْتُهُمْ إِيَّاهَا». فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ فَتُطَوَّفَ بِهِ». فَقَالَ سُهَيْلُ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَا أُجِدُّنَا ضَعْفَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلُ: وَعَلَى أَنْ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِثْلُ رَجُلٍ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُبُورِهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَطْهَرِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ سُهَيْلُ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَنْ أَقْاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ. فَقَالَ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ». قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذَا لَا أَصَالِحُكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَاجِزْهُ لِي». قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزٍ ذَلِكَ لَكَ قَالَ: «بَلَى فَافْعَلْ». قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مَكْرَزُ: بَلَى قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَرَدَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ غَدَبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ ﷺ: «بَلَى» قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ ﷺ: «بَلَى» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَغْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوَلَسْتَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي

عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْنَبِكَ. قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ﷺ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، وَكَلَّمَا أَهْوَى غُرُوهُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ وَقَالَ: أَخْرُ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَفَرَعَ غُرُوهُ رَأْسَهُ وَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: الْمُغِيرَةُ ابْنُ شُعْبَةَ. قَالَ: أَيُّ غَدْرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَجَبٌ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَاسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ».

ثُمَّ إِنَّ غُرُوهَ جَعَلَ يَرْمِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنْحَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدِثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ ﷺ، فَجَرَعَ غُرُوهُ إِلَى أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى كِشْرَى وَقَيْصَرَ وَالتَّجَاشِي، وَاللَّهِ، إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنْحَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدِثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَأَقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا: آتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُذْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ». فَبَعِثَتْ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يَلْتَوْنَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يَصْدُوا عَنِ النَّبِيِّ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدْتُ وَأَشْعِرْتُ فَمَا أَرَى أَنْ يَصْدُوا عَنِ النَّبِيِّ. فَفَافَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِهِ. فَقَالُوا: آتِهِ. فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مَكْرَزُ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ» فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَقَالَ مَعْمَرُ: أَخْبَرَنِي أَبُو ب

وَاللَّهُ - صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ. فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى إِلَهُ دِمَّتِكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَجَّانِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلَ أُمِّهِمْ مَسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ».

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سِيرَدُهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبُحَارِ قَالَ: وَتَلَّكَ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سَهْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اغْتَرَضُوا لَهَا، فَفَتَلَوْهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَأَرْسَلْتُ قُرَيْشُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنَاسِيَهُ اللَّهُ وَالرَّحِمَ لَمَّا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ: فَمَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنْ مَكَّةَ﴾ - حَتَّى بَلَغَ - ﴿حِيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وَكَانَتْ حِمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ^(١). هَكَذَا سَاقَهُ الْبُخَارِيُّ هَهُنَا، وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّفْسِيرِ^(٢)، وَفِي عُمَرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ^(٣)، وَفِي الْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٤). وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلَ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِصَفَيْنَ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ. فَقَالَ سَهْلٌ بْنُ حَبِيبٍ: اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ - يَعْنِي: الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ: «بَلَى». قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا؟ فَقَالَ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا». فَجَرَعَ مُتَعِظًا، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَتَزَلَّتْ

النَّبِيَّتُ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ ﷺ: «بَلَى أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟». قُلْتُ: لَا. قَالَ ﷺ: «فَإِنَّكَ أَتَيْهِ وَمُطُوفٌ بِهِ». قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِعِزِّهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي النَّبِيَّتَ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّكَ تَأْتِيهِ وَتَطُوفُ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا. قَالَ فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اخْلِقُوا». قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، قَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُذْنَكَ وَتَدْعُو خَالِقَكَ فَيُخَلِّقَكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُذْنَهُ، وَدَعَا خَالِقَهُ فَخَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] فَطَلَّقَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ أَمْرَاتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرِكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ.

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَا ذَا الْحُلْفَةِ فَتَزَلُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فَلَانُ جَيْدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرَ فَقَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَيْدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ مِنْهُ ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَمَا مَكْنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا دُغْرًا». فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ -

(١) فتح الباري: ١٢٨٨/٥ (٢) فتح الباري: ٤٥١/٨ (٣) فتح الباري: ٥١٨/٧ (٤) فتح الباري: ٦٣٤/٣

أَرْسَلَ رَسُولُهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

[بَيَانُ صِدْقِ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ]

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَأَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ
وَطَافَ بِالْبَيْتِ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا
سَارُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ لَمْ يَشْكُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا
تَتَفَسَّرُ هَذَا الْعَامَ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الصُّلْحِ،
وَرَجَعُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ، وَقَعَ فِي
نَفْسِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَّ اللَّهِ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، حَتَّى
سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ
فِيمَا قَالَ: أَفَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟
قَالَ: «بَلَىٰ، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟». قَالَ: لَا.
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ». وَبِهَذَا أَجَابَ
الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا حَذَوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ^(١). وَلِهَذَا
قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هَذَا لِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ
وَتَوْكِيدِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْأَسْتِثْنَاءِ فِي شَيْءٍ. وَقَوْلُهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿ءَامِنِينَ﴾ أَيُّ: فِي حَالِ دُخُولِكُمْ. وَقَوْلُهُ:
﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ حَلَقَ رَأْسَهُ وَمِنْهُمْ
مَنْ قَصَرَهُ، وَتَبَتَّ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ». قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ». قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ». قَالُوا:
وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «وَالْمُقَصِّرِينَ». فِي
الثَّلَاثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ^(٢). وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا
تَخَافُونَ﴾ أَثْبَتَ لَهُمُ الْأَمْنَ حَالِ الدُّخُولِ، وَنَفَىٰ عَنْهُمْ
الْخَوْفَ حَالِ اسْتِقْرَارِهِمْ فِي الْبَلَدِ، لَا يَخَافُونَ مِنْ أَحَدٍ،
وَهَذَا كَانَ فِي عُمُرَةِ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ، فَإِنَّ
النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ رَجَعَ إِلَى
الْمَدِينَةِ. فَأَقَامَ بِهَا ذَا الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمَ، وَخَرَجَ فِي صَفَرٍ
إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا عَوْنًا وَبَعْضُهَا صُلْحًا،
وَهِيَ إِقْلِيمٌ عَظِيمٌ كَثِيرُ النَّحْلِ وَالزُّرُوعِ، فَاسْتَخْدَمَ مِنْ فِيهَا

سُورَةُ الْفَتْحِ. وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ
وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ أُخَرَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ سُفْيَانَ بْنِ
سَلَمَةَ، عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ بِهِ، وَفِي بَعْضِ الْأَفَاطِلِ: يَا أَيُّهَا
النَّاسُ! اتَّهَمُوا الرَّأْيَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ
أَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ أُرَدَّ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرُهُ لَرَدَدْتُهُ. وَفِي
رَوَايَةٍ: فَتَرَكْتُ سُورَةَ الْفَتْحِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ
فُورِيثًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ وَفِيهِمْ سَهْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ». فَقَالَ سَهْلٌ: لَا تَذِرِي مَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ، وَلَكِنْ اكْتُبِ [مَا نَعْرِفُ] بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.
فَقَالَ ﷺ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» قَالَ: لَوْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَا تَبْتَغَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ
أَبِيكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ»
وَاسْتَرْطَوْا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَا تَرُدُّهُ عَلَيْهِمْ،
وَمَنْ جَاءَهُمْ مِنَّا رَدَدْنَاهُ عَلَيْنَا. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَنْتَ كُتِبَ هَذَا؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبَدَهُ
اللَّهُ»^(٤). رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٥).

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا خَرَجَتْ الْحُرُورِيَُّّةُ اعْتَرَلُوا فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ صَالِحُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لِعَلِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ» قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا قَاتَلْنَاكَ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمُحْ يَا عَلِيُّ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي
رَسُولُكَ، أَمُحْ يَا عَلِيُّ وَاتَّكُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ». وَاللَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَقَدْ مَحَا
نَفْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ ذَلِكَ يَمْحُوهُ مِنَ النَّبُوَّةِ، أَخْرَجَتْ مِنْ
هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ^(٦). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِنَحْوِهِ^(٧). وَرَوَى
الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَحَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ سَبْعِينَ بُدْنَةً فِيهَا جَمَلٌ لِأَبِي
جَهْلٍ، فَلَمَّا صُدَّتْ عَنِ الْبَيْتِ حَنْتَ كَمَا تَحْنُ إِلَى
أَوْلَادِهَا^(٨).

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي

(١) فتح الباري: ٤٥١/٨ (٢) أحمد: ٢٦٨/٣ (٣) مسلم: ١٤١١/٣ (٤) أحمد: ٣٤٢/١ (٥) أبو داود: ٣١٧/٣ (٦) أحمد: ٣١٤/١ (٧) فتح الباري: ٣٩٠/٥ (٨) فتح الباري: ٦٥٦/٣ ومسلم: ٩٤٦/٢

وَيُذْهِلِ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
فِي صُحُفٍ تُنْزِلُ عَلَى رَسُولِهِ
بِأَنَّ خَبَرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ
يَارَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
فَهَذَا مَجْمُوعٌ مِنْ رَوَايَاتٍ مُتَّفَقَةٍ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ وَقَدْ وَهَّتَهُمْ حُمَى يَثْرِبَ
وَلَقُوا مِنْهَا سُوءًا، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يُقَدِّمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ قَدْ
وَهَّتَهُمْ حُمَى يَثْرِبَ، وَلَقُوا مِنْهَا شَرًّا، وَجَلَسَ الْمُشْرِكُونَ
مِنَ النَّاحِيَةِ الَّتِي تَلِي الْحَجَرَ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى مَا
قَالُوا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ
الثَّلَاثَةَ لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلْدَهُمْ، قَالَ: فَرَمَلُوا ثَلَاثَةَ
أَشْوَاطٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْشُوا بَيْنَ الرُّكْبَيْنِ حَيْثُ لَا يَرَاهُمُ
الْمُشْرِكُونَ، وَلَمْ يَمْنَعْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا
إِلَّا الْإِنْبَاءَ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
أَنَّ الْحُمَى قَدْ وَهَّتَهُمْ هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا^(١).
أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢).

وَفِي لَفْظٍ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم
صَبِيحَةَ رَابِعَةٍ يَعْنِي: مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ
يُقَدِّمُ عَلَيْكُمْ وَقَدْ قَدْ وَهَّتَهُمْ حُمَى يَثْرِبَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ
أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ
يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِنْبَاءَ عَلَيْهِمْ^(٣). وَرَوَى
الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا قَدِمَ
النَّبِيُّ ﷺ لِعَامِيهِ الَّذِي اسْتَأْمَنَ قَالَ: "ارْمُلُوا". لِيُرِيَ
الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمُ وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ قَبْلِ فُعَيْقَعَانَ^(٤). وَأَيْضًا
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّمَا سَعَى النَّبِيُّ ﷺ
بِالنَّبِيِّتِ وَبِالْصَّافَا وَالْمَرَوَةِ لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُ^(٥). وَرَوَى
الْبُخَارِيُّ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَحَالَ كُفَارٌ فَرِيشٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
النَّبِيِّتِ، فَتَحَرَ هَذِيهِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحَدْيِيَّةِ وَقَاضَاهُمْ عَلَى
أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ، وَلَا يَحْمِلُ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا
سُيُوفًا، وَلَا يُقِيمُ بِهَا إِلَّا مَا أَحْبَبُوا. فَاعْتَمَرَ ﷺ مِنَ الْعَامِ

مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهَا عَلَى الشَّطْرِ، وَقَسَمَهَا بَيْنَ أَهْلِ الْحَدْيِيَّةِ
وَحَدُّهُمْ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُمْ إِلَّا الَّذِينَ قَدِمُوا مِنْ
الْحَبَشَةِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ، وَأَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَغِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ،
قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِلَّا أَبَا دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خُرْشَةَ^(٦). كَمَا هُوَ
مُقَرَّرٌ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا كَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ خَرَجَ ﷺ إِلَى
مَكَّةَ مُعْتَمِرًا هُوَ وَأَهْلُ الْحَدْيِيَّةِ، فَأَحْرَمَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ
وَسَاقَ مَعَ الْهَدْيِ، قِيلَ: كَانَ سِتِينَ بَدَنَةً، فَلَبَّى وَسَارَ
أَصْحَابُهُ يَلْبُونَ. فَلَمَّا كَانَ ﷺ قَرِيبًا مِنْ مَرِّ الظُّهْرَانِ بَعَثَ
مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِالْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ أَمَامَهُ. فَلَمَّا رَأَى
الْمُشْرِكُونَ رُعبًا شَدِيدًا، وَظَنُّوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَغْزُوهُمْ، وَأَنَّهُ قَدْ نَكَثَ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ مِنْ وَضْعِ
الْقِتَالِ عَشْرَ سِنِينَ، فَذَهَبُوا فَأَخْبَرُوا أَهْلَ مَكَّةَ، فَلَمَّا جَاءَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلَ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ حَيْثُ يَنْظُرُ إِلَى أَنْصَابِ
الْحَرَمِ، بَعَثَ السَّلَاحَ مِنَ الْقَيْسِيِّ وَالتَّبَلِ وَالرَّمَاكِ إِلَى بَطْنِ
يَاحِجٍ، وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ بِالسُّيُوفِ مُعْتَمِدَةً فِي قُرْبِهَا كَمَا
شَارَطَهُمْ عَلَيْهِ. فَلَمَّا كَانَ فِي أُنْتَاءِ الطَّرِيقِ بَعَثَ فَرِيشٌ
مُكَرَّرٌ بَنَ حَفْصٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا عَرَفْنَاكَ تَنْقُضُ
الْعَهْدَ، فَقَالَ ﷺ: «وَمَا ذَلِكَ؟» قَالَ: دَخَلْتَ عَلَيْنَا بِالسَّلَاحِ
وَالْقَيْسِيِّ وَالرَّمَاكِ. فَقَالَ ﷺ: «لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، وَقَدْ بَعَثْنَا بِهِ
إِلَى يَاحِجٍ». فَقَالَ: بِهِذَا عَرَفْنَاكَ بِالْبَرِّ وَالْوَفَاءِ، وَخَرَجْتَ
رُءُوسَ الْكُفَّارِ مِنْ مَكَّةَ؛ لئَلَّا يَنْظُرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَالِإِى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غَيْظًا وَحَقًّا. وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَهْلِ
مَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ، فَجَلَسُوا فِي الطَّرِيقِ
وَعَلَى النُّبُوتِ يَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَدَخَلَهَا
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَصْحَابُهُ يَلْبُونَ، وَالْهَدْيُ
قَدْ بَعَثَهُ إِلَى ذِي طُوًى، وَهُوَ رَاكِبٌ نَاقَتَهُ الْقُضْوَاءَ الَّتِي كَانَ
رَاكِبَهَا يَوْمَ الْحَدْيِيَّةِ، وَعَبَدُ اللَّهِ بَنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَخَذَ
بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهَا وَهُوَ يَقُولُ:

بِاسْمِ الَّذِي لَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ
بِاسْمِ الَّذِي مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ
خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

(١) الطبري: ٢٥٩/٢٢ (٢) أحمد: ٢٩٤/١ (٣) فتح الباري:
٥٨١/٧ ومسلم: ٩٢٣/٢ (٤) فتح الباري: ٥٤٨/٣ (٥) فتح
الباري: ٥٨١/٧ (٦) فتح الباري: ٥٨١/٧

الْمُقْبِلِ فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالِحُهُمْ، فَلَمَّا أَنْ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يُخْرِجَ فَخَرَجَ ﷺ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ أَيُّ: فَعَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْخَيْرَةِ وَالْمَصْلَحَةِ فِي صَرْفِكُمْ عَنْ مَكَّةَ وَدُخُولِكُمْ إِلَيْهَا عَامَكُمْ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أَيُّ: قَبْلَ دُخُولِكُمْ الَّذِي وَعَدْتُمْ بِهِ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فَتَحًا قَرِيبًا، وَهُوَ الصَّلْحُ الَّذِي كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

[الْبَشَارَةُ بِغَلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْعَالَمِ]

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِنُصْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى عَدُوِّهِ، وَعَلَى سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أَيُّ: بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ تَسْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ: عِلْمٍ وَعَمَلٍ، فَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ الشَّرْعِيُّ مَقْبُولٌ، فَإِخْبَارَاتُهَا حَقٌّ وَإِنْشَاءَاتُهَا عَدْلٌ ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أَيُّ: عَلَى أَهْلِ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، مِنْ سَائِرِ الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ، وَمِلِّيِّينَ وَمُشْرِكِينَ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أَيُّ: أَنَّهُ رَسُولُهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، وَاللَّهُ شَهِيدَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرَ أَخْرَجَ سَطَطَهُ فَتَأَزَّرَهُ فَأَسْقَطَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُرْقَةٍ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

[صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ رَسُولُهُ حَقًّا بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ فَقَالَ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وَهَذَا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَهُوَ مُسْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ، ثُمَّ نَتَى بِالْإِنْشَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ شَدِيدًا عَنِيفًا عَلَى الْكُفَّارِ، رَحِيمًا بَرًّا بِالْأَخْيَارِ، غَضُوبًا غَبُوشًا فِي وَجْهِ الْكَافِرِ ضَحُوكًا بِشُوشًا فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلْبَسُوا عَلَيْهِمُ الْكُفَّارَ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] وَقَالَ

سُورَةُ الْفَتْحِ
٥١٥
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرَ أَخْرَجَ سَطَطَهُ فَتَأَزَّرَهُ فَأَسْقَطَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُرْقَةٍ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١)

سُورَةُ الْحَجُرَاتِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَتَابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا فِي يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ لَكُمْ سَمِعْتُ عِلْمًا^(١) يَتَابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^(٢) إِنْ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفَقَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ^(٣) إِنْ الَّذِينَ يَبْادُونَكَ مِنْ وراءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^(٤)

النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ»^(٢). وَقَالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». وَشَبَّكَ ﷺ بَيْنَ أَصَابِعِهِ^(٣)، كَلَامَ الْحَدِيثَيْنِ فِي الصَّحِيحِ.

وَقَوْلُهُ شُبَّحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ وَصَفَهُمْ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ، وَهِيَ خَيْرُ الْأَعْمَالِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْإِخْلَاصِ فِيهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِحْتِسَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى جَزِيلِ الثَّوَابِ، وَهُوَ الْحِجَّةُ الْمُسْتَمِلَةُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَعَةُ الرِّزْقِ عَلَيْهِمْ. وَرِضَاهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَوَّلِ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ

(١) فتح الباري: ٥٧١/٧ (٢) مسلم: ١٩٩٩/٤ (٣) فتح الباري: ١١٩/٥

مَنْ افْتَقَى أَثَرَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَهُوَ فِي حُكْمِهِمْ، وَلَهُمُ الْفَضْلُ وَالسَّبَقُ وَالْكَمَالُ الَّذِي لَا يُلْحَقُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَعَلَ جَنَاتِ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُمْ، وَقَدْ فَعَلَ. رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَذْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٥).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحُجْرَاتِ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحُجْرَاتِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَالْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفَقَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣)

[النَّهْيُ عَنِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْأَمْرُ بِتَعْظِيمِهِ وَالتَّأَدُّبِ مَعَهُ]

هَذِهِ آيَاتُ آدَبِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا عِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ، فِيمَا يُعَامِلُونَ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالِإِعْظَامِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَيُّ: لَا تُسَارِعُوا فِي الْأَشْيَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْ قَبْلَهُ، بَلْ كُونُوا تَبَعًا لَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: لَا تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ^(٦). وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ أُنْزِلَ فِي كَذَا وَكَذَا، لَوْ صَحَّ كَذَا، فَكَرِهَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ^(٧). وَتَقَدَّمَ فِيهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَيُّ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أَيُّ: لِأَقْوَالِكُمْ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِنِّيَاتِكُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ

أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سِبَامُهُمْ فِي وَجْهِهِمْ يَعْنِي: السَّمْتُ الْحَسَنُ^(٨). وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي: الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُّعُ^(٩). وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ النَّاسِ.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَسْرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبَدَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صَفَحَاتٍ وَجْهِهِ وَقَلَّتَاتِ لِسَانِهِ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالْإِقْصَادَ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبَوَّةِ»^(١٠). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(١١). فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خَلَصَتْ نِيَّاتُهُمْ وَحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ فَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبُوهُ فِي سَمْتِهِمْ وَهَدْيِهِمْ. وَقَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلَّغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَهُمْ لَا خَيْرَ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَّغْنَا، وَصَدَّقُوا فِي ذَلِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مُعْظَمَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَعْظَمُهَا وَأَفْضَلُهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ نَوَّهَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذِكْرِهِمْ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَدَاوِلَةِ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَهُنَا: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَثَلُهُ فِي الْإِنجِيلِ كَرْجٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾ أَيُّ: فَرَاخَهُ ﴿فَارَزَهُ﴾ أَيُّ شَدَّهُ ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أَيُّ شَبَّ وَطَالَ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ﴾ يُعْجِبُ الزَّرَّاعُ أَيُّ: فَكَذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْزَوْهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْعِ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾.

وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، بِتَكْفِيرِ الرَّاغِبِينَ الَّذِينَ يُغْضُونَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: لِأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ وَمَنْ غَاظَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ. وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالنَّهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ بِمَسَاوِيهِمْ كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِيهِمْ ثَنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ: ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ أَيُّ: لِدُنُوبِهِمْ ﴿وَلِجَزَاءٍ عَظِيمًا﴾ أَيُّ: ثَوَابًا جَزِيلًا وَرِزْقًا كَرِيمًا. وَوَعَدَ اللَّهُ حَقَّ وَصْدُقٍ لَا يُخْلَفُ وَلَا يُبَدَّلُ، وَكُلُّ

(١) الطبري: ٢٦٣/٢٢ (٢) الطبري: ٢٦٣/٢٢ (٣) أحمد:

٢٩٦/١ (٤) أبو داود: ١٣٦/٥ (٥) مسلم: ١٩٦٧/٤ (٦)

الطبري: ٢٧٥/٢٢ (٧) الطبري: ٢٧٦/٢٢

الله ﷻ، مَا لَكَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي أَرْفَعُ صَوْتِي فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَجْهَرُ لَهُ بِالْقَوْلِ حَيْطَ عَمَلِي، أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْسِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ كَانَ فِينَا بَعْضُ الْأَنْكِشَافِ، فَجَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَقَدْ تَحَطَّ وَلَيْسَ كَفَنُهُ فَقَالَ: بِسْمَا نَعُودُونَ أَقْرَانَكُمْ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

ثُمَّ نَهَى عَنِ الْجَهْرِ لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَجْهَرُ الرَّجُلُ لِمُخَاطَبِهِ مِمَّنْ عَدَاهُ، بَلْ يُخَاطَبُ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَعْظِيمٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ لِيُحِشِيَ» كَمَا قَالَ تَعَالَى: «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» [النور: ٦٣].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنْ تَحِطُّ أَعْمَلَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» أَيُّ إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ عِنْدَهُ؛ خَشْيَةً أَنْ يَغْضَبَ مِنْ ذَلِكَ فَيَغْضَبُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِغْصِهِ، فَيَحِطُّ عَمَلٌ مَنْ أَعْصَبَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يُكْتَبُ لَهُ بِهَا الْجَنَّةُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَعَدَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢). ثُمَّ نَذَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى خَفَضِ الصَّوْتِ عِنْدَهُ وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ، وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفَقَى» أَيُّ: أَخْلَصَهَا لَهَا وَجَعَلَهَا أَهْلًا وَمَحَلًّا «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ» وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُتِبَ إِلَى عُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَجُلٌ لَا يَسْتَهْيِي الْمَعْصِيَةَ، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَفْضَلَ، أَمْ رَجُلٌ يَسْتَهْيِي الْمَعْصِيَةَ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا؟ فَكَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَهْنُونَ الْمَعْصِيَةَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَا «أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّفَقَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ».

«إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا

صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا أَذَبٌ ثَانٍ أَذَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ صَوْتِهِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَفْرِعِ بْنِ حَابِسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ، قَالَ نَافِعٌ: لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَأَرْتَعْتَ أَصْوَاتَهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحِطُّ أَعْمَلَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَمَا كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١). انْفَرَدَ بِهِ دُونَ مُسْلِمٍ.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عَنْهُ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمْرُ الْقُعْقَاعِ ابْنِ مَعْبِدٍ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلْ أَمْرُ الْأَفْرِعِ بْنِ حَابِسٍ، الْحَدِيثُ^(٢). وَهَكَذَا رَوَاهُ هَهُنَا مُتَّفَرِّدًا بِهِ أَيْضًا. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ فِي بَيْتِهِ مُتَّكِنًا رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ: مَا سَأَلْتُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَيْطَ عَمَلُهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ مُوسَى: فَارْجِعْ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِإِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ: «أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَقُتِلَ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» - إِلَى قَوْلِهِ - «وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» وَكَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ رَفِيعَ الصَّوْتِ فَقَالَ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَرْفَعُ صَوْتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ حَيْطَ عَمَلِي، وَجَلَسَ فِي أَهْلِهِ حَزِينًا فَقَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاِنْطَلَقَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ: تَفَقَّدَكَ رَسُولُ

(١) فتح الباري: ٤٥٤/٨ (٢) فتح الباري: ٤٥٧/٨ (٣) فتح

الباري: ٤٥٤/٨ (٤) أحمد: ١٣٧/٣ (٥) فتح الباري: ١١/

يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾

[ذَمٌّ مَنْ يُنَادِي النَّبِيَّ ﷺ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ]
ثُمَّ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُنَادُونَهُ مِنْ وَرَاءِ
الْحُجُرَاتِ، وَهِيَ بُيُوتُ نِسَائِهِ، كَمَا يَصْنَعُ أَجْلَافُ
الْأَعْرَابِ فَقَالَ: ﴿كَذَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ثُمَّ أَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى
الْأَدَبِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أَيْ:
لَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْخَيْرُ وَالْمُصْلَحَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ
رَّحِيمٌ﴾ وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا أَوْرَدَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ
الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ نَادَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ
وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ. وَفِي رِوَايَةٍ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يُجِبْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ حَمْدِي لَزَيْنٌ،
وَلِإِنْ دُمِّي لَشَيْنٌ، فَقَالَ ﷺ: «ذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

﴿يَنَادِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَنَبِّئْهُ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿٣﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ
اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَنَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِعْصِيََاءَ
أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ ﴿٤﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٥﴾

[الْأَمْرُ بِالتَّثَبُّتِ إِنْ جَاءَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ]

يَأْمُرُ تَعَالَى بِالتَّثَبُّتِ فِي خَبَرِ الْفَاسِقِ لِيَحْتَاطَ لَهُ؛ لِثَلَا
يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ، فَيَكُونُ - فِي نَفْسِ الْأَمْرِ - كَاذِبًا أَوْ مُخْطِئًا،
فَيَكُونُ الْحَاكِمُ بِقَوْلِهِ قَدْ اتَّفَقَتْ وَرَاءَهُ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ عَنْ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُفْسِدِينَ، وَمِنْ هَاهُنَا امْتَنَعَ طَوَائِفُ
مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَبُولِ رَوَايَةِ مَجْهُولِ الْحَالِ لِاحْتِمَالِ فُسْقِهِ
فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَدْ رُوِيَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قِصَّةُ
مِنْ طَرَفٍ مِنْ أَحْسَنِهَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ
رَوَايَةِ مَلِكِ بْنِ الْمُسْطَلِقِ، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ
وَالِدُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ ضِرَارٍ الْخُزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمْتُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقْرَرْتُ
بِهِ. وَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ فَأَقْرَرْتُ بِهَا وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدِّاءِ الزَّكَاةِ فَمَنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٦

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١﴾ يَنَادِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَنَبِّئْهُ
أَن يُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ ﴿٢﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِعْصِيََاءَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِدُونَ ﴿٣﴾
فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آفَقَتَا وَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَنِيْلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْصَطُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦﴾ يَنَادِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ قَوْمٍ
عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَبِّئْهُم بِشَيْءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنْ خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَفْوَاهُ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ. وَتُرْسِلُ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
رَسُولًا إِبَّانَ كَذَا وَكَذَا (*) لِيَأْتِيكَ بِمَا جَمَعْتُ مِنَ الزَّكَاةِ.

فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ، وَبَلَغَ
الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ، احْتَبَسَ
عَلَيْهِ الرَّسُولُ لَمْ يَأْتِهِ، وَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ
سَخَطُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ، فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ فَقَالَ
لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ
رَسُولَهُ لِيَقْبُضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الزَّكَاةِ وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ الْخُلْفُ، وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخَطِهِ،
فَانْطَلَقُوا بِنَا نَائِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْبُضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ

(١) أحمد: ٤٨٨/٣ إسناد حسن. إن كان أبو سلمة بن
عبد الرحمن سمع من الأفراع بن حابس وإلا فهو مرسل وله شاهد
من حديث البراء الأبي بعده(*) أي في موسم وقت كذا وكذا،
وقوله: أراد رسول الله أي أراد من رسول الله، فهو على نزع
الخافض

الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ قَدْ آتَاهُمُ اللَّهُ رُشْدَهُمْ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي رِفَاعَةَ الزُّرْقَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَى الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْوُوا حَتَّى أَتِيَنِي عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَّكَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ. اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النِّعَمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النِّعَمَ يَوْمَ الْعِيلَةِ وَالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ. اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَمِنْ شَرِّ مَا مَنَعْتَنَا. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهِ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَائِنَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهُ الْحَقِّ»^(١) وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ^(٢). ثُمَّ قَالَ:

«فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً» أَيُّ هَذَا الْعَطَاءِ الَّذِي مَنَحَكُمْوهُ هُوَ فَضْلٌ مِنْهُ عَلَيْكُمْ وَنِعْمَةٌ مِنْ لَدُنْهُ «وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ» أَيُّ عِلْمٍ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَوَايَةَ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

«إِنَّ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَاتِلُوا إِلَيَّ تَبَعِي حَتَّى تَفِءَ إِلَيَّ أَمْرُ اللَّهِ فَإِنْ قَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(٣) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٤)

[الْأَمْرُ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِقِتَالِ الْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ الْبَاغِيَتَيْنِ بَعْضُهُمْ

مِنَ الزَّكَاءِ، فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَرَّقَ - أَيُّ خَافَ - فَرَجَعَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الْحَارِثَ قَدْ مَنَعَنِي الزَّكَاءَ وَأَرَادَ قَتْلِي، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَعَثَ الْبُعْثَ إِلَى الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَتَى الْحَارِثَ بِأَصْحَابِهِ... حَتَّى إِذَا اسْتَقْبَلَ الْبُعْثَ وَفَصَلَ عَنِ الْمَدِينَةِ لَقِيَهُمُ الْحَارِثُ فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ قَالَ لَهُمْ: إِلَى مَنْ بَعِثْتُمْ؟ قَالُوا: إِلَيْكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنِ عَقْبَةَ فَرَعَمَ أَنْتَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاءَ وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ. قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ: مَا رَأَيْتُهُ بَنَةً وَلَا أَتَانِي.

فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنَعْتَ الزَّكَاءَ وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي؟» قَالَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ وَلَا أَتَانِي وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ اخْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ كَانَتْ سَخَطَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ. قَالَ: فَتَزَلَّتِ الْحُجَرَاتُ «يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بَنِيًّا» إِلَى قَوْلِهِ «حَكِيمٌ»^(١) وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالتَّبْرَانِيُّ^(٢).

[حُكْمُ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ الْأُصْلَحُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ» أَيُّ اغْلُمُوا أَنَّ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ فَعَظُمُوهُ وَوَقُرُّوهُ وَتَأَدَّبُوا مَعَهُ وَانْقَادُوا لِأَمْرِهِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِكُمْ وَأَشْفَقَ عَلَيْكُمْ مِنْكُمْ، وَرَأْيُهُ فِيكُمْ أَتَمُّ مِنْ رَأْيِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «الَّذِي أَوَّلَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ رَأْيَهُمْ سَخِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُرَاعَاةِ مَصَالِحِهِمْ فَقَالَ: «لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَنِعِمَّتْ» أَيُّ لَوْ أَطَاعَكُمْ فِي جَمِيعِ مَا تَخْتَارُونَهُ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى عَنَتِكُمْ وَحَرَجِكُمْ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «لَوْ أَتَّبَعْتُ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا» بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ» [المؤمنون: ٧١] وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ» أَيُّ حَبَبَهُ إِلَى نَفْسِكُمْ وَحَسَنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ.

[الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ]

«وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» أَيُّ وَبَغَضَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَهِيَ الذُّنُوبُ الْكِبَارُ وَالْعِصْيَانُ، وَهِيَ جَمِيعُ الْمَعَاصِي وَهَذَا تَدْرِيجٌ لِكَمَالِ النِّعْمَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» أَيُّ الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ هُمُ

(١) أحمد: ٢٧٩/٤ (٢) الطبراني: ٢٧٤/٢٢ وتسمية الوليد بن عقبة في هذه القصة وهم، لأن القصة وقعت بعد غزوة بني المصطلق قريباً. وكانت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ٥هـ أو سنة ٦هـ بينما أسلم الوليد بن عقبة بعد الفتح أي في رمضان سنة ٨هـ. (٣) أحمد: ٤٢٤/٣ (٤) النسائي في الكبرى: ١٥٦/٦

عَلَى بَعْضٍ: «وَأَنَّ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا» فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ مَعَ الْإِفْتِتَالِ، وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْمَعْصِيَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ، لَا كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ الْمُعْتَرِلَةِ وَنَحْوِهِمْ، وَهَكَذَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ يَوْمًا، وَمَعَهُ عَلَى الْمُنْبَرِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مَرَّةً، وَإِلَى النَّاسِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١). فَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ، أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ بَعْدَ الْحُرُوبِ الطَّوِيلَةِ، وَالْوَأَقِعَاتِ الْمُهَوَّلَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» أَيَّ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَسْمَعَ لِلْحَقِّ وَتُطِيعَهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا نَصْرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ ﷺ: «تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ»^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» يَعْنِي الْفِتْنَتَيْنِ الْمُقْتَتِلَتَيْنِ «وَاتَّقُوا اللَّهَ» أَيَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» وَهَذَا تَحْقِيقٌ مِنْهُ تَعَالَى لِلرَّحْمَةِ لِمَنِ اتَّقَاهُ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنَ نِسَاءِ قَوْمٍ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٣)

[الْنَهْيُ عَنِ السُّخْرِيَّةِ وَالْإِحْتِقَارِ]

يَنْهَى تَعَالَى عَنِ السُّخْرِيَّةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ اخْتِقَارُهُمْ وَالْإِسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَضُّ النَّاسِ - وَيُرْوَى - وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١). وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ اخْتِقَارُهُمْ وَاسْتِغْثَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُخْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُخْتَقَرُ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنَ نِسَاءِ قَوْمٍ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ» فَصَّ عَلَى نَهْيِ الرِّجَالِ، وَعَطَفَ بِنَهْيِ النِّسَاءِ. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» أَيَّ لَا تَلْمِزُوا النَّاسَ. وَالْهَمَّازُ: اللَّمَّازُ مِنَ الرِّجَالِ مَذْمُومٌ مَلْعُونٌ، كَمَا

وَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَانَ بَيْنَهُمَا فِتَالٌ بِالسَّعْفِ وَالنَّعَالِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ فَأَمَرَ بِالْصُّلْحِ بَيْنَهُمَا»^(٢). وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: عِمْرَانُ، كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ تُدْعَى أُمُّ زَيْدٍ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ أَرَادَتْ أَنْ تَزُورَ أَهْلَهَا، فَحَبَسَهَا زَوْجُهَا وَجَعَلَهَا فِي عِلْيَةٍ لَهُ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا. وَإِنَّ الْمَرْأَةَ بَعَثَتْ إِلَى أَهْلِهَا، فَجَاءَ قَوْمُهَا وَأَنْزَلُوهَا لِيَنْطَلِقُوا بِهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَدْ خَرَجَ، فَاسْتَعَانَ أَهْلُ الرَّجُلِ، فَجَاءَ بَنُو عَمِّهِ لِيُحَوِّلُوا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ أَهْلِهَا، فَتَدَافَعُوا وَاجْتَلَدُوا بِالنَّعَالِ فَتَزَلَّتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَقَاوُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى^(٣). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» أَيَّ اغْدِلُوا بَيْنَهُمَا - فِيمَا كَانَ أَصَابَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ - بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ لَوْلُؤٍ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا

(١) فتح الباري: ٣٦١/٥ (٢) فتح الباري: ١١٨/٥ (٣) الدر المنثور: ٥٦٠/٧ (٤) الطبري: ٢٩٤/٢٢ (٥) النسائي في الكبرى: ٥٩١٧ (٦) فتح الباري: ١١٦/٥ (٧) مسلم: ٤/٢٠٧٤ (٨) مسلم: ٢٠٩٤/٤ (٩) مسلم: ١٩٩٩/٤ (١٠) فتح الباري: ١١٩/٥ (١١) مسلم: ٩٣/١

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

٥١٧

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَّا أَقُلَ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَعْلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَّمْزَةً﴾ [الهزمية: ١] وَهَلْ هُمْزٌ بِالْفِعْلِ وَاللَّمْزُ بِالْقَوْلِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَازِ مَثَلًا بِمِثْرِ﴾ [القلم: ١١] أَيْ يَحْتَقِرُ النَّاسُ وَيَهْمِزُهُمْ طَافِيًا عَلَيْهِمْ وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالْمِثْمَةِ وَهِيَ اللَّمْزُ بِالْمَقَالِ، وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَيْ لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلُ ابْنِ حَيَّانٍ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَيْ لَا يَطْعَنُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أَيْ لَا تَدَاغُوا بِالْأَلْقَابِ، وَهِيَ الَّتِي يَسُوءُ الشَّخْصَ سَمَاعُهَا. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي جَبْرِ عَنْ بَنِي الصَّحَّاحِ، قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلِمْةَ ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قَالَ: قَدِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةِ، وَلَيْسَ فِينَا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَكَانَ إِذَا دَعَا وَاحِدًا مِنْهُمْ بِاسْمٍ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا، فَتَزَلَّتْ: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(١). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٢). وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَسْأَلُ الْإِسْمَ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أَيْ يَسْأَلُ الصِّفَةَ وَالْإِسْمَ الْفُسُوقَ، وَهُوَ التَّنَابُرُ بِالْأَلْقَابِ - كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَنَاعَتُونَ - بَعْدَ مَا دَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلْتُمُوهُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَبْذَعْ أَيْ مِنْ هَذَا﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

[النَّهْيُ عَنِ الظَّنِّ]

يَقُولُ تَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الظَّنِّ، وَهُوَ التَّهَمُّ وَالشَّخُونُ لِلْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالنَّاسِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، لِأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَكُونُ إِثْمًا مَحْضًا، فَلْيَتَجَنَّبْ كَثِيرٌ مِنْهُ احْتِيَاظًا. وَرَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَمْرِكُ الْمُؤْمِنِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا^(٣). وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ^(٥).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا

تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَجُلْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ^(٦). ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أَيْ عَلَى بَعْضِكُمْ بَعْضًا وَالتَّجَسُّسُ غَالِيًا يُطْلَقُ فِي الشَّرِّ وَمِنْهُ الْجَسَّاسُ. وَأَمَّا التَّحَسُّسُ فَيَكُونُ غَالِيًا فِي الْخَيْرِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ يَعْقُوبَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿يَكْفِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي الشَّرِّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٧). وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: التَّجَسُّسُ: الْبَحْثُ عَنِ الشَّيْءِ. وَالتَّحَسُّسُ: الْإِسْتِمَاعُ إِلَى حَدِيثِ الْقَوْمِ وَهُمْ لَهُ

(١) أحمد: ٤٦٠/٤ (٢) أبو داود: ٢٤٦/٥ (٣) أخرجه أحمد في الزهد، الدر المنثور: ٩٩/٦ (٤) الموطأ: ٩٠٧/٢ (٥) فتح الباري: ٤٩٩/١٠ (٦) مسلم: ١٩٨٣/٤ وتحفة الأحوزي: ٦٤/٦ (٧) فتح الباري: ٤٩٦/١٠

كَارَهُونَ أَوْ يَسْمَعُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ، وَالتَّذَابُرُ: الصَّرْمُ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْتَبِ بِمَعْشَرَ بَعْضًا﴾ فِيهِ نَهْيٌ عَنِ الْغِيْبَةِ، وَقَدْ فَسَّرَهَا الشَّارِعُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْغِيْبَةُ؟ قَالَ ﷺ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٢). وَقَدْ وَرَدَ فِي الْغِيْبَةِ الزُّجْرُ الْأَكِيدُ، وَلِهَذَا سَبَّهَهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَكْلِ اللَّحْمِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمَيِّتِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» أَيْ كَمَا تَكْرَهُونَ هَذَا طَبْعًا فَاتَّكِرُوا ذَلِكَ شَرْعًا، فَإِنَّ عَقُوبَتَهُ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، وَهَذَا مِنَ التَّنْبِيهِ عَنْهَا وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا كَمَا قَالَ ﷺ فِي الْعَايِدِ فِي هَيْبَتِهِ: «كَالْكَلْبِ يَبْقَى ثُمَّ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ» وَقَدْ قَالَ: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ»^(٣) وَبَكَتْ فِي الصُّحَاكِ وَالْحَسَانِ وَالْمَسَائِدِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»^(٤).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ مَالُهُ وَعِزُّهُ وَدَمُهُ، حَسَبَ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْفَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(٥). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^(٦).

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى عَنِ ابْنِ عَمٍّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ مَا عَزَا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى قَالَهَا أَرْبَعًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْخَامِسَةِ قَالَ: «زَنَيْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «وَتَدْرِي مَا الزَّانِي؟» قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُ مِنْهَا حَرَامًا مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ حَلَالًا. قَالَ: «مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ؟» قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدْخَلْتَ ذَلِكَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيبُ الْمِيلُ فِي الْمُكْحَلَةِ وَالرِّشَا فِي الْبُرِّ؟» قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرِ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدْعُهُ نَفْسُهُ حَتَّى رَجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ، ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ فَقَالَ: «أَيْنَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؟ انْزِلَا فَكَلَا مِنْ جِيفَةٍ هَذَا

الْحِمَارُ» قَالََا: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يُؤْكَلُ هَذَا؟ قَالَ ﷺ: «فَمَا نَلْتَمَا مِنْ أَحْيَكُمَا إِنَّمَا أَشَدُّ أَكْلًا مِنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّهُ الْآنَ لَفِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَنْعَمُسُ فِيهَا»^(٧). إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ جَفِيفَةٌ مُشْتَبِهَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّذَرُونِ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ»^(٨).

[طَرِيقَةُ تَوْبَةِ الْمُغْتَابِ وَالنَّمَامِ]

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَيْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَارْتَفَعَتْ فِي ذَلِكَ وَاحْشُوا مِنْهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ أَيْ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، رَحِيمٌ لِمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ. قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: طَرِيقُ الْمُغْتَابِ لِلنَّاسِ فِي تَوْبَتِهِ أَنْ يُقْلَعَ عَنْ ذَلِكَ وَيَعْزَمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ. وَهَلْ يُشْتَرَطُ التَّدَمُّ عَلَى مَا فَاتَ؟ فِيهِ زِنَاعٌ، وَأَنْ يَتَحَلَّلَ مِنَ الَّذِي اغْتَابَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ، فَإِنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ رُبَّمَا تَأَدَّى أَشَدَّ مِمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ بِمَا كَانَ مِنْهُ، فَطَرِيقُهُ إِذَا: أَنْ يُنْبِئَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي كَانَ يَذُمُّ فِيهَا، وَأَنْ يَرُدَّ عَنْهُ الْغِيْبَةُ بِحَسْبِهِ وَطَاقَتِهِ، لِتَكُونَ تِلْكَ بَيْتَكَ.

﴿يَتَابَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

[كُلُّ النَّاسِ بَنُو آدَمَ وَحَوَاءَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا لِلنَّاسِ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَهُمَا آدَمُ وَحَوَاءُ، وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَهِيَ أَعَمُّ مِنَ الْقَبَائِلِ، وَبَعْدَ الْقَبَائِلِ مَرَاتِبُ أُخْرَى كَالْفَصَائِلِ، وَالْعَسَائِرِ، وَالْعَمَائِرِ، وَالْأَفْحَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالشُّعُوبِ بَطُونُ الْعَجَمِ، وَبِالْقَبَائِلِ بَطُونُ الْعَرَبِ، كَمَا أَنَّ الْأَشْبَاطَ بَطُونُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ لَحِصَتْ

(١) أبو داود: ١٩١/٥ (٢) تحفة الأحوذى: ٦٣/٦ (٣) فتح الباري: ٢٧٨/٥ (٤) فتح الباري: ٦٧٠/٣ ومسلم: ١٣٠٦/٣ وتحفة الأحوذى: ٤٨١/٨ وأحمد: ٢٣٠/١ (٥) أبو داود: ١٩٥ (٦) تحفة الأحوذى: ٥٤/٦ (٧) مسند أبي يعلى: ٦/٥٢٤ إسناده ضعيف من أجل ابن عم أبي هريرة وهو عبد الرحمن الصامت وقال البخاري لا أراه محفوظا نصب الراية ٣٠٨/٣ - ٣٠٩ وضعفه الألباني [الإرواء ٢٣٥٤] (٨) أحمد: ٣٥١/٣

عِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظَّمَهَا بِأَبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيَّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ - ثُمَّ قَالَ ﷺ: - «أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ». هَكَذَا رَوَاهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أَيُّ عِلْمٍ بِكُمْ خَبِيرٌ بِأُمُورِكُمْ، فَهَيْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَفْضُلُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْكُفَّاءَ فِي النِّكَاحِ لَا تُشْتَرَطُ وَلَا يُشْتَرَطُ سِوَى الدِّينِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ طُغِيَوا عَنْ رِسُولِهِمْ لَئِنْ يَلْتَكُمُ مِنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِأُمُورِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦) يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَوْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَى أَسْمِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُوتُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ الصُّدُورِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)

[الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُسْلِمِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْأَعْرَابِ الَّذِينَ أَوَّلَ مَا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَامَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَتِمَّكِنِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدُ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وَقَدْ اسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْإِيمَانَ أَخَصُّ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الشُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيَكْدُلُ عَلَيْهِ حَدِيثُ

هَذَا فِي مُدْمَمَةِ مُفْرَدَةٍ جَمَعْتُهَا مِنْ كِتَابِ الْأَشْبَاءِ لِأَبِي عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَمِنْ كِتَابِ «الْقَصْدِ وَالْأَمَمِ فِي مَعْرِفَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ» فَجَمِيعُ النَّاسِ فِي الشَّرَفِ بِالنَّسَبِ الطَّيِّبَةِ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ الْغِيْبَةِ وَاحْتِقَارِ بَعْضِ النَّاسِ بَعْضًا، مُبَيِّنًا عَلَى تَسَاوِيهِمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ أَيُّ لِيَحْصُلَ التَّعَارُفُ بَيْنَهُمْ، كُلُّ يَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَتِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ كَمَا يُقَالُ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَيْ مِنْ قَبِيلَةِ كَذَا وَكَذَا^(١). وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: كَانَتْ جَمِيزٌ يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَخَالِيفِهَا، وَكَانَتْ عَرَبُ الْحِجَازِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلِهَا.

[الْكَرَمُ بِالتَّقْوَى]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ أَيُّ إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّقْوَى لَا بِالْأَحْسَابِ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ. قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأُكَ. قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»^(٢) وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي غَيْرِ مَوَاضِعٍ^(٣) وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ^(٤).

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(٥) وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ^(٦).

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقُصُوءِ يَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ بِمِخْجَنِ فِي يَدِهِ، فَمَا وَجَدَ لَهَا مَنَاحًا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ ﷺ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى بَطْنِ الْمَسِيلِ فَأُيْنِحَتْ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَهُمْ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ

(١) الطبري: ٣١٢/٢٢ (٢) فتح الباري: ٢١٢/٨ (٣) فتح الباري: ٤٧٧/٦ و٤٨١ (٤) النسائي في الكبرى: ٣٦٧/٦ (٥) مسلم: ١٩٨٧/٤ (٦) ابن ماجه: ١٣٨٨/٢ (٧) المنتخب لعبد ابن حميد: ٧٩٣ إسناده ضعيف فيه موسى بن عبيدة عن عبدالله بن دينار وقال ابن حجر: ضعيف ولا سيما في عبدالله بن دينار [تقريب]

السَّمَاءِ وَلَا أَصْعُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَدْ لَمْ تَمُنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ﴾ يَعْنِي الْأَعْرَابَ الَّذِينَ يَمُنُونَ بِإِسْلَامِهِمْ وَمَتَابِعِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿قَدْ لَمْ تَمُنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ﴾ فَإِنْ نَفَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُعَوِّدُ عَلَيْكُمْ وَلِلَّهِ الْمُنَّةُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَيْ فِي دَعْوَاكُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ عَالَةً فَأَعَانَكُمْ اللَّهُ بِي؟» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ^(٣).

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْلَمْنَا وَقَاتَلْنَاكَ الْعَرَبُ وَلَمْ تُفَاتِلْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِيهِمْ قَلِيلٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ». وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَدْ لَمْ تَمُنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤). ثُمَّ كَرَّرَ الْإِنْخَابَ بِعِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَبَصَرِهِ بِأَعْمَالِ الْمَخْلُوقَاتِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ ق وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[بَدَايَةُ الْمُفْصَلِ]

هَذِهِ السُّورَةُ هِيَ أَوَّلُ الْجُزْءِ الْمُفْصَلِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: مِنَ الْحُجُرَاتِ. وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ الْعَوَامُّ: إِنَّهُ مِنْ «عَمٍّ» فَلَا أَصْلَ لَهُ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمُعْتَبَرِينَ -فِيمَا نَعْلَمُ-. إِذَا عَلِمَ هَذَا، فَإِذَا عَدَدَتْ ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سُورَةً فَالْتَمِمْ بِغَدَهِنَّ سُورَةَ ق. بَيَانُهُ: ثَلَاثٌ: الْبَقَرَةُ وَأَلْ عِمْرَانُ وَالنِّسَاءُ. وَخَمْسٌ: الْمَائِدَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْأَعْرَافُ وَالْأَنْفَالُ وَبَرَاءَةُ.

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ سَأَلَ عَنِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ عَنِ الْإِيمَانِ ثُمَّ عَنِ الْإِحْسَانِ، فَتَرَفَّى مِنَ الْأَعَمِّ إِلَى الْأَخْصَصِ ثُمَّ لِلْأَخْصَصِ مِنْهُ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ؟» حَتَّى أَعَادَهَا سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثًا وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَوْ مُسْلِمٌ؟» ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأُعْطِي رَجُلًا وَأَدْعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ، فَلَمْ أَعْطِهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكْبِتُوا فِي الثَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ»^(١). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢). فَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُسْلِمِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ أَخْصَصٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ قَرَرْنَا ذَلِكَ بِإِدْلَالِهِ فِي أَوَّلِ شَرْحِ كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ. فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابَ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسُوا بِمُتَابِقِينَ وَإِنَّمَا هُمْ مُسْلِمُونَ لَمْ يُسْتَحْكَمْ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلَى مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَأَدَّبُوا فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَتَفَادَةً وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ تَأْدِيبًا: ﴿قَدْ لَمْ تَمُنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أَيْ لَمْ تَصِلُوا إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بَعْدَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أَيْ لَا يَنْقُصْكُمْ مِنْ أَجُورِكُمْ شَيْئًا كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَنتَهُمُ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَيْ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَمَلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا أَيْ لَمْ يَشْكُوا وَلَا تَزَلُّوا بَلْ ثَبَّتُوا عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ هِيَ التَّضَدُّيقُ الْمَحْضُ وَجَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيْ وَبَدَّلُوا مُهْجَتَهُمْ وَنَفَاسَ أَمْوَالِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أَيْ فِي قَوْلِهِمْ إِذَا قَالُوا إِنْتُمْ مُؤْمِنُونَ، لَا كِبَغْضِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا الْكَلِمَةُ الظَّاهِرَةُ.

وَقَوْلُهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ أَتَمَلْتُمُونِ اللَّهُ بِدِينِكُمْ﴾ أَيْ أَتَخَبَّرُونَهُ بِمَا فِي ضَمَائِرِكُمْ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَيْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِقْدَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

(١) أحمد: ١/ ١٧٦ (٢) فتح الباري: ١/ ٩٩ ومسلم: ١/ ١٣٢

(٣) فتح الباري: ٧/ ٦٤٤ (٤) النسائي في الكبرى: ١١٥١٩

سُورَةُ قُتَبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (١) لَوْ دَامَتَا وَكُنَا نَارًا ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ (٢) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِیْظٌ (٣) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ (٤) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٥) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِیْجٍ (٦) تَبَصَّرُوا وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ (٧) وَتَرْكُنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَاهُ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٨) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (٩) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١٠) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَشُؤدٌ (١١) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٢) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ (١٣) أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٤)

السُّورَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَّ﴾ وَ ﴿تَّ﴾ وَ ﴿لَمَّ﴾ وَ ﴿حَمَّ﴾ وَ ﴿طَسَّ﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ وَقَدْ أَسْلَفْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ.

[تَعْجَبُ الْكَافِرُ مِنَ الرَّسَالَةِ وَالْمَعَادِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ أَيِ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: ٤٢] وَجَوَابُ الْقَسَمِ هُوَ مَضْمُونُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقَسَمِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ الثَّبُوتِ وَإِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَتَقْرِيرُهُ وَتَحْقِيقُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْقَسَمُ يُتْلَقُ لَفْظًا، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَقْسَامِ الْقُرْآنِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ [ص: ١، ٢]

(١) أحمد: ٢١٧/٥ ومسلم: ٦٠٧/٢ وأبو داود: ٦٨٣/١ وتحفة الأحوذى: ٧٩/٣ والنسائي: ١٨٣/٣ وابن ماجه: ٤٠٨/١ (٢) أحمد: ٤٣٥/٦ (٣) مسلم: ٥٩٥/٢ (٤) أبو داود: ٦٦٠/١ (٥) مسلم: ٥٩٥/٢ والنسائي: ١٠٧/٣

وَسَبَّحَ: يُوسُفُ وَهُودُ وَيُوسُفُ وَالرَّعْدُ وَإِبْرَاهِيمُ وَالْحِجْرُ وَالنَّحْلُ.

وَتَسَعُ: سُبْحَانَ وَالْكَهْفُ وَمَرِيَمُ وَطَهَ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْحُجَّ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْثُورُ وَالْفُرْقَانُ.

وَإِخْدَى عَشْرَةَ: الشُّعْرَاءُ وَالشَّمْلُ، وَالْقَصَصُ، وَالْعَنْكَبُوتُ وَالرُّومُ، وَلُقْمَانُ، وَالْمِ السَّجْدَةُ وَالْأَحْزَابُ وَسَبًّا وَفَاطِرٌ وَيَسَ.

وِثْلَاتٌ عَشْرَةَ: الصَّافَاتُ وَصَ وَالرُّمُّ وَغَافِرٌ وَحَمَ السَّجْدَةُ وَحَمَ عَسَقُ، وَالرُّخْرُفُ، وَالْذُّخَانُ وَالْجَائِيَةُ وَالْأَحْقَافُ، وَالْقِتَالُ وَالْفَتْحُ، وَالْحُجْرَاتُ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْحِزْبُ الْمُفْصَلُ. كَمَا قَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فَتَعَيَّنَ أَنَّ أَوَّلَهُ سُورَةُ ق. وَهُوَ الَّذِي قُلْنَا. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

[فَضْلُ سُورَةِ ق]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِي: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدِ؟ قَالَ: بِقَافٍ وَاقْتَرَبْتُ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةُ (١).

(حديث آخر) وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أُمِّ هِشَامِ بِنْتِ حَارِثَةَ قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ تَتُورُنَا وَتَتُورُ النَّبِيُّ ﷺ وَاحِدًا سَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَبَعْضُ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ﴿قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ إِلَّا عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ يَقْرُؤُهَا كُلُّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ (٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣). وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنَةِ الْحَارِثِ بْنِ الثُّعْمَانِ، قَالَتْ: مَا حَفِظْتُ قَ إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بِهَا كُلُّ جُمُعَةٍ. قَالَتْ: وَكَانَ تَتُورُنَا وَتَتُورُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحِدًا (٤). وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ (٥). وَالْقَصْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِهِذِهِ السُّورَةَ فِي الْمَجَامِعِ الْكِبَارِ، كَالْعِيدِ وَالْجُمُعِ لِإِسْتِمَالِهَا عَلَى ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ، وَالتَّبَعِ وَالتَّشْوِيرِ وَالْمَعَادِ وَالْقِيَامِ وَالْحِسَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالتَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ (١) بَلِ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) لَوْ دَامَتَا وَكُنَا نَارًا ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِیْظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ (٥)

﴿قَ﴾: حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ

وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿أَيُّ تَعَجُّبُوا مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِن كَانَ لِلنَّاسِ عِجَابٌ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ أَيُّ وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ. ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي تَعَجُّبِهِمْ أَيْضًا مِنَ الْمَعَادِ وَاسْتِعْجَادِهِمْ لَوْفُوعِهِ: ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا لِزَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أَيُّ يَقُولُونَ: إِذَا مِنَّا وَبَلَيْنَا وَتَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ مِنَّا وَصِرْنَا تَرَابًا، كَيْفَ يُمَكِّنُ الرَّجُوعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْبُنْيَةِ وَالتَّرْكِيبِ؟ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أَيُّ بَعِيدُ الْوُفُوعِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَغْتَفِدُونَ اسْتِحَالَتَهُ وَعَدَمَ امْتِكَانِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ مَا تَأْكُلُ مِنْ أَحْسَادِهِمْ فِي الْبِلَى نَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَخْفَى عَلَيْنَا، أَيْنَ تَفَرَّقَتِ الْأَبْدَانُ وَأَيْنَ ذَهَبَتْ، وَإِلَى أَيْنَ صَارَتْ ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَافِظٌ﴾ أَيُّ حَافِظٌ لِذَلِكَ فَالْعِلْمُ شَامِلٌ وَالْكِتَابُ أَيْضًا فِيهِ كُلُّ الْأَشْيَاءِ مَضْبُوطَةٌ. قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ مَا تَأْكُلُ مِنْ لُحُومِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ، وَعِظَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ^(١). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ^(٢). ثُمَّ بَيَّنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبَبَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَاسْتِعْجَادِهِمْ مَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ، فَقَالَ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أَيُّ وَهَذَا حَالُ كُلِّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ، مَهْمَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ. وَالْمَرِيجُ: الْمُخْتَلِفُ الْمُضْطَرِبُّ الْمُنْتَبِسُ الْمُنْتَكِرُ جَلَالُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ﴾ [الدَّارِيَات: ٨، ٩].

وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿أَيُّ تَعَجُّبُوا مِنْ إِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِن كَانَ لِلنَّاسِ عِجَابٌ أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ أَيُّ وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي تَعَجُّبِهِمْ أَيْضًا مِنَ الْمَعَادِ وَاسْتِعْجَادِهِمْ لَوْفُوعِهِ: ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا لِزَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أَيُّ يَقُولُونَ: إِذَا مِنَّا وَبَلَيْنَا وَتَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ مِنَّا وَصِرْنَا تَرَابًا، كَيْفَ يُمَكِّنُ الرَّجُوعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْبُنْيَةِ وَالتَّرْكِيبِ؟ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أَيُّ بَعِيدُ الْوُفُوعِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَغْتَفِدُونَ اسْتِحَالَتَهُ وَعَدَمَ امْتِكَانِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ مَا تَأْكُلُ مِنْ أَحْسَادِهِمْ فِي الْبِلَى نَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَخْفَى عَلَيْنَا، أَيْنَ تَفَرَّقَتِ الْأَبْدَانُ وَأَيْنَ ذَهَبَتْ، وَإِلَى أَيْنَ صَارَتْ ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَافِظٌ﴾ أَيُّ حَافِظٌ لِذَلِكَ فَالْعِلْمُ شَامِلٌ وَالْكِتَابُ أَيْضًا فِيهِ كُلُّ الْأَشْيَاءِ مَضْبُوطَةٌ. قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ مَا تَأْكُلُ مِنْ لُحُومِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ، وَعِظَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ^(١). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ^(٢). ثُمَّ بَيَّنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبَبَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَاسْتِعْجَادِهِمْ مَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ، فَقَالَ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أَيُّ وَهَذَا حَالُ كُلِّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ، مَهْمَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ. وَالْمَرِيجُ: الْمُخْتَلِفُ الْمُضْطَرِبُّ الْمُنْتَبِسُ الْمُنْتَكِرُ جَلَالُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ﴾ [الدَّارِيَات: ٨، ٩].

﴿فَأَنزَلْنَا يُنْظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَتْهَا وَرَبَّتْهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ١٠ ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ١١ ﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُثِيبٍ﴾ ١٢ ﴿وَوَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ١٣ ﴿وَبَاسِقَتِ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ١٤ ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا بَاسِقَتِ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ١٥ ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ١٦

﴿فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أَيُّ حَدَائِقَ مِنْ بَسَاتِينٍ وَنَحْوَهَا ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ وَهُوَ الزَّرْعُ الَّذِي يُرَادُ لِحَبِّهِ وَادِّخَارِهِ ﴿وَالنَّحْلَ بَاسِقَتِ﴾ أَيُّ طَوَّالًا شَاهِقَاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ: الْبَاسِقَاتُ الطُّوَالُ^(١). ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أَيُّ مَنْضُودٌ ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ﴾ أَيُّ لِلْخَلْقِ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي كَانَتْ هَامِئَةً، فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، مِنْ أَزَاهِيرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُحَارُّ الطَّرْفُ فِي حُسْنِهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا كَانَتْ لَا نَبَاتَ بِهَا فَأَصْبَحَتْ تَهْتَزُّ خَضِرَاءَ، فَهَذَا مِثَالٌ لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ، كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَهَذَا الْمُشَاهَدُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ بِالْحِسِّ أَعْظَمُ مِمَّا أَنْكَرَهُ الْجَا حِدُونَ لِلْبَعْثِ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ اللَّهَ أَلْحَا بِهَا

(١) الطبري: ٣٢٨/٢٢ (٢) الطبري: ٣٢٩/٢٢ (٣) الطبري:

٣٣٢/٢٢ (٤) الطبري: ٣٣٥/٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١٩

سُورَةُ ق

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ مَا نُسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْتَقِي الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ
 ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
 الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ
 يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ
 كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
 ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلْفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
 عِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيبٌ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَأَلْفَيْتُمْ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطِغْنَاهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
 إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَنّٰةٍ لِلْعِيدِ ﴿٢٩﴾
 يَوْمَ يَقُولُ لِرَبِّهِمْ هَلِ امْتَلَأْتُمْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
 الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ
 ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا
 بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ مَا نُسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَنْتَقِي الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عِيدٍ (٢٣) أَلْفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِيدٍ (٢٤) مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيبٌ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيْتُمْ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطِغْنَاهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَنّٰةٍ لِلْعِيدِ (٢٩) يَوْمَ يَقُولُ لِرَبِّهِمْ هَلِ امْتَلَأْتُمْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)

[إِحَاطَتُهُ تَعَالَى وَحِفْظُهُ لِكُلِّ مَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ]

يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُ نَبِيِّ آدَمَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَدْ بَيَّنَّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِأَمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَقُلْ أَوْ تَعْمَلْ» (١). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» يَعْنِي مَلَائِكَتُهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ إِلَيْهِ، وَمَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى

(١) فتح الباري: ٦١١/٨ (٢) فتح الباري: ٥٥٧/١١

لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [فصلت: ٣٩].

﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ وَأَصْحَبُ الرِّيسِ وَنَمُوْدُ﴾ (١٢) وَعَادٌ وَرَعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطُ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَّعٌ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ حَدِيدٍ ﴿١٥﴾ [تَذَكِيرٌ قُرَيْشٍ بِهَلَاكِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُهْدِدًا لِكِفَّارٍ قُرَيْشٍ، بِمَا أَحَلَّهُ بِأَسْبَابِهِمْ وَنَظَرَانِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ قَبْلَهُمْ، مِنَ النِّفَمَاتِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الدُّنْيَا كَقَوْمِ نُوحٍ وَمَا عَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْغَرَقِ الْعَامِّ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ ﴿وَأَصْحَبُ الرِّيسِ﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ قِصَّتُهُمْ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ. ﴿وَنَمُوْدُ﴾ (١٢) وَعَادٌ وَرَعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطُ ﴿١٣﴾ وَهُمْ أُمَّتُهُ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ سَدُومَ وَمُعَامَلَتِهَا مِنَ الْغَوَرِ، وَكَيْفَ خَسَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمُ الْأَرْضَ، وَأَحَالَ أَرْضَهُمْ بَحِيرَةً مُنْتِنَةً حَبِيبَةً يَكْفُرُهُمْ وَطُعْيَانِيهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمُ الْحَقَّ ﴿وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ وَهُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿وَقَوْمٌ تُبَّعٌ﴾ وَهُوَ الْيَمَانِيُّ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ شَأْنِهِ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ مَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ أَيُّ كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ وَهَؤُلَاءِ الْقُرُونِ كَذَّبَ رُسُلَهُمْ، وَمَنْ كَذَّبَ رُسُلًا فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُوْحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ وَاحِدٌ، فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيعُ الرُّسُلِ كَذَّبُوهُمْ ﴿فَحَقَّ عَلَيْهِمْ مَا أُوعِدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى التَّكْذِيبِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، فَلْيَحْذَرِ الْمُخَاطَبُونَ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ كَمَا كَذَّبَ أُولَئِكَ.

[إِلِإِعَادَةُ أَسْهَلُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أَيُّ أَفَاعَجَزْنَا ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ حَتَّى هُمْ فِي شَكٍّ مِنَ الْإِعَادَةِ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ حَدِيدٍ﴾ وَالْمَعْنَى: أَنَّ ابْتِدَاءَ الْخَلْقِ لَمْ يُعْجِزْنَا وَالْإِعَادَةُ أَسْهَلُ مِنْهُ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَى خَلْقُهُ قَالَ مَنْ يُعْنِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (١٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس: ٧٨، ٧٩] وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحِ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي. وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ» (١).

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ أَي كَشَفَتْ لَكَ عَنِ الْيَقِينِ الَّذِي كُنْتَ تَمْتَرِي فِيهِ ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أَي هَذَا هُوَ الَّذِي كُنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ، قَدْ جَاءَكَ فَلَا مَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ، وَلَا فَكَاكَ وَلَا خَلَاصَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا نَعَشَاهُ الْمَوْتَ جَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكْرَاتٍ»^(٤). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ قَوْلَانِ: (أَحَدُهُمَا) أَنَّ مَا هَهُنَا مَوْصُولَةٌ أَي الَّذِي كُنْتَ مِنْهُ ﴿تَحِيدُ﴾ بِمَعْنَى تَبْتَعِدُ وَتَسْتَأْى وَتَفِرُّ قَدْ حَلَّ بِكَ وَنَزَلَ بِسَاحَتِكَ (وَالْقَوْلُ الثَّانِي) أَنَّ مَا نَافِيَةٌ بِمَعْنَى: ذَلِكَ مَا كُنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُ وَلَا الْحَيْدَ عَنْهُ، وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِثْلُ الَّذِي يَبْرُكُ مِنَ الْمَوْتِ مِثْلُ الثَّغْلَبِ تَطْلُبُهُ الْأَرْضُ بِدَيْنٍ، فَجَاءَ يَسْعَى حَتَّى إِذَا أُعْيِيَ وَأَشْهَرَ دَخَلَ جُحْرَهُ وَقَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ: يَا ثَغْلَبُ، ذَنْبِي. فَخَرَجَ وَلَهُ خُصَاصٌ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى تَقَطَّعَتْ عَنْقُهُ وَمَاتَ»^(٥). وَمَضُمُونَ هَذَا الْمَثَلُ كَمَا لَا انْفِكَاكَ لَهُ وَلَا مَحِيدَ عَنِ الْأَرْضِ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا مَحِيدَ لَهُ عَنِ الْمَوْتِ.

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى حَدِيثِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ وَالْفَرْعِ وَالصَّعْقِ وَالْبُعْثِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ انْقَمَ الْقُرْنُ، وَحَتَّى جَهَنَّمُ، وَانْتَظَرُ أَنْ يُؤَذَّنَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فَقَالَ الْقَوْمُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ^(٦). «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ» أَي مَلَكٌ يَسْأَلُهُ إِلَى الْمُحْشَرِ وَمَلَكٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِأَعْمَالِهِ، هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ^(٧). ثُمَّ رَوَى عَنْ يَحْيَى بْنِ زَافِعٍ مَوْلَى لَيْثِيْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ

عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا فَرَّ لَيْلًا يَلْزَمَ حُلُولُ أَوْ اتِّحَادُ وَهُمَا مَتَفَيَّانِ بِالْإِجْمَاعِ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ، وَلَكِنَّ اللَّفْظَ لَا يَفْتَضِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كَمَا قَالَ فِي الْمُحْضَرِّ ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] يَعْنِي مَلَائِكَتَهُ وَكَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فَالْمَلَائِكَةُ نَزَّلَتْ بِالذِّكْرِ وَهُوَ الْقُرْآنُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ إِلَيْهِ، بِإِقْدَارِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ. فَلَمَّا لَمَّ مِنَ الْإِنْسَانِ كَمَا أَنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَّقِينَ﴾ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَكْتُبَانِ عَمَلِ الْإِنْسَانِ.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَائِمِينَ﴾ أَي مُتَرَصِّدٌ ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ أَي ابْنُ آدَمَ ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ أَي مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أَي إِلَّا وَلَهَا مَنْ يَرْفَعُهَا مُعِدٌّ لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِنَ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] فَيَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ، هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ^(١). أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ كَمَا هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى قَوْلَيْنِ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْأُولَى، لِغُضُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرِّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَطْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَطْنُ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ». فَكَانَ عِلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَتَّعْنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ^(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالسَّائِي وَابْنُ مَاجَهٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٣). وَلَهُ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ.

[التَّذْكِيرُ بِسَكْرَةِ الْمَوْتِ وَنُفْخِ الصُّورِ وَمَا يَلِيهِ مِنْ

الْحَشْرِ]

وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَاءَتْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

(١) الطبري: ٣٤٥/٢٢ (٢) أحمد: ٤٦٩/٣ (٣) تحفة الأحوذى: ٦١٠/٦ وتحفة الأشراف: ٥٥٥/٢ وابن ماجه: ٢/١٣١٢ (٤) فتح الباري: ٣٦٩/١١ (٥) الطبراني: ٢٢٢/٧ إسناده ضعيف فيه معاذ بن محمد الهذلي لا يتابع على رفع حديثه وأيضاً الحسن البصري مدلس ولم يصرح وعنده: فجعل يسعى... حتى إذا أعبى وانتبر. (٦) تحفة الأحوذى: ١١٧/٧ (٧) الطبري: ٣٤٧/٢٢

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَتَنطَوِي عَلَيْهِمْ فَتَقْدِفُهُمْ فِي عَمَرَاتِ جَهَنَّمَ^(٣).

[اِخْتِصَامُ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ عِنْدَ اللَّهِ]

﴿قَالَ رَبُّهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَعَبْرُهُمْ: هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي وَكَّلَ بِهِ^(٤). ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ﴾ أَيُّ يَقُولُ عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَدْ وَافَى الْقِيَامَةَ كَافِرًا يَتَبَرَّأُ مِنْهُ شَيْطَانُهُ فَيَقُولُ: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ﴾ أَيُّ مَا أَضَلَّاهُ ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أَيُّ بَلْ كَانَ هُوَ فِي نَفْسِهِ ضَالًّا قَابِلًا لِلْبَاطِلِ مُعَانِدًا لِلْحَقِّ، كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْزِمُونِي وَلَوْ مَوَّأَ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ﴾ يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلْإِنْسَانِ وَقَرِيبِهِ مِنَ الْجَنِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا يَخْتَصِمَانِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَقِّ تَعَالَى، فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: يَا رَبَّ! هَذَا أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أَيُّ عَنْ مَنَهِجِ الْحَقِّ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ﴾ أَيُّ عِنْدِي ﴿وَقَدْ فَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَيْدِ﴾ أَيُّ قَدْ أَغْدَرْتُ إِلَيْكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلْتُ الْكُتُبَ، وَقَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَجُ وَالْبَيِّنَاتُ وَالْبَرَاهِينُ ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: يُعْنِي قَدْ فَضَيْتُ مَا أَنَا قَاضٍ^(٥) ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أَيُّ لَسْتُ أَغْدَبُ أَحَدًا بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ لَا أَغْدَبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ عِزَّ بَعِيدٍ ﴿هَذَا مَا تُوَدُّونَ لِكُلِّ آوَابٍ حَفِيطٍ﴾ مِّنْ خِصَى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّبِينٍ ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمَ

الْمُلُودِ﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾

[أَحْوَالُ جَهَنَّمَ وَالْجَنَّةِ وَأَهْلُهَا]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقُولُ لِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلِ امْتَلَأْتَ؟

(١) الطبري: ٣٤٧/٢٢ (٢) الطبري: ٣٥٦/٢٢ (٣) أحمد: ٤٠/٣ إسناده ضعيف فيه عطية العوفي يخطيء كثيرا كان شعبيا مدلسا [تقريب] (٤) الطبري: ٣٥٧/٢٢ (٥) الطبري: ٢٢/٣٥٩

عَنْهُ يَخْطُبُ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَحَاتَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ فَقَالَ سَائِقٌ يَسُوفُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ^(١). قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي عَفْوَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَفَنَّا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَصَرَّكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ الْخَطَابُ مَعَ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ - وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي عَفْوَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ يَغْنِي مِنْ هَذَا الْيَوْمَ ﴿فَكَفَنَّا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَصَرَّكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أَيُّ قَوِيٍّ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ مُسْتَبْصِرًا حَتَّى الْكُفَّارَ فِي الدُّنْيَا، يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، لَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأُبَشِّرْ يَوْمَ يَا تَوْنَسُ﴾ [مریم: ٢٨] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

﴿وَقَالَ رَبُّنَا هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِدْ﴾ ﴿٢٦﴾ أَلِفًا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِدْ ﴿٢٧﴾ مَتَّاعٌ لِلْعَبْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٨﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَّاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴿قَالَ رَبُّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ فَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَيْدِ ﴿٣١﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٣٢﴾

[شَهَادَةُ الْمَلِكِ وَأَمْرُ اللَّهِ بِالْإِقَاءِ الْكَافِرِ فِي جَهَنَّمَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِعَمَلِ ابْنِ آدَمَ أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا فَعَلَ وَيَقُولُ: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِدْ﴾ أَيُّ مُعْتَدٌ مُحَضَّرٌ بِلاَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْخَلِيقَةِ بِالْعَدْلِ فَيَقُولُ: ﴿أَلِفًا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِدْ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّهَا مُحَاطَبَةٌ مَعَ السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ، فَالسَّائِقُ أَخْضَرَهُ إِلَى عَرَصَةِ الْحِسَابِ، فَلَمَّا أَدَّى الشَّهِيدُ عَلَيْهِ أَمْرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْقَائِدِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَبَشَّرَ الْمَصِيرَ: ﴿أَلِفًا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَيْنِدْ﴾ أَيُّ كَثِيرُ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ، عَيْنِدْ مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ، مُعَارِضٌ لَهُ بِالْبَاطِلِ مَعَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ ﴿مَتَّاعٌ لِلْعَبْرِ﴾ أَيُّ لَا يُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنْ الْحُقُوقِ وَلَا بِرِّ فِيهِ، وَلَا صِلَةً، وَلَا صَدَقَةً ﴿مُعْتَدٍ﴾ أَيُّ فِيمَا يُتَّقِيهِ وَيَصْرِفُهُ يَتَجَاوَزُ فِيهِ الْحَدَّ. وَقَالَ قَتَادَةُ: مُعْتَدٍ فِي مَنَاطِقِهِ وَسَبْرِهِ وَأَمْرِهِ^(٢). ﴿مُرِيبٌ﴾ أَيُّ شَاكٌ فِي أَمْرِهِ مُرِيبٌ لِمَنْ نَظَرَ فِي أَمْرِهِ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أَيُّ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ ﴿فَأَلْفِيَّاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَخْرُجُ عَنِّي مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وَكُلْتُ الْيَوْمَ ثَلَاثَةً: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِدْ، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَمَنْ

سُورَةُ الْقُلُوبِ

٥٢٠

سُورَةُ الْقُلُوبِ

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبِرْ السُّجُودَ ﴿٤٠﴾ وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَالْيَسَاءُ الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ نَسْفَعُ الْأَرْضَ
عَنَّهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا أَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مِنَ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّلَازِلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِبُ ذَرَأًا ﴿١﴾ فَالْحِمْلُ قَرَارًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيْتُ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُصْمِتُ آمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَوْعَدُونَ صَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

مَلَائِكَةُ اللَّهِ ﴿٧﴾ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقُلُوبِ﴾
أَيُّ يَخْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَمُوتُونَ أَبَدًا، وَلَا يَطْعَمُونَ أَبَدًا،
وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا، وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
فِيهَا﴾ أَيُّ مَهْمًا اخْتَارُوا وَجَدُوا، مِنْ أَيُّ أَصْنَافِ الْمَلَادِ
طَلَبُوا، أُخْصِرَ لَهُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا لُحُوفًا زِيَادَةً﴾ [يونس: ٢٦] فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ
صُهَيْبِ بْنِ سَيَانَ الرُّومِيِّ: أَنَّهَا النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ
الْكَرِيمِ ﴿٨﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ
هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ
أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَعَدَهَا أَنْ سَيَمْلُؤَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَمْرٍ يَمُرُّ بِهِ إِلَيْهَا وَيُلْقِي
وَهِيَ تَقُولُ: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أَيُّ هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ تَزِيدُونِي؟
هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ. وَعَلَيْهِ تَذُلُّ الْأَحَادِيثُ:
رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟
حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ قَدَمَهُ فِيهَا، فَيَنْزِي بِغَضَبِهَا إِلَى بَعْضِ
وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ
حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ فَيَسْكِنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
فُضُولِ الْجَنَّةِ» (١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢).

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، رَفَعَهُ - وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُوفِّقُهُ أَبُو سَفْيَانَ - «يَقَالُ لِجَهَنَّمِ
هَلْ امْتَلَأَتْ؟ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ» (٣).

(طَرِيقٌ أُخَرَى) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ
فَقَالَتِ النَّارُ: أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ
الْجَنَّةُ: مَالِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. قَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ
عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ
مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤَهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا
تَمْلِكُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فِيهَا فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا لَكَ
تَمْلِكُ وَتَنْزِي بِغَضَبِهَا إِلَى بَعْضِ، وَلَا يَطْلُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا
خَلْقًا آخَرَ» (٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْزَلَتْ الْحَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قَالَ قَتَادَةُ
وَأَبُو مَالِكٍ وَالسُّدِّيُّ ﴿وَأَرْزَلَتْ﴾ أُنْزِلَتْ وَقُرْبَتْ مِنْ
الْمُتَّقِينَ (٥) ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ لِأَنَّهُ
وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ
أَزَابٍ﴾ أَيُّ رَاجِعٍ تَائِبٍ مُقْبِلٍ ﴿حَافِظٌ﴾ أَيُّ يَحْفَظُ الْعَهْدَ فَلَا
يَنْقُضُهُ وَلَا يَنْكُتُهُ، ﴿مَنْ حَتَّى الرَّحْمَنِ بِالْعِتَابِ﴾ أَيُّ مَنْ خَافَ
اللَّهِ فِي سِرِّهِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَقَوْلِهِ ﷺ:
«وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٦). وَبَعَاءُ

يَقْلِبُ مُبِيبٌ أَيُّ وَلَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ
سَلِيمٍ إِلَيْهِ خَاضِعٍ لَدَيْهِ ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أَيُّ الْجَنَّةِ ﴿يَسْلَمُ﴾ قَالَ
قَتَادَةُ: سَلِمُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَلَمَ عَلَيْهِمْ

(١) أحمد: ٢٣٤/٣ (٢) مسلم: ٢١٨٧/٤، ٢١٨٨ (٣) فتح
الباري: ٤٦٠/٨ (٤) فتح الباري: ٤٦٠/٨ (٥) الطبري: ٢٢/٢٢
٣٦٣ (٦) فتح الباري: ١٦٨/٢ (٧) الطبري: ٣٦٦/٢٢ (٨)
مسلم: ١٦٣/١

النَّاسِ ﴿غافر: ٥٧﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَلْسِنَةً
بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي
الْمُكَذِّبِينَ أَصْبِرْ عَلَيْهِمْ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿وَسَبِّحْ
يَحْمَدُ رَبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وَكَانَتْ الصَّلَاةُ
الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ نَتْنَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ
الْفَجْرِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ كَانَ
وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ
الْأُمَّةِ وَجُوبُهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ
الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ، وَلَكِنْ مِنْهُمْ صَلَاةُ الصُّبْحِ
وَالْعَصْرِ فَهُمَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ. وَقَدْ رَوَى
الإمامُ أَحْمَدُ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَنَظَّرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ:
«أَمَّا إِنَّكُمْ سَتُعَرَّضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرُونَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا
الْقَمَرَ لَا تُضَاوُونَ فِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى
صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(١)
وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَبِقِيَّةِ الْجَمَاعَةِ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ
بِهِ^(٢).

[الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أَيْ فَصَلِّ لَهُ كَقَوْلِهِ:
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ﴿وَأَذْكُرَ السُّجُودَ﴾ قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ
عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ التَّسْبِيحُ
بَعْدَ الصَّلَاةِ^(٣). وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ قُرَاءَةُ الْمُهَاجِرِينَ
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى
وَالْعِجِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا:
يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا
تَتَصَدَّقُ، وَيُعْتَقُونَ وَلَا نُعْتَقُ. قَالَ ﷺ: «أَفَلَا أَعَلَّمَكُمُ شَيْئًا
إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ

وَمَا يَنْتَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٦﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا
يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٧﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَذْكُرِ النَّجْمِ ﴿٣٨﴾
[تَهْدِيدُ الْكُفَّارِ بِالْعَذَابِ وَأَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ
﴿مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أَيْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً
وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا، وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى هَهُنَا: ﴿فَتَقَبَّلُوا فِي الْيَلَدِ هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ﴾ قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَثَرُوا فِيهَا^(٤). وَقَالَ قَتَادَةُ:
فَسَارُوا فِي الْبِلَادِ أَيْ سَارُوا فِيهَا يَتَغَوَّانَ الْأَرْزَاقَ وَالْمَتَاجِرَ
وَالْمَكَاسِبَ أَكْثَرَ مِمَّا طَفَعَتْ بِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ﴾ أَيْ هَلْ مِنْ مَقَرٍّ كَانَ
لَهُمْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَهَلْ نَفَعَهُمْ مَا جَمَعُوهُ وَرَدَّ عَنْهُمْ
عَذَابُ اللَّهِ إِذْ جَاءَهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ فَأَنْتُمْ أَيْضًا لَا مَقَرَّ
لَكُمْ وَلَا مَجِيدَ وَلَا مَنَاصَ وَلَا مَحِيصَ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ أَيْ لَعِبْرَةً ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أَيْ
لُبٌّ يَبْقَى بِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَقْلٌ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ
شَهِيدٌ﴾ أَيْ اسْتَمَعَ الْكَلَامَ فَوَعَاهُ وَتَعَقَّلَهُ بِعَقْلِهِ وَنَفَقَهُمُ
بِلَبِّهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ يَعْنِي لَا يَحْدُثُ نَفْسُهُ
فِي هَذَا بِقَلْبٍ^(٥). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْعَرَبُ تَقُولُ: أَلْقَى
فُلَانٌ سَمْعَهُ إِذَا اسْتَمَعَ بِأُذُنَيْهِ، وَهُوَ شَاهِدٌ بِقَلْبٍ غَيْرِ
غَائِبٍ^(٦). وَهَكَذَا قَالَ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٧). وَقَوْلُهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ فِيهِ تَقْرِيرٌ لِلْمَعَادِ لِأَنَّ مَنْ
قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْأُخْرَى. وَقَالَ
قَتَادَةُ: قَالَتِ الْيَهُودُ - عَلَيْهِمْ لَعْنُ اللَّهِ - خَلَقَ اللَّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ
السَّابِعِ وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَهُمْ يُسَمُّونَهُ يَوْمَ الرَّاحَةِ فَانْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى تَكْلِيمَهُمْ فِيمَا قَالُوهُ وَتَأَوَّلُوهُ ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ
لُغُوبٍ﴾^(٨). أَيْ مِنْ إِغْيَاءٍ وَلَا تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ، كَمَا قَالَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
الْمَوْتَى بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ٣٣] وَكَمَا قَالَ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ

(١) الطبري: ٣٧١/٢٢ (٢) الطبري: ٣٧٣/٢٢ (٣) الطبري:

٣٧٤/٢٢ (٤) الطبري: ٣٧٤/٢٢ (٥) الطبري: ٣٧٦/٢٢

(٦) أحمد: ٣٦٥/٤ (٧) فتح الباري: ٤٦٢/٨ ومسلم: ١/

٤٣٩ وأبو داود: ٩٧/٥ وتحفة الأحوذى: ٢٦٥/٧ والنسائي في

الكبرى: ٤٦٩/٦ وابن ماجه: ٦٣/١ (٨) الطبري: ٣٨١/٢٢

«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ»^(٢). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أَيُّ تِلْكَ إِعَادَةُ سَهْلَةٍ عَلَيْنَا، يَسِيرَةٌ لَدَيْنَا كَمَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلَّتْجَ بِالْبَصَرِ﴾. [القمر: ٥٠]

وَقَالَ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنِينَ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. [لقمان: ٢٨]

[تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أَيُّ نَحْنُ عَلِمْنَا مُحِيطٌ بِمَا يَقُولُ لَكَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ التَّكْذِيبِ، فَلَا يَهُولُنَّكَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾^(٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ^(٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ^(٩) [الحجر: ٩٧-٩٩]. وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أَيُّ وَلَسْتَ بِالَّذِي تُجَبِّرُ هَؤُلَاءِ عَلَى الْهُدَى، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا كُفِّتَ بِهِ. ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أَيُّ بَلِّغْ أَنْتَ رِسَالَةَ رَبِّكَ فَإِنَّمَا يَذَكِّرُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ وَوَعِيدَهُ وَيَرْجُو وَعْدَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالْتَمَسْنَا عَلَيْكَ الْبَلْغَ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠] وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١٠) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ^(١١) [الغاشية: ٢١، ٢٢] لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ^(١٢)، [البقرة: ٢٧٢] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كَانَ قِتَادَةً يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَخَافُ وَعِيدَكَ وَيَرْجُو مَوْعُودَكَ، يَا بَارَأ يَارَحِيمَ^(١٣).

أَجِرْ تَفْسِيرُ سُورَةِ ق وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾^(١) فَالْحَمِيلَاتِ وَقَرَأَ^(٢) فَالْحَارِيَّتِ سِرًّا^(٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا^(٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ^(٥) وَإِنَّ الْآلِزِينَ لَوُفْعٍ^(٦) وَأَسْمَاءَ

إِلَّا مَنْ فَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُمْ؟ تَسْبُحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ ذُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^(١١).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ الشُّجُورَ﴾ هُمَا الرِّكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ. وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَابْنِهِ الْحَسَنِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَبِهِ يَقُولُ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ وَالتَّخَعِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ.

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(١٢) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ^(١٣) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ^(١٤) يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ^(١٥) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ^(١٦)

[التَّذْكِيرُ بِفَضْلِ مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أَنْ تَجْتَمِعُوا لِفَضْلِ الْقَضَاءِ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يَعْنِي التَّفَحُّةَ فِي الصُّورِ الَّتِي تَأْتِي بِالْحَقِّ الَّذِي كَانَ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ أَيُّ مِنْ الْأَجْدَاثِ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أَيُّ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ مَصِيرُ الْخَلَائِقِ كُلُّهُمْ، فَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَيَجْزِي وَإِنْ شَرًّا فَيُشْرُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ يَنْبُثُ بِهِ أَجْسَادَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا فِي قُبُورِهَا، كَمَا يَنْبُثُ الْحَبُّ فِي التُّرَى بِالنَّمَاءِ، فَإِذَا تَكَامَلَتْ الْأَجْسَادُ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَقَدْ أُوْدِعَتْ الْأَرْوَاحُ فِي ثُغْبٍ فِي الصُّورِ فَإِذَا نَفَخَ إِسْرَافِيلُ فِيهِ خَرَجَتْ الْأَرْوَاحُ تَتَوَهَّجُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزِّي وَجَلَالِي لَتَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى الْجَسَدِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ، فَتَرْجِعُ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا، فَتَدْبُ فِيهِ كَمَا يَدْبُ السَّمُّ فِي اللَّدِيعِ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ فَيَقُومُونَ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ سِرَاعًا مُبَادِرِينَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ [القمر: ٨] وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْظَرُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) فتح الباري: ٣٧٨/٢ (٢) مسلم: ١٧٨٢/٤ (٣) القرطبي: ٢٩/١٧

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ
٥٢١
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفَّكُ عَنْهُ مَنَ أَفَكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍوسَا هُوتَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتِ وَعِوِينَ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءَ النَّهْمِ رِيْهِمَ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنَّكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرِهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[اِخْتِلَافُ أَقْوَالِ الْمُشْرِكِينَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أَيَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ لِلرَّسُلِ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ مُّضْطَرِبٍ لَا يَلْتَمِمْ وَلَا يَجْتَمِعُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ بِالْقُرْآنِ وَمُكَذِّبٍ بِهِ^(١). ﴿يُؤَفَّكُ عَنْهُ مَنَ أَفَكَ﴾ أَيَّ إِنَّمَا يَرُوجُ عَلَى مَنْ هُوَ ضَالٌّ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ إِنَّمَا يَنْقَادُ لَهُ وَيَصِلُ بِسَبَبِهِ، وَيُؤَفَّكُ عَنْهُ: مَنْ هُوَ مَأْفُوكٌ ضَالٌّ غَمَرٌ لَا فَهْمَ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْكُرْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾^(٢) مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ^(٣) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ [الصافات: ١٦١-١٦٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالسُّدِّيُّ: ﴿يُؤَفَّكُ عَنْهُ مَنَ أَفَكَ﴾ يَضِلُّ عَنْهُ مَنْ ضَلَّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: الْكَذَّابُونَ، قَالَ: وَهِيَ مِثْلُ الَّتِي فِي عَسَسَ ﴿قِيلَ الْإِنْسَنَ مَا أَفَرُّهُ﴾ [الآية: ١٧] وَالْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ

ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفَّكُ عَنْهُ مَنَ أَفَكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍوسَا هُوتَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾

[التَّأْكِيدُ عَلَى صِدْقِ وَفُوعِ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ]

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ صَعِدَ مِثْرَ الْكُوفَةِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا عَنْ شَيْءٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ، فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوَّاءِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَذَّلُوا﴾ قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرِّيحُ. قَالَ: ﴿فَالَّذِينَ تَبَذَّلُوا﴾ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السَّحَابُ. قَالَ: ﴿فَالَّذِينَ تَبَذَّلُوا﴾ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السُّفُنُ. قَالَ: ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَلَائِكَةُ^(١).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْجَارِيَاتُ يُسْرًا هِيَ النُّجُومُ تَجْرِي يُسْرًا فِي أَفلاكِهَا، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَرْقِيًا مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ: فَالْزَبَاحُ فَوْقَهَا السَّحَابُ، وَالنُّجُومُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا: الْمَلَائِكَةُ فَوْقَ ذَلِكَ تَنْزِلُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْكُوفِيَّةِ، وَهَذَا قِسْمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَفُوعِ الْمَعَادِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أَيَّ لَخَبَرٌ صِدْقٌ ﴿وَلِإِنَّ الدِّينَ﴾ وَهُوَ الْحِسَابُ ﴿لَوْعٌ﴾ أَيَّ لَكَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ذَاتِ الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ وَالْحُسْنِ وَالِاسْتِوَاءِ^(٢). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَأَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَغَيْرُهُمْ^(٣). وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو وَغَيْرُهُمَا: مِثْلُ تَجْعُدِ الْمَاءِ وَالرَّمْلِ وَالزَّرْعِ، إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ فَيَنْسُجُ بَعْضُهُ بَعْضًا طَرَائِقَ طَرَائِقَ، فَذَلِكَ الْحُبُكُ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْحُسْنُ وَالْبَهَاءُ، فَإِنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا مُرْتَفَعَةٌ شَفَافَةٌ صَفِيفَةٌ شَدِيدَةُ الْبِنَاءِ مُتَّسِعَةٌ الْأَرْجَاءِ أُنِيفَةُ الْبَهَاءِ، مُكَلَّلَةٌ بِالنُّجُومِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ، مُوشَّحَةٌ بِالسَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَاتِ.

(١) الطبري: ٣٨٩-٣٩٢/٢٢ وعبدالرزاق: ٢٤١/٣ (٢)

الطبري: ٣٩٦، ٣٩٥/٢٢ (٣) الطبري: ٣٩٦، ٣٩٧/٢٢ (٤)

يَقُولُونَ: لَا نُبْعَثُ. وَلَا يُوقِنُونَ^(١). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿قِيلَ الْخَرَّصُونَ أَيُّ لَعْنِ الْمُرْتَابُونَ^(٢)﴾. وَهَكَذَا كَانَ مُعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ. هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْخَرَّاصُونَ أَهْلُ الْغَرَّةِ وَالظُّنُونِ^(٣). وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهَوْنَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُ وَاحِدٍ: فِي الْكُفْرِ وَالشُّكِّ غَافِلُونَ لَاهُونَ^(٤). ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ وَإِنَّمَا يَقُولُونَ هَذَا تَكْذِيبًا وَعِنَادًا وَشُكًّا وَاسْتِعْجَادًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿يُفْتَنُونَ يُعَذَّبُونَ^(٥)﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ كَمَا يُفْتَنُ الذَّهَبُ عَلَى النَّارِ^(٦). وَقَالَ جَمَاعَةٌ آخَرُونَ كَمُجَاهِدٍ أَيْضًا وَعِكْرَمَةُ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: ﴿يُفْتَنُونَ يُحْرَقُونَ﴾ دُوقُوا فَنَتَكَّرَ قَالَ مُجَاهِدٌ: حَرِيقَكُمْ^(٧). وَقَالَ غَيْرُهُ: عَذَابَكُمْ ﴿هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ سَتَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَتَحْقِيرًا وَتَضْعِيفًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿إِنَّ النَّفِثِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٨) أَخْبَذِينَ مَا أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُخْسِنِينَ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٩) وَالْأَشْعَارُ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿وَقَدْ أَمَرْنَاهُمْ حَقًّا لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١٠) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا كُودُونَ ﴿قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِفُونَ﴾^(١٢)

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَلَّ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَلَّ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ رَجُلٍ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرُفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا» فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «لِمَنْ آلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامًا»^(١٤).

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْأَشْعَارُ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يُصَلُّونَ^(١٥). وَقَالَ آخَرُونَ: قَامُوا اللَّيْلَ وَأَخْرَجُوا الْإِسْتِغْفَارَ إِلَى الْأَشْعَارِ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

[جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ وَصِفَاتُهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُتَّقِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ يَكُونُونَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ، بِخِلَافِ مَا أُولَئِكَ الْأَشْقِيَاءُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ وَالْحَرِيقِ وَالْأَغْلَالِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَخْبَذِينَ مَا أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ﴾ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ، فَالْمُتَّقُونَ فِي حَالٍ كَوْنِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَالْعُيُونِ أَخْبَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ، أَيُّ مِنَ النِّعَمِ وَالسُّرُورِ وَالْعِظَةِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أَيُّ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا ﴿مُخْسِنِينَ﴾ كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَّ إِحْسَانَهُمْ فِي الْعَمَلِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى قَوْلَيْنِ: (أَحَدُهُمَا) أَنَّ «مَا» نَافِيَةٌ تَقْدِيرُهُ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ لَا يَهْجَعُونَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ تَكُنْ تَمْضِي

(١) الطبري: ٢٢/٤٠٠ (٢) الطبري: ٢٢/٣٩٩ (٣) الطبري: ٢٢/٤٠٠ (٤) الطبري: ٢٢/٤٠١ (٥) الطبري: ٢٢/٤٠٢ (٦) الطبري: ٢٢/٤٠٢ (٧) الطبري: ٢٢/٤٠٣ (٨) الطبري: ٢٢/٤٠٧ (٩) الطبري: ٢٢/٤٠٧ (١٠) الطبري: ٢٢/٤٠٨ (١١) الطبري: ٢٢/٤٠٨ (١٢) الطبري: ٢٢/٤٠٨ (١٣) الطبري: ٢٢/٤٠٨ (١٤) تحفة الأحوذ: ٧/١٨٧ (١٥) أحمد: ٢/١٧٣ إسناده ضعيف فيه ابن لهيعة لكن يشهد له حديث أبي مالك الأشعري عند أحمد ٥/٣٤٣ والطبراني في الكبير ٣/٣٤٢ وابن حبان (٥٠٩) وفيه ابن معان مجهول كما قال الدار قطني (١٦) الطبري: ٢٢/٤١٣

تَفَكَّرْ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ - وَلَيْتَ مَفَاصِلَهُ - لِلْعِبَادَةِ^(٦).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ يَعْنِي الْمَطَرَ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يَعْنِي الْجَنَّةَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٧). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ﴾ يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، فَلَا تَشْكُوا فِيهِ كَمَا لَا تَشْكُونَ فِي نُطْقِكُمْ حِينَ تَنْطُقُونَ. وَكَانَ مُعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ بِالشَّيْءِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هُنَا.

﴿هَلْ آنَاكَ حَدِيثُ صَنِيفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِ﴾ ① إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ② فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ③ فَفَرَّجَ لَهُمْ ذَلَّهُمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ④ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَنَبِّئُوهُمْ بِعَلَمٍ عَلَيْهِمْ ⑤ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ⑥ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ⑦

[حَدِيثُ صَنِيفٍ إِبْرَاهِيمَ]

هَذِهِ الْقِصَّةُ قَدْ تَقَدَّمَتْ فِي سُورَةِ هُودٍ وَالْجِنِّ أَيْضًا فَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ آنَاكَ حَدِيثُ صَنِيفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِ﴾ أَيْ الَّذِينَ أُرْسِدَ لَهُمُ الْكَرَامَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ الرَّفْعُ أَقْوَى وَأَثْبِتُ مِنَ النَّصْبِ، فَرَدُّهُ أَفْضَلُ مِنَ التَّسْلِيمِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِنَجْوَةٍ فَجِئُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فَالْخَلِيلُ اخْتَارَ الْأَفْضَلَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي صُورَةِ شُبَّانٍ حَسَنَانِ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ عَظِيمَةٌ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِهِ﴾ أَيْ انْسَلَّ خُفْيَةً فِي سُرْعَةٍ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ أَيْ مِنْ خِيَارِ مَالِهِ، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] أَيْ مَشْوِيٍّ عَلَى

﴿وَالسَّنْبُوتِ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] فَإِنْ كَانَ الْإِسْتِغْفَارُ فِي صَلَاةٍ فَهُوَ أَحْسَنُ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحَاحِ وَغَيْرِهَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ. هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ. هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى سَوْءُهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(٨). وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ يَعْقُوبَ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِيهِ: ﴿سَوْءٌ أَسْتَغْفِرَ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨] قَالُوا: أَخْرَهُمْ إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ لَمَّا وَصَفَهُم بِالصَّلَاةِ ثَنَّى بِوَصْفِهِمْ بِالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ وَالصَّلَةِ فَقَالَ: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أَيْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ قَدْ أَفْرَزُوهُ ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. أَمَّا السَّائِلُ فَمَعْرُوفٌ وَهُوَ الَّذِي يَبْتَدِيءُ بِالسُّؤَالِ وَلَهُ حَقٌّ، وَأَمَّا الْمَحْرُومُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ: هُوَ الْمُحَارَفُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ سَهْمٌ^(٩). يَعْنِي لَا سَهْمَ لَهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَلَا كَسْبَ لَهُ وَلَا حِرْفَةً يَتَقَوَّى مِنْهَا. وَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هُوَ الْمُحَارَفُ الَّذِي لَا يَكَادُ يَتَبَسَّرُ لَهُ مَكْسَبُهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالزُّهْرِيُّ: الْمَحْرُومُ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا^(١٠).

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْمُسْكِينُ بِالطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالثَّمَرَةُ وَالثَّمَرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمُسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يَفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ»^(١١). وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ أَسْنَدَهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا مِنْ وَجْهِ آخَرٍ^(١٢).

[آيَاتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالنَّفْسِ]

وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أَيْ فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ مِمَّا قَدْ ذَرَأَ فِيهَا مِنْ صُنُوفِ الثَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ، وَالْمُهَادِ وَالْجِبَالِ وَالْفِجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ، وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْوَانِهِمْ وَمَا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ وَالْقُوى، وَمَا بَيَّنَّهُمْ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْعُمُورِ وَالْفُهُومِ وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَمَا فِي تَرْكِيبِهِمْ مِنَ الْحِكْمِ فِي وَضْعِ كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِمْ، فِي الْمَحَلِّ الَّذِي هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مَنْ

(١) فتح الباري: ٣٥/٣ ١٣٣/١١ ٤٧٣/١٣ ومسلم: ١/ ٥٢١-٥٢٣ وأبو داود: ٧٧/٢ ١٠١/٥ وتحفة الأحوذ: ٩/ ٤٧١ والنسائي في الكبرى: ٢٤/٤ وابن ماجه: ٤٣٥/١ (٢) الطبري: ٤١٤/٢٢ (٣) الطبري: ٤١٦/٢٢ (٤) النسائي: ٥/ ٨٥ فتح الباري: ٣٩٩/٣ ومسلم: ٧١٩/٢ (٦) القرطبي: ٤٠/١٧ (٧) الطبري: ٤٢/٢٢

الرَّضْفِ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أَيُّ أَذْنَاهُ مِنْهُمْ ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾
تَلَطَّفَ فِي الْعِبَارَةِ وَعَرَضَ حَسَنًا، وَهَذِهِ الْآيَةُ انْظُمَتْ
أَدَابَ الصَّافِيَةِ فَإِنَّهُ جَاءَ بِطَعَامٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ
بِسُرْعَةٍ، وَلَمْ يَمْتَنِّ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا فَقَالَ: نَأْتِيكُمْ بِطَعَامٍ؟ بَلْ
جَاءَ بِهِ بِسُرْعَةٍ وَخَفَاءً، وَأَتَى بِأَفْضَلِ مَا وَجَدَ مِنْ مَالِهِ، وَهُوَ
عَجَلٌ فَتَيَّ سَمِينٌ مَشْوِيٌّ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ - لَمْ يَضَعُهُ وَقَالَ:
اِقْتَرِبُوا - بَلْ وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقُّ
عَلَى سَامِعِهِ بِصِغَةِ الْحَزْمِ، بَلْ قَالَ: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عَلَى
سَبِيلِ الْعَرَضِ وَالتَّلَطُّفِ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْيَوْمَ: إِنْ رَأَيْتَ
أَنْ تَنْتَظِلَّ وَتُحْسِنَ وَتَصَدَّقَ فَافْعَلْ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ هَذَا مُحَالٌ عَلَى مَا
تَقَدَّمَ فِي الْقِصَّةِ فِي السُّورَةِ الْأُخْرَى، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾
قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ﴿٧٥﴾ وَأَمْرَانَهُمَا قَائِمَةٌ
فَصَجَّكَ ﴿[هود: ٧٠، ٧١] أَيِ اسْتَبَشَّرَتْ بِهَلَاكِهِمْ لِتَمَرُّدِهِمْ
وَعُتُوهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَشَّرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ
بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قَالَتْ يَوْنَلَتِي أَلَدٌ وَأَنَا
عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا
أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ
حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿[هود: ٧٢، ٧٣] وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
هُنَا: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِعِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ قَالِيبَشَارَةُ لَهُ هِيَ بَشَارَةُ لَهَا.
لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْهُمَا، فَكُلٌّ مِنْهُمَا بُشِّرَ بِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿فَأَقَلَّتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَرٍ﴾ أَيُّ فِي صَرَحَةٍ [وَعِظَةٍ] وَرَنَةٍ. قَالَهُ
ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَأَبُو صَالِحٍ،
وَالضَّحَّاكُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَالثَّوْرِيُّ، وَالسَّدُّيُّ ^(١). وَهِيَ
قَوْلُهَا: ﴿يَوْنَلَتِي﴾ [هود: ٧٢]. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أَيُّ صَرَبَتْ
يَدَيْهَا عَلَى جَبِينِهَا. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَابْنُ سَابِطٍ ^(٢). وَقَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَطَمَتْ، أَيُّ تَعَجَّبًا كَمَا تَتَعَجَّبُ
النِّسَاءُ مِنَ الْأَمْرِ الْغَرِيبِ ^(٣). ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أَيُّ كَيْفَ
أَلَدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَقَدْ كُنْتُ فِي حَالِ الصَّبَا عَقِيمًا لَا أَحْبَلُ؟
﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ أَيُّ عَلَيْهِ بِمَا
تَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْكَرَامَةِ حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ لِئَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حَجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ فَمَا وَحَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْآلِيمَ ﴿٤١﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ يَكْفُورًا ﴿٤٣﴾ فَتَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَاقِمَ ﴿٤٥﴾ مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٦﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٧﴾ فَعَتَوَاعَنَ أَمْرَ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٨﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٤٩﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥١﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْهُدُونَ ﴿٥٢﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٣﴾ فَقَرَأْ إِلَى اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٤﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾

الْآلِيمَ ﴿٣٧﴾

[شَأْنُ الْمَلَائِكَةِ إِهْلَاكُ قَوْمِ لُوطٍ]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْحُ وَجَاءَهُ الْبَشَرُ يَجْعَلُنَا
فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَسَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَكَاذِبُهُمْ أَغْرَضَ
عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَايِمٌ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ
وَقَالَ هُنَا: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ أَيُّ مَا شَأْنُكُمْ
وَفِيمَ جِئْتُمْ؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ مُجْرِمِينَ﴾ يَغْنُون قَوْمَ
لُوطٍ ﴿لِئَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حَجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾ مُسَوِّمَةً أَيُّ مُعَلِّمَةً
﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ أَيُّ مُكْتَتَبَةً عِنْدَهُ بِأَسْمَائِهِمْ كُلِّ حَجَرٍ
عَلَيْهِ اسْمٌ صَاحِبِهِ، فَقَالَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿قَالَ إِنَّ
فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَسَجْتُمْ وَأَهْلَهُ إِلَّا
أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ﴾ [الآية: ٣٢] وَقَالَ تَعَالَى

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ لِئَرْسَلَ عَلَيْهِمْ حَجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ

(١) الطبري: ٤٢٦/٢٢ والقرطبي: ٤٦/١٧ (٢) الطبري: ٢٢/

٤٢٨ (٣) الطبري: ٤٢٧/٢٢

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

٥٢٣

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ^(٥٢)
 أَتَوَصَّوْنَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَّاغُوتٌ^(٥٣) فَنُفِّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
 بِمَلُومٍ^(٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكَرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ^(٥٥) وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ^(٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا^(٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ^(٥٨)
 فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ^(٥٩)
 قَوْلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ^(٦٠)

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ^(١) وَكَتَبَ مَسْطُورٍ^(٢) فِي رَقٍّ مَشْهُورٍ^(٣) وَالْبَيْتِ
 الْمَعْمُورِ^(٤) وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعِ^(٥) وَالْبَحْرَ الْمُسْجُورِ^(٦) إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ^(٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ^(٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا^(٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا^(١٠) قَوْلِ يَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
 الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَلْعَبُونَ^(١١) يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
 جَهَنَّمَ دَعَاً^(١٢) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ^(١٣)

هَٰهُنَا: ﴿وَفِي تَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَسْبَعُوا حَتَّىٰ جِبْنَ﴾ ﴿١٢﴾ فَعَتَا عَنْ أَمْرِ
 رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُمْ انْتَضَرُوا
 الْعَذَابَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَجَاءَهُمْ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الرَّابِعِ بُكَرَةً
 النَّهَارِ ﴿فَمَا اسْتَطَلَعُوا مِنْ فَيَافٍ﴾ أَيُّ مِنْ هَرَبٍ وَلَا تَهْوِضُ
 ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾ أَيُّ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ يَنْتَصِرُوا وَمِمَّا
 هُمْ فِيهِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيُّ وَأَهْلَكْنَا
 قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ هَٰؤُلَاءِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وَكُلُّ هَذِهِ
 الْقِصَصُ قَدْ تَقَدَّمَتْ مُبَسَّوْطَةً فِي أَمَاكِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ سُورِ
 مُتَعَدِّدَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعَمَ
 النَّهْدُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾
 فَيَرَوْنَ إِلَى اللَّهِ عِوَاذَ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مِّنْهُ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾

هَٰهُنَا: ﴿فَلَاخِرَةً مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَهُمْ لَوُطٌ وَأَهْلُ
 بَيْتِهِ إِلَّا أَمْرَاتُهُ ﴿فَمَا وَحَدَّثَنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿وَتَرْكَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أَيُّ
 جَعَلْنَاهَا عِبْرَةً بِمَا أُنْزِلْنَا بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ،
 وَجِحَارَةِ السَّجِيلِ. وَجَعَلْنَا مَحَلَّتَهُمْ بُحَيْرَةً مُّثْنَةً حَبِيبَةً، فَبَيَّ
 ذَلِكَ عِبْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٨﴾ فَنُفِّلَ عَنْهُ
 وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَخُودُهُ فَبَدَّوْهُ فِي آيَةٍ وَهُوَ
 مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾ مَا نَذَّرُ مِنْ شَيْءٍ
 أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٣٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ
 جِبْنَ ﴿٣٣﴾ فَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٤﴾
 فَمَا اسْتَطَلَعُوا مِنْ فَيَافٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٣٥﴾ وَقَوْمٌ نُوْحٌ مِنْ قَبْلُ
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾

[الْعَبْرُ مِنْ قِصَّةِ فِرْعَوْنَ وَعَادٍ وَثَمُودَ

وَقَوْمِ نُوحٍ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
 مُّبِينٍ﴾ أَيُّ بِدَلِيلٍ بَاهِرٍ وَحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ ﴿فَنُفِّلَ عَنْهُ﴾ أَيُّ
 فَأَعْرَضَ فِرْعَوْنُ عَمَّا جَاءَهُ بِهِ مُوسَىٰ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ
 اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّىٰ عِطْفِيهِ لِيُضِلَّ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩] أَيُّ مُعْرِضٌ عَنِ الْحَقِّ مُسْتَكْبِرٌ ﴿وَقَالَ
 سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أَيُّ لَا يَخْلُو أَمْرُكَ فِيمَا جِئْتَنِي بِهِ مِنْ أَنْ
 تَكُونَ سَاحِرًا أَوْ مَجْنُونًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ
 وَخُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ﴾ أَيُّ أَلْقَيْنَاهُ ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وَهُوَ الْبَحْرُ
 ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أَيُّ وَهُوَ مَلُومٌ كَافِرٌ جَاحِدٌ فَاجِرٌ مُعَانِدٌ.

ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أَيُّ
 الْمُفْسِدَةِ الَّتِي لَا تُنْتِجُ شَيْئًا. قَالَ الضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ
 وَغَيْرُهُمَا ^(١). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا نَذَّرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾
 أَيُّ مِمَّا تُفْسِدُهُ الرِّيحُ ﴿إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أَيُّ كَالشَّيْءِ
 الْهَالِكِ الْبَالِي. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَغَيْرُهُ فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ قَالُوا: هِيَ
 الْجَنُوبُ ^(٢). وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ شُعْبَةَ عَنْ
 الْحَكَمِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكْتُ عَادٌ
 بِالذَّبُورِ» ^(٣). ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ جِبْنَ﴾ كَقَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ
 فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧] وَهَكَذَا قَالَ

(١) الطبري: ٤٣٤/٢٢ (٢) الطبري: ٤٣٣/٢٢ (٣) فتح
 الباري: ٦٠٤/٢ ومسلم: ٦١٧/٢

لِيَعْبُدُونَ ﴿٥١﴾ أَيُّ إِنَّمَا خَلَقْتُهُمْ لِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَتِي لَا لِاخْتِيَا جِي إِلَيْهِمْ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَلَا لِيَعْبُدُونَ﴾ أَيُّ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا بِعِبَادَتِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٥١) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٢﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) ^(٣) وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٤). وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْعِبَادَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَمَنْ أَطَاعَهُ جَزَاهُ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، وَمَنْ عَصَاهُ عَذَبَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ. وَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِمْ بَلْ هُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ. فَهُوَ خَالِفُهُمْ وَرَازِقُهُمْ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَقَرَّعْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَيًّا وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَلَا تَفْعَلْ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسَدِّ فَقْرَكَ» ^(٥). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ ^(٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ أَيُّ نَصِييًّا مِنَ الْعَذَابِ ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَحْسَنِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ أَيُّ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الطُّورِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الطُّورِ]

رَوَى مَالِكٌ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ [قَالَ]: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ ^(٧). أَخْرَجَاهُ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ ^(٨). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: شَكُوْتُ إِلَى رَسُولِ

(١) الطبري: ٤٣٨/٢٢ (٢) الطبري: ٤٤٤/٢٢ (٣) أحمد: ٤١٨/١ (٤) أبو داود: ٢٩٠/٤ وتحفة الأحوذى: ٢٦١/٨ والنسائي في الكبرى: ٤٦٩/٦ (٥) أحمد: ٣٥٨/٢ (٦) تحفة الأحوذى: ١٦٦/٧ وابن ماجه: ١٣٧٦/٢ (٧) الموطأ: ١/٧٨ فتح الباري: ٢٨٩/٢ ومسلم: ٣٣٨/١

[دَلَالِيلُ التَّوْحِيدِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ زَوْجَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ]

يَقُولُ تَعَالَى مُبَهِّمًا عَلَى خَلْقِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أَيُّ جَعَلْنَاهَا سَفْعًا مَحْفُوظًا رَفِيعًا ﴿بِأَيْدِي﴾ أَيُّ بِقُوَّةٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالتَّوْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ^(١). ﴿وَلَنَا لِمُوسَى﴾ أَيُّ قَدْ وَسَّعْنَا أَرْجَاءَهَا فَرَفَعْنَاهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ كَمَا هِيَ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أَيُّ جَعَلْنَاهَا فِرَاشًا لِلْمَخْلُوقَاتِ ﴿فَنِعَمَ الْنَّهْدُونَ﴾ أَيُّ وَجَعَلْنَاهَا مَهْدًا لِأَهْلِهَا ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أَيُّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ أَزْوَاجَ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ وَلَيْلٍ وَنَهَارٍ، وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَبَرٍّ وَبَحْرٍ، وَضِيَاءٍ وَظِلَامٍ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَمَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَشَقَاءٍ وَسَعَادَةٍ، وَجَنَّةٍ وَنَارٍ، حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أَيُّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ الْجَاوِ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدُوا فِي أُمُورِكُمْ عَلَيْهِ ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿أَيُّ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (٥٢) لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّ (٥٣) أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٤) قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٥) وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ (٥٦) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ (٥٧) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٨) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٩) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَحْسَنِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٦٠) قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦١)

[تَكْذِيبُ كُلِّ قَوْمٍ رَسُولَهُمْ عَلَى طَرِيقِ وَاحِدٍ]

يَقُولُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: وَكَمَا قَالَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قَالَ الْمُكَذِّبُونَ الْأَوَّلُونَ لِرُسُلِهِمْ: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّ﴾ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أَيُّ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَيُّ لَكِنْ هُمْ قَوْمٌ طَغَاءٌ تَسَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، فَقَالَ مُتَأَخِّرُهُمْ كَمَا قَالَ مُتَقَدِّمُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ عَنْهُمْ﴾ أَيُّ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ يَعْنِي فَمَا نَلُومُكَ عَلَى ذَلِكَ ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيُّ إِنَّمَا تَنْتَفِعُ بِهَا الْقُلُوبُ الْمُؤْمِنَةُ.

[مَا كَانَ خَلْقُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِعِبَادَةِ اللَّهِ]

ثُمَّ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

سورة الطور

٥٢٤

أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا
أَوْ لَا تَبْصِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَهَيْنَ بِمَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَّهْمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُّوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْصُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّ
بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَمَا أَلْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا ذُنُوبُهُمْ فَبِكَفَّةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَرِعُونَ
فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُونُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهِ
عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا جُنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَاصِبِينَ ﴿٣١﴾

[الانباء: ٣٢] (٣) وَكَذَآ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ
جُرَيْجٍ وَابْنُ زَيْدٍ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٤).
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ قَالَ الْجُمْهُورُ: هُوَ هَذَا
الْبَحْرُ، وَالْمُرَادُ بِالْمَسْجُورِ أَنَّهُ يُوقَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا كَقَوْلِهِ:
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أَيُّ أَضْرِمْتُ فَتَصِيرُ نَارًا تَتَأَجَّجُ
مُحِيطَةً بِأَهْلِ الْمَوْقِفِ. وَرَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَلِيِّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ (٥). وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبِهِ يَقُولُ سَعِيدُ
بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ غَمَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ.
وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿الْمَسْجُورُ﴾ الْمَمْلُوءُ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ
وَوَجَّهَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ مُوقَدًا الْيَوْمَ. فَهُوَ مَمْلُوءٌ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ
عَلَيْهِ أَيْ لَوَاقِعٌ بِالْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿مَا

اللَّهُ إِلَهُي أَشْتَكِي فَقَالَ: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ
رَاكِبَةٌ» فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ يُقْرَأُ
بِالطُّورِ وَكِتَابُ مَسْطُورٍ (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورُ﴾ (١) وَكِتَابِ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩)
وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا (١٠) قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي
خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يَدْخُلُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا (١٣) هَذِهِ
النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ (١٥) أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَبْصِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا
تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)

[قَسَمَ اللَّهُ عَلَى وَفُوعِ الْعَذَابِ]

يُقْسَمُ تَعَالَى بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ
عَذَابَهُ وَاقِعٌ بِأَعْدَائِهِ، وَأَنَّهُ لَا دَافِعَ لَهُ عَنْهُمْ، فَالطُّورُ هُوَ
الْجَبَلُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ أَشْجَارٌ مِثْلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
مُوسَى وَأَرْسَلَ مِنْهُ عِيسَى، وَمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَجَرٌ لَا يُسَمَّى
طُورًا، إِنَّمَا يُقَالُ لَهُ جَبَلٌ. ﴿وَكِتَابِ مَسْطُورٍ﴾ قِيلَ: هُوَ
اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَقِيلَ: الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ الْمَكْتُوبَةُ الَّتِي تُقْرَأُ
عَلَى النَّاسِ جَهَارًا وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ﴾ (٣) وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ﴿تَبَّتْ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي
حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ بَعْدَ مُجَاوَزَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «ثُمَّ رُفِعَ
بِي إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ
أَلْفًا، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» (٢) يَعْنِي يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ
وَيَطُوفُونَ بِهِ كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ الْأَرْضِ بِكَعْبَتِهِمْ، كَذَلِكَ ذَاكَ
الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ هُوَ كَعْبَةُ أَهْلِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَلِهَذَا وَجَدَ
إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى
الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، لِأَنَّهُ بَانِي الْكَعْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ، وَالْجَزَاءُ مِنْ
جَنْسِ الْعَمَلِ، وَهُوَ بِجِبَالِ الْكَعْبَةِ، وَفِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتٌ
يَتَعَبَّدُ فِيهِ أَهْلُهَا، وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ، وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا
يُقَالُ لَهُ: بَيْتُ الْعِزَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ
وَشُعْبَةُ وَأَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ سِمَاكِ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَرَفَةَ عَنْ
عَلِيٍّ ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يَعْنِي السَّمَاءَ. قَالَ سُفْيَانُ: ثُمَّ تَلَا
﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

(١) فتح الباري: ٤٦٨/٨ (٢) فتح الباري: ٣٤٩/٦ ومسلم:

١٥٠/١ (٣) الطبري: ٢٥٨، ٢٥٧/٢٢ (٤) الطبري: ٢٢/

٤٥٨ (٥) الطبري: ٤٥٨، ٢٢/٢٢

اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَلَأْدُ مِنْ مَا كَلَّ وَمَشَارِبَ، وَمَلَابِسَ وَمَسَاكِينَ وَمَرَائِبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ﴿وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أَيُّ وَقَدْ نَجَّاهُمْ مِنَ عَذَابِ النَّارِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ بِذَاتِهَا عَلَى حَدِيثِهَا مَعَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهَا مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا مِنَ الشُّرُورِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ١٩] كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] أَيُّ هَذَا بِذَاكَ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَانًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ قَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ حُصَيْنٍ

عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: السُّرُرُ فِي الْجِبَالِ، وَمَعْنَى ﴿مَصْفُوفَةٍ﴾ أَيُّ وَجُوهُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ كَقَوْلِهِ: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿وَرُوحَنَّهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ﴾ أَيُّ وَجَعَلْنَا لَهُمْ قَرِينَاتٍ صَالِحَاتٍ وَزَوَّجَاتٍ حَسَنَاتٍ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَرُوحَنَّهُمْ﴾ أُنْكَحْنَاهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّانِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَمَا آتَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَاحِهِمْ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿يَلْتَقُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُوَ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلُفَاتُ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ كَانُوا لَوْلُؤُهُمْ مَكُونٌ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلَانَا مُسْتَفِيقِينَ ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّوْمِ﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

[لُحُوقُ ذُرِّيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ فِي الْمَنْزِلَةِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَامْتِنَانِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ وَإِحْسَانِهِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْإِيمَانِ يُلْحِقُهُمْ بِآبَائِهِمْ فِي الْمَنْزِلَةِ، وَإِنْ لَمْ يُلْغُوا عَمَلَهُمْ، لِيَقَرَّ أَعْيُنُ الْأَبَاءِ بِالْإِبْنَاءِ عِنْدَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَيَجْمَعُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ بِأَنْ يَرْفَعَ النَّاقِصَ الْعَمَلِ بِكَامِلِ الْعَمَلِ، وَلَا يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ - لِلتَّسَاوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاكَ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿الْحَقَّقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آتَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ رَوَى الثَّوْرِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِيَقَرَّ بِهِمْ

لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿أَيُّ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ. رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ زَيْدِ الْعَبْدِيِّ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ يَعْصُ فِي الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَمَرَّ بِدَارِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَوَافَقَهُ قَائِمًا يَصَلِّي فَوْقَ يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ فَقَرَأَ ﴿وَالطُّورِ﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ﴿٧﴾ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٍ قَالَ: قَسَمَ رَبِّ الْكَعْبَةِ حَقًّا، فَتَنَزَّلَ عَنْ جِمَارِهِ وَاسْتَنَدَ إِلَى حَائِطٍ فَمَكَثَ مَلِيًّا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَعُوذُهُ النَّاسُ لَا يَدْرُونَ مَا مَرَضُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

[وَصِفُ يَوْمِ الْعَذَابِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: تَتَحَرَّكُ تَحْرِيكًا^(٢). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ تَشَقُّقُهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: تَدُورُ دَوْرًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: اسْتَدَارَتْهَا وَتَحَرَّكَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ وَمَوْجُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ^(٣). وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ أَنَّهُ التَّحَرُّكُ فِي اسْتِدَارَةٍ. وَتَبَيَّرَ الْجِبَالُ سِرًّا أَيُّ تَذَهَبَ فَتَصِيرُ هَبَاءً مُبْتَثًّا وَتُسْفَسُ نَسْفًا ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أَيُّ وَيْلٌ لَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَنِكَالِهِ بِهِمْ وَعِقَابِهِ لَهُمْ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزٍ يَلْعَبُونَ﴾ أَيُّ هُمْ فِي الدُّنْيَا يَخُوضُونَ فِي الْبَاطِلِ وَيَتَّخِذُونَ دِينَهُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أَيُّ يُدْعَوْنَ وَيُسَافَرُونَ ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَفْعًا﴾ وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالشَّعْبِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَالثَّوْرِيُّ: يُدْعَوْنَ فِيهَا دَفْعًا^(٤). ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَلِّمُونَ﴾ أَيُّ تَقُولُ لَهُمُ الزَّبَانِيَّةُ ذَلِكَ تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أَصْلُهَا أَيُّ إِذْخُلُوهَا دُخُولَ مَنْ تَعْمُرُهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ أَيُّ سَوَاءٌ صَبَرْتُمْ عَلَى عَذَابِهَا وَنِكَالِهَا أَمْ لَمْ تَصْبِرُوا لَا مَجِيدَ لَكُمْ عَنْهَا، وَلَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْهَا ﴿إِنَّمَا يُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا بَلْ يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَعِيمٌ﴾ فَكَهَيَّ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرُوحَنَّهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ ﴿١٠﴾

[وَصِفُ مَالِ السَّعْدَاءِ]

أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ السَّعْدَاءِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَعِيمٌ﴾ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَا أَوَّلَيْكَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ ﴿فَكَهَيَّ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أَيُّ يَتَفَكَّهُوْنَ بِمَا آتَاهُمْ

(١) ذكره المؤلف في مسند عمر: ٢/٦٠٨ (٢) الطبري: ٢٢/٤٦٢ (٣) الطبري: ٢٢/٣٦٢ (٤) الطبري: ٢٢/٤٦٤ والدر المنثور: ٧/٣٦١

عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّانِ يَوْمَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَمَا لَكُنْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١). وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِهِ^(٢). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّانِ يَوْمَ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ قَالَ: هُمْ ذُرِّيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمُوتُونَ عَلَى الْإِيمَانِ، فَإِنْ كَانَتْ مَنَازِلُ آبَائِهِمْ أَرْفَعُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ أُلْحِقُوا بِآبَائِهِمْ، وَلَمْ يُنْقَضُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي عَمِلُوهَا شَيْئًا. وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ وَلَدَيْنِ مَاتَا لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُمَا فِي النَّارِ» فَلَمَّا رَأَى الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهَا قَالَ: «لَوْ رَأَيْتُ مَكَانَهُمَا لَبَغَضْتُهُمَا» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَوَلَدِي مِنْكَ؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي النَّارِ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ﴾... (الآية^(٣))، هَذَا فَضْلُهُ تَعَالَى عَلَى الْأَبْنَاءِ بِبَرَكَةِ عَمَلِ الْآبَاءِ، وَأَمَّا فَضْلُهُ عَلَى الْآبَاءِ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ الْأَبْنَاءِ فَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أَنَّى لِي هَلْهُ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(٤). إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخْرِجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَكِنْ لَهُ شَاهِدٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٥).

[عَدَلَ اللَّهُ مَعَ أَهْلِ الذُّنُوبِ]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ مَقَامِ الْفَضْلِ وَهُوَ رَفْعُ دَرَجَةِ الذَّرِّيَّةِ إِلَى مَنَزَلَةِ الْآبَاءِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ يَقْتَضِي ذَلِكَ، أَخْبَرَ عَنْ مَقَامِ الْعَدْلِ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ أَحَدٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ أَيُّ مُرْتَهَنٍ يَعْمَلُهُ لَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ ذَنْبٌ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ، سِوَاهُ كَانَ أَبَا أَوْ ابْنًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ^(٦) فِي جَنَّتِ بَسَاءَتُهُمْ^(٧) عَنِ الْمُتَجَرِّبِينَ^(٨) [المدر: ٣٨-٤١].

[وَصَفَّ حَمْرُ الْجَنَّةِ وَنَعِيمُ أَهْلِهَا]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أَيُّ وَالْحَقَّقْنَاهُمْ بِفَوَاكِهٍ وَلُحُومٍ مِنْ أَنْوَاعٍ شَتَّى مِمَّا يُسْتَطَابُ

(١) تفسير الثوري: ٢٨٣ (٢) الطبري: ٤٦٧/٢٢ (٣) أحمد: ١٣٥/١ (٤) أحمد: ٥٠٩/٢ (٥) مسلم: ١٢٥٥/٣ (٦) الطبري: ٤٧٤/٢٢ (٧) الطبري: ٤٧٤

[تَبَرُّهُ الرُّسُولُ مِمَّا آتَاهُمْ بِهِ الْمُسْرُكُونَ، وَتَوَعَّدُهُمْ وَتَحْدِيهِمْ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمِيرًا رَسُولُهُ ﷺ بِأَنْ يُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَأَنْ يَذْكُرَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَفَى عَنْهُ مَا يَرْمِيهِ بِهِ أَهْلُ الْبُهْتَانِ وَالْفُجُورِ، فَقَالَ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا كَاهِنٍ﴾ أَيِ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ بِكَاهِنٍ كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْلَةُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَالكَاهِنُ الَّذِي يَأْتِيهِ الرَّئِيُّ مِنَ الْجَانِّ بِالْكَلِمَةِ يَتَلَقَّاهَا مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ ﴿وَلَا يَجُوزُ﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَخَطُّهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسْرِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي الرُّسُولِ ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ أَيِ قَوَارِعِ الدَّهْرِ، وَالْمُنُونُ: الْمَوْتُ. يَقُولُونَ: نَنْتَظِرُهُ وَنَضْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ فَتَسْتَرِيحُ مِنْهُ وَمِنْ شَأْنِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أَيِ انْتَظِرُوا فَإِنِّي مُنْتَظَرٌ مَعَكُمْ، وَتَسْتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: اخْتَبِسُوهُ فِي وَتَاقٍ وَتَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ: زُهَيْرٌ وَالتَّابِغَةُ إِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾^(١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهِدًا﴾ أَيِ غُفُولُهُمْ تَأْمُرُهُمْ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ فَيَكُ مِنْ الْأَقَاوِيلِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهَا كَذِبٌ وَزُورٌ ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَيِ وَلَكِنْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ضَلَالٌ مُعَانِدُونَ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى مَا قَالُوهُ فَيَكُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ أَيِ اخْتَلَقَهُ وَافْتَرَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ يَعْتُونَ الْقُرْآنَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيِ كُفْرُهُمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أَيِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿تَقَوْلُهُ وَافْتَرَاهُ﴾ فَلْيَأْتُوا بِمِثْلٍ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ اجْتَمَعُوا هُمْ وَجَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَا جَاءُوا بِمِثْلِهِ، وَلَا بِعَسْرِ سُوْرٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَلَا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٢) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ^(٣) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُهَيِّطُونَ^(٤) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِطَلْقٍ مُبِينٍ^(٥) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ^(٦) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ^(٧) أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَذَابُ فَمَا يَكْتُوبُونَ^(٨) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ^(٩) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ^(١٠)

[أَسْأَلُهُ تَثْبِثُ التَّوْحِيدَ وَتَنْفِي حَيْلِ الْمُشْرِكِينَ]

هَذَا الْمَقَامُ فِي إثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أَيِ أَوْجَدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ أَمْ هُمُ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ أَيِ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١١) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١٢) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُهَيِّطُونَ^(١٣) كَادَ قَلْبِي أَنْ يُطِيرَ^(١٤). وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقٍ^(١٥). وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ كَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي فِئَاءِ الْأَسَارَى، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا، فَكَانَ سَمَاعُهُ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ جُمْلَةٍ مَا حَمَلَهُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَيِ أَهْمُ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ وَهَذَا إِنكَارٌ عَلَيْهِمْ فِي شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَكِنْ عَدَمُ إِيقَانِهِمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُهَيِّطُونَ﴾ أَيِ أَهْمُ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْمُلْكِ وَيَبْدِئُهُمْ مَفَاتِيحُ الْخَزَائِنِ ﴿أَمْ هُمُ الْمُهَيِّطُونَ﴾ أَيِ الْمُحَاسِبُونَ لِلْخَلَائِقِ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ الْقَعَالُ لِمَا يَرِيدُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ﴾ أَيِ مِرْقَاةً إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِطَلْقٍ مُبِينٍ﴾ أَيِ فَلْيَأْتِ الَّذِي يَسْتَمِيعُ لَهُمْ بِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ عَلَى صِحَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ، أَيِ وَلَيْسَ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى ذَلِكَ فَلْيَسْأَلُوا عَلَى شَيْءٍ وَلَا لَهُمْ دَلِيلٌ، ثُمَّ قَالَ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ فِيمَا نَسَبُوهُ

(١) الطبري: ٤٧٩/٢٢ إسناده ضعيف لتدليس محمد بن إسحاق ولم يصرح بالسماع (٢) فتح الباري: ٤٦٩/٨ (٣) فتح الباري: ٢٨٩/٢ و١٩٤/٦ و٣٧٥/٧ ومسلم: ٣٣٨/٣ و٣٣٩

إِلَيْهِ مِنَ الْبَنَاتِ وَجَعَلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَارْتَبَتْنَهُنَّ
لِأَنفُسِهِنَّ الذُّكُورَ عَلَى الْإِنَاثِ، بَحِثْ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ
بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، هَذَا وَقَدْ جَعَلُوا
الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ لِلَّهِ وَعَبَدُوهُمْ مَعَ اللَّهِ فَقَالَ: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتُ
وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ
أَجْرًا﴾ أَيْ أَجْرَةَ إِبْلَاغِكَ إِيَّاهُمْ رَسُولَ اللَّهِ، أَيْ لَسْتَ تَسْأَلُهُمْ
عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ﴿فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُمْقِلُونَ﴾ أَيْ فَهُمْ مِنْ أَدْنَى
شَيْءٍ يَتَّبِعُونَ مِنْهُ وَيَتَّبِعُهُمْ وَيَسْقُ عَلَيْهِمْ ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْبُونَ﴾ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ
كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: أَمْ يُرِيدُ هَؤُلَاءِ يَقُولُهُمْ
هَذَا فِي الرُّسُولِ وَفِي الَّذِينَ غُرُورَ النَّاسِ وَكَيَّدَ الرَّسُولُ
وَأَصْحَابِهِ، فَكَيَّدَهُمْ إِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالُهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَالَّذِينَ
كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَهَذَا إِنْكَارٌ شَدِيدٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ
الْأَصْنَامَ وَالْأَنْدَادَ مَعَ اللَّهِ، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَمَّا
يَقُولُونَ وَيَقْتُرُونَ وَيُشْرِكُونَ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
﴿وَأَنْ بَرَّأُوا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ فَذَرَهُمْ
حَتَّى يَلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
مُحَمَّدَ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُحُومِ ﴿٤٩﴾﴾

سُورَةُ الطُّورِ

يَرْجِعُونَ [السجدة: ٢١] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ تُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَبْلِيهِمْ فِيهَا
بِالْمَصَائِبِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَيُتَّيْسُونَ، فَلَا يَفْهَمُونَ مَا يَرَادُ
بِهِمْ، بَلْ إِذَا جُلِّيَ عَنْهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ، عَادُوا إِلَى أَسْوَأَ مَا
كَانُوا عَلَيْهِ، وَفِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ: كَمْ أَغْصَبَكَ وَلَا تُعَاقِبْنِي؟
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عَبْدِي! كَمْ [أَعَاقَبْتُكَ] وَأَنْتَ لَا تَدْرِي؟

[أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ بِالصَّبْرِ وَالتَّسْبِيحِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أَيْ أَصْبِرْ
عَلَى آذَانِهِمْ وَلَا تُبَالِهِمْ فَإِنَّكَ بِمَرَأَى مِنَّا وَتَحْتَ كَلَاءَتِنَا وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
تَقُومُ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: أَيْ إِلَى الصَّلَاةِ. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ^(١).
وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: هَذَا
فِي ابْتِدَاءِ الصَّلَاةِ^(٢). وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَنْ أَبِي

يَقُولُونَ وَيَقْتُرُونَ وَيُشْرِكُونَ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
﴿وَأَنْ بَرَّأُوا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ فَذَرَهُمْ
حَتَّى يَلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
مُحَمَّدَ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُحُومِ ﴿٤٩﴾﴾

[بَيَانُ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِالْعِنَادِ وَالْمُكَابَرَةِ
لِلْمَحْسُوسِ ﴿وَأَنْ بَرَّأُوا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُوا سَحَابٌ﴾ أَيْ عَلَيْهِمْ
يُعَذَّبُونَ بِهِ. لَمَّا صَدَّقُوا، وَلَمَّا أَيقَنُوا بَلْ يَقُولُونَ: هَذَا
سَحَابٌ مَرْكُومٌ، أَيْ مُتَرَاكِمٌ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا
سُكْرَتُ أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ [الحجر: ١٤، ١٥].
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أَيْ دَعَهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿حَتَّى يَلْقَوْا
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أَيْ لَا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا مَكْرُهُمُ الَّذِي
اسْتَعْمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا، لَا يَجْزِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئًا ﴿وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ
ذَلِكَ﴾ أَيْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَلَنُدَبِّقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ

سُورَةُ الطُّورِ

٥٢٦

الْمِيقَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ هَاجِنَةِ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذِغْنِي السِّدْرَةَ مَا يَغْنَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُرَىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنُوءَ
الثَّالِثَةِ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَذْكُرْ لَوْ أَن تَنبَأُ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قَسَمَهُ
ضُرَيْكُ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٤﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٦﴾ وَكَمِ مِنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنَى
سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٧﴾

تفسير سورة النجم وهي مكية

[أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ
فِيهَا سَجْدَةٌ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ قَالَ: فَسَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ
خَلْفَهُ، إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ ثُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ،
فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ (١٢). وَقَدْ

- (١) أحمد: ٥٠/٣ وأبو داود: ٤٩٠/١ وتحفة الأحوذى: ٤٧/٢
و ٥٠ والنسائي: ١٣٢/٢ وابن ماجه: ٢٦٤/١ و ٢٦٥ (٢)
القرطبي: ٧٩/١٧ (٣) الطبري: ٤٨٨/٢٢ (٤) أحمد: ٥/٥
٣١٣ (٥) فتح الباري: ٤٧/٣ وأبو داود: ٣٠٥/٥ وتحفة
الأحوذى: ٣٥٩/٩ والنسائي في الكبرى: ٢١٥/٦ وابن ماجه:
١٢٧٦/٢ (٦) القرطبي: ٧٨/١٧ (٧) تحفة الأحوذى: ٩/٩
٣٩٢ والنسائي في الكبرى: ١٠٥/٦ (٨) الحاكم: ٥٣٦/١
(٩) الطبري: ٣٧٩/٢٢ (١٠) فتح الباري: ٥٥/٣ ومسلم: ١/١
٥٠١ (١١) مسلم: ٥٠١/١ (١٢) فتح الباري: ٤٨٠/٨

سَعِيدٌ وَغَيْرُهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ (١). وَقَالَ
أَبُو الْجَوَزَاءِ: ﴿وَسَيَحْجِدُ بِكَ حَيْنَ يَقُومُ﴾ أَيُّ مِنْ نَوْمِكَ مِنْ
فِرَاشِكَ (٢). وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٣). وَيَتَأَيَّدُ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا
رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَى مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ
أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي -
أَوْ قَالَ: ثُمَّ دَعَا - اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ عَزَمَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى،
فَبِلَتْ صَلَاتُهُ» (٤). وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَأَهْلُ
السُّنَنِ (٥). وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَسَيَحْجِدُ بِكَ
رَبِّكَ حَيْنَ يَقُومُ﴾ قَالَ: مِنْ كُلِّ مَجْلِسٍ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي
إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ ﴿وَسَيَحْجِدُ بِكَ حَيْنَ يَقُومُ﴾
قَالَ: إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ قَالَ: سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ (٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَلَسَ فِي
مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ:
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ
ذَلِكَ». رَوَاهُ الثَّرِمِذِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ وَالنَّسَائِيُّ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ. وَقَالَ الثَّرِمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ (٧). وَأَخْرَجَهُ
الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، وَقَالَ: إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ (٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أَيُّ اذْكُرْهُ وَاعْبُدْهُ
بِالتَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ
فَتَسْجُدْ بِهِ نُافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾
[الْإِسْرَاءُ: ٧٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَرَّ النَّجُورُ﴾ فِي حَدِيثٍ
ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُمَا الرَّكْعَتَانِ اللَّتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ،
فَإِنَّهُمَا مَشْرُوعَتَانِ عِنْدَ إِذْبَارِ النَّجُومِ أَيُّ عِنْدَ جُنُوحِهَا
لِلْعَيُوبَةِ (٩). وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَاتُلِ
أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ (١٠). وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ:
«رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (١١).

أَجْرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطُّورِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ. فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اُكْتُبْ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا الْحَقُّ»^(٤). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٥).

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ٨ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ٩ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١١ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ١٥ ﴿إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ١٦ ﴿مَا رَآهُ الْبَصَرُ وَمَا طَفَىٰ﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَابَتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٨

[مُعَلِّمُ الرُّسُولِ الْأَمِينُ هُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ]

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ عَلَّمَهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَى النَّاسِ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٢ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ١٠ ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أَيُّ ذُو قُوَّةٍ: قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ^(٦). وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيِّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سِوَيَّ»^(٧). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَوَى﴾ يَعْنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَهُ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ^(٨). ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ يَعْنِي جِبْرِيلُ اسْتَوَى فِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى. قَالَهُ عِكْرَمَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ. قَالَ عِكْرَمَةُ: وَالْأُفُقُ الْأَعْلَى الَّذِي يَأْتِي مِنْهُ الصُّبْحُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ مَطْلَعُ الشَّمْسِ^(٩). وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الَّذِي يَأْتِي مِنْهُ النَّهَارُ^(١٠). وَكَذَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ [أَيِ ابْنِ مَسْعُودٍ] أَنَّهُ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٌ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنْ التَّهَاولِ وَالذُّرِّ وَالْيَأْقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ^(١١). انْفَرَدَ بِهِ

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرَفٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ^(١٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ٢ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَىٰ﴾ ٣ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ٤ ﴿أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَىٰ أَنَّا الرَّسُولَ حَقٌّ وَمَا يَنْطِقُ

إِلَّا بِالْوَحْيِ]

قَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ: الْخَالِقُ يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقْسِمَ إِلَّا بِالْخَالِقِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: يَعْنِي بِالنَّجْمِ الثَّرَيَّا إِذَا سَقَطَ مَعَ الْفَجْرِ^(١٣). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إِذَا رَمِيَ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَفْسِدُ يَوْمَئِذٍ الصُّلُوحَ﴾ ٥٥ وَإِنَّهُ لَفَسَدٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٥٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٥٧ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ٥٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٥٩ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ ٦٠ [الواقعة: ٧٥-٨٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الشَّهَادَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ لَيْسَ بِضَالٍّ، وَهُوَ الْجَاهِلُ الَّذِي يَسْتَلِكُ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ بَغْيٍ عِلْمَ، وَالْعَاوِي هُوَ الْعَالِمُ بِالْحَقِّ، الْعَادِلُ عَنْهُ قَضْدًا إِلَى غَيْرِهِ، فَتَزَهَّ اللَّهُ رَسُولُهُ وَشَرَعُهُ، عَنْ مُشَابَهَةِ أَهْلِ الضَّلَالِ كَالنَّصَارَى وَطَرَائِقِ الْيَهُودِ، وَهِيَ: عِلْمُ الشَّيْءِ وَكَيْفَانُهُ، وَالْعَمَلُ بِخِلَافِهِ، بَلْ هُوَ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَمَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ الْعَظِيمِ، فِي غَايَةِ الْإِسْقَامَةِ وَالْإِعْتِدَالِ وَالسَّدَادِ.

[رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ]

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أَيُّ مَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوَى وَغَرَضٍ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أَيُّ إِنَّمَا يَقُولُ مَا أُمِرَ بِهِ يُبَلِّغُهُ إِلَى النَّاسِ كَامِلًا مَوْفُورًا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «[لَيْدُخْلَن] الْجَنَّةُ شَفَاعَةٌ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيِّ مِثْلِ الْحَيِّينِ - أَوْ مِثْلِ أَحَدِ الْحَيِّينِ - رَبِيعَةً وَمُضَرَّ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْ مَا رَبِيعَةٌ مِنْ مُضَرٍّ؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ»^(١٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَهَنَنْتَنِي فُرُشٌ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ

(١) فتح الباري: ٢/٦٤١ و ٦٤٣ و ٧/٢٠٢ و ٣٤٨ و مسلم: ١/٤٠٥

أبو داود: ١٢٢/٢ والنسائي: ١٦٠/٢ (٢) الطبري: ٢٢/٤٩٥

(٣) أحمد: ٥٧/٢٥٧ (٤) أحمد: ١٦٢/٢ (٥) أبو داود: ٦٠/٤

(٦) الطبري: ٢٢/٤٩٩ والقرطبي: ١٧/٨٥ (٧) أبو داود: ٢٨٦/٢ والنسائي: ٩٩/٥

(٨) الطبري: ٢٢/٥٠١ (٩) القرطبي: ١٧/٨٨ (١٠) الطبري: ٢٢/٥٠١ (١١) أحمد: ٣٩٥/١

وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ قَالَ: أَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿أَلَمْ يَحْذَرِكَ يَسْمَا﴾ [الضحى: ٦] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] ^(٦) وَقَالَ غَيْرُهُ: أَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَدْخُلَهَا، وَعَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتُكَ.

[هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؟]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ^(٧) أَفْتَنَدُونَهُ عَلَى مَا رَأَى ﷺ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قَالَ: رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ ^(٨). وَكَذَا رَوَاهُ سِمَاكٌ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ ^(٩). وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمَا: إِنَّهُ رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ ^(١٠).

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ تَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ فَقَفَّ لَهُ شَعْرِي، فَقُلْتُ: رُويَدَا، ثُمَّ قَرَأْتُ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فَقَالَتْ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ، إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ، أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَ بِهِ، أَوْ يَعْلَمُ الْخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [لقمان: ٣٤] فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفُرْيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، لَمْ يَرَهُ فِي صُورِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَرَّةً فِي أَجْيَادٍ وَلَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الْأَفُقَ ^(١١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «رَأَيْتُ نُورًا» ^(١٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ^(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿هَذِهِ هِيَ الْمَرْةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي الْإِسْرَاءِ بِطُرُقِهَا وَالْفَاطِظَهَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ «سُبْحَانَ» بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ

أَحْمَدُ. وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ أَنْ يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: ادْعُ رَبَّكَ، فَدَعَا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَطَلَعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَجَعَلَ يَرْتَفِعُ وَيَنْتَشِرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ صَعِقَ فَاتَّاهُ فَنَعَّشَهُ، وَمَسَحَ الْبَرَقَ عَنْ شِدْقِهِ ^(١٤). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

[تَفْسِيرُ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أَيْ فَاقْتَرَبَ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ لَمَّا هَبَطَ عَلَيْهِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَابَ قَوْسَيْنِ، أَيْ بِقَدَرِهِمَا إِذَا مَدَّا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ ^(١٥). وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ بُعْدُ مَا بَيْنَ وَتَرِ الْقَوْسِ إِلَى كَيْدِهِمَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الصَّيْغَةَ تُسْتَعْمَلُ فِي اللَّغَةِ لِإِثْبَاتِ الْمُخْبِرِ عَنْهُ وَنَفْيِ مَا زَادَ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] أَيْ مَا هِيَ بِأَلْيَنَ مِنَ الْحِجَارَةِ، بَلْ هِيَ مِثْلُهَا أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا فِي الشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ. وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿يَخْتَوُونَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] أَيْ لَيْسُوا أَقَلَّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِائَةُ أَلْفٍ حَقِيقَةً أَوْ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا. فَهَذَا تَحْقِيقٌ - لِلْمُخْبِرِ بِهِ - لَا شَكَّ وَلَا تَرَدُّدَ، فَإِنَّ هَذَا مُمْتَنِعٌ هَهُنَا، وَهَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذَا الْمُقْتَرَبَ الدَّانِي الَّذِي صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هُوَ قَوْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ^(١٦). كَمَا سَنُورِدُ أَحَادِيثَهُمْ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ» ^(١٧).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ طَلْحِ بْنِ عَنَامٍ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّاءَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ^(١٨) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ ^(١٩).

قَوْلُهُ: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ مَعْنَاهُ: فَأَوْحَىٰ جِبْرِيلُ إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ مَا أَوْحَىٰ، أَوْ فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ مَا أَوْحَىٰ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ، وَكِلَا الْمُعْنَيْنِ صَحِيحٌ.

(١) أحمد: ٣٢٢/١ إسناده ضعيف فيه إدريس بن منبه ضعيف [تقريب ٣٣٤] قال الدار فطنى متروك [ميزان الاعتدال ١/ ١٤٩] (٢) الطبري: ٥٠٣/٢٢ وعبدالرزاق: ٢٥٠/٣ (٣) الطبري: ٥٠٤/٢٢ (٤) الطبري: ٥٠٣/٢٢ (٥) فتح الباري: ٤٧٦/٨ (٦) القرطبي: ٥٢/١٧ (٧) مسلم: ١٥٨/١ (٨) الطبري: ٥٠٧/٢٢ (٩) الطبري: ٥٠٨/٢٢ (١٠) تحفة الاحوذى: ١٦٧/٩ (١١) مسلم: ١٦١/١

[غَشِيَانُ الْمَلَائِكَةِ وَالنُّورِ وَالْأَلْوَانِ السَّدْرَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ غَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ الْغُرَبَانِ، وَغَشِيَتْهَا نُورُ الرَّبِّ، وَغَشِيَتْهَا أَلْوَانٌ مَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبَضُ مِنْهَا ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قَالَ فَرَأَسَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: وَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُتَحِمَّاتِ ^(٨). انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ ^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا ذَهَبَ بَيْنَنَا وَلَا شِمَالًا ^(١٠). ﴿وَمَا طَغَى﴾ مَا جَاوَزَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَهَذِهِ صِفَةُ عَظِيمَةٍ فِي الثَّبَاتِ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مَا فَعَلَ إِلَّا مَا أُمِرَ بِهِ وَلَا سَأَلَ فَوْقَ مَا أُعْطِيَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ١٠] أَيْ الدَّلَالَةَ عَلَى قُدْرَتِنَا وَعَظَمَتِنَا، وَبِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْتَدَلَّ مَنْ ذَهَبَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الرُّؤْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَمْ تَنْفَعْ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وَلَوْ كَانَ رَأَى رَبَّهُ لَأَخْبَرَ بِذَلِكَ وَلَقَالَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمِنَوَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخَرَى ^(١١) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ^(١٢) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ^(١٣) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أُنثَىٰ وَابْنًا وَكَرَّمَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَبْعُونَ إِلَّا أَلْطَنَ وَمَا تَهْوَى الْأُنْثَىٰ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ^(١٤) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ^(١٥) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ^(١٦) وَكَرَّمَا مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَىٰ ^(١٧)

[الَرْدُ عَلَى عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ وَبَيَانِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُقَرِّعًا لِلْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ

(١) أحمد: ١/٤٦٠ (٢) أحمد: ١/٣٩٥ (٣) أحمد: ١/٤٠٧ (٤) أحمد: ١/٤٠٧ (٥) أحمد: ٦/٤٩ (٦) أحمد: ٦/٢٤١ (٧) فتح الباري: ٨/٤٧٢ ومسلم: ١/٣٥٩ (٨) أحمد: ١/٤٢٢ (٩) مسلم: ١/١٥٧ (١٠) الطبري: ٢٢/٥٢١

فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ وَلَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاقُوتُ مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ» ^(١). وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ، يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاقُوتِ مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ^(٢). إِسْنَادُهُ حَسَنٌ أَيْضًا.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ وَلَهُ سِتْمَاءَةٌ جَنَاحٌ» سَأَلْتُ عَاصِمًا عَنْ الْأَجْنِحَةِ فَأَبَى أَنْ يُخْبِرَنِي، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنَّ الْجَنَاحَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ^(٣). وَهَذَا أَيْضًا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ. وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُضْرٍ مُعَلَّنٍ بِهِ الدَّرُّ» ^(٤). إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ أَيْضًا. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَامِرٍ قَالَ: أَتَى مَسْرُوقٌ عَائِشَةَ فَقَالَ: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ! هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! لَقَدْ فَتَّ شَعْرِي لِمَا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيَ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِّ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ... الْآيَةِ [الْقَمَان: ٣٤]. وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَتْلَاهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الْمائدة: ٦٧] وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ ^(٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُنْثَى الْيُسْبَىٰ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ جِبْرِيلُ» لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ، رَأَهُ مِنْهُيْطًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ سَادًّا عَظُمَ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ^(٦). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ بِهِ ^(٧).

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ
الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُعْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِنْمِ وَالْفَوْحِ إِلَّا اللَّهُ
إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَإِذَا تُنْتَصَرُونَ أَجَعَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
﴿٣٤﴾ أَعَنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي صُحُفٍ
مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَّلُ الذِّكْرَ وَنُنَزِّلُ الْأَنْزِيلَ
﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ
يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى
﴿٤٢﴾ وَأَنْهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنْهُ هُوَ مَاتَ وَحَيًّا ﴿٤٤﴾

وَكَانَ سَدَنَّتْهَا وَحُجَابُهَا بَنِي مُعْتَبٍ ^(٧). (قُلْتُ): وَقَدْ بَعَثَ
إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَغْبِرَةَ بِنَ شُعْبَةَ، وَأَبَا سُفْيَانَ صَخْرَ
ابْنِ حَرْبٍ، فَهَدَمَاهَا وَجَعَلَا مَكَانَهَا مَسْجِدًا بِالطَّائِفِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ «مَنَاة» لِلْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَمَنْ
دَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ
الْمُسَلَّلِ بِقُدَيْدٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا أَبَا سُفْيَانَ صَخْرَ
ابْنِ حَرْبٍ فَهَدَمَهَا - وَيُقَالُ: عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ - قَالَ:
وَكَانَتْ ذُو الْخَلَصَةِ لِدَوْسٍ وَخَنَعَمَ وَبَجِيلَةَ، وَمَنْ كَانَ
بِيَلَادِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ بَتَالَةً ^(٨). (قُلْتُ): وَكَانَ يُقَالُ لَهَا:
«الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَّةُ»، وَلِلْكَعْبَةِ الَّتِي بِمَكَّةَ الْكَعْبَةُ الشَّامِيَّةُ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَرِيرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّجَلِيَّ فَهَدَمَهَا،

وَالْأَنْدَادَ وَالْأَوْتَانَ، وَاتَّخَذُوا لَهَا النُّبُوتَ مُضَاهَاةً لِلْكَعْبَةِ
الَّتِي بَنَاهَا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ﴾
وَكَانَتْ اللَّاتُ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَنْقُوشَةً وَعَلَيْهَا بَيْتٌ
بِالطَّائِفِ، لَهُ أَسْتَارٌ وَسَدَنَةٌ وَحَوْلُهُ فَنَاءٌ مُعْظَمٌ عِنْدَ أَهْلِ
الطَّائِفِ، وَهُمْ ثَقِيفٌ وَمَنْ تَابَعَهَا، يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَى مَنْ
عَدَاهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بَعْدَ قُرَيْشٍ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:
وَكَانُوا قَدْ اسْتَفَقُوا اسْمَهَا مِنْ اسْمِ اللَّهِ فَقَالُوا: اللَّاتُ،
يَعْنُونَ مُؤَنَّثَةً مِنْهُ. تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوءًا كَبِيرًا، وَخُكِّي
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: أَنَّهُمْ قَرَأُوا
(اللَّاتُ) بِتَشْدِيدِ التَّاءِ وَفَسَّرُوهُ بِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا يَلْتُ لِلْحَجِيجِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ السُّوَيْقِ، فَلَمَّا مَاتَ عَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ
فَعَبَدُوهُ ^(١). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّاتُ وَالْعُزَّى﴾ قَالَ: كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلْتُ
السُّوَيْقِ سُوَيْقَ الْحَاجِّ ^(٢). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَذَا الْعُزَّى مِنْ
الْعَزِيرِ، وَكَانَتْ شَجَرَةً عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَأَسْتَارٌ بِنَخْلَةٍ، وَهِيَ بَيْنَ
مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ يُعْظَمُونَهَا ^(٣). كَمَا قَالَ أَبُو
سُفْيَانَ يَوْمَ أُحُدٍ: لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ» ^(٤).

وَأَمَّا مَنَاةُ فَكَانَتْ بِالْمُسَلَّلِ عِنْدَ قُدَيْدٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ،
وَكَانَتْ خُرَاعَةً وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يُعْظَمُونَهَا
وَيُهْلُونَ مِنْهَا لِلْحَجِّ إِلَى الْكَعْبَةِ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ
نَحْوَهُ ^(٥). وَقَدْ كَانَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا طَوَائِفُ أُخَرُ
تُعْظَمُهَا الْعَرَبُ كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ. غَيْرَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي نَصَّ
عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيرِ، وَإِنَّمَا أَفْرَدَ هَذِهِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشْهُرُ
مِنْ غَيْرِهَا.

وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا
الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سُمُرَاتٍ، فَقَطَعَ
السُّمُرَاتِ وَهَدَمَ النَّبْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ
فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا» فَارْجَعَ خَالِدٌ،
فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَبَبَتْهَا أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ وَهُمْ
يَقُولُونَ: يَا عُزَّى! يَا عُزَّى! فَأَتَاهَا خَالِدٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ غُرَيَانَةٌ
نَاشِرَةً شَعْرَهَا تَحْتُو الثَّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَسَسَهَا بِالسَّيْفِ
حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ:
«يَلْتُ الْعُزَّى!» ^(٦).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ اللَّاتُ لَثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ،

(١) الطبري: ٥٢٣/٢٢ (٢) فتح الباري: ٤٧٨/٨ (٣) الطبري: ٥٢٣/٢٢ (٤) فتح الباري: ١٨٨/٦ (٥) فتح الباري: ٤٧٩/٨ (٦) النسائي في الكبرى: ٤٧٤/٦ (٧) ابن هشام: ٨٧/١ (٨) ابن هشام: ٨٧/١

[لَا يَحْصُلُ الْخَيْرُ بِالْتَّمَنَى]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أَي لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَمَنَّى خَيْرًا حَصَلَ لَهُ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] مَا كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُهْتَدٍ يَكُونُ كَمَا قَالَ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَدَّ شَيْئًا يَحْصُلُ لَهُ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَنْظُرْ مَا يَتَمَنَّى، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يَكْتَسِبُ لَهُ مِنْ أُمِّيَّتِهِ»^(٢). تَقَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أَي إِنَّمَا الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ مَالِكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْمُتَصَرِّفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

[لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَى﴾ كَقَوْلِهِ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» [البقرة: ٢٥٥] «وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» [سبا: ٢٣] فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ شَفَاعَةَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ تَعَالَى لَمْ يَشْرَعْ عِبَادَتَهَا وَلَا أَدْنِ فِيهَا، بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهَا عَلَى أَلْسِنَةِ جَمِيعِ رُسُلِهِ، وَأَنْزَلَ بِالْهَيِّ عَنِ ذَلِكَ جَمِيعَ كُتُبِهِ؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْهَيْوَةَ الدُّنْيَا﴾^(٣) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعُلُوِّ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٢٤﴾

[الرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي رَعْمِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ

بَنَاتُ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي تَسْمِيَّتِهِمُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى، وَجَعَلِهِمْ لَهَا أَهْنًا بَنَاتُ اللَّهِ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ - كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَخِطَ شَهَدَتُهُمْ وَسُكُوتُ﴾ [الزخرف: ١٩] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أَي لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ صَحِيحٌ يُصَدِّقُ مَا قَالُوهُ، بَلْ هُوَ كَذِبٌ وَزُورٌ

قَالَ: وَكَانَتْ [فَلَسْ] لَطِيءٌ وَمَنْ يَلِيهَا بِجَبَلٍ طَيِّءٍ مِنْ سَلْمَى وَأَجَا. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَهَدَمَهُ، وَأَصْطَفَى مِنْهُ سِتْفَيْنِ: الرَّسُوبَ وَالْمُخَذَّم، فَفَقَلَهُ إِيَّاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهَمَّا سِتْفًا عَلِيٌّ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ لِحِمِيرَ وَأَهْلِ الْيَمَنِ بَيْتٌ بِصَنْعَاءَ يُقَالُ لَهُ: «وِيَامٌ» وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ بِهِ كَلْبٌ أَسْوَدٌ، وَأَنَّ الْحَبْرَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَهَبَا مَعَ تَبَعٍ اسْتَخْرَجَاهُ وَقَتَلَاهُ وَهَدَمَا الْبَيْتَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ «رُضَاءُ» بَيْتًا لِابْنِي رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةُ ابْنِ تَمِيمٍ^(١). وَلَهَا يَقُولُ الْمُسْتَوْغِرُ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدٍ حِينَ هَدَمَهَا فِي الْإِسْلَامِ:

وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءَ شَدَّةً

فَتَرَكْتُهَا قَفْرًا بِقَاعِ أَسْمَحَا
وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ «ذُو الْكَعْبَاتِ» لِيَكْرَ وَتَغْلِبَ ابْنِي وَائِلَ وَإِيَادَ «بِسَنَادٍ». وَلَهُ يَقُولُ أَعْشَى بْنُ قَيْسٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

بَيْنَ الْخَوَزَنَةِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ

وَالْبَيْتِ ذُو الْكَعْبَاتِ مِنْ سَنَادِ

[الرَّدُّ عَلَى مُعْتَقِدِ الْمُشْرِكِينَ فِي تَذْكِيرِ الْأَنْدَادِ

وَتَأْنِيثِ الْمَلَائِكَةِ]

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمَنْزُورَةَ الْفَالَتَةَ الْآخِرَى ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْكُفْرُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْإِنثَى﴾ أَي أَتَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَتَجْعَلُونَ وَلَدَهُ أَثْنَى، وَتَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِكُمُ الذِّكْرَ، فَلَوْ أَفْتَسَمْتُمْ أَنْتُمْ وَمَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ هَذِهِ الْقِسْمَةَ لَكَانَتْ «قِسْمَةُ ضِرَى» أَي جَوْرًا بَاطِلَةً، فَكَيْفَ تُقَاسِمُونَ رَبَّكُمْ هَذِهِ الْقِسْمَةَ الَّتِي لَوْ كَانَتْ بَيْنَ مَخْلُوقَيْنِ كَانَتْ جَوْرًا وَسَفَهًا؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ فِيمَا ابْتَدَعُوهُ وَأَحْدَثُوهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِفْرَاءِ وَالْكُفْرِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَتَسْمِيَّتِهَا إِلَهَةً: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أُنْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْثَى وَآبَاؤُكُمْ﴾ أَي مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» أَي مِنْ حُجَّةٍ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أَي لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ سَلَكَوا هَذَا الْمَسْلَكَ الْبَاطِلَ قَبْلَهُمْ، وَإِلَّا حَظَّ نَفْسِهِمْ فِي رِيَّاسَتِهِمْ وَتَعْظِيمِ آبَائِهِمُ الْأَقْدَمِينَ. «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» أَي وَلَقَدْ أُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ الْمُنِيرِ وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَمَعَ هَذَا مَا اتَّبَعُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ وَلَا انْقَادُوا لَهُ.

(١) ابن هشام: ٨٩/١ (٢) أحمد: ٣٥٧/٢ إسناده ضعيف والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة (٢٢٥٥)

قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزُّنَا، أَذْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَرْنَا اللِّسَانَ النَّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَتَمَّى وَتُسْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدَّقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذَبُهُ»^(٣) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٤).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: زَنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرُ، وَزَنَا الشَّفَتَيْنِ التَّقِيلُ، وَزَنَا الْيَدَيْنِ الْبُطْشُ، وَزَنَا الرَّجْلَيْنِ الْمَسِي، وَيُصَدَّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذَبُهُ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِفَرْجِهِ كَانَ زَانِيًا وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ^(٥). وَكَذَا قَالَ مَسْرُوقٌ^(٦) وَالشَّعْبِيُّ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَافِعٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: ابْنُ لُبَابَةَ الطَّائِفِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِلَّا اللَّمَمُ﴾ قَالَ: الْقُبْلَةُ وَالْعُمُزَةُ وَالنَّظْرَةُ وَالْمُبَاشَرَةُ، فَإِذَا مَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، وَهُوَ الزُّنَا^(٧).

[الترغيب في التوبة والنهي عن تركية النفس]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ﴾ أَي رَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَمَغْفِرَتُهُ تَسَعُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، لِمَنْ تَابَ مِنْهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَيَّ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُوفُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُذِّبِ أَنْشَاكُمْ مِنْ الْأَرْضِ﴾ أَي هُوَ بَصِيرٌ بِكُمْ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ الَّتِي سَتُصَدَّرُ عَنْكُمْ، وَتَفْعُ مِنْكُمْ حِينَ أَنْشَأَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ، وَاسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ضُلْبِهِ أَمْثَالَ الذَّرِّ ثُمَّ قَسَمَهُمْ قَرِيقَيْنِ: قَرِيقًا لِلْحَيَّةِ وَقَرِيقًا لِلسَّعِيرِ. وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَنْتَ أَنتَرُ أَجَنَّةً فِي بَطْنٍ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٨).

يُؤَكِّلُ بِهِ: رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؟ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَي تَمَدُّحُهَا وَتَشْكُرُهَا وَتَمُنُّوا بِأَعْمَالِكُمْ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ قِتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]. وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَتِي بَرَّةَ، فَقَالَتْ لِي زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ هَذَا الْإِسْمِ، وَسَمِيتُ بَرَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا

وَأَفْتِرَاءً وَكُفْرًا شَنِيعٌ». «إِنْ يَلْبِغُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» أَي لَا يُجِدِّي شَيْئًا وَلَا يَقُومُ أَبَدًا مَقَامَ الْحَقِّ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(٩).

[الأمر بالإعراض عن أهل الباطل]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أَيِ اعْرِضْ عَنِ الَّذِي اعْرِضَ عَنِ الْحَقِّ وَاهْجُرْهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ رُذِّ إِلَّا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا﴾ أَيِ وَإِنَّمَا أَكْثَرُ هَمِّهِ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِ الدُّنْيَا، فَذَلِكَ هُوَ غَايَةُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ﴾ أَيِ طَلَبُ الدُّنْيَا وَالسَّعْيُ لَهَا هُوَ غَايَةُ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ. وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»^(١٠). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ أَيِ هُوَ الْخَالِقُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْعَالَمِ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ أَبَدًا، لَا فِي شَرْعِهِ وَلَا فِي قُدْرَتِهِ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾^(١١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْوَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُذِّبِ أَنْشَاكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتَ أَنتَرُ أَجَنَّةً فِي بَطْنٍ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(١٢).

[اللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، فَهُوَ يُجَازِي كُلًّا بِحَسَبِهِ] يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، الْحَاكِمُ فِي خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾^(١٣) يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

[صِفَةُ الْمُحْسِنِينَ وَغُفْرَانِ اللَّمَمِ دُونَ الْكِبَايِرِ]

ثُمَّ فَسَّرَ الْمُحْسِنِينَ بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَايِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ، أَيِ لَا يَتَعَاطَوْنَ الْمُحَرَّمَاتِ الْكِبَايِرَ، وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بَعْضُ الصَّغَايِرِ فَإِنَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَسْتُرُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَايِرَ مَا لَكُمْ عَنْهُ تُكْفِرُ عَنْكُمْ سِيَئَاتِكُمْ وَتُذْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، لِأَنَّ اللَّمَمَ مِنْ صَغَايِرِ الذُّنُوبِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١) فتح الباري: ٤٤١/٥ (٢) تحفة الأحوذى: ٤٧٦/٩ (٣)

أحمد: ٢٧٦/٢ (٤) فتح الباري: ٢٨/١١ ومسلم: ٢٠٤٦/٤

(٥) الطبري: ٥٣٧/٢٢ (٦) الطبري: ٥٣٧/٢٢ (٧) الطبري: ٥٣٧/٢٢

[بَيَانُ صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾^(١) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى^(٢) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالثَّوْرِيُّ: أَيْ بَلَغَ جَمِيعَ مَا أُمِرَ بِهِ^(٣). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿وَفَّى﴾ لِلَّهِ بِالْبَلَاغِ^(٤). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿وَفَّى﴾ مَا أُمِرَ بِهِ^(٥). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَفَّى﴾ طَاعَةَ اللَّهِ وَآدَى رِسَالَتَهُ إِلَى خَلْقِهِ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَهُوَ يَسْمَلُ الَّذِي قَبْلَهُ وَيَسْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَبْلُغْ بِرَبِّهِمْ رُبُّهُ يَكَلِّبُ فَاتَمَهُنَّ﴾ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا^(٦) [البقرة: ١٢٣] فَقَامَ بِجَمِيعِ الْأَوَامِرِ وَتَرَكَ جَمِيعَ النَّوَاهِي، وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، فَاسْتَحَقَّ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَنْتَبِخْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي ذَرٍّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «ابْنُ آدَمَ، ارْزُقْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفَلَ أَجْرَهُ»^(٧).

[لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وَزْرَ أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَى يُبَيِّنُ مَا كَانَ أَوْحَاهُ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى فَقَالَ: ﴿أَلَا نَزِدُّ وَزْرَهُ وَزَرَ أَثَرًا﴾ أَيْ كُلُّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ نَفْسَهَا يَكْفُرُ أَوْ شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا عَلَيْهَا وَزْرُهَا لَا يَحْمِلُهُ عَنْهَا أَحَدٌ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِثْلَهُ إِلَى حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨] «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» [النجم: ٣٩] أَيْ كَمَا لَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ وَزْرٌ غَيْرُهُ، كَذَلِكَ لَا يَحْضِلُ مِنَ الْأَجْرِ إِلَّا مَا كَسَبَ هُوَ لِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ

تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ مِنْكُمْ» فَقَالُوا: بِمَ نُسَمِّيْهَا؟ قَالَ: «سَمُوهَا زَيْنَبٌ»^(٨). وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - مِرَارًا - إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيُثَلِّ: أَحْسِبْ فَلَانَا وَاللَّهِ حَسِيْبُهُ، وَلَا أَرْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ»^(٩). وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ^(١٠).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُثْمَانَ فَأَتَى عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ قَالَ: فَجَعَلَ الْوِفْدَادُ ابْنَ الْأَسْوَدِ يَحْتَوِي وَجْهَهُ التُّرَابَ وَيَقُولُ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا لَقِينَا الْمَدَاحِينَ أَنْ نَحْتَوِي فِي وَجْهِهِمْ التُّرَابَ^(١١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ^(١٢).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَكَّى﴾^(١٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى^(١٤) أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى^(١٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى^(١٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى^(١٧) أَلَا نَزِدُّ وَزْرَهُ وَزَرَ أَثَرًا^(١٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى^(١٩) وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ يَرَى^(٢٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى^(٢١)

[الذِّمُّ لِمَنْ تَوَلَّى عَنِ الطَّاعَةِ وَبَخِلَ بِالْمَالِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِ] يَقُولُ تَعَالَى ذِمًّا لِمَنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّ﴾^(٢٢) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَكَّى^(٢٣) [القيامة: ٣١، ٣٢] «وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَعْطَى قَلِيلًا ثُمَّ قَطَعَهُ^(٢٤). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٢٥). قَالَ عِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ: كَمَثَلِ الْقَوْمِ إِذَا كَانُوا يَحْفَرُونَ بَنَاءً، فَيَجِدُونَ فِي أَثْنَاءِ الْحَفْرِ صَخْرَةً تَمْنَعُهُمْ مِنْ تَمَامِ الْعَمَلِ فَيَقُولُونَ: «أَكْدَيْنَا»^(٢٦) وَيَتْرَكُونَ الْعَمَلَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أَيْ أَعْنَدَ هَذَا الَّذِي قَدْ أَمْسَكَ يَدَهُ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَقَطَعَ مَعْرُوفَهُ، أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ أَنَّهُ سَيَقْدُمُ مَا فِي يَدِهِ حَتَّى قَدْ أَمْسَكَ عَنْ مَعْرُوفِهِ فَهُوَ يَرَى ذَلِكَ عَيْنَانَا؟ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. وَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَنِ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ وَالصَّلَاةِ بِخُلَا وَشَحَا وَهَلَعَا، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنْفَقَ بِلَالٌ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِلَّا لَأَ»^(٢٧). وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

(١) مسلم: ١٦٨٧/٣ (٢) أحمد: ٤٦/٥ (٣) فتح الباري: ٣٢٤/٥ و٤٩١/١٠ و٥٦٧ و٢٢٩٦/٤ وأبو داود: ١٥٤/٥ وابن ماجه: ١٢٣٢/٢ (٤) أحمد: ٥/٦ (٥) مسلم: ٢٢٩٧/٤ وأبو داود: ١٥٣/٥ (٦) الطبري: ٥٤١/٢٢ (٧) الطبري: ٥٤٢/٢٢ (*) كذا وقع في النسخ ولعله: أكدتنا بالناء إما بضمير الغائب أو بالمخاطب أو أصله أكدنا وانظر الطبري (٨) الطبراني: ١٩١/١٠ (٩) الطبري: ٥٤٤/٢٢ (١٠) الطبري: ٥٤٣/٢٢ (١١) الطبري: ٥٤٤/٢٢ (١٢) تحفة الأحوذى: ٥٨٥/٢

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ أَيُّ: كَمَا خَلَقَ الْبَدَاءَةَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَهِيَ النَّشَأُ الْآخِرَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أَيُّ مَلَكٌ عِبَادَةُ الْمَالِ، وَجَعَلَهُ لَهُمْ قِيَةً مُؤَيِّمًا عِنْدَهُمْ، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى بَيْعِهِ، فَهَذَا تَمَامُ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى هَذَا يَدُورُ كَلَامٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنْهُمْ: أَبُو صَالِحٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُمَا^(٥). وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَقْنَى﴾: مَوْلٍ، ﴿وَأَقْنَى﴾: أَخْدَمَ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ أَيْضًا: ﴿أَقْنَى﴾: أَعْطَى ﴿وَأَقْنَى﴾: رَضِيَ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّقَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ: هُوَ هَذَا النَّجْمُ الْوَقَادُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: مِرْزَمُ الْجَوَّارِ، كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهُ^(٦). ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وَهُمْ قَوْمٌ هُرِدَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: عَادُ بْنُ إِرَمَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلْنَا بِكَ بِعَادٍ﴾ إِذْ ذَاتَ الْعِمَادِ^(٧) الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ فَكَانُوا مِنَ أَشَدِّ النَّاسِ أَقْوَاهُمْ وَأَعْتَاهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى رَسُولِهِ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ ﴿بِرِيحٍ صَوَّارٍ عَلِيَّةٍ﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا^(٨) [الحاقة: ٧] أَيُّ: مُتَابِعَةً.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمُودًا فَإِنَّهُ﴾ أَيُّ: دَرَسَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيُّ: مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ ﴿إِنَّمَا كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ﴾ أَيُّ أَشَدَّ تَمَرَّدًا مِنَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، ﴿وَالْمُؤَيَّفَكَ أَهْوَى﴾ يَعْنِي: مَدَائِنَ لُوطٍ فَلَبَّاهُ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَائِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَقَسَّهَا مَا عَشَى﴾ يَعْنِي: مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عَلَيْهِمْ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣]، ﴿فِيَا آلَاءَ رَبِّكَ نَسْمَايَ﴾ أَيُّ: فِيهِ أَيُّ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَمْتَرِي؟ قَالَه قَتَادَةُ^(٩). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿فِيَا آلَاءَ رَبِّكَ نَسْمَايَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ أَرَفَتْ الْآرِفَةَ^(١٠) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ^(١١) أَفَنَ هَذَا الْيَدِيثُ تَعَجُّونَ^(١٢) وَتَضْحَكُونَ وَلَا

جَارِيَةً مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ عِلْمٌ يُتَتَّقُ بِهِ^(١٣). فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ مِنْ سَعْيِهِ وَكُدِّهِ وَعَمَلِهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»^(١٤) وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ كَالْوَقْفِ وَنَحْوِهِ هِيَ مِنْ آثارِ عَمَلِهِ وَوَقْفِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ﴾... الْآيَةُ [يس: ١٢]. وَالْعِلْمُ الَّذِي نَشَرَهُ فِي النَّاسِ فَاقْتَدَى بِهِ النَّاسُ بَعْدَهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ سَعْيِهِ وَعَمَلِهِ، وَبُتِيَ فِي الصَّحِيحِ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ اتَّبَعَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»^(١٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَكُمْ سَوْفَ يَرَى﴾ أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلِّيِّهِ النَّبِيِّ فَيَنْتَشِرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] أَيُّ فَيُخَبِّرُكُمْ بِهِ وَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى﴾ أَيُّ الْأَوَّلَى.

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى^(١٦) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا^(١٧) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى^(١٨) مِنْ لُطْفِهِ إِذَا تَنَنَّى^(١٩) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى^(٢٠) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى^(٢١) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّقَى^(٢٢) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى^(٢٣) وَتَمُودًا فَإِنَّهُ أَقْنَى^(٢٤) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ^(٢٥) وَالْمُؤَيَّفَكَ أَهْوَى^(٢٦) فَقَسَّهَا مَا عَشَى^(٢٧) فِيَا آلَاءَ رَبِّكَ نَسْمَايَ^(٢٨)

[بعضُ صِفَاتِ الرَّبِّ، وَأَنَّهُ يُعِيدُ الْإِنْسَانَ كَمَا بَدَأَهُ، وَذَكَرَ بَعْضُ مَا فَعَلَهُ بِعِبَادِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أَيُّ الْمَعَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا مَعَادُ بْنُ جَبَلٍ فَقَالَ: يَا بَنِي أَوْدٍ! إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ، تَعْلَمُونَ: أَنَّ الْمَعَادَ إِلَى اللَّهِ، إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ^(٢٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أَيُّ خَلَقَ فِي عِبَادِهِ الضَّحِكَ وَالْبُكَاءَ وَسَبَبَهُمَا، وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢].

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ مِنْ لُطْفِهِ إِذَا تَنَنَّى^(٣٠) كَقَوْلِهِ: ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُبْرَكَ سُدًى﴾ أَلَوْ بِكَ لُطْفَةٍ مِنْ مَنِّي يَتَنَّى^(٣١) ثُمَّ كَانَ عِلْقَهُ فَخَلَقَ فَسَوَّى^(٣٢) جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى^(٣٣) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى^(٣٤).

(١) مسلم: ١٢٥٥/٣ (٢) النسائي: ٢٤١/٧ (٣) مسلم: ٤/٢٠٦ (٤) الحاكم: ٨٣/١ فيه سويد بن سعيد قال ابن حجر: صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه وأفحش فيه ابن معين القول [تقريب ٢٩٧٨] (٥) الطبري: ٢٢/٥٤٨ و٥٤٩ (٦) الطبري: ٥٥١/٢٢ (٧) الطبري: ٥٥٦/٢٢

فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ .

ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ

رَوَايَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً، فَأَنْشَقَ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقِيْنِ حَتَّى رَأَوْا جِرَاءَ بَيْنَهُمَا^(٣). وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا مِنْ طُرُقٍ.

رَوَايَةُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ. فَقَالُوا: إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ^(٤). تَفَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَأَسْنَدُهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَالِ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ^(٥).

رَوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ^(٦). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا وَمُسْلِمٌ^(٧). وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾^(٨) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ [القمر: ١، ٢] قَالَ: قَدْ مَضَى ذَلِكَ، كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ انْشَقَّ الْقَمَرُ حَتَّى رَأَوْا شِقَّتَيْهِ^(٩).

(رَوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ قَالَ: وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، انْشَقَّ فَلِقَتَيْنِ، فَلِقَةٌ مِنْ دُونِ الْجَبَلِ وَلِقَةٌ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(١٠). وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾^(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ^(٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ^(٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ^(٤) حَكَمُهُ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الدُّرَّةَ^(٥)

[اِقْتِرَابُ السَّاعَةِ وَأَنْشِقَاقُ الْقَمَرِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَفَرَاغِ الدُّنْيَا وَانْقِصَائِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهُ فَلَا سَتْعَلُوهُ﴾^(٦) وَقَالَ: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ. رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ، عَنْ أَنَسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ أَصْحَابَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا شَيْفٌ يَسِيرٌ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ» وَمَا نَرَى مِنَ الشَّمْسِ إِلَّا يَسِيرًا^(٧).

(حَدِيثٌ آخَرٌ يَعْضُدُ الَّذِي قَبْلَهُ وَيُقَسِّرُهُ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَالشَّمْسُ عَلَى قُعَيْقِعَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ: «مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَارٍ مَنْ مَضَى إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنَ التَّهَارِ فِيمَا مَضَى»^(٨). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا». وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ السَّبَابِ وَالْوُسْطَى^(٩). وَأَخْرَجَاهُ^(١٠).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَهْبِ السَّوَائِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَلِهِ مِنْ هَذِهِ، إِنْ كَادَتْ لَتَسْقِيَنِي» وَجَمَعَ الْأَعْمَشُ بَيْنَ السَّبَابِ وَالْوُسْطَى^(١١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ قَالَ: قَدِمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَهُ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ بِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَشَاهِدُ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيْهِ^(١٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ قَدْ كَانَ هَذَا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ. وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ قَدْ وَقَعَ

(١) مجمع الزوائد: ٣١١/١٠ (٢) أحمد: ١١٥/٢ (٣) أحمد: ٣٣٨/٥ (٤) فتح الباري: ٣٥٥/١١ ومسلم: ٤/٢٢٦٨ (٥) أحمد: ٣٠٩/٤ (٦) أحمد: ٢٢٣/٣ (٧) فتح الباري: ٦٤١/٦ (٨) أحمد: ١٦٥/٣ وقوله: مرتين أي: قطعتين. (٩) مسلم: ٢١٥٩/٤ (١٠) فتح الباري: ٢٢١/٧ و٤٨٤/٨. ومسلم: ٢١٥٩/٤ (١١) أحمد: ٨١/٤ (١٢) دلائل النبوة: ٢٦٨/٢ (١٣) فتح الباري: ٤٨٤/٨ (١٤) فتح الباري: ٢٢١/٧، ومسلم: ٢١٥٩/٤ (١٥) الطبري: ٢٢/٥٦٩ (١٦) دلائل النبوة: ٢٦٧/٢

وَالْتَرْمِذِيُّ^(١) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٢).

(رواية عبد الله بن مسعود) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُوا»^(٣). وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٤).

وَرَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ أَيْضًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَبَلَ مِنْ فَرْجِ الْقَمَرِ جِبْنَ انْشَقَّ^(٥). وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ مِنْ بَيْنِ فُرْجَتَيْ الْقَمَرِ^(٦).

[عِتَادُ الْمُشْرِكِينَ وَمَوْقِفُهُمُ السَّيِّئُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن يَرَوْا آيَةً﴾ أَيُّ: دَلِيلًا وَحُجَّةً وَبَرْهَانًا ﴿يُعْرَضُوا﴾ أَيُّ: لَا يَتَقَادُوا لَهُ، بَلْ يُعْرِضُونَ عَنْهُ وَيَتْرَكُونَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِزٌّ أَيُّ: وَيَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي شَاهَدْنَاهُ مِنَ الْحُجَجِ سِحْرٌ سَجَرْنَا بِهِ. وَمَعْنَى: «مُسْتَعِزٌّ». أَيُّ: ذَاهِبٌ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ^(٧) وَغَيْرُهُمَا. أَيُّ: بَاطِلٌ مُّضْمَحِلٌّ لَا دَوَامَ لَهُ. ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أَيُّ: كَذَّبُوا بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ آرَاءَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ وَسَخَافَةِ عَقْلِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكُلَّ أَمْرٍ مُّسْتَعِزٍّ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْخَيْرَ وَاقِعٌ بِأَهْلِ الْخَيْرِ، وَالشَّرُّ وَاقِعٌ بِأَهْلِ الشَّرِّ^(٨). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: مُسْتَعِزٌّ بِأَهْلِهِ^(٩). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أَيُّ: مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ وَالْعَذَابِ مِمَّا يَنْتَلِي عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أَيُّ: مَا فِيهِ وَاعِظَ لَهُمْ عَنِ الشُّرْكِ وَالْتِمَادِي عَلَى التَّكْذِيبِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ أَيُّ: فِي هِدَايَتِهِ تَعَالَى لِمَنْ هَدَاهُ، وَإِضْلَالِهِ لِمَنْ أَضَلَّهُ، ﴿فَمَا تَعْنِ الْأَنْذُرُ﴾ بَعْغِي: أَيُّ شَيْءٍ تُغْنِي النَّذْرَ عَمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ، فَمَنْ الَّذِي يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ؟ وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْخَالِقُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾ خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّثِيرٌ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ ٥٢٩
خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّثِيرٌ ﴿٧﴾
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجَرَّى بِاعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كَفِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَأَشْرًا مِّمَّا وَحَدَّاثْنَاهُ إِنَّا إِذْ لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا لِهَذَاكَ آيَةً أَشْرًا ﴿٢٥﴾ سَبَعَامُونَ غَدَا مَنِ الْكُذَّابِ ﴿٢٦﴾ أَلْأَشْرَارُ ﴿٢٧﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّافَةَ فَنَنَاهُ عَنْهُمْ فَأَرْسَلْنَاهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٨﴾

[سُوءُ أحوالهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: فَقَوْلَ يَا مُحَمَّدٌ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا: هَذَا سِحْرٌ مُّسْتَعِزٌّ، أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرَهُمْ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ﴾ أَيُّ: إِلَى شَيْءٍ مُّتَّكِرٍ فَطِيعٍ، وَهُوَ مَوْقِفُ الْحِسَابِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، بَلْ وَالزَّلَازِلِ وَالْأَهْوَالِ، ﴿خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ﴾ أَيُّ: ذَلِيلَةً أَبْصَارُهُمْ، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وَهِيَ الْقُبُورُ، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّثِيرٌ﴾ أَيُّ: كَأَنَّهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ وَسُرْعَةِ سَيْرِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِجَابَةً لِلدَّاعِي جَرَادٌ مُّثِيرٌ فِي الْأَفَاقِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أَيُّ مُسْرِعِينَ ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لَا يُخَالِفُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ أَيُّ يَوْمٌ

(١) مسلم: ٢١٥٩/٤، وتحفة الأحوذى: ١٧٥/٩ (٢) تحفة الأحوذى: ١٧٥/٩ (٣) أحمد: ٣٧٧/١ (٤) فتح الباري: ٨/٨٣ (٥) الطبري: ٥٧٠/٢٢ (٦) أحمد: ٤١٣/١ (٧) الطبري: ٥٧٠/٢٢ (٨) الطبري: ٥٧٢/٢٢ (٩) الدر المنثور: ٦٧٣/٧

يَرْكَبُونَ ﴿٤١﴾ [يس: ٤١، ٤٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَا طَعَا أَلَمَهُ حَمَلْنَاهُ فِي الْغَابِرَةِ﴾ ﴿٤٢﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَفِيهَا أَذُنٌ وَعِصَةٌ ﴿٤٣﴾ [الحاقة: ١١، ١٢] وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أَيْ: فَهَلْ مَنْ يَتَذَكَّرُ وَيَتَعَطَّرُ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَفْرَأَيْي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ^(٨). وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ^(٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أَيْ: كَيْفَ كَانَ عَذَابِي لِمَنْ كَفَرَ بِي وَكَذَّبَ رُسُلِي، وَلَمْ يَتَعَطَّرْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ نُذْرِي، وَكَيْفَ انْتَصَرْتُ لَهُمْ وَأَخَذْتُ لَهُمْ بِالْثَّأْرِ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أَيْ: سَهَّلْنَا لَفْظُهُ وَيَسَّرْنَا مَعْنَاهُ لِمَنْ أَرَادَهُ لِيَتَذَكَّرَ النَّاسُ، كَمَا قَالَ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ وَأُتِيَهُمْ لِيَسْأَلَنَكَ لِيُتَبَيَّنَ بِهِ الْمُتَفِيقُ وَنُذِرَ بِهِ قَوْمًا لَذًّا﴾ [مریم: ٩٧] وَقَوْلُهُ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أَيْ: فَهَلْ مِنْ مُتَذَكِّرٍ بِهَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي قَدْ يَسَّرَ اللَّهُ حِفْظَهُ وَمَعْنَاهُ؟ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ: فَهَلْ مِنْ مُنْزَجِرٍ عَنِ الْمَعَاصِي؟ ^(١٠).

﴿كَذَّبْتَ عَادَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿٤٥﴾ تَرْجِفُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ تُحَلَّى مُنْقَعِرٍ ﴿٤٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٤٨﴾ [قصصه عاد]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَادِ قَوْمِ هُودٍ: إِنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ أَيْضًا، كَمَا صَنَعَ قَوْمُ نُوحٍ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا وَهِيَ الْبَارِدَةُ الشَّدِيدَةُ الْبَرْدِ ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ أَيْ: عَلَيْهِمْ، قَالَهُ الصَّحَّاحُ وَقَتَادَةُ وَالشَّيْخُ ^(١١) ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ عَلَيْهِمْ نَحْسُهُ وَدَمَارُهُ؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ اتَّصَلَ فِيهِ عَذَابُهُمُ الدُّنْيَوِيُّ بِالْآخِرَوِيِّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَرْجِفُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ تُحَلَّى مُنْقَعِرٍ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَأْتِي أَحَدَهُمْ فَتَرْفَعُهُ حَتَّى تُغَيِّبَهُ عَنِ الْبَصَارِ، ثُمَّ تَنْكُسُهُ عَلَى أَمِّ رَأْسِهِ،

شَدِيدُ الْهَوْلِ عُبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ ﴿٤٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٥٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿٥١﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

﴿كَذَّبَتْ قَالَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا بَحْتُونُ وَازْدَجَرُوا﴾ ﴿٥٢﴾ فَدَعَا رَبَّهُ. أَيْ: مَغْلُوبٌ فَانْصَرَفَ ﴿٥٣﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاؤِ مِنْهَمِ ﴿٥٤﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرِدَ ﴿٥٥﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿٥٦﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٥٨﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٦٠﴾ [قصصه قوم نوح، وَالْعِبْرَةُ بِهَا وَيَقْصَصُ الْأَقْوَامِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قَبْلَ قَوْلِكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿قَوْمٌ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أَيْ: صَرَّحُوا لَهُ بِالْكَذِبِ وَاتَّهَمُوهُ بِالْجُنُونِ ﴿وَقَالُوا بَحْتُونُ وَازْدَجَرُوا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَازْدَجَرُوا﴾ أَيْ: اسْتَطِيرَ جُنُونًا ^(١). وَقِيلَ: ﴿وَازْدَجَرُوا﴾ أَيْ: انْتَهَرُوهُ وَزَجَرُوهُ وَتَوَاعَدُوهُ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتَهِ لَنُكَونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(٢). وَهَذَا مُتَوَجِّهٌ حَسَنٌ. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَيْ: مَغْلُوبٌ فَانْصَرَفَ﴾ أَيْ: إِنِّي ضَعِيفٌ عَنْ هَؤُلَاءِ وَعَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ فَانْصَرَفْتُ أَنْتَ لِدِينِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاؤِ مِنْهَمِ﴾ قَالَ الشَّيْخُ: وَهُوَ الْكَثِيرُ ^(٣). ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أَيْ: تَبَعَتْ جَمِيعُ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ حَتَّى التَّائِينَ الَّتِي هِيَ مَحَالُ السَّيْرَانِ تَبَعَتْ عُيُونًا ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أَيْ: مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرِدَ﴾ أَيْ: أَمْرٍ مُقَدَّرٍ.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاؤِ مِنْهَمِ﴾: كَثِيرٍ، لَمْ تُمْطِرِ السَّمَاءُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا مِنَ السَّحَابِ، فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ بِالْمَاءِ مِنْ غَيْرِ سَحَابٍ، ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَالْتَقَى الْمَاءَانِ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرِدَ ^(٤). وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿٥٦﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْقُرْطُبِيُّ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ: هِيَ الْمَسَامِيرُ ^(٥). وَاخْتَارَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ. قَالَ: وَوَاجِدُهَا دِسَارٌ. وَيُقَالُ: دَسِيرٌ كَمَا يُقَالُ: حَبِيبٌ وَحَبَاكٌ، وَالْجَمْعُ حَبْكٌ ^(٦). وَقَوْلُهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أَيْ: بِأَمْرِنَا يَمْرَأَى مِنَّا وَتَحْتَ حِفْظِنَا وَكَأَلَيْتَنَا ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ أَيْ: جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَانْتَصَارًا لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قَالَ قَتَادَةُ: أَبْقَى اللَّهُ سَفِينَةَ نُوحٍ حَتَّى أَذْرَكَهَا أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ^(٧). وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ جِنْسُ السُّفُنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٨﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ نِجْلِهِ مَا

(١) الطبري: ٥٧٦/٢٢ (٢) الطبري: ٥٧٧/٢٢ (٣) القرطبي: ١٣١/١٧ (٤) الدر المنثور: ٦٧٥/٧ (٥) الطبري: ٥٨٠/٢٢ والقرطبي: ١٣٢/١٧ (٦) الطبري: ٥٧٨/٢٢ (٧) الطبري: ٥٨٢/٢٢ (٨) فتح الباري: ٤٨٥/٨ (٩) فتح الباري: ٨/٨ (١٠) الدر المنثور: ٦٧٦/٧ (١١) الطبري: ٥٨٧/٢٢

فَيَسْفُطُ عَلَى الْأَرْضِ، فَتُتْلَخُ رَأْسُهُ فَيَتَقَى جَنَّةً يَلَا رَأْسَ،
وَلِهَذَا قَالَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَارُ نَحْلٍ مُتَفَرِّقِينَ﴾ (٢٢) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنُذْرِي ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ سَرَّاهُ الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ .

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ﴾ (٢٣) فَقَالُوا ابْشُرْنَا وَجِدْنَا تَبِعَهُ، إِنَّا إِذَا لَفَى
ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَمَلَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾
سَيَعْمُونَ غَدًا مِنْ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ
فَارْتَبِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَبَيِّنْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ
مُحْضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَّوَا صَاحِبَهُمْ فَطَعْنُوهُ فَمَرَّ ﴿٢٩﴾ فَكَفَّ كَانَ عَذَابِي
وَنَذِرٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ ﴿٣١﴾
وَلَقَدْ سَرْنَا الْقَوْمَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿٣٢﴾

[قِصَّةُ ثَمُودَ]

وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ ثَمُودَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ صَلَاحًا ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ مِثَّا وَحَدَاثَنَّا﴾ إِنَّا إِذَا لَقِىَ صَلَاحٌ وَشَعْرٌ يَقُولُونَ: لَقَدْ جِئْنَا وَحَسْرَتَنَا إِنْ سَلَمْنَا كُلَّنَا قِيَادَنَا لِوَاحِدٍ مِثَّا. ثُمَّ تَعَجَّبُوا مِنْ إِلْقَاءِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ خَاصَّةً مِنْ دُونِهِمْ ثُمَّ رَمَوْهُ بِالْكَذِبِ فَقَالُوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ﴾ أَيْ: مُتَجَاوِزٌ فِي حَدِّ الْكَذِبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَثِيرُ﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ لِنَافَةِ فَتَنَةٍ لَهُمْ﴾ أَيْ: اخْتِبَارًا لَهُمْ، أَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ نَافَةَ عَظِيمَةً عَشْرَاءَ، مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءَ طَبَقَ مَا سَأَلُوا؛ لِيَكُونَ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي تَصْدِيقِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى أَمْرًا لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَالِحٍ: ﴿فَارْقَبْهُمْ وَاصْلَحْ﴾ أَيْ: انْتَظِرْ مَا يُوْئِلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَاصْبِرْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لَكَ، وَالنَّصْرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَيَنْتَهُمُ أَنْ آلَاءَ قِسْمَةٍ بَيْنَهُمْ﴾ أَيْ: يَوْمَ لَهُمْ، وَيَوْمَ لِلنَّافَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ هَذِهِ نَافَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَقْصُورٍ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّحْضَرَةٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا غَابَتْ حَضَرُوا الْمَاءَ. وَإِذَا جَاءَتْ حَضَرُوا اللَّبَنَ ^(١). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَادَاوَا صَاحِبَكُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هُوَ عَاهِرُ النَّاقَةِ، وَاسْمُهُ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَكَانَ أَشَقَى قَوْمِهِ. كَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ أُنِمَّتْ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] ﴿فَتَعَاطَى أَي: [فَجَسَرَ] ﴿فَعَقَرَ﴾ (١٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِي﴾ أَي: فَعَاقَبْتُهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِي وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولِي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّمَةً وَاحِدَةً فَكَأَلُوا كَهَنِيصِ الْأَخْطَرِ﴾ أَي: فَبَادُوا عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ، وَحَمَدُوا وَهَمَدُوا كَمَا يَهْمَدُ يَبْسُ الزَّرْعُ وَالنَّبَاتُ. قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ

٥٣٠

الْبَيْتُ الْخَامِسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَنْهَيْهِمْ أَنْ أَلْعَاءَ قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ ﴿٣٨﴾ فَادَّوْا صَاحِبَهُمْ
فَنَعَاطَى فَقَعَرٌ ﴿٣٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظَرِ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لَوْطٍ نَجَّيْنَهُمْ بِسَعَرٍ ﴿٤٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنَّذْرِ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٤٨﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ
﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٥١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٢﴾ أَكْفَارًا كَرِهَتْ مِنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٥٤﴾ سَيَرْجُمُ الْجَمْعُ
وَيَقُولُونَ الذَّبْرُ ﴿٥٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ
﴿٥٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَى أُجُوهِهِمْ ذُوقُوا أَسَّ سَقَرٍ ﴿٥٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥٩﴾

الْمُفْسِّرِينَ. وَالْمُحْتَظِرُ: قَالَ الشَّدِيُّ: هُوَ الْمَرْعَى
بِالصَّخْرَاءِ حِينَ يَبْسُ وَيَحْرِقُ وَتَسْفِيهِ الرِّيحُ. وَقَالَ ابْنُ
زَيْدٍ: كَانَتِ الْعَرَبُ يَجْعَلُونَ حِطَّا عَلَى الْإِيلِ وَالْمَوَاشِي
مِنْ يَبْسِ السَّوْكِ، فَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿كَهَيِّبِ
الْمُحْتَظِرَ﴾.

﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا بِالنَّذْرِ﴾ (٣٦) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ
حَنَيْنَهُمْ﴾ (٣٧) ﴿بِسَحَرٍ﴾ (٣٨) ﴿رَعِمَهُ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٩) ﴿وَلَقَدْ
أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ (٤٠) ﴿وَلَقَدْ رَاوَوْهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا
أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ﴾ (٤١) ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ
مُسْتَقَرٌّ﴾ (٤٢) ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ﴾ (٤٣) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُنْذِرٍ﴾ (٤٤)

[قِصَّةُ قَوْمِ لُوطٍ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَوْمٍ لُوطٍ كَيْفَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ
وَخَالَفُوهُ، وَارْتَكَبُوا الْمَكْرُوهَ مِنْ إِنْيَانِ الذُّكُورِ، وَهِيَ

[قِصَّةُ آلِ فِرْعَوْنَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: إِنَّهُمْ جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى وَأَخُوهُ هَارُونُ بِالْبَشِيرَةِ إِنْ آمَنُوا، وَالنَذَارَةِ إِنْ كَفَرُوا، وَأَيَّدَهُمَا بِمُعْجَزَاتٍ عَظِيمَةٍ وَآيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَكَذَّبُوا بِهَا كُلَّهَا، فَأَحَذَهُمُ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ أَيْ: فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ وَلَا غَيْرٌ وَلَا أَثَرٌ.

[نُصْحُ قُرَيْشٍ وَتَهْدِيدُهُمْ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَكْفَرُكُمْ﴾ أَيْ: أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيائِكُمْ﴾ يَعْنِي مِنَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِمَّنْ أَهْلَكُوا بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَكُفْرِهِمْ بِالْكِتَابِ، أَلَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيائِكُمْ؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أَيْ: أَمْ مَعَكُمْ مِنَ اللَّهِ بَرَاءَةٌ أَنْ لَا يَنَالَكُمْ عَذَابٌ وَلَا نَكَالٌ؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ أَيْ: يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَتَنَاصَرُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَنْ جَمْعَهُمْ يُغْنِي عَنْهُمْ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيَبْرُهُمْ لَجَمْعٌ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرُ﴾ أَيْ: سَيَقْرَأُ شَمْلَهُمْ وَيُغْلِبُونَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ يَوْمَ بَدْرٍ: «أَنْشُدْكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ بَعْدَ الْيَوْمِ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ. فَخَرَجَ وَهُوَ يَتَّبِعُ فِي الدَّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَبْرُهُمْ لَجَمْعٌ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرُ﴾ (١) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٢).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ أَلْعَبُ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٣). هَكَذَا رَوَاهُ هَهُنَا مُخْتَصَرًا، وَرَوَاهُ فِي فَصَائِلِ الْقُرْآنِ مُطَوَّلًا (٤)، وَلَمْ يُخْرِجْهُ مُسْلِمٌ.

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٥) يَوْمَ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوفًا مَسَّ سَفَرٌ (٦) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٧) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٨) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذَكَّرٍ (٩) وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (١٠) وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (١١) إِنَّ الْفَلَّاحِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ (١٢) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ (١٣)

الْفَاحِشَةُ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ هَلَاكًا لَمْ يَهْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَمَلَ مَذَائِبَهُمْ حَتَّى وَصَلَ بِهَا إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ وَأَرْسَلَهَا وَأَنْبَعَثَ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْصُودٍ، وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وَهِيَ الْحِجَارَةُ ﴿إِلَّا مَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُ بِسَرٍّ﴾ أَيْ: خَرَجُوا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَجَعُوا مِمَّا أَصَابَ قَوْمَهُمْ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِلُوطٍ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ وَلَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، حَتَّى وَلَا أَمْرَئَتُهُ، أَصَابَهَا مَا أَصَابَ قَوْمَهَا، وَخَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ لُوطٌ وَبَنَاتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ سَالِمًا لَمْ يَمَسَّه سُوءٌ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (١٤) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا أَيْ: وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ قَدْ أَنْذَرَهُمْ بِأَسَاسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ فَمَا اتَّقَوْا إِلَى ذَلِكَ، وَلَا أَضْعَوْا إِلَيْهِ، بَلْ شَكُّوا فِيهِ وَتَمَارَوْا بِهِ.

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِيهِ﴾ وَذَلِكَ لَيْلَةً وَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فِي صُورِ شَبَابٍ مُرْدٍ حَسَنٍ؛ مِخْنَةً مِنَ اللَّهِ بِهِمْ، فَأَضَافَهُمْ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَعَثَتْ أَمْرَأَتُهُ الْعَجُوزَ السُّوءَ إِلَى قَوْمِهَا فَاعْلَمَتْهُمْ بِأَضْيَافِ لُوطٍ، فَأَقْبَلُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَأَغْلَقَ لُوطٌ دُونَهُمُ الْبَابَ، فَجَعَلُوا يُحَاوِلُونَ كَسْرَ الْبَابِ، وَذَلِكَ عَشِيَّةً، وَلُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْفِئُهُمْ وَيَمَانِعُهُمْ دُونَ أَضْيَافِهِ وَيَقُولُ لَهُمْ: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتٌ﴾ يَعْنِي: نِسَاءُهُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلَاءِينَ﴾ [الحجر: ٧١] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَنَا فِيهِنَّ أَرْبٌ ﴿وَرَأَيْتَ لَنَا كَلْعًا مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فَلَمَّا اشْتَدَّ الْحَالُ وَأَبْوَا إِلَّا الدُّخُولَ، خَرَجَ عَلَيْهِمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضَرَبَ أَعْيُنَهُمْ بِطَرَفِ جَنَاحِهِ، فَانْطَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ، فَزَجَعُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ يَتَحَسَّسُونَ بِالْحَيْطَانِ، وَيَتَوَعَّدُونَ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّبَاحِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ أَيْ: لَا مَجِيدَ لَهُمْ عَنْهُ، وَلَا انْقِصَاكَ لَهُمْ مِنْهُ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِي﴾ (١٥) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ مَالُ فِرْعَوْنَ الذُّبُرُ﴾ (١٦) كَذَبُوا بِبَيْنَانَا كُلِّهَا فَلَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْنَدٍ (١٧) أَكْفَرُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (١٨) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (١٩) سَيَبْرُهُمْ لَجَمْعٌ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرُ (٢٠) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٢١)

(١) فتح الباري: ٤٨٥/٨ ٤٨٦ (٢) فتح الباري: ٤٨٦/٨

(٣) فتح الباري: ٦٥٥/٨

[عاقبة المجرمين]

يُخْبِرُنَا تَعَالَى عَنِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ وَشُعْرٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّكُوكِ وَالْإِضْطِرَابِ فِي الْأَرَءِ، وَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ مِنْ كَافِرٍ وَمُتَّبِعٍ مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أَيُّ: كَمَا كَانُوا فِي شُعْرٍ وَشَكٍّ وَتَرَدُّدٍ أَوْزَنَهُمْ ذَلِكَ النَّارَ، وَكَمَا كَانُوا ضَلَالًا يُسْحَبُونَ فِيهَا عَلَى وُجُوهِهِمْ لَا يَذَرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ تَقْرِيعًا وَتَوَيْخًا: «ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ».

[كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ كَقَوْلِهِ: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا» وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ سُبُوتَ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى» أَيُّ: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ، وَلِهَذَا يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَيْمَةُ السُّنَّةِ عَلَى إِبْطَالِ قَدَرِ اللَّهِ السَّابِقِ لِخَلْقِهِ، وَهُوَ عِلْمُهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا، وَكِتَابَتُهُ لَهَا قَبْلَ بَرْنِهَا، وَرَدُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ وَمِمَّا شَاكَلَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَمَا وَرَدَ فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَاتِ عَلَى الْفِرْقَةِ الْقَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ نَبَغُوا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا الْمَقَامِ مُفَصَّلًا وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلِنَذْكُرْ هَهُنَا الْأَحَادِيثَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

رَوَى أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُخَاصِمُونَهُ فِي الْقَدَرِ فَتَزَلَّتْ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٣٨)﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (١). وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ (٢). وَرَوَى الْبَرَاءُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: مَا تَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٧)﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٣٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٣). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٣٨)﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤) قَالَ: «تَزَلَّتْ فِي أَنْاسٍ مِنْ أُمَّتِي يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَكْذِبُونَ بِقَدَرِ اللَّهِ» (٥).

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِيَاحٍ قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَنْزِعُ مِنْ زَمْرَمَ، وَقَدْ ابْتَلَتْ أَسَافِلُ نِيَابِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكَرٍ (٥) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥١) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٢) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥١) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ (٥٥)

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالتَّجَمُّمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَكِكُمْهُمُ وَالنَّخْلُ دَاتُ الْأَكَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ (١٢) وَالرَّيْحَانُ (١٣) فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ (١٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ (١٥) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٦) فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ (١٧)

تُكَلِّمُ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ: أَوْقَدْ فَعَلُوهُمَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَّا فِيهِمْ «ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٣٨)﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (١) أُولَئِكَ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلَا تُعَوِّدُوا مَرْضَاهُمْ، وَلَا تُصَلُّوا عَلَى مَوْتَاهُمْ، إِنْ رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَقَاتْ عَيْنِيهِ بِأُصْبَعِي هَاتَيْنِ (٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: كَانَ لِابْنِ عُمَرَ صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُكَاتِبُهُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقَدَرِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُكْتَبَ إِلَيَّ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي

(١) أحمد: ٤٤٤/١ (٢) مسلم: ٢٠٤٦/٤ وتحفة الأحوزي: ١٧٦/٩ وابن ماجه: ٣٢/١ (٣) كشف الاستار: ٧٢/٣ إسناده ضعيف قال الهيثمي في المجمع ١٢٠/٧ رواه البزار وفيه يونس بن الحارث وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. وقال ابن حجر: ضعيف [تقريب] قال أحمد: أحاديثه مضطربة وقال ابن معين أيضًا: لا شيء [تاريخ الدوري ٦٨٧/٢ العلل ١/١٠٢] (٤) الطبراني: ٢٧٦/٥ (٥) جزء الحسن بن عرفة: ٤٦ فيه ابن جريج مدلس وقد عنعن ولم يصرح

أَمْثَالَكُمْ وَسَلَفَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ
﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ أَي: فَهَلْ مِنْ مُعْظٍ بِمَا أَخْرَى اللَّهُ
أُولَئِكَ وَقَدَّرَ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِيلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ﴾ [سبا: ٥٤]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أَي: مَكْتُوبٌ
عَلَيْهِمْ فِي الْكُتُبِ الَّتِي بِيَايِدِي الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿وَكُلُّ
صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أَي: مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أَي: مَجْمُوعٌ
عَلَيْهِمْ وَمُسْطَرٌّ فِي صَحَائِفِهِمْ، لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
إِلَّا أَحْصَاهَا. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّا كِ
الدُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا»^(١١). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ
مَاجَهَ^(١٢).

[عَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ الْحَسَنَةُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّيْقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ أَي: يَعْكُسُ مَا
الْأَشْيَاءُ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالشُّعْرِ وَالسَّحْبِ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ، مَعَ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّهْدِيدِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أَي: فِي دَارِ كَرَامَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَفَضْلِهِ
وَأَمْنِيَّتِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ﴾ أَي: عِنْدَ
الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْخَالِقِ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَمُقَدِّرِهَا. وَهُوَ مُقْتَدِرٌ
عَلَى مَا يَشَاءُ مِمَّا يَطْلُبُونَ وَيُرِيدُونَ. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْطَبُونَ
عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ
يَمِينِ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ»^(١٣).
وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ^(١٤).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ اقْتَرَبَتْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ
التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدْرِ»^(١١). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ
حَنْبَلٍ^(١٢).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعُجْزُ وَالْكَيْسُ»^(١٣). وَرَوَاهُ
مُسْلِمٌ مُتَّفِرِدًا بِهِ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ^(١٤).

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «اسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ
أَصَابَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي
فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»^(١٥).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «وَأَعْلَمْ
أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ شَيْءًا، لَمْ يَكُنْهُ اللَّهُ
لَكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ شَيْءًا، لَمْ
يَكُنْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَضُرُّوكَ، جَبَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَّتِ
الْصُّحُفُ»^(١٦). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ
عُبَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ
أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي،

فَقَالَ: أَجْلِسُونِي، فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَمْ
تَطْعَمْ الْإِيمَانَ وَلَمْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ
بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ! وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمْ مَا
خَيْرُ الْقَدْرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ
لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، يَا بُنَيَّ! إِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا بُنَيَّ! إِنْ مِتُّ وَلَسْتُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتُ
النَّارَ»^(١٧). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(١٨).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». زَادَ ابْنُ وَهْبٍ:
﴿وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]^(١٩). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(٢٠).

[التَّهْدِيدُ بِتَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾
وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ نُفُوزِ مَشِيئَتِهِ فِي خَلْقِهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِنُفُوزِ
قَدْرِهِ فِيهِمْ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ﴾ أَي: إِنَّمَا نَأْمُرُ
بِالشَّيْءِ مَرَّةً وَاحِدَةً لَا نَحْتَاجُ إِلَى تَأْكِيدٍ بِنَانِيَّةٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ
الَّذِي نَأْمُرُ بِهِ حَاصِلًا مَوْجُودًا كَلَمْحِ الْبَصَرِ، لَا يَتَأَخَّرُ طَرَفَةٌ
عَيْنٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يَعْنِي:

(١) أحمد: ٩٠/٢ (٢) أبو داود: ٢٠/٥ (٣) أحمد: ٢/١١٠ (٤) مسلم: ٢٠٤٥/٤ (٥) مسلم: ٢٠٥٢/٤ (٦) تحفة الأحوذى: ٢١٩/٧ (٧) أحمد: ٣١٧/٥ (٨) تحفة الأحوذى: ٣٦٨/٦ (٩) مسلم: ٢٠٤٤/٤ (١٠) تحفة الأحوذى: ٦/٣٧٠ (١١) أحمد: ١٥١/٦ (١٢) تحفة الأشراف: ٢٥٠/١٢ وابن ماجه: ١٤١٧/٢ (١٣) أحمد: ١٦٠/٢ (١٤) مسلم: ٣/١٤٥٨ والنسائي: ٢٢١/٨

تفسير سورة الرحمن وهي مكية

[توطئة عن سورة الرحمن]

السَّيَاقُ فِي تَعْلِيمِهِ تَعَالَى الْقُرْآنَ، وَهُوَ أَدَاءٌ بِلَاوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِتَبْيِيرِ النُّطْقِ عَلَى الْخَلْقِ وَتَسْهِيلِ خُرُوجِ الْحُرُوفِ مِنْ مَوَاضِعِهَا مِنَ الْحَلْقِ وَاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِ مَخَارِجِهَا وَأَنْوَاعِهَا.

[آيات الله في الشمس والقمر والسماء والأرض]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أَيُّ: يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنِ بِحَسَابٍ مُقَنَّيْنِ لَا يَخْتَلِفُ، وَلَا يَضْطَرِبُ ﴿لَا الشَّمْسُ بَلَّغَىٰ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ آتِلُ سَكَا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّ الشَّجَرَ مَا قَامَ عَلَى سَاقٍ ^(١). فَرَوَى عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: النَّجْمُ مَا انْبَسَطَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يُعْنِي مِنَ النَّبَاتِ ^(٢). وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ وَشُقْبَانُ التَّوْرِيُّ ^(٣). وَقَدْ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: النَّجْمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ^(٤). وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ ^(٥). وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...﴾ [الآية: الحج: ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يَعْنِي: الْعَدْلَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٦] وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿أَلَا تَنظُرُونَ فِي الْمِيزَانِ﴾ أَيُّ: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ لِتَكُونَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أَيُّ: لَا تَبْخُسُوا الْوَزْنَ، بَلْ زِنُوا بِالْحَقِّ وَالْقِسْطِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وَقَوْلُهُ

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ زُرَّ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: كَيْفَ تَعْرِفُ هَذَا الْحَرْفَ مِنْ (مَاءٍ غَيْرِ آسِينِ) أَوْ (آسِينِ)؟ فَقَالَ: كُلُّ الْقُرْآنِ قَدْ قُرِئْتُ؟ قَالَ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ. فَقَالَ: أَهَذَا كَهَذَا الشَّعْرُ لَا أَبَا لَكَ؟ قَدْ عَلِمْتُ قَرَأَنِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ قَرِيبَتَيْنِ قَرِيبَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْمُفْصَلِ، وَكَانَ أَوَّلُ مُفْصَلِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ^(١). وَرَوَى أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ». ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ^(٢). وَرَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ ^(٣). وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ الرَّحْمَنِ أَوْ قُرِئَتْ عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا لِي أَسْمَعُ الْجِنِّ أَحْسَنَ جَوَابًا لِرَبِّهَا مِنْكُمْ؟». قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالَتْ الْجِنُّ: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِ رَبَّنَا نُكَذِّبُ» ^(٤). وَرَوَاهُ الْحَافِظُ الْبَزَّازُ ^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَا تَنظُرُونَ فِي الْمِيزَانِ (٨) وَاقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ (١٠) فِيهَا فَكَّهُمُ وَاللَّخْلُ دَاثُ الْأَكْثَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)

[القرآن أنزله الرحمن وعلمه]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى عِبَادِهِ الْقُرْآنَ، وَبَسَّرَ حِفْظَهُ وَفَهَمَهُ عَلَى مَنْ رَحِمَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: النُّطْقَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ

(١) أحمد: ٤١٢/١ (٢) تحفة الأحوذى: ١٧٧/٩ (٣) الحاكم: ٤٧٣/٢ (٤) الطبري: ٢٣/٢٣ (٥) كشف الأستار: ٧٤/٣ (٦) الطبري: ١١/٢٣ (٧) الطبري: ١١/٢٣ (٨) الطبري: ١١/٢٣ (٩) الطبري: ١٢/٢٣ (١٠) الطبري: ١٢/٢٣

سورة الرحمن

٥٣٢

سورة الرحمن

رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿١٨﴾
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَا أَيُّهَا
 الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَيَا أَيُّ
 هَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
 ﴿٢٤﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهِ فَاِنٌ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ
 وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٨﴾
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَا أَيُّ
 هَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَيَا أَيُّ
 هَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٣٢﴾ يَنْعَشُ لِمَنْ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ
 أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْفَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْعَدُوا وَلَا تَنْفَعُوا
 إِلَّا لِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
 شَوْابٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا
 كُنْ بَارِكًا ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
 ﴿٣٧﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْعَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
 إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٤٠﴾

تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أَيُّ: كَمَا رَفَعَ السَّمَاءَ
 وَصَعَ الْأَرْضَ وَمَهَّدَهَا وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ
 الشَّامِيَّاتِ، لِيَسْتَقَرَّ لِمَا عَلَى وَجْهِهَا مِنَ الْأَنَامِ وَهُمْ
 الْخَلَائِقُ الْمُخْتَلِفَةُ أَنْوَاعُهُمْ وَأَشْكَالُهُمْ وَالْوَلَوْنُهُمْ وَالسِّتْمُهُمْ
 فِي سَائِرِ أَقْفَارِهَا وَأَرْجَائِهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ: الْأَنَامُ:
 الْخَلْقُ^(١). ﴿فِيهَا فِكْهَةٌ﴾ أَيُّ: مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ
 وَالرَّوَائِحِ ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ؛ لِيُسْرِفَهُ
 وَتَعْبَهُ رَطْبًا وَيَابَسًا. وَالْأَكْمَامُ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ: هِيَ أَوْعِيَةُ الطَّلَعِ^(٢). وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ
 الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ الَّذِي يَطْلُعُ فِيهِ الْفَنُو ثُمَّ يَنْشَقُّ عَنْ
 الْعُغُودِ، فَيَكُونُ بُسْرًا ثُمَّ رَطْبًا ثُمَّ يَنْضَجُ وَيَتَنَاهَى يَنْعُهُ
 وَاشْتِوَاؤُهُ.

﴿وَالْعَلْبُ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَالْعَلْبُ ذُو الْعَصْفِ﴾ يَعْنِي: التَّبَنُّ^(٣). وَقَالَ
 الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ الْأَخْضَرِ
 الَّذِي قُطِعَ رُؤُوسُهُ، فَهُوَ يُسَمَّى الْعَصْفَ إِذَا بَيَسَ^(٤). وَكَذَا
 قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو مَالِكٍ: عَصْفُهُ: نَبْتُهُ^(٥). وَقَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: وَالرَّيْحَانُ يَعْنِي:
 الْوَرَقُ^(٦). وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ رَيْحَانُكُمْ هَذَا^(٧). وَقَالَ عَلِيُّ
 ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ خَضِرُ
 الزَّرْعِ^(٨). وَمَعْنَى هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْحَبَّ كَالْقَلَمِ
 وَالشَّعِيرِ وَنَحْوَهُمَا لَهُ فِي حَالِ نَبَاتِهِ عَصْفٌ. وَهُوَ مَا عَلَى
 السُّبُلَةِ، وَرَيْحَانُ، وَهُوَ الْوَرَقُ الْمُتَلَفُّ عَلَى سَاقِهَا.
 وَقِيلَ: الْعَصْفُ الْوَرَقُ أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ بَقْلًا،
 وَالرَّيْحَانُ: الْوَرَقُ يَعْنِي: إِذَا أَدَجَنَ وَانْعَقَدَ فِيهِ الْحَبُّ.

[الْإِنْسَانُ مَغْمُورٌ بِنِعْمِ اللَّهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا﴾ أَيُّ: فَيَا
 الْآلَاءِ يَا مَعْشَرَ الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ تُكْذِبَانِ؟ قَالَهُ
 مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ بَعْدَهُ، أَيُّ: النَّعْمُ
 ظَاهِرَةٌ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مَغْمُورُونَ بِهَا، لَا تَسْتَطِيعُونَ إِنْكَارَهَا
 وَلَا جُحُودَهَا، فَتَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجِنَّ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ:
 اَللَّهُمَّ وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ آلَانِكَ رَبَّنَا نُكْذِبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ.
 وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَا بِأَيِّهَا يَا رَبِّ، أَيُّ: لَا نُكْذِبُ
 بِشَيْءٍ مِنْهَا^(٩).

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ

مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿٥﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ
 وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿٧﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
 يَلْتَقِيَانِ ﴿٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٠﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿١١﴾
 يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٢﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿١٣﴾ وَلَهُ
 الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿١٤﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿١٥﴾
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهِ فَاِنٌ ﴿١٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾ فَيَا أَيُّ
 هَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿١٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١٩﴾
 فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٢١﴾ فَيَا أَيُّ
 هَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٢﴾ يَنْعَشُ لِمَنْ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ
 أَقْفَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْعَدُوا وَلَا تَنْفَعُوا إِلَّا لِسُلْطَانٍ ﴿٢٣﴾ فَيَا أَيُّهَا
 الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٢٥﴾
 فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
 ﴿٢٧﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٢٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْعَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ
 ﴿٢٩﴾ فَيَا أَيُّهَا الرِّبَا كُنْ بَارِكًا ﴿٣٠﴾

[بَيَانُ خَلْقِ آدَمَ وَالْجَانِّ]

يَذْكُرُ تَعَالَى خَلْقَهُ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ،
 وَخَلْقَهُ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ، وَهُوَ طَرَفُ لَهَبٍهَا. قَالَهُ
 الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١٠). وَبِهِ يَقُولُ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ
 وَالْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ^(١١). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:

(١) الطبري: ١٦، ١٥/٢٣ (٢) الدر المنثور: ٦٩٣/٧ (٣)
 الطبري: ١٨/٢٣ العوفي ضعيف (٤) الطبري: ١٨/٢٣ (٥)
 الطبري: ١٨/٢٣ (٦) الطبري: ١٩/٢٣ (٧) البغوي: ٤/
 ٢٦٨ (٨) الطبري: ٢١/٢٣ (٩) الطبري: ٢٣/٢٣ (١٠)
 الطبري: ٢٦/٢٣ الضحاک لم يسمع من ابن عباس (١١)
 الطبري: ٢٧/٢٣

وَلَمَّا كَانَ اتَّخَذَ هَذِهِ الْحَلِيَّةَ نِعْمَةً عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، امْتَنَّ بِهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ بِغَيْبِ الشُّفَنِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ قَالَ مُجَاهِدٌ: مَا رُفِعَ وَلَعُهُ مِنَ الشُّفَنِ فَهِيَ مُنْشَأَتٌ، وَمَا لَمْ يُرْفَعْ وَلَعُهُ فَلَيْسَ بِمُنْشَأَتٍ^(٩). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿الْمُنْشَأَتُ﴾ يَعْنِي الْمَخْلُوقَاتِ^(١٠). وَقَالَ غَيْرُهُ:

(الْمُنْشَأَتُ) بِكسر الشين يعنى البادئات بِكَالْعَلَمِ أَي: كَالْجِبَالِ فِي كِبَرِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ الْمَقُولَةِ مِنْ قَطَرٍ إِلَى قَطَرٍ، وَإِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ، مِمَّا فِيهِ صَلاَحُ النَّاسِ فِي جَلْبِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ النَّصَائِعِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾.

﴿كُلٌّ مِّنْ عِلَالٍ فَإِنَّ^(١١) وَيَسَّى وَبِهِ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ^(١٢)﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ^(١٣) يَتَلَمَّهَنَّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ^(١٤) فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ^(١٥)

[بَيَانُ شَأْنِ اللَّهِ وَبَقَائِهِ وَغِنَاهُ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَيَذْهَبُونَ وَيَمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ لَا يَمُوتُ بَلْ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا. قَالَ قَتَادَةُ: أَنْبَأَ بِمَا خَلَقَ ثُمَّ أَنْبَأَ أَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ فَانٍ. وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِثُ، أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ». وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا قَرَأْتَ ﴿كُلٌّ مِّنْ عِلَالٍ فَإِنَّ^(١١) وَيَسَّى وَبِهِ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ^(١٢)﴾ فَلَا تَشْكُتْ حَتَّى تَقْرَأَ ﴿وَيَسَّى وَبِهِ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ^(١٣)﴾. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وَقَدْ نَعَتْ تَعَالَى وَجْهَهُ الْكَرِيمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَي: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُخَالَفَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعُشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٨٨] وَكَقَوْلِهِ إِخْبَارًا عَنْ

مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ مِنْ لَهَبِ النَّارِ مِنْ أَحْسَنِهَا^(١٦). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(١٧). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١٨). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ.

[الْإِمْتِنَانُ بِكُونِهِ رَبِّ الْمَشْرِقِينَ وَالْمَغْرِبِينَ]

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ﴾ يَعْنِي مَشْرِقِي الصَّبِيفِ وَالشَّتَاءِ وَمَغْرِبِي الصَّبِيفِ وَالشَّتَاءِ، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَلَا أَقِيمُ بَيْنَ الشَّرِّ وَالْقَرِّ﴾ [المعارج: ٤٠] وَذَلِكَ بِاخْتِلَافِ مَطَالِعِ الشَّمْسِ وَتَغَلُّبِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَتَبَرُّوْزِهَا مِنْهُ إِلَى النَّاسِ. وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿رَبُّ الشَّرِّ وَالْقَرِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]. وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْهُ جِنْسُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَلَمَّا كَانَ فِي اخْتِلَافِ هَذِهِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَصَالِحٌ لِلْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَالَ: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾.

[الْإِمْتِنَانُ بِنَوْعِي الْبَحْرِ وَالشُّفَنِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَي: أَرْسَلَهُمَا^(١٩). وَقَوْلُهُ: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَي: مَنَعَهُمَا أَنْ يَلْتَقِيَا بِمَا جَعَلَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْبَرْزَخِ الْحَاجِزِ الْفَاصِلِ بَيْنَهُمَا^(٢٠). وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: الْمِلْحُ وَالْحُلُوفُ. فَالْحُلُوفُ: هَذِهِ الْأَنْهَارُ السَّارِحَةُ بَيْنَ النَّاسِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣] [بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَتَّبِعَانِ] أَي: وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا، وَهُوَ الْحَاجِزُ مِنَ الْأَرْضِ؛ لِثَلَاثٍ يَبْغِي هَذَا عَلَى هَذَا، وَهَذَا عَلَى هَذَا، فَيُفْسِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ وَيُزِيلُهُ عَنْ صِفَتِهِ الَّتِي هِيَ مَقْصُودَةٌ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وَاللُّؤْلُؤُ مَعْرُوفٌ، وَأَمَّا الْمَرْجَانُ فَقِيلَ: هُوَ صِغَارُ اللُّؤْلُؤِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَأَبُو رَزِينٍ وَالضَّحَّاكُ، وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ^(٢١). وَقِيلَ: كِبَارُهُ وَجَيِّدُهُ. حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ^(٢٢).

وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ فَتَحَبَّتِ الْأَصْدَافُ فِي الْبَحْرِ أَقْوَاهَا فَمَا وَقَعَ فِيهَا، يَعْنِي مِنْ قَطَرٍ فَهُوَ اللُّؤْلُؤُ^(٢٣). إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(١) الطبري: ٢٦/٢٣ (٢) أحمد: ١٦٨/٦ (٣) مسلم: ٤/

٢٢٩٤ (٤) الطبري: ٢٩/٢٣ (٥) الطبري: ٣١/٢٣ (٦)

الطبري: ٣٣/٢٣ والقرطبي: ١٦٣/١٧ (٧) الطبري: ٣٤/٢٣

(٨) الطبري: ٣٥/٢٣ (٩) الطبري: ٣٧/٢٣ (١٠) القرطبي:

١٦٤/١٧ (١١) الدر المنثور: ٦٩٨/٧

وَرَهَقَهُمْ ذُلٌّ مَّا لَمَمَ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغْشِيَتْ رُؤُوسَهُمْ
 قَطْعًا مِنْ أَيْلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾
 [يونس: ٢٧] ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ
 وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصَرِفَانِ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:
 الشَّوَاظُ: هُوَ لَهَبُ النَّارِ^(١). وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: الشَّوَاظُ هُوَ
 اللَّهَبُ الَّذِي فَوْقَ النَّارِ وَدُونَ الدُّخَانِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ:
 ﴿شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾ سَيْلٌ مِنْ نَارٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قَالَ
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَنُحَاسٌ﴾: دُخَانُ
 النَّارِ^(٢). وَرَوَى مِنْهُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَبِي
 سِنَانٍ^(٣). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الدُّخَانَ
 نُحَاسًا، بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِهَا، وَالْقُرَاءُ مُجْمَعَةٌ عَلَى
 الضَّمِّ^(٤). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: النُّحَاسُ الضُّفْرُ يَذَابُ فَيَصْبُ
 عَلَى رُؤُوسِهِمْ^(٥). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ^(٦). وَقَالَ الضَّحَّاكُ:
 «وَنُحَاسٌ» سَيْلٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَالْمَعْنَى: لَوْ ذَهَبْتُمْ هَارِبِينَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَدَّتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ وَالزَّبَانِيَةُ بِإِزْسَالِ اللَّهَبِ مِنْ
 النَّارِ، وَالنُّحَاسُ الْمَذَابُ عَلَيْكُمْ لِتَرْجِعُوا، وَلِهَذَا قَالَ:
 ﴿فَلَا تَنْصَرِفَانِ﴾^(٧) فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٨) فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ^(٩) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ^(١٠) فَإِنِّي
 ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(١١) يَعْرِفُ الْجَحِيمُونَ بِسَمْعِهِمْ فَيُؤْخَذُ
 بِالتَّوَصِيِّ وَالْأَفْدَامِ^(١٢) فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(١٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
 يُكَذِّبُ بِهَا الْجَحِيمُونَ^(١٤) يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيرٍ ءَانٍ^(١٥) فَإِنِّي ءَالَآءَ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(١٦)

[بَيَانُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِ الْمُحْرِمِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا دَلَّتْ
 عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ مَعَ مَا شَاكَلَهَا مِنَ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي
 مَعْنَاهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهٍةٌ﴾
 [الحاقة: ١٦] وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُزَلُّ الْمَلَكُوتُ
 تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وَأَوَّلَتْ لِرَبِّهَا
 وَحَقَّتْ^(١) [الانشقاق: ٢٠، ٢١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً
 كَالدِّهَانِ﴾ أَيُّ تَدُوبٌ كَمَا يَدُوبُ الدُّرْدِيُّ وَالْقَيْصَةُ فِي

الْمَصْدَقِينَ: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِيَوْمِهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: ﴿ذُو الْجَلَدِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذُو الْعِظَمَةِ وَالْكَبِيرِيَاءِ^(٢).
 وَلَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَسَاوِي أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ فِي
 الْوَفَاةِ، وَأَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ فَيَحْكُمُ فِيهِمْ ذُو
 الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ قَالَ: ﴿فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَسْتَلُّونَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ
 يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ غِنَاهُ عَمَّا سِوَاهُ وَافْتِقَارِ
 الْخَلَائِقِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَنَاءِ، وَأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ بِلسَانِ
 خَالِهِمْ وَقَالِهِمْ، وَأَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ. قَالَ الْأَعْمَشُ
 عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عُثَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قَالَ:
 مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُجِيبَ دَاعِيًا أَوْ يُعْطِيَ سَائِلًا، أَوْ يَفْكَ عَائِنًا أَوْ
 يَشْفِي سَقِيمًا^(٣).

﴿سَتَفَرِّجُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَيْنِ﴾^(٤) فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(٥) يَمْتَسِرُ
 الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ اسْتَظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ^(٦) فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(٧)
 يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصَرِفَانِ^(٨) فَإِنِّي ءَالَآءَ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ^(٩)

[تَهْدِيدٌ لِلثَّقَلَيْنِ وَبَيَانٌ لَهُوَلِ مَا يُصِيبُهُمَا]

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: ﴿سَتَفَرِّجُ لَكُمْ﴾ أَيُّ: سَتَقْضِي لَكُمْ.
 وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: سَتَحَاسِبُكُمْ، لَا يُشْغِلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ^(١).
 وَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، يُقَالُ: لَا تَفَرِّغَنَّ لَكَ. وَمَا
 بِهِ شُغْلٌ، يَقُولُ: لَا أَخْذَنَّاكَ عَلَى غِرَّتِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
 ﴿آيَةُ الثَّقَلَيْنِ﴾ الثَّقَلَانِ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ كَمَا جَاءَ فِي
 الصَّحِيحِ: «يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»^(٢). وَفِي رَوَايَةٍ:
 «إِلَّا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ». وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ: «الثَّقَلَانِ:
 الْإِنْسُ وَالْجِنُّ»^(٣) ﴿فَإِنِّي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثُمَّ قَالَ
 تَعَالَى: ﴿يَمْتَسِرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ اسْتَظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أَيُّ: لَا
 تَسْتَطِيعُونَ هَرَبًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَقُدْرِهِ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُمْ، لَا
 تَقْدِرُونَ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ حُكْمِهِ وَلَا التَّمُودِ عَنْ حُكْمِهِ
 فِيكُمْ، أَيْمًا ذَهَبْتُمْ أَحْبَطُ بِكُمْ، وَهَذَا فِي مَقَامِ الْحَشْرِ،
 الْمَلَائِكَةُ مُحْدِقَةٌ بِالْخَلَائِقِ سَنَعُ صُفُوفٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،
 فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الذَّمَّابِ ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أَيُّ: إِلَّا بِأَمْرِ
 اللَّهِ ﴿يَقُولُ الْإِنْسُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآفَرَّ﴾^(٤) كَلَّا لَا وَرَدَ^(٥) إِنْ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ
 لَأَسْتَفَرَّ [القيامة: ١٠-١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا

(١) الطبري: ٨٦/٢٣ (٢) الطبري: ٣٩/٢٣ (٣) فتح الباري: ٤٨٧/٨ (٤) فتح الباري: ٢٤٤/٣ (٥) الطوال للطبراني: ٢٧٣ (٦) الطبري: ٤٥/٢٣ (٧) الطبري: ٤٧/٢٣ (٨) الطبري: ٤٧/٢٣ (٩) الطبري: ٤٨/٢٣ (١٠) الطبري: ٢٣/٤٨ (١١) الطبري: ٤٨/٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣٣

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَايَ
 ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ
 ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ ۖ ﴿٤٦﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ
 ﴿٤٧﴾ ذُوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ
 تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
 رَوْحَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ
 أَتُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهَا قَصِيرَاتُ الْطُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ فَنَائِهِمْ
 وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ
 ﴿٦١﴾ وَمَنْ دُونِهِمَا جَنَّاتُ ۖ ﴿٦٢﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ
 ﴿٦٣﴾ مُدَاهَاتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهَا
 عَيْنَانِ ضَاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَايَ ءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾

ابْنُ كَعْبِ الْقُرْطُبِيِّ: يُؤْخَذُ الْعَبْدُ فَيَحْرُكُ بِنَاصِيَتِهِ فِي ذَلِكَ
 الْحِمِيمِ حَتَّى يَذُوبَ اللَّحْمُ وَيَبْقَى الْعَظْمُ وَالْعَيْنَانِ فِي
 الرَّأْسِ، وَهِيَ كَالَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِي الْحِمِيمِ ثُمَّ فِي
 النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢] وَالْحِمِيمُ الْآنَ يَعْنِي الْحَارَّ،
 وَعَنِ الْقُرْطُبِيِّ رَوَايَةٌ أُخْرَى «حِمِيمٌ ءَانٍ» أَيُّ: حَاضِرٍ. وَهُوَ
 قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ أَيْضًا^(٨). وَالْحَاضِرُ لَا يُنَافِي مَا رَوِيَ عَنِ
 الْقُرْطُبِيِّ أَوْ لَا أَنَّهُ الْحَارُّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ»
 [الغاشية: ٥] أَيُّ: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ لَا تُسْتَطَاعُ، وَكَقَوْلِهِ:
 «غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ» [الأحزاب: ٥٣] يَعْنِي: اسْتَوَاءُهُ وَنُضْجُهُ،
 فَقَوْلُهُ: «حِمِيمٌ ءَانٍ» أَيُّ: حِمِيمٌ حَارٌّ جِدًّا. وَلَمَّا كَانَ
 مُعَاقِبَةُ الْعَصَاةِ الْمُجْرِمِينَ وَتَنَعِيمُ الْمُتَّقِينَ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ
 وَعَذَابِهِ وَلَطْفِهِ بِخَلْقِهِ، وَكَانَ إِنْذَارُهُ لَهُمْ عَنْ عَذَابِهِ وَبَاسِهِ

السَّبَكِ، وَتَتَلَوْنَ كَمَا تَتَلَوْنَ الْأَصْبَاغُ الَّتِي يَدُهُنَّ بِهَا، فَتَارَةً
 حُمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ وَزُرْقَاءَ وَخَضْرَاءَ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ
 وَهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَكُونُ كَلَوْنُ
 الْبَغْلَةِ الْوَرْدَةِ، وَتَكُونُ كَأَمْهَلِ كَدُّوَيْ الزَّيْتِ. وَقَالَ
 مُجَاهِدٌ: ﴿كَالِدِهَانٍ﴾: كَأَلْوَانِ الدِّهَانِ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُؤْخَذُ لَا يُشْكَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِسٌّ وَلَا جَانٌّ﴾
 وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَظْفِقُونَ﴾^(٢) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
 فَيَعْتَذِرُونَ» [المرسلات: ٣٦، ٣٥] فَهَذَا فِي حَالٍ، وَثُمَّ فِي
 حَالٍ يُسْأَلُ الْخَلَائِقُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْزِمُهُنَّ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»
 [الحجر: ٩٢، ٩٣] وَلِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَيُؤْخَذُ لَا يُشْكَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
 إِسٌّ وَلَا جَانٌّ﴾ قَالَ: قَدْ كَانَتْ مَسْأَلَةٌ ثُمَّ خُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِ
 الْقَوْمِ وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٤). قَالَ
 تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ﴾ أَيُّ: بِعَلَامَاتٍ تَظْهَرُ
 عَلَيْهِمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: يَعْرِفُونَهُمْ بِأَسْوَادِ الْوُجُوهِ
 وَزُرْقَةِ الْعُيُونِ^(٥). (قُلْتُ): وَهَذَا كَمَا يَعْرِفُ الْمُؤْمِنُونَ
 بِالْغَرَّةِ وَالْتَّحْجِيلِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أَيُّ يَجْمَعُ
 الزَّبَانِيَّةَ نَاصِيَتَهُ مَعَ قَدَمَيْهِ وَيُلْقِفُونَهُ فِي النَّارِ كَذَلِكَ. وَقَالَ
 الْأَعْمَشُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ فَيَكْسَرُ كَمَا
 يُكْسَرُ الْحَطَبُ فِي النَّوْرِ^(٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أَيُّ:
 هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ تُكْذِبُونَ بِوُجُودِهَا، هَاهُنَا حَاضِرَةٌ
 تُشَاهِدُونَهَا عَيْنَانَا، يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَتَضْعِيرًا
 وَتَحْقِيرًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ ءَانٍ﴾ أَيُّ:
 تَارَةً يَعْدَبُونَ فِي الْجَحِيمِ، وَتَارَةً يُسْقَوْنَ مِنَ الْحِمِيمِ، وَهُوَ
 الشَّرَابُ الَّذِي هُوَ كَالنَّحَاسِ الْمَذَابِ يَقْطَعُ الْأَمْعَاءَ
 وَالْأَحْشَاءَ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ الْأَغْلَلُ فِيَ آَعْنَقِهِمْ
 وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(٧) فِي الْحِمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ»
 [غافر: ٧١، ٧٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَانٍ﴾ أَيُّ: حَارٌّ قَدْ بَلَغَ الْعَايَةَ فِي
 الْحَرَارَةِ لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي
 قَوْلِهِ: ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ ءَانٍ﴾ أَيُّ: قَدْ انْتَهَى عَلَيْهِ،
 وَاشْتَدَّ حَرُّهُ^(٨). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ
 وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَالثَّوْرِيُّ وَالسُّدِّيُّ^(٩). وَقَالَ قَتَادَةُ: قَدْ
 أَنْ طَبَخَهُ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ^(١٠). وَقَالَ مُحَمَّدٌ

(١) الطبري: ٥٠/٢٣ (٢) الطبري: ٥٢/٢٣ (٣) الطبري: ٥٤/٢٣
 (٤) الدر المنثور: ٧٠٤/٧ (٥) الطبري: ٥٤/٢٣
 (٦) الطبري: ٥٥، ٥٤/٢٣ والقرطبي: ١٧٥/١٧ (٧) الطبري: ٥٤/٢٣
 (٨) الطبري: ٥٥/٢٣

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ يَعْنِي: أَنَّ بَيْنَ ذَلِكَ بَوْنًا عَظِيمًا وَفَرْقًا بَيْنًا فِي التَّضَاضِلِ.

﴿مُكَيَّنَ عَلَى فُرْشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَيٍّ الْخَنَيْنِ دَانٍ﴾ (٤٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٧) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٤٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٩) ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهٍ زَوْجَانِ﴾ (٥٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥١) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٢) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٣) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٤) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٥) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٧) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٩) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٦٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٦١)

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مُكَيَّنَ﴾ يَعْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ. وَالْمُرَادُ بِالْإِتِّكَاءِ هَهُنَا: الإِضْطِجَاعُ، وَيُقَالُ: الْجُلُوسُ عَلَى صِفَةِ التَّرْبِيعِ. ﴿عَلَى فُرْشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ وَهُوَ مَا غُلِظَ مِنَ الدِّيَابِجِ. قَالَ عِكْرَمَةُ وَالصَّحَّاحُ وَقَتَادَةُ (١). وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: هُوَ الدِّيَابِجُ الْمَزِينُ بِالذَّهَبِ، فَتَبَّهَ عَلَى شَرَفِ الطَّهَّارَةِ بِشَرَفِ الْبَطَانَةِ، فَهَذَا مِنَ التَّنْبِيهِ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَةَ بِنِ [يَرِيمَ]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: هَذِهِ الْبَطَانُ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمُ الطَّوَاهِرَ (٢). ﴿وَحَيٍّ الْخَنَيْنِ دَانٍ﴾ أَيُّ: ثَمَرُهَا قَرِيبٌ إِلَيْهِمْ مَتَى شَاءُوا تَنَاولُوهُ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ كَانُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطُوفُهَا دَانِيَةً﴾ [الحاقة: ٢٣] وَقَالَ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا لِرَّيْلًا﴾ [الإنسان: ١٤] أَيُّ: لَا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ تَنَاولَهَا، بَلْ تَنْحَطُّ إِلَيْهِ مِنْ أَغْصَانِهَا ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ الْفُرْشَ وَعَظَمَتَهَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿فِيهِمَا﴾ أَيُّ: فِي الْفُرْشِ ﴿فَصِرَتْ الظَّرْفُ﴾ أَيُّ: غَضِيضَاتٌ عَنْ غَيْرِ أَرْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَرَيْنَ شَيْئًا فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنَ مِنْ أَرْوَاجِهِنَّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ (٣). وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ تَقُولُ لِبُعْلِهَا: وَاللَّهِ مَا أَرَى فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْكَ. وَلَا فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ لِي وَجَعَلَنِي لَكَ.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ أَيُّ: بَلْ هُنَّ أَبْكَارٌ عُرُبٌ أَتْرَابٌ لَمْ يَطَّاهُنَّ أَحَدٌ قَبْلَ أَرْوَاجِهِنَّ مِنَ الْإِنْسِي

مِمَّا يُزْجِرُهُمْ عَمَّا فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ مُمْتَنًا بِذَلِكَ عَلَى بَرِيَّتِهِ: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾.

﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٤٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٧) ﴿ذَرَانَا أَفْتَانِ﴾ (٤٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٩) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥١) ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهٍ زَوْجَانِ﴾ (٥٢) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ (٥٣)

[أَحْوَالُ الْمُتَّقِينَ وَنَعِيمُهُمْ فِي الْجَنَّتِ]

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠] وَلَمْ يَطْعُ وَلَا أَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَلِمَ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى فَادَى فَرَأَضَ اللَّهُ، وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ، فَلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ، كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضْءِ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رِذَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ» (١). وَأَخْرَجَهُ بِقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِهِ (٢). وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْإِنْسِي وَالْجِنِّ، فَهِيَ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْجَنَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِذَا آمَنُوا وَاتَّقَوْا، وَلِهَذَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الثَّقَلَيْنِ بِهَذَا الْجَزَاءِ فَقَالَ: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (٤٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ ثُمَّ نَعَتْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَقَالَ: ﴿ذَرَانَا أَفْتَانِ﴾ أَيُّ: أَغْصَانٍ نَضِرَةٌ حَسَنَةٌ، تَحْمِلُ مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ نَضِيجَةٍ فَائِقَةٍ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ هَكَذَا قَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَجَمَاعَةٌ: إِنَّ الْأَفْتَانَ أَغْصَانُ الشَّجَرِ يَسُسُ بَعْضُهَا بَعْضًا. ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أَيُّ: تَسْرَحَانِ لِسْفِي تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَالْأَغْصَانِ فَتَتَمَرُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِحْدَاهُمَا يُقَالُ لَهَا: تَسْنِيمٌ، وَالْأُخْرَى: السَّلْسِيلُ (٣). وَقَالَ عَطِيَّةٌ: إِحْدَاهُمَا مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ خَمِرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ (٤). وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ هَذَا: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَلَكَهٍ زَوْجَانِ﴾ أَيُّ: مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ مِمَّا يَعْلَمُونَ وَخَيْرٌ مِمَّا يَعْلَمُونَ، وَمِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ﴾. قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا فِي الدُّنْيَا ثَمَرَةٌ حُلُوةٌ وَلَا مُرَّةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى الْحَنْظَلِ (٥).

(١) فتح الباري: ٤٩١/٨ (٢) مسلم: ١٦٣/١ وتحفة الأحوذى: ٢٣٢/٧ والنسائي في الكبرى: ٤١٩/٤ وابن ماجه: ٦٦/١ (٣) القرطبي: ١٧٨/١٧ (٤) القرطبي: ١٧٨/١٧ (٥) القرطبي: ١٧٩/١٧ (٦) الطبري: ٦١/٢٣ والقرطبي: ١٧/١٧ (٧) الطبري: ٦٢/٢٣ إسناده ضعيف مداره على أبي إسحاق السبيعي وهومدلس ولم يصرح (٨) الطبري: ٦٣/٢٣ ٤١/٢١

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

٥٣٤

الْحَمْدُ لِلَّهِ

فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَخُلُوعٌ وَمَأْنٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَنَاتٌ ﴿٧٦﴾ فَإِنِّي
ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْفَعُهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنًيًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
الْمَيْمَنِ مِمَّا أَصْحَبَ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشَّامَةِ مِمَّا أَصْحَبَ
الشَّامَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّدُونَ لِلْسَّيِّدِينَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا ثَمَنٌ فَلِيلٍ ﴿١٦﴾

وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ دُونَ اللَّيْنِ قَبْلَهُمَا فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْفَضِيلَةِ
وَالْمَنْزِلَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا،
وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، فَلَا أَوْلِيَانِ لِلْمُقَرَّبِينَ
وَالْأُخْرَيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧﴾. وَقَالَ أَبُو مُوسَى: جَنَّتَانِ
مِنْ ذَهَبٍ لِلْمُقَرَّبِينَ وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى شَرَفِ الْأُولَيْنِ عَلَى الْآخَرَيْنِ وَجُودُهُ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ نَعَتَ الْأُولَيْنِ قَبْلَ هَاتَيْنِ، وَالتَّقْلِيدُ يَدُلُّ عَلَى
الِإِغْتِنَاءِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي
شَرَفِ التَّقَدُّمِ وَعُلُوِّهِ عَلَى الثَّانِي.

وَقَالَ هُنَاكَ ﴿ذَرَانَا أَفْنَانِ﴾ وَهِيَ الْأَغْصَانُ أَوْ الْفُتُونُ فِي

(١) الطبري: ٦٥/٢٣ (٢) الطبري: ٦٧، ٦٦/٢٣ (٣) مسلم: ٢١٧٨/٤
(٤) فتح الباري: ٦/٣٦٧ و٤١٧ ومسلم: ٤/٢١٧٩، ٢١٨٠ (٥) أحمد: ١٤١/٣ (٦) فتح الباري: ١٩/٦
(٧) فتح الباري: ٤٩١/٨

وَالجَنِّ، وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى دُخُولِ مُؤْمِنِي الْجَنِّ
الْجَنَّةَ. وَقَالَ أَرْطَاهُ بْنُ الْمُتَنَذِرِ: سِئِلَ ضَمْرُهُ بْنُ حَبِيبٍ: هَلْ
يَدْخُلُ الْجَنِّ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَيَتَكَبَّرُونَ، لِلْجَنِّ جَنِّيَاتٌ،
وَالْإِنْسُ إِنْسِيَّاتٌ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا
جَانٌ﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾. ثُمَّ قَالَ يَنْعَتُهُنَّ
لِلْخَطَابِ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ
وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ: فِي صَفَاءِ الْيَاقُوتِ وَيَبَاضِ الْمَرْجَانِ،
فَجَعَلُوا الْمَرْجَانِ هَهُنَا اللَّوْلُؤَ ﴿٢﴾.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: إِنَّمَا
تَفَاخَرُوا وَإِنَّمَا تَذَاكُرُوا، الرَّجَالُ أَكْثَرُ فِي الْجَنَّةِ أَمِ النِّسَاءُ؟
فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوَلَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ
تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ، وَالتِّي تَلِيهَا عَلَى
[أَصْوَةٍ] كَوْكَبِ ذُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ
زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مِخْ شَوْقُهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي
الْجَنَّةِ أَغْرَبُ» ﴿٣﴾. وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي
الصَّحِيحَيْنِ ﴿٤﴾. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعُدُوءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رُوحَةُ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا
وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدِهِ - يَغْنِي
سَوْطُهُ - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَطْلَعَتْ
امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا
رِيحًا، وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ﴿٥﴾. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِنَحْوِهِ ﴿٦﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ أَيْ لَا
لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتًى زِيَادَةٌ﴾
[يونس: ٢٦]، وَلَمَّا كَانَ فِي الَّذِي ذَكَرَ نِعَمٌ عَظِيمَةٌ لَا
يَقَاوِمُهَا عَمَلٌ، بَلْ مُجَرَّدُ تَفَضُّلٍ وَامْتِنَانٍ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ:
﴿فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
مُذْهَبَانِ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ فِيهَا عَيْنَانِ
نَضَّاحَتَانِ ﴿٧٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَخُلُوعٌ
وَرَمَّانٌ ﴿٧٤﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٦﴾
فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَإِنِّي
ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٨٠﴾ فَإِنِّي
ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي
حَسَنَاتٌ ﴿٨٢﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٣﴾ نَبْرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الرَّفُوفُ: الْمَحَابِسُ^(١). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ: هِيَ الْمَحَابِسُ^(٢). وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ [بَدْرٍ]: الرَّفْدُ عَلَى السَّرِيرِ كَهَيْئَةِ الْمَحَابِسِ الْمُتَدَلِّي. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: الْعَبْقَرِيُّ: الزَّرَائِيُّ^(٣).

ثُمَّ قَالَ: «لَبَّكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أَيُّ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُجَلَّ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُكْرَمَ فَيُعْبَدَ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» ذِي الْعِظَمَةِ وَالْكَبِيرِيَّةِ^(٤). وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَذِي السُّلْطَانِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ»^(٥).

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رِبْعَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلْطَوُا بِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٦). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٧). وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ أَلْطَأَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ إِذَا لَزِمَهُ، وَقَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَلْطَوُا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَيُّ الزُّمُورِ. وَيُقَالُ: الْإِلْطَاطُ هُوَ الْإِلْحَاحُ.

(قُلْتُ) وَكِلَاهُمَا قَرِيبٌ مِنَ الْآخِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ الْمُدَاوِمَةُ وَاللُّزُومُ وَالْإِلْحَاحُ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَالشَّيْخِ الْأَرْبَعَةِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لَا يَقْعُدُ بَعْثِي بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَّا يَقْدِرُ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٨).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

الْمَلَادُ، وَقَالَ هَهُنَا «مُدَاهَمَتَانِ» أَيُّ: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الرِّيّ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: «مُدَاهَمَتَانِ» قَدْ اسْوَدَّتَا مِنَ الْخُضْرَةِ مِنْ شِدَّةِ الرِّيّ مِنَ الْمَاءِ^(٩). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ «مُدَاهَمَتَانِ»: مُمْتَلِئَتَانِ مِنَ الْخُضْرَةِ، وَلَا شَكَّ فِي نَضَارَةِ الْأَغْصَانِ عَلَى الْأَشْجَارِ الْمُشْتَبِكَةِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ.

وَقَالَ هُنَاكَ: «فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ» وَقَالَ هَهُنَا: «فَضْلَانِ» قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ فَيَاضَتَانِ وَالْجُرْيُ أَقْوَى مِنَ النَّضْخِ^(١٠). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «فَضْلَانِ» أَيُّ مُمْتَلِئَتَانِ وَلَا تَنْقُطَعَانِ^(١١).

وَقَالَ هُنَاكَ «فِيهَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَيَّانٌ» وَقَالَ هَهُنَا: «فِيهَا فِكْهَةٌ وَخَلٌّ وَرَمَانٌ» وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَوَّلَى أَعَمُّ وَأَكْثَرُ فِي الْأَفْرَادِ وَالتَّنْوِيعِ عَلَى فَكْهَةٍ، وَهِيَ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ لَا تَعْمُ، وَلِهَذَا لَيْسَ قَوْلُهُ: «وَخَلٌّ وَرَمَانٌ» مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ كَمَا قَرَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ، وَإِنَّمَا أَفْرَدَ النَّخْلَ وَالرَّمَانَ بِالذِّكْرِ لِشَرْفِهِمَا عَلَى غَيْرِهِمَا.

ثُمَّ قَالَ: «فِيهِنَّ خَيْرَتٌ حِسَانٌ» قِيلَ: الْمُرَادُ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْجَنَّةِ قَالَهُ قَتَادَةُ. وَقِيلَ: خَيْرَاتٌ جَمْعُ خَيْرَةٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ الْحَسَنَةُ الْخُلُقِيَّةُ الْحَسَنَةُ الْوَجْهِ، قَالَهُ الْجُمْهُورُ. وَرَوَى مَرْفُوعًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ^(١٢). وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: أَنَّ الْحُورَ الْعَيْنِ يُغْنَيْنِ: «نَحْنُ الْخَيْرَاتُ الْحِسَانُ، خُلِقْنَا لِأَزْوَاجِ كِرَامٍ»^(١٣). ثُمَّ قَالَ: «حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَارِ» وَهُنَاكَ قَالَ: «فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الظَّرْفِ» وَلَا شَكَّ أَنَّ الَّتِي قَدْ قَصُرَتْ طَرَفُهَا بِنَفْسِهَا أَفْضَلُ مِمَّنْ قَصُرَتْ وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ مُخَدَّرَاتٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فِي الْخِيَارِ». رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْآخِرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ»^(١٤). وَرَوَاهُ أَيْضًا وَقَالَ: «ثَلَاثُونَ مِيلًا»^(١٥).

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَلَفْظُهُ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلٌ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَمْ يَطْمِئِنَّ قُلُوبَهُمْ» وَلَا جَانٌّ قَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ سَوَاءً إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي وَصْفِ الْأَوَائِلِ بِقَوْلِهِ: «كَأَنَّهُنَّ الْآبَاؤُ وَالرِّجَالُ»^(١٧) فَإِنَّ مَالَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ»

(١) الدر المنثور: ٧١٥/٧ (٢) الدر المنثور: ٧١٦/٧ (٣) الطبري: ٣٥٧/٢٣ (٤) الطبري: ٧٥/٢٣ (٥) الطبراني في الأوسط: ٢٥٧/٧ فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي [مجمع الزوائد ٧/١٢٢] (٦) فتح الباري: ٤٩١/٨ (٧) فتح الباري: ٣٦٦/٦ (٨) مسلم: ٢١٨٢/٤ (٩) الطبري: ٨٣/٢٣ (١٠) الطبري: ٨٤/٢٣ (١١) الطبري: ٨٥/٢٣ (١٢) الطبري: ٨٦/٢٣ (١٣) أبو داود: ١٧٤/٥ إسناده ضعيف لجهالة أبي كنانة. [تقريب ٩٩٢٨] (١٤) أحمد: ١٧٧/٤ (١٥) النسائي في الكبرى: ٤٧٩/٦ (١٦) مسلم: ٤١٤/١ وأبو داود: ١٧٩/٢ وتحفة الأحوذ: ١٩٢/٢ والنسائي: ٦٩/٣ وابن ماجه: ٢٩٨/١

تفسير سورة الواقعة وهي مكية

[فصل سورة الواقعة]

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَارَسُوا اللَّهَ! قَدْ شَبَّتْ، قَالَ «شَبَّيْنِي هُوَذَا الْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^(١). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كَتَحْوٍ مِنْ صَلَاتِكُمْ الَّتِي تُصَلُّونَ الْيَوْمَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّفُ، كَانَتْ صَلَاتُهُ أَخْفَ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْقَجْرِ الْوَاقِعَةَ وَتَحْوَهَا مِنَ السُّورِ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١) لَيْسَ لَوْقَعَهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَسُتِ الْجِبَالُ سُتًا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبِنًا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ لَشِرَافُهُمْ (٩) وَأُولَئِكَ الْمُرْتَكِبُونَ (١٠) فِي جَهَنَّمَ النَّارِ (١١) فِي جَهَنَّمَ النَّارِ (١٢)

[ذكر أحوال يوم القيامة]

الْوَاقِعَةُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَحَقُّقِ كَوْنِهَا وَوُجُودِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيُؤْخَذُ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَوْقَعِنَا كَاذِبَةٌ﴾ أَيُّ لَيْسَ لَوْقُوعِهَا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ كَوْنَهَا صَارِفَ بِضَرْفِهَا وَلَا دَافِعَ يَدْفَعُهَا كَمَا قَالَ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧] وَقَالَ: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١) لِلْمُكَذِّبِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ [المعارج: ٢٠، ١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُلُّ نَفْسٍ لَوْ كُنْتُ ظَهِيرًا لَبِئْسَ مَا كُنْتُ بِهِ﴾ (٢) وَهُوَ الْخَبِيرُ [الأنعام: ٧٣]. وَمَعْنَى «كَاذِبَةٌ» كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: لَيْسَ فِيهَا مَثْنِيَّةٌ وَلَا أَزْدَادٌ وَلَا رَجْعَةٌ^(٣). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْكَاذِبَةُ مَصْدَرٌ كَالْعَاقِيَةِ وَالْعَاقِيَةِ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ أَيُّ تَخْفِضُ أُنْوَاعًا إِلَى أَسْفَلٍ سَافِلِينَ إِلَى الْجَحِيمِ، وَإِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا أَعْرَاءَ، وَتَرَفُّعَ آخَرِينَ إِلَى أَعْلَى عُلْيَى إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَإِنْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا وَضَعَاءَ. هَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا^(٥). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «خَافِضَةٌ

رَافِعَةٌ» أَسْمَعَتِ الْقُرْبَى وَالْبَعِيدَ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: خَفَضَتْ فَأَسْمَعَتِ الْأَذْنَى، وَرَفَعَتْ فَأَسْمَعَتِ الْأَفْصَى. وَكَذَا قَالَ الصَّحَّاحُ وَقَتَادَةُ.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أَيُّ حُرِّكَتْ تَحْرِيكًا فَاهْتَزَّتْ وَاضْطَرَبَتْ بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أَيُّ زُلْزَلَتْ زَلْزَالًا^(٦). وَقَالَ الرَّبِيعُ ابْنُ أَنَسٍ: تَرُجُ بِمَا فِيهَا كَرَجِ الْعُزْبَالِ بِمَا فِيهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ [الزلزلة: ١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبِّكُمْ﴾ (١) زَلْزَلَةُ السَّكَاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ [الحج: ١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ أَيُّ فَتَنَّتْ فَتًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ: وَغَيْرُهُمْ^(٧). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: صَارَتِ الْجِبَالُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَيْبًا مَهِيلاً﴾^(٨).

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبِنًا﴾ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَبَاءٌ مُتَّبِنٌ» كَرَهَجِ الْعُبَارِ يَسْطَعُ ثُمَّ يَذْهَبُ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبِنًا﴾ الْهَبَاءُ الَّذِي يَطِيرُ مِنَ النَّارِ إِذَا اضْطَرَمَّتْ يَطِيرُ مِنْهُ الشَّرُّ فَإِذَا وَقَعَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا^(٩). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْمُتَّبِنُ: الَّذِي قَدْ ذَرَتْهُ الرِّيحُ وَبَثَّتْهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: «هَبَاءٌ مُتَّبِنٌ» كَبَيْسِ الشَّجَرِ الَّذِي تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَأَخَوَاتِهَا الدَّالَّةُ عَلَى زَوَالِ الْجِبَالِ عَنْ أَمَاكِنِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَهَابِهَا وَتَشْيِيرِهَا وَتَسْفِيفِهَا [أَيُّ قَلْعِهَا] وَصَيْرُورِهَا كَالْعِهْنِ الْمُتْفُوشِ.

[الناس ثلاثة أقسام يوم القيامة]

وقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أَيُّ يَنْقَسِمُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: قَوْمٌ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ. وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ شِقِّ آدَمَ الْأَيْمَنِ، وَيُؤْتَوْنَ كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الْيَمِينِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: وَهُمْ جُمْهُورُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَآخَرُونَ عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ، وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ

(١) تحفة الأحوذى: ١٨٤/٩ (٢) أحمد: ١٠٤/٥ فيه سماك بن حرب عن عكرمة وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة كما مر ذكره وليست هذه منها وقد تغير آخره فكان ربما تلفن. (٣) الطبري: ٨٩/٢٣ (٤) الطبري: ٨٩/٢٣ (٥) الطبري: ٩٠/٢٣ (٦) الطبري: ٩١/٢٣ (٧) الطبري: ٩٣، ٩٢/٢٣ (٨) الطبري: ٩٣/٢٣ (٩) الطبري: ٩٤/٢٣

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ مُخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفُ وَابْرِيْقُ وَكُلْسُ مِنْ مَعِينِ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْةٌ مِمَّا تَحَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَعَلَّ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهْةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرشٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَعْنَهُمْ أَتْكَارًا ﴿٣٦﴾ عَرَبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ ﴿٤١﴾ فِي سَعْمٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيَدَاؤُنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَلَمْ نَلْعَبْهُمْ نَوْمًا ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا أَلَمْ نُولَدْ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

بِقَوْلِهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣). وَلَمْ يَحْكُ غَيْرُهُ وَلَا عَزَاهُ إِلَى أَحَدٍ، وَمِمَّا يُسْتَأْنَسُ بِهِ لِهَذَا الْقَوْلِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» (٣٨) وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّتْ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثَلَاثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، بَلْ أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ - أَوْ: شَطْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وَتَقَاسِمُونَهُمُ النِّصْفَ الثَّانِي». وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٤).

وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ هَهُنَا، فِيهِ نَظَرٌ، بَلْ هُوَ

شَقَّ أَدَمَ الْأَيْسَرَ وَيُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِشِمَالِهِمْ وَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، وَهُمْ عَامَّةُ أَهْلِ النَّارِ - عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ صَنِيعِهِمْ - وَطَائِفَةٌ سَابِقُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُمْ أَحْصَى وَأَحْطَى وَأَقْرَبَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِينَ هُمْ سَادَتُهُمْ، فِيهِمُ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَهُمْ أَقْلُ عَدَدًا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالصَّادِقُونَ السَّابِقُونَ [الواقعة: ٨-١٠] وَهَكَذَا قَسَمَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ فِي آخِرِ السُّورَةِ وَقَدْ اخْتَصَرَاهُمْ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ...» (آيَةُ [فاطر: ٣٢]).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو حُرْزَةَ وَيَعْقُوبُ بْنُ مُجَاهِدٍ: «وَالصَّادِقُونَ السَّابِقُونَ» هُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (١). وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُمُ أَهْلُ عَلِيٍّ.

وَالْمُرَادُ بِالسَّابِقِينَ هُمُ الْمُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ كَمَا أَمُرُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] فَمَنْ سَابَقَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَسَبَقَ إِلَى الْخَيْرِ، كَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْكِرَامَةِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنَسِ الْعَمَلِ، وَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) فِي جَنَّاتِ الْعَمِيمِ. وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ (٣٩) عَلَى سُرْرِ مَوْضُوعَةٍ (٤٠) مُتْرَكِينَ عَلَيْهَا مُتَنَدِّلِينَ (٤١) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْ مُخْلَدُونَ (٤٢) يَا كُوفُ وَابْرِيْقُ وَكُلْسُ مِنْ مَعِينِ (٤٣) لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَزِفُونَ (٤٤) وَفَكَهْةٌ مِمَّا يَحَيَّرُونَ (٤٥) وَلَعَلَّ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ (٤٦) وَحُورٌ عِينٌ (٤٧) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٤٨) جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٩) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٥٠) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٥١)

[السَّابِقُونَ وَجَزَاؤُهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ أَنَّهُمْ «ثَلَاثَةٌ» أَيَّ جَمَاعَةٍ «مِنَ الْأَوَّلِينَ» (٣٨) وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: «الْأَوَّلِينَ» وَ«الْآخِرِينَ» فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْأَوَّلِينَ الْأُمَمُ الْمَاضِيَّةُ، وَبِالْآخِرِينَ هَذِهِ الْأُمَّةُ. وَهَذَا رَوَايَةٌ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، رَوَاهَا عَنْهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ (٢). وَاسْتَأْنَسَ

(١) القرطبي: ١٩٩/١٧ (٢) الطبري: ٩٨/٢٣ (٣) فتح الباري: ٥٢٦/١١ (٤) أحمد: ٣٩١/٢ إسناده ضعيف فيه شريك بن عبدالله سيء الحفظ ووالد محمد بياح الملاء وهو عبدالرحمن بن خالد بن ميسرة مجهول لكن يشهد لقوله: "انتم ثلث أهل الجنة" حديث ابن مسعود عند أحمد ٤٣٢٨ وحديث جابر أيضا عنده ٣٤٦/٣، ٣٨٣.

عَنْهَا، وَلَا يَشِيُونَ وَلَا يَتَعَيَّرُونَ ﴿١٠﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِقٍ وَلَئِنْ مَعِينِ ﴿١١﴾ أَمَّا الْأَكْوَابُ فَهِيَ الْكِزَانُ الَّتِي لَا خَرَاطِيمَ لَهَا وَلَا آذَانَ. وَالْأَبَارِقُ الَّتِي جَمَعَتِ الْوُصْفَيْنِ. وَالْكَؤُوسُ: الْهَنَابَاتُ. وَالْجَمِيعُ مِنْ خَمَرٍ مِنْ عَيْنِ جَارِيَةٍ مَعِينٍ، لَيْسَ مِنْ أَوْعِيَةٍ تَنْقَطِعُ وَتَفْرُغُ، بَلْ مِنْ عُيُونٍ سَارِحَةٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ أَيُّ لَا تَصْدَعُ رُؤُوسَهُمْ وَلَا تَنْزِفُ عُقُولَهُمْ، بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ مَعَ الشَّدَةِ الْمُطَرِّبَةِ وَاللَّذَّةِ الْحَاصِلَةِ، وَرَوَى الضَّحَّاكُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: فِي الْخَمْرِ أَرْبَعُ خِصَالٍ: السُّكْرُ، وَالصَّدَاعُ، وَالْقَيْءُ، وَالْبَوْلُ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى خَمَرَ الْجَنَّةِ وَزَوَّجَهَا عَنْ هَذِهِ الْخِصَالِ^(٥). وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَطِيَّةُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾ يَقُولُ: لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا صَدَاعٌ رَأْسِي^(٦). وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُزْفُونَ﴾ أَيُّ لَا تَذْهَبُ بِعُقُولِهِمْ^(٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَكَهَمَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾^(٨) وَلَمْ يَطْرُقْ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ أَيُّ: وَيَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِمَا يَتَخَيَّرُونَ مِنَ الثَّمَارِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ أَكْلِ الْفَاكِهَةِ عَلَى صِفَةِ التَّخَيَّرِ لَهَا.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا، فَرُبَّمَا رَأَى الرَّجُلَ الرُّؤْيَا فَسَأَلَ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ، فَإِذَا أَتَتْهُ عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ فَأُخْرِجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ وَجْهَ انْتَحَبَتْ لَهَا الْجَنَّةُ، فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَفُلَانُ بْنُ فُلَانٍ فَسَمِعْتُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ بَعَثَ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ - فَجَاءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ نِيَابُ طُلَسٍ تَشَخَّبَ أَوْدَاجُهُمْ، فَقِيلَ: اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْدَخِ - أَوْ الْبَيْدَخِ - قَالَ: فَفَمِسُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَوُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَأَتُوا بِصَفْحَةٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بُسْرٌ، فَأَكَلُوا مِنْ بُسْرِهِ مَا شَاءُوا، فَمَا يَقْلِبُونَهَا مِنْ وَجْهِ إِلَّا أَكَلُوا

قَوْلٌ ضَعِيفٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، فَيَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الْمُقَرَّبُونَ فِي غَيْرِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَالْقَوْلُ الثَّانِي فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ الرَّاجِحُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أَيُّ مِنْ صَدَرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أَيُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى قَالَ: قَرَأَ الْحَسَنُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(٩) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ^(١٠) فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ^(١١) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ قَالَ: ثُلَّةٌ مِمَّنْ مَضَى مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَرَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٢) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ أَوْ يَرْجُونَ أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ أَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَوَّلَ كُلِّ أُمَّةٍ خَيْرٌ مِنْ آخِرِهَا، فَيَحْتَمِلُ أَنْ تَعَمَّ الْآيَةُ جَمِيعَ الْأُمَمِ، كُلُّ أُمَّةٍ بِحَسَبِهَا، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحَاحِ وَغَيْرِهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الْقُرُونِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١٣). الْحَدِيثُ بِتَمَامِهِ. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ». وَفِي لَفْظٍ: «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١٤). وَالْغَرَضُ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَشْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ، وَالْمُقَرَّبُونَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهَا، وَأَعْلَى مَنْزِلَةً لِشَرَفِ دِينِهَا وَعِظَمِ نَبِيِّهَا، وَلِهَذَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَفِي لَفْظٍ: «مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا» وَفِي آخَرٍ: «مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا».

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ مَرْمُولَةٍ بِالذَّهَبِ، يَعْنِي مَسْجُوجَةٌ بِهِ^(١٥). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُ^(١٦). وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَمِنْهُ يُسَمَّى وَضِئُ النَّاقَةِ الَّتِي تَحْتَ بَطْنِهَا، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، لِأَنَّهُ مَضْفُورٌ، وَكَذَلِكَ السُّرُّ فِي الْجَنَّةِ مَضْفُورَةٌ بِالذَّهَبِ وَاللَّائِلِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ﴾ أَيُّ: وَجُوهُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، لَيْسَ أَحَدٌ وَرَاءَ أَحَدٍ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ أَيُّ: مُخَلَّدُونَ عَلَى صِفَةِ وَاحِدَةٍ، لَا يَتَكَبَّرُونَ

(١) البخاري: ٣٦٥١ ولفظ البخاري "خير الناس قرني..." وقد تقدم هذا. (٢) البخاري: ٧١، ٣١١٦، ٣٦٤٠، ٣٦٤١، ٧٣١١، ٧٣١٢، ٧٤٥٩، ٧٤٦٠ وغير ذلك. (٣) الطبري: ٩٩/٢٣ (٤) الطبري: ٩٩/٢٣، ١٠٠ (٥) القرطبي: ١٧/٢٠٤ إسناده منقطع والضحاك لم يسمع من ابن عباس (٦) الطبري: ١٠٤، ١٠٣/٢٣ (٧) الطبري: ١٠٤، ١٠٤/٢٣

تَعَالَى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو الْأَخْوَصِ وَقَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرٍ وَالسَّفَرِيُّ بْنُ نَسِيرٍ، وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ وَالسَّيِّدِيُّ وَأَبُو حَزْرَةَ وَغَيْرُهُمْ: هُوَ الَّذِي لَا شَوْكَ فِيهِ^(٣). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الْمَوْقَرُ بِالثَّمَرِ. وَهُوَ رَوَايَةٌ عَنْ عِكْرَمَةَ وَمُجَاهِدٍ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ أَيْضًا: كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّهُ الْمَوْقَرُ الَّذِي لَا شَوْكَ بِهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَرَادَ هَذَا وَهَذَا، فَإِنَّ سِدْرَ الدُّنْيَا كَثِيرُ الشَّوْكِ قَلِيلُ الثَّمَرِ، وَفِي الْأَخِرَةِ عَلَى الْعُكْسِ مِنْ هَذَا، لَا شَوْكَ فِيهِ، وَفِيهِ الثَّمَرُ الْكَثِيرُ الَّذِي قَدْ أَثْقَلَ أَصْلُهُ، وَعُتْبَةُ بْنُ عَبْدِ السَّلْمِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَ أَغْرَابِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْمَعُكَ تَذَكُّرُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٍ لَا أَغْلَمُ شَجَرًا أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا، يَغْنِي: الطَّلْحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِنْهَا ثَمَرَةً، مِثْلَ خُصْوَةِ النَّسْرِ الْمَلْبُودِ، فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، لَا يُشْبِهُ لَوْنٌ آخَرَ»^(٤). وَقَوْلُهُ: ﴿وَطَلْحٍ مَّخْضُودٍ﴾ الطَّلْحُ: شَجَرٌ عَظَامٌ يَكُونُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ مِنْ شَجَرِ الْعِصَاءِ، وَاجِدُهُ طَلْحَةً، وَهُوَ شَجَرٌ كَثِيرُ الشَّوْكِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مَّخْضُودٍ﴾ أَيْ مُتَرَاكِمُ الثَّمَرِ يُذَكَّرُ بِذَلِكَ قُرَيْشًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْجَبُونَ مِنْ وَجْهِ وَظِلَالِهِ مِنْ طَلْحٍ وَسِدْرٍ^(٥). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: ﴿وَطَلْحٍ مَّخْضُودٍ﴾ قَالَ: الْمَوْزُ. قَالَ: وَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ وَعِكْرَمَةَ وَقَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ وَقَتَادَةَ، وَأَبِي حَزْرَةَ مِثْلَ ذَلِكَ^(٦). وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ زَيْدٍ. وَزَادَ فَقَالَ: أَهْلُ الْيَمَنِ يُسَمُّونَ الْمَوْزَ الطَّلْحَ^(٧). وَلَمْ يَحْكِ ابْنُ جَرِيرٍ غَيْرَ هَذَا الْقَوْلِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَطَلْحٍ مَّخْضُودٍ﴾ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُبْلَغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، أَفْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَطَلْحٍ مَّخْضُودٍ﴾»^(٨). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٩). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، أَفْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:

مِنَ الْفَائِكَةِ مَا أَرَادُوا، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ، فَقَالَ مَا كَانَ مِنْ رُؤْيَا: كَذَا وَكَذَا. فَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ حَتَّى عَدَّ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَرْأَةَ، فَقَالَ: «قُصِّي رُؤْيَاكَ» فَقَصَّتْهَا وَجَعَلَتْ تَقُولُ: فَجِئْتُ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ كَمَا قَالَ. هَذَا لَفْظُ أَبِي يَعْلَى^(١). قَالَ الْحَافِظُ الضَّيَاءُ: وَهَذَا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَحِمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُحْبِ، يَرَعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ، فَقَالَ: «أَكَلَهَا أَنْعَمَ مِنْهَا» قَالَهَا ثَلَاثًا «وَأَنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا»^(٢). انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَمْثِلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أَيْ: كَأَنَّهُنَّ اللَّوْلُؤُ الرُّطْبُ فِي بَيَاضِهِ وَصَفَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَصَفُوهُنَّ أَيْضًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حَرَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: هَذَا الَّذِي أَتَحَفَّنَاهُمْ بِهِ مُجَازَاةً لَهُمْ عَلَى مَا أَحْسَنُوا مِنَ الْعَمَلِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾^(٣) إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا أَيْ: لَا يَسْمَعُونَ فِي الْجَنَّةِ كَلَامًا لَا غِيَا أَيْ: عَبَثًا خَالِيًا مِنَ الْمَعْنَى، أَوْ مُشْتَمِلًا عَلَى مَعْنَى حَقِيرٍ، أَوْ ضَعِيفٍ كَمَا قَالَ: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيْثَةً﴾ [الغاشية: ١١] أَيْ: كَلِمَةً لَا غِيَةَ^(٤) وَلَا تَأْثِيمًا أَيْ: وَلَا كَلَامًا فِيهِ فِتْنٌ^(٥) إِلَّا قِيلًا سَلَكْنَا سَلَكًا أَيْ: إِلَّا التَّسْلِيمَ مِنْهُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتِمَّتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠] وَكَلَامُهُمْ أَيْضًا سَالِمٌ مِنَ اللَّغْوِ وَالْإِثْمِ.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(٦) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ^(٧) وَطَلْحٍ مَّخْضُودٍ^(٨) وَطَلْحٍ مَّخْضُودٍ^(٩) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ^(١٠) وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ^(١١) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ^(١٢) وَفُتًى مَرْوُوعَةٍ^(١٣) إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً^(١٤) لَجَعَلْنَهُمْ أَكْبَارًا^(١٥) عَرَبًا أَرَبًا^(١٦) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ^(١٧) ثَلَاثَةٌ مِنْكَ^(١٨) الْأُولَى^(١٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ^(٢٠)

[أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَجَزَاؤُهُمْ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَالَ السَّابِقِينَ وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ، عَطَفَ عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ الْأَبْرَارُ، كَمَا قَالَ مِيمُونُ ابْنُ مِهْرَانَ: أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَنْزِلَتُهُمْ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ فَقَالَ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ أَصْحَابُ الْيَمِينِ؟ وَمَا حَالُهُمْ؟ وَكَيْفَ مَالُهُمْ؟ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ فَقَالَ

(١) أحمد: ١٣٥/٣ ومسند أبي يعلى: ٤٤/٦ (٢) أحمد: ٣/٢٢١ (٣) الطبري: ١١٠/٢٣ (٤) البعث لابن أبي داود: ٥٩ وانظر الصحبة للالباني: ٢٧٣٤ (٥) الطبري: ١١٤/٢٣ (٦) الطبري: ١١٢/٢٣، ١١٣ (٧) الطبري: ١١٣/٢٣ (٨) فتح الباري: ٤٩٥/٨ (٩) مسلم: ٤/٢١٧٥

﴿وَلَيْلٍ مَّمْدُودَةٍ﴾^(١) وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢). وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٣)، وَكَذَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفَعَهُمْ كَثِيرٌ﴾^(٥) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ أَي: وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ الْكَثِيرَةِ الْمُنَوَّعَةِ فِي الْأَلْوَانِ مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذُنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُنْشِبِينَ﴾ [البقرة: ٢٥] أَي: يُشْبِهُ الشَّكْلَ الشَّكْلَ، وَلَكِنَّ الطَّعْمَ غَيْرَ الطَّعْمِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى: «إِذَا وَرَفَّهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَتَبَفَّهَا مِثْلَ قِلَالٍ هَجَرَ»^(٥). وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالتَّاسُ مَعَهُ، فَذَكَرَ الصَّلَاةَ، وَفِيهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رَأَيْنَاكَ تَنَاولْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّمْتَ، قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّةَ فَتَنَاولْتُ مِنْهَا عُقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُه لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا»^(٦).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عُثْبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِيِّ يَقُولُ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ وَذَكَرَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ الْأَغْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تَدْعَى طُوبَى» - قَالَ: فَذَكَرَ شَيْئًا لَا أَدرِي مَا هُوَ - قَالَ: أَيُّ شَجَرٍ أَرْضِنَا نُسْبُهُ؟ قَالَ: «لَيْسَتْ نُسْبُهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرٍ أَرْضِكَ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَيْتَ الشَّامَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «نُسْبُهُ شَجَرَةٌ بِالشَّامِ تَدْعَى الْجُوزَةَ، تَنْبُثُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ، وَيَنْفَرُشُ أَغْلَاهَا». قَالَ: مَا عِظَمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ: «لَوْ ارْتَحَلْتَ جَذْعَةً مِنْ إِبِلٍ أَهْلَكَ مَا أَحَاطَتْ بِأَصْلِهَا، حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْفُوتُهَا هَرَمًا» قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنُقُودِ؟ قَالَ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْعَ وَلَا يَقْتَرُ». قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ؟ قَالَ: «هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَبَسًا مِنْ عَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَسَلِّحْ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أَمَّاكَ فَقَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلُوقًا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الْأَغْرَابِيُّ: فَإِنَّ بِلَکَ الْحَبَّةَ لَتُسْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ»^(٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أَي: لَا تَنْقَطِعُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا، بَلْ أَكُلَهَا دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ أَبَدًا، مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ شَيْءٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: لَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ تَنَاولِهَا عُودٌ وَلَا شَوْكٌ وَلَا بَعْدٌ^(٨). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: إِذَا تَنَاولَ الرَّجُلُ الثَّمَرَةَ عَادَتْ مَكَانَهَا

أُخْرَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفُرْشٍ مَرْمُوعَةٍ﴾ أَي: عَالِيَةٍ وَطَيِّبَةٍ نَاعِمَةٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾^(٩) فَعَلَّتْهُمْ أَبْكَارًا^(١٠) عُرْبًا أَزْكَاءَ^(١١) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ جَرَى الضَّمِيرُ عَلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ. وَلَكِنْ لَمَّا دَلَّ السِّيَاقُ وَهُوَ ذِكْرُ الْفُرْشِ عَلَى النِّسَاءِ اللَّاتِي يُصَاحِبْنَ فِيهَا، اكْتَفَى بِذَلِكَ عَنْ ذِكْرِهِنَّ، وَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهِنَّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِيَادُ﴾^(١٢) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^(١٣) [ص: ٣١، ٣٢] يَعْنِي: الشَّمْسُ. عَلَى الْمَشْهُورِ مِنْ قَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ الْأَخْفَشُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ﴾ أَضْمَرَهُنَّ وَلَمْ يُذَكِّرَنَّ قَبْلَ ذَلِكَ^(١٤). وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ذُكِرْنَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾^(١٥) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوكِ الْكَثُورِ^(١٦) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ﴾ أَي: أَعْدَدْنَاهُنَّ فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَى بَعْدَ مَا كُنَّ عَجَائِزَ رُفَصًا، صَرْنَ أَبْكَارًا عُرْبًا، أَي: بَعْدَ الثَّبُوتِ عُذُنْ أَبْكَارًا عُرْبًا مُتَحَبِّبَاتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ بِالْحَلَاوَةِ وَالظَّرَافَةِ وَالْمَلَاخَةِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةٌ كَذَا وَكَذَا فِي النِّسَاءِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَيُعْطَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «يُعْطَى قُوَّةٌ مِثْلُ»^(١٧). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(١٨). وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ»^(١٩). قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْدِسِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي عَلَى سَرَطِ الصَّحِيحِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عُرْبًا﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي: مُتَحَبِّبَاتٍ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الثَّاقَةِ الضَّبْعَةِ؟ هِيَ كَذَلِكَ. وَقَالَ الصَّحَّاحُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْعُرْبُ: أَلْعَاشِقُ لِأَزْوَاجِهِنَّ، وَأَزْوَاجُهُنَّ لَهُنَّ عَاشِقُونَ^(٢٠). وَكَذَا

(١) أحمد: ٤٨٢/٢ (٢) مسلم: ٢١٧٥/٤ (٣) فتح الباري: ٣٦٨/٦ (٤) عبد الرزاق: ٤١٧/١١ (٥) فتح الباري: ٣٤٩/٦ ومسلم: ١٤٦/١ (٦) فتح الباري: ٦٢٧/٢ ومسلم: ٦٢٦/٢ (٧) أحمد: ١٨٣/٤ (٨) الطبري: ١١٨/٢٣ (٩) الطبري: ١١٨/٢٣ (١٠) الطبري: ١١٨/٢٣ (١١) مسند الطيالسي: ٢٦٩ (١٢) تحفة الأحوذى: ٢٤١/٧ فيه تدليس قتادة ولم يصرح (١٣) الطبراني الصغير: ٦٨/٢ (١٤) الدر المنثور: ٨

وَجُوهَ الرِّجَالِ». قَالَ: «أَرْضِيَتْ؟». قُلْتُ: «قَدْ رَضِيتُ رَبَّ». قَالَ: «فَإِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». قَالَ: وَأَنْشَأَ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ - قَالَ سَعِيدٌ: وَكَانَ بَدْرِيًّا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ قَالَ: فَقَالَ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْهُ مِنْهُمْ». قَالَ: أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَقَالَ: «سَبَقَتْ بِهَا عَكَاشَةُ» قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ - فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي - أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّبْعِينَ فَافْعَلُوا، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الظَّرَابِ، وَإِلَّا فَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الْأَفْقِ، فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ تَأَشَّبُوا حَوْلَهُ». ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». قَالَ: فَكَبَّرْنَا، قَالَ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٦﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٦٧﴾» قَالَ: فَقُلْنَا بَيْنَنَا: مَنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ أَلْفًا؟ فَقُلْنَا: هُمْ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا. قَالَ: فَلَبَّغُهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «بَلْ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَطْفِرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١). وَهَذَا الْحَدِيثُ لَهُ طَرُقٌ كَثِيرَةٌ فِي الصَّحاحِ وَغَيْرِهَا^(٢).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبَ الشِّمَالِ﴾ (١) فِي سُورَةِ وَحْمٍ ﴿٤٧﴾ وَظَلَمَ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٨﴾ لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٥٠﴾ وَكَانُوا يَمُرُّونَ عَلَى الْجَنَّةِ الْعُلَيمِ ﴿٥١﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَعْمُومُونَ ﴿٥٢﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا وَالْأَوَّلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٥٤﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أُنِيتُمْ أَضْأَلُوهَا الْمَكِيدُونَ ﴿٥٦﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٧﴾ فَالْقَوْمُ مِنْهَا أَلْبُطُونَ ﴿٥٨﴾ فَتَنَبَّأُوا عَلَى الْفَيْصِمِ ﴿٥٩﴾ فَتَنَبَّأُوا شَرَبَ الْهَبِيمِ ﴿٦٠﴾ هَذَا زُبْنٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٦١﴾

[أَصْحَابُ الشِّمَالِ وَأَحْوَالُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ عَطَفَ عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ أَصْحَابِ الشِّمَالِ فَقَالَ: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبَ الشِّمَالِ﴾

(١) الطبري: ٢٣/١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ (٢) الدر المنثور: ١٦/٨
(٣) الطبري: ٢٤/٢٣ (٤) الطبري: ١٢٥/٢٣ (٥) فتح الباري: ٤١٧/٦ ومسلم: ٢١٧٩/٤ (٦) الحاكم: ٤٧٧/٤
(٧) فتح الباري: ١٠/١٦٤ و ٢٢٤ و ٣١٢/١١ و ٤١٣ ومسلم: ١٩٨/١٩٩ وتحفة الأحوذ: ١٣٩/٧ وأحمد: ٤٠١/١

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَرْجَسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ وَعَطِيَّةٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالصَّحَّاحُ وَغَيْرُهُمْ^(١).

وَقَوْلُهُ: ﴿أَتْرَابًا﴾ قَالَ الصَّحَّاحُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْني فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٢). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَتْرَابُ: الْمُسْتَوِيَاتُ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْأَمْثَالُ^(٣). وَقَالَ عَطِيَّةٌ: الْأَقْرَانُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أَيُّ: خُلِقُوا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَوْ أُدْخِلُوا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَوْ رُؤِجُوا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَالْأَطْهَرُ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا أَنْشَأْنَاهُمْ إِنشَاءً ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ أَتْرَابًا ﴿٥٦﴾﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٥٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فَتَقْدِيرُهُ أَنْشَأْنَاهُمْ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَهَذَا تَوْجِيهُ ابْنِ جَرِيرٍ^(٤).

قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ مُتَعَلِّقًا بِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَتْرَابًا ﴿٥٦﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أَيُّ: فِي أَشْيَانِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى ضَوْءٍ أَشَدَّ كَوَكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَغَلَّوْنَ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمُسْكُ، وَمَجَامِيرُهُمُ الْأَلْوَدُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَافُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٦﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٦٧﴾» أَيُّ: جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَأْخُذُ عَنْ بَعْضٍ قَالَ: أَكْرَمْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ عَدَدْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ: «عَرَضْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهَا بِأَمِّيَّتِهَا، فَيَمُرُّ عَلَى النَّبِيِّ، وَالنَّبِيِّ فِي الْعِصَابَةِ، وَالنَّبِيِّ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالنَّبِيِّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ». وَتَلَا قَتَادَةُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿الَّذِينَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] قَالَ: «حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قَالَ: «قُلْتُ: رَبِّي، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» قَالَ: «قُلْتُ: رَبِّ قَائِنٍ أُمِّي؟ قَالَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ فِي الظَّرَابِ» قَالَ: «فَإِذَا وَجُوهَ الرِّجَالِ». قَالَ: «قَالَ: أَرْضِيَتْ؟». قَالَ: «قُلْتُ: قَدْ رَضِيتُ رَبَّ». قَالَ: «انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ عَنْ يَسَارِكَ، فَإِذَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

٥٣٦

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الصَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥٦﴾ لَا كُؤُنَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٥﴾
فَمَالُونَ مِنهَا الْبُطُونَ ﴿٥٦﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٦﴾ فَشَرِبُوا
شَرْبَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا تَرْكُومٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْمَخْلُقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمْنَا النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطًا فَلَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾
أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَفِتْنًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوْقِعِ الْجُحْرِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

وَهَاطُمَةً. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدٌ بْنُ جُبَيْرٍ
وَعِكْرِمَةُ: الْهِيمُ: الْإِبِلُ الْعَطَاشُ الظَّمَاءُ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ
السُّدِّيُّ: الْهِيمُ دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فَلَا تُرَوَّى أَبَدًا حَتَّى تَمُوتَ،
فَكَذَلِكَ أَهْلُ جَهَنَّمَ لَا يَزُودُونَ مِنَ الْحَمِيمِ أَبَدًا. ثُمَّ قَالَ
تَعَالَى: ﴿هَذَا تَرْكُومٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أَيُّ: هَذَا الَّذِي وَصَفْنَا هُوَ
ضِيَاقَتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ حِسَابِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ
الْمُؤْمِنِينَ: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ
الْأَفْرُوسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] أَيُّ: ضِيَاقَةً وَكَرَامَةً.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
وَلَقَدْ عَلَّمْنَا النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

أَيُّ: أَيُّ شَيْءٍ هُمْ فِيهِ أَصْحَابُ السَّمَاءِ؟ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ
فَقَالَ: ﴿فِي سُبُورٍ﴾ وَهُوَ الْهَوَاءُ الْحَارُّ ﴿وَجِيمٍ﴾ وَهُوَ الْمَاءُ
الْحَارُّ ﴿وَطَلٍ مِّنْ يَّحْيُومٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ظِلُّ الدُّخَانِ ^(١).
وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَأَبُو صَالِحٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ
وَعَبْرُهُمْ ^(٢). وَهَذِهِ تَقْوِيلُهُ تَعَالَى: ﴿أَطْلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ
تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ أَطْلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَعْبٍ ﴿٦٩﴾ لَا ظِلِيلٌ وَلَا يُنْقِي
مِنَ اللَّهَبِ ﴿٦٩﴾ إِنَّمَا تَرَىٰ بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴿٦٩﴾ كَأَنَّهُ جَنَّاتٌ
صُفْرٌ ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿المرسلات: ٢٩-٣٤﴾ وَلِهَذَا
قَالَ هُتَيْمًا: ﴿وَطَلٍ مِّنْ يَّحْيُومٍ﴾ وَهُوَ الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ ﴿لَا بَارِدُ
وَلَا كَرِيمٌ﴾ أَيُّ: لَيْسَ طَيِّبُ الْهُوْبِ، وَلَا حَسَنُ الْمُنْظَرِ،
كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ﴿وَلَا كَرِيمٌ﴾ أَيُّ: وَلَا كَرِيمُ
الْمُنْظَرِ ^(٣). قَالَ الضَّحَّاكُ: كُلُّ شَرَابٍ لَيْسَ بِعَذِيبٍ فَلَيْسَ
بِكَرِيمٍ ^(٤).

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى اسْتِحْقَاقَهُمْ لِذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ أَيُّ: كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مُتَعَمِّينَ
مُفْلِحِينَ عَلَىٰ لَذَاتِ أَنْفُسِهِمْ، لَا يَلُودُونَ مَا جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ
﴿وَكَانُوا يَمُرُّونَ﴾ أَيُّ: يَقِيمُونَ وَلَا يَتَوَّعُونَ تَوْبَةً ﴿عَلَىٰ الْحِنْتِ
الْعَظِيمِ﴾ وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ، وَجَعَلَ الْأَوْتَانِ وَالْأَنْدَادِ أَرْبَابًا
مِّنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْحِنْتُ الْعَظِيمُ: الشُّرْكُ.
وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ
وَعَبْرُهُمْ ^(٥). ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدًا مِنَّا وَكُنَّا شُرَكَاءُ وَعِظْمًا أَوْثَانًا
لِّمَعْبُودَاتِهِمْ﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ
مُكَذِّبِينَ بِهِ، مُسْتَبْعِدِينَ لِقُودُوعِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَلِكَ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ لِمَجْجُوعُونَ إِلَىٰ مَقَدِّ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ أَيُّ:
أَخْبَرَهُمْ يَا مُحَمَّدُ! أَنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ
سَيُجْمَعُونَ إِلَىٰ عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ
وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ﴾ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا
بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٤، ١٠٥] وَلِهَذَا قَالَ
هُتَيْمًا: ﴿لِمَجْجُوعُونَ إِلَىٰ مَقَدِّ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أَيُّ: هُوَ مَوْقِفٌ يَوْفَىٰ
مُحْدُودٍ، لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَلَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الصَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ لَا كُؤُنَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ
زُقُومٍ ﴿٥٥﴾ فَمَالُونَ مِنهَا الْبُطُونَ﴾ وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ يُقْبَضُونَ وَيُسَجَّرُونَ
حَتَّى يَأْكُلُوا مِنْ شَجَرِ الزُّقُومِ حَتَّى يَمْلَأُوا مِنْهَا بُطُونَهُمْ
﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ الْحَمِيمِ وَهِيَ الْإِبِلُ
الْعَطَاشُ، وَاجِدَهَا أَهْيَمُ وَالْأَثْنَى هَيْمَاءُ، وَيُقَالُ: هَائِمٌ

(١) الطبري: ١٢٩/٢٣ (٢) الطبري: ١٢٩/٢٣، ١٣٠ (٣)

الطبري: ١٣١/٢٣ (٤) الطبري: ١٣١/٢٣ (٥) الطبري:

١٣٢/٢٣ (٦) الطبري: ١٣٦/٢٣

[بُتُوْتُ الْفِيَامَةِ وَدَلِيلُ الْمَعَادِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُفَرِّرًا لِلْمَعَادِ، وَرَادًّا عَلَى الْمُكَذِّبِينَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْإِلْحَادِ، مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وَقَوْلُهُمْ ذَلِكَ صَدْرَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِعْجَالِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أَيُّ: نَحْنُ ابْتَدَأْنَا خَلْقَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، أَفَلَيْسَ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى الْبُدْءَةِ، بِقَادِرٍ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْأُخْرَى؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلَوْلَا نُصِفُوهُنَّ﴾ أَيُّ: فَهَلَا تُصَدِّقُونَ بِالْبُعْثِ! ثُمَّ قَالَ: مُسْتَدِلًّا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ؟ أَيُّ: أَنْتُمْ تَقْرُونَهُ فِي الْأَرْحَامِ وَتَخْلُقُونَهُ فِيهَا، أَمْ اللَّهُ الْخَالِقُ لِهَذَا؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَهُ الْمَوْتَ﴾ أَيُّ: صَرَفْنَاهُ بَيْنَكُمْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: سَاوَى فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ (١) وَمَا نَحْنُ بِمُسَبِّحِينَ﴾ أَيُّ: وَمَا نَحْنُ بِعَاجِزِينَ ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ أَيُّ نَعْيَرُ خَلْقَكُمْ يَوْمَ الْفِيَامَةِ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ مِنْ الصَّفَاتِ وَالْأَحْوَالِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَيُّ: قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَنشَأَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، فَخَلَقَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، فَهَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَتَعْرِفُونَ أَنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى هَذِهِ النَّشْأَةِ - وَهِيَ الْبُدْءَةُ - قَادِرٌ عَلَى النَّشْأَةِ الْأُخْرَى - وَهِيَ الْإِعَادَةُ - بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْأُخْرَى؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَالِيهِ﴾ [الروم: ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٥٩) وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّا خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٦٠) فَلَمْ يُجِبْهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس: ٧٧-٧٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ شَيْئًا﴾ (٦١) أَلَمْ يَكْ نُلْقِهِ مِنْ مَنًى يَمِينٍ (٦٢) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً مُلْقًى فَسَوًى (٦٣) جَعَلَ مِنْهُ الْزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٦٤) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيْهِ أَنْ يُحْيِيَ الْقَوْتَ [الفيامة: ٣٦-٤٠].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾ (٦٥) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٦) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٧) إِنَّا لَمَعْرُومُونَ (٦٨) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٩) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٧٠) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٧١) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٢) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧٣) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ

الْمُنْشِئُونَ (٧٤) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٦)

[التَّيْبَةُ عَلَى تَفَرُّدِ اللَّهِ بِالزَّرْعِ وَإِنْزَالِ الْمَاءِ، وَخَلْقِ النَّارِ، وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾ وَهُوَ شَقُّ الْأَرْضِ وَإِنْزَالُهَا وَالْبَذْرُ فِيهَا ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ أَيُّ: تُنْبِتُونَهُ فِي الْأَرْضِ ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أَيُّ: بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ نَقْرُهُ قَرَارَهُ وَنُنْبِتُهُ فِي الْأَرْضِ. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: زَرَعْتُ وَلَكِنْ قُلْ: حَرَثْتُ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾ (٦٥) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أَيُّ: نَحْنُ أَنْبِئَانَهُ بِطُفْنَانٍ وَرَحْمَتِنَا، وَأَبْقَيْنَاهُ لَكُمْ رَحْمَةً بِكُمْ، بَلْ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا أَيُّ: لَا يَبْسُتَانَهُ قَبْلَ اسْتِوَائِهِ وَاسْتِخْصَادِهِ ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ (٦٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أَيُّ: لَوْ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا لَطَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ فِي الْمَقَالَةِ، تَتَوَعَّونَ كَلَامَكُمْ فَتَقُولُونَ تَارَةً: ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ أَيُّ: لَمْلُقُونَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: إِنَّا لَمَوْلَعٌ بِنَا (٣). وَقَالَ قَتَادَةُ: مُعَذِّبُونَ. وَتَارَةً تَقُولُونَ: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ (٤). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تَلَاوُمُونَ (٥). وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسَّيِّدِي: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تَنْدَمُونَ (٦). وَعَنَاهُ إِذَا عَلَى مَا أَنْفَقْتُمْ أَوْ عَلَى مَا أَسْلَفْتُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: تَفَكَّهُ مِنْ الْأَضْدَادِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: تَفَكَّهُتُ بِمَعْنَى: تَنَعَّمْتُ، وَتَفَكَّهُتُ بِمَعْنَى: حَزَنْتُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٧٠) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ؟ يَعْنِي: السَّحَابِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ (٧١). ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ يَقُولُ: بَلْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا﴾ أَيُّ: زُعَاقًا مَرًّا، لَا يَصْلُحُ لِشَرْبٍ وَلَا زَرْعٍ ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أَيُّ: فَهَلَا تَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي إِزْزَالِهِ الْمَطَرِ عَلَيْكُمْ عَذَابًا زُلَالًا! ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (٧٢) يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

(١) القرطبي: ١٧/٢١٦ (٢) الطبري: ٢٣/١٣٩ (٣) الطبري:

٢٣/١٤١ (٤) الطبري: ٢٣/١٤١ (٥) الطبري: ٢٣/١٤٠

(٦) الطبري: ٢٣/١٤٠ (٧) الطبري: ٢٣/١٤٣

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ٥٣٧
إِنَّهُ لَقَرَّأَنُ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَرْجُلٌ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصِيلَةٌ يَحْمِيهِ ﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْحَجِّ ١٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

إِلَى ذَلِكَ فِي مَثَلِهِ أُخْرِجَ زَنْدَهُ وَأَوْرَى، وَأَوْقَدَ نَارَهُ فَاطْبَحَ بِهَا وَاضْطَلَى بِهَا وَاسْتَوَى، وَاسْتَأْنَسَ بِهَا، وَانْتَفَعَ بِهَا سَائِرَ الْإِنْتِفَاعَاتِ، فَلِهَذَا أَفْرَدَ الْمُسَافِرِينَ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَامًّا فِي حَقِّ النَّاسِ كُلِّهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أَي: الَّذِي يَقْدَرْتَهُ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَضَادَّةَ: الْمَاءَ الرُّؤَالَ الْعَذْبَ الْبَارِدَ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ مِلْحًا أَجَاجًا كَالْبَحَارِ الْمُعْرِقَةِ. وَخَلَقَ النَّارَ الْمُحْرِقَةَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مَضْلَحَةً لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَ هَذِهِ مَنَفَعَةً لَهُمْ فِي مَعَاشِ دُنْيَاهُمْ، وَزَجْرًا لَهُمْ فِي الْمَعَادِ.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَدٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَرَّأَنُ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠، ١١]. ثُمَّ قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أَي: تَقْدَحُونَ مِنَ الزَّوَادِ، وَتُسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ أَصْلِهَا ﴿أَأَنْتُمْ أَشْنَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُسْتَفْهُونَ﴾ أَي: بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ جَعَلْنَاهَا مَوْدَعَةً فِي مَوْضِعِهَا. وَلِلْعَرَبِ شَجَرَتَانِ إِحْدَاهُمَا الْمَرْخُ، وَالْأُخْرَى الْعُقَارُ، إِذَا أَخَذَ مِنْهُمَا غَضَّانِ أَخْضَرَانِ فَحَكَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، تَنَاطَرَ مِنْ بَيْنَهُمَا شَرُّ النَّارِ.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: أَي تَذَكُّرُ النَّارِ الْكُبْرَى^(١). قَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا قَوْمُ! نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ. قَالَ: «إِنَّهَا قَدْ ضَرَبْتَ [بِالْمَاءِ] ضَرْبَتَيْنِ - أَوْ مَرَّتَيْنِ - حَتَّى يَسْتَفْتَعَ بِهَا بَنُو آدَمَ وَيَذْنُوْنَ مِنْهَا»^(٢). وَهَذَا الَّذِي أَرْسَلَهُ قَتَادَةُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضَرَبْتَ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفَعَةً لِأَحَدٍ»^(٣). وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقِدُونَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ. فَقَالَ: «إِنَّهَا قَدْ فَضَّلْتَ عَلَيْهَا يَتَسَعَةً وَسِتِّينَ جُزْءًا»^(٤). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزِّنَادِ^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالنَّضْرُ بْنُ عَرَبٍ: يَعْنِي بِالْمُتَّقِينَ: الْمُسَافِرِينَ^(٦). وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَقَالَ: وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَقْوَبَ الدَّارُ، إِذَا رَحَلَ أَهْلُهَا^(٧). وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بِنِ اسْلَمَ: الْمُتَّقِيُّ هَهُنَا: الْجَانِعُ. وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾: لِلْحَاضِرِ وَالْمُسَافِرِ، لِكُلِّ طَعَامٍ لَا يُضْلِحُهُ إِلَّا النَّارُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: قَوْلُهُ: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ يَعْنِي: الْمُسْتَمْتَعِينَ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٨). وَكَذَا ذَكَرَ عَنْ عِكْرَمَةَ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ أَعَمُّ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْحَاضِرَ وَالْبَادِيَّ مِنْ غَنًى وَفَقِيرٍ، الْجَمِيعُ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهَا لِلطَّبْخِ وَالِإِضْطِلَاءِ وَالِإِضَاءَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ، ثُمَّ مِنْ لَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أَوْدَعَهَا فِي الْأَحْجَارِ وَخَالِصِ الْحَدِيدِ، بِحَيْثُ يَتِمَكَّنُ الْمُسَافِرُ مِنْ حَمْلِ ذَلِكَ فِي مَتَاعِهِ وَبَيْنَ يَتِيَابِهِ، فَإِذَا احتَاجَ

(١) الطبري: ١٤٤/٢٣ (٢) الطبري: ١٤٤/٢٣ (٣) أحمد: ٢٤٤/٢ (٤) الموطأ: ٩٩٤/٢ (٥) فتح الباري: ٣٨٠/٦ ومسلم: ٢١٨٤/٤ (٦) الطبري: ١٤٥/٢٣ (٧) الطبري: ١٤٦/٢٣ (٨) الطبري: ١٤٥/٢٣

إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٨٦﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٩﴾
[قَسَمَ اللَّهُ عَلَى عَظَمَةِ الْقُرْآنِ]

لَيْسَتْ «لَا» زَائِدَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، بَلْ يُؤْتَى بِهَا فِي أَوَّلِ الْقَسَمِ إِذَا كَانَ مُقْسَمًا بِهِ عَلَى مَعْنَى، كَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَا، وَاللَّهِ! مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ^(١). وَهَكَذَا هَهُنَا تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: لَا، أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ سِحْرٌ أَوْ كَهَانَةٌ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا أَفْسِسُ﴾ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْقَسَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقِيلَ: أَفْسِسُ^(٢). وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا أَفْسِسُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ وَقَالَ مُجَاهِدٌ أَيْضًا: مَوَاقِعِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ وَيُقَالُ: مَطَالَعُهَا وَمَشَارِقُهَا^(٣).

وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ^(٤). وَعَنْ قَتَادَةَ: مَوَاقِعُهَا: مَنَازِلُهَا^(٥). وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَئِنَّ لَقَسَمًا لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمًا﴾ أَيُّ: وَإِنَّ هَذَا الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ لَقَسَمٌ عَظِيمٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ عَظَمَتَهُ لَعَظَمْتُمْ الْمُقْسَمَ بِهِ عَلَيْهِ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أَيُّ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ لِكِتَابٍ عَظِيمٍ ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أَيُّ: مُعْظَمٍ، فِي كِتَابٍ مُعْظَمٍ مَحْفُوظٍ مُوقَرٍ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قَالَ: الْكِتَابُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ^(٦). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ^(٧). وَكَذَا قَالَ أَنَسٌ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو الشَّعْنَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو نَهْيَكٍ وَالسُّدِّيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَغَيْرُهُمْ^(٨).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قَالَ: لَا يَمْسُهُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، فَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَمْسُهُ الْمَجْجُوسُ النَّجِسُ، وَالْمُنَافِقُ الرَّجْسُ. وَقَالَ: وَهِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (مَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)^(٩). وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ لَيْسَ أَنْتُمْ، أَنْتُمْ أَصْحَابُ الدُّنُوبِ^(١٠). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: زَعَمْتُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾^(١١) وَمَا يَبْغِي هُمْ وَمَا

يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿١٣﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]^(١). وَهَذَا الْقَوْلُ قَوْلٌ جَيِّدٌ، وَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْأَقْوَالِ الَّتِي قَبْلَهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيُّ هَذَا الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِّنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَيْسَ هُوَ كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّهُ سِحْرٌ أَوْ كَهَانَةٌ أَوْ شِعْرٌ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ نَافِعٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ مُكْذِبُونَ غَيْرُ مُصْذِقِينَ^(٢). وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَأَبُو حَزْرَةَ وَالسُّدِّيُّ^(٣). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مُدْهِنُونَ﴾ أَيُّ: تُرِيدُونَ أَنْ تُثَالِثُوهُمْ فِيهِ وَتَرْكَنُوا إِلَيْهِمْ^(٤). ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ بِمَعْنَى شُكْرِكُمْ: أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ. أَيُّ: تُكْذِبُونَ بَدَلَ الشُّكْرِ. وَقَدْ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمَا قَرَأَاهَا: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ)^(٥) كَمَا سَيَأْتِي.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مُطِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ كَافِرًا، يَقُولُونَ: مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ)^(٦). وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ فِي اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»^(٧). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِي، كُلُّهُم مِّنْ حَدِيثِ مَالِكٍ بِهِ^(٨).

(١) فتح الباري: ٥٠٤/٨ (٢) الطبري: ١٤٧/٢٣ (٣) الطبري: ١٤٨/٢٣ (٤) الطبري: ١٤٨/٢٣ (٥) الطبري: ١٤٨/٢٣ (٦) الطبري: ١٤٩/٢٣ (٧) الطبري: ١٥٠/٢٣ فيه ضعف العوفي (٨) الطبري: ١٥٠/٢٣، ١٥١ والقرطبي: ١٧/٢٣٥ (٩) الطبري: ١٥٢/٢٣ (١٠) الطبري: ١٥١/٢٣ (١١) الطبري: ١٤٩/٢٣ عن الضحاك. (١٢) الطبري: ١٥٣/٢٣ (١٣) الطبري: ١٥٣/٢٣ (١٤) الطبري: ١٥٣/٢٣ (١٥) الطبري: ١٥٤/٢٣، ١٥٥ (١٦) الطبري: ١٥٤/٢٣ (١٧) الموطأ: ١٩٢/١ (١٨) فتح الباري: ٣٨٨/٢ ومسلم: ٨٣/١ وأبو داود: ٢٢٧/٤ والنسائي: ١٦٥/٣

اِحْضَارِهِمْ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفَرِّينَ، أَوْ يَكُونَ مِنْهُمْ دُونَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْحَقِّ، الضَّالِّينَ عَنِ الْهَدَى، الْجَاهِلِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أَي: الْمُخْتَصِرُ ﴿مِنَ الْمُفَرِّينَ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ فَعَلُوا الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَبَعْضَ الْمُبَاحَاتِ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ أَي: فَلَهُمْ رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ، وَتَبَشَّرَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ يَقُولُ: أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتَ تَعْمُرِيهِ، اخْرُجِي إِلَى رَوْحِ وَرَيْحَانِ وَرَبِّ غَيْرِ غَضَبَانٍ^(١).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فَرَوْحٌ﴾ يَقُولُ: رَاحَةٌ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾، يَقُولُ: مُسْتَرَاخَةٌ^(٢). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ الرُّوحَ: الْإِسْتِرَاحَةَ^(٣). وَقَالَ أَبُو حَزْرَةَ: الرَّاحَةُ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ: الرُّوحُ: الْفَرَحُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جَنَّةٌ وَرَخَاءٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَرَوْحٌ﴾: فَرَحْمَةٌ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: وَرِزْقٌ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَّفَاقَةٌ صَحِيحَةٌ، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ مُقَرَّبًا حَصَلَ لَهُ جَمِيعُ ذَلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّاحَةِ وَالْإِسْتِرَاحَةِ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالرِّزْقِ الْحَسَنِ ﴿وَحَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَا يُفَارِقُ أَحَدٌ مِنَ الْمُفَرِّينَ حَتَّى يُؤْتَى بِغَضَنِ مِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ، فَيَقْبِضُ رُوحَهُ فِيهِ^(٤). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرٍ، تَسْرَحُ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ» الْحَدِيثُ^(٥). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى: رَأَيْتُ شَيْخًا أَيْضَ الرُّأْسِ وَاللِّحْيَةِ عَلَى جِمَارٍ، وَهُوَ يَتَّبِعُ جَنَازَةً فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: حَدَّثَنِي فُلَانٌ بْنُ فُلَانٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». قَالَ: فَأَكْبَ الْقَوْمُ يَنْتَكُونَ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكُمْ؟». فَقَالُوا: إِنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. قَالَ:

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَّا الْحَسَنُ فَكَانَ يَقُولُ: بِشَسِّ مَا أَحَدَ قَوْمٍ لِأَنْفُسِهِمْ، لَمْ يُرْزَقُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا التَّكْذِيبَ، فَمَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ هَذَا: وَتَجْعَلُونَ حَظَّكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ قَبْلَهُ: ﴿أَفَبِهَذَا لَأَكْذِبُ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ وَأَنْتُمْ جَبَدٌ نَظُرُونَ ﴿وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿﴾

[عَدَمُ اسْتِطَاعَةِ رَدِّ الرُّوحِ حِينَ تَبْلُغُ الْحُلُقُومَ، دَلِيلٌ عَلَى الْمُحَاسَبَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾ أَي: الرُّوحُ ﴿الْحُلُقُومَ﴾ أَي: الْحَلْقَ، وَذَلِكَ حِينَ الْإِحْضَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَهْلَاقَهَا وَفِيهَا دَلِيلٌ﴾ وَكَانَ اللَّهُ الْفَرَادُ ﴿وَالنَّفْسُ النَّاسُ﴾ بِالسَّاقِ ﴿إِنْ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَافُ﴾ [القيامة: ٢٦-٣٠] وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿وَأَنْتُمْ جَبَدٌ نَظُرُونَ﴾ أَي: إِلَى الْمُخْتَصِرِ وَمَا يُكَادِيهِ مِنَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ﴿وَأَنْتُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أَي: بِمَلَائِكَتِنَا ﴿وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾ أَي: وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَهُوَ أَفْهَرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ تَرْجِعُونَهَا ﴿مَعْنَاهُ فَهَلَّا تَرْجِعُونَ هَذِهِ النَّفْسَ الَّتِي قَدْ بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ، إِلَى مَكَانِهَا الْأَوَّلِ، وَمَقَرَّهَا مِنَ الْجَسَدِ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنْتُمْ تُدَانُونَ وَتُبْعَتُونَ وَتُجْزَوْنَ، فَرُدُّوا هَذِهِ النَّفْسَ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غَيْرَ مُوقِنِينَ.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفَرِّينَ﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ فَمُرٌّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿وَصَلِيَّةٌ جَمِيمٌ﴾ إِنَّ هَذَا لَكُنْ حَقٌّ لَيَقِينَ ﴿فَسَجَّ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

[أَحْوَالُ النَّاسِ عِنْدَ الْإِحْضَارِ، وَمَصِيرُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ]

هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَحْوَالُ النَّاسِ عِنْدَ

(١) الطوال: ص ٢٣٨ (٢) الطبري: ١٥٩/٢٣ (٣) الطبري:

١٦٠/٢٣ (٤) الطبري: ١٦٠/٢٣ (٥) مسلم: ١٥٠٢/٣

غَرِيبٌ^(٥). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي آخِرِ كِتَابِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: شُبْحَانُ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، شُبْحَانُ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٦). وَرَوَاهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ^(٧). آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحَدِيدِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الْحَدِيدِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ وَقَالَ: «إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ»^(٨). وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ بَقِيَّةٍ بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^(٩). وَالْآيَةُ الْمُسَارُ إِلَيْهَا فِي الْحَدِيثِ هِيَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُهُ تَعَالَى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» كَمَا سَبَّأَنِي بَيَانُهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِهِ الثِّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^(١) لَمْ يُلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِحَيْثُ وَبُيُتٌ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٣)
[يُسَبِّحُ جَمِيعُ الْكَوْنِ لِلَّهِ وَذَكَرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أَيُّ: مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالنبَاتَاتِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: «يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا عَفْوًا» [الْإِسْرَاءُ: ٤٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَهُوَ الْعَزِيزُ» أَيُّ:

(١) أحمد: ٢٥٩/٤ (٢) فتح الباري: ٣٦٤/١١ ومسلم: ٤/٢٠٦٥ (٣) البخاري: تفسير سورة الواقعة. (٤) الطبري: ٢٣/١٦٢ (٥) تحفة الأحوذى: ٤٣٤/٩ والنسائي في الكبرى: ٦/٢٠٧ (٦) فتح الباري: ٥٤٧/١٣ (٧) مسلم: ٤/٢٠٧٢ وتحفة الأحوذى: ٤٣٤/٩ والنسائي في الكبرى: ٦/٢٠٧ وابن ماجه: ١٢٥١/٢ (٨) أحمد: ١٢٨/٤ (٩) أبو داود: ٣٠٤/٥ وتحفة الأحوذى: ٢٣٨/٨ ٢٥١/٩

«لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ إِذَا اخْتَضَرَ» فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرَيْنِ^(٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَجِيمٌ فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَحَبُّ لِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَائِهِ أَحَبُّ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ^(٩١) فَزُلْ مِنْ حِمِيمٍ^(٩٢) وَنَصْلِيَّةٌ جَمِيمٌ فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لِلْقَائِهِ أَكْرَهُ^(٩٣). هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَفِي الصَّحِيحِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شَاهِدٌ لِمَعْنَاهُ^(٩٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» أَيُّ: وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمُخْتَضِرُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أَيُّ تَبَشَّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ تَقُولُ لِأَحَدِهِمْ: سَلَامٌ لَكَ، أَيُّ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، أَنْتَ إِلَى سَلَامَةٍ، أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، كَمَا قَالَ عِكْرَمَةُ: تَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. وَهَذَا مَعْنَى حَسَنٌ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(٩٥) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ^(٩٦) تَزَلَا مِنْ عَفْوَيرَ رَحِيمٌ [فصلت: ٣٠-٣٢] وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «فَسَلَّمَ لَكَ» أَيُّ: مُسَلِّمٌ لَكَ أَنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَالْأَعْيَتْ (إِنْ) وَبَقِيَ مَعْنَاهَا كَمَا تَقُولُ: أَنْتَ مُصَدِّقٌ مُسَافِرٌ عَنْ قَلِيلٍ، إِذَا كَانَ قَدْ قَالَ: إِنِّي مُسَافِرٌ عَنْ قَلِيلٍ، وَقَدْ يَكُونُ كَالدَّعَاءِ لَهُ كَقَوْلِكَ: سُبِّحًا لَكَ مِنَ الرَّجَالِ، إِنْ رَفَعْتَ السَّلَامَ، فَهُوَ مِنَ الدَّعَاءِ^(٩٧). وَقَدْ حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ هَكَذَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَالَ إِلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٩٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ» فَزُلْ مِنْ حِمِيمٍ^(٩٢) وَنَصْلِيَّةٌ جَمِيمٌ أَيُّ: وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمُخْتَضِرُ مِنَ الْمَكْذِبِينَ بِالْحَقِّ الضَّالِّينَ عَنِ الْهُدَى فَزُلْ أَيُّ: فَضْيَافَةٌ مِنْ حِمِيمٍ وَهُوَ الْمَذَابُ الَّذِي يَضْهَرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَنَصْلِيَّةٌ جَمِيمٌ أَيُّ: وَتَقْرِيرٌ لَهُ فِي النَّارِ الَّتِي تَعْمُرُهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ» أَيُّ: إِنَّ هَذَا الْخَبَرُ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ، الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، وَلَا مَحِيدَ لِأَحَدٍ عَنْهُ «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: شُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ». هَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣٨

سُورَةُ الْحَدِيدِ

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ؕ أَيْتَ بِبَنَاتٍ لِيُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْئَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، أَقْضِ عَنَّا الدِّينَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ. وَكَانَ يَرَوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(١).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ [سَمُوعُ عِلْمُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِاسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ خَلْقِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، بِمَا أُغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

الَّذِي قَدْ خَضَعَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيَى وَيُمِيتُ﴾ أَيُّ: هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ، فَيَحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيُّ: مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْمُسَارُ إِلَيْهَا فِي حَدِيثِ عِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي زَمِيلٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجْدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ! لَا أَتَكَلَّمُ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَشَيْءٌ مِنْ شَأْنِكَ؟ قَالَ: وَضَحَكَ، قَالَ: مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ. قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾... [يونس: ٩٤] الْآيَةَ. قَالَ: وَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١). وَقَدْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَقْوَالُهُمْ عَلَى نَحْوِ مِنْ بَضْعَةِ عَشَرَ قَوْلًا.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ يَحْيَى: الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَالْبَاطِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا^(٢). وَقَالَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ الْمِزِّي: يَحْيَى هَذَا هُوَ ابْنُ زَيْدٍ الْفَرَّاءُ، لَهُ كِتَابُ سَمَاءِ «مَعَانِي الْقُرْآنِ» وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو عِنْدَ النَّوْمِ: «اللَّهُمَّ! رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ. أَقْضِ عَنَّا الدِّينَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»^(٣).

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ! رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ! أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ

(١) أبو داود: ٣٣٥/٥ (٢) فتح الباري: ٣٧٤/١٣ (٣)

أحمد: ٤٠٤/٢ (٤) مسلم: ٢٠٨٤/٤

عَمَلُ أَحَدِهِمْ حَسَنَةً وَاحِدَةً يُضَاعَفُهَا إِلَى عَشْرَةِ أَمْثَلِهَا ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِسْمَةِ فَلَا تُطْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أَيْ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ، يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيُقَدِّرُهُمَا بِحُكْمَتِهِ كَمَا يَسَاءُ، فَتَارَةً يُطَوِّلُ اللَّيْلَ وَيُقْصِرُ النَّهَارَ، وَتَارَةً بِالْعَكْسِ، وَتَارَةً يَبْرِّقُهُمَا مُعْتَدِلَيْنِ، وَتَارَةً يَكُونُ الْفَصْلُ شِتَاءً، ثُمَّ رَبِيعًا ثُمَّ قَيْظًا ثُمَّ خَرِيفًا، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحُكْمَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ لِمَا يُرِيدُهُ بِخَلْقِهِ ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَيْ: يَعْلَمُ السَّرَائِرَ، وَإِنْ دَقَّتْ، وَإِنْ خَفِيَتْ.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَقِيلِينَ فِيهِ ۚ فَلَا يَذَرُكُمْ
 ۞ ءَامِنُوا بِكُمْ وَأَنْفِقُوا لِمِمَّا آجُرُ بِهِ ۖ﴾ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالرَّسُولِ يَدْعُوهُمْ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَدَبٌ ۚ إِنَّكُمْ
 ۞ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ۖ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم لَأَرُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا
 تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمِيزُ الْآمِنُونَ وَالْأَرْضَ لَا يَسْوَى لَكُمْ مَن
 ۞ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ أَوْفَيْتُكَ أَعْظَمَ دَرَجَةٍ مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مَن
 ۞ بَعْدَ ۚ وَفَسَلُوا ۚ وَكَأَنَّ اللَّهَ الْحَسَنَى ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ سَنَ
 ۞ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ۞

[الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ وَالْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ]

أَمَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَالذَّوَامِ وَالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَحَثَّ عَلَى الْإِنْفَاقِ ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ أَيُّ: مِمَّا هُوَ مَعَكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْعَارِيَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي أَيْدِي مَنْ قَبْلَكُمْ ثُمَّ صَارَ إِلَيْكُمْ، فَأَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى اسْتِعْمَالِ مَا اسْتَخْلَفَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَالِ فِي طَاعَتِهِ، فَإِنْ يَفْعَلُوا وَإِلَّا حَاسَهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقِبَهُمْ لَتَرْكِهِمُ الْوَاجِبَاتِ فِيهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ فِيهِ إشارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَيَكُونُ مُخْلِفًا عَنْكَ، فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ، فَيَكُونُ أَسْعَدَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْكَ، أَوْ يُعْصِيَ اللَّهَ فِيهِ فَتَكُونَ قَدْ سَعَيْتَ فِي مُعَاوَنَتِهِ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيُّ يَعْلَمُ عَدَدَ مَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنْ حَبٍّ وَقَطْرٍ. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِنْ نَبَاتٍ وَزَرْعٍ وَثِمَارٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْإِثْرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْفُطُ مِنْ رَدَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أَيُّ: مِنَ الْأَمْطَارِ، وَالتَّلُوجِ وَالتَّبَرَدِ، وَالْأَقْدَارِ، وَالْأَحْكَامِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْجُرُ فِيهَا﴾ أَيُّ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَعْمَالِ. كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أَيُّ: رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ، شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ وَأَيْنَ كُنْتُمْ بَرًّا أَوْ بَحْرًا، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فِي الْبُيُوتِ أَوْ الْفُقَارِ، الْجَمِيعُ فِي عِلْمِهِ عَلَى السَّمَوَاتِ، وَتَحْتَ بَصَرِهِ وَسَمْعِهِ، فَيَسْمَعُ كَلَامَكُمْ، وَيَرَى مَكَانَكُمْ، وَيَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَخْفُونَ مِنْهُ يَنبَأُهُمْ بِعِلْمِهِ مَا جَرَوْا وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الضُّمِيرِ﴾ [هود: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِأَنْتِلَ وَسَارِبٌ بِأَنْتِلَ﴾ [الرعد: ١٠] فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِجَبْرِئِيلَ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِكْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أَيُّ هُوَ الْمَالِكُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن لَّنَا لِلْخَلْقِ الْأُولَى﴾ [الليل: ١٣] وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [الفصص: ٧٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبا: ١٠] فَجَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِلْكٌ لَهُ، وَأَهْلُهُمَا عِبِيدٌ أَرْقَاءُ أَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّاهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ [مريم: ٩٣-٩٥] وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أَيُّ: إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ، وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، بَلْ إِنْ يَكُنْ

(۱) مسلم: ۱/۱۶۲ (۲) فتح الباری: ۱/۱۴۰

وَبِيَدِهِ مَقَالِيدُهُمَا وَعِنْدَهُ خَزَائِنُهُمَا، وَهُوَ مَالِكُ الْعَرْشِ بِمَا حَوَى، وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾ [سبا: ٣٩]. وَقَالَ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، أَنْفَقَ وَلَمْ يَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِفْلَاقًا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سَيُخْلِفُهُ عَلَيْهِ.

[فَضْلُ الْإِنْفَاقِ وَالْفِتَالِ قَبْلَ الْفَتْحِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ﴾ أَيُّ: لَا يَسْتَوِي هَذَا وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ كَفْعِلُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ الْحَالُ شَدِيدًا، فَلَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ حِينَئِذٍ إِلَّا الصَّادِقُونَ، وَأَمَّا بَعْدَ الْفَتْحِ فَإِنَّهُ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ظُهُورًا عَظِيمًا، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ أَعْطَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِنَا﴾ وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسَى وَالْجُمُهورُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ هَهُنَا فَتْحُ مَكَّةَ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ وَغَيْرِهِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ هَهُنَا صَلَاحُ الْحُدَيْبِيَّةِ^(١). وَقَدْ يُسْتَدَلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلَامٌ، فَقَالَ خَالِدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: تَسْتَطِيلُونَ عَلَيْنَا بِأَيَّامٍ سَبَقْتُمُونَا بِهَا، فَبَلَّغْنَا أَنَّ ذَلِكَ دُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ - أَوْ مِثْلَ الْجَبَالِ - ذَهَبًا، مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ»^(٢). وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِسْلَامَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمُوَاجِهَ بِهَذَا الْخُطَابِ كَانَ بَيْنَ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُسَاجِرَةُ بَيْنَهُمَا فِي بَنِي جَذِيمَةَ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بَعْدَ الْفَتْحِ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأًا، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَأَمَرَ خَالِدٌ بِقَتْلِهِمْ وَقَتْلَ مَنْ أُسِرَ مِنْهُمْ، فَخَالَفَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُمَا، فَاخْتَصَمَ خَالِدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسَبِّ ذَلِكَ. وَالَّذِي فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسَى﴾ يَعْنِي: الْمُتَفَقِّصِينَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ، كُلُّهُمْ لَهُمْ ثَوَابٌ عَلَى مَا عَمِلُوا، وَإِنْ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿«أَلْهَكُمْ الشَّكَاوَةُ»﴾ [التكاثر: ١] يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟^(٤) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَزَادَ: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ، فَذَاهِبٌ وَتَارِكَةٌ لِلنَّاسِ»^(٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ تَرْغِيبٌ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِنْفَاقِ فِي الطَّاعَةِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِلْيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أَيُّ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالرَّسُولِ بَيْنَ أَظْهَرُكُمْ، يَدْعُوكُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيَبَيِّنُ لَكُمْ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ فِي أَوَائِلِ شَرْحِ كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْجَبَ إِلَيْكُمْ إِيْمَانًا؟». قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ. قَالَ: «وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟». قَالُوا: فَلَا نَبِيَّاءَ. قَالَ: «وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ؟» قَالُوا: فَتَحْنُ. قَالَ: «وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرُكُمْ؟ وَلَكِنْ أَعْجَبَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا، قَوْمٌ يَجِئُونَ بَعْدَكُمْ، يَجِدُونَ ضُحْفًا يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا»^(٦). وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيفَكُكُمْ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧] وَيَعْنِي: بِذَلِكَ بَيْعَةَ الرَّسُولِ ﷺ. وَزَعَمَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ: الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي صَلْبِ آدَمَ، وَهُوَ مَذْهَبُ مُجَاهِدٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٧). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِلُّ عَلَى عَبْدِهِ عَائِنَتَ يَسْتَبْ﴾ أَيُّ: حُجَجًا وَاضِحَاتٍ وَدَلَائِلَ بَاهِرَاتٍ وَبَرَاهِينَ قَاطِعَاتٍ ﴿يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أَيُّ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالْآرَاءِ الْمُتَضَادَّةِ، إِلَى نُورِ الْهُدَى وَالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أَيُّ: فِي إِزَالَةِ الْكُتُبِ وَإِزَالَةِ الرُّسُلِ لِهَدَايَةِ النَّاسِ وَإِزَاحَةِ الْعِلَلِ وَإِزَالَةِ الشُّبُهَةِ وَلَمَّا أَمَرَهُمْ أَوَّلًا بِالْإِيمَانِ وَالْإِنْفَاقِ، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ قَدْ أزالَ عَنْهُمْ مَوَانِعَهُ، حَثَّهُمْ أَيْضًا عَلَى الْإِنْفَاقِ فَقَالَ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَمِيزُ أَسَوَاتٍ وَالْأَرْضُ﴾ أَيُّ: أَنْفَقُوا وَلَا تَخْشَوْا فَقَرًا وَإِفْلَاقًا، فَإِنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِهِ هُوَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،

(١) أحمد: ٢٤/٤ (٢) مسلم: ٢٢٧٣/٤ (٣) المجموع: ١٠/٦٥

(٤) الطبري: ١٧٢/٢٣ (٥) الطبري: ١٧٥/٢٣ (٦)

أحمد: ٢٦٦/٣ (٧) مسلم: ٢٥/٤

كَانَ بَيْنَهُمْ تَفَاوُثٌ فِي تَفَاضُلِ الْجَزَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسْفَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] وَهَكَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي فِي الصَّحِيحِ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»^(١). وَإِنَّمَا نَبَّهَ بِهَذَا، لِئَلَّا يَهْدَرَ جَانِبُ الْآخِرِ بِمَدْحِ الْأَوَّلِ دُونَ الْآخِرِ، فَيَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمُ ذَمُّهُ، فَلِهَذَا عَطَفَ بِمَدْحِ الْآخِرِ وَالشَّاءَ عَلَيْهِ، مَعَ تَفْضِيلِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَيُّ: فَلْيَخْبِرْتِهِ فَأَوْتِ بَيْنَ ثَوَابٍ مِّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيُعْلِمُوهُ بِقَصْدِ الْأَوَّلِ وَإِخْلَاصِهِ التَّامِّ وَإِنْفَاقِهِ فِي حَالِ الْجَهْدِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّيْقِ، وَفِي الْحَدِيثِ:

«سَبَقَ دِرْهَمٌ مِّائَةَ أَلْفٍ»^(٢). وَلَا شَكَّ عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَنَّ الصَّدِّيقَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ الْحِظُّ الْأَوْفَرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ سَبَقَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ سَائِرِ أُمَمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّهُ أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ نِعْمَةٌ يَحْزِيهِ بِهَا.

[الْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: هُوَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقِيلَ: هُوَ التَّنْفِقُ عَلَى الْعِيَالِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ، فَكُلُّ مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَيْتٍ خَالِصَةٍ، وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ دَخَلَ فِي عُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فُضِّلَ لَهُ﴾ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] أَيُّ: جَزَاءً جَمِيلٌ وَرِزْقٌ بَاهِرٌ، وَهُوَ الْجَنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فُضِّلَ لَهُ﴾ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ اللَّهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ!». قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَتَأَوَّلَ يَدَهُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَاطِطِي - وَلَهُ حَاطِطٌ فِيهِ سِتْمِائَةٌ نَخْلَةٌ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا - قَالَ: فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أُمُّ الدَّحْدَاحِ! قَالَتْ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَخْرِجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّهَُا قَالَتْ لَهُ: رِبْحَ بَيْعِكَ يَا أَبَا

الدَّحْدَاحِ! وَتَقَلَّتْ مِنْهُ مَتَاعُهَا وَصَبِيحَانَهَا وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَّاحٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ» وَفِي لَفْظٍ: «رُبَّ نَخْلَةٍ مَدْلَاةٍ، عُرِفَتْهَا دُرٌّ وَيَأْفُوتُ، لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

يُعْطَى الْمُؤْمِنُونَ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قَالَ: عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمْرُونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَذْنَاهُمْ نُورًا مِنْ نُورِهِ فِي إِبْهَامِهِ يَتَّقَدُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُعْطَىٰ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى الصِّرَاطِ طُفِيَ نُورُ الْمُتَأَفِّقِينَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا أَنْ يُطْفَأَ نُورُهُمْ كَمَا طُفِيَ نُورُ الْمُتَأَفِّقِينَ فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا﴾ [التحریم: ٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: أَيُّ وَبِأَيْمَانِهِمْ: كُتُبُهُمْ^(٥). كَمَا قَالَ: ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ بِمَعِينِهِ﴾ [الاسراء: ٧١] وَقَوْلُهُ: ﴿بُشْرَانُكَ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أَيُّ: يُقَالُ لَهُمْ: بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ، أَيُّ: لَكُمْ الْبَشَارَةُ بِجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيُّ: مَا كُنِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(١) مسلم: ٢٠٥٢/٤ (٢) النسائي: ٥٩/٥ (٣) جزء الحسن بن عرفة: ٩٢ صحيح لشواهد له شاهد من حديث أنس عند ابن حبان (٧١٥٩) (٤) الطبري: ١٧٩/٢٣ (٥) الطبري: ١٧٩/٢٣

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
 بُشْرَتُكُمْ أَيُّومَ حَتَّى تَجْرِيَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا انظُرُوا نَفْسِي مِنْ نُوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورَةٍ. بَابُ بَاطِنَةٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرَهُ مِنْ قَبْلِهِ
 الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ يَنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ
 أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
 اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٨﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
 ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
 وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
 فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٠﴾
 أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا
 اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾

قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ الْمُتَافِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْيَاءَ يُنَادِيهِمْ وَيَسْمَعُونَهُمْ وَيُعَايِرُونَهُمْ، وَكَانُوا مَعَهُمْ أَمْوَاتًا، وَيُعْطُونَ
 النُّورَ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَطُفَأَ النُّورُ مِنَ الْمُتَافِقِينَ إِذَا
 بَلَغُوا السُّورَ، وَيُمَارَ بَيْنَهُمْ حِينَئِذٍ. ^(٨)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ﴾ أَيُّ: هِيَ مَصِيرُكُمْ وَإِلَيْهَا
 مُتَقَلِّبُكُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ أَيُّ: هِيَ أَوْلَى بِكُمْ
 مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ عَلَى كُفْرِكُمْ وَارْتِبَابِكُمْ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ
 مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
 فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ^(١٩) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾

[أَحْوَالُ الْمُتَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُوا
 نَفْسِي مِنْ نُوْرِكُمْ﴾ وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فِي الْعُرْصَاتِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْمُزْجِجَةِ وَالزَّلَازِلِ الْعَظِيمَةِ،
 وَالْأُمُورِ الْفَطِيعَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْجُو يَوْمِيذٍ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا عَنْهُ رَجَرَ. وَقَالَ
 الْعَوْفِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَيْنَمَا النَّاسُ
 فِي ظُلْمَةٍ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ نُورًا، فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ النُّورَ
 تَوَجَّهُوا نَحْوَهُ، وَكَانَ النُّورُ دَلِيلًا مِنَ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَلَمَّا
 رَأَى الْمُتَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ انْطَلَقُوا اتَّبَعُوهُمْ، فَأَظْلَمَ اللَّهُ
 عَلَى الْمُتَافِقِينَ، فَقَالُوا حِينِيذٍ: ﴿انظُرُوا نَفْسِي مِنْ نُوْرِكُمْ﴾ فَإِنَّا
 كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا. قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ مِنْ
 حَيْثُ جِئْتُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ فَالْتَمِسُوا هُنَالِكَ النُّورَ ^(١٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ
 وَظَهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: هُوَ حَاطِطٌ بَيْنَ
 الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ^(١٧). وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ: هُوَ
 الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] ^(١٨)
 وَهَكَذَا رَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ^(١٩). وَهُوَ
 الصَّحِيجُ. ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ - أَيُّ: الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا
 ﴿وَظَهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ أَيُّ النَّارِ. قَالَه قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ
 وَغَيْرُهُمَا ^(٢٠).

﴿يَنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أَيُّ يُنَادِي الْمُتَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ:
 أَمَا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا نَشْهَدُ مَعَكُمْ الْجُمُعَاتِ
 وَنُصَلِّيَ مَعَكُمْ الْجَمَاعَاتِ، وَنَقِفُ مَعَكُمْ بِعَرَفَاتٍ، وَنَحْضُرُ
 مَعَكُمْ الْغَزَوَاتِ، وَنُوَدِّي مَعَكُمْ سَائِرَ الْوَاجِبَاتِ؟ ﴿قَالُوا
 بَلَى﴾ أَيُّ: فَأَجَابَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَافِقِينَ قَالِيَيْنِ: بَلَى قَدْ كُنْتُمْ
 مَعَنَا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾
 قَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بِالْحَقِّ وَأَهْلِهِ ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أَيُّ:
 بِالْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ﴾ أَيُّ قُلْتُمْ: سَيُفْقَرُ
 لَنَا. وَقِيلَ: غَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أَيُّ: مَا زِلْتُمْ
 فِي هَذَا حَتَّى جَاءَكُمْ الْمَوْتُ ﴿وَعَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أَيُّ:
 الشَّيْطَانُ ^(٢١). قَالَ قَتَادَةُ: كَانُوا عَلَى خُدْعَةٍ مِنَ الشَّيْطَانِ،

وَاللَّهُ! مَا زَالُوا عَلَيْهَا حَتَّى قَذَفَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ ^(٢٢). وَمَعْنَى
 هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُتَافِقِينَ أَنْكُمْ كُنْتُمْ مَعَنَا، أَيُّ:
 بِأَبْدَانٍ لَا نَبِيَّةَ لَهَا، وَلَا قُلُوبَ مَعَهَا، وَإِنَّمَا كُنْتُمْ فِي حَيْرَةٍ
 وَشَكٍّ، فَكُنْتُمْ تُرَاوُونَ النَّاسَ، وَلَا تَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا،

(١) الطبري: ١٨٢/٢٣ (٢) الطبري: ١٨٢/٢٣ وابن أبي شيبه:

١٧٥/١٣ (٣) الطبري: ١٨٣/٢٣ (٤) الطبري: ١٨٢/٢٣

(٥) الطبري: ١٨٤/٢٣ (٦) الطبري: ١٨٥/٢٣ (٧) الطبري:

١٨٥/٢٣ (٨) الطبري: ١٨٤/٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدَةُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَرَنَهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْغُرُورِ ﴿١٩﴾
سَاقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾ مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلُ أَنْ تَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢١﴾ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٣﴾

[الْحَضُّ عَلَى الْخُشُوعِ وَالْتِهَافُ عَنْ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ أَهْلِ
الْكِتَابِ]

يَقُولُ تَعَالَى: أَمَّا أَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
اللَّهِ، أَيْ تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَقْهَمُهُ
وَتَتَقَادُّ لَهُ وَتَسْمَعُ لَهُ وَتُطِيعُهُ. رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ غَاتَبَنَا اللَّهُ
بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
اللَّهِ... الْآيَةِ﴾ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ، كَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي آخِرِ
الْكِتَابِ ^(١)، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ ^(٢).
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا
بِالَّذِينَ حُمِلُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَمَّا
تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ بَدَلُوا كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي بِيَدَيْهِمْ، وَاشْتَرَوْا
بِهِ نَسْمًا قَلِيلًا، وَبَدَّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَأَقْبَلُوا عَلَى الْأَرَءِ
الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَقْوَالِ الْمُتَوَاتِفَةِ، وَقَلَّدُوا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ،
وَاتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ
قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَلَا يَقْبَلُونَ مَوْعِظَةً، وَلَا تَلِينَ قُلُوبُهُمْ بِوَعْدِ
وَلَا وَعِيدِ ﴿وَكَذَّبَتْ بَنِي إِسْرَافِيلَ﴾ أَيْ: فِي الْأَعْمَالِ،
فَقَلُوبُهُمْ فَاسِدَةٌ، وَأَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا
نَقَضِهِمْ بِمَا عَدَّتْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَاسَةً يَجْعَلُونَ
الْكَلِمَةَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾
[المائدة: ١٣] أَيْ: فَسَدَتْ قُلُوبُهُمْ فَقَسَتْ، وَصَارَ مِنْ
سَجِيَّتِهِمْ تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَرْكُوهُ الْأَعْمَالِ الَّتِي
أُمرُوا بِهَا، وَارْتَكَبُوا مَا نَهَوْا عَنْهُ، وَلِهَذَا نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْفَرَعِيَّةِ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَلِكِكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلِينُ
الْقُلُوبَ بَعْدَ قَسَوَتِهَا، وَيَهْدِي الْخَيَارَى بَعْدَ ضَلَّتِهَا، وَيَفْرُجُ
الْكُرُوبَ بَعْدَ شِدَّتِهَا، فَكَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ الْمُجْدِبَةَ
الْهَامِدَةَ بِالْغَيْثِ الْهَئَانِ الْوَابِلِ، كَذَلِكَ يَهْدِي الْقُلُوبَ
الْقَاسِيَةَ بِزَاهِمِ الْقُرْآنِ وَالِدَّلَائِلِ، وَيُوجِّعُ إِلَيْهَا الثُّورَ بَعْدَ أَنْ
كَانَتْ مُقَفَّلَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْوَاصِلُ، فَسُبْحَانَ الْهَادِي لِمَنْ
يَشَاءُ بَعْدَ الضَّلَالِ، وَالْمُصِلُ لِمَنْ أَرَادَ بَعْدَ الْكَمَالِ، الَّذِي
هُوَ لِمَا يَشَاءُ فَعَالٌ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَدْلُ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ،
اللطيفُ الْخَبِيرُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ.

﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ

وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢٥﴾
[أَجْرُ الْمُصْذِقِ وَالصَّادِقِ وَالشَّاهِدِ وَمَصِيرُ الْكُفَّارِ]
يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يُنِيبُ بِهِ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ
بِأَمْوَالِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْمُسْكِنَةِ ﴿وَأَفْرَضُوا اللَّهَ
قَرَضًا حَسَنًا﴾ أَيْ: دَفَعُوهُ بِنَيْتِ خَالِصَةٍ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ،
لَا يُرِيدُونَ جَزَاءً مِمَّنْ أَعْطَوْهُ وَلَا شُكُورًا، وَلِهَذَا قَالَ:
﴿يَضْعَفُ لَهُمْ﴾ أَيْ: يُقَابِلُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،
وَيَزَادُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَفَوْقَ ذَلِكَ ﴿وَلَهُمْ
أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أَيْ: ثَوَابٌ جَزِيلٌ حَسَنٌ، وَمَوْجِعٌ صَالِحٌ
وَمَأْتٍ كَرِيمٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هَذَا تَمَامُ الْجُمْلَةِ، وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي

الصَّحِيحُ: أَنَّ قُرَّاءَ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، بِالدرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟». قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ. قَالَ: «أَفَلَا أَذَلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتُحَمِّدُونَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ». قَالَ: فَارْجِعُوا فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأُمُومِ مَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^(٣).

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢)
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُوتُ بَيْنَهُمُ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤﴾
[كُلُّ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَهُوَ بِقَدَرٍ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَدَرِهِ السَّابِقِ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْرَأَ الْبَرِيَّةَ فَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ الْخَلِيقَةَ وَنَبْرَأَ السَّمَةَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قَالَ: هِيَ السُّنُونُ بِعَيْنِي: الْجَذْبُ ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يَقُولُ: الْأَوْجَاعُ وَالْأَمْرَاضُ، قَالَ: وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُصِيبُهُ خَدَشُ غُودٍ وَلَا نَكْبَةُ قَدَمٍ، وَلَا خِلْجَانُ عِرْقٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَغْنُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ^(٤).

وهذه الآية الكريمة العظيمة مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ نَفَاةِ الْعِلْمِ السَّابِقِ - فَحَبَّهُمُ اللَّهُ - وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٥). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَرَادَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٦). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إِنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتَهُ لَهَا طَبَقٌ مَا يُوجَدُ

يَكُونُ حُطْمًا أَي: يَهِيْجُ ذَلِكَ الزَّرْعُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا بَعْدَ مَا كَانَ خَضِرًا نَضِرًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ حُطْمًا أَي: يَصِيرُ نَبَسًا مُنْهَطًا، هَكَذَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا تَكُونُ أَوَّلًا شَأْنَةً، ثُمَّ تَكْتَهِلُ، ثُمَّ تَكُونُ عَجُوزًا شَوْهَاءَ، وَالْإِنْسَانُ يَكُونُ كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ وَغُنْفَوَانٍ شَبَابِهِ غَضًا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بَهِي الْمُنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرُعُ فِي الْكُهُولَةِ فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ، وَيَقْطَعُ بَعْضُ قُوَّاهُ، ثُمَّ يَكْبُرُ فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمِثْلُ دَالًّا عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا وَانْقِصَائِهَا وَقَرَأَهَا لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ كَانَتْ لَا مَحَالَةَ، حَذَرَ مِنْ أَمْرِهَا وَرَغَبَ فِيهَا مِنْ الْخَيْرِ فَقَالَ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أي: وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ الْآتِيَةِ الْقَرِيبَةِ إِلَّا إِمَّا هَذَا، وَإِمَّا هَذَا، إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ أَي: هِيَ مَتَاعٌ فَإِنْ غَارَ لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرُّ بِهَا وَتُغْبِهُ حَتَّى يَعْتَقِدَ أَنَّهُ لَا دَارَ سِوَاهَا، وَلَا مَعَادَ وَرَاءَهَا، وَهِيَ حَقِيرَةٌ قَلِيلَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْحَنَّةِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(١). انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ فِي الرَّاقِ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ^(٢). فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَابِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِهَذَا حَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ الَّتِي تُكْفِّرُ عَنْهُ الذُّنُوبَ وَالزَّلَّاتِ، وَتُحَصِّلُ لَهُ الثَّوَابَ وَالدَّرَجَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وَالْمَرَادُ جَنَسُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وَقَالَ هُنَا: «أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَي: هَذَا الَّذِي أَهْلَهُمُ اللَّهُ لَهُ هُوَ مِنْ فَضْلِهِ وَمَنْعِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَدَّمْنَاهُ فِي

(١) أحمد: ٣٨٧/١ (٢) فتح الباري: ٣٢٨/١١ (٣) مسلم:

٤١٦/١ (٤) الطبري: ١٩٦/٢٣ (٥) أحمد: ١٦٩/٢ (٦)

مسلم: ٢٠٤٤/٤ وتحفة الأحادي: ٣٧٠/٦

سُورَةُ الْحَدِيدِ

٥٤١

سُورَةُ الْحَدِيدِ

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى عَائِدِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَوْلَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

رَفْعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿[الرحمن: ٧]﴾ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أَي: بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ، فَإِنَّ الَّذِي جَاءُوا بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ كَمَا قَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أَي: صِدْقًا فِي الْإِخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَلِهَذَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا تَبَوَّءُوا غُرَفَ الْجَنَّاتِ، وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَاتِ، وَالسَّرَرِ الْمَصْفُوفَاتِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فَوَائِدُ الْحَدِيدِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أَي: وَجَعَلْنَا الْحَدِيدَ رَادِعًا لِمَنْ أَبَى الْحَقَّ وَعَانَدَهُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ

فِي حَبِينَهَا: سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

[الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَكُنْ تَأْسَا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أَي: أَعْلَمْنَاكُمْ بِتَقَدُّمِ عِلْمِنَا وَسَبْقِ كِتَابِنَا لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا، وَتَقْدِيرِنَا الْكَاتِبَاتِ قَبْلَ وُجُودِهَا، لِتَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكُمْ، وَمَا أَخْطَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكُمْ، فَلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، لِأَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ لَكَانَ ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أَي: جَاءَكُمْ، وَتَفْسِيرُ ﴿ءَاتَاكُمْ﴾ أَي: أَعْطَاكُمْ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَاوِمٌ، أَي: لَا تَفْرَحُوا عَلَى النَّاسِ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَعْيِكُمْ وَلَا كَدِّكُمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ قَدْرِ اللَّهِ وَرِزْقِهِ لَكُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا نِعَمَ اللَّهِ أَشْرًا وَبَطْرًا، تَفْرَحُونَ بِهَا عَلَى النَّاسِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أَي: مُخْتَالٌ فِي نَفْسِهِ، مُتَكَبِّرٌ فَخُورٌ أَي: عَلَى غَيْرِهِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا هُوَ يَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا الْفَرَحَ شُكْرًا، وَالْحُزْنَ صَبْرًا^(١).

[دَمُّ الْبَخِيلِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ﴾ أَي: يَقْعِلُونَ الْمُتَكَبِّرَ وَيَحْضُونُ النَّاسَ عَلَيْهِ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أَي: عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢٥﴾

[أَرْسَلَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَي: بِالْمُعْجَزَاتِ، وَالْحُجَجِ الْبَاهِرَاتِ، وَالذَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وَهُوَ النُّقْلُ الصَّدْقُ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وَهُوَ الْعَدْلُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا^(٢). وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُخَالَفَةُ لِلْأَرَاءِ السَّقِيمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَتَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ أَلْفًا فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ

أَتَّبَعُوهُ ﴿وَهُمُ الْخَوَارِثُونَ﴾ ﴿رَافَةً﴾ أَيْ رِفَّةً وَهِيَ الْحَشِيَّةُ ﴿وَرَحْمَةً﴾ بِالْخَلْقِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أَيْ: ابْتَدَعَهَا أُمَّةُ النَّصَارَى ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ أَيْ: مَا شَرَعْنَاهَا لَهُمْ، وَإِنَّمَا هُمْ التَّزَمُّوْهَا مِنْ تَلَقَّاءِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُمْ قَصَدُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَ اللَّهِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ^(٢). (وَالْآخَرُ) - مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أَيْ: فَمَا قَامُوا بِمَا التَّزَمُوا حَقَّ الْقِيَامِ، وَهَذَا ذَمٌّ لَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ (أَحَدُهُمَا) - الْإِيتِدَاعُ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ اللَّهُ. وَ (الثَّانِي) - فِي عَدَمِ قِيَامِهِمْ بِمَا التَّزَمُوْهُ مِمَّا زَعَمُوا أَنَّهُ قُرْبَةٌ يَقْرَبُ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مُلُوكُ بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَذَلَتِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، فَكَانَ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، فَقِيلَ لِمُلُوكِهِمْ: مَا نَجِدُ شَيْئًا أَشَدَّ مِنْ شَيْءٍ يُشْتَمُونَاهُ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ يَقْرَأُونَ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ هَذِهِ الْآيَاتُ مَعَ مَا يَعْبُونَنَا بِهِ مِنْ أَعْمَالِنَا فِي قِرَاءَتِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَلْيَقْرَأُوا كَمَا نَقَرُّ، وَلْيُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَّا، فَادْعَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ أَوْ يَتْرَكُوا قِرَاءَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا مَا بَدَّلُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: مَا تُرِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ؟ دَعُونَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: ابْنُوا لَنَا أُسْطُوَانَةً، ثُمَّ ارْزُقُونَا إِلَيْهَا، ثُمَّ أَعْطُونَا شَيْئًا نَرْفَعُ بِهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا فَلَا نَرُدُّ عَلَيْكُمْ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: دَعُونَا نَسِيحٌ فِي الْأَرْضِ، وَنَهَيْمُ وَنَشْرِبُ كَمَا يَشْرِبُ الْوَحْشُ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاقْتُلُونَا، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: ابْنُوا لَنَا دُورًا فِي الْفَيَافِي، وَنَحْتَقِرُ الْآبَارَ وَنَحْرُثُ الْبُقُولَ، فَلَا نَرُدُّ عَلَيْكُمْ، وَلَا نَمُرُّ بِكُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْقَبَائِلِ إِلَّا لَهُ حَيِمٌّ فِيهِمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ رَهْبَانِيَّةٌ، وَرَهْبَانِيَّةٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْجَهَادُ فِي

ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً تُوحَى إِلَيْهِ السُّورُ الْمَكِّيَّةُ، وَكُلُّهَا جِدَالٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَيَبَيِّنُ وَإِبْصَاحٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَيَبَيِّنُ وَدَلَالَاتٌ، فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ خَالَفَ، شَرَعَ اللَّهُ الْهَجْرَةَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ بِالسُّيُوفِ وَضَرْبِ الرِّقَابِ وَالْهَامِ لِمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَكَذَّبَ بِهِ وَعَانَدَهُ، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسُّيُوفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يَعْنِي: السَّلَاحَ، كَالسُّيُوفِ وَالْحِرَابِ وَالسَّيِّفِ وَالنَّصَالِ وَالذُّرُوعِ وَنَحْوِهَا ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أَيْ: فِي مَعَايِشِهِمْ كَالسَّكَّةِ وَالْفَاسِ وَالْفُدُومِ وَالْمِشْشَارِ وَالْإِرْمِيلِ وَالْمِجْرَفَةِ وَالْأَلَاتِ الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا فِي الْحِرَاةِ وَالْحِيَاطَةِ وَالطَّبْخِ وَالْحَبْرِ، وَمَا لَا قِيَامَ لِلنَّاسِ بِدُونِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْصُرُ وَرَسُولُهُ بِالْعَبَثِ﴾ أَيْ: مَنْ يَنْتَهِي فِي حَمْلِ السَّلَاحِ نَصْرَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أَيْ هُوَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ مِنْهُ إِلَى النَّاسِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ الْجِهَادَ لِيُنَلِّهُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٦) ثُمَّ فَقَيْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَقَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَتَأْتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٧)

[فَسِقُ الْكَثِيرِ مِنْ أُمَّمِ الْأَنْبِيَاءِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مِنْذُ بَعَثَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْسَلْ بَعْدَهُ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَكَذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، لَمْ يُزَلْ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا وَلَا أُرْسَلَ رَسُولًا وَلَا أُوحِيَ إِلَى بَشَرٍ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا وَهُوَ مِنْ سُلَالَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ حَتَّى كَانَ آخِرُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الَّذِي بَشَّرَ مِنْ بَعْدِهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ فَقَيْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَقَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

(١) أحمد: ٥٠/٢ وأبو داود: ٣١٤/٤ (٢) الطبري: ٢٣/

٢٠٣ (٣) الطبري: ٢٠٣/٢٣ والنسائي: ٢٣١/٨

سَبِيلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». وَرَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى وَلَقَطُهُ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ رَهْبَانِيَّةٌ، وَرَهْبَانِيَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: سَأَلْتُ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَبِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»^(٢). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِيَكُمْ كَفَلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

الْعَظِيمِ

[يُؤْتِي مُؤْمِنٍ أَهْلَ الْكِتَابِ الْأَجْرَ مَرَّتَيْنِ]

قَدْ تَقَدَّمَ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَمَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ، كَمَا فِي الْآيَةِ الَّتِي فِي الْقَصَصِ، وَكَمَا فِي حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ آدَى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ آدَبَ أُمَّتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٤). وَوَافَقَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى هَذَا التفسير الضحاك وعُتْبَةُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ وَغَيْرُهُمَا، وَهُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جَرِيرٍ^(٥).

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَفَقَّوْا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: سَأَلَ عُمَرُ ابْنَ الْخَطَّابِ حَبْرًا مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ: [كَمْ] أَفْضَلُ مَا ضَعَفَ لَكُمْ حَسَنَةً؟ قَالَ: كِفْلٌ - ثَلَاثُمِائَةٍ [وَأَخْمُسُونَ] حَسَنَةً - قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرُ عَلَى أَنَّهُ أَعْطَانَا كِفْلَيْنِ، ثُمَّ ذَكَرَ سَعِيدٌ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُؤْتِيَكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قَالَ سَعِيدٌ: وَالْكِفْلَانِ فِي الْجُمُعَةِ مِثْلُ ذَلِكَ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥). وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الْيَهُودِ

وَالنَّصَارَى كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ؟ أَلَا فَانْتُمْ الَّذِينَ عَمِلْتُمْ، فَغَضِبَ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلَى عَطَاءً، قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَسَاءٍ»^(٦). وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ^(٧).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مِثْلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلًا، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمْ فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ جِنِّ صَلَوا الْعَصْرَ قَالُوا: مَا عَمِلْنَا بَاطِلًا، وَلَكِ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ. فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، فَإِنَّمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَوْا. فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَةَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَلِكَ مِثْلُهُمْ وَمِثْلُ مَا قِيلُوا مِنْ هَذَا الثَّوْرِ». انْفَرَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ^(٨). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: لِيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَا إِعْطَاءِ مَا مَنَعَ اللَّهُ ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَدِيدِ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(١) أحمد: ٢٦٦/٣ إسناده ضعيف فيه زيد العمي وهو ضعيف [تقريب] (٢) أحمد: ٨٢/٣ فيه حجاج بن مروان الكلاعي (٣) فتح الباري: ٢٢٩/١ ومسلم: ١٣٤/١ (٤) الطبري: ٢٠٨/٢٣ و ٢١٠ (٥) الطبري: ٢١٠/٢٣ (٦) أحمد: ١١١/٦ و ١١١ (٧) فتح الباري: ٥٢١/٤ و ٥٧١/٦ (٨) فتح الباري: ٥٢٣/٤

تفسير سورة المجادلة مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

[سَبَبُ النِّزُولِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاجِيَةِ النَّبِيِّ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ^(١). وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ تَعْلِيلًا ^(٢). وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ ^(٣). وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: تَبَارَكَ الَّذِي أَوْعَى سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَتُخْفِي عَلَيَّ بَعْضَهُ وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكَلْتُ مَالِي، وَأَفْنَيْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ! إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. قَالَتْ: فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. قَالَتْ: وَزَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ ^(٤).

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ كَوْمٌ تَوَعَّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطَاعًا سِتِّينَ مَسْكِنًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

[الظَّهَارُ وَكَفَّارَتُهُ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: فِي - وَاللَّهُ - وَفِي أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ أَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ، قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ، فَعُصِبَ فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي. قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَنْ نَفْسِي، قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ خَوْلَةَ بِنْدِهِ! لَا

سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ ٥٤٢

سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ كَوْمٌ تَوَعَّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطَاعًا سِتِّينَ مَسْكِنًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوزًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَاهُ آيَةً لِلْكَافِرِينَ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

تَخْلُصَ إِلَيَّ، وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ. قَالَتْ: فَوَائِنِي فَأَمْتَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَّتْهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ فَالْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابًا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ وَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا خَوْلَةُ! ابْنِ عَمَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَأَتَيْتُ اللَّهَ فِيهِ». قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ! مَا بَرَحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ، فَتَعَشَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ يَتَعَشَّاهُ ثُمَّ سَرَى عَنْهُ فَقَالَ لِي: «يَا خَوْلَةُ! قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ وَفِي صَاحِبِكَ». ثُمَّ قرأ علي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَتْ:

(١) أحمد: ٤٦/٦ (٢) فتح الباري: ٣٨٤/١٣ (٣) النسائي:

١٦٨/٦ وابن ماجه: ٦٧/١ والطبري: ٢٢٥/٢٣ (٤) الطبري:

حَرَمُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَغْنِي الْغُشْيَانُ فِي الْفَرْجِ، وَكَانَ لَا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَغْشَى فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ قَبْلَ أَنْ يُكْفَرَ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسَّ» وَالْمَسُّ النِّكَاحُ^(٣). وَكَذَا قَالَ عَطَاءٌ وَالزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: لَيْسَ لَهُ أَنْ يُقْبَلَهَا وَلَا يَمَسَّهَا حَتَّى يُكْفَرَ. وَقَدْ رَوَى أَهْلُ الشُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي ظَاهَرْتُ مِنْ امْرَأَتِي فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أُكْفَرَ. فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟» قَالَ: رَأَيْتُ خَلْعَ خَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ. قَالَ: «فَلَا تَقْرُبْهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِيُّ^(٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» أَيُّ: فَاِعْتَاقُ رَقَبَةٍ كَامِلَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا، فَهَئِنَا الرَّقَبَةُ مُطْلَقَةٌ غَيْرُ مُقْبَدَةٍ بِالْإِيمَانِ، وَفِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ مُقْبَدَةٌ بِالْإِيمَانِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ» أَيُّ: تُزَجَّرُونَ بِهِ «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أَيُّ: خَبِيرٌ بِمَا يُضِلُّكُمْ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَحَادِيثُ الْأَمْرَةُ بِهَذَا عَلَى التَّرْتِيبِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي قِصَّةِ الَّذِي جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي رَمَضَانَ^(٥) «ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» أَيُّ شَرَعْنَا هَذَا لِهَذَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» أَيُّ: مَحَارِمُهُ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أَيُّ: الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَا التَّزَمُوا بِأَحْكَامِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ الْبَلَاءِ، كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَيُّ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

«إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبُورُ مَا كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَوَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ بَنَاتٍ مُبَيَّنَاتٍ وَلِلْكَاْفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوَّهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرِيهِ فَلْيُعْتَقِ رَقَبَةً». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتَقُ. قَالَ: «فَلْيُصِمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! إِنَّهُ لَنَسِيخٌ كَبِيرٌ، مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ. قَالَ: «فَلْيُطْعِمِ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا ذَاكَ عِنْدَهُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَنَا سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ. قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُ وَأَحْسَنْتُ فَادْهَبِي فَتَصَدَّقِي بِهِ عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمَلِكٍ خَيْرًا». قَالَتْ: فَفَعَلْتُ^(١).

وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الطَّلَاقِ مِنْ سُنَنِهِ^(٢). وَعِنْدَهُ خَوْلَةٌ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَيُقَالُ لَهَا: خَوْلَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَقَدْ تَصَغَّرَ فَيُقَالُ: خَوْلَيْلَةُ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، فَالْأَمْرُ فِيهَا قَرِيبٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يَطْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ» أَصْلُ الطَّهَارِ مُشْتَقٌّ مِنَ الظَّهْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانُوا إِذَا ظَاهَرَ أَحَدُهُمْ مِنْ امْرَأَتِهِ قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي. وَكَانَ الظَّهَارُ عِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقًا، فَأَرْحَصَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَجَعَلَ فِيهِ كَفَّارَةً، وَلَمْ يَجْعَلْهُ طَلَاقًا، كَمَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَهُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ» أَيُّ: لَا تَصِيرُ الْمَرْأَةُ بِقَوْلِ الرَّجُلِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَأُمِّي أَوْ مِثْلُ أُمِّي، أَوْ كَظْهَرِ أُمِّي وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، لَا تَصِيرُ أُمُّهُ بِذَلِكَ، إِنَّمَا أُمُّهُ اللَّائِي وَلَدَتْهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَلِيَهُمْ لِيَقُولُوا مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُؤُوسًا» أَيُّ: كَلَامًا فَاجِشًا بَاطِلًا «وَلَيْتَ اللَّهُ لَعَنَ غُفُورًا» أَيُّ: عَمَّا كَانَ مِنْكُمْ فِي حَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَكَذَا أَيْضًا خَرَجَ مِنْ سَبْقِ اللِّسَانِ، وَلَمْ يَقْصِدْ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُ، وَلَوْ قَصَدَهُ لَحَرُمَتْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عَلَى الصَّحِيحِ بَيْنَ الْأُمِّ وَبَيْنَ غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْمَحَارِمِ مِنْ أُخْبٍ وَعَمَةٍ وَخَالَةٍ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ يَطْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» قَالَ الشَّافِعِيُّ: هُوَ أَنْ يُمَسِكَهَا بَعْدَ الْمُطَاهَرَةِ زَمَانًا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُطَلَّقَ فِيهِ فَلَا يُطَلَّقُ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: هُوَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْجِمَاعِ أَوْ يَغْرِمَ عَلَيْهِ: فَلَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى يُكْفَرَ بِهَذِهِ الْكُفَّارَةِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ الْعَزْمُ عَلَى الْجِمَاعِ وَالْإِنْسَاكِ. وَعَنْهُ أَنَّهُ الْجِمَاعُ. عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» يَعْنِي: يُرِيدُونَ أَنْ يَعُودُوا فِي الْجِمَاعِ الَّذِي

(١) أحمد: ٤١٠/٦ (٢) أبو داود: ٦٦٢/٢ و٦٦٤ (٣) الطبري: ٢٣١/٢٣ (٤) أبو داود: ٦٦٦/٢ وتحفة الأحوذى: ٣٨٠/٤ والنسائي: ١٦٧/٦ وابن ماجه: ٦٦٦/١ (٥) فتح الباري: ١٩٣/٤ ومسلم: ٧٨١/٢

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

٥٤٣

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ
 مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
 وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ
 بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذْ جَاءَكَ حَبْرُكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
 جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيدُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
 تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا
 بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَنْتَقُوا لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى
 مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اسْكُرُوا فَأَسْكُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ
 بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَبْرُكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
 يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيدُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا
 تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَنْتَقُوا
 لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

[بَيَانُ شَرَارَةِ الْيَهُودِ]

قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ
 النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ قَالَ: الْيَهُودُ^(١). وَكَذَا قَالَ
 مُقَاتِلُ بْنُ حَبَّانٍ وَزَادَ: كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ الْيَهُودِ
 مُوَادَعَةٌ، وَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ
 جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ، حَتَّى يَظُنُّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ

يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ
 سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ
 يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

[بَيَانُ عَاقِبَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّنْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَانَدُوا شَرْعَهُ
 ﴿كَيْتُوا كَمَا كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَيُّ: أَهْيَاوْا وَلَعْنُوا وَأَحْزُوا
 كَمَا فَعَلَ بَيْنَ أَشْبَهُهُمْ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ بَيِّنَاتٍ﴾
 أَيُّ: وَاضِحَاتٍ، لَا يُعَانِدُهَا وَلَا يُخَالِفُهَا إِلَّا كَافِرٌ فَاجِرٌ
 مُكَابِرٌ ﴿وَاللَّكَفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أَيُّ: فِي مُقَابَلَةٍ مَا
 اسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ شَرْعِ اللَّهِ، وَالْإِنْفِيَادِ لَهُ وَالْخُضُوعِ
 لَدَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَسْعَاهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ
 الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
 ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أَيُّ: فَيُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي صَنَعُوا مِنْ خَيْرٍ
 وَشَرٍّ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُصُوهُ﴾ أَيُّ: ضَبَطَهُ اللَّهُ وَحَفِظَهُ عَلَيْهِمْ،
 وَهُمْ قَدْ نَسُوا مَا كَانُوا عَمِلُوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
 أَيُّ: لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَخْفَى وَلَا يَنْسِي شَيْئًا.

[عِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِالْخَلْقِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِخَلْقِهِ وَاطِّلَاعِهِ
 عَلَيْهِمْ وَسَمَاعِهِ كَلَامَهُمْ، وَرُؤْيَاهُ مَكَانَهُمْ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ
 كَانُوا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أَيُّ: مِنْ سِرِّ ثَلَاثَةٍ ﴿إِلَّا
 هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا
 أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أَيُّ: مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، يَسْمَعُ
 كَلَامَهُمْ وَسِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَرُسُلُهُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ تَكْتُبُ مَا
 يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، مَعَ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ وَسَمْعِهِ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
 ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ
 الْغُيُوبَ﴾ [التوبة: ٧٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
 سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] وَلِهَذَا
 حَكَى غَيْرُ وَاحِدٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَعِيَّةُ
 عِلْمِهِ تَعَالَى، وَلَا شَكَّ فِي إِدَارَةِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ سَمِعَهُ أَيْضًا
 مَعَ عِلْمِهِ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبَصَرُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى خَلْقِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ،
 ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ﴾ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: افْتَتَحَ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ وَاخْتَتَمَهَا
 بِالْعِلْمِ.

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: سَامٌ عَلَيْكَ، ثُمَّ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَوْلَا يَعُذُّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ؟ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَوْ يُحِبُّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْتَسِلُ الْمَصِيرُ﴾^(١). إسناده حسن ولم يُخرجه.

[آداب النَّجْوَى]

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُؤَدِّبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَكُونُوا مِثْلَ الْكَفَرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: كَمَا يَتَنَاجَى بِهِ الْجَهْلَةُ مِنَ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَنْ مَالَاهُمْ عَلَى ضَلَالِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْقَوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فَيُخَبِّرُكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ الَّتِي قَدْ أَحْصَاهَا عَلَيْكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمْ بِهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: إِنَّمَا النَّجْوَى - وَهِيَ الْمَسَارَةُ حَيْثُ يَتَوَهَّمُ مُؤْمِنٌ بِهَا شُؤْمًا - ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يَعْنِي: إِنَّمَا يَصُدُّ هَذَا مِنَ الْمُتَنَاجِيَنِ عَنْ تَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ وَتَزْيِينِهِ ﴿لِيَحْزُنَكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: لِيَسُوءَهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَقَدْ وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّنَاجِي حَيْثُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ تَأْذٌ عَلَى مُؤْمِنٍ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(٢). أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ^(٣). وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(٤). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٥).

يَقْتُلِهِ، أَوْ بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ حَشِيهِمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ، فَتَهَاكُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَتَّبِعُوا، وَعَادُوا إِلَى النَّجْوَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ﴾^(٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنَّمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ أي: يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿بِالْإِنَّمِ﴾ وَهُوَ مَا يَخْتَصُّ بِهِمْ ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهِمْ، وَمِنْهُ مَعْصِيَةُ الرَّسُولِ وَمُخَالَفَتُهُ يُصِرُّونَ عَلَيْهَا وَيَتَوَاصُونَ بِهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَوْ يُحِبُّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَهُودٌ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ». قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مَا سَمِعْتَ أَقُولَ: وَعَلَيْكُمْ؟». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَوْ يُحِبُّكَ بِهِ اللَّهُ﴾^(٧). وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُمْ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ وَاللُّعْنَةُ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَنَا فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيْنَا»^(٨).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ يَهُودِيٌّ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَذَرُونَ مَا قَالَ؟» قَالُوا: سَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «بَلْ قَالَ: سَامٌ عَلَيْكُمْ». أي: تُسَامُونَ دِينَكُمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُدُّوهُ». فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَقُلْتُ: سَامٌ عَلَيْكُمْ؟». قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكَ». أي: عَلَيْكَ مَا قُلْتُ^(٩). وَأَصْلُ حَدِيثِ أَنَسٍ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ بِنَحْوِهِ^(١٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يَقُولُونَ هَذَا، وَيَقُولُونَ مَا يَحَرِّفُونَ مِنَ الْكَلَامِ وَإِيْهَامِ السَّلَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَتَمٌ فِي الْبَاطِنِ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لَعَذَّبَنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ لَهُ فِي الْبَاطِنِ، لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا نُسِرُهُ، فَلَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا حَقًّا لَأَوْشَكَ أَنْ يُعَاجِلَنَا اللَّهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جَهَنَّمُ كِفَايَتُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿يَصَلُّونَهَا فَيَنْتَسِلُ الْمَصِيرُ﴾ وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ

(١) الدر المنثور: ٨٠/٨ (٢) الطبري: ٢٣٦/٢٣ و ٢٣٧ (٣) فتح الباري: ٤٦٦/١٠ (٤) الطبري: ٢٤٠/٢٣ (٥) فتح الباري: ٤٦٣/١٠ (٦) أحمد: ١٧٠/٢ (٧) أحمد: ٤٢٥/١ (٨) فتح الباري: ٥٨/١١ ومسلم: ١٧١٨/٤ (٩) عبد الرزاق: ٢٦/١١ (١٠) مسلم: ١٧١٧/٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٤

سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَفَعَلُوا بِبَنِي جَبُونَكُمْ
صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
﴿١٣﴾ ءَاشْفَقْتُمْ أَن تُفَدِّمُوا بِبَنِي جَبُونَكُمْ صَدَقَتْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٨﴾ لَّنْ تَعْنِي عَنْهُمْ ءُمُورُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا
إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ
اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِن حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾
﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ءَؤُلَئِكَ فِي ءَأْدِ الَّذِينَ ﴿٢٣﴾
كُتِبَ اللَّهُ لَآ غَلْبَ لَكُمْ ءَنَا وَرَسُولُنَا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٤﴾

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ مَنْ تَوَاضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ
وَنَشَرَ ذِكْرَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ ءَاتُوا إِلَهُمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَيُّ: خَيْرٌ بِمَنْ
يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ وَيَمُنُّ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ: أَنَّ
نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِعُسْفَانَ،
وَكَانَ عُمَرُ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ
اسْتَحْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ قَالَ: اسْتَحْلَفْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ
أَبِي رَجُلٍ مِنْ مَوَالِينَا، فَقَالَ عُمَرُ: اسْتَحْلَفْتَ عَلَيْهِمْ
مَوْلَى؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ قَارِيٌّ لِكِتَابِ اللَّهِ،
عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَاضٍ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَمَا إِنَّ

﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَاتُوا إِلَهُمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾

[آدَابُ الْمَجَالِسِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُؤَدِّبًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرًا لَهُمْ أَنْ يُحْسِنَ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْمَجَالِسِ ﴿يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ
لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ وَفَرَىء (فِي الْمَجَالِسِ) ﴿فَافْسَحُوا
يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَمَا
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١). وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى
مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ
مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(٢). وَلِهَذَا أَشْبَاهَ كَثِيرَةً، وَلِهَذَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: نَزَلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا رَأَوْا أَحَدَهُمْ
مُقْبِلًا ضَنُّوا بِمَجَالِسِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى أَنْ يَفْسَحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ^(٣).

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالشَّافِعِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُقِمُّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ
فَيَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»^(٤). وَأَخْرَجَاهُ فِي
الصَّحِيحَيْنِ^(٥). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُقِمُّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ
يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ افْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ»^(٦). وَرَوَاهُ
أَيْضًا بِلَفْظٍ: «لَا يَقُومُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَلَكِنْ
افْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ»^(٧) تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِمَا
أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي
الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بَعْثِي فِي مَجَالِسِ الْحَرْبِ
قَالُوا: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ أَيُّ:
انْهَضُوا لِلْقِتَالِ^(٨). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا
فَانْشُرُوا﴾ أَيُّ: إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى خَيْرٍ فَأَجِيبُوا^(٩).

[فَضْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَاتُوا
إِلَهُمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَيُّ: لَا تَعْتَقِدُوا أَنَّهُ إِذَا
فَسَحَ أَحَدٌ مِنْكُمْ لِأَخِيهِ إِذَا أَقْبَلَ، أَوْ إِذَا أَمَرَ بِالْخُرُوجِ
فَخَرَجَ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَقْصًا فِي حَقِّهِ، بَلْ هُوَ رِفْعَةٌ وَرُتْبَةٌ
عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُضِيعُ ذَلِكَ لَهُ، بَلْ يُجْزِيهِ بِهَا فِي

(١) فتح الباري: ١/٦٤٨ (٢) مسلم: ٤/٢٠٧٤ (٣) الطبري: ٢٣/٢٤٤ (٤) أحمد: ٢/١٢٦ وترتيب الشافعي: ١٨٦/٢ (٥)
فتح الباري: ١/٦٤٨ ومسلم: ٤/١٧١٤ (٦) أحمد: ٢/٥٢٣
(٧) أحمد: ٢/٣٣٨ (٨) الطبري: ٢٣/٢٤٤ والقرطبي: ١٧/٢٩٩
والدر المنثور: ٨/٨٢ (٩) الطبري: ٢٣/٢٤٥

نَبِّئُكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ [أَقْوَامًا] وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»^(١). وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢).

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَّرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً قَدْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

[الْأَمْرُ بِالصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ يَنَاجِيَ الرَّسُولَ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَنَاجِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْ: يُسَارِعُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، أَنْ يَقْدِمَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُ وَتُزَكِّيهِ وَتُؤَهِّلُهُ لِأَنْ يَصْلَحَ لِهَذَا الْمَقَامِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَّرُ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ أَيْ: إِلَّا مَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ لِقَفَرِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَمَا أَمَرَ بِهَا إِلَّا مَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ أَيْ: أَخِفْتُمْ مِنْ اسْتِمْرَارِ هَذَا الْحُكْمِ عَلَيْكُمْ مِنْ وَجُوبِ الصَّدَقَةِ قَبْلَ مُنَاجَاةِ الرَّسُولِ ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَسَخَّ وَجُوبَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِهِذِهِ الْآيَةِ قَبْلَ نَسْخِهَا سِوَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرُوا الْمَسَائِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَفَّوْا عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ: [صَبَرَ] كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَفُّوا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ هَذَا: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُضَيِّقْ^(٤).

وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ نَسَخَهَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ إِلَى آخِرِهَا^(٥). وَقَالَ سَعِيدُ ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ وَمُقَاتِلِ بْنِ حَبَّانَ: سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَخَفَّوهُ بِالْمَسْأَلَةِ فَفَطَمَهُمُ اللَّهُ بِهِذِهِ الْآيَةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا كَانَتْ لَهُ الْحَاجَةُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْضِيَهَا حَتَّى يَقْدِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَدَقَةً، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الرُّخْصَةَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿فَإِنْ لَمْ

تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

وَقَالَ مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً﴾ إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، مَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ^(٦). وَهَكَذَا رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ عَلِيٌّ: مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ غَيْرِي حَتَّى نُسِخَتْ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً^(٧).

﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٠﴾ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾

[دَمُ الْمُنَافِقِينَ]

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُنَافِقِينَ فِي مُوَالَاتِهِمُ الْكُفَّارِ فِي الْبَاطِنِ، وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا مَعَهُمْ وَلَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْنِي: الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا الْمُنَافِقُونَ يُمَالُونَهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ فِي الْبَاطِنِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لَيْسُوا فِي الْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! وَلَا مِنَ الَّذِينَ يُوَالُونَهُمْ وَهُمْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ، وَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا حَلَفُوا، وَهِيَ الْيَمِينُ الْغُمُوسُ، وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ حَالِهِمُ اللَّعِينِ عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنَّا، وَإِذَا جَاؤُوا الرَّسُولَ حَلَفُوا لَهُ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِيمَا حَلَفُوا بِهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ مَا قَالُوهُ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مُطَاقِبًا، وَلِهَذَا شَهِدَ اللَّهُ بِكَذِبِهِمْ فِي أَيْمَانِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ لَذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا

(١) أحمد: ٣٥/١ (٢) مسلم: ٥٥٩/١ (٣) الطبري: ٢٣/٢٤٩

(٤) الطبري: ٢٣/٢٥٠ (٥) الطبري: ٢٣/٢٤٨

مرسل (٦) الطبري: ٢٣/٢٤٩ (٧) عبد الرزاق: ٣/٢٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٥

سُورَةُ الْحَشْرِ

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنظَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾

[ذَلِكَ الْمُخَالِفِينَ لِلَّهِ وَعَلَيْهِ رِسَالُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ الْمُحَادِّينَ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ، يَعْنِي: الَّذِينَ هُمْ فِي حَدِّ وَالشَّرْعِ فِي حَدٍّ، أَيُّ:
مُجَانِبُونَ لِلْحَقِّ، مُشَاقُونَ لَهُ، هُمْ فِي نَاحِيَةٍ، وَالْهُدَى فِي
نَاحِيَةٍ ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أَيُّ فِي الْأَشْقِيَاءِ الْمُتَبَعِينَ
الْمُطْرُودِينَ عَنِ الصَّوَابِ، الْأَذَلِّينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أَيُّ: قَدْ حَكَمَ وَكَتَبَ فِي
كِتَابِهِ الْأَوَّلِ وَقَدَرَهُ الَّذِي لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُدَلُّ،
بِأَنَّ النُّصْرَةَ لَهُ وَلِكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا

كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ أَيُّ: أَرَضَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ، وَهِيَ مُوَالَاةُ الْكَافِرِينَ
وَنُصْحُهُمْ وَمُعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ وَغَشُّهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:
﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: أَظْهَرُوا
الْإِيمَانَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ وَاتَّقُوا بِالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةَ، فَظَنَّ كَثِيرٌ
مِّمَّنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ صِدْقَهُمْ فَاعْتَرَّ بِهِمْ، فَحَصَلَ
بِهَذَا صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لِبَعْضِ النَّاسِ ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾
أَيُّ: فِي مُقَابَلَةِ مَا افْتَنَّهُوا مِنَ الْحَلْفِ بِاسْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي
الْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ الْحَافِظَةِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنفِكَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَيُّ: لَنْ يَذْفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ
بِأَسَا إِذَا جَاءَهُمْ ﴿أُولَئِكَ أَصْعَبُ النَّاسِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ثُمَّ
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أَيُّ: يَخْشَرُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَنْ آخِرِهِمْ فَلَا يَعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا
يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أَيُّ: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى وَالْإِسْقَامَةِ كَمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ
لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيْهِ
وَبُعِثَ عَلَيْهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا كَانَ
يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ النَّاسِ، فَيَجُرُّونَ عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامَ الظَّاهِرَةَ،
وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أَيُّ: حَلِفُهُمْ بِذَلِكَ
لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ حَسْبَانَهُمْ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْكَاذِبُونَ﴾ فَكَأَنَّ الْخَبَرَ عَنْهُمْ بِالْكَذِبِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:
﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: اسْتَحْوَذَ عَلَى
قُلُوبِهِمُ الشَّيْطَانُ حَتَّى أَنْسَاهُمْ أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،
وَكَذَلِكَ يَصْنَعُ بِمَنْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ
أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ
ثَلَاثَةٍ فِي قَرِيَّةٍ وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ
اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ
الدُّبُّ الْفَاصِيَةَ» قَالَ زَائِدٌ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي الصَّلَاةَ فِي
الْجَمَاعَةِ ^(١). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يَعْنِي
الَّذِينَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ
تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ
اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ

أَرَى مَا رَأَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ تُمْكِنُنِي مِنْ فَلَانٍ - قَرِيبٍ لِعُمَرَ - فَاقْتُلْهُ، وَتُمْكِنُ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ، وَتُمْكِنُ فَلَانًا مِنْ فَلَانٍ، لِيَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ... الْقِصَّةُ بِكَمَالِهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أَيُّ: مَنْ انْصَفَ بِأَنَّهُ لَا يُؤَادُّ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ، فَهَذَا يَمِّنُ كَتَبَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، أَيُّ: كَتَبَ لَهُ السَّعَادَةَ وَقَرَّرَهَا فِي قَلْبِهِ وَزَيَّنَ الْإِيمَانَ فِي بَصِيرَتِهِ. قَالَ الشَّدَّيُّ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أَيُّ: قَوَّاهُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَذَلُّهُمْ حَتَّى تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ كُلُّ هَذَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سِرٌّ بَدِيعٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا سَخَطُوا عَلَى الْقَرَائِبِ وَالْعَشَائِرِ فِي اللَّهِ تَعَالَى، عَوَّضَهُمُ اللَّهُ بِالرَّضَا عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أَيُّ: هَؤُلَاءِ حِزْبُ اللَّهِ، أَيُّ: عِبَادُ اللَّهِ وَأَهْلُ كَرَامَتِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تَنْوِيهٌ بِفَلَاحِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فِي مُقَابَلَةِ مَا ذَكَرَ عَنْ أُولَئِكَ بِأَنَّهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. أَخِرُ تَفْسِيرٍ سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْحَشْرِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: سُورَةُ بَنِي النَّضِيرِ^(٢) رَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ: لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ الْحَشْرِ. قَالَ: أَنْزَلْتُ فِي بَنِي النَّضِيرِ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، عَنْ هُشَيْمٍ بِهِ^(٣). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ الْحَشْرِ؟

لَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ^(٤) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعِيرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [غافر: ٥١، ٥٢] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَنَكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] أَيُّ: كَتَبَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ أَنَّهُ الْعَالِبُ لِأَعْدَائِهِ، وَهَذَا قَدَرٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُبَرَّمٌ، أَنَّ الْعَاقِبَةَ وَالنُّصْرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

[لَا يُؤَادُّ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أَيُّ لَا يُؤَادُّونَ الْمُحَادِّينَ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْأَقْرَبِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَخُذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسًا﴾... [الآية (آل عمران: ٢٨)].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْرَبْتُمُوهَا وَبُحَارٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَتُمْسِكُونَ بِرِضْوَانِهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وَقَدْ قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... إِلَى آخِرِهَا، فِي أَبِي عُبَيْدَةَ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ^(١). وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ جَعَلَ الْأَمْرَ سُورَى بَعْدَهُ فِي أُولَئِكَ السَّنَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَأَسْتَحْلَفْتُهُ. وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتُهُمْ﴾ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ عُمَيْرُ بْنُ يَوْمِيذٍ فِي مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَتَلَ أَخَاهُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَوْمِيذٍ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ فِي عُمَرَ قَتَلَ قَرِيبًا لَهُ يَوْمِيذٍ أَيْضًا، وَفِي حَمْرَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَتَلُوا عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ يَوْمِيذٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قُلْتُ: وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ حِينَ اسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَسَارَى بَدْرٍ، فَأَشَارَ الصَّدِيقُ بِأَنْ يُقَادُوا، فَيَكُونُ مَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ قُوَّةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُمْ، وَقَالَ عُمَرُ: لَا

(١) انظر الإصابة ترجمة عامر بن عبدالله بن الجراح. (٢) فتح الباري: ٤٩٧/٨ (٣) فتح الباري: ٤٩٧/٨ ومسلم: ٢٣٢٢/٤

قَالَ: سُورَةُ بَنِي النَّضِيرِ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ
الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ
اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأَوَّلِ
الْأَنْبِيَاءِ^(٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ^(٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ
يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ
رَكَعْتُمْهَا فَأَيِّمَ عَلَى أَسْوَاعِهَا فَيَاذَنُ اللَّهُ وَلِيخْرِىَ الْفُلْسَفِينَ^(٥) ﴿

يُسَبِّحُ لِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لَهُ وَيُمَجِّدُهُ وَيُقَدِّسُهُ، وَصَلَّى لَهُ وَيُوحِّدُهُ،
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَنْ يَنْ
شَيْءٌ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أَيُّ: مُنِيعُ الْجَنَابِ ﴿الْحَكِيمُ﴾
فِي قُدْرِهِ وَسُرْعِهِ.

[ذِكْرُ مَا حَلَّ بِبَنِي النَّضِيرِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ يَعْنِي يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ
وَالزَّهْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٢): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ
الْمَدِينَةَ هَادِنَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ عَهْدًا وَدَفَنَهُ، عَلَى أَنْ لَا يَقَاتِلَهُمْ
وَلَا يَقَاتِلُوهُ، فَفَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَأَحْلَلَ
اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ قَضَاءَ الَّذِي
لَا يُصَدُّ، فَأَجْلَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ
الْحَصِينَةِ الَّتِي مَا طَمَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، وَظَنُّوا هُمْ أَنَّهَا
مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،
وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِإِلَهُمْ، وَسَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَأَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى
أَدْرِعَاتٍ مِنْ أَعَالِي الشَّامِ، وَهِيَ أَرْضُ الْحَمَّسْرِ وَالْمَنْشَرِ،
وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى حَبِيرٍ، وَكَانَ قَدْ أَنْزَلَهُمْ مِنْهَا عَلَى
أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ إِبِلُهُمْ، فَكَانُوا يُخْرِبُونَ مَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنْ
الْمَثْقُولَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُحْمَلَ مَعَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأَوَّلِ
الْأَنْبِيَاءِ﴾ أَيُّ تَفَكَّرُوا فِي عَاقِبَتِهِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَخَالَفَ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ^(٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ رَكَعْتُمْهَا فَأَيِّمَ
عَلَى أَسْوَاعِهَا فَيَاذَنُ اللَّهُ وَلِيخْرِىَ الْفُلْسَفِينَ^(٥) وَمَا آفَاءَ اللَّهِ
عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ^(٦) مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللِّتَمَنِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنَّكُمْ الرَّسُولَ فَخَذُوهُ وَمَا
نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(٧)
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَبْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
هُمْ الصَّدُوقُونَ^(٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٩)

رَسُولَهُ، وَكَذَّبَ كِتَابَهُ، كَيْفَ يَحُلُّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ الْمُخْزِي لَهُ
فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.
رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بَنِ مَالِكٍ،
عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى
ابْنِ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ يُعِيدُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ،
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ أَوْتِئْتُمْ
صَاحِبَنَا وَإِنَّا نَفْسُكُمْ بِاللَّهِ لَتَقَاتِلَنَّهُ أَوْ [لَتُخْرِجَنَّهُ] أَوْ لَنَسِيرَنَّ
إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا، حَتَّى نَقْتُلَ مَقَاتِلَتَكُمْ وَ[نَسَبِيحَ] نِسَاءَكُمْ،
فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِبَدَةِ
الْأَوْثَانَ، [اجْتَمَعُوا] لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ
النَّبِيُّ ﷺ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ
الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا [تُرِيدُونَ] أَنْ تَكِيدُوا
بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تَقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ؟» فَلَمَّا
سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ،

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرِ الَّذِينَ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ؛ لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَدَ لَهُمَا فِيمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي عَامِرِ عَقْدٌ وَحَلْفٌ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ - فَمَنْ رَجُلٌ يَغْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشِ بْنِ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ. فَصَعَدَ لِيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا اسْتَلَبْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ قَامُوا فِي طَلْبِهِ فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعَدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ النَّخْلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا، فَتَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ! قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَتُعِيبُهُ عَلَى مَنْ يَصْنَعُهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا؟. وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزَرَجِ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سُلُوفٍ وَوَدِيعَةُ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قُوفَلٍ وَسُوَيْدٌ وَدَاعِسٌ، قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ أَنْ انْتَبُوا وَتَمَنَّعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسْلِمَكُم، إِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَدَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلَقَةَ. فَفَعَلَ. فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الْإِبِلُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ إِبْجَافٍ بَابِهِ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ

فَكَتَبَتْ كُفَّارٌ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَفْعَةِ بَذْرِ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلَقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتَقَاتِلُنَّ مَعَ صَاحِبِنَا، أَوْ لَتَفْعَلُنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهِيَ الْخَلَائِلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ [أَجْمَعَتْ] بَنُو النَّضِيرِ بِالْعَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ وَلِيُخْرِجْ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبِيرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمُنْصِفِ، [فَيَسْمَعُوا] مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ. فَلَمَّا كَانَ الْعَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونَنِي عَلَيْهِ». فَأَبَوْا أَنْ يُعْطَوْهُ عَهْدًا فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ عَدَا مِنَ الْعَدِ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَعَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقْلَتْ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، وَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْفَقْتُهُ عَلَيْهِ مِنْ خِيَلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يَقُولُ: بَغِيرِ قِتَالٍ، فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ، قَسَمَهَا بَيْنَهُمْ وَقَسَمَ مِنْهَا لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، وَلَمْ يَقْسِمِ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرَهُمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي فِي أَيْدِي بَنِي فَاطِمَةَ^(١). وَلَنَذْكُرَ مُلْحَصَ غُرُورَةِ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى وَجْهِ الْإِخْصَارِ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ.

[سَبَبُ غُرُورَةِ بَنِي النَّضِيرِ]

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ بَثْرٍ مَعُونَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانُوا سَبْعِينَ، وَأَقْلَتْ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ قَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَكَانَ مَعَهُمَا عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمَانٌ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ عَمْرُو، فَلَمَّا رَجَعَ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لِأَدْبِهِمَا». وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي عَامِرٍ حَلْفٌ وَعَهْدٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ لِيَسْتَعِينَهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ، وَكَانَتْ مَنَازِلُ بَنِي النَّضِيرِ ظَاهِرَ الْمَدِينَةِ عَلَى أُمِّيَالٍ مِنْهَا شَرَفِيهَا^(٢).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ فِي كِتَابِهِ السِّيَرَةِ: ثُمَّ

(١) أبو داود: ٤٠٤/٣ صححه الألباني في صحيح سنن أبي

داود (٢) الدرر في اختصار المغازي والسير: ١٨٠، ١٨١ وابن

هشام: ١٩٥/٣

سُيْعِدُّهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ﴾ أَيُّ: حَتْمٌ لَا زِمَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاتُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ذَلِكَ، وَسَلَطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَكَذَّبُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْبَشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[مَا وَقَعَ مِنْ قَطْعِ النَّخِيلِ كَانَ بِإِذْنِ اللَّهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ اللَّيْنُ نَوْعٌ مِنَ التَّمْرِ وَهُوَ جَيِّدٌ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَهُوَ مَا خَالَفَ الْعَجْوَةَ وَالْبَرْزِيَّ مِنَ التَّمْرِ^(٤). وَقَالَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: اللَّيْنَةُ أَلْوَانُ التَّمْرِ سِوَى الْعَجْوَةِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هُوَ جَمِيعُ النَّخْلِ^(٥). وَقَوْلُهُ عَنِ مُجَاهِدٍ وَهُوَ الْبُورَةُ أَيْضًا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا حَاصَرَهُمْ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخِيلِهِمْ إِهَانَةً لَهُمْ وَإِرْهَابًا وَإِزْعَابًا لِقُلُوبِهِمْ، فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ وَقَتَادَةَ وَمُقَاتِلِ بْنِ حَبَّانٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: فَبَعَثَ بَنُو النَّضِيرِ يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ فَمَا بِالكَ تَأْمُرُ بِقَطْعِ الْأَشْجَارِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ، أَيُّ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ وَمَا تَرَكْتُمْ مِنَ الْأَشْجَارِ فَالْجَمِيعُ بِإِذْنِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقَدَرِهِ وَرِضَاهُ، وَفِيهِ نَكَايَةٌ بِالْعَدُوِّ وَخِزْيٌ لَهُمْ، وَإِزْعَامٌ لَأَنُوفِهِمْ^(٦).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: نَهَى بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضًا عَنْ قَطْعِ النَّخْلِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا هِيَ مَعَانِمُ الْمُسْلِمِينَ، فَتَزَلَّ الْفُرَّانُ بِتَضَدِيحٍ مِنْ نَهْيٍ عَنْ قَطْعِهِ وَتَحْلِيلٍ مِنْ قَطْعِهِ مِنَ الْإِثْمِ، وَإِنَّمَا قَطَعُوهُ وَتَرَكَهُ بِإِذْنِهِ، وَقَدْ رَوَى نَحْوُ هَذَا مَرْفُوعًا^(٧). فَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ قَالَ: يَسْتَتِرُونَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ. وَأَمَرُوا بِقَطْعِ النَّخْلِ فَحَاكَ فِي صُدُورِهِمْ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: قَطَعْنَا بَعْضًا

فَيَنْطَلِقُ بِهِ، فَخَرَجُوا إِلَى حَبِيرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ وَخَلَّوْا الْأَمْوَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةٌ يَصْعَقُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، فَقَسَمَهَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ إِلَّا سَهْلَ بْنَ حَنْثَلٍ وَأَبَا دُجَانَةَ - سِمَاكَ بْنَ خَرْشَةَ - ذَكَرَا فَقَرَأَا فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَانِ: يَامِينَ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ كَعْبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ جِحَاشٍ وَأَبُو سَعْدِ بْنِ وَهَبٍ أَسْلَمَا عَلَى أُمُومَاهُمَا فَأَحْرَزَاهَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ يَامِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِيَامِينَ: «أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيتُ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي؟». فَجَعَلَ يَامِينَ بْنُ عُمَيْرٍ لِرَجُلٍ جُعْلًا عَلَى أَنْ يَقْتُلَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ فَقَتَلَهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَنَزَلَ فِي بَنِي النَّضِيرِ سُورَةُ الْحَشْرِ بِأَسْرِهَا^(١). وَهَكَذَا رَوَى يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ يَنْحُو مَا تَقَدَّمَ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يَعْنِي: بَنِي النَّضِيرِ «مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ».

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أَيُّ فِي مَدَّةِ حِصَارِكُمْ لَهُمْ وَقَصْرِهِمَا، وَكَانَتْ سِتَّةَ أَثَامٍ مَعَ شِدَّةِ حُصُونِهِمْ وَمَنْعَتَيْهَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ مَا لَعَنَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أَيُّ: جَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفْ كَفَرُوا بِبَيْتِهِمْ مِنَ الْفَوَاحِشِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَآتَنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أَيُّ: الْخَوْفَ وَالْهَلَجَ وَالْجَزَعَ، وَكَفَيْ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ وَقَدْ حَاصَرَهُمُ الَّذِي نُصِرَ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؟ وَقَوْلُهُ: ﴿يَخْرُجُونَ بِيُوْهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ابْنِ إِسْحَاقَ لِدَلِيلِكَ، وَهُوَ نَقْضُ مَا اسْتَحْسَنُوهُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ وَتَحَمُّلُهَا عَلَى الْإِبْلِ. وَكَذَلِكَ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٢). وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أَيُّ: لَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْجَلَاءَ -

وَهُوَ النَّقْيُ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ - لَكَانَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَذَابٌ آخَرٌ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. قَالَهُ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ وَالسُّدِّيِّ وَابْنِ زَيْدٍ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ

(١) ابن هشام: ١٩٩/٣ - ٢٠٢ (٢) القرطبي: ٤/١٨ (٣)

الرازي: ٢٤٥/٢٩ (٤) الرازي: ٢٤٦/٢٩ (٥) الطبري: ٢٣/

٢٦٨ (٦) الطبري: ٢٧١/٢٣ فيه عن ابن إسحاق وهو مدلس

ولم يصرح (٧) الطبري: ٢٧١/٢٣

وَلَا يُمَانَعُ، بَلْ هُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(١) أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا فتحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ﴾ إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفتيء ووجوهه. روى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما آفأ الله على رسوله، مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة، فكان يئق على أهله منها نفقة سنته - وقال مرة: قوت سنته - وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل^(٢). هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصراً، وقد أخرجه الجماعة في كتبه إلا ابن ماجة، وقد رويناه مطولاً^(٣).

وروى أبو داود رحمه الله عن مالك بن أوس قال: أرسل إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار، فجيئته فوجدته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله فقال حين دخلت عليه: يا مالك! إنه قد دفأ أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فأقسم فيهم، قلت: لو أمرت غيري بذلك؟ فقال: خذه، فجاءه يرفاً فقال يا أمير المؤمنين! هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص؟ قال: نعم. فأذن لهم فدخلوا، ثم جاءه يرفاً فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في العباس وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما فدخلوا، فقال العباس وعلي: يا أمير المؤمنين! إفض بيني وبين هذا يعني علياً، فقال بعضهم: أجل يا أمير المؤمنين! إفض بينهما وأرحهما، قال مالك بن أوس: خيل إلي أنهما قدما أولئك التفر لذلك، فقال عمر رضي الله عنه اتبدا، ثم أقبل على أولئك الرهط فقال: أنشدكم بالله الذي ياديه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا تورث، ما تركنا صدقة» قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكم بالله

وتركتنا بعضاً، فلنسألن رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ﴾^(٤).

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرق^(٥). وأخرجه صاحب الصحيح بنحوه^(٦). ولفظ البخاري عن ابن عمر، قال: حاربت النضير وقرظته فأجلى بني النضير، وأقر قرظته ومن عليهم حتى حاربت قرظته، فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لجحوا بالنبي ﷺ فأمتهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود بالمدينة^(٧). ولهما أيضاً عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير، وقطع - وهي البويرة - فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكَتُوهَا فَايْمَةً عَلَىٰ أَوْسُلُهَا فَيَذَنُ اللَّهُ وَيُخْرِىَ الْفَسِيقِينَ﴾^(٨). قال ابن إسحاق: كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بدر معونة.

﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٩) ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

[أموال الفتيء ومصارفها]

يقول تعالى مبيناً ما الفتيء وما صفته وما حكمه؟ فالفتيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاب خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالحة، بل نزل أولئك من الرغب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبه رسول الله ﷺ، فأفأه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء، فردة على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات، فقال تعالى: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ أي: من بني النضير ﴿فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني: الإبل ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو قدير لا يغالب

(١) النسائي في الكبرى: ٤٨٣/٦ (٢) أحمد: ٧/٢ (٣) مسلم: ١٣٦٥/٣ (٤) فتح الباري: ٣٨٣/٧ (٥) فتح الباري: ٣٨٣/٧ ومسلم: ١٣٦٥/٣ (٦) أحمد: ٢٥/١ (٧) فتح الباري: ٤٩٨/٨ ومسلم: ١٣٧٦/٣ وأبو داود: ٣٧١/٣ وتحفة الأحوذى: ٣٨١/٥ والنسائي: ١٣٢/٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ أَلْدَبْرَتُهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٣﴾ لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٤﴾ لَا يَقْبَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدِّمْ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ سَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرَّبُوا دُفُوعًا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

وَالْمُتَعَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُتَعَرِّبَاتِ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فِي النَّبْتِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَغْقُوبَ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ قُلْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، قَالَ: مَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَتْ: إِنِّي لَأَقْرَأُ مَا بَيْنَ لَوْحَيْهِ فَمَا وَجَدْتُهُ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَرَأْتِهِ فَقَدْ وَجَدْتِهِ، أَمَا قَرَأْتَ: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحِذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ. قَالَتْ: إِنِّي لَأَظُنُّ أَهْلَكُمْ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، قَالَ: لَوْ كَانَ كَذَا لَمْ تَجِئِينِي^(١). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ^(٢). وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

الَّذِي يَأْذِيهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً» فَقَالَا: نَعَمْ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَصَّ رَسُولَهُ بِخَاصَّةٍ لَمْ يَخْصَّ بِهَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آفَأَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَفَاءً عَلَى رَسُولِهِ أَمْوَالُ بَنِي النُّضَيْرِ فَوَاللَّهِ! مَا اسْتَأْثَرُ بِهَا عَلَيْكُمْ وَلَا أَخْرَزَهَا دُونَكُمْ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُ مِنْهَا نَفَقَةً سَنَةً - أَوْ نَفَقَتَهُ وَنَفَقَةَ أَهْلِهِ سَنَةً - وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ أَسْوَةَ الْمَالِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَوْلَيْكَ الرَّهْطِ فَقَالَ: أَسْتَدْكُمُ بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِيهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيِّ وَالْعَبَّاسِ فَقَالَ: أَسْتَدْكُمُ بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِيهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ؟ قَالَا: نَعَمْ. فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَنْتَ وَهَذَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، تَطْلُبُ أَنْتَ مِيرَاثَكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَيَطْلُبُ هَذَا مِيرَاثَ أَمْرَائِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً» وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، فَوَلَّيَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا تَوَفَّى، قُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَلِيُّ أَبِي بَكْرٍ فَوَلَّيْتُهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَلِيَهَا، فَجِئْتُ أَنْتَ وَهَذَا، وَأَنْتُمَا جَمِيعٌ وَأَمْرُكُمَا وَاحِدٌ فَسَأَلْتُمَانِيهَا، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا فَإِنَّا أَدْعُوهَا إِلَيْكُمَا عَلَى أَنْ عَلَيْكُمَا عَهْدُ اللَّهِ أَنْ تَلْبِيَاهَا بِالَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبِيهَا، فَأَخَذْتُمَاهَا مِنِّي عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي لَأَقْضِيَ بَيْنَكُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ! لَا أَقْضِي بَيْنَكُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَرُدَّاهَا إِلَيَّ^(١). أَخْرَجُوهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أَيْ جَعَلْنَا هَذِهِ الْمَصَارِفَ لِمَالِ الْفَقِيءِ كَيْلًا يَبْقَى مَا كَلَّةٌ يَتَغَلَّبُ عَلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيَتَصَرَّفُونَ فِيهَا بِمَحْضِ الشَّهَوَاتِ وَالْآرَاءِ، وَلَا يَصْرِفُونَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَى الْفُقَرَاءِ.

[الْأَمْرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحِذُّوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ أَيْ مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يَنْهَى عَنْ شَرٍّ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَمَتِّمَاتِ

(١) أبو داود: ٣٦٥ (٢) فتح الباري: ١٣/٢٩٠ ومسلم: ٣/

١٣٧٧ وتحفة الأحوذى: ٥/٢٣٣ والنسائي: ٧/١٣٦ (٣)

أحمد: ١/٤٣٣ (٤) فتح الباري: ٨/٤٩٨ ومسلم: ٣/١٦٧٨

أَرَهُ فِي الْكُتُبِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الْوَلِيدِ، قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ أَنْ يَنْقَطِعَ لَهُمُ الْبُخَارَيْنِ. قَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا قَالَ: «إِنَّمَا لَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرُهُ»^(٤). تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَتْ الْأَنْصَارُ: أَفَسِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخْلِ، قَالَ: «لَا». فَقَالُوا: أَتَكْفُونَا الْمَوْتَةَ وَتُسْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ. قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^(٥). تَفَرَّدَ بِهِ دُونُ مُسْلِمٍ.

[كَانَ الْأَنْصَارُ لَا يَحْسُدُونَ الْمُهَاجِرِينَ]

«وَلَا يَحْسُدُونَ فِي ضُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا» أَيُّ وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَدًا لِلْمُهَاجِرِينَ فِيمَا فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ وَالشَّرَفِ، وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ وَالرُّتْبَةِ. وَقَوْلُهُ: «مِمَّا أُوتُوا» قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي فِيمَا أُعْطِيَ إِخْوَانُهُمْ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

[يُثَارُ الْأَنْصَارُ]

قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» يَعْنِي: حَاجَةً أَيْ يُقَدِّمُونَ الْمَحَاوِجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَبْذِرُونَ بِالنَّاسِ قِبَلَهُمْ فِي حَالِ احتِجَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْمُثَلِّ»^(٦) وَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ» [الإنسان: ٨] وَقَوْلُهُ: «وَعَاقَى الْمَالَ عَلَى حَيْثُ» [البقرة: ١٧٧] فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُجِبُونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ أَثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خَصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ، وَمِنْ هَذَا الْمَقَامِ تَصَدَّقَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمِيعِ مَالِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٧). وَهَذَا الْمَاءُ الَّذِي عَرَضَ عَلَى عِزْمَةِ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَكُلُّ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى

أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»^(٨). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» أَيِ اتَّقَوْهُ فِي امْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَأَبَاهُ، وَارْتَكَبَ مَا عَنْهُ زَجَرَهُ وَنَهَاهُ.

«لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»^(٩) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شَيْئًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١٠) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»^(١١)

[بَيَانُ الْمُسْتَحِقِّينَ الْآخَرِينَ لِأَمْوَالِ الْفَيْءِ، وَفِيهِ فَضْلُ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُبَيِّنًا حَالَ الْفُقَرَاءِ الْمُسْتَحِقِّينَ لِمَالِ الْفَيْءِ أَنَّهُمْ «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» أَيُّ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَخَالَفُوا قَوْمَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ «وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» أَيُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَدَّقُوا قَوْلَهُمْ بِفِعْلِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ سَادَاتُ الْمُهَاجِرِينَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَا دَخَا لِلْأَنْصَارِ وَمُيَبَّنًا فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَرَمَهُمْ، وَعَدَمَ حَسَدَهُمْ وَإِثَارَهُمْ مَعَ الْحَاجَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أَيُّ سَكَنُوا دَارَ الْهَجْرَةِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ وَآمَنُوا قَبْلَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ. قَالَ عُمَرُ: وَأَوْصِي الْخُلَيْفَةُ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَيَحْفَظَ لَهُمْ كَرَامَتَهُمْ، وَأَوْصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلُ، أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يَغْفُو عَنْ مُسِيئَتِهِمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَهُنَا أَيْضًا^(١٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» أَيُّ مِنْ كَرَمِهِمْ وَشَرَفِ أَنْفُسِهِمْ يُجِبُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَيُؤَاوِسُونَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمَوْتَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَةِ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: «لَا، مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ»^(١٣). لَمْ

(١) فتح الباري: ٤٩٨/٨ ومسلم: ٩٧٥/٢ (٢) فتح الباري:

٤٩٩/٨ (٣) أحمد: ٢٠٠/٣ (٤) فتح الباري: ١٤٦/٧ (٥)

فتح الباري: ١١/٥ (٦) أبو داود: ١٤٦/٢ (٧) تحفة

الأحادي: ١٦١/١٠

الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ فَقَرَأُوهُمْ مِنْ مَالِ الْفَيْءِ، وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ الْأَنْصَارُ، ثُمَّ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، كَمَا قَالَ فِي آيَةِ بَرَاءةٍ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِأَثَارِهِمُ الْحَسَنَةِ وَأَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ، الدَّاعُونَ لَهُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أَيُّ قَائِلِينَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ أَيُّ بَعْضًا وَحَسَدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وَمَا أَحْسَنَ مَا اسْتَبْتَضَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الرَّافِضِيَّ الَّذِي يَسُبُّ الصَّحَابَةَ لَيْسَ لَهُ فِي مَالِ الْفَيْءِ نَصِيبٌ، لِعَدَمِ اتِّصَافِهِ بِمَا مَدَحَ اللَّهُ بِهِ هَؤُلَاءِ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ فَسَبُّوهُمْ، ثُمَّ قَرَأَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ (الآية ٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَوْنَ أَلْدَبَرُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿لَئِنْ أَشَدَّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لَا يَقْنَلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ خَشِيتُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبٌ ذَاتُ آلِهَةٍ وَبِالْأَمْرِ هُمْ كَذِبُونَ﴾ كَذِبُوا لِيَسْتَبِطُوا فِي قُلُوبِهِمْ قَوْمًا يَكْفُرُوا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ

صَاحِبِهِ، وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ آخُوْجٌ مَا يَكُونُ إِلَى الْمَاءِ، فَرَدَّهُ الْآخَرُ إِلَى الثَّالِثِ، فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَسْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلْ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذَا، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَذَا ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تَدْخِرِيهِ شَيْئًا، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ! مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ. قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَتَوَمِّمِيهِمْ وَتَعَالِي فَاطْفِي السَّرَاجَ، وَنَطْوِي بَطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ عَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ»^(١) وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ فَضِيلِ بْنِ غَزْوَانَ بِهِ نَحْوَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ تَسْمِيَةُ هَذَا الْأَنْصَارِيِّ بِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أَيُّ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشُّحِّ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ. رَوَى أَحْمَدُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ»^(٣) انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ^(٤).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونُ قَدْ هَلَكْتُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَأَنَا رَجُلٌ شَحِيحٌ، لَا أَكَادُ أَنْ أُخْرِجَ مِنْ يَدَيَّ شَيْئًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَيْسَ ذَلِكَ بِالشُّحِّ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، إِنَّمَا الشُّحُّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا، وَلَكِنْ ذَاكَ الْبُخْلُ، وَبِشَيْءٍ الشَّيْءِ الْبُخْلُ^(٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هَؤُلَاءِ هُمُ

(١) فتح الباري: ٥٠٠/٨ (٢) فتح الباري: ١٤٩/٧ ومسلم: ١٦٢٤/٣ و١٦٢٥ وتحتة الأحوذى: ١٩٧/٩ والنسائي في الكبرى: ٤٨٦/٦ (٣) أحمد: ٣٢٣/٣ (٤) مسلم: ٤/١٩٩٦ (٥) الطبري: ٢٩/٢٨ في إسناده المسعودي المختلط وقال الهيثمي في المجمع ١٢٥/٧-١٢٦: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن أبي مريم وهو ضعيف. (٦) روى مسلم نحوه: ٢٣١٧/٤

بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾
[وَعَدُ الْمُنَافِقِينَ الْكِذْبَ لِبَنِي النَّصِيرِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْرَابِهِ، حِينَ بَعَثُوا إِلَى يَهُودِ بَنِي النَّصِيرِ يَعِدُونَهُمُ النَّصْرَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أَيُّ لَكَادِبُونَ فِيمَا وَعَدُوهُمْ بِهِ: إِمَّا لَا يُنْهَمُ قَالُوا لَهُمْ قَوْلًا، وَمِنْ نَبِيهِمْ أَنْ لَا يَقُولُوا لَهُمْ بِهِ. وَإِمَّا لَا يُنْهَمُ لَا يَقَعُ مِنْهُمْ الَّذِي قَالُوهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ قَوْلُهُمْ لَا يُصْرِحُهُمْ﴾ أَيُّ لَا يَقْبَلُونَ مَعَهُمْ ﴿وَلَكِنْ نَصْرُهُمْ﴾ أَيُّ قَاتَلُوا مَعَهُمْ ﴿لِيُؤْثِرُوا الْأَذَى ثُمَّ لَا يُصْرَحُوا﴾ وَهَذِهِ بَشَارَةٌ مُسْتَعْلَةً بِنَفْسِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَيُّ يَخَافُونَ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا فِرَقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُغْنِيكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فَرَى مُخَصَّصَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يَعْني أَنَّهُمْ مِنْ جُنُبِهِمْ وَهَلَعِهِمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُوَاجَهَةِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ بِالْمُبَارَزَةِ وَالْمُقَاتَلَةِ، بَلْ إِمَّا فِي حُصُونٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ مُحَاصِرِينَ، فَيَقَاتِلُونَ لِلدَّفْعِ عَنْهُمْ ضَرُورَةً.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ سَدِيدٌ﴾ أَيُّ عَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَهُمْ بَعْضٌ بِأَسْ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَحْصِيهِمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أَيُّ تَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَتَحْصِيَهُمْ مُؤْتَلِفِينَ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ غَايَةَ الْإِخْتِلَافِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يَعْني أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرَّبُوا بَأْسَهُمْ وَأَمْرَهُمْ وَكَلَّمَ عَذَابُ آلِهِمْ﴾ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يَعْني يَهُودَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ^(١). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٢).

[مَثَلُ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ فِي هَذِهِ الْقُضِيَّةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ يَعْني مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ فِي اغْتِرَابِهِمْ بِالَّذِينَ وَعَدُوهُمْ النَّصْرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَوْلُ

فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَوُا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَاهَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشَعًا مُتَضَمِّنًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ

الْمُنَافِقِينَ لَهُمْ: لَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، ثُمَّ لَمَّا حَقَّتْ الْحَقَائِقُ وَجَدَّ بِهِمُ الْحِصَارُ وَالْقِتَالُ، تَخَلَّوْا عَنْهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ لِلْهَلَكَةِ، وَمِثْلُهُمْ فِي هَذَا: كَمِثْلِ الشَّيْطَانِ إِذْ سَوَّلَ لِلْإِنْسَانِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - الْكُفْرَ، فَإِذَا دَخَلَ فِيمَا سَوَّلَ لَهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَتَنَصَّلَ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيُّ فَكَانَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ بِالْكَفْرِ وَالْفَاعِلُ لَهُ، وَمَصِيرُهُمَا إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أَيُّ جَزَاءُ كُلِّ ظَالِمٍ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَوُا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

[الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى وَالِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُمَاءُ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ - أَوْ الْعَبَاءِ - مُتَقَلِّدِي الشُّبُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، قَالَ: فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِإِلَاقَةٍ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. وَقَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: «وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِيَارِهِ، مِنْ دِزْهِمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ -: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعْجُزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَتِيَابَ، حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ مُذْمَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»^(١) انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ^(٢)، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» أَمْرٌ بِتَقْوَاهُ، وَهِيَ تَشْمَلُ فِعْلَ مَا بِهِ أَمْرٌ، وَتَرْكَ مَا عَنْهُ زَجَرَ.

وقوله تعالى: «وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» أَيُّ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَانْظُرُوا مَاذَا أَدَّخَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِيَوْمِ مَعَادِكُمْ وَعَرَضِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ «وَاتَّقُوا اللَّهَ» تَأْكِيدٌ ثَانٍ «إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أَيُّ اعْلَمُوا أَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ أُمُورِكُمْ جَلِيلٌ وَلَا خَفِيرٌ. وقوله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ» أَيُّ لَا تَنْسُوا ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْسِيَكُمْ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ أَنْفُسِكُمْ الَّتِي تَتَفَعَّلُكُمْ فِي مَعَادِكُمْ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» أَيُّ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، هَالِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْخَاسِرُونَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

[لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ]

وقوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ» أَيُّ لَا يَسْتَوِي هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَنْجَلْنَاهُمُ النَّارَ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ وَمَنَّا هُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» وَقَالَ تَعَالَى: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُمَسِّئُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» وَقَالَ تَعَالَى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ». فِي آيَاتٍ أُخَرَ دَلَالَتٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْرِمُ الْأَبْرَارَ وَيُهِينُ الْفُجَّارَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَهُنَا: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ» أَيُّ النَّاجُونَ السَّالِمُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. «لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^(٣) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ^(٤) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ^(٥) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٦)

[بَيَانُ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُعْظَمًا لِأَمْرِ الْقُرْآنِ وَمُبَيِّنًا عُلُوَّ قَدْرِهِ، وَأَنَّهُ يَبْغِي أَنْ تَخْشَعَ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَتَصَدَّعَ عِنْدَ سَمَاعِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ الْحَقِّ وَالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ «لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» أَيُّ فَإِذَا كَانَ الْجَبَلُ فِي غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ، لَوْ فَهَمَ هَذَا الْقُرْآنُ فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ، لَخْشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكُمْ يَا أَيُّهَا الْبَشَرُ أَنْ لَا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَتَخْشَعَ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَدْ فَهَمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَتَدَبَّرْتُمْ كِتَابَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ».

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَوَاتِرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا عَمِلَ لَهُ الْمُنِيرُ، وَقَدْ كَانَ يَوْمَ الْخُطْبَةِ يَقِفُ إِلَى جَانِبِ جَذْعٍ مِنْ جُدُوعِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا وَضِعَ الْمُنِيرُ أَوَّلَ مَا وَضِعَ وَجَاءَ

النَّبِيِّ ﷺ لِيُخَاطَبَ فَجَاوَزَ الْجِدْعَ إِلَى نَحْوِ الْمُنِيرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَنَ الْجِدْعُ وَجَعَلَ يَبْنُ كَمَا يَبْنُ الصَّبِيُّ الَّذِي يَسْكُنُ، لِمَا كَانَ يَسْمَعُ مِنَ الذَّكْرِ وَالْوَحْيِ عِنْدَهُ، فِيهِ بَعْضُ رَوَايَاتِ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بَعْدَ إِيرَادِهِ: فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَسْتَأْذِنُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْجِدْعِ^(١) وَهَكَذَا هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِذَا كَانَتْ الْجِبَالُ الصُّمُّ لَوْ سَمِعَتْ كَلَامَ اللَّهِ وَفَهَمَتْهُ، لَخَشَعَتْ وَتَصَدَّعَتْ مِنْ خَشْيَتِهِ، فَكَيْفَ بِكُمْ وَقَدْ سَمِعْتُمْ وَفَهَمْتُمْ؟ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ أَلُمُوتٌ...﴾ الْآيَةُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَيُّ لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

[تَمْجِيدُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ لِلْوُجُودِ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ فَبَاطِلٌ، وَأَنَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَيُّ يَعْلَمُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الْمَشَاهِدَاتِ لَنَا وَالْغَائِبَاتِ عَنَّا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، مِنْ جَلِيلٍ وَخَفِيرٍ، وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ حَتَّى الذَّرُّ فِي الظُّلُمَاتِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَهُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمُهُمَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَحْمَتَكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ فَضَّلَ اللَّهُ وَرَحِمَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ أَيُّ الْمَالِكِ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَصَرِّفِ فِيهَا بِلَا مُمَانَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْقُدُّوسُ﴾ قَالَ وَهَبُ ابْنِ مُثَنَّبٍ: أَيُّ الطَّاهِرِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: أَيُّ الْمُبَارَكِ^(٢). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: تُقَدِّسُهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ^(٣).

﴿السَّلَامُ﴾ أَيُّ مِنْ جَمِيعِ الْغُيُوبِ وَالتَّقَائِصِ، لِكَمَالِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

[كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لِلَّهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كَقَوْلِهِ

(١) فتح الباري: ٦/٦٩٦ والدارمي: ١/٣٥، ٣٤ (٢) الطبري: ٢٣/٣٠٢ الدر المنثور: ٨/١٢٣ الضحاك لم يسمع من ابن عباس (٤) الدر المنثور: ٨/١٢٣ (٥) الطبري: ٢٣/٣٠٣ (٦) الطبري: ٢٣/٣٠٣ (٧) البغوي: ٤/٣٢٦ (٨) مسلم: ٤/٢٠٢٣ (٩) فتح الباري: ١١/٢١٨ ومسلم: ٤/٢٠٦٣

سُورَةُ الْمُحْتَجَّةِ

٥٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
وَإِنِّي أَخْفِيْتُمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١ إِنْ
يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ وَالسِّدِّ
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّلْنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَعْفَرَن لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَرَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَرَبَّنَا عَلِّمْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَارْزُقْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٤

تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يَسْجُدُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾
[الإسراء: ٤٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أَيُّ فَلَا يُرَامُ
جَنَابُهُ ﴿الْمُحْكِمُ﴾ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.
أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحُسْرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة الممتحنة وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَإِنِّي أَخْفِيْتُمْ
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بَرَاءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَّلْنَا
وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَعْفَرَن لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَرَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَرَبَّنَا عَلِّمْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَارْزُقْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٤﴾

[سَبَبُ نَزُولِ سُورَةِ الْمُحْتَجَّةِ]

كَانَ سَبَبُ نَزُولِ صَدْرِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ قِصَّةَ حَاطِبِ
ابْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ حَاطِبًا هَذَا كَانَ رَجُلًا مِنْ
الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ أَيْضًا، وَكَانَ لَهُ بِمَكَّةَ
أَوْلَادٌ وَمَالٌ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْفُسِهِمْ، بَلْ كَانَ حَلِيمًا
لِعُمَيَّاتٍ، فَلَمَّا عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ لَمَّا نَقَضَ
أَهْلُهَا الْعَهْدَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّجْهِيزِ لِعِزْوِهِمْ
وَقَالَ: «اللَّهُمَّ! عَمِّ عَلَيْهِمْ خَيْرَنَا». فَعَمَدَ حَاطِبٌ هَذَا
فَكَتَبَ كِتَابًا وَبَعَثَهُ مَعَ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ،
يُعَلِّمُهُمْ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِزْوِهِمْ، لِيَتَّخِذَ
بَذَلِكَ عِنْدَهُمْ يَدًا، فَأَطْلَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ اسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ، فَبَعَثَ فِي أَثَرِ الْمَرْأَةِ فَأَخَذَ
الْكِتَابَ مِنْهَا، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ:
أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ - وَقَالَ مَرَّةً: إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ
أَبِي رَافِعٍ أَخْبَرَهُ - أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:
بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُبَيْرُ وَالْمُهَنَّدُ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا
حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاحٍ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ

مِنْهَا» فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَيْنَا حَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا
نَحْرٌ بِالطَّعِينَةِ قُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِيَ
كِتَابٌ، قُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ تَلْقَيْنَ الثَّيَابَ، قَالَ:
فَأَخْرَجَتِ الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ فَأَتَيْنَا بِهِ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى...
(أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ! مَا هَذَا؟»
قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ
أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ
قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ
مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي،
وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ
بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ صَدَقَكُمْ». فَقَالَ
عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبَ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ إِلَى
أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». وَهَكَذَا

[الحج: ٤٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ أَيِ إِنْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ فَلَا تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِي بَاغِينَ لِمَرْضَاتِي عَنْكُمْ، فَلَا تَوَالُوا أَعْدَائِي وَأَعْدَاءَكُمْ، وَقَدْ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ حَقًّا عَلَيْكُمْ وَسَخَطًا لِدِينِكُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ أَيِ تَعْمَلُونَ ذَلِكَ وَأَنَا الْعَالِمُ بِالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ وَالظَّاهِرِ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ① إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالشُّوْءِ أَيِ لَوْ قَدَرُوا عَلَيْكُمْ لَمَا اتَّقَوْا فِيكُمْ مِنْ أَدَى يَنَالُونَكُمْ بِهِ بِالْمَقَالِ وَالْقَعَالِ ﴿وَوَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا﴾ أَيِ وَتَحْرُصُونَ عَلَى أَنْ لَا تَتَالُوا خَيْرًا، فَهُمْ عَدَاؤُهُمْ لَكُمْ كَامِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ، فَكَيْفَ تُوَالُونَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ؟ وَهَذَا تَهْيِيجٌ عَلَى عَدَاؤِهِمْ أَيْضًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أَيِ قَرَابَاتِكُمْ لَا تَنْفَعُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ سُوءًا، وَتَنْفَعُهُمْ لَا يَصِلُ إِلَيْكُمْ إِذَا أَرْضَيْتُمُوهُمْ بِمَا يُسَخِطُ اللَّهُ، وَمَنْ وَافَقَ أَهْلَهُ عَلَى الْكُفْرِ لِيَرْضِيَهُمْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَضَلَّ عَمَلُهُ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ قَرَابَتُهُ مِنْ أَحَدٍ، وَلَوْ كَانَ قَرِيبًا إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» ②. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ ③.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ④ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑤ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑥

[لِلْمُسْلِمِينَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِهِ فِي

أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بِهِ، وَزَادَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَعَارِي: فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وَقَالَ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ: قَالَ عَمْرُو: وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وَقَالَ: لَا أَذْرِي الْآيَةَ فِي الْحَدِيثِ أَوْ قَالَ عَمْرُو: قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى ابْنُ الْمَدِينِيِّ: قِيلَ لِسُفْيَانَ: فِي هَذَا نَزَلَتْ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؟ فَقَالَ سُفْيَانُ: هَذَا فِي حَدِيثِ النَّاسِ حِفْظُهُ مِنْ عَمْرُو، مَا تَرَكْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَلَا أَذْرِي أَحَدًا حَفِظَهُ غَيْرِي ①.

[الْأَمْرُ بِعَدَاوَةِ الْكُفَّارِ وَتَرْكِ مَوَالِيهِمْ]

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوُاهُم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ يَعْنِي الْمُسْرِكِينَ وَالْكُفَّارَ الَّذِينَ هُمْ مُحَارِبُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ شَرَعَ اللَّهُ عَدَاؤَهُمْ وَمُضَارَمَتَهُمْ، وَنَهَى أَنْ يَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ وَأَصْدِقَاءَ وَأَجَلَاءَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وَهَذَا تَهْلِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِمَّنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ فَتَنَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وَلِهَذَا قِيلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُذْرٌ حَاطِبٍ، لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مُضَانَعَةً لِقُرَيْشٍ، لِأَجْلِ مَا كَانَ لَهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَيَأْتِكُمْ﴾ هَذَا مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنَ التَّهْيِيجِ عَلَى عَدَاؤِهِمْ وَعَدَمِ مَوَالِيهِمْ، لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوا الرُّسُولَ وَأَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، كَرَاهَةً لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أَيِ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ بَغْيَ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾

(١) فتح الباري: ١٦٦/٦ و ٥٩٢/٧ و ٥٠٢/٨ و مسلم: ١٩٤١/٤
 وأبو داود: ١٠٨/٣ وتحفة الأحوذى: ١٩٨/٩ والنسائي في
 الكبرى: ٤٨٧/٦ (٢) أحمد: ٢٦٨/٣ (٣) مسلم: ١٩١/١
 وأبو داود: ٩٠/٥

تَبْرِئِهِمْ عَنْ قَوْمِهِمُ الْكَفَّارِ

يَقُولُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ بِمُصَارَمَةِ الْكَافِرِينَ وَعَدَاوَتِهِمْ وَمُجَانَبَتِهِمْ وَالْتِبَاسِ مِنْهُمْ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أَيُّ وَأَتْبَاعُهُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ﴾ أَيُّ تَبَرَّأْنَا مِنْكُمْ ﴿وَمِمَّا تَقُولُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ كَذِبًا يَكُومُ﴾ أَيُّ بِدِينِكُمْ وَطَرِيقِكُمْ ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ بِعَيْنِي وَعَنِي وَقَدْ شَرَعْتَ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ مِنَ الْآنَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، مَا دُمْتُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ فَتَحْنُ أَبَدًا نَبْرًا مِنْكُمْ وَتُبْغِضُكُمْ ﴿حَتَّى تَوَفِّيَهُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أَيُّ إِلَى أَنْ تُوَحِّدُوا اللَّهَ فَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مَعَهُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنَادِيدِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ﴾ أَيُّ لَكُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ تَتَأَسَّوْنَ بِهَا إِلَّا فِي اسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِتَاءَهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَدْعُونَ لِأَتَابِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى الشَّرِّكَ وَاسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ وَيَقُولُونَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِيهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا كَانَتْ لِلتَّيْبِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِتَاءَهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْفَى حِيلَةٍ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَيُّ لَيْسَ لَكُمْ فِي ذَلِكَ أُسْوَةٌ أَيُّ فِي الْاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ، هَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَتَنَادَوْا وَمَقَاتِلُ ابْنُ حَيَّانَ، وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ حِينَ فَارَقُوا قَوْمَهُمْ وَتَبَرَّعُوا مِنْهُمْ، فَلَجَّأُوا إِلَى اللَّهِ وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أَيُّ تَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَسَلَّمْنَا أُمُورَنَا إِلَيْكَ وَقَوَّضْنَاهَا إِلَيْكَ ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أَيُّ الْمَعَادُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ لَا تُعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَلَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُوا: لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ عَلَى حَقٍّ مَا أَصَابَهُمْ هَذَا^(٢). وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ. وَقَالَ قَتَادَةُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٠

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَّبِعِ أَهْلَ الْغَيْبِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

لَا تُظْهِرُهُمْ عَلَيْنَا فَيَقْتُونَا بِذَلِكَ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا ظَهَرُوا عَلَيْنَا لِحَقِّ هُمْ عَلَيْهِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تُسَلِّطُهُمْ عَلَيْنَا فَيَقْتُونَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْرِضْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أَيُّ وَاسْتَرْ ذُنُوبَنَا عَنْ غَيْرِكَ، وَاعْفُ عَنْهَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أَيُّ الَّذِي لَا يُضَامُ مِنْ لَدُنْ بِجَنَابِكَ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ، وَشَرْعِكَ وَقَدْرِكَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وَهَذَا تَأَكِيدُ لِمَا تَقَدَّمَ وَمُسْتَشْنَى مِنْهُ مَا تَقَدَّمَ أَيْضًا، لِأَنَّ هَذِهِ الْأُسْوَةَ الْمُثَبَّتَةَ هَهُنَا هِيَ الْأُولَى بِعَيْنِهَا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ تَهْيِيجُ إِلَى ذَلِكَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَالْمَعَادِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّبِعِ أَهْلَ الْغَيْبِ الْحَمِيدِ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَعَنُوكُمْ﴾

وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِّنْ دِينِكُمْ ﴿١﴾ أَيُّ يَعُونُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ، أَي لَا يَنْهَأَكُمُ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْكَافِرَةِ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ فِي الدِّينِ، كَالنِّسَاءِ وَالضَّعَفَةِ مِنْهُمْ ﴿٢﴾ أَنْ تَبْرُؤُهُمْ أَيُّ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ ﴿٣﴾ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ أَيُّ تَعْدِلُوا ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمْتُ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» (٣). أَخْرَجَاهُ (٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَدِمْتُ فَتَيْلَةً عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ بِهَذَا يَابَا: ضَبَابٍ وَأَطِطٍ وَسَمْنٍ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَأَتَيْتُ أَسْمَاءَ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تَدْخُلَهَا بَيْتَهَا. فَسَأَلْتُ عَائِشَةَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَهْنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَأَمْرُهَا أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تَدْخُلَهَا بَيْتَهَا» (٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ، وَأُورِدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» (٦).

[الْهَيْبَةُ عَنْ مَوَالِدِ الْمُحَارِبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَهْنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أَيُّ إِنَّمَا يَنْهَأَكُمُ عَنْ مَوَالِدِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَاصَبُوكُمْ بِالْعَدَاوَةِ، فَقَاتَلُوكُمْ وَأَخْرَجُوكُمْ، وَعَاوَنُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ، يَنْهَأَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مَوَالِدِهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِمُعَادَاتِهِمْ، ثُمَّ أَكَّدَ الْوَعِيدَ عَلَى مَوَالِدِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّمْ يَنْكُرْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاوَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَتَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ

حَيْدٌ [إبراهيم: ٨] وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَعَنَ﴾ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي غِنَاهُ وَهُوَ اللَّهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَبْغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفَاءٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿حَيْدٌ﴾ الْمُسْتَحْمَدُ (*) إِلَى خَلْقِهِ، أَيُّ هُوَ الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) لَا يَهْنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبْرُؤُهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَهْنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

[عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْدَائِهِمْ مَوْدَّةً] يَقُولُ تَعَالَى لِجَعَلِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ بِعَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾ أَيُّ مَحَبَّةً بَعْدَ الْبُغْضَةِ، وَمَوْدَّةً بَعْدَ الْفِرْقَةِ، وَأُلْفَةً بَعْدَ الْفُرْقَةِ ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ أَيُّ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْمُتَنَافِرَةِ وَالْمَتَابِعَةِ وَالْمُخْتَلِفَةِ، فَيُؤَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَالْقَسَاوَةِ فَتُصْبِحُ مُجْتَمِعَةً مُتَّفِقَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُمْتَنًا عَلَى الْأَنْصَارِ: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا...﴾ الْآيَةُ [آل عمران: ١٠٣]. وَكَذَا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ يَي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ يَي؟» (١). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِقُرْبِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] وَفِي الْحَدِيثِ: «أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِضَتِكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَضُ بَغِضَتِكَ هَوْنًا مَا، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» (٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَيُّ يَغْفِرُ لِلْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِذَا تَابُوا مِنْهُ وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ بِكُلِّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ.

[يَجُوزُ الْإِحْسَانُ إِلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَ فِي

الدِّينِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَهْنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

(*) أي يحين إلى الناس ما يستوجب حمد الناس إليه فهو المستحمد (١) فتح الباري: ٦٤٤/٧ (٢) تحفة الأحوذى: ٦/ ١٣٣ (٣) أحمد: ٣٤٤/٦ (٤) فتح الباري: ٢٧٥/٥ ومسلم: ٦٩٦/٢ (٥) أحمد: ٤/٤ (٦) مسلم: ١٤٥٨/٣

وَلَسْتُمْ لَهَا بِأَعْقَابٍ وَلَا يَلْمُوكُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ وَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾
 وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
 أَرْزَاقُهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾
 [تَخْصِيصُ الْمُسْلِمَاتِ بَعْدَ رَدِّهِنَّ إِلَى الْكُفَّارِ إِذَا
 هَاجَرْنَ بَعْدَ الْحُدُوبِ]

تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ ذِكْرُ صَلَاحِ الْحُدُوبِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَكَانَ فِيهِ: عَلَى أَنْ لَا
 يَأْتِيَكُم مِّنْ رَّجُلٍ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكُمْ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا. وَفِي
 رَوَايَةٍ: عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيَكُم مِّنْ أَحَدٍ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكُمْ إِلَّا
 رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، وَهَذَا قَوْلُ عُرْوَةَ وَالضَّحَّاكِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 زَيْدٍ، وَالزُّهْرِيُّ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ وَالسُّدِّيُّ. فَعَلَى هَذِهِ
 الرِّوَايَةِ تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مُخَصَّصَةً لِلنِّسَاءِ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ
 أَمَلَةٍ ذَلِكَ، وَعَلَى طَرِيقَةِ بَعْضِ السَّلَفِ نَاسِخَةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
 وَجَلَّ أَمَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا جَاءَهُمُ النِّسَاءُ مَهَاجِرَاتٍ أَنْ
 يَمْتَحِنُوهُنَّ، فَإِنْ عَلِمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى
 الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي
 تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ مِنَ الْمُسْتَدِّ
 الْكَبِيرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَحْمَدَ قَالَ: هَاجَرَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ
 بِنْتُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فِي الْهَجْرَةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عُمَارَةُ
 وَالْوَلِيدُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَاهُ فِيهَا أَنْ
 يَرُدَّاهَا إِلَيْهِمَا، فَتَقَضَّى اللَّهُ الْعَهْدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ فِي
 النِّسَاءِ خَاصَّةً، فَمَتَّعَهُمْ أَنْ يَرُدُّوهُنَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَأَنْزَلَ
 اللَّهُ آيَاتِ الْإِمْتِحَانِ^(١).

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا
 الْكَلِمَاتُ أَمَّا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ وَكَانَ
 امْتِحَانُهُنَّ أَنْ يَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
 وَرَسُولُهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ فَاسْأَلُوهُنَّ عَمَّا جَاءَ
 بِهِنَّ، فَإِذَا كَانَ جَاءَ بِهِنَّ غَضَبٌ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ سَخَطٌ
 أَوْ غَيْرُهُ وَلَمْ يُؤْمِنَنَّ فَارْجِعُوهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ^(٢).
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى
 الْكُفَّارِ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يُمَكِّنُ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ
 يَقِينًا.

[حُرْمَةُ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُشْرِكَاتِ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ
 هِيَ الَّتِي حَرَّمَتْ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ كَانَ

حَاجِزًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُشْرِكُ الْمُؤْمِنَةَ،
 وَلِهَذَا كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجَ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَدْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ،
 فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْأَسَارِ يَوْمَ بَدْرٍ بَعَثَتْ أَمْرَأَتَهُ زَيْنَبَ فِي فِدَائِهِ
 بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لَامَهَا حَدِيجَةً، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 رَقَّ لَهَا رَقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِفُوا
 لَهَا أَسِيرَهَا فَافْعَلُوا» فَفَعَلُوا فَأُطْلِفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ
 يَبْعَثَ ابْنَتَهُ إِلَيْهِ، فَوَفَّى لَهُ بِذَلِكَ وَصَدَقَهُ فِيمَا وَعَدَهُ وَبَعَثَهَا
 إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣).
 فَأَقَامَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ وَقْعَةِ بَدْرٍ. وَكَانَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ إِلَى
 أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ سَنَةَ ثَمَانٍ^(٤) فَرَدَّهَا
 عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ الْأَوَّلِ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهَا صَدَاقًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ مَّا أَنْفَقُوا﴾ يَعْنِي أَزْوَاجَ
 الْمَهَاجِرَاتِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، اذْفَعُوا إِلَيْهِمْ الَّذِي غَرَمُوهُ
 عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأُصْدَقَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ
 وَالزُّهْرِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ يَعْنِي إِذَا أُعْطِيَتْهُنَّ
 أُصْدُقَتُهُنَّ فَانْكِحُوهُنَّ، أَيْ تَزَوَّجُوهُنَّ بِشَرْطِهِ مِنْ انْقِضَاءِ
 الْعِدَّةِ وَالْوَلِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا بِعِصَمِ
 الْكُفَّارِ﴾ تَحْرِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ نِكَاحِ
 الْمُشْرِكَاتِ وَالْإِسْمِرَارِ مَعَهُنَّ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ الْمُسَوِّرِ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ: أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا عَاهَدَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدُوبِ، جَاءَهُ
 نِسَاءٌ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَأْتِيَنَّهَا أَمَّا إِذَا
 جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا بِعِصَمِ
 الْكُفَّارِ﴾ فَطَلَّقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمَئِذٍ أَمْرَاتَيْنِ، تَزَوَّجَ
 إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ
 أُمَيَّةٍ^(٦). وَقَالَ ابْنُ ثَوْرٍ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنْزَلَتْ هَذِهِ
 الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَسْفَلِ الْحُدُوبِ جِئَ
 صَالِحُهُمْ، عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَاهُ مِنْهُمْ رَدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا جَاءَ
 النِّسَاءُ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرُدَّ الصَّدَاقَ إِلَى

(١) جامع المسانيد: ٢٤٣/٧ فيه عبدالعزيز بن عمران وهو متروك
 انظر ما قال ابن حجر في التقریب (٤٦١٣) (٢) الطبري: ٢٣/
 ٣٢٦ إسناده ضعيف لضعف العوفي (٣) أبو داود: ١٤٠/٣ (٤)
 الصحيح أنه سنة ست قبل الحديبية وقبل نزول هذه الآية (٥)
 الطبري: ٣٢٨/٢٣، ٣٢٩ (٦) فتح الباري: ٣٩١/٥

سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ

٥٥١

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ
بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهَتْنٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(١٢) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِنَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ بَيَّسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا بَيَّسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

سُورَةُ الصِّفَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(١) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بُيُوتٌ مُرْصُوصَةٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّلُ لَكُمْ
تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا زَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)

الْمُؤْمِنَاتُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: «يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
يَبَايَعُكَ» إِلَى قَوْلِهِ «غَفُورٌ رَحِيمٌ»

قَالَ غُرُوزُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْ
الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: «قَدْ بَايَعْتُكَ» كَلَامًا، وَلَا
وَاللهُ! مَا مَسَّتْ يَدُهُ امْرَأَةً فِي الْمُبَايَعَةِ قَطُّ، وَمَا يَبَايِعُهُنَّ
إِلَّا بِقَوْلِهِ: «قَدْ بَايَعْتُكَ عَلَى ذَلِكَ» (١) هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أُمِّمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ قَالَتْ: أَتَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسَاءٍ لِنَبَايَعُهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا مَا فِي الْقُرْآنِ
أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا... الآية، وَقَالَ: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَطَقْتُمْ» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، قُلْنَا: يَا
رَسُولَ اللهِ! أَلَا تُصَافِحُنَا؟ قَالَ: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ،
إِنَّمَا قَوْلِي لَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، كَقَوْلِي لِمَائَةِ امْرَأَةٍ» (٥). هَذَا

أَزْوَاجَهُنَّ، وَحَكَّمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا جَاءَهُنَّ
امْرَأَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرُدُّوا الصَّدَاقَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ وَقَالَ:
«وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ» (١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهَا بِشَيْءٍ أَتَى
وَطَالِيُوا بِمَا أَنْفَقْتُمْ عَلَى أَزْوَاجِكُمُ اللَّاتِي يَذْهَبْنَ إِلَى الْكُفَّارِ
إِنْ ذَهَبْنَ، وَلِطَالِيُوا بِمَا أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي
هَاجَرْنَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ يَنْتَكُمُ» أَيُّ فِي
الصُّلْحِ وَاسْتِثْنَاءِ النِّسَاءِ مِنْهُ، وَالْأَمْرُ بِهَذَا كُلُّهُ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ
يَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ خَلْقِهِ «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» أَيُّ عَلِيمٌ بِمَا يَصْلُحُ
عِبَادَهُ، حَكِيمٌ فِي ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «وَلَنْ تَنفَكَ شَيْءٌ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا قَاتُمْ فَتَاوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ يَتَدَلَّ مَا
أَنْفَقُوا» قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: هَذَا فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ
عَهْدٌ إِذَا فَرَّتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَةٌ وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى زَوْجِهَا شَيْئًا،
فَإِذَا جَاءَتْ مِنْهُمْ امْرَأَةٌ لَا يُدْفَعُ إِلَى زَوْجِهَا شَيْءٌ حَتَّى يَدْفَعَ
إِلَى زَوْجِ الدَّاهِيَةِ إِلَيْهِمْ مِثْلَ نَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ (٢). وَرَوَى ابْنُ
جَرِيرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَقَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ فَأَدُّوا مَا
أَمُرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى نِسَائِهِمْ،
وَأَبَى الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقْرُوا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ
أَدَاءِ نَفَقَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ: «وَلَنْ
تَنفَكَ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا قَاتُمْ فَتَاوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ يَتَدَلَّ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ».

فَلَوْ أَنَّهَا ذَهَبَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ امْرَأَةٌ مِنْ أَزْوَاجِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى الْمُشْرِكِينَ، رَدَّ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى زَوْجِهَا النَّفَقَةَ الَّتِي أَنْفَقَ
عَلَيْهَا مِنَ الْعَقَبِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ، الَّذِي أَمُرُوا أَنْ يَرُدُّوهَ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مِنْ نَفَقَاتِهِمُ الَّتِي أَنْفَقُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ اللَّاتِي
آمَنَ وَهَاجَرْنَ، ثُمَّ رَدُّوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَضْلًا إِنْ كَانَ بَقِيَ
لَهُمْ، وَالْعَقَبُ مَا كَانَ بَقِيَ مِنْ صَدَاقِ نِسَاءِ الْكُفَّارِ حِينَ آمَنَ
وَهَاجَرْنَ (٣).

«يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللهِ
شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهَتْنٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)

[الْأُمُورُ الَّتِي يَبَايَعُ عَلَيْهَا النِّسَاءُ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ غُرُوزَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ
أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنْ

(١) الطبري: ٣٢٩/٢٣ (٢) الطبري: ٣٣٨/٢٣ (٣) الطبري:

٣٣٧/٢٣ (٤) فتح الباري: ٥٠٤/٨ (٥) أحمد: ٣٥٧/٦

قَتْلَهُ وَهُوَ جَنِينٌ، كَمَا قَدْ يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ مِنَ النِّسَاءِ تُطْرَحُ نَفْسُهَا لِثَلَا تَحْبَلُ، إِمَّا لِعَرَضٍ فَاسِدٍ أَوْ مَا أَشَبَّهُهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ بَقْرَتَيْنِ يَفْتَرِيَهُمَا بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْني لَا يُلْحِقَنَّ بِأَرْوَاجِهِنَّ غَيْرَ أَوْلَادِهِمْ^(٩) وَكَذَا قَالَ مُقَاتِلٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يَعْني فِيمَا أَمَرَهُنَّ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ وَنَهَيْتَهُنَّ عَنْهُ مِنْ مُنْكَرٍ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ شَرْطُ شَرْطَةِ اللَّهِ لِلنِّسَاءِ^(١٠). وَقَالَ يَمِينُ بْنُ مِهْرَانَ: لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ طَاعَةَ لِنَبِيِّهِ إِلَّا فِي الْمَعْرُوفِ، وَالْمَعْرُوفُ طَاعَةٌ^(١١). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَهُوَ خَيْرُهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ: فِي الْمَعْرُوفِ^(١٢).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةٍ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: كَانَ فِيمَا اشْتَرَطَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ حِينَ بَايَعَنَا، أَنْ لَا نَنْوَحَ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ: إِنَّ بَنِي فُلَانٍ أَسْعَدُونِي فَلَا حَتَّى أَجْزِيَهُمْ، فَاَنْطَلَقْتُ فَاسْعَدْتُهُمْ ثُمَّ جَاءَتْ فَبَايَعَتْ، قَالَتْ: فَمَا وَفَى مِنْهُمْ غَيْرَهَا وَغَيْرُ أُمِّ سُلَيْمٍ ابْنَةِ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ^(١٣).

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةٍ نُسَيْبَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١٤). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ الْبُرَادِ، عَنْ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُبَايَعَاتِ قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ: أَنْ لَا نَخْمِسَ وَجْهًا، وَلَا نَتَشَرَّ شَعْرًا، وَلَا نَتَّقُ حَيْثًا، وَلَا نَذْعُو وَيْلًا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(١٥)

يَنْهَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِينَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ كَمَا نَهَى عَنْهَا فِي أَوَّلِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يَعْني الْيَهُودَ

إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ^(١٦). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةٍ قَالَتْ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْنَا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَ بِإِلَهِ سَيِّئًا﴾ وَنَهَانَا عَنْ النَّبَاحَةِ، فَقَبَضَتِ امْرَأَةٌ يَدَهَا قَالَتْ: أَسْعَدْتُنِي فَلَانَةٌ فَأَرِيدُ أَنْ أَجْزِيَهَا، فَمَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّئًا، فَاَنْطَلَقْتُ وَرَجَعْتُ فَبَايَعَهَا^(١٧). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١٨).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ - قَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي أَخَذْتُ عَلَى النِّسَاءِ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ - فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَغُوبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»^(١٩) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢٠).

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّتِي إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ﴾ أَيُّ مَنْ جَاءَكَ مِنْهُنَّ يُبَايِعُ عَلَى هَذِهِ الشُّرُوطِ فَبَايَعَهَا ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَ﴾ أَمْوَالِ النَّاسِ الْأَجَانِبِ، فَمَا إِذَا كَانَ الزَّوْجُ مُقْصِرًا فِي نَفَقَتِهَا، فَلَهَا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةٌ أَمْثَلِهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ، عَمَلًا بِحَدِيثِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يُعْطِينِي مِنَ الثَّقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ، مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [الإسراء: ٣٢] وَفِي حَدِيثِ سَمُرَةَ: ذَكَرَ عُقُوبَةُ الزِّنَاةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ الْجَحِيمِ^(٢٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ تُبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ عَلَيْهَا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَ وَلَا يَزْنِيَ﴾... الْآيَةَ، قَالَ: فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً، فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَقْرَى أَتَيْتُهَا الْمَرْأَةَ! فَوَاللَّهِ! مَا بَايَعَنَا إِلَّا عَلَى هَذَا، قَالَتْ: فَتَعَمَّ إِذَا، فَبَايَعَهَا بِالْآيَةِ^(٢٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ وَهَذَا يَشْمَلُ قَتْلَهُ بَعْدَ وُجُودِهِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ، وَيَتِمُّ

(١) تحفة الأحادي: ٢٢٠/٥ والنسائي: ١٤٩/٧ والنسائي في الكبرى: ٤٨٨/٦ وابن ماجه: ٩٥٩/٢ (٢) فتح الباري: ٨/٥٠٦ (٣) مسلم: ٦٤٦/٢ (٤) أحمد: ٣١٤/٥ (٥) فتح الباري: ١٨٣/١٣ (٦) فتح الباري: ١٨٣/١٣ (٧) أحمد: ٩/٥ (٨) أحمد: ١٥١/٦ (٩) الطبري: ٣٤٠/٢٣ (١٠) فتح الباري: ٥٠٦/٨ (١١) القرطبي: ٧٣/١٨ (١٢) الطبري: ٣٤٥/٢٣ (١٣) الطبري: ٣٤٦/٢٣ (١٤) البخاري: ٤٨٩٢

بِهِ، وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ مُطْلَقًا، سَوَاءَ تَرْتَبَ عَلَيْهِ غُرْمٌ لِلْمَوْعُودِ أَمْ لَا، وَاحْتَجُّوا أَيْضًا مِنَ الشَّيْءِ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٤). وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ فِي الصَّحِيحِ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَتْ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَظْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا»^(٥). فَذَكَرَ مِنْهُنَّ إِخْلَافَ الْوَعْدِ، وَقَدْ اسْتَفْصَيْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثْنُ، وَلِهَذَا أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَامِرِ ابْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا صَبِيٌّ، فَذَهَبَتْ لِي أُخْرَجُ لِأَلْعَبَ فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ! تَعَالَي أَعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟» قَالَتْ: تَمْرًا. فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَقْعَلِي كُنَيْتَ عَلَيْكَ كَذِبَةً»^(٦). قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: لَوْ نَعْلَمُ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَمِلْنَا بِهِ، فَذَلَّهِمُ اللَّهُ عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾^(٧) فَبَيَّنَ لَهُمْ، فَأَبْثَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ بِذَلِكَ، فَوَلَّوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُذْبِرِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وَقَالَ: أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِي^(٧).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أُنْزِلَتْ فِي شَأْنِ الْفِتَالِ، يَقُولُ الرَّجُلُ: قَاتَلْتُ. وَلَمْ يُقَاتِلْ. وَطَعَنْتُ. وَلَمْ يَطْعَنْ. وَضَرَبْتُ. وَلَمْ يَضْرِبْ. وَصَبَرْتُ. وَلَمْ يَصْبِرْ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: نَزَلَتْ تَوْبِيخًا لِقَوْمٍ كَانُوا يَقُولُونَ: قَتَلْنَا وَضَرَبْنَا وَطَعْنَا وَفَعَلْنَا، وَلَمْ يَكُونُوا فَعَلُوا ذَلِكَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

وَالنَّصَارَى وَسَائِرَ الْكُفَّارِ وَمَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ الطَّرْدَ وَالْإِبْعَادَ، فَكَيْفَ تَوَالُونَهُمْ وَتَتَّخِذُونَهُمْ أَصْدِقَاءَ وَأَحْيَاءَ، وَقَدْ يَتَّبِعُونَ مِنَ الْآخِرَةِ، أَيِ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا فِي حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْسَبِ الْقُبُورِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ الْأَحْيَاءَ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ أَنْ يَجْتَمِعُوا بِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَغْتَفِدُونَ بَعَثًا وَلَا نُشُورًا، فَقَدْ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ مِنْهُمْ فِيمَا يَغْتَفِدُونَهُ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي، مَعْنَاهُ: كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ الَّذِينَ هُمْ فِي الْقُبُورِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. قَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الصُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْسَبِ الْقُبُورِ﴾ قَالَ: كَمَا يَبْسُ هَذَا الْكَافِرُ إِذَا مَاتَ وَعَايَنَ ثَوَابَهُ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَمُقَاتِلَ وَابْنِ زَيْدٍ وَالْكَلْبِيِّ وَمَنْصُورٍ^(١). وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جُرَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢). آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثْنُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الصَّفِّ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الصَّفِّ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: تَذَاكُرْنَا أَنْتُمْ يَا نَبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَيَسْأَلُهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مَنَّا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْنَا رَجُلًا، فَحَمَمَنَا فَقَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ السُّورَةَ، يَعْنِي سُورَةَ الصَّفِّ كُلَّهَا^(٣). هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾

[ذَمٌّ مَنْ يَقُولُ قَوْلًا لَا يَفْعَلُهُ]

قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غَيْرَ مَرَّةٍ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إِنْكَارٌ عَلَى مَنْ يَعِدُ عِدَّةً أَوْ يَقُولُ قَوْلًا لَا يَفْعَلُ

(١) الطبري: ٣٤٨/٢٣ (٢) الطبري: ٣٤٨/٢٣ (٣) أحمد: ٤٥٢/٥

(٤) فتح الباري: ١١١/١ ومسلم: ٧٨/١ (٥) فتح الباري: ١١١/١ (٦) أحمد: ٤٤٧/٣ وأبو داود: ٢٦٥/٥

إسناده ضعيف لجهالة مولى من حوالي عبدالله بن عامر إلا أن الشيخ الألباني أورده في الصحيحة (٧٤٨) لشواهد (٧) الدر المنثور: ١٤٦/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٢

سُورَةُ الصَّفِّ

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٦﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِالنُّورِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ هُمْ أَمْوَالُ أَهْلِ أَذْكُرَ عَلَى بَعْرٍ وَنَجِيحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦٩﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجَاهُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧١﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ هُمْ أَمْوَالُ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ تَطَايَفَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ هُمْ أَمْوَالُ عَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٧٣﴾

رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني التَّوْرَةَ قَدْ بَشَّرَتْ بِي، وَأَنَا مُصَدِّقٌ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَأَنَا مُبَشِّرٌ بِمَنْ بَعْدِي، وَهُوَ الرَّسُولُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ الْمَكِّيُّ أَحْمَدُ. فِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَءِيلَ، وَقَدْ أَقَامَ فِي مَلَأَ بَنِي إِسْرَءِيلَ مُبَشِّرًا بِمُحَمَّدٍ، وَهُوَ أَحْمَدُ، خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِي لَا رِسَالَةَ بَعْدَهُ وَلَا نُبُوَّةَ. وَمَا أَحْسَنَ مَا أوردَ الْبُخَارِيُّ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَى فِيهِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِي أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ»^(٤) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ نَحْوَهُ^(٥). وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبَرْنَا

الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا: قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ إِلَّا أَنْ يُصَافَهُمْ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ^(١). قَالَ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرْصُوسٌ﴾ أَيُّ مُلْتَصِقٍ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ مِنَ الصَّفِّ فِي الْقِتَالِ. وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَهُمْ مَرْصُوسٌ﴾ مُثَبَّتٌ لَا يَزُولُ، مُلْتَصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُوا لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٥﴾

[خَطَابُ مُوسَى لِقَوْمِهِ عَلَى أَذَاهُمْ وَإِزَاغَةَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ] يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّ لِمَ تُوصِلُونَ الْأَذَى إِلَيَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ. وَفِي هَذَا تَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا أَصَابَهُ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَرَ لَهُ بِالصَّبْرِ، وَلِهَذَا قَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(٣). وَفِيهِ نَهْيٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّالُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ يُوصِلُوا إِلَيْهِ أَدَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ هُمْ أَمْوَالُ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٦٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أَيُّ فَلَمَّا عَدَلُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ الْهُدَى، وَأَسْكَنَهَا الشَّكَّ وَالْحَيْرَةَ وَالْخُذْلَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ وَنَذَرْنَاهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١١٥] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[تَبَشِيرُ عِيسَى بِنَبِيِّنَا ﷺ بِاسْمِهِ أَحْمَدُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَنْبِئُ إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا

(١) القرطبي: ٨١/١٨ (٢) الدر المنثور: ١٤٧/٨ (٣) فتح الباري: ٦٥٢/٧ (٤) فتح الباري: ٥٠٩/٨ (٥) مسلم: ٤/١٨٢٨

اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ^(٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أَيْ أَحْمَدُ أَيْ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَقَادِمَةِ، الْمَوْتُو بِذِكْرِهِ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، لَمَّا ظَهَرَ أَمْرُهُ وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ، قَالَ الْكُفْرَةُ وَالْمُخَالِفُونَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

[ذَكَرُ أَظْلَمَ النَّاسِ وَالْبَشَارَةَ بِاتِّمَامِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَغَلَبَتِهِ عَلَى كُلِّ الْأَذْيَانِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أَيْ: لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَقْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ أُنْدَادًا وَشُرَكَاءَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِحْلَاصِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أَيْ يُحَاوِلُونَ أَنْ يَرُدُّوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شِعَاعَ الشَّمْسِ بفيه، وَكَمَا أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيلٌ كَذَاكَ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجْعَلِ لَكُمْ جَنَّةٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَتَسْكُنُ فِيهَا أَنْفُسُكُمْ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ وَلَهُ الْأَجْرُ﴾ (١٠) يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

[التَّجَارَةُ الْمُنْجِيَّةُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ]

تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَسْأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَفْعَلُوهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ

عَنْ نَفْسِكَ قَالَ: «دَعُوهُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشِّرِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ»^(١). وَهَذَا إِسْنَادٌ حَيْثُ وَرَوِي لَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ وَجْهِ أُخَرَ، فَروى الإمام أحمد عن العرياض بن سارية قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدٌ فِي طَيْبَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعُوهُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذَلِكَ أَهْأَثُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ»^(٢). وَروى أحمد أيضًا عن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ قَالَ: «دَعُوهُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشِّرِي عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»^(٣).

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَجَعْفَرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفَطَةَ، وَغُمَّانُ بْنُ مَطْعُونٍ وَأَبُو مُوسَى، فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَتْ فُرَيْشُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَغَمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ، ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ، وَرَعِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا، قَالَ: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَا: هُمْ فِي أَرْضِكَ فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرُ: أَنَا خَطِيئَتُكَ الْيَوْمَ، فَأَتَبِعُوهُ فَسَلِّمْ وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ. قَالَ: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ أُلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَعْتَزْضَهَا وَلَدٌ، قَالَ: فَرَفَعَ عَمْرُوًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْفَيْسِيَّيْنَ وَالرُّهْبَانَ! وَاللَّهِ! مَا يَرِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا يُسَاوِي هَذَا، مَرْجَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، أَنْزَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللَّهِ! لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ وَأَوْضَعُهُ، وَأَمَرَ بِهَدِيَّةٍ الْآخَرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

(١) ابن هشام: ١٧٥/١ (٢) أحمد: ١٢٧/٤ (٣) أحمد: ٥/٥

٢٦٢ (٤) أحمد: ٤٦١/١

السُّورَةِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ غَلَبِ آلِ يَهُوذَا ثُمَّ فَسَّرَ هَذِهِ التِّجَارَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا تَبُورُ، الَّتِي هِيَ مُحْصَلَةُ لِلْمَقْصُودِ، وَمُرِيدَةُ لِلْمُحْدَرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَتَذَكَّرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ مِنْ تِجَارَةِ الدُّنْيَا وَالْكَدِّ لَهَا وَالنَّصْدِيِّ لَهَا وَحَدَهَا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُ لَكُمْ دُونَكُمْ﴾ أَيُّ إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَدَلَّكْتُكُمْ عَلَيْهِ، غَفَرْتُ لَكُمْ الزَّلَّاتِ، وَأَدْخَلْتُكُمْ الْجَنَّاتِ وَالْمَسَاجِدِ الطَّيِّبَاتِ وَالذَّرَجَاتِ الْعَالِيَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدِدُّكُمُ جَنَّتُ جَنَّتِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِي عَدُوٌّ ذَلِكَ الْقَوْمِ الْعَظِيمِ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أَيُّ وَأَرِيدُكُمْ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةَ تَحِبُّوتِهَا، وَهِيَ: ﴿تَصَرُّ بِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ أَيُّ إِذَا قَاتَلْتُمْ فِي سَبِيلِهِ وَنَصَرْتُمْ دِينَهُ، تَكَمَّلَ اللَّهُ بِنَصْرِكُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ نَصَرَكُمُ اللَّهُ وَبَلَّغَ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ نَصْرُ اللَّهِ مِنْ بَصَرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ أَيُّ عَاجِلٌ، فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ خَيْرُ الدُّنْيَا، مَوْصُولٌ بِنِعَمِ الْآخِرَةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَنَصَرَ اللَّهَ وَدِينَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَثِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ غَلَبِ آلِ يَهُوذَا ثُمَّ فَسَّرَ هَذِهِ التِّجَارَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا تَبُورُ، الَّتِي هِيَ مُحْصَلَةُ لِلْمَقْصُودِ، وَمُرِيدَةُ لِلْمُحْدَرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَتَذَكَّرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ مِنْ تِجَارَةِ الدُّنْيَا وَالْكَدِّ لَهَا وَالنَّصْدِيِّ لَهَا وَحَدَهَا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُ لَكُمْ دُونَكُمْ﴾ أَيُّ إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَدَلَّكْتُكُمْ عَلَيْهِ، غَفَرْتُ لَكُمْ الزَّلَّاتِ، وَأَدْخَلْتُكُمْ الْجَنَّاتِ وَالْمَسَاجِدِ الطَّيِّبَاتِ وَالذَّرَجَاتِ الْعَالِيَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدِدُّكُمُ جَنَّتُ جَنَّتِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِي عَدُوٌّ ذَلِكَ الْقَوْمِ الْعَظِيمِ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أَيُّ وَأَرِيدُكُمْ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةَ تَحِبُّوتِهَا، وَهِيَ: ﴿تَصَرُّ بِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ أَيُّ إِذَا قَاتَلْتُمْ فِي سَبِيلِهِ وَنَصَرْتُمْ دِينَهُ، تَكَمَّلَ اللَّهُ بِنَصْرِكُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ نَصَرَكُمُ اللَّهُ وَبَلَّغَ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ نَصْرُ اللَّهِ مِنْ بَصَرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَتَحَ قَرِيبٌ﴾ أَيُّ عَاجِلٌ، فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ خَيْرُ الدُّنْيَا، مَوْصُولٌ بِنِعَمِ الْآخِرَةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَنَصَرَ اللَّهَ وَدِينَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَثِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَامَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا

طَائِفِينَ ﴿١٤﴾

[الْمُسْلِمُونَ أَنْصَارُ الَّذِينَ فِي كُلِّ حَالٍ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ كَمَا اسْتَجَابَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى جِئْنَاكَ قَالَ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ مَنْ مُعِينِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وَهُمْ أَتْبَاعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أَيُّ نَحْنُ أَنْصَارُكَ عَلَى مَا أُرْسِلْتَ بِهِ وَمُؤَازِرُوكَ عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا بَعَثَهُمْ دُعَاةَ إِلَى النَّاسِ فِي بِلَادِ الشَّامِ فِي الْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَالْيُونَانِيِّينَ، وَهَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي أَيَّامِ الْحُجَّ: «مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟ فَإِنْ فَرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّي»^(١). حَتَّى قَبِضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَبَايَعُوهُ وَوَاظَرُوهُ، وَشَارَطُوهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.
[طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ آمَنَتْ بِعِيسَى وَأُخْرَى كَفَرَتْ بِهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَامَنَّ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أَيُّ لَمَّا بَلَغَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رِسَالَةَ رَبِّهِ إِلَى قَوْمِهِ، وَوَاظَرَهُ مِنْ وَازَرَهُ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، اهْتَدَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ وَصَلَّتْ طَائِفَةٌ، فَخَرَجَتْ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ وَجَحَدُوا بُيُوتَهُ، وَرَمَوْهُ وَأَمَّهُ بِالْعِظَائِمِ، وَهُمْ الْيَهُودُ - عَلَيْهِمْ لَعْنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - وَعَلَتْ فِيهِ طَائِفَةٌ مِمَّنْ اتَّبَعَهُ حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَافْتَرَقُوا فِرْقًا وَشِبَعًا، فَمِنْ قَائِلٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ. وَقَائِلٍ: إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةِ الْأَبِّ وَالْإِبْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ. وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّهُ اللَّهُ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُفْصَلَةٌ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ.

[نَصَرَ اللَّهُ الطَّائِفَةَ الْمُؤْمِنَةَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيَّدَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أَيُّ نَصَرْنَاهُمْ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ مِنْ فِرْقِ النَّصَارَى ﴿فَأَصْبَحُوا طَائِفِينَ﴾ أَيُّ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بِبِعْنَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ: إِنْ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنْتُ بِي، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبْهِي فَيَقْتُلَ مَكَانِي وَيَكُونُ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي؟ قَالَ: فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًا فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: نَعَمْ أَنْتَ ذَاكَ. قَالَ: فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبْهُ عِيسَى وَرَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رُوزَتِهِ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا شَبْهَهُ فَقَتَلُوهُ، وَصَلَبُوهُ، وَكَفَرُوا بِهِ بَعْضُهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِهِ، فَفَتَرَقُوا فِيهِ ثَلَاثَ فِرْقٍ، فَقَالَتْ

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَمْنُنَ اللَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ إِنْ أَلْمَزْتُمْ النَّاسَ نَفَرْتُمْ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ فِي بُيُوتِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

فِرْقَةٌ: كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ لَا الْبُعْقُوبِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا السَّطُورِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا الْمُسْلِمُونَ. فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَتَقَتْلُوهُمَا فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَتَظَاهَرَتْ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ يَغْنِي الطَّائِفَةُ الَّتِي كَفَرَتْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي زَمَنِ عِيسَى، وَالطَّائِفَةُ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَنِ عِيسَى ۝ فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَذُوبَةٍ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۝ بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينَهُمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ ۝ هَذَا لَفْظُهُ فِي كِتَابِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُنَنِهِ ۝ فَأَمَّا مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَحَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَالُ مَعَ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الصَّفِّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْجُمُعَةِ وَهِيَ مَدْنِيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الْجُمُعَةِ]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

[يُسَبِّحُ لِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أَيُّ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ نَاطِقَةً وَجَامِدَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» ثُمَّ قَالَ

تَعَالَى: «الَّذِي الْقُدُّوسُ» أَيُّ هُوَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْمُقَدَّسُ، أَيُّ الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ، الْمُوصُوفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُمَا غَيْرَ مَرَّةٍ.

[الْأُمِّيَّتَانِ بِعِنْتَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» الْأُمِّيُّونَ هُمُ الْعَرَبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسْلَمْتُمْ» فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدَوْا فَلَمْ يَقُولُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ [آل عمران: ٢٠] وَتَخْصِيصُ الْأُمِّيِّينَ بِالذِّكْرِ لَا يَنْفِي مَنْ عَدَاهُمْ، وَلَكِنَّ الْمِنَّةَ عَلَيْهِمْ أُبْلِغَ وَأَكْثُرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: «وَإِنَّهُمْ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْلِكَ» [الزخرف: ٤٤] وَهُوَ ذِكْرٌ لِغَيْرِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، وَكَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤]

(١) الطبري: ٢٣/٣٦٦ (٢) النسائي في الكبرى: ٦/٤٨٩ (٣)

فتح الباري: ١٣/٣٠٦ ومسلم: ٣/١٥٢٤ وأبو داود: ١١/٣

(٤) مسلم: ٢/٥٩٧ و٥٩٩

وَهَذَا وَأَمثَالُهُ لَا يُتَافَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف: ١٥٨] وقوله: ﴿لَا تَذَكَّرُ بِهِ وَمَنْ يَلْعَلْ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تَعَالَى إِنْخِبَارًا عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عُمُومِ بَعْثِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ أَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ، وَقَدْ قَدَّمْنَا تَفْسِيرَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ مُضَادَّةٌ إِبْرَاهِيمَ إِخْلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى حِينِ فِتْرَةِ مِنَ الرُّسُلِ وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ، وَقَدْ اشْتَدَّتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَقَدْ مَقَّتْ اللَّهُ أَهْلَ الْأَرْضِ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَيْ نَزَارًا يَسِيرًا يَمُنُّ تَمَسُّكَ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا قَدِيمًا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَدَّلُوهُ وَغَيَّرُوهُ وَقَلَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِالتَّوْحِيدِ شِرْكًَا وَبِالْيَقِينِ شَكًّا، وَابْتَدَعُوا أَشْيَاءَ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا كُتُبَهُمْ وَحَرَّفُواهَا وَغَيَّرُواهَا وَأَوَّلُوهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِشَرَعٍ عَظِيمٍ كَامِلٍ شَامِلٍ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، فِيهِ هِدَايَتُهُمْ وَالْبَيَانُ لِجَمِيعِ مَا يَخْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِيهِمْ وَمَعَادِيهِمْ، وَالدَّعْوَةُ لَهُمْ إِلَى مَا يَقْرَهُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، وَالتَّهْنِئَةُ عَمَّا يَقْرَهُهُمْ إِلَى النَّارِ وَسَخَطُ اللَّهِ تَعَالَى حَاكِمِ فَاصِلٍ لِجَمِيعِ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ وَالرَّيْبِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَجَمَعَ لَهُ تَعَالَى وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ جَمِيعَ الْمَحَاسِنِ يَمُنُّ كَانَ قَبْلَهُ، وَأَعْطَاهُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَا يُعْطِيهِ أَحَدًا مِنَ الْآخِرِينَ. فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

[مُحَمَّدٌ رَسُولُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ]

وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُمْ حَتَّى سِئِلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ - أَوْ رَجُلٌ - مِنْ هَؤُلَاءِ»^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ^(٢). فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَعَلَى عُمُومِ بَعْثِهِ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ بِفَارِسٍ، وَلِهَذَا كَتَبَ كُتُبُهُ إِلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قَالَ: هُمْ الْأَعَاجِمُ^(٣) وَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ النَّبِيَّ ﷺ، مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أَيْ: ذُو الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ يَعْنِي مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَا خَصَّ بِهِ أُمَّتَهُ مِنْ بَعْثِهِ ﷺ إِلَيْهِمْ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قُلْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَقْرَبَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقَنُّوا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَمُنُّونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَسَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ قُلْ إِنْ أَلْمُوتَ الَّذِي تَقْرُؤُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَوَّنٌ ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَى عَلَيْهِ الْعَنَبِ وَالشَّهَادَةَ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

لَدَمَ الْيَهُودَ وَدَعَوْتُهُمْ لَتَمُنِّي الْمَوْتَ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَاهَلَةِ يَقُولُ تَعَالَى ذَا لِمَا لِيَهُودِ الَّذِينَ أُعْطُوا الثَّوْرَةَ وَحُمِلُواهَا لِلْعَمَلِ بِهَا ثُمَّ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا: مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، أَيْ كَمَثَلِ الْحِمَارِ إِذَا حَمَلَ كُتُبًا - لَا يَدْرِي مَا فِيهَا - فَهُوَ يَحْمِلُهَا حَمَلًا حَسِيًّا وَلَا يَدْرِي مَا عَلَيْهِ،

(١) فتح الباري: ٥١٠/٨ (٢) مسلم: ١٩٧٢/٤ ونحفة الأحوذني: ٢٠٩/٩ و٤٣٣/١٠ والنسائي في الكبرى: ٧٥/٥ و٤٩٠/٦ والطبري: ٣٧٥/٢٣ (٣) الطبري: ٣٧٤/٢٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَوَدَّكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِنُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنُفِّلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤَفَّكُونَ ﴿٤﴾

مُلَقِّحِكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلَاقِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْشِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوعٍ مُشْتَدِّينَ﴾ [النساء: ٧٨]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَوَدَّكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

[الجمعة والأوامر والآداب يوم الجمعة]

إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً لِأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجَمْعِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي كُلِّ أَشْبُوعٍ مَرَّةً بِالْمَعَايِدِ الْكِبَارِ، وَفِيهِ كَمُلُ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، فَإِنَّهُ الْيَوْمُ السَّادِسُ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَفِيهِ خَلَقَ آدَمَ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ

وَكَذَلِكَ هُوَ لَا فِي حَمْلِهِمُ الْكِتَابَ الَّذِي أُوتُوهُ حَفِظُوهُ لِقُطَا وَلَمْ يَنْهَهُمُوهُ وَلَا عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، بَلْ أَوْلَوْهُ وَحَرَفُوهُ وَبَدَّلُوهُ فَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَمِيرِ، لِأَنَّ الْحِمَارَ لَا فَهْمَ لَهُ، وَهُوَ لَا لَهُمْ فَهْمٌ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰٓئِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وَقَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿يَسْأَلُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعِثَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَيْ إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى هُدًى، وَأَنْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلَى صِلَالَةٍ، فَادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى الصَّلَاةِ مِنَ الْفِتْنَتَيْنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَيْ فِيمَا تَزْعُمُونَهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَمَتُّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أَيْ بِمَا يَعْمَلُونَ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَبَاهِلَةِ لِلْيَهُودِ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَلَنْ يَمَتُّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَجِدْتَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ أَشْرَكَوا بِوُدِّ أَحَدِهِمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦] وَقَدْ أَسْلَفْنَا الْكَلَامَ هُنَاكَ، وَبَيَّنَّا أَنَّ الْمُرَادَ أَنْ يَدْعُوا عَلَى الصَّلَاةِ مِنَ أَنْفُسِهِمْ أَوْ خُصُومِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَتْ مَبَاهِلَةُ النَّصَارَى فِي آلِ عِمْرَانَ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَآبَاءَنَا وَنَسَاءَنَا وَنَسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] وَمَبَاهِلَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [الاية: ١٧٥].

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - : إِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَيِّنَّهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُقْبِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَنَاهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا»^(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفَرِّقُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ

(١) أحمد: ٢٤٨/١ (٢) فتح الباري: ٥٩٥/٨ وتحفة الأحوذى: ٢٧٧/٩ والنسائي في الكبرى: ٥١٨/٦

أَخْرَجَاهُ^(٥). قَالَ الْحَسَنُ: أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسَّعْيِ عَلَى الْأَقْدَامِ، وَلَقَدْ نَهَى أَنْ يَأْتُوا الصَّلَاةَ إِلَّا وَعَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَلَكِنْ بِالْقُلُوبِ وَالنِّيَّةِ وَالْخُشُوعِ. وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يَعْنِي أَنْ تَسْعَى بِقَلْبِكَ وَعَمَلِكَ وَهُوَ الْمَشْيُ إِلَيْهَا^(٦). وَكَانَ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أَيِ الْمَشْيِ مَعَهُ. وَرَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَغَيْرِهِمَا نَحْوَ ذَلِكَ^(٧).

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ مَجِيئِهِ إِلَيْهَا، لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»^(٨). وَلَهُمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(٩). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ»^(١٠). وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ غُسْلُ يَوْمٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ^(١١).

[فَضْلُ الْجُمُعَةِ]

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَلَ وَاعْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ وَمَسَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْعَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(١٢). وَهَذَا الْحَدِيثُ لَهُ طُرُقٌ وَأَلْفَاظٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ وَحَسَنَةُ التِّرْمِذِيُّ^(١٣). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ

السَّاعَةِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، كَمَا ثَبَتَ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ.

وَقَدْ كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي اللُّغَةِ الْقَدِيمَةِ يَوْمُ الْعُرُوبَةِ، وَثَبَتَ أَنَّ الْأَمَمَ قَبْلَنَا أَمَرُوا بِهِ فَضَلُّوا عَنْهُ، وَاخْتَارَ الْيَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ فِيهِ خَلْقُ آدَمَ، وَاخْتَارَ النَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ الَّذِي ابْتَدَى فِيهِ الْخَلْقُ، وَاخْتَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الَّذِي أَكْمَلَ اللَّهُ فِيهِ الْخَلِيقَةَ، كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيِّنَةُ أَهْلِهِمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ، فَالْتَأَسُّ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ عَدَا وَالنَّصَارَى بَعْدَ عَدٍ»^(١٤). لَفْظُ الْبُخَارِيِّ وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «أَصْلُ اللَّهِ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»^(١٥).

[الْأَمْرُ بِالسَّعْيِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ]

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْاجْتِمَاعِ لِعِبَادَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَيِ أَفْضَدُوا وَاعْبُدُوا وَاهْتَمُّوا فِي سَبْرِكُمْ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالسَّعْيِ هَهُنَا الْمَشْيُ السَّرِيعُ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِهْتِمَامُ بِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقْرَأْنِيهَا: (فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)^(١٦). فَمَاذَا الْمَشْيُ السَّرِيعُ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَدْ نَهَى عَنْهُ لِمَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا»^(١٧). لَفْظُ الْبُخَارِيِّ. وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رَجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَامْشُوا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا».

(١) فتح الباري: ٥٢٦/١١ ومسلم: ٥٨٦/٢ (٢) مسلم: ٢/٥٨٦
(٣) الطبري: ٣٨١/٢٣ (٤) فتح الباري: ١٣٨/٢
(٥) مسلم: ٤٢٠/١ (٦) فتح الباري: ١٣٧/٢ ومسلم: ٤٢٢/١
(٧) الطبري: ٣٨٠/٢٣ (٨) فتح الباري: ٤١٥/٢ ومسلم: ٥٧٩/٢ (٩) فتح الباري: ٤١٥/٢ ومسلم: ٥٨٠/٢ (١٠) مسلم: ٥٨٢/٢
(١١) أحمد: ٣٠٤/٣ والنسائي: ٩٣/٣ وابن حبان: ٢٦٢/٢
(١٢) أحمد: ٩/٤ (١٣) أبو داود: ٢٤٦/١، ٢٤٧ وتحفة الأحوذ: ٣/٣ والنسائي: ٩٥/٣ وابن ماجه: ٢٤٦/١

طَلَبُ الرِّزْقِ بَعْدَهَا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أَيِ اسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَاتَّركُوا الْبَيْعَ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى تَحْرِيمِ الْبَيْعِ بَعْدَ النِّدَاءِ الثَّانِي، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيِ تَرْكِكُمْ الْبَيْعَ وَإِفْئَالَكُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَإِلَى الصَّلَاةِ خَيْرٌ لَكُمْ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أَيِ فُرُغَ مِنْهَا ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ لَمَّا حَجَرَ عَلَيْهِمْ فِي النَّصْرِفِ بَعْدَ النِّدَاءِ وَأَمَرَهُمْ بِالِاجْتِمَاعِ أَدْنَى لَهُمْ بَعْدَ الْفَرَاغِ فِي الْأَنْتِشَارِ فِي الْأَرْضِ وَالِابْتِغَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، كَمَا كَانَ عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ أَنْصَرَفَ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أَيِ فِي حَالِ بَيْعِكُمْ وَشَرَائِكُمْ وَأَخَذِكُمْ وَإِعْطَائِكُمْ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا تَشْغَلْكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الَّذِي يَنْفَعُكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ دَخَلَ سُوقًا مِنَ الْأَسْوَاقِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ»^(٢). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُرَ اللَّهَ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ

اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنِ الْيَجْرَةُ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّاغِبِينَ ﴿١١﴾

[الْنَهْيُ عَنِ الْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ]

يُعَاتِبُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مَا كَانَ وَقَعَ مِنَ الْإِنْصِرَافِ عَنِ الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى التِّجَارَةِ الَّتِي قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ أَيِ عَلَى الْمِنْبَرِ تَخْطُبُ، هَكَذَا ذَكَرَهُ غَيْرُ

فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ أَخْرَجَاهُ^(١).

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَلْبَسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ وَيَتَطَيَّبَ وَيَتَسَوَّكَ وَيَتَنَطَّفَ وَيَتَطَهَّرَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْمُسَدِّمِ «عُشِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَالسَّوَالُكُ، وَأَنْ يَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ أَهْلِهِ»^(٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ أَهْلِهِ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبَسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَيَرْكَعَ إِنْ بَدَأَ لَهُ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى»^(٣). وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْنِ مَهْنَتِهِ»^(٤). وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى عَلَيْهِمْ ثِيَابَ التَّمَارِ فَقَالَ: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبَيْنِ مَهْنَتِهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ^(٥).

[الْمُرَادُ بِالنِّدَاءِ أَذَانُ الْخُطْبَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ الْمُرَادُ بِهَذَا النِّدَاءُ هُوَ النِّدَاءُ الثَّانِي الَّذِي كَانَ يُفْعَلُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَإِنَّهُ كَانَ حِينَئِذٍ يُوَدَّنُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ، فَأَمَّا النِّدَاءُ الْأَوَّلُ الَّذِي زَادَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّمَا كَانَ هَذَا لِكَثْرَةِ النَّاسِ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ بَعْدَ زَمَنِ وَكَثُرِ النَّاسِ، زَادَ النِّدَاءَ الثَّانِيَّ عَلَى الزُّورَاءِ يَعْنِي يُوَدَّنُ بِهِ عَلَى الدَّارِ الَّتِي تُسَمَّى بِالزُّورَاءِ^(٦). وَكَانَتْ أَرْفَعُ دَارٍ بِالْمَدِينَةِ بِقُرْبِ الْمَسْجِدِ.

[حُرْمَةُ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ بَعْدَ نِدَاءِ الْجُمُعَةِ وَالتَّرْغِيبُ فِي

(١) فتح الباري: ٢/٤٢٥ ومسلم: ٢/٥٨٢ (٢) فتح الباري: ٢/٤٢٣ (٣) أحمد: ٥/٤٢٠ (٤) أبو داود: ١/٦٥٠ وابن ماجه: ١/٣٤٨ (٥) ابن ماجه: ١/٣٤٩ (٦) فتح الباري: ٢/٤٥٧ (٧) القرطبي: ١٨/١٠٨ (٨) تحفة الأحوذى: ٩/٣٨٦

يَقُولُونَ، وَلِهَذَا اعْتَرَضَ بِحُمْلَةِ مُخْبِرَةٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أَيِّ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَإِنْ كَانَ مُطَابِقًا لِلخَارِجِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَعَقَّدُونَ صِحَّةَ مَا يَقُولُونَ وَلَا صِدْقَهُ، وَلِهَذَا كَذَّبَهُم بِالنِّسْبَةِ إِلَى اعْتِقَادِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيِ اتَّقُوا النَّاسَ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ وَالْحَلْفَاتِ الْإِثْمَةِ لِيُصَدِّقُوا فِيمَا يَقُولُونَ، فَاعْتَرَضَ بِهِمْ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَلِيلَةَ أَمْرِهِمْ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، قَرِيبًا اقْتَدَى بِهِمْ فِيمَا يَفْعَلُونَ وَصَدَّقَهُمْ فِيمَا يَقُولُونَ، وَهُمْ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْبَاطِنِ لَا يَأْلُونَ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ خَبَالًا، فَحَصَلَ بِهِذَا الْقُدْرِ ضَرَرٌ كَبِيرٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أَيِ إِنَّمَا قُدِّرَ عَلَيْهِمُ التَّغَافُ لِرُجُوعِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرَانِ، وَاسْتِنْدَالِهِمُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، فَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. أَيِ فَلَا يَصِلُ إِلَى قُلُوبِهِمْ هُدًى وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا خَيْرٌ، فَلَا تَعْيٍ وَلَا تَهْتِدِي.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا سَمِعَ لِقَوْلِهِمْ﴾ أَيِ كَانُوا أَشْكَالًا حَسَنَةً وَذَوِي فَصَاحَةٍ وَالسِّنَةِ، وَإِذَا سَمِعَهُمُ السَّامِعُ يَضْغِي إِلَى قَوْلِهِمْ لِيَبْلَاغَتِهِمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ وَالْهَلَعِ وَالْجَرَعِ وَالْجُبْنِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أَيِ كُلِّمَا وَقَعَ أَمْرٌ أَوْ كَاثِبَةٌ أَوْ خَوْفٌ يَتَعَقَّدُونَ لِحُبْنِهِمْ أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَعُونَ أَبْوَابَ مُدُنِهِمْ عَلَى نَافِذٍ يُعْطِيهِمْ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوا أَلَسْتُمْ بِأَشِحَّةٍ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمَرُوا فَاحْصَةً اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩] فَهُمْ جَهَامَاتٌ وَصُورٌ بِلَا مَعَانِي، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمْ أَعْدَاؤُكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ فَلَنَنْهَكُمْ عَنْهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا يَضُرُّوكُمْ عَنْ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ بِهَا: تَحِيَّتُهُمْ لِعُتَّةٍ، وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةً، وَغَنِيمَتُهُمْ

وَاحِدٌ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالْحَسَنُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةُ^(١). وَزَعَمَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ أَنَّ التَّجَارَةَ كَانَتْ لِدُخْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَكَانَ مَعَهَا طَبْلٌ فَأَنْصَرَفُوا إِلَيْهَا، وَتَرَكُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا عَلَى الْمُسْتَبِرِّ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ، وَقَدْ صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبَرُ فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَدِمْتُ عِيرَ مَرَّةٍ الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَتَرَكْتُ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾^(٢). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ سَالِمِ بِهِ^(٣).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَائِمًا. وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُطْبَتَانِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَذْكُرُ النَّاسَ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيِ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوَمِنَ النَّجْوَى وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أَيِ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَطَلَبَ الرِّزْقَ فِي وَفْقِهِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجُمُعَةِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ^(٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا سَمِعَ لِقَوْلِهِمْ كَانَتْهُمْ حُسْبٌ مُسْتَدَّةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ هُوَ الْعُدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ فَلَنَنْهَكُمْ عَنْهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا يَضُرُّوكُمْ^(٤)

[أَحْوَالُ الْمُنَافِقِينَ وَتَقَلُّبَاتُهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَّقُوهُنَّ بِالْإِسْلَامِ إِذَا جَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَّا فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ فَلْيَسُوا كَذَلِكَ، بَلْ عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أَيِ إِذَا حَضَرُوا عِنْدَكَ وَاجْهَوْكَ بِذَلِكَ، وَأَظْهَرُوا لَكَ ذَلِكَ، وَلَيْسُوا كَمَا

(١) الطبري: ٣٨٧/٢٣ (٢) أحمد: ٣١٣/٣ (٣) فتح الباري:

٥١١/٨ ومسلم: ٥٩٠/٢ (٤) مسلم: ٥٨٩/٢ (٥) الطبري:

وإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْؤُهُمْ وَسُئِمُوا
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
مِنْهَا الْإِذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا إِلَهَ إِلَّا
هُمُ اللَّهُ وَلَا أُولُودُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

غُلُولٌ، لَا يَقْرُبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا مَهْجَرًا، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا دُبْرًا، مُسْتَكْبِرِينَ، لَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ، حُسْبٌ بِاللَّيْلِ
صُحْبٌ بِالنَّهَارِ» وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مَرْثَةَ: «سُحْبٌ بِالنَّهَارِ» (١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْؤُهُمْ وَسُئِمُوا
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ
لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ
لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْإِذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

إِعْرَاضُهُمْ عَنِ اسْتِغْفَارِ الرَّسُولِ وَعَنِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مَنْ
عِنْدَهُ

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُنَافِقِينَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ أَنَّهُمْ:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْؤُهُمْ وَسُئِمُوا
صَدُّوا وَأَعْرَضُوا عَمَّا قِيلَ لَهُمْ اسْتِجَابًا عَنْ ذَلِكَ وَاحْتِقَارًا
لِمَا قِيلَ لَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ثُمَّ جَازَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ، وَقَدْ
تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ، وَإِرَادُ الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَّةِ هُنَاكَ.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ هَذَا السِّيَاقَ كُلَّهُ نَزَلَ
فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سَلُولَ كَمَا سَنُورِدُهُ قَرِيبًا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى، وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ. وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ فِي السَّيَرَةِ: وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ،
يَعْنِي مَرْجِعَهُ مِنْ أُحُدٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ سَلُولَ
كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ لَهُ مَقَامٌ يَقُومُهُ كُلُّ جُمُعَةٍ،
لَا يُنْكِرُ، شَرَفًا لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا،
إِذَا جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَامَ
فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ،
أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ بِهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِهِ فَانْصُرُوهُ وَعَزِّزُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ
وَاطِيعُوا، ثُمَّ يَجْلِسُ حَتَّى إِذَا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا صَنَعَ، يَعْنِي
مَرْجِعَهُ بِثَلَاثِ الْجَيْشِ وَرَجَعَ النَّاسُ، قَامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا
كَانَ يَفْعَلُهُ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِشِيَابِهِ مِنْ تَوَاجِيهِ وَقَالُوا:
اجْلِسْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ لَسْتَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ وَقَدْ صَنَعْتَ مَا
صَنَعْتَ، فَخَرَجَ يَخْطِي رِقَابَ النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ

لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بُعْجًا أَنْ قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرُهُ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ
الْأَنْصَارِ بَابَ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: وَتِلْكَ مَالِكٌ؟ قَالَ: قُمْتُ
أَشَدُّ أَمْرُهُ فَوُتِبَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَجِدُونَنِي
وَيَعْتَفُونَنِي، لَكَأَنَّمَا قُلْتُ بُعْجًا أَنْ قُمْتُ أَشَدُّ أَمْرُهُ. قَالُوا:
وَتِلْكَ أَرْجِعَ يَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَبْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي (٢). وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ غُلَامًا مِنْ قَرَابَتِهِ انْطَلَقَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ عَنْهُ وَأَمْرٍ شَدِيدٍ، فَدَعَاهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَخْلِفُ بِاللَّهِ وَيَتَبَرَّأُ مِنْ ذَلِكَ،
وَأَقْبَلَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى ذَلِكَ الْغُلَامِ فَلَامُوهُ وَعَزَّلُوهُ، وَأَنْزَلَ
اللَّهُ فِيهِ مَا تَسْمَعُونَ، وَقِيلَ لِعَدُوِّ اللَّهِ: لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُلَوِّي رَأْسَهُ، أَيُّ لَسْتَ فَاعِلًا (٣).

(١) أحمد: ٢٩٣/٢ قال الهيثمي في المجمع ١١٢/١ رواه أحمد
والبزار وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي قال ابن حجر: ضعيف
[تقريب: ٤٧٠٧] (٢) ابن هشام: ١١١/٣ (٣) الطبري: ٢٣/

وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَنَامُوا وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ^(١).
وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ:
سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ
الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ دَعُوهَا
فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوفٍ: وَقَدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهُ
لَيَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، قَالَ
جَابِرٌ: وَكَانَ الْأَنْصَارُ بِالْمَدِينَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ
قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ
عُمَرُ: دَغْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(٢).
وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٤).

وَذَكَرَ عِكْرَمَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ النَّاسَ لَمَّا قَتَلُوا
رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [ابْنُ أَبِي ابْنِ
سُلُوفٍ] هَذَا عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ فَبَعَلَ النَّاسَ
يَمُرُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَالَ لَهُ ابْنُهُ:
وَرَأَيْكَ! فَقَالَ: مَا لَكَ وَبِئْسَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَجُوزُ مِنْ هَهُنَا
حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ وَأَنْتَ الدَّلِيلُ،
فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِنَّمَا يَسِيرُ سَافَةً، فَشَكَا إِلَيْهِ
عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي ابْنِهِ، فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا حَتَّى تَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:
أَمَّا إِذَا أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَزِ الْآنَ^(٥). وَرَوَى أَبُو
بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هَارُونَ
الْمَدَنِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوفٍ
لِأَبِيهِ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ أَبَدًا حَتَّى تَقُولَ: رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ الْأَعَزُّ وَأَنَا الْأَذَلُّ. قَالَ: وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ أَبِي؟ فَوَ
الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ قَطُّ هَبْنِي لَهُ، وَلَيْسَ
شَيْءٌ أَنْ آتِيكَ بِرَأْسِهِ لَأَتَيْتُكَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى قَاتِلَ
أَبِي^(٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
يَحْيَى بْنُ حَبَّانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ
قَتَادَةَ فِي قِصَّةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقِيمٌ
هُنَاكَ اقْتَتَلَ عَلَى الْمَاءِ جَهْجَاهُ بْنُ سَعِيدٍ الْغِفَارِيُّ، وَكَانَ
أَجِيرًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:
فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ حَبَّانَ قَالَ: أَرَدَحَمَا عَلَى الْمَاءِ
فَاقْتَتَلَا، فَقَالَ سِنَانُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْجَهْجَاهُ:
يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَتَمَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ: قَدْ تَأَوَّرُونَا فِي بِلَادِنَا،
وَاللَّهُ مَا مَثَلْنَا وَجَلَابِيبُ قُرَيْشٍ هَذِهِ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:
سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، وَاللَّهُ لَيَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ
الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ:
مَا صَنَعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَخَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ
أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَفَفْتُمْ عَنْهُمْ لَتَحَوَّلُوا عَنْكُمْ مِنْ
بِلَادِكُمْ إِلَى غَيْرِهَا، فَسَمِعَهَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَذَهَبَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ عَلِيمٌ - عِنْدَهُ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرُ، فَقَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْ عِبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَضْرِبْ
عُنُقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَيْتَ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ يَا
عُمَرُ، أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا، وَلَكِنْ نَادِ يَا عُمَرُ
الرَّحِيلَ» فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنَّ ذَلِكَ قَدْ بَلَغَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ أَنَاهُ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَخَلَفَ بِاللَّهِ مَا قَالَ مَا قَالَ عَلَيْهِ
زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَكَانَ عِنْدَ قَوْمِهِ بِمَكَاةٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامُ أَوْهَمَ وَلَمْ يُثْبِتْ مَا قَالَ
الرَّجُلُ.

وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُهْجَرًا فِي سَاعَةٍ كَانَ لَا يَرُوحُ
فِيهَا، فَلَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
بِحَبِيَّةِ النَّبُوَّةِ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا
كُنْتُ تَرُوحُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا بَلَغَكَ مَا قَالَ
صَاحِبُكَ ابْنُ أَبِي؟ زَعَمَ أَنَّهُ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ سَيُخْرِجُ الْأَعَزُّ
مِنْهَا الْأَذَلَّ» قَالَ: فَأَنْتَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - الْعَزِيزُ وَهُوَ
الدَّلِيلُ. ثُمَّ قَالَ: ارْزُقْ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ
بِكَ وَإِنَّا لَنَنْظِمُ لَهُ الْخَزَرَ لِنُتَوَّجَهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّ قَدْ سَلَبْتَهُ
مُلْكًا، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ حَتَّى أَمْسَوْا وَلَيْلَتُهُ حَتَّى
أَصْبَحُوا، وَصَدَرَ يَوْمِهِ حَتَّى اشْتَدَّ الضُّحَى ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ
لِيَسْغَلَهُمْ عَمَّا كَانَ مِنَ الْحَدِيثِ، فَلَمْ يَأْمِنْ النَّاسُ أَنَّ

(١) ابن هشام: ٢٩٠-٢٩٢/٢ (٢) دلائل النبوة: ٥٣/٤ (٣)

أحمد: ٣٩٢/٣ (٤) البخاري: ٤٩٠٧ ومسلم: ٢٥٨٤ (٥)

الطبري: ٤٠٣/٢٣ و٤٠٥ (٦) مسند الحميدي: ٥٢٠/٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِخَّرُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَمِيزُونَ فَاكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لِيُبْعَثُوا بِلَى وَرِى
لِنُبْعَثَ ثُمَّ لَسْتُ بِنَبِيٍّ وَمَا عِلْمُهمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْعَلُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَافِ وَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾
[التَّسْبِيحُ لِلَّهِ وَذِكْرُ خَلْقِهِ وَعِلْمِهِ]

هَذِهِ السُّورَةُ هِيَ آخِرُ الْمُسَبِّحَاتِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى
تَسْبِيحِ الْمَخْلُوقَاتِ لِإِبَارَتِهَا وَمَالِكِهَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:
﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أَيُّ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ
الْكَائِنَاتِ، الْمُحْمَدُ عَلَى جَمِيعِ مَا يَخْلُقُهُ وَيُقَدِّرُهُ. وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَيُّ مَهْمَا أَرَادَ كَانَ بِلاَ
مُنَافِعٍ وَلَا مَدَافِعٍ وَمَا لَمْ يَسَأْ لَمْ يَكُنْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ
الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أَيُّ هُوَ الْخَالِقُ لَكُمْ
عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَرَادَ مِنْكُمْ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ
مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَهُوَ الْبَصِيرُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ وَمَنْ
يَسْتَحِقُّ الضَّلَالَ، وَهُوَ شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِ عِبَادِهِ وَسَيَجْزِيهِمْ
بِهَا أَنْتُمْ الْجَزَاءُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ

ذِكْرُ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ ﴿١﴾
وَأَنفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾
[الْحَثُّ عَلَى عَدَمِ الْإِسْتِغَالِ بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا، وَعَلَى
الصَّدَقَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ]

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، وَنَاهِيًا
لَهُمْ عَنْ أَنْ تَشْغُلَهُمُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ عَنْ ذَلِكَ، وَمُخْبِرًا
لَهُمْ بِأَنَّهُ مَنْ التَّهَيَّأَ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَبِيتِهَا عَمَّا خُلِقَ لَهُ
مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ وَذِكْرِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ يَخْسِرُونَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي
طَاعَتِهِ فَقَالَ: ﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ فَكُلُّ مُفْرَطٍ يَنْدُمُ عِنْدَ الْإِحْضَارِ، وَيَسْأَلُ طُولَ
الْمُدَّةِ وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا لِيَسْتَعْتِبَ وَيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ وَهِنِهَا،
كَانَ مَا كَانَ وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَكُلُّ بِحَسَبِ تَقْرِيطِهِ، أَمَّا
الْكُفَّارُ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ
وَنَسِجَ الْرِشْلِ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَفْسَنْهُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمُ مِنْ
رِزَالِي﴾ [إِبْرَاهِيم: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا
إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾
[الْمُؤْمِنُونَ: ٩٩، ١٠٠]. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا
إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ لَا يُنْظَرُ أَحَدًا بَعْدَ
حُلُولِ أَجَلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ وَأَخْبِرُ بِمَنْ يَكُونُ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ
وَسُؤَالِهِ وَمَنْ لَوْ رَدَّ لَعَادَ إِلَى شَرٍّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ
التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّغَابُنِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿يَسِخَّرُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ

أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أَيُّ لَتُخْبِرُنَّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ جَلِيلَهَا وَخَفِيرَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أَيُّ بَعْثُكُمْ وَمُجَارَاتُكُمْ، وَهَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُقَسِّمَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَفُوعِ الْمَعَادِ وَوُجُودِهِ، فَلَا أَوْلَىٰ فِي سُورَةِ يُوسُفَ ﴿يَسْتَسْتَفِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَشَدُّ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية: ٥٣] وَالثَّانِيَةُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ... الْآيَةُ. وَالثَّالِثَةُ هِيَ هَذِهِ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَمُّوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْوَرَّاءَ الَّذِينَ أَرْزَلْنَا﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أَيُّ فَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَافِيَةٌ.

[ذَكَرَ يَوْمَ التَّغَابُنِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسَمِّعُهُم الدَّاعِي وَيَنْذُهُمُ الْبَصَرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ تَجْمَعُ لُهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴿[الواقعة: ٤٩، ٥٠]﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُغْبَتُونَ أَهْلَ النَّارِ^(١). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ^(٢). وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَبَّانٍ: لَا غَبْنٌ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُدْخَلَ هَؤُلَاءِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَيُذْهَبَ بِأُولَئِكَ إِلَى النَّارِ. قُلْتُ: وَقَدْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ مِثْلِ هَذِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ وَصَوِّرَكُمْ فَخَسَّنَ صُورَكُمْ﴾ أَيُّ أَحْسَنَ أَشْكَالِكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَبِيرُ﴾ [الأنفطار: ٦-٨] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ... الْآيَةُ [غافر: ٦٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيُّ الْمَرْجِعِ وَالْمَأْبِ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْفِثُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُنَا بِكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَآسَفَقَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَسْبٌ

[الْإِنذَارُ بَيِّنَاتٍ إِهْلَاكِ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْكُفَّارِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْأَسْمِ الْمَاضِينَ وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ فِي مُخَالَفَةِ الرُّسُلِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أَيُّ خَبَرُهُمْ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهم﴾ أَيُّ وَخِيمَ تَكْذِيبِهِمْ وَرَدِيءِ أفعالِهِمْ، وَهُوَ مَا حَلَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالْجَزَى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيُّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مُضَافٌ إِلَىٰ هَذَا الدُّنْيَا، ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَيُّ بِالْحُجُجِ وَالذَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ ﴿فَقَالُوا أَبَشِّرْهُنَا بِكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَآسَفَقَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَسْبٌ﴾

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فَاتَمُّوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْوَرَّاءَ الَّذِينَ أَرْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿[الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَمَاتِ حَقٌّ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُلْحِدِينَ

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

[مَا يُصِيبُ الْمَرْءَ فَهُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا بِمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. وَهَكَذَا قَالَ هُنَا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِأَمْرِ اللَّهِ، يَغْنِي عَنْ قَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أَيْ وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَاسْتَسَلَّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ. وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هَدَى فِي قَلْبِهِ وَبَقِيْنَا صَادِقًا، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَحَدٌ مِنْهُ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يَغْنِي يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ^(١).

وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»^(٢).

[الْأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أَمْرٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَرَعَ، وَفَعَلَ مَا بِهِ أَمَرَ، وَتَرَكَ مَا عَنْهُ نَهَى وَرَجَرَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أَيْ إِنْ تَكَلَّمْتُمْ عَنِ الْعَمَلِ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ مِنَ الْبَلَاغِ، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ^(٣).

[التَّوْحِيدُ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا أَنَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فَلَا أَوَّلَ خَبَرٍ عَنِ التَّوْحِيدِ وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الطَّلَبِ، أَيْ وَحْدُوا الْإِلَهِيَّةَ لَهُ وَأَخْلَصُوهَا لَدَيْهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِنْ تَقْرَضُوا مِنْ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِنْ تَقْرَضُوا مِنْ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾

[التَّحْذِيرُ مِنَ فِتْنَةِ الْأَرْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْأَرْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ: إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ عُدُوُّ الزَّوْجِ وَالْوَالِدِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَلْتَمِي بِهِ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَغْنِي عَلَى دِينِكُمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عُدُوَّكُمْ﴾ قَالَ: يَحْمِلُ الرَّجُلُ عَلَى قَطِيعَةٍ

(١) الطبري: ٤٢١/٢٣ (٢) مسلم: ٢٢٩٥/٤ (٣) البخاري:

[التَّوْبَةُ فِي الصَّدَقَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ أَيِ وَابْذُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْأَقَارِبِ، وَالْفُقَرَاءِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَذَوِي الْحَاجَاتِ. وَأَحْسِنُوا إِلَى خَلْقِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَا تَفْعَلُوا يَكُنْ شَرًّا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْتِ شَيْءًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاعِلُونَ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ، وَذَكَرَ الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةَ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ أَيِ مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ. وَمَهْمَا تَصَدَّقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَعَلَيْهِ جَزَاؤُهُ، وَنَزَلَ ذَلِكَ مَثَلُهُ الْقَرْضُ لَهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «مَنْ يَقْرِضُ غَيْرَ ظُلْمٍ وَلَا عَدِيمٍ؟»^(١). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُضَاعَفُهُ لَكُمْ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿فِيضَعُفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ أَيِ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ السَّيِّئَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ أَيِ يَجْزِي عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ ﴿حَلِيمٌ﴾ أَيِ يَضْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَسْتُرُ، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالزَّلَّاتِ وَالْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتِ ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَاللَّهْدَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ.

أَجْرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّلَاقِ
وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنِيئَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [تَطْلُقُ الْمَرْأَةُ لِعِدَّتِهَا، وَلَا تُخْرَجُ مِنْ بَيْتِهَا، وَتُحْصَى

الرَّحِمُ أَوْ مَعْصِيَةُ رَبِّهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الرَّجُلُ مَعَ حُبِّهِ إِلَّا أَنْ يُطِيعَهُ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَنْزَلْتُمْ عَلَيْكُمْ عَذَابًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمُ﴾ قَالَ: فَهَؤُلَاءِ رِجَالٌ أَشْلَمُوا مِنْ مَكَّةَ، فَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أَنْ يَدْعُوهُمْ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ رَأَوْا النَّاسَ قَدْ فَفَهُوا فِي الدِّينِ، فَهَمُّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَلَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّمَا الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ فِتْنَةٌ أَيْ اخْتِبَارٌ وَابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أَيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ [آل عمران: ١٤] وَالتِّي بَعْدَهَا، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ بَرِيدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْسِيَانِ وَيَعُورَانِ، فَتَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُنْبَرِ، فَحَمَلَهُمَا، فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْسِيَانِ وَيَعُورَانِ، فَلَمْ أَضِبرْ حَتَّى قَطَعْتُ حِدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»^(٢). وَرَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ^(٣).

[الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى بِقَدْرِ الْإِسْطَاعَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أَيِ جُهِدْكُمْ وَطَاقَتْكُمْ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أَيِ كُونُوا مُتَقَاتِلِينَ لِمَا يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَلَا تَحِيدُوا عَنْهُ بِمَنَّةٍ وَلَا بَسَرَةٍ، وَلَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَمَّا بِهِ أَمَرْتُمْ. وَلَا تَرْكَبُوا مَا عَنْهُ رُجْرْتُمْ.

(١) تحفة الأحوذى: ٢٢٢/٩ (٢) أحمد: ٣٥٤/٥ (٣) أبو داود: ٦٦٣/١ وتحفة الأحوذى: ٢٧٨/١٠ والنسائي: ١٠٨/٣ وابن ماجه: ١١٩٠/٢ (٤) فتح الباري: ٢٦٤/١٣ ومسلم: ٢/٩٧٥ (٥) مسلم: ٥٢٢/١

عَدَّتْهَا

خُوطِبَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلًا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا ثُمَّ خَاطَبَ الْأُمَّةَ بَعَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَعَيَّظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «لِيُرَاجِعَهَا ثُمَّ يُمَسِّكُهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا، فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْسَسَهَا، فَيَلِكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَهُنَا، وَقَدْ رَوَاهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ وَمُسْلِمٌ وَلَفْظُهُ: «فَيَلِكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ»^(٢).

وَأَمْسَ لَفْظُ يُوْرَدُ هَهُنَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَيْمَنَ مَوْلَى عَزَّةَ يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَسْمَعُ: كَيْفَ تَرَى فِي الرَّجُلِ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا؟ فَقَالَ: طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امْرَأَتَهُ حَائِضًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِيُرَاجِعَهَا - فَرَدَّهَا وَقَالَ: - إِذَا طَهَّرْتَ فَلْيُطَلِّقْ أَوْ يُمَسِّكْ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عَدَّتِهِنَّ)^(٣). وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قَالَ: الطُّهُرُ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ^(٤). وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَعَطَاءٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَابْنِ سِيرِينَ وَقَتَادَةَ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ عِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ^(٥). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قَالَ: لَا يُطَلِّقُهَا وَهِيَ حَائِضٌ وَلَا فِي طُحْرِ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَكِنْ يَتْرُكُهَا حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهَّرَتْ طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً^(٦). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ الْعِدَّةُ: الطُّهُرُ وَالْقُرْءُ: الْحَيْضَةُ. أَنَّ يُطَلِّقُهَا حُبْلَى مُسْتَيْبِنًا حَمْلُهَا، وَلَا يُطَلِّقُهَا وَقَدْ طَافَ عَلَيْهَا، وَلَا يَذَرِي حُبْلَى هِيَ أُمٌ لَا؟ وَمِنْ هَهُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ وَقَسَمُوهُ إِلَى طَلَاقِ سُنَّةٍ وَطَلَاقِ بِدْعَةٍ: فَطَلَاقِ السُّنَّةِ أَنْ يُطَلِّقَهَا طَاهِرَةً مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، أَوْ حَامِلًا قَدْ اسْتَبَانَ حَمْلُهَا. وَالْبِدْعَةُ هُوَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ، أَوْ فِي طُحْرِ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَا يَذَرِي أَحْمَلَتْ أَمْ لَا. وَطَلَاقُ ثَالِثٍ لَا سُنَّةَ - فِيهِ - وَلَا بِدْعَةَ وَهُوَ طَلَاقُ

سُورَةُ الطَّلَاقِ

٥٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ فَدَجَّلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَبْسُنُ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَزَقْتُمْ فَعَدَّتْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سِيَئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

الصَّغِيرَةَ وَالْآيِسَةَ وَغَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهَا.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أَيِ اخْفَظُوهَا وَاعْرِفُوهَا ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، لِئَلَّا تَطُولَ الْعِدَّةُ عَلَى الْمَرْأَةِ فَتَمْتَنِعَ مِنَ الْأَزْوَاجِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أَيِ فِي ذَلِكَ.

[الْفَقْهُ وَالسُّكْنَى عَلَى الرَّوْجِ فِي عِدَّةِ الرَّجْعِيَّةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾ أَيِ فِي مُدَّةِ الْعِدَّةِ، لَهَا حَقُّ السُّكْنَى عَلَى الرَّوْجِ، مَا دَامَتْ مُعْتَدَّةً مِنْهُ. فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ أَنْ يُخْرِجَهَا وَلَا يَجُوزَ لَهَا أَيْضًا الْخُرُوجُ، لِأَنَّهَا مُعْتَقَلَةٌ لِحَقِّ الرَّوْجِ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ أَيِ لَا يُخْرِجَنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ إِلَّا أَنْ تَرْتَكِبَ الْمَرْأَةُ فَاحِشَةً مُبَيَّنَةً، فَتَخْرُجَ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَالْفَاحِشَةُ الْمُبَيَّنَةُ: تَشْمَلُ الزُّنَا كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ

(١) فتح الباري: ٥٢١/٨ (٢) فتح الباري: ٢٥٨/٩ و٣٩٣ ومسلم: ١٠٩٤/٢ و١٠٩٥ (٣) مسلم: ١٠٩٨/٢ (٤) الطبري: ٤٣٢/٢٣ (٥) الطبري: ٤٣٢/٢٣ و٤٣٤ (٦) الطبري: ٤٣٥/٢٣

الْحَدِيثُ.

وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أُخْتِ الصَّحَّاحِ بْنِ قَيْسٍ الْقُرَشِيِّ، وَرَوَّجَهَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصٍ بْنُ الْمُعْبِرَةِ الْمَخْزُومِيُّ فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ أَرْسَلَ إِلَيَّ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ فِي حَبْشٍ إِلَى الْيَمَنِ بِطَلَّاقِي، فَسَأَلْتُ أَوْلِيَاءَهُ الثَّقَفَةَ عَلَيَّ وَالسُّكْنَى، فَقَالُوا: مَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ شَيْئًا وَلَا أَوْصَانًا بِهِ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنَ حَفْصٍ أَرْسَلَ إِلَيَّ بِطَلَّاقِي، فَسَأَلْتُ أَوْلِيَاءَهُ السُّكْنَى وَالثَّقَفَةَ عَلَيَّ، فَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُ: لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا السُّكْنَى وَالثَّقَفَةُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ لِرُجُوعِهَا عَلَيْهَا رَجْعَةٌ، فَإِذَا كَانَتْ لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ رُجُوعًا غَيْرَهُ: فَلَا نَفَقَةَ لَهَا وَلَا سُكْنَى»^(٧). وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٨).

«فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَهُنَّ فَاتَّسَبَّحْنَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»^(٩) وَرَفَعَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^(١٠)

[الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُطْلَقَةِ سَوَاءً أَرَادَ الرَّجْعَةَ أَوْ الْفِرَاقَ]

يَقُولُ تَعَالَى: فَإِذَا بَلَغَتِ الْمُعْتَدَاتُ أَجَلَهُنَّ، أَيِ شَارَفْنَ عَلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ وَقَارَبْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ تَقْرُغِ الْعِدَّةُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَحَيِّزٌ إِمَّا أَنْ يَعْزِمَ الرُّجُوعَ عَلَى إِمْسَاكِهَا، وَهُوَ رَجَعْتُهَا إِلَى عِصْمَةِ نِكَاحِهِ وَالِاسْتِمْرَارُ بِهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَهُ «بِمَعْرُوفٍ» أَيِ مُحْسِنًا إِلَيْهَا فِي صُحْبَتِهَا، وَإِمَّا أَنْ يَعْزِمَ عَلَى مُفَارَقَتِهَا بِمَعْرُوفٍ، أَيِ مِنْ غَيْرِ مُقَابَحَةٍ وَلَا مُشَاتَمَةٍ وَلَا تَغْنِيفٍ، بَلْ يُطْلَقُهَا عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ وَسَبِيلٍ حَسَنٍ.

عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَأَبُو قَلَابَةَ، وَأَبُو صَالِحٍ وَالصَّحَّاحُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ، وَالسُّدِّيُّ وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلَالٍ وَغَيْرُهُمْ^(١١). وَتَشْمَلُ مَا إِذَا نَشَرَتْ الْمَرْأَةُ أَوْ بَدَتْ عَلَى أَهْلِ الرَّجُلِ، وَادَّعَتْ فِي الْكَلَامِ وَالْفِعَالِ. كَمَا قَالَ أَبُو بِنٍ كَعْبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ وَغَيْرُهُمْ^(١٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» أَيِ شَرَائِعُهُ وَمَحَارِمُهُ «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» أَيِ يَخْرُجُ عَنْهَا، وَيَتَجَاوَزُهَا إِلَى غَيْرِهَا وَلَا يَأْتِمِرُ بِهَا «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» أَيِ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

[مَصْلَحَةُ الْإِعْتِدَادِ فِي بَيْتِ الرُّجُوعِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» أَيِ إِنَّمَا أَتَيْنَا الْمُطْلَقَةَ فِي مَنْزِلِ الرُّجُوعِ فِي مَدَّةِ الْعِدَّةِ، لَعَلَّ الرُّجُوعَ يَنْدُمُ عَلَى طَلَّاقِهَا وَيَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَجْعَتَهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَيْسَرَ وَأَسْهَلَ. قَالَ الزَّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» قَالَتْ: هِيَ الرَّجْعَةُ^(١٣). وَكَذَا قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَعَطَاءُ، وَقَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ، وَالتَّوْرِيُّ^(١٤).

[لَا نَفَقَةَ وَلَا سُكْنَى لِلْمَبْتُوتَةِ]

وَمِنْ هُنَا ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ مِنَ السَّلَفِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ، إِلَى أَنَّهُ لَا تَجِبُ السُّكْنَى لِلْمَبْتُوتَةِ وَاعْتَمَدُوا أَيْضًا عَلَى حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الْفُهْرِيَّةِ حِينَ طَلَّقَهَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصٍ آخِرَ ثَلَاثِ تَطْلِيقَاتٍ، وَكَانَ غَائِبًا عَنْهَا بِالْيَمَنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِذَلِكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكَيْلُهُ بِشَعِيرٍ يَعْنِي نَفَقَةَ فَسَخَطَتْهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيْسَ لَكَ عَلَيْنَا نَفَقَةٌ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ» وَلِمُسْلِمٍ: «وَلَا سُكْنَى» وَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ثُمَّ قَالَ: «تِلْكَ أَمْرَاةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ نِيبَكَ»^(١٥). الْحَدِيثُ.

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى بِلَفْظٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْظُرِي يَا بِنْتُ آلِ قَيْسٍ إِنَّمَا الثَّقَفَةُ وَالسُّكْنَى لِلْمَرْأَةِ عَلَى رُجُوعِهَا، مَا كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَا رَجْعَةٌ فَلَا نَفَقَةَ وَلَا سُكْنَى، اخْرُجِي فَانْزِلِي عَلَى فُلَانَةٍ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، انْزِلِي عَلَى ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ أَعْمَى لَا يَرَاكَ»^(١٦). . . وَذَكَرَ تَمَامَ

(١) الطبري: ٤٣٨/٢٣ والقريطي: ١٥٦/١٨ والدر المنثور: ٨/

١٩٤ (٢) الطبري: ٤٣٨/٢٣ (٣) الطبري: ٤٤١/٢٣ (٤)

الطبري: ٤٤٢/٢٣ والقريطي: ١٥٧/١٨ والدر المنثور: ٨/١٩٤

(٥) مسلم: ١٤٨٠ (٦) أحمد: ٣٧٣/٦ (٧) الطبراني في

الكبير: ٣٨٢/٢٤ (٨) النسائي: ١٤٤/٦

[الْأَمْرُ بِالْإِشْهَادِ عَلَى الرَّجْعَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ أَيُّ عَلَى الرَّجْعَةِ إِذَا عَزَمْتُمْ عَلَيْهَا. كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ ثُمَّ يَفْعُ بِهَا وَلَمْ يَشْهَدْ عَلَى طَلَاقِهَا وَلَا عَلَى رَجْعَتِهَا، فَقَالَ: طَلَّقْتَ لِغَيْرِ سُنَّةٍ وَرَجَعْتَ لِغَيْرِ سُنَّةٍ، أَشْهَدْ عَلَى طَلَاقِهَا وَعَلَى رَجْعَتِهَا وَلَا تَعُدُّ^(١). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ كَانَ عَطَاءٌ يَقُولُ: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ قَالَ: لَا يَجُوزُ فِي نِكَاحٍ وَلَا طَلَاقٍ وَلَا رَجَاعٍ إِلَّا شَاهِدَا عَدْلٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ عُدْرٍ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أَيُّ هَذَا الَّذِي أَمَرْنَاكُمْ بِهِ مِنَ الْإِشْهَادِ وَإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ إِنَّمَا يَأْتِمُرُ بِهِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّهُ شَرَعَ هَذَا وَمَنْ يَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

[يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُمْ وَيُكْفِيهِمْ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا^(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أَيُّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَا عَنْهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ أَيُّ مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِأَيْلِهِ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(٣)﴾ [النحل: ٩٠] وَإِنَّ أَكْبَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَرَجًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وَقَالَ عِكْرَمَةُ مَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا^(٤). وَكَذَا رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكِ. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمَسْرُوقٌ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ إِنْ شَاءَ أَعْطَى وَإِنْ شَاءَ مَنَعَ ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أَيُّ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي^(٥). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ أَيُّ مِنْ شَهَاتِ الْأُمُورِ وَالْكُرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ مِنْ حَيْثُ لَا يَرْجُو وَلَا يَأْمَلُ^(٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ

يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجُمِعَتِ الصُّحُفُ^(٧). وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أَيُّ مُنْهَظَ قَضَائَاهُ وَأَحْكَامَهُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يُرِيدُهُ وَيَشَاءُهُ ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

﴿وَالَّذِي يَسِّرُ مِنَ الْمَاحِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا^(٩)﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ لِإِنِّكَ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا^(١٠)﴾

[عِدَّةُ الْآيَةِ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُبَيِّنًا لِعِدَّةِ الْآيَةِ، وَهِيَ الَّتِي انْقَطَعَ عَنْهَا الْمَحِضُ لِكِبَرِهَا، أَنَّهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، عِوَضًا عَنِ الثَّلَاثَةِ قُرُوءٍ فِي حَقِّ مَنْ تَحِضُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَةُ الْبَقَرَةِ، وَكَذَا الصَّغَارُ اللَّائِي لَمْ يَبْلُغْنَ سِنَّ الْحَيْضِ: أَنَّ عِدَّتَهُنَّ كَعِدَّةِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

(أَحَدُهُمَا) وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ كُمُجَاهِدٍ وَالرُّهْرِيِّ وَابْنِ زَيْدٍ أَيُّ إِنْ رَأَيْتُمْ دَمًا وَشَكَكْتُمْ فِي كَوْنِهِ حَيْضًا أَوْ اسْتِحَاضَةً وَارْتَبْتُمْ فِيهِ^(١١). (وَالْقَوْلُ الثَّانِي) إِنْ ارْتَبْتُمْ فِي حُكْمِ عِدَّتِهِنَّ وَلَمْ تَعْرِفُوهُ فَهُوَ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ. وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جُرَيْجٍ^(١٢). وَهُوَ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ عَدَدًا مِنْ عِدِّ النِّسَاءِ لَمْ تُذَكَّرْ فِي الْكِتَابِ: الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّتِي يَسِّرُ مِنَ الْمَاحِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ^(١٣)﴾. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْطٍ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ نَاسًا مِنْ

(١) أبو داود: ٦٣٧/٢ وابن ماجه: ٦٥٢/١ (٢) أحمد: ٥/

١٧٨ (٣) الطبري: ٤٤٦/٢٣ (٤) الطبري: ٤٤٥/٢٣ ٤٤٦

(٥) الطبري: ٤٤٨/٢٣ (٦) أحمد: ٢٩٣/١ (٧) تحفة

الأحادي: ٢١٩/٧ (٨) الطبري: ٤٥٠/٢٣ (٩) الطبري:

٤٥٢/٢٣ (١٠) الطبري: ٤٥١/٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٩

سُورَةُ الطَّلَاقِ

أَسْكُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا نِصَارُوهُمْ لِيُصَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلًا فَأَنْقِصُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَامْسُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا يَتِيمَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُنَّ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِهَا عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خَسِرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَلَؤُوا الصَّلَاحَاتِ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

وَقَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نَفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَابِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكِكَ فَقَالَ لَهَا: مَالِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكَ تَرْجِينَ النِّكَاحَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِتَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ.

قَالَتْ سَبْعَةٌ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَقَاتَنِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوِيجِ إِنْ بَدَأَ لِي ^(٦). هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصَرًا ^(٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْقَى اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أَيُّ يُسْهَلْ لَهُ أَمْرُهُ وَيُسْرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلْ لَهُ فَرْجًا قَرِيبًا وَمَخْرَجًا

أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ فِي عِدَّةِ النِّسَاءِ قَالُوا: لَقَدْ بَقِيَ مِنْ عِدَّةِ النِّسَاءِ عِدَّةٌ لَمْ يَذْكُرْنَ فِي الْقُرْآنِ: الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ اللَّائِي قَدْ انْقَطَعَ مِنْهُنَّ الْحَيْضُ، وَذَوَاتُ الْحَمْلِ. قَالَ: فَأَنْزَلَتْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ الْقُصْرَى: ﴿وَالَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَجْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ ^(١).

[عِدَّةُ الْحَامِلِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: وَمَنْ كَانَتْ حَامِلًا فَعِدَّتُهَا بِوَضْعِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْدَ الطَّلَاقِ، أَوْ الْمَوْتِ بِفَوَاقِ نَاقَةٍ، فِي قَوْلِ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، كَمَا هُوَ نَصُّ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَكَمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ. رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ فَقَالَ: أَفْتِنِي فِي أَمْرٍ وَلَدْتُ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِرُ الْأَجَلَيْنِ. قُلْتُ أَنَا: ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَجِي - يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ - فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلَامَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا فَقَالَتْ: قِيلَ زَوْجٌ سَبْعَةَ الْأَسْلِمِيَّةِ وَهِيَ حُبْلَى، فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَخُطِبَتْ فَأَنكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيْمَنْ خُطِبَهَا ^(٢). هَكَذَا أَوْرَدَ الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ هَهُنَا مُخْتَصَرًا، وَقَدْ رَوَاهُ هُوَ وَمُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ الْكُتُبِ مَطْوَلًا مِنْ وَجْهِ أُخَرٍ ^(٣).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الْمُسَوِّدِ بْنِ مَخْرَمَةَ: أَنَّ سَبْعَةَ الْأَسْلِمِيَّةِ تُوَفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَلَمْ تَمُتْ إِلَّا لَيَالِي حَتَّى وَضَعَتْ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نَفَاسِهَا خُطِبَتْ، فَاسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النِّكَاحِ فَإِذَنْ لَهَا أَنْ تَنْكِحَ، فَنَكَحَتْ ^(٤). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ طَرَفٍ عَنْهَا ^(٥). كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ بْنُ الْحَجَّاجِ: عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ: أَنَّ أَبَاهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَرْقَمِ الزُّهْرِيِّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى سَبْعَةَ بَنَاتِ الْحَارِثِ الْأَسْلِمِيَّةِ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ حَدِيثِهَا وَعَمَّا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَفْتَتْهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ سَبْعَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ - وَكَانَ مِنْ شُهَدَا بَدْرًا - فَتُوَفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةٍ الْوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ، فَلَمْ تَنْشُبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ

(١) الحاكم: ٤٩٢/٢ (٢) فتح الباري: ٥٢١/٨ (٣) فتح الباري: ٣٧٩/٩ ومسلم: ١١٢٣/٢ وتحفة الأحمدي: ٣٧٥/٤ والنسائي: ١٩٢/٦ (٤) أحمد: ٣٢٧/٤ (٥) فتح الباري: ٩/٣٧٩ و٣٦٠/٧ وأبو داود: ٧٢٨/٢ والنسائي: ١٩٠/٦ و١٩٦ وابن ماجه: ٦٥٤/١ (٦) مسلم: ١١٢٢ (٧) فتح الباري: ٩/٣٧٩

إِضْرَارٍ وَلَا مُضَارَّةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿لَا تُضَاكِرْهُمَا وَلَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ وَلَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَايَنَ فَمَنْ تَرَى مِنْهُمَا فَتَرَضَّعْ لَهُ أُخْرَى﴾ أَيْ وَإِنْ اخْتَلَفَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ فَطَلَبَتِ الْمَرْأَةُ فِي أَجْرَةِ الرِّضَاعِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُجِبْهَا الرَّجُلُ إِلَى ذَلِكَ، أَوْ بَدَّلَ الرَّجُلُ قَلِيلًا وَلَمْ تُوَافِقْهُ عَلَيْهِ، فَلْيَسْتَرْضِعْ لَهُ غَيْرَهَا، فَلَوْ رَضِيَتْ الْأُمُّ بِمَا اسْتُجِرَتْ بِهِ الْأَجْنِبَةُ فَهِيَ أَحَقُّ بِوَلَدِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ أَيْ لِيُنْفِقَ عَلَى الْمَوْلُودِ وَالِدُهُ أَوْ وَلِيُّهُ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

[قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُتَّقِيَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وَعَدُّ مِنْهُ تَعَالَى وَوَعْدُهُ حَقٌّ لَا يُخْلَفُهُ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦٠٥] وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدِيثًا يَحْسُنُ أَنْ نَذْكُرَهُ هُنَا: فَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ مِنَ السَّلَفِ الْخَالِي لَا يَقْدِرَانِ عَلَى شَيْءٍ، فَجَاءَ الرَّجُلُ مِنْ سَفَرِهِ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ [جَائِعًا] قَدْ أَصَابَتْهُ مَسْغَبَةٌ شَدِيدَةٌ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ عِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ أَبْتِيزُ آتَانَا رِزْقُ اللَّهِ، فَاسْتَحْتَمَهَا فَقَالَ: وَيَحَكِ ابْتِغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ، قَالَتْ: نَعَمْ هُنِيئَةً - تَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ - حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِ الطُّولُ قَالَ: وَيَحَكِ قُومِي فَابْتِغِي إِنْ كَانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَاقْبِئِي بِهِ، فَإِنِّي قَدْ بُلِغْتُ وَجُهِدْتُ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، الْآنَ نَفْتَحُ التَّنَوُّرَ فَلَا تُعْجَلْ، فَلَمَّا أَنْ سَكَتَ عَنْهَا سَاعَةً وَتَحَيَّنَتْ أَنْ يَقُولَ لَهَا، قَالَتْ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهَا: لَوْ قُمْتُ فَنَطَرْتُ إِلَى تَنَوُّرِي، فَقَامَتْ فَنَطَرْتُ إِلَى تَنَوُّرِهَا مَلَانٍ مِنْ جُئُوبِ الْعَنَمِ، وَرَحِييَهَا تَطْحَنَانٍ، فَقَامَتْ إِلَى الرَّحَى فَفَضَّصَتْهَا وَاسْتَخْرَجَتْ مَا فِي تَنَوُّرِهَا مِنْ جُئُوبِ الْعَنَمِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَوَ الَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ هُوَ قَوْلُ مُحَمَّدٍ ﷺ: «لَوْ أَخَذْتُ مَا فِي رَحِييِهَا وَلَمْ تَنْفَضَّهَا [لَطَحَنَتْهَا] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

﴿وَكَايَنَ مِنْ قَرِيبٍ عَنَّتْ عَنْ أُمِّ رَيْحَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا

عَاجِلًا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ أَيْ حُكْمُهُ وَسَرْعُهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ بِوَاسِطَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَقُولُ اللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾ أَيْ يَذْهَبُ عَنْهُ الْمَحْذُورُ، وَيَجْزِلُ لَهُ الثَّوَابُ عَلَى الْعَمَلِ الْمُسِيرِ.

﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِضَيْقُوا عَلَيْهِمْ﴾ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتُ حَمَلٍ فَلْيَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَايَنَ فَمَنْ تَرَى مِنْهُمَا فَتَرَضَّعْ لَهُ أُخْرَى ﴿١﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

[تَسْكُنُ الْمُطَلَّقةُ حَسَبَ مَا يَجِدُ الزَّوْجُ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا عِبَادَهُ إِذَا طَلَّقَ أَحَدُهُمُ الْمَرْأَةَ: أَنْ يُسْكِنَهَا فِي مَنْزِلٍ حَتَّى تَنْفَضِّيَ عِدَّتَهَا فَقَالَ: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أَيْ عِنْدَكُمْ ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي سَعَتِكُمْ^(١). حَتَّى قَالَ قَتَادَةُ: إِنْ لَمْ تَجِدْ إِلَّا حَنْبَ بَيْتِكَ فَاسْكِنَهَا فِيهِ^(٢).

[الْأَنْهَى عَنِ التَّضْيِيقِ عَلَى الْمُطَلَّقةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِضَيْقُوا عَلَيْهِمْ﴾ قَالَ مُقَاتِلُ ابْنِ حَيَّانٍ: يَعْنِي يُضَاجِرُهَا لِتَقْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا لَهَا أَوْ تَخْرُجَ مِنْ مَسْكَنِهِ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي الضُّحَى: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِضَيْقُوا عَلَيْهِمْ﴾ قَالَ: يُطْلَقُهَا إِذَا بَقِيَ يَوْمَانِ رَاجِعَهَا^(٣).

[نَفَقَةُ الْحَامِلِ الْبَائِنِ عَلَى الزَّوْجِ حَتَّى تَضَعَ الْحَمْلَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتُ حَمَلٍ فَلْيَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ﴾ هَذِهِ فِي الْبَائِنِ، إِنْ كَانَتْ حَامِلًا أَنْفَقَ عَلَيْهَا حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا، بِدَلِيلٍ: أَنَّ الرَّجْعِيَّةَ تَجِبُ نَفَقَتُهَا سِوَاءَ كَانَتْ حَامِلًا أَوْ حَائِلًا.

[تَأْخُذُ الْأُمُّ الْمُطَلَّقةُ أَجْرَةَ الرِّضَاعَةِ إِنْ أَرْضَعَتْ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أَيْ إِذَا وَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَهُنَّ طَوَالِقُ فَقَدْ بَنَّ بِانْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ، وَلَهَا جِزْيَةٌ أَنْ تُرَضَّعَ الْوَلَدُ وَلَهَا أَنْ تَمْتَنَعَ مِنْهُ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ تُغْذِيَ بِاللَّبَنِ، وَهُوَ: بَاكُورَةُ اللَّبَنِ الَّذِي لَا قِيَامَ لِلْمَوْلُودِ غَالِبًا إِلَّا بِهِ، فَإِنْ أَرْضَعَتْ اسْتَحَقَّتْ أَجْرَ مِثْلِهَا، وَلَهَا أَنْ تَعَايَدَ أَبَاهُ أَوْ وَلِيَّهُ عَلَى مَا يَتَّفِقَانِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرَةٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أَيْ: وَلْتَكُنْ أُمُورُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ

(١) الطبري: ٤٥٧/٢٣ (٢) الدر المنثور: ٢٠٧/٨ (٣) القرطبي: ١٦٨/١٨ (٤) أحمد: ٤٢١/٢

وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهَا أَمْرًا حُسْرًا ﴿٩﴾
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ
 أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ﴿١٠﴾ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ
 وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾
 [جَزَاءُ الْعُتُوِّ عَنْ أَمْرِ الرَّبِّ]

يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ
 وَسَلَّكَ غَيْرَ مَا شَرَعَهُ، وَمُخْبِرًا عَمَّا حَلَّ بِالْأَمَمِ السَّالِفَةِ
 بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ مِنْ قَرْنِهِ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا
 وَرُسُلِهِ﴾ أَيِ تَمَرَّدَتْ وَطَعَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ عَنْ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ
 وَمُتَابَعَةِ رُسُلِهِ ﴿فَمَاسَبَتْهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ أَيِ
 مُنْكَرًا فَظِيمًا ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أَيِ غِبِّ مُحَالَفَتِهَا، وَنَدِمُوا
 حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ ﴿وَكَانَ عِقَبُهَا أَمْرًا حُسْرًا﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
 عَذَابًا شَدِيدًا ﴿أَيِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مَعَ مَا [عَجَلَ] لَهُمْ مِنْ
 الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ مَا قَصَّ مِنْ خَبَرِ
 هَؤُلَاءِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ﴾ أَيِ الْأَفْهَامِ
 الْمُسْتَقِيمَةِ، لَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَيُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ يَا أُولِي
 الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَيِ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ
 إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
 وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

[صِفَةُ الرُّسُولِ ﷺ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قَالَ
 بَعْضُهُمْ: رُسُلًا مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلُ اسْتِمَالٍ وَمُلَابَسَةٍ،
 لِأَنَّ الرُّسُولَ هُوَ الَّذِي بَلَغَ الذِّكْرَ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:
 الصَّوَابُ: أَنَّ الرُّسُولَ تَرْجُمَةٌ عَنِ الذِّكْرِ يَعْنِي تَفْسِيرًا
 لَهُ^(١). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ
 مُبَيِّنَاتٍ﴾ أَيِ فِي حَالِ كَوْنِهَا بَيِّنَةً وَاضِحَةً جَلِيلَةً ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
 [إبراهيم: ١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُغْفِرْ لَهُمْ
 مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] أَيِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ
 وَالْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ، وَقَدْ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى
 الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ نُورًا؛ لِمَا يُحْصَلُ بِهِ مِنَ الْهُدَى، كَمَا
 سَمَّاهُ رُوحًا، لِمَا يُحْصَلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ فَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

عِلْمًا ﴿١٢﴾
 [بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ]
 يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قُدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ
 لِيَكُونَ ذَلِكَ بَاعِثًا عَلَى تَعْظِيمِ مَا شَرَعَ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ
 قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾
 [نوح: ١٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
 فِيهِنَّ﴾ [الاسراء: ٤٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أَيِ
 سَبْعًا أَيْضًا: كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ
 الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٢). وَفِي صَحِيحِ
 الْبُخَارِيِّ: «خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣). وَقَدْ ذَكَرْتُ
 طَرَفَهُ وَالْفَاطِلَةَ وَعَزَوُّهُ فِي أَوَّلِ «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ» عِنْدَ ذِكْرِ
 خَلْقِ الْأَرْضِ^(٤). وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَمَنْ حَمَلَ ذَلِكَ
 عَلَى سَبْعَةِ أَقَالِيمٍ فَقَدْ أَبْعَدَ التَّجَعُّعَ، وَأَغْرَقَ فِي التَّرَعُّعِ،
 وَخَالَفَ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ بِلا مُسْتَنَدٍ.
 آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطَّلَاقِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّحْرِيمِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّلِ مِنْ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكَ نِكَاحَ أَيْمَنِكَمُ وَاللَّهُ مَوْلَاكَ وَهُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّاتِ
 بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ
 قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَتَّلَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٣ إِنْ نُبَاكَ إِلَى اللَّهِ

(١) الطبري: ٤٦٨/٢٣ (٢) فتح الباري: ١٢٤/٥ ومسلم: ٣/

١٢٣٢ (٣) فتح الباري: ١٢٤/٥ (٤) البداية والنهاية: ١/

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بَهَا بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَانِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٣ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ فَنَسِيتَ تَبَيَّنَتْ عِدَّتُكِ سَبِّحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا ٥ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَنْعِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

التي أجد، فإنه سيَقُولُ لك: «سَقَنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ» فقولِي جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعَرْفُطُ وَسَأَقُولُ ذَلِكَ، وقولي له أنت يا صَفِيَّةُ ذَلِكَ، قالت: تقولُ سَوْدَةُ: فَوَالله ما هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَأَزِدْتُ أَنْ أَنَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتَنِي فَرَقًا مِنْكَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: «لَا» قالت: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ قَالَ: «سَقَنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ» قالت: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعَرْفُطُ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ صَفِيَّةُ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ حَفْصَةُ قَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَشْفِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ» قالت: تقولُ سَوْدَةُ وَالله لَقَدْ حَرَمْنَا، قُلْتُ لَهَا: أَسْكُنِي^(٤). هَذَا لَفْظُ الْبَحَارِيِّ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٥). وَعِنْدَهُ قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوْجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ^(٦). يَعْنِي الرِّيحَ

(١) فتح الباري: ٥٨٢/١١ (٢) فتح الباري: ٢٨٧/٩ (٣) مسلم: ١١٠٠/٢ (٤) فتح الباري: ٢٨٧/٩ (٥) مسلم: ٢/١١٠٢، ١١٠١ (٦) مسلم: ١١٠٢/٢

فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ١ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَقَنَّ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسَلِّمَتٍ مُؤْمِنَةٍ فَنَسِيتَ تَبَيَّنَتْ عِدَّتُكِ سَبِّحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا ٥

[عِتَابُ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ فِي تَحْرِيمِهِ الْحَلَالِ وَبَيَانِ كَفَّارَتِهِ، وَتَأْدِيبِ الْأَزْوَاجِ عَلَى تَضْيِيقِهِ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْأَيْمَانِ وَالتَّوْبَةِ عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْكُتُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَشْرِبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنْ آتَيْنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ لَهُ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: «لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَتَرَلَّتْ: «يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - «إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ «وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا» لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا» وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى عَنْ هِشَامٍ: «لَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا»^(١). وَهَكَذَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ الطَّلَاقِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَلَفْظُهُ قَرِيبٌ مِنْهُ^(٢). ثُمَّ قَالَ: الْمَغَافِيرُ شِبْهُ بِالْصَّمْغِ يَكُونُ فِي الرَّمْثِ فِيهِ حَلَاوَةٌ: أَغْفَرَ بِهِ الرَّمْثُ: إِذَا ظَهَرَ فِيهِ. وَاجِدُهَا مُغْفُورٌ، وَيُقَالُ: [الْمَغَافِيرُ]، وَهَكَذَا قَالَ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الْمُغْفُورُ أَيْضًا لِلْعُسْرِ وَالنَّامِ وَالسَّلَامِ وَالطَّلَحِ. قَالَ: وَالرَّمْثُ بِالْكَسْرِ: مَرَعَى مِنْ مَرَاعِي الْأَيْلِ، وَهُوَ مِنَ الْحَمْضِ. قَالَ: وَالْعَرْفُطُ: شَجَرٌ مِنَ الْعِصَاهِ يَنْضَحُ الْمُغْفُورُ.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ الطَّلَاقِ مِنْ صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ بِهِ، وَلَفْظُهُ كَمَا أوردَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَيْمَانِ وَالتَّوْبَةِ^(٣). ثُمَّ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الطَّلَاقِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْحُلَى وَالْعَسَلَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَذْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَاحْتَسَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَسِسُ، فَعَزَّتْ فَسَأَلَتْ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهَدَتْ لَهَا امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةَ عَسَلٍ، فَسَمَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةَ قُلْتُ: أَمَا وَالله لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ رَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَذْنُو مِنْكَ، فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَقُولِي: أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ «لَا»، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ

الْخَيْثَةِ، وَلِهَذَا قُلْنَا لَهُ أَكَلْتُ مَغَافِرَ، لِأَنَّ رِيحَهَا فِيهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا قَالَ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا» قُلْنَا: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطُ، أَيْ: رَعَتْ نَحْلُهُ شَجَرَ الْعُرْفُطِ الَّذِي صَمَغُهُ الْمَغَافِرُ، فَلِهَذَا ظَهَرَ رِيحُهُ فِي الْعَسَلِ الَّذِي شَرِبْتَهُ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: جَرَسَتْ النَّحْلُ الْعُرْفُطُ تَجْرُسُ إِذَا أَكَلَتْهُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلنَّحْلِ: جَوَّارِسُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

* نَظَّلَ عَلَى النَّمَرَاءِ مِنْهَا جَوَّارِسُ *

وَقَالَ: الْجَرَسُ وَالْجَرَسُ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. وَيُقَالُ: سَمِعْتُ جَرَسَ الطَّيْرِ إِذَا سَمِعْتُ صَوْتًا مَنَاقِبَهَا عَلَى شَيْءٍ تَأْكُلُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَيَسْمَعُونَ جَرَسَ طَيْرِ الْجَنَّةِ» قَالَ الْأَصْبَغِيُّ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ شُعْبَةَ، قَالَ: فَيَسْمَعُونَ جَرَسَ طَيْرِ الْجَنَّةِ - بِالشَّيْنِ - فَقُلْتُ: جَرَسَ، فَتَنَظَّرَ إِلَيَّ فَقَالَ: خُذُوهَا عَنْهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذَا مِنْهَا^(١). وَالْغَرَضُ: أَنَّ هَذَا السِّبَاقَ فِيهِ أَنَّ حَفْصَةَ هِيَ السَّاقِيَةُ لِلْعَسَلِ، وَهُوَ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَالَتِهِ عَائِشَةَ، وَفِي طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ هِيَ الَّتِي سَقَتْهُ الْعَسَلُ، وَأَنَّ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ تَوَاطَا وَتَنَظَّاهِرَتَا عَلَيْهِ فَاللهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّهُمَا وَاقِعَتَانِ وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُمَا سَبَبًا لِيُزُولَ هَذِهِ الْآيَةِ فِيهِ نَظَرٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هُمَا الْمُتَنَظَّاهِرَتَانِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ حَيْثُ قَالَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ نَوَّيَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَحَاجَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّرَ، ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ، فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مِنَ الْمَرْأَتَانِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ نَوَّيَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فَقَالَ عُمَرُ: وَاعْجَبَا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ: قَالَ الرَّهْرِيُّ: كَرِهَ - وَاللهُ - مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمَهُ قَالَ: هِيَ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ قَالَ: كُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ قَالَ: وَكَانَ مِنْزِلِي فِي دَارِ أُمِّئَةَ بِنْتِ زَيْدٍ بِالْعَوَالِي، قَالَ: فَغَضِبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي فَقَالَتْ: مَا

تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيُرَاجِعُنَّهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمُرُنَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِعُصْبِ رَسُولِهِ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا وَسَلِّبِي مِنْ مَالِي مَا بَدَا لَكَ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْسَمَ - أَيْ أَحْمَلَ - وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكَ - يُرِيدُ عَائِشَةَ -.

قَالَ: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّا تَتَنَاقَبُ التَّرْوَلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عَسَانَ تُنْعَلُ الْخَيْلَ لَتَغُرُّوْنَا، فَتَزَلُ صَاحِبِي يَوْمًا ثُمَّ أَتَى عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: وَمَا ذَلِكَ أَجَاءَتْ عَسَانَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْوَلُ طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ. فَقُلْتُ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ: أَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا أَدْرِي، هُوَ هَذَا مُعْتَرِلٌ فِي هَذِهِ الْمَشْرُوبَةِ، فَأَتَيْتُ غُلَامًا لَهُ أَسْوَدُ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ الْغُلَامُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمْتُ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمُنَبِّرَ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ قَلِيلًا ثُمَّ عَلَنِي مَا أَجِدُ، فَأَتَيْتُ الْغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ الْغُلَامُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ، فَصَمْتُ، فَوَلَّيْتُ مُذْبِرًا، فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي فَقَالَ: أَدْخُلْ قَدْ أَذِنَ لَكَ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَكَبِّرٌ عَلَى رُمَالٍ حَصِيرٍ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ نِسَاءَكَ؟ فَزَعَّ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ. وَلَوْ رَأَيْتُنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ

فَنَادَيْتُ فَقُلْتُ: يَا رَبَّاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ إِلَيَّ أَنْ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَسْقُ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ، فَإِنْ كُنْتُ طَلَقْتُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَجِبْرِيلُ وَمِيكَالُ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَمًا تَكَلَّمْتُ - وَأَحْمَدُ اللَّهِ - بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي، فَتَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ آيَةَ التَّخْيِيرِ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْتُكَ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾، ﴿وَلَنْ تَظْهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فَقُلْتُ: أَطَلَقْتُهُنَّ؟ قَالَ:

«لَا» فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَتَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلَّقْ نِسَاءً. وَتَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فَكُنْتُ أَنَا إِسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ^(٥). وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرَمَةُ وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ وَالصَّحَّاحُ وَغَيْرُهُمْ^(٦) ﴿وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، زَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَعُثْمَانُ، وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْتُكَ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ فَتَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةَ^(٧). وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ وَافَقَ الْقُرْآنَ فِي أَمَاكِنَ مِنْهَا فِي تَرْوِيلِ الْحِجَابِ، وَمِنْهَا فِي أُسَارَى بَذْرِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ: لَوْ اتَّخَذْتُ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: بَلَغَنِي شَيْءٌ كَانَ بَيْنَ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَفَرَيْتُهُنَّ أَقُولُ: لَتُخَفَّنَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ: يَا عُمَرُ، أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ مَا يَعْظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعْطَهُنَّ، فَأَمْسَكْتُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَغَضِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ قَوْلَ اللَّهِ إِنَّ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لِكِرَاجِعَتِهِ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَتْ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِعِصَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ.

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَا يَغْرَتُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْ سَمَ أَوْ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ. فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَقُلْتُ: أَتُسَاتِنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، قَوْلَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ إِلَّا [أَهْبَ مَقَامَةً]، فَقُلْتُ: أَدْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيَّ أُمَّتِيكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسٍ وَالرُّومِ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَوْلَيْتَكَ قَوْمٌ عَجَلْتُ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حَتَّى عَاتَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١). وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ^(٢). وَأَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَكَّثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَبْنِي لَهُ، حَتَّى خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، عَدَلْتُ إِلَى الْأَرَاكِ لِحَاجَةٍ لَهُ، قَالَ: فَوَقَفْتُ حَتَّى فَرَغَ ثُمَّ سِرْتُ مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ^(٣). هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَلِمُسْلِمٍ: مِنَ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَظْهَرَ عَلَيْهِ﴾؟ قَالَ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ. ثُمَّ سَأَلَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ^(٤) وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَهُ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكَبُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤَمَّرَ بِالْحِجَابِ فَقُلْتُ لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي دُخُولِهِ عَلَى عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَوَعِظِهِ إِيَّاهُمَا، إِلَى أَنْ قَالَ: فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَّاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَشْكُفَةِ الْمَشْرِبَةِ،

(١) أحمد: ٣٣/١، ٣٤ (٢) فتح الباري: ١٨٧/٩، ١٣٧/٥ ومسلم: ١١١/٢ وتحتفة الأحمدي: ٢٢٤/٩ والنسائي في الكبرى: ٣٦٦/٥ (٣) فتح الباري: ٥٢٥/٨ (٤) مسلم: ٢/ ١١٠٨ (٥) مسلم: ١١٠٥/٢ (٦) الطبري: ٤٨٦/٢٣ (٧) فتح الباري: ٥٢٨/٨

فَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاصْرِبْهُ عَلَيْهَا هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٨).

[وَقُوْدُ جَهَنَّمَ وَمَلَأَتْهَا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾ وَقُوْدُهَا أَيُّ حَطَبُهَا الَّذِي يُلْقَى فِيهَا جُثَثُ بَنِي آدَمَ ﴿وَالْجِبَارَةُ﴾ قِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْأَصْنَافُ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ وَالسُّدِّيُّ: هِيَ حِجَارَةٌ مِنْ كِبَرِيَّتٍ. زَادَ مُجَاهِدٌ: أَتْنُنٌ مِنْ الْجِيفَةِ^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُكُهُ غَلَاطٌ شِدَادٌ﴾ أَيُّ طِبَاعُهُمْ غَلِظَةٌ قَدْ نَزَعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ بِالْكَافِرِينَ بِاللهِ ﴿شِدَادٌ﴾ أَيُّ تَرْكِيبُهُمْ فِي غَايَةِ الشَّدَةِ وَالْكَثَافَةِ وَالْمَنْظَرِ الْمُرْعَجِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أَيُّ مَهْمَا أَمَرَهُمْ بِهِ تَعَالَى يَتَّبِعُونَ إِيَّاهُ، لَا يَتَّخِرُونَ عَنْهُ طَرَفَةً عَيْنٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى فِعْلِهِ لَيْسَ بِهِمْ عَجْزٌ عَنْهُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الزَّبَانِيَةُ - عِبَادًا بِاللهِ مِنْهُمْ -.

[لَا يَقْبَلُ عُذْرَ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُعْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ يُقَالُ لِلْكَافِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَا تَعْتَذِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ، وَلَا تُعْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، وَإِنَّمَا تُعْزَوْنَ الْيَوْمَ بِأَعْمَالِكُمْ.

[الترغيب في التوبة النصوح]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ أَيُّ تَوْبَةٍ صَادِقَةٍ جَارِمَةٍ، تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنْ السَّيِّئَاتِ، وَتُلْمَسُ شَعَثُ النَّائِبِ، وَتَجْمَعُهُ وَتَكْفُهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الذَّنَائَاتِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفَرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وَعَسَىٰ مِنَ اللَّهِ

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قِيلَتْ يَنْبَغِي عَلَيْكَ سَخِرَتْ نَيْبِي وَأَبْكَارًا﴾^(١) وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي رَدَّتهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ وَعْظِ النِّسَاءِ، هِيَ أُمُّ سَلَمَةَ كَمَا [ثَبَّتَ] ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ^(٢).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قِيلَتْ يَنْبَغِي عَلَيْكَ سَخِرَتْ﴾ أَيُّ: صَائِمَاتٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرَمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ وَأَبُو مَالِكٍ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَالصَّحَّاحُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْبَغِي وَأَبْكَارًا﴾ أَيُّ مِنْهُنَّ نَيْبَاتٍ وَمِنْهُنَّ أَبْكَارًا لِيَكُونَ ذَلِكَ أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ، فَإِنَّ التَّنَوُّعَ يَسْطُو النَّفْسَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَنْبَغِي وَأَبْكَارًا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُعْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^(٥) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفَرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نورهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَاْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورًا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٦)﴾

[تعليم الأهل الأدب والدين]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يَقُولُ: إِعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا مَعَاصِي اللَّهِ، وَأَمُرُوا أَهْلِيكُمْ بِالذِّكْرِ يُنْجِيَكُمْ اللَّهُ مِنَ النَّارِ^(٧). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ وَأَوْضُوا أَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ^(٨). وَقَالَ قَتَادَةُ: تَأْمُرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَنْهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَأَنْ تَقُومَ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَأْمُرُهُمْ بِهِ وَتُسَاعِدُهُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ لِلَّهِ مَعْصِيَةً قَدْغَتْهُمْ عَنْهَا وَرَجَزَتْهُمْ عَنْهَا^(٩). وَهَكَذَا قَالَ الصَّحَّاحُ وَمُقَاتِلٌ: حَقٌّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُعْلِمَ أَهْلَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ وَإِمَائِهِ وَعِيَدِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ^(١٠).

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ،

(١) الطبري: ٤٨٨/٢٣ (٢) فتح الباري: ١٦/٨ (٣) الطبري: ٤٩٠/٢٣ والقرطبي: ١٩٣/١٨ والدر المنثور: ٢٢٤/٨ (٤) الطبري: ٤٩١/٢٣ (٥) الطبري: ٤٩٢/٢٣ (٦) الطبري: ٤٩٢/٢٣ (٧) القرطبي: ١٩٦/١٨ (٨) أحمد: ٤٠٤/٣ وأبو داود: ٣٣٢/١ وتحفة الأحوذى: ٤٤٥/٢ (٩) الطبري: ١/٣٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦١

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَن يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَذْخَبُكُمْ جَنَّتِ بَعْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا لَا تَنْهَرُ يَوْمَ لَا يُخْرِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَتِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
 يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظَ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ
 قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمُ ابْنَتْ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
 وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنْ الْفَائِزِينَ ﴿١٢﴾

مُوجِبَةً ﴿يَوْمَ لَا يُخْرِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أَيَّ وَلَا
 يُخْرِبُهُمْ مَعَهُ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمْ
 لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ
 وَالضُّحَّاكُ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ: هَذَا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ
 حِينَ يَرَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ طَفِيَءَ ^(١). وَرَوَى
 الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا تُخْرِبِي
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ
 جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ^(٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ
 نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
 فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
 الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

[الْأَمْرُ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ]

يَقُولُ تَعَالَىٰ أَمْرًا رَسُولُهُ ﷺ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ:
 هُوَ لَا بِالسَّلَاحِ وَالْقِتَالِ، وَهُوَ لَا بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ
 ﴿وَاعْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ أَيَّ فِي الدُّنْيَا ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ﴾ أَيَّ فِي الْآخِرَةِ.

[لَا يَنْتَفِعُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ عِنْدَ اللَّهِ مَهْمَا كَانَ قَرِيبًا]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيَّ فِي
 مُخَالَطَتِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَمُعَاشَرَتِهِمْ لَهُمْ: أَنَّ ذَلِكَ لَا يُجِدِي
 عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ
 حَاصِلًا فِي قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَثَلَ فَقَالَ: ﴿امْرَأَتِ نُوحٍ
 وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ أَيَّ
 نَبِيِّنِ رَسُولَيْنِ عِنْدَهُمَا، فِي صُحْبَتِهِمَا لَيْلًا وَنَهَارًا،
 يُؤَاكِلَانِهِمَا وَيُصَاجِعَانِهِمَا، وَيُعَاشِرَانِهِمَا أَشَدَّ الْعَشِيرَةِ
 وَالْإِحْتِلَاطِ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أَيَّ فِي الْإِيمَانِ لَمْ يُؤَافِقَاهُمَا عَلَى
 الْإِيمَانِ، وَلَا صَدَقَاهُمَا فِي الرِّسَالَةِ، فَلَمْ يُجِدِ ذَلِكَ كُفْلَهُ
 شَيْئًا وَلَا دَفَعَ عَنْهُمَا مَحْذُورًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ
 يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أَيَّ لِكُفْرِهِمَا ﴿وَقِيلَ﴾ أَيَّ
 لِلْمَرَأَتَيْنِ ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ:
 ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ فِي فَاحِشَةٍ بَلَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ نِسَاءَ الْأَنْبِيَاءِ
 مَعْصُومَاتٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ لِحُرْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا
 قَدَّمْنَا فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا أَنَّهُمَا

كَانَتَا عَلَىٰ غَيْرِ دِينِهِمَا، فَكَانَتْ امْرَأَةُ نُوحٍ تُطْلَعُ عَلَى سِرِّ
 نُوحٍ، فَإِذَا آمَنَ مَعَ نُوحٍ أَحَدٌ أَخْبَرَتْ الْجَبَّارَةَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ
 بِهِ، وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ، فَكَانَتْ إِذَا أَصَافَ لُوطٌ أَحَدًا أَخْبَرَتْ
 بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِمَنْ يَعْمَلُ الشُّوْءَ ^(٣). وَقَالَ الضُّحَّاكُ عَنِ
 ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا بَعَثَ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطُّ إِنَّمَا كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا فِي
 الدِّينِ ^(٤). وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضُّحَّاكُ
 وَغَيْرُهُمْ ^(٥).

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ
 ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ^(١١) وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
 فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْفَائِزِينَ
 مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿١٢﴾

(١) الطبري: ٤٩٦/٢٣ (٢) أحمد: ٢٣٤/٤ وقال الهيثمي في
 المجمع رواه أحمد ورجاله ثقات (٣) الطبري: ٤٩٨/٢٣ (٤)
 الطبري: ٤٩٨/٢٣ (٥) الطبري: ٤٩٨/٢٣ إسناده ضعيف

[لَا يَضُرُّ الْكَافِرَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللَّهِ]

وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنََّّهُمْ لَا تَضُرُّهُمْ مُخَالَطَةُ الْكَافِرِينَ إِذَا كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ فِرْعَوْنُ أَعْتَى أَهْلَ الْأَرْضِ وَأَكْفَرَهُمْ، فَوَ اللَّهِ مَا ضَرَّ امْرَأَتَهُ كُفْرَ زَوْجِهَا حِينَ أَطَاعَتْ رَبَّهَا، لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمٌ عَدْلٌ، لَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ^(١). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ تُعَذِّبُ فِي الشَّمْسِ، فَإِذَا انْصَرَفَ عَنْهَا أَظْلَمَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَيْهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ^(٢).

ثُمَّ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةٍ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ تَسْأَلُ مَنْ غَلَبَ؟ فَيَقَالُ: غَلَبَ مُوسَى وَهَارُونَ، فَتَقُولُ: آمَنْتُ بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فِرْعَوْنُ فَقَالَ: انْظُرُوا أَعْظَمَ صَخْرَةً تَجِدُونَهَا، فَإِنْ مَضَتْ عَلَى قَوْلِهَا فَالْقُوهَا عَلَيْهَا، وَإِنْ رَجَعَتْ عَنْ قَوْلِهَا فَهِيَ امْرَأَتِي، فَلَمَّا أَتَوْهَا رَفَعَتْ بَصَرَهَا إِلَى السَّمَاءِ فَأَبْصَرَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ، فَمَضَتْ عَلَى قَوْلِهَا وَانْتَزَعَتْ رُوحَهَا وَأُلْقِيَتِ الصَّخْرَةُ عَلَى جَسَدِ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ^(٣). فَقَوْلُهَا: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي وَعَمَلِي﴾ أَيُّ خَلْصَنِي مِنْهُ فَإِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَمَلِي وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ أَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرَجَهَا﴾ أَيُّ حَفِظْتَهُ وَصَانَتْهُ، وَالْإِحْصَانُ هُوَ الْعِفَافُ وَالْحُرِّيَّةُ ﴿فَنَخْنَسُ فِيهِ مِنْ زُوجِنَا﴾ أَيُّ بِإِوَاسِطَةِ الْمَلِكِ وَهُوَ جِبْرِيلُ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَيْهَا، فَتَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ فِي جَنْبِ دِرْعِهَا، فَتَزَلَّتِ التَّخْخُةُ فَوَلَجَتْ فِي فَرجِهَا، فَكَانَ مِنْهُ الْحَمْلُ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَخْنَسُ فِيهِ مِنْ زُوجِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنْ أَقْلَيْنِ﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ وَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ امْرَأَةُ

فِرْعَوْنَ»^(٤). وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَإِنْ فَضَّلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطُّعَامِ»^(٥). وَقَدْ ذَكَرْنَا طُرُقَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْفَاطِظَا وَالْكَلامَ عَلَيْهَا فِي قِصَّةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي كِتَابِنَا (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)^(٦) وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّحْرِيمِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَلِكِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الْمَلِكِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»^(٧). وَرَوَاهُ أَهْلُ الشُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٨).

وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَافِظُ الضِّيَاءُ الْمُقَدِّسِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُورَةُ فِي الْقُرْآنِ خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ: ﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»^(٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَتُكُونُونَ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُوفُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَانْجِبِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ انْجِبِ الْبَصَرَ كَرَيْنَ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) لِنُجْهِدَ اللَّهُ وَلِيَّهُ وَذِكْرُ خَلْقِهِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالسَّمَاوَاتِ

العوفي وعائلته كلهم ضعفاء (١) الطبري: ٥٠٠/٢٣ (٢) الطبري: ٥٠٠/٢٣ (٣) الطبري: ٥٠٠/٢٣ (٤) أحمد: ١/ ٢٩٣ (٥) فتح الباري: ٥١٤/٦ (٦) مسلم: ١٨٨٦/٤ (٧) البداية والنهاية: ٦١/٢ (٨) أحمد: ٣٢١/٢ (٩) أبو داود: ١١٩/٢ وتحفة الأوحدي: ٢٠٠/٨ والنسائي في الكبرى: ٤٩٦/٦ وابن ماجه: ١٢٤٤/٢ (٩) الطبراني في الأوسط: ٣٩١/٤

سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنَّهُمْ بَالِغٌ أَلْبَصَرُ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعُ الْبَصَرَ كَرَيْنٍ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْفُتُورُ فِيهَا سَعَوْهَا مَا شَبَّحُوا بِهَا تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْفَ نَأْتِيهِمْ فَنَسُفَحُكُمَ الْأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

الْمُنْقَطِعُ مِنَ الْإِغْيَاءِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّكَ لَوْ كَرَّرْتَ الْبَصَرَ مَهْمَا كَرَّرْتَ لَا تَقْلِبُ إِلَيْكَ، أَي لَرَجَعَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ ﴿خَاسِئًا﴾ عَنْ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ خَلًّا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أَي كَلِيلٌ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ الْإِغْيَاءِ مِنْ كَثَرَةِ التَّكْرُرِ، وَلَا يَرَى نَقْصًا، وَلَمَّا نَفَى عَنْهَا فِي خَلْقِهَا النِّقْصَ بَيَّنَّ كَمَالَهَا وَرَبَّتَهَا فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الَّتِي وُضِعَتْ فِيهَا مِنَ السَّيَّارَاتِ وَالنُّوَابِثِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ عَادَ الصَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ عَلَى جِنْسِ الْمَصَابِيحِ لَا عَلَى عَيْنِهَا، لِأَنَّهُ لَا يُرْمَى بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ بَلْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهَا وَقَدْ تَكُونُ مُسَمَّدَةً مِنْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أَي جَعَلْنَا لِلشَّيَاطِينِ هَذَا الْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ فِي الْآخِرَى، كَمَا

وَالنُّجُومِ

يُحْجَدُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ وَيُخْبِرُ أَنَّهُ بِيَدِهِ الْمُلْكُ أَيُّ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لِقَهْرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ آمَنًا فَآخِذْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فَسَمَّى الْحَالَ الْأَوَّلَ وَهُوَ الْعَدَمُ مَوْتًا وَسَمَّى هَذِهِ النَّشْأَةَ حَيَاةً، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُعْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أَي خَيْرَ عَمَلًا كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ، وَلَمْ يَقُلْ: أَكْثَرَ عَمَلًا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ أَي هُوَ الْعَزِيزُ الْعَظِيمُ الْمُنِيعُ الْجَنَابِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ بَعْدَ مَا عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَإِنْ كَانَ تَعَالَى عَزِيزًا، هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ وَيَضْفَحُ وَيَتَجَاوَزُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أَي طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، وَهَلْ هُنَّ مُتَفَاصِلَاتٌ بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ عُلوِيَّاتٌ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُتَفَاصِلَاتٌ بَيِّنُهُنَّ خَلَاءٌ، فِيهِ قَوْلَانِ أَصْحَهُمَا الثَّانِي كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ أَي بَلْ هُوَ مُصْطَحَبٌ مُسْتَوٍ لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَافُرٌ، وَلَا مُخَالَفَةٌ، وَلَا نَقْصٌ وَلَا غَيْبٌ وَلَا خَلَلٌ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أَي أَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَأَمَّلْهَا هَلْ تَرَى فِيهَا عَيْبًا أَوْ نَقْصًا أَوْ خَلًّا أَوْ فُطُورًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالتَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أَي شُقُوقٍ^(١). وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾: أَي مِنْ خُرُوقٍ^(٢). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أَي هَلْ تَرَى خَلًّا يَا ابْنَ آدَمَ؟.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَيْنٍ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مَرَّتَيْنِ ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَلِيلًا^(٣). وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: صَاغِرًا^(٤). ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَغْنِي وَهُوَ كَلِيلٌ^(٥). وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: الْحَسِيرُ

(١) الدر المنثور: ٢٣٥/٨ والقرطبي: ٢٠٩/١٨ والطبري: ٢٣/

٥٠٧ (٢) القرطبي: ٢٠٩/١٨ (٣) الطبري: ٥٠٧/٢٣ (٤)

الطبري: ٥٠٧/٢٣ (٥) الدر المنثور: ٢٣٥/٨

سورة الملك

٥٦٣

سورة الملك

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذْتُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ اتَّخَذْتُمْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَيْتَ وَمَقَبَضْتُمْ مَا يُمَسِّكُهُمْ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بِكُلِّ جُلُوفٍ فَعَتُوٌّ ﴿٢١﴾ وَنُفُورٌ ﴿٢٢﴾ أَفَنْ يَمْشِيَ مُكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٥﴾ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٧﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ الطَّائِفِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذُرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»^(٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

[جَزَاءٌ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ بِالْغَيْبِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ يَخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِذَا كَانَ غَايِبًا عَنِ النَّاسِ، فَيَنْكُثُ عَنِ الْمَعَاصِي وَيَقُومُ بِالطَّاعَاتِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى، بِأَنَّهُ لَهُ ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أَيْ تَكْفُرُ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَيَجَازَى بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «سَبْعَةٌ يُظَاهَرُهُمُ اللَّهُ

(١) الطبري: ٥٠٨/٢٣ (٢) الطبري: ٥٠٨/٢٣ (٣) أحمد:

٢٩٣/٥

قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ الصَّافَّاتِ: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرَبْنَةِ الْكُوكِبِ﴾ وَحَفَظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى النَّفَاثَةِ أَلَعَلَّ يُفْقِدُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ مُخَوَّرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ [الصافات: ٦-١٠] قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّمَا خُلِقَتْ هَذِهِ النُّجُومُ لثَلَاثِ خِصَالٍ خَلَقَهَا اللَّهُ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا. فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ بِرَأْيِهِ، وَأَخْطَأَ حَقَّهُ وَأَضَاعَ نَصِيحَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(١).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَّاسٌ الْمَصِيرُ﴾ إِذَا أَلْفَوْا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَمُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْفَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاغْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

[صِفَةُ جَهَنَّمَ وَالِدَّاحِلِينَ فِيهَا]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿و﴾ أَعْتَدْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَّاسٌ الْمَصِيرُ﴾ أَيْ بِسُنِّ الْمَالِ وَالْمُنْقَلَبِ ﴿إِذَا أَلْفَوْا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يُعْنِي الصَّيْحَ^(٢) ﴿وَهِيَ تَمُورُ﴾ قَالَ الثَّوْرِيُّ: تَغْلِي بِهِمْ كَمَا يَغْلِي الْحَبُّ الْقَلِيلُ فِي الْمَاءِ الْكَثِيرِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أَيْ تَكَادُ يَتَفَصَّلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، مِنْ شِدَّةِ غَيْظِهَا عَلَيْهِمْ وَحَتْفِهَا بِهِمْ ﴿كُلَّمَا أَلْفَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ يَذْكُرُ تَعَالَى عَذْلَهُ فِي خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْدُبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَإِزْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] وَهَكَذَا عَادُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ وَنَدِمُوا حَيْثُ لَا تَنْفَعُهُمُ النَّدَامَةُ فَقَالُوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أَيْ لَوْ كَانَتْ لَنَا عُقُولٌ نَسْتَفْعِلُ بِهَا، أَوْ نَسْمَعُ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَقِّ، لَمَا كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالْإِغْوَارِ بِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَهْمٌ نَعِي بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَلَا كَانَ لَنَا عَقْلٌ يُرْشِدُنَا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ.

تَغْذِيهِمْ يَسْجِبُ كُفْرُ بَعْضِهِمْ بِهِ وَعِبَادَتِهِمْ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَحْلُمُ وَيَصْفَحُ وَيُؤْجِلُ وَلَا يُعْجِلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا تُلَاقِي اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [يس: ٤٥] وَقَالَ هُتَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَيُّ تَذَهَبُ وَتَجِيءُ وَتَضْطَرُّبُ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أَيُّ رِيحًا فِيهَا حَصْبَاءُ تَدْمَعُكُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٦٨] وَهَكَذَا تَوَعَّدُهُمْ هُنَا بِقَوْلِهِ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أَيُّ كَيْفَ يَكُونُ إِنْذَارِي وَعَاقِبَتِي مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَكَذَّبَ بِهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَيُّ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَيُّ فَكَيْفَ كَانَ إِنْكَارِي عَلَيْهِمْ وَمُعَاقِبَتِي لَهُمْ، أَيُّ عَظِيمًا شَدِيدًا أَلِيمًا.

[طَبِيرَانِ الطُّيُورِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ بَصِيرٌ بِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظْنَ﴾ أَيُّ تَارَةً يَصْفَقْنَ أَجْنِحَتَهُنَّ فِي الْهَوَاءِ، وَتَارَةً تَجْمَعُ جَنَاحًا وَتَنْشُرُ جَنَاحًا ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ أَيُّ فِي الْجَوِّ ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ أَيُّ بِمَا سَخَّرَ لَهُنَّ مِنَ الْهَوَاءِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ ﴿إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرٌ﴾ أَيُّ بِمَا يُضْلِعُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرٌ ﴿١٦﴾

[نِعْمَةُ اللَّهِ فِي تَسْخِيرِ الْأَرْضِ لِعِبَادِهِ]

ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لَهُمُ الْأَرْضَ وَتَذْلِيلِهِ إِيَّاهَا لَهُمْ، بِأَنْ جَعَلَهَا قَارَةً سَاكِنَةً، لَا تَمِيدُ وَلَا تَضْطَرُّبُ، بِمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَأَنْبَعٍ فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ، وَسَلَكَ فِيهَا مِنَ الشُّجْلِ، وَهَيَّأَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَمَوَاضِعِ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أَيُّ فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَطْطَارِهَا وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا، فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتَّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فَالْسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢). فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَغَدَاً لِيُطْلَبَ الرِّزْقُ مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الْمُسَخَّرُ الْمُسِيرُ الْمُسَبَّبُ ﴿وَالْيَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَيُّ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ: مَنَاجِبُهَا: أَطْرَافُهَا وَفِجَاجُهَا وَنَوَاجِيهَا (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرٌ ﴿١٧﴾

[كَيْفَ تَأْمِنُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى مُوَاحَدَتِكُمْ كَيْفَمَا شَاءَ]

تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» فَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا «دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ بِمِثْلِهِ» (١). ثُمَّ قَالَ مُنْبَهَا عَلَى أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى الصَّمَائِرِ وَالسَّرَائِرِ ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَيُّ بِمَا يَخْطُرُ فِي الْقُلُوبِ.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أَيُّ أَلَا، يَعْلَمُ الْخَالِقُ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. [نِعْمَةُ اللَّهِ فِي تَسْخِيرِ الْأَرْضِ لِعِبَادِهِ]

ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لَهُمُ الْأَرْضَ وَتَذْلِيلِهِ إِيَّاهَا لَهُمْ، بِأَنْ جَعَلَهَا قَارَةً سَاكِنَةً، لَا تَمِيدُ وَلَا تَضْطَرُّبُ، بِمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَأَنْبَعٍ فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ، وَسَلَكَ فِيهَا مِنَ الشُّجْلِ، وَهَيَّأَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَمَوَاضِعِ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أَيُّ فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَطْطَارِهَا وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا، فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتَّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فَالْسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢). فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَغَدَاً لِيُطْلَبَ الرِّزْقُ مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الْمُسَخَّرُ الْمُسِيرُ الْمُسَبَّبُ ﴿وَالْيَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَيُّ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ: مَنَاجِبُهَا: أَطْرَافُهَا وَفِجَاجُهَا وَنَوَاجِيهَا (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرٌ ﴿١٦﴾

[نِعْمَةُ اللَّهِ فِي تَسْخِيرِ الْأَرْضِ لِعِبَادِهِ]

ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لَهُمُ الْأَرْضَ وَتَذْلِيلِهِ إِيَّاهَا لَهُمْ، بِأَنْ جَعَلَهَا قَارَةً سَاكِنَةً، لَا تَمِيدُ وَلَا تَضْطَرُّبُ، بِمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْجِبَالِ وَأَنْبَعٍ فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ، وَسَلَكَ فِيهَا مِنَ الشُّجْلِ، وَهَيَّأَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَمَوَاضِعِ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أَيُّ فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَطْطَارِهَا وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا، فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتَّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فَالْسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» (١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ (٢). فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَغَدَاً لِيُطْلَبَ الرِّزْقُ مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الْمُسَخَّرُ الْمُسِيرُ الْمُسَبَّبُ ﴿وَالْيَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أَيُّ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ: مَنَاجِبُهَا: أَطْرَافُهَا وَفِجَاجُهَا وَنَوَاجِيهَا (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرٌ ﴿١٧﴾

[كَيْفَ تَأْمِنُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى مُوَاحَدَتِكُمْ كَيْفَمَا شَاءَ]

(١) فتح الباري: ١٦٨/٢ ومسلم: ٧١٥/٢ (٢) أحمد: ١/ ٥٢ (٣) تحفة الأحوذى: ٨/٨ والنسائي في الكبرى في الرقائق وتحفة الأشراف: ٧٩/٨ وابن ماجه: ١٣٩٤/٢ (٤) الطبري: ٥١٢/٢٣ والقرطبي: ٢١٥/١٨

وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧٧﴾
[لَا يَنْصُرُكُمْ أَحَدٌ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللَّهُ]

يَقُولُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبْدُوا مَعَهُ غَيْرُهُ يَبْتَغُونَ عَنْهُمْ نَصْرًا وَرِزْقًا، مُكِبًّا عَلَيْهِمْ فِيمَا اعْتَقَدُوهُ وَمُخْبِرًا لَهُمْ، أَنَّهُ لَا يَخْصُلُ لَهُمْ مَا أَمَلُوهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أَيُّ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاكِ وَلَا نَاصِرٍ لَكُمْ غَيْرُهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَزُفُّكُمْ إِنْ أَسْكَنَ رِزْقَهُ﴾ أَيُّ مِنْ هَذَا الَّذِي إِذَا قَطَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ رِزْقَهُ يَزُفُّكُمْ بَعْدَهُ، أَيُّ لَا أَحَدٌ يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيَنْصُرُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَيُّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلْ لَمَوْا﴾ أَيُّ اسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ وَإِفْكَهِمْ وَضَلَالِهِمْ ﴿وَفِ عَتَوٍ وَتَفَرُّوْا﴾ أَيُّ فِي مُعَانَدَةٍ وَاسْتِكْبَارٍ وَتَفَوُّرٍ عَلَى إِذْبَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، لَا يَسْمَعُونَ لَهُ وَلَا يَتَّبِعُونَهُ.

[مَثَلُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَهَذَا مَثَلُ ضَرْبِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْكَافِرُ مَثَلُهُ فِيمَا هُوَ فِيهِ: كَمَثَلِ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ، أَيُّ يَمْشِي مُنْحِنًا لَا مُسْتَوِيًّا عَلَى وَجْهِهِ. أَيُّ لَا يَذَرِي أَيْنَ يَسْلُكُ وَلَا كَيْفَ يَذْهَبُ بَلْ تَأَنَّهُ حَائِزٌ ضَالًّا، أَهْدَى أَهْدَى ﴿أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ أَيُّ مُتَّصِبُ الْقَامَةِ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَيُّ عَلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَقِيمٌ وَطَرِيقُهُ مُسْتَقِيمَةٌ، هَذَا مَثَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ، فَالْمُؤْمِنُ يُحْشَرُ ﴿يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مُفْضِرٌ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ. ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ ﴿الْآيَاتِ [الصافات: ٢٢-٢٦]﴾. أَرْوَاهُمْ: أَشْبَاهَهُمْ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى وَجْهِهِمْ؟ فَقَالَ: «الَّذِينَ أَلْسَنَ الَّذِي أَمْسَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَمْشِيَهُمْ عَلَى وَجْهِهِمْ»^(١). وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٢).

[فُتْرَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَذَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعَادِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أَيُّ ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكَورًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أَيُّ الْعُقُولَ وَالْإِدْرَاكَ ﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ أَيُّ فَلَمَّا تَسْتَعْمِلُونَ هَذِهِ الْقُوَى الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فِي طَاعَتِهِ، وَامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيُّ بَنَىكُمْ وَنَسَرَكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَرْجَائِهَا مَعَ اخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ فِي لُغَاتِكُمْ وَالْوَانِكُمْ، وَجِلَاكُم وَأَشْكَالِكُمْ وَصُورِكُمْ ﴿وَالَّذِينَ تُحْشَرُونَ﴾ أَيُّ تُجْمَعُونَ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ، يَجْمَعُكُمْ كَمَا فَرَّقَكُمْ، وَيُعِيدُكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ الْمُتَكِبِينَ لِلْمَعَادِ الْمُسْتَعْبِدِينَ وَقُوْعُهُ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَيُّ مَتَى يَقَعُ هَذَا الَّذِي تُخْبِرُنَا بِكَوْنِهِ مِنَ الْاجْتِمَاعِ بَعْدَ هَذَا التَّفَرُّقِ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ لَا يَعْلَمُ وَقَدْ ذَكَرَ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ أَنَّ هَذَا كَائِنْ وَوَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ فَاحْذَرُوهُ ﴿وَلِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أَيُّ وَإِنَّمَا عَلَيَّ الْبَلَاغُ وَقَدْ أَدْبَيْتُهُ إِلَيْكُمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وَجْهُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيُّ لَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَشَاهَدَهَا الْكُفَّارُ وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَرِيبًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ، وَإِنْ طَالَ زَمَنُهُ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا كَذَّبُوا بِهِ سَاءَهُمْ ذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الشَّرِّ، أَيُّ فَأَحَاطَ بِهِمْ ذَلِكَ وَجَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ وَلَا حِسَابٍ ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الزمر: ٤٨] وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّفَرُّيعِ وَالتَّوْبِيخِ: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ أَيُّ تَسْتَعْجِلُونَ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَنْ أَصْبِحَ مَاؤُكُم مَوْءَاةً أَوْ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ مَاءٌ مِثْلُ الْهَلْجِثِ الْمُرَّةِ فَيَشْرَبُ لَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ثَمَرِهِ أَوْ أَنْ تَرْجِيَهُمْ مِنْ يَوْمٍ أُخْتُرُوا لَهُمْ الْجَنَّةُ وَالْجَنَّةُ مُنْذَرَةٌ لَهُمْ لَكِنَّهُمْ أَصْحَابُ أَلْسِنَةٍ أُنْقُضَتْ عَنْهُمْ لِيُصْغَرُوا فِيهَا أَوْ لَكِنَّا كَاذِبُونَ

[مَوْتُ الْمُؤْمِنِ لَا يُجِيرُ الْكَافِرَ فَلْيَتَكَبَّرْ فِي خِلَاصِهِ]
يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْجَاغِدِينَ لِنِعْمِهِ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أَيُّ خَلَصُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّهُ

(١) أحمد: ١٦٧/٣ (٢) فتح الباري: ٣٥٠/٦ ومسلم: ٤

سُورَةُ الْقَلَمِ

٥٦٤

سُورَةُ الْقَلَمِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَّبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِسْمٍ ﴿١١﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَسِيرٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ إِسْنَانًا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

تَنَالُ الْعُلُومَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: يَغْنِي وَمَا يَكْتُبُونَ^(١). وَقَالَ السُّدِّيُّ: وَمَا يَسْطُرُونَ يَغْنِي الْمَلَائِكَةُ وَمَا تَكْتُبُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ هَهُنَا بِالْقَلَمِ الَّذِي أَجْرَاهُ اللَّهُ بِالْقَدَرِ حِينَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ.

وَأوردوا في ذَلِكَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذِكْرِ الْقَلَمِ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَعَانِي أَبِي، حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ وَمَا هُوَ كَائِنْ إِلَى الْأَبَدِ»^(٢). وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ^(٣). وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ

لَا مُنْقَدِّ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالرُّجُوعُ إِلَى دِينِهِ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ وَقُوعُ مَا تَتَمَنَّوْنَ لَنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالتَّكَالِ، فَسَوَاءٌ عَذَّبَنَا اللَّهُ أَوْ رَحِمَنَا فَلَا مَنَاصَ لَكُمْ مِنْ نَكَالِهِ وَعَذَابِهِ الْأَلِيمِ الْوَاقِعِ بِكُمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أَيُّ أَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أَيُّ مَنَّا وَمِنْكُمْ وَلِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

[التَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي نَبْعِ الْمَاءِ وَالتَّخْوِيفُ بِذَهَابِهِ] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِظْهَارًا لِلرَّحْمَةِ فِي خَلْقِهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أَيُّ ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَسْفَلٍ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا بِالْفُؤُوسِ الْجِدَادِ وَلَا السَّوَاعِدِ الشَّدَادِ، وَالْعَائِزِ: عَكْسُ النَّابِغِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أَيُّ نَابِغٍ سَابِغٍ جَارٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أَيُّ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ أَنْبَعَ لَكُمْ الْمِيَاهَ وَأَجْرَاهَا فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ الْعِبَادُ إِلَيْهِ مِنَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُلْكِ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَّبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى حُرُوفِ الْهَجَاءِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ت﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿ص﴾. ﴿ق﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَتَحْرِيرِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا.

[تَفْسِيرُ الْقَلَمِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّهُ جِنْسُ الْقَلَمِ الَّذِي يُكْتُبُ بِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَهُ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق: ٣-٥] فَهُوَ قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى وَتَنْبِيهُ لِيُخَلِّقَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ: مِنْ تَعْلِيمِ الْكِتَابَةِ الَّتِي بَهَا

(١) الطبري: ٥٢٧/٢٣، ٥٢٨ (٢) الطبري: ٥٢٦/٢٣ (٣)

بِهِ، وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(١).

[الْقَسَمُ بِالْقَلَمِ عَلَى عَظَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ]

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أَي لَسْتَ وَ اللَّهِ الْحَمْدُ بِمَجْنُونٍ، كَمَا يَقُولُهُ الْجَهْلَةُ مِنْ قَوْمِكَ، الْمُكَذِّبُونَ بِمَا جِئْتُهُمْ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ الْمُبِينِ، فَتَسْبُوكُ فِيهِ إِلَى الْمَجْنُونِ، ﴿وَلَنْ لَكَ لِأَجْرٍ غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أَي بَلْ إِنَّ لَكَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ، وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ الَّذِي لَا يَقْطَعُ وَلَا يَبِيدُ؛ عَلَى إِبْلَاغِكَ رَسُولَ رَبِّكَ إِلَى الْخَلْقِ، وَصَبْرِكَ عَلَى أَذَاهُمْ، وَمَعْنَى ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أَي غَيْرَ مَقْطُوعِ كَقَوْلِهِ: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨] ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] أَي غَيْرَ مَقْطُوعِ عَنْهُمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أَي غَيْرَ مَحْسُوبٍ^(٢). وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ.

[تَفْسِيرُ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٍ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَإِنَّكَ لَعَلَى دِينٍ عَظِيمٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ^(٣). وَكَذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو مَالِكٍ وَالسَّيِّدِيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ^(٤). وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ^(٥). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ^(٦). وَرَوَى نَحْوُهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٧). وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ بِطَوِيلِهِ^(٨).

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَارَ امْتِنَالِ الْقُرْآنِ أَمْرًا وَنَهْيًا سَجِيَّةً لَهُ، وَخُلُقًا تَطَعَهُ، وَتَرَكَ طَبْعَهُ الْجِبَلِيَّ، فَمَهْمَا أَمَرَهُ الْقُرْآنُ فَعَلَهُ، وَمَهْمَا نَهَاَهُ عَنْهُ تَرَكَهُ، هَذَا مَعَ مَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ: مِنَ الْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ، وَكُلُّ خُلُقِي جَمِيلٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أَفٌ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتُهُ؟ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَلَا مَسِيئَتُ خَرًّا وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شِمَمْتُ مِنْكَ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٩). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ

وَلَا بِالْقَصِيرِ^(١٠). وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ وَلَا بِي عَيْسَى التَّرْمِذِيُّ فِي هَذَا كِتَابُ الشَّمَائِلِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ امْرَأَةً، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا خَيْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَيْهِ أَنْ يُسَرُّهُمَا حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِثْمِ، وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَكُونَ هُوَ يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١١). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» تَفَرَّدَ بِهِ^(١٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ ۝ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ فَسَتَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ، وَسَيَعْلَمُ مُحَايِلُوكَ وَمُكَذِّبُوكَ: مِنَ الْمَفْتُونِ الضَّالِّ مِنْكَ وَمِنْهُمْ؟ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْهُمْ عَدَا مَنِ الْكَذَّابُ الْآثِرُ﴾ [القمر: ٢٦] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ ابْنَ إِيَّاسَ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤] قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: سَتَعْلَمُ وَيَعْلَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١٣). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أَي الْمَجْنُونُ^(١٤). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ^(١٥).

وَمَعْنَى «الْمَفْتُونُ» ظَاهِرٌ أَيْ الَّذِي قَدِ افْتَتَنَ عَنِ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُ. وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ «بِأَيِّكُمُ» لِتَدَلُّ عَلَى تَضَمُّنِ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ» وَتَقْدِيرُهُ فَسَتَعْلَمُ وَيَعْلَمُونَ، أَوْ: فَسَتُخْبِرُ وَيُخْبِرُونَ ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أَي هُوَ يَعْلَمُ تَعَالَى أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ - مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ - هُوَ الْمُهْتَدِي، وَيَعْلَمُ الْحِزْبَ الضَّالَّ عَنِ الْحَقِّ.

﴿لَا تُطِيعُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٨) وَدَوَّ لَوْ تَدَهَّنُ فَيَدْهُونُ (٩) وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاظٍ مِهِينٍ (١٠) هَذَا مَسَاءٌ بِمِيسِرٍ (١١) مَنَاجٍ لِلْحَرِيرِ مَعْتَدٍ أَتَمِيرُ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبِيرٌ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ (١٤) إِذَا تُتْلَى

(١) تحفة الأحوذى: ٢٣٢/٩ (٢) الطبري: ٥٢٨/٢٣ (٣) الطبري: ٥٢٩/٢٣ (٤) الطبري: ٥٢٩/٢٣ والدر المثور: ٨/٢٤٣ (٥) الطبري: ٥٣٠/٢٣ (٦) الطبري: ٥٢٩/٢٣ (٧) عبد الرزاق: ٣٠٧/٣ (٨) مسلم: ٥١٣/١ (٩) فتح الباري: ١٠/٤٧١ (١٠) مسلم: ١٨١٤/٤ (١١) فتح الباري: ٦/٦٥٢ (١٢) أحمد: ٢٣٢/٦ (١٣) أحمد: ٣٨١/٢ (١٤) الطبري: ٥٣١/٢٣ (١٥) الطبري: ٥٣٠/٢٣

سورة القلم

٥٦٥

سورة القلم

عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَلَطُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ ۖ سَنَسِفُهُمْ عَلَى الْخُرُوطِ ﴿١٦﴾ سَنَسِفُهُمْ عَلَى الْخُرُوطِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَيْنَا حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا أَيُّومٌ عَلَيْهِمْ وَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَيْنَا حَرْثٌ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ خَرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا نَبْئُونا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يَبْدِلَ أَمْرَنَا خَيْرًا مِّنْهُ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ فَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كُنُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْجَعْظَرِيُّ: الْفَطْطُ الْغَلِيظُ. وَالْجَوَاطُ: الْجَمُوعُ الْمُنَوَّعُ. وَأَمَّا الزَّيْمُ فَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ» قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَيْمَةٌ مِثْلُ زَيْمَةِ الشَّاةِ^(١). وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ كَانَ مَشْهُورًا بِالسَّوءِ كَشَهْرَةِ الشَّاةِ ذَاتِ الزَّيْمَةِ مِنْ بَيْنِ أَخَوَاتِهَا، وَإِنَّمَا الزَّيْمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ هُوَ الدَّعِي فِي الْقَوْمِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَيْمَةِ.

(١) الطبري: ٥٣٣/٢٣ (٢) الطبري: ٥٣٣/٢٣ (٣) الطبري: ٥٣٣/٢٣ (٤) الطبري: ٥٣٤/٢٣ (٥) فتح الباري: ٣٥٨/١ ومسلم: ٢٤٠/١ (٦) أبو داود: ٢٥/١ وتحفة الأحوذى: ١/٢٣٢ والنسائي: ٢٨/١ و٤١٢/٤ وفي الكبرى: ٤٩٦/٦ وابن ماجه: ١٢٥/١ (٧) أحمد: ٣٨٢/٥ (٨) فتح الباري: ١٠/٤٨٧ ومسلم: ١٠١/١ وأبو داود: ١٩٠/٥ وتحفة الأحوذى: ٦/١٧٢ والنسائي في الكبرى: ٤٩٦/٦ (٩) أحمد: ٣٠٦/٤ (١٠) فتح الباري: ٥٣٠/٨ ومسلم: ٢١٩٠/٤ وتحفة الأحوذى: ٣٣١/٧ والنسائي في الكبرى: ٤٩٧/٦ وابن ماجه: ١٣٧٨/٢ (١١) البخاري: ٤٩١٧

عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَلَطُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ ۖ سَنَسِفُهُمْ عَلَى الْخُرُوطِ ﴿١٦﴾ سَنَسِفُهُمْ عَلَى الْخُرُوطِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَيْنَا حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا أَيُّومٌ عَلَيْهِمْ وَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَيْنَا حَرْثٌ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ خَرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا نَبْئُونا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يَبْدِلَ أَمْرَنَا خَيْرًا مِّنْهُ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ فَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كُنُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

يَقُولُ تَعَالَى: كَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ وَأَعْطَيْنَاكَ الشَّرْعَ الْمُسْتَقِيمَ، وَالْخُلُقَ الْعَظِيمَ ﴿فَلَا تَطْعُ الْمَكِيدِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وَدُّوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ تَرُخَّصُ لَهُمْ فَيَرْخُصُونَ^(١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَذْهَبُ فَيَذْهَبُونَ﴾ تَرَكْنُ إِلَى إِلَهِتِهِمْ وَتَتَرَكُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ^(٢). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَاذِبَ لِيُضْعِفَهُ وَمَهَانَتِهِ إِنَّمَا يَبْقَى بِأَيْمَانِهِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي يَجْتَرِئُ بِهَا عَلَى أَسمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتِعْمَالِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلْمَهِينُ: الْكَاذِبُ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَازِلٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ: يَغْنِي الْإِغْتِيَابُ^(٤). ﴿مَسْلَمٌ بِنَسِيمٍ﴾ يَغْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُمْ، وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيِّنِ وَهِيَ الْحَالِفَةُ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ... الْحَدِيثُ^(٥). وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ طَرَفٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ^(٦).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ حُذَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(٧). رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَةٍ^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٌ﴾ أَيُّ يَمْنَعُ مَا عَلَيْهِ وَمَا لَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ ﴿مُعْتَدٍ﴾ فِي تَنَاوُلِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ يَتَجَاوَزُ فِيهَا الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ ﴿أَيْمٌ﴾ أَيُّ يَتَنَاوَلُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ أَمَّا الْعُتْلُ فَهُوَ الْفَطْطُ الْغَلِيظُ الصَّحِيحُ الْجَمُوعُ الْمُنَوَّعُ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ. أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ»^(٩). وَقَالَ وَكِيعٌ: «كُلُّ جَوَاطٍ جَعْظَرِي مُسْتَكْبِرٍ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ، وَكِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ بِهِ^(١٠).

تَعَالَى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ أَي أَصَابَتْهَا أَفَّةٌ سَمَاقِيَّةٌ ﴿فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ^(٢). وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَالسُّدِّيُّ: مِثْلُ الزَّرْعِ إِذَا حُصِدَ أَي: هَشِيمًا يَبَسًا. ﴿فَنَادَا مُصِيبِينَ﴾ أَي لَمَّا كَانَ وَقْتُ الصُّبْحِ نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَذْهَبُوا إِلَى الْجَذَاذِ أَي: الْقَطْعِ: ﴿أَنِ اعْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَرِيمِينَ﴾ أَي تُرِيدُونَ الصَّرَامَ ﴿فَاطْلُقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ﴾ أَي يَتَنَاجُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِحَيْثُ لَا يُسْمِعُونَ أَحَدًا كَلَامَهُمْ. ثُمَّ فَسَّرَ اللَّهُ سُحْنَانَهُ وَتَعَالَى عَالِمُ السِّرِّ وَالتَّجْوَى مَا كَانُوا يَخْخَفُونَ بِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاطْلُقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ﴾^(٣) أَلَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ أَي يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تُمْكِنُوا الْيَوْمَ فَقِيرًا يَدْخُلُهَا عَلَيْكُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدْنَا عَلَى حَرْبٍ﴾ أَي قُوَّةً وَشِدَّةً ﴿فَقَدِرِينَ﴾ أَي عَلَيْهَا، فِيمَا يُزْعَمُونَ وَيُزْعَمُونَ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَسَّالُونَ﴾ أَي فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَأَشْرَفُوا عَلَيْهَا، وَهِيَ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ اسْتَحَالَتْ عَنْ تِلْكَ النَّصَارَةِ وَالزَّهْرَةِ وَكَثْرَةِ الثَّمَارِ إِلَى أَنْ صَارَتْ سُودَاءَ مُذْلَهَمَةً لَا يَنْتَفِعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَأُوا الطَّرِيقَ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿إِنَّا لَسَّالُونَ﴾ أَي قَدْ سَلَكْنَا إِلَيْهَا غَيْرَ الطَّرِيقِ فَتُهِنَّا عَنْهَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. ثُمَّ رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ وَتَقَبَّلُوا أَنَّهَا هِيَ فَقَالُوا: ﴿بَلْ عَنَّا غُرُومٌ﴾ أَي بَلْ هِيَ هَذِهِ، وَلَكِنْ نَحْنُ لَا حِطَّ لَنَا وَلَا نَصِيبَ.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرَمَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ: أَيِ اعْدَلْتُمْ وَخَيْرْتُمْ^(٣). ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا سُيُُوحُ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿لَوْلَا سُيُُوحُ﴾ أَي لَوْلَا تَسْتَنُونَ^(٤). قَالَ السُّدِّيُّ: وَكَانَ اسْتِنَاؤُهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ تَسْبِيحًا وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٥).

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا سُيُُوحُ﴾ أَي هَلَا تُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أُنُوًا بِالطَّاعَةِ حَيْثُ لَا نَنْفَعُ، وَنَدِمُوا، وَاعْتَرَفُوا حَيْثُ لَا يَنْجَعُ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٦) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ أَي يَلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى مَا كَانُوا أَصْرُوا عَلَيْهِ مِنْ مَنَعِ الْمَسَاكِينِ مِنْ حَقِّ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ وَابْنُنَا قَالَ أَسْطِيطُ الْآلَرَيْنِ يَقُولُ تَعَالَى: هَذَا - مُقَابَلَةً مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ - كَفَرُ بِآيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَغْرَضَ عَنْهُ، وَزَعَمَ أَنَّهَا كَذِبٌ مَأْخُودٌ مِنْ أَسْطِيطِ الْأَوَّلِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾^(٧) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا^(٨) وَبَنِينَ شُهُودًا^(٩) وَمَهْدَتْ لَهُ تَهْنِيدًا^(١٠) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ^(١١) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِابْنَيْنَا عَيْنِدَا^(١٢) سَأْتُهُمُ صَعُودًا^(١٣) إِنَّهُمْ فَكَرُوا فَدَرَرُوا^(١٤) فَقِيلَ كَيْفَ فَدَرَرُوا^(١٥) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَرُوا^(١٦) ثُمَّ نَظَرُوا^(١٧) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ^(١٨) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ^(١٩) فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ^(٢٠) إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ^(٢١) سَأَصْلِيهِ سَفَرًا^(٢٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرَا^(٢٣) لَا يُبْقِي وَلَا نَذَرَ^(٢٤) لَوَاقِحَ لِلْبَشَرِ^(٢٥) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ^(٢٦) [المدر: ١١-٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿سَسِئْتُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: سَسَبِينَ أَمْرُهُ بَيَانًا وَاضِحًا، حَتَّى يَعْرِفُوهُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ كَمَا لَا تَخْفَى عَلَيْهِمُ السَّمَةُ عَلَى الْخُرَاطِيمِ^(١). وَقَالَ آخَرُونَ: ﴿سَسِئْتُ﴾ سِمَةُ أَهْلِ النَّارِ يَعْنِي نُسُودَ وَجْهَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْوَجْهِ بِالْخُرُطُومِ.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَةِ إِذْ أَوْسُوا لِيَصْرَبْنَهَا مُصِيبِينَ﴾ وَلَا يَسْتَنُونَ^(٢) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ^(٣) فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ^(٤) فَنَادَا مُصِيبِينَ^(٥) أَنِ اعْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَرِيمِينَ^(٦) فَاطْلُقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ^(٧) أَلَا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ^(٨) وَعَدْنَا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرِينَ^(٩) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَسَّالُونَ^(١٠) بَلْ عَنَّا غُرُومُونَ^(١١) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا سُيُُوحُ^(١٢) قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ^(١٣) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ^(١٤) قَالُوا بَلَوْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ^(١٥) عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَ حَيْثُ مِنَّا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ^(١٦) كَذَلِكَ الْقَدَابُ وَقَدَابُ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(١٧)

[مِثْلٌ لِلذَّهَابِ كَسْبُ الْكُفَّارِ]

هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِكُفَّارٍ قُرَيْشٍ، فِيمَا أَهْدَى إِلَيْهِمْ: مِنَ الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ النِّعْمَةِ الْجَسِيمَةِ، وَهُوَ بِنِعْمَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَابَلُوهُ بِالتَّكْدِيبِ وَالرَّدِّ وَالْمُحَارَبَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أَيِ اخْتَبَرْنَا هُمْ ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَةِ﴾ وَهِيَ الْبُنْتَانُ الْمُسْتَمِيلُ عَلَى أَنْوَاعِ الثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ ﴿إِذْ أَوْسُوا لِيَصْرَبْنَهَا مُصِيبِينَ﴾ أَيِ حَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ لِيَجِدَنَّ ثَمَرَهَا لَيْلًا، لِئَلَّا يَعْلَمَ بِهِمْ فَقِيرٌ وَلَا سَائِلٌ لِيَتَوَقَّرَ ثَمَرُهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا يَتَصَدَّقُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ ﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ أَيِ فِيمَا حَلَفُوا بِهِ، وَلِهَذَا حَسَنَهُمُ اللَّهُ فِي أَيْمَانِهِمْ فَقَالَ

(١) الطبري: ٥٤١/٢٣ (٢) الطبري: ٥٤٤/٢٣ (٣) الطبري:

٥٥٠/٢٣ والدر المنثور: ٢٥٢/٨ (٤) الطبري: ٥٥١/٢٣

والدر المنثور: ٢٥٣/٨ (٥) الطبري: ٥٥٠/٢٣

الْجُدَاذِ، فَمَا كَانَ جَوَابَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِلَّا الْإِعْتِرَافَ بِالْخَطِيئَةِ وَالذَّنْبِ ﴿٣٤﴾ قَالُوا بِرَبِّنَا إِنََّّا كُنَّا لَطَائِفٌ ﴿٣٥﴾ أَيْ اعْتَدَيْنَا وَنَعَيْنَا وَطَعْنَا، وَجَاوَزْنَا الْحَدَّ حَتَّى أَصَابْنَا مَا أَصَابَنَا.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَهُ رَبَّنَا مُرِيتُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ قِيلَ: رَغِبُوا فِي [بَدْلِهَا] لَهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَقِيلَ: اخْتَسِبُوا ثَوَابَهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانُوا مِنْ قَرِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا: ضَرَوَانُ، عَلَى سِتَّةِ أُمِّيَالٍ مِنْ صَنْعَاءَ. وَقِيلَ: كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ أَبُوهُمْ قَدْ خَلَفَ لَهُمْ هَذِهِ الْحَبَّةَ، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَدْ كَانَ أَبُوهُمْ يَسِيرُ فِيهَا سِيرَةً حَسَنَةً، فَكَانَ مَا يَسْتَغْلُ مِنْهَا يَرُدُّ فِيهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَدَّخِرُ لِعِيَالِهِ قُوتَ سِتَّتِهِمْ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَاضِلِ، فَلَمَّا مَاتَ وَوَرِثَهُ بَنُوهُ قَالُوا: لَقَدْ كَانَ أَبُوْنَا أَحْمَقَ إِذْ كَانَ يَصْرِفُ مِنْ هَذِهِ شَيْئًا لِلْفُقَرَاءِ، وَلَوْ أَنَا مَتَعْنَاهُمْ لَتَوَثَّرَ ذَلِكَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَىٰ ذَلِكَ عُوِفُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا بَأْيَدِيهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ: رَأْسَ الْمَالِ وَالرَّيْحَ وَالصَّدَقَةَ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَيْءٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أَيْ هَكَذَا عَذَابُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَبَخَلَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْعَ حَقَّ الْمُسْكِينِ وَالْفَقِيرِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ، وَبَذَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴿وَلَعَلَّابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ هَذِهِ عُقُوبَةُ الدُّنْيَا كَمَا سَمِعْتُمْ. وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ ﴿٣٧﴾ أَفْتَحُ الْمَلَكَيْنِ كَالْمُزِينِ ﴿٣٨﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْتَرُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ لَكُمْ آيْمُنُ عَلَيْنَا بِلِقَاءِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٤٢﴾ سَأَلَهُمْ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٤﴾

[جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ وَأَنَّهُمْ لَا يُجْعَلُونَ كَالْمُجْرِمِينَ]

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَا أَصَابَهُمْ فِيهَا مِنَ النِّعَةِ، جِئَ عَصَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ - بَيْنَ أَنْ لِمَنِ اتَّقَاهُ وَأَطَاعَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ الَّتِي لَا تَبِيدُ وَلَا تَفْرُغُ، وَلَا يَنْقُصِي نَعِيمُهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْكَاذِبِينَ كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كِلَا رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ! وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أَيْ كَيْفَ تَطُنُّونَ ذَلِكَ!؟

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْتَرُونَ ﴿٣٨﴾ يَقُولُ تَعَالَى: أَفَأَيَّدِيكُمْ كِتَابٌ مُزَّلٌ مِنَ السَّمَاءِ، تَدْرُسُونَهُ وَتَحْفَظُونَهُ وَتَتَدَاوُلُونَهُ، بِقَوْلِ الْخَلْفِ عَنِ السَّلَفِ، مُتَضَمِّنٌ حُكْمًا مُؤَكَّدًا كَمَا تَدْعُونَهُ؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْتَرُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ آيْمُنُ عَلَيْنَا بِلِقَاءِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَكُمْ عُهُودٌ مِنَّا وَمَوَاقِيقُ مُؤَكَّدَةٌ؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أَيْ أَنَّهُ سَيَحْصُلُ لَكُمْ مَا تَرِيدُونَ وَتَشْتَهُونَ ﴿سَأَلَهُمْ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أَيْ قُلْ لَهُمْ: مَنْ هُوَ الْمُتَضَمِّنُ الْمُتَكَلِّفُ بِهَذَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُ: أَيُّهُمْ بِذَلِكَ كَفِيلٌ^(١). ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أَيْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكَنِّفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُو إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْطِيعُونَ﴾ ﴿٤١﴾ خَشِيعَةً أَصْرَهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٢﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا اللَّوَيْتِ سَسْتَدْرِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَمَّا لَهُمْ إِنْ كَذَّبَ مَتِينٌ ﴿٤٤﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْنُيُونَ ﴿٤٦﴾

[هَوَلُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ ﴿لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ بَيْنَ مَتَى ذَلِكَ كَائِنٌ وَوَاقِعٌ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكَنِّفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُو إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْطِيعُونَ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ: مِنَ الْأَهْوَالِ وَالزَّلَازِلِ وَالْبَلَاءِ، وَالْإِمْتِحَانِ وَالْأُمُورِ الْعَظَامِ. وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ هَهُنَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُكَنِّفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبَ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَفِي غَيْرِهِمَا مِنْ طُرُقٍ، وَلَهُ الْفَاطُ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ مَشْهُورٌ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَشِيعَةً أَصْرَهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ﴾ أَيْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، بِإِجْرَامِهِمْ وَتَكْبِيرِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَعُوِفُوا بِنَقِيضِ مَا كَانُوا دُعَاؤًا إِلَى الشُّجُودِ فِي الدُّنْيَا قَامَتْنَعُوا مِنْهُ مَعَ صِحَّتِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ، كَذَلِكَ عُوِفُوا بِعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، إِذَا تَجَلَّى الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَسْجُدُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ الْكَافِرِينَ وَلَا الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَسْجُدَ، بَلْ يَعُودُ ظَهْرُ أَحَدِهِمْ طَبَقًا وَاحِدًا، كَلَمَّا أَرَادَ

(١) الطبري: ٥٥٤/٢٣ (٢) فتح الباري: ٥٣١/٨ و٥٣٢
ومسلم: ١٦٧/١

مُعَاضِبًا عَلَى قَوْمِهِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ: مِنْ رُكُوبِهِ فِي
الْبَحْرِ، وَالْتِقَامِ الْحُوتِ لَهُ، وَشُرُودِ الْحُوتِ بِهِ فِي الْبَحَارِ،
وِظْلَمَاتِ غَمَرَاتِ اللَّيْلِ، وَسَمَاعِهِ تَسْبِيحِ الْبَحْرِ بِمَا فِيهِ
لِلْعَالِي الْقَدِيرِ، الَّذِي لَا يَزِدُّ مَا أَنْفَذَهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، فَجَبَّتْ
نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ: «إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنْ
الْعَمْرِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» [الأنبياء: ٨٧] وَقَالَ تَعَالَى:
«فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ» [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] وَقَالَ هُنَا: «إِذْ نَادَى وَهُوَ
مَكْطُومٌ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: وَهُوَ مَعْمُومٌ^(٢).
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «فَاجْتَبَيْهِ رَبُّ فَجَعَلَهُ مِنَ الْفَاضِلِينَ».

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ
مَتَّى»^(٣). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٤) وَهُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٥).

[إِصَابَةُ الْعَيْنِ حَقًّا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ قُلْنَا بِأَبْصَارِهِمْ» قَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا «لَئِنْ قُلْنَا»: لَئِنْ قُلْنَا نَكْذِبُكَ^(٦)
«بِأَبْصَارِهِمْ» أَيُّ يَعْينُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ، بِمَعْنَى يَحْسُدُونَكَ
لِيُغْضِبَهُمْ إِيَّاكَ، لَوْلَا وَقَايَةُ اللَّهِ لَكَ وَحِمَايَتُهُ إِيَّاكَ مِنْهُمْ.
وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ إِصَابَتُهَا وَتَأْثِيرُهَا
حَقٌّ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ
الْمَرْوِيَّةُ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَثِيرَةٍ.

(حديث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رَوَى أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»^(٧). هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ
مَاجَةَ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بُرَيْدَةَ مَوْقُوفًا
وَفِيهِ قِصَّةٌ^(٨). وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(٩). وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثُ
الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ
مَوْقُوفًا: لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ^(١٠).

(١) فتح الباري: ٢٥٥/٨ ومسلم: ١٩٩٧/٤ (٢) الطبري: ٥٦٣/٢٣ (٣) أحمد: ٣٩٠/١ (٤) فتح الباري: ٥١٩/٦

(٥) فتح الباري: ١٤٤/٨ ومسلم: ١٨٤٦/٤ (٦) الطبري: ٥٦٤/٢٣ (٧) ابن ماجه: ١١٦١/٢ (٨) مسلم: ١/١٠

(٩) تحفة الأحوذى: ٢١٧/٦ (١٠) فتح الباري: ١٠/١٦٣ وأبو داود: ٢١٣/٤ وتحفة الأحوذى: ٢١٧/٦

أَحَدُهُمْ أَنْ يَسْجُدَ خَرًّا لِقَفَاهُ عَكْسَ السُّجُودِ، كَمَا كَانُوا فِي
الدُّنْيَا بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ.

[وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ يَكْذِبُ بِالْقُرْآنِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ» يَعْنِي
الْقُرْآنَ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ أَيْ دَغْنِي وَإِيَّاهُ مِنِّي وَمِنْهُ، أَنَا
أَعْلَمُ بِهِ كَيْفَ اسْتَدْرَجُهُ وَأَمُدُّهُ فِي عَيْهِ، وَأَنْظُرُهُ ثُمَّ أَخْذُهُ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُونَ» أَيْ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ بَلْ يَعْتَمِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ
اللَّهِ كَرَامَةً وَهُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِهَانَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
«يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ شَأْنٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ
بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» [المؤمنون: ٥٦] وَقَالَ تَعَالَى: «فَلَمَّا سُوا مَا
دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُزِحُوا بِمَا
أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: «وَأَمْلَى
لَهُمْ إِنْ كِيدَى مَتِينٌ» أَيْ وَأَوْحَرَهُمْ وَأَنْظَرَهُمْ وَأَمْدَهُمْ،
وَذَلِكَ مِنْ كَيْدِي وَمَكْرِي بِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ» أَيْ عَظِيمٌ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَكَذَّبَ رُسُلِي،
وَاجْتَرَأَ عَلَى مَعْصِيَتِي.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ:
«وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ» [إِنْ أَخَذَهُ إِلَهُ
شَدِيدٌ] [هود: ١٠٢]^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «أَمْ تَسْتَأْذِنُ أَجْرًا فَهُمْ
مِنْ مَعْرِي مَثْقُولُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» تَقَدَّمَ
تَفْسِيرُهُمَا فِي سُورَةِ الطُّورِ، وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ: أَلَمْ يَأْ
مُحَمَّدٌ تَذْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلَا أَجْرَ تَأْخُذُهُ مِنْهُمْ،
بَلْ تَرْجُو ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ يَكْذِبُونَ بِمَا
جِئْتَهُمْ بِهِ بِمَجْرَدِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ.

«فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْكُوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْطُومٌ ﴿٤٨﴾
لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْتُمْ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ لَنَبَذَ الْبَعْرَاءُ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَيْهِ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنْ قُلْنَا بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا
يَسْمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُوا إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾
[الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمُ الْإِسْتِعْجَالِ مِثْلُ يُونُسَ عَلَيْهِ
السَّلَام]

يَقُولُ تَعَالَى: «فَاصْبِرْ» يَا مُحَمَّدُ عَلَى أَدَى قَوْمِكَ لَكَ
وَتَكْذِيبِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَحْكُمُ لَكَ عَلَيْهِمْ وَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ
وَلَا تَتَّبِعْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ «وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْكُوْتِ»
يَعْنِي ذَا الثَّنُونِ وَهُوَ يُونُسُ بْنُ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ ذَهَبَ

سورة القلم

٥٦٦

سورة القلم

خَشَعَةً أَنْصَرَهُمْ تَرْهَقَهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ نَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نَافَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبْدِيَ الْعُرَءَ وَهُوَ مَكْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْ رُبَّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنَسْبَعُوا الْذِكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْخَافَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَافَةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِطَاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا وَعَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقُومَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

حَقٌّ^(١). أَخْرَجَاهُ^(١١). وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»^(١٢). تَقَرَّدَ بِهِ.

(حَدِيثُ أَسمَاءَ بِنْتِ عَمِيْسٍ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيِّ قَالَ: قَالَتْ أَسمَاءُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَنِي جَعْفَرٍ نَصَبِيهِمُ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ الْقَدَرَ لَسَبَقْتَهُ الْعَيْنُ»^(١٣). وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ^(١٤) وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتَعْسَلْتُمْ فَأَغْسِلُوا»^(١١) أَنْفَرَدَ بِهِ دُونُ الْبُخَارِيِّ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُوذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ يَقُولُ: «أَعِذْكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ» وَيَقُولُ: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعُوذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَأَهْلُ السُّنَنِ^(١٢).

(حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ سَهْلٍ بْنُ حُنَيْفٍ قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُحَبَّاءَ، فَمَا لَبْتَ أَنْ لُبَطَ بِهِ فَأَتَيْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرَكَ سَهْلًا صَرِيحًا قَالَ: «مَنْ تَهْتُمُونَ بِهِ؟» قَالُوا: عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ» ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَضُبَّ عَلَيْهِ. قَالَ شُفَيَّانٌ: قَالَ مَعْمَرُ عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ^(١٣). وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: وَكَفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ^(١٤).

(حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) رَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الْجَانِّ وَأَعْيُنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوَّذَاتَانِ، أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ^(١٥). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ^(١٦).

(حَدِيثُ آخَرُ عَنْهُ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اِسْتَكْبَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ وَعَيْنٍ تَشْنِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ»^(١٧). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ^(١٨).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَوْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اِسْتَكَى فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ»^(١٩).

(حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَيْنَ

(١) مسلم: ١٧١٩/٤ (٢) فتح الباري: ٤٧٠/٦ وأبو داود: ٥/١٠٤ وتحفة الأحوذى: ٢٢٠/٦ والنسائي في الكبرى: ٢٥٠/٦ وابن ماجه: ١١٦٤/٢ (٣) سنن ابن ماجه: ٣٥٠٩ (٤) النسائي في الكبرى: ٧٦١٧-٧٦١٩ (٥) ابن ماجه: ١١٦١/٢ (٦) تحفة الأحوذى: ٢١٨/٦ والنسائي: ٢٧١/٨ (٧) أحمد: ٢٨/٣، ٥٦ (٨) مسلم: ١٧١٨/٤ وتحفة الأحوذى: ٤٦/٤ والنسائي في الكبرى: ٢٤٩/٦ وابن ماجه: ١١٦٤/٢ (٩) أحمد: ٥٨/٣، ٧٥ (١٠) أحمد: ٣١٩/٢ (١١) فتح الباري: ٢١٣/١٠ ومسلم: ١٧١٩/٤ (١٢) ابن ماجه: ١١٥٩/٢ (١٣) أحمد: ٤٣٨/٦ (١٤) تحفة الأحوذى: ٢١٩/٦ وابن ماجه: ١١٦٠/٢

تفسير سورة الحاقة وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِوَاعِدِ
بِالْقَارِعَةِ ٤ ﴿فَاتَّأَمَّ ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ٥﴾ بِطَاغِيَةٍ ٦ ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَهْلِكُوا
بِرَيْحٍ صَرْصَرٍ عَلِيٍّ ٧﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنَّى أَنِ
تَكُونَ الْفُؤَادُ فِي رِجْلِهِ ٨ ﴿فَكَذَّبُوا وَعَمَلُوا إِلَىٰ أَعْيُنِنَا ٩﴾ فَهَذَا
نَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ١٠ ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤَيَّدِينَ ١١﴾
بِالْعَاطِفَةِ ١٢ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ١٣﴾ إِنَّا لَنَّا
طَعْنَا الْمَاءَ هَلَكَ فِي الْيَابِسَةِ ١٤ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبُوا أَعْيُنَكُمْ
رَبِّهِ ١٥﴾

[التَّنبِيهُ عَلَى عِظَمِ الْقِيَامَةِ]

الْحَاقَّةُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ فِيهَا يَتَحَقَّقُ الْوَعْدُ
وَالْوَعْدُ، وَلِهَذَا عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْحَاقَّةُ ١﴾.

[ذِكْرُ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ]

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى إِهْلَاكَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبِينَ بِهَا فَقَالَ تَعَالَى:
﴿فَاتَّأَمَّ ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ٥﴾ بِطَاغِيَةٍ ٦ ﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَهْلِكُوا
بِرَيْحٍ صَرْصَرٍ عَلِيٍّ ٧﴾ هَكَذَا قَالَ فَتَادَةُ: الطَّاغِيَةُ:
الْصَّيْحَةُ ٦). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الطَّاغِيَةُ: الدُّنُوبُ، وَكَذَا قَالَ
الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَابْنُ زَيْدٍ إِنَّهَا الطُّغْيَانُ. وَقَرَأَ ابْنُ زَيْدٍ:
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ٥﴾ [الشمس: ١١]

﴿وَلَمَّا عَادَ فَأَهْلِكُوا ٥﴾ بِرَيْحٍ صَرْصَرٍ ٧ ﴿أَيُّ بَارِدَةٍ. قَالَ فَتَادَةُ
وَالسُّدِّيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالثَّوْرِيُّ: ﴿عَلِيٍّ ٧﴾ أَيُّ شَدِيدَةٍ
الْهُبُوبِ، قَالَ فَتَادَةُ: عَثَّتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى نَقَبَتْ عَنْ
أَفْتِدَانِهِمْ ٧). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿صَرْصَرٍ ٧﴾ بَارِدَةٍ ٧ ﴿عَلِيٍّ ٧﴾
عَثَّتْ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ رَحْمَةٍ وَلَا بَرَكَهٍ ٨). وَقَالَ عَلِيُّ وَغَيْرُهُ:
عَثَّتْ عَلَى الْخَزَنَةِ فَخَرَجَتْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٩).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ٦﴾ أَيُّ سَلَطَهَا عَلَيْهِمْ ٦ ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنَّى
أَنِ تَكُونَ الْفُؤَادُ فِي رِجْلِهِ ٨﴾ أَيُّ كَوَامِلِ مُتَتَابِعَاتِ مَسَائِمٍ. قَالَ ابْنُ

الْتَرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ١).

(حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) رَوَى ابْنُ مَاجَهَ عَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهَا أَنْ تَسْتَرْفِيَ
مِنَ الْعَيْنِ ٢). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ٣).

(حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي
أَمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشَيْبِ الْخَرَارِ
مِنَ الْجُبْفَةِ، اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ
حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي
عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ
مُحِبَّاءٍ، فَلَبِطَ سَهْلٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ! وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَلَا يُفِيقُ،
قَالَ: «هَلْ تَتَهَمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَظَرْنَا إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ
رَبِيعَةَ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِرًا فَغَطَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: «عَلَامَ
يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَكْتَ؟» - ثُمَّ
قَالَ - اغْتَسَلَ لَهُ ٤ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ
وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَذَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ
عَلَيْهِ، فَصَبَّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ يَكْفَأُ
الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ فَرَّاحَ سَهْلٍ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ
بَأْسٌ ٥).

(حَدِيثُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ
عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: انْطَلَقَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَسَهْلُ بْنُ
حُنَيْفٍ يُرِيدَانِ الْغُسْلَ، قَالَ: فَانْطَلَقَا يَلْتَمِسَانِ الْخَمْرَ.
قَالَ: فَوَضَعَ عَامِرٌ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ صُوفٍ فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ،
فَأَصْبَتْهُ بِعَيْنِي، فَزَلَّ الْمَاءُ يَغْتَسِلُ، قَالَ: فَسَمِعْتُ لَهُ فِي
الْمَاءِ فَرْقعةً فَأَتَيْتُهُ فَتَدَيْتُهُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُجِبْنِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ
فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَجَاءَ يَمْشِي فَخَاضَ الْمَاءَ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
بَيَاضِ سَاقَيْهِ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ
اضْرَفْ عَنْهُ حَرَّهَا وَبَرِّدْهَا وَوَصِّبْهَا» قَالَ: فَقَامَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ،
أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَبْرِكْ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ» ٥).

[رَمَى الْكُفَّارِ وَجَوَابُهُمْ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّمَا لَمْجُونٌ ١٦﴾ أَيُّ يَزْدُرُونَهُ بِأَعْيُنِهِمْ
وَيُؤَدُّونَهُ بِاللَّسْتِثَمِ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَمْجُونٌ أَيُّ لِمَجِيئِهِ
بِالْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ١٧﴾.

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ نَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(١) تحفة الأحوذى: ٢٢٠/٦ والطسائي في الكبرى: ٣٦٥/٤

(٢) ابن ماجه: ١١٦١/٢ (٣) فتح الباري: ٢١٠/١٠ ومسلم:

١٧٢٥/٤ (٤) أحمد: ٤٨٦/٣ (٥) أحمد: ٤٤٧/٣ (٦)

الطبري: ٥٧١/٢٣ (٧) الطبري: ٥٧٢/٢٣ (٨) الطبري:

٥٧٢/٢٣ (٩) الطبري: ٥٧٢/٢٣

سُعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُمْ:
حُسُومًا مُتَبَاعَاتٍ^(١). وَعَنْ عِكْرِمَةَ وَالرَّبِيعِ بْنِ خُنَيْمٍ:
مَشَائِيمَ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَيَّامٍ يَحْسَابٍ﴾
[فصلت: ١٦] وَيُقَالُ: إِنَّهَا الَّتِي تُسَمِّيهَا النَّاسُ الْأَعْجَازَ،
وَكَانَ النَّاسُ أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا
صَرَخَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَحْلٍ حَاقِيَةٌ﴾.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿حَاقِيَةٌ﴾ خَرَبَةٌ. وَقَالَ غَيْرُهُ: بِالْيَاءِ أَيْ
جَعَلَتِ الرِّيحُ تَضْرِبُ بِأَحَدِهِمُ الْأَرْضَ فَيَجْرُ مِيْتًا عَلَى أُمِّ
رَأْسِهِ، فَيَنْشِدُخُ رَأْسُهُ وَتَبْقَى جُثَّتُهُ هَامِدَةً، كَأَنَّهَا قَائِمَةٌ
النَّخْلَةَ إِذَا خَرَّتْ بِلَا أَغْصَانٍ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكَتُ عَادَ
بِالدَّبُورِ»^(٢). «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ؟» أَيْ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ
مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَقَايَاهُمْ، أَوْ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ؟ بَلْ بَادُوا عَنْ
آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ خَلْفًا.
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ قُرَيْءٌ يَكْسِرُ
الْقَافَ أَيْ وَمَنْ عِنْدَهُ مِمَّنْ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ مِنْ كُفَّارِ
الْقُوطِ، وَقَرَأَ آخَرُونَ بِفَتْحِهَا، أَيْ: وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ
الْمُشْبِهِينَ لَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ وَهُمْ الْأُمَمُ
الْمُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ ﴿بِالْحَاطَةِ﴾ وَهِيَ التَّكْذِيبُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ،
قَالَ الرَّبِيعُ: ﴿بِالْحَاطَةِ﴾ أَيْ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ:
بِالْحَطَايَا^(٣). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وَهَذَا
جَنْسٌ، أَيْ: كُلُّ كَذَبٍ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿كُلُّ كَذَبٍ أُرْسِلَ فَقَى وَبِيدٌ﴾ وَمَنْ كَذَبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَبَ
بِالْجَمِيعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمَ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾،
﴿كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾
[الشعراء: ١٠٥، ١٢٣، ١٤١] وَإِنَّمَا جَاءَ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ
وَاحِدٌ، وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَآخَذَهُمْ آخَذَةً
رَابِيَةً﴾ أَيْ عَظِيمَةً شَدِيدَةً أَلِيمَةً، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿رَابِيَةً﴾
شَدِيدَةً^(٤). وَقَالَ السُّدِّيُّ: مُهْلِكَةً.

[التَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ السَّفِينَةِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أَيْ زَادَ عَلَى الْحَدِّ
يَاذُنِ اللَّهِ وَارْتَفَعَ عَلَى الْوُجُودِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ:
﴿طَغَا الْمَاءُ﴾ كَثُرَ^(٥). وَذَلِكَ بِسَبَبِ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلَى قَوْمِهِ جِئْنَ كَذْبُوهُ وَخَالِفُوهُ، فَعَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ فَاسْتَجَابَ
اللَّهُ لَهُ وَعَمَّ أَهْلَ الْأَرْضِ بِالطُّوفَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي
السَّفِينَةِ، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ سُلَالَةِ نُوحٍ وَذُرِّيَّتِهِ. وَلِهَذَا قَالَ

تَعَالَى مُثْنًا عَلَى النَّاسِ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾
وَهِيَ السَّفِينَةُ الْجَارِيَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ﴿لِنَجْعَلَنَّ لَكُمْ ذِكْرًا﴾
عَادَ الضَّمِيرُ عَلَى الْجَنْسِ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، أَيْ وَأَبْقَيْنَا
لَكُمْ مِنْ جَنْسِهَا مَا تَرْكَبُونَ عَلَى تِيَارِ الْمَاءِ فِي الْبَحَارِ، كَمَا
قَالَ: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَفْئَالِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى
ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
[الزخرف: ١٢، ١٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَاءَهُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ
الْمَشْحُونِ﴾^(٦) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ [يس: ٤١، ٤٢]
وَقَالَ قَتَادَةُ: أَبْقَى اللَّهُ السَّفِينَةَ حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَائِلُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ^(٧). وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَعِثْنَا أَذْنَ
وَعِيَةً﴾ أَيْ وَتَفْهَمُ هَذِهِ النُّعْمَةَ وَتَذْكُرُهَا أَذْنٌ وَاعِيَةٌ. قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ: حَافِظَةٌ سَامِعَةٌ^(٨). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿أَذْنٌ وَعِيَةٌ﴾ عَقَلَتْ

(١) الطبري: ٥٧٤، ٥٧٣/٢٣ (٢) مسلم: ٦١٧/٢ (٣)
الطبري: ٥٧٦/٢٣ (٤) الطبري: ٥٧٧/٢٣ (٥) الطبري:
٥٧٧/٢٣ (٦) الطبري: ٥٧٨/٢٣ (٧) الطبري: ٥٧٩/٢٣

عَنِ اللَّهِ فَانْتَفَعْتُ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿رَبِّهَا أَدْنُ وَبِعِهَا﴾ سَمِعْتُهَا أَدْنُ وَوَعْتُ. أَي: مَنْ لَهُ سَمْعٌ صَحِيحٌ وَعَقْلٌ رَجِيحٌ، وَهَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ فَهِمَ وَوَعَى.

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۖ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَتْ كُنْهُ بِسْمِيهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةٌ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِمْ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ﴾

﴿ذِكْرُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

[فَرَحَهُ مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِسْمِيهِ وَحُسْنُ حَالِهِ] يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ سَعَادَةِ مَنْ يُؤْتَى كِتَابُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسْمِيهِ وَفَرَحِهِ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهِ: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً﴾ أَيُّ خُذُوا إِقْرَأُوا كِتَابِيَّهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي فِيهِ خَيْرٌ وَحَسَنَاتٌ مُحَضَّةٌ، لِأَنَّهُ وَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: مَعْنَى ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً﴾ أَيُّ هَافِرُوا كِتَابِيَّهِ وَ(وَم) زَائِدَةٌ. كَذَا قَالَ، وَالظَّاهِرُ: أَنَّهَا بِمَعْنَى «هَاسَمٌ».

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ نَفْخَةُ الْفَرْعِ ثُمَّ يَعْقِبُهَا نَفْخَةُ الصُّعْقِ، حِينَ يَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ بَعْدَهَا نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، وَهِيَ هَذِهِ النَّفْخَةُ، وَقَدْ أَكْثَرَهَا هَهُنَا بِأَنَّهَا وَاحِدَةٌ، لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّارٍ وَلَا تَأْكِيدٍ. وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ أَيُّ فَمَدَّتْ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ، وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أَيُّ قَامَتِ الْقِيَامَةُ ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: ١٩] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُتَخَرِّقَةٌ وَالْعَرْشُ بِجِذَائِهَا ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ الْمَلَكُ إِسْمٌ جِنْسٍ، أَيُّ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ يَقُولُ: عَلَى مَا اسْتَدَقَّ مِنَ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُوقِفُ عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُيَدِّي أَيْ يُظْهِرُ سَيِّئَاتِهِ فِي ظَهْرِ صَاحِبِهِ فَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ عَمِلْتَ هَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ. فَيَقُولُ لَهُ: إِنِّي لَمْ أَفْضَحْكَ بِهِ وَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَّةٌ حِينَ نَجَا مِنْ فُضِيحَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ الْعَرْشَ ثَمَانِيَّةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الشَّئِ مِنْ سَنَنِهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذْنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ» هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ^(١).

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ النَّجْوَى فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُذْنِي اللَّهُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقْرُؤُهُ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِسْمِيهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [هود: ١٨]^(٢).

﴿عَرَضُ بَنِي آدَمَ عَلَى اللَّهِ﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أَيُّ تُعْرَضُونَ عَلَى عَالِمِ السِّرِّ وَالنَّجْوَى، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِكُمْ، بَلْ هُوَ عَالِمٌ بِالظُّوَاهِرِ وَالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾

(١) أبو داود: ٩٦/٥ (٢) أحمد: ٤١٤/٤ إسناده ضعيف فيه تدليس الحسن البصري ولم يصرح بالسماع (٣) ابن ماجه: ٢/ ١٤٣٠ (٤) تحفة الأحوذى: ١١١/٧ (٥) أحمد: ٧٤/٢ والبخاري: ٤٦٨٥ ومسلم: ١٧٦٨

تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَطْنُونَ أُنْهُمُ ثُلُثُ هَامٍ﴾ [البقرة: ٤٦] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَهْوٌ فِي عَيْسَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أَيْ مَرْضِيَةٍ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أَيْ رَفِيعَةٍ قُصُورُهَا، حِسَانِ حُورُهَا، نَعِيمَةٍ دُورُهَا، دَائِمِ حُبُورُهَا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «إِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَطُورُهَا دَائِمٌ﴾ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: أَيْ قَرِيبَةٌ، يَتَنَاولُهَا أَحَدُهُمْ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى سَرِيرِهِ^(٢). وَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَبْتَنَا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْآلِيَةِ﴾ أَيْ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَفَضُّلاً عَلَيْهِمْ وَامْتِنَاناً وَإِنْعَاماً وَإِحْسَاناً، وَإِلَّا فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يُدْخِلَهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(٣).

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْفَ بِإِسْمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَلْتَنِي لَوْ أَوْفَى كَيْفِيَّةً ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرَ مَا جَسَّائَةً ﴿٢٦﴾ يَلْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَقْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُّهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْحَجِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزِنُونَ إِلَّا بِالْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

[سوء حالٍ مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِإِسْمَالِهِ] وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُهُمْ كِتَابُهُ فِي الْعَرَصَاتِ بِإِسْمَالِهِ، فَجَبْتُهُ يَنْدُمُ غَايَةَ النَّدَمِ ﴿فَقَوْلُ يَلْتَنِي لَوْ أَوْفَى كَيْفِيَّةً ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرَ مَا جَسَّائَةً ﴿٢٦﴾ يَلْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي مَوْتَهُ لَا حَيَاةَ بَعْدَهَا. وَكَذَا قَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ كَعْبٍ وَالرَّبِيعُ وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ قَتَادَةُ: تَمَتَّى الْمَوْتُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِنْهُ^(٤). ﴿مَا أَقْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ أَيْ لَمْ يَدْفَعْ عَنِّي مَالِي وَلَا جَاهِي عَذَابِ اللَّهِ وَرَأْسَهُ، بَلْ خَلَصَ الْأَمْرُ إِلَيَّ وَحْدِي، فَلَا مُعِينَ لِي وَلَا مُجِيرَ، فَعِنْدَهَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُدُّهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْحَجِيمَ صَلُّوهُ﴾ أَيْ يَا مُرَّ الزَّبَانِيَةِ أَنْ تَأْخُذَهُ عَنَّا مِنَ الْمَحْشَرِ، فَتَعْلُهُ، أَيْ: تَضَعُ الْأَغْلَالَ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ تُورِدُهُ إِلَى جَهَنَّمَ فَتُضْلِيهِ إِيَّاهَا أَيْ: تَعْمُرُهُ فِيهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: كُلُّ حَلَقَةٍ مِنْهَا قَدْرُ حَدِيدِ الدُّنْيَا. وَقَالَ

الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ جُرَيْجٍ: بِذِرَاعِ الْمَلِكِ^(٥). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ تُدْخَلُ فِي اسْتِهِ ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْ فِيهِ، ثُمَّ يُنْظَمُونَ فِيهَا كَمَا يُنْظَمُ الْجَرَادُ فِي الْعُودِ حِينَ يُشَوَّى. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُسْلَكُ فِي دُبُرِهِ حَتَّى يُخْرَجَ مِنْ مَنْخَرِهِ حَتَّى لَا يَقُومَ عَلَى رِجْلَيْهِ^(٦). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ [لِرِصَاصَةٍ] مِثْلَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى جُمُجْمَةٍ - أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، لَبَلَّغَتْ الْأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السَّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا أَوْ أَصْلَهَا»^(٧). وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزِنُونَ إِلَّا بِالْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْيَسْكِينِ﴾ أَيْ لَا يَقُومُ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَلَا يَنْفَعُ خَلْقُهُ وَيُؤَدِّي حَقَّهُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُوَحِّدَهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلِلْعِبَادِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ حَقٌّ الْإِحْسَانِ وَالْمُعَاوَنَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ، وَقَبْضِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أَيْ لَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ مَنْ يُقِذُّهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَا حَمِيمٌ - وَهُوَ الْقَرِيبُ - وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ، وَلَا طَعَامٌ لَهُ هَهُنَا إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، قَالَ قَتَادَةُ: هُوَ شَرُّ طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ^(١٠). وَقَالَ الرَّبِيعُ وَالضَّحَّاكُ: هُوَ شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ. وَقَالَ شَيْبَةُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْغِسْلِينُ الدَّمُ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لُحُومِهِمْ. وَقَالَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْهُ: الْغِسْلِينُ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا بُصِّرْتُ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِيرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

(١) البخاري: ٢٧٩٠ (٢) الطبري: ٥٨٦/٢٣ (٣) فتح الباري: ٣٠٠/١١ (٤) الطبري: ٥٨٧/٢٣ (٥) الطبري: ٢٣/٥٨٩ (٦) الطبري: ٥٨٩/٢٣ (٧) أحمد: ١٩٧/٢ (٨) تحفة الأحادي: ٣١٣/٧ (٩) النسائي في الكبرى: ٢٥٨/٤ (١٠) الطبري: ٥٩١/٢٣

[الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُقْسِمًا لِخَلْقِهِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ آيَاتِهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا غَاب عَنْهُمْ مِمَّا لَا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْمُعْجَبَاتِ عَنْهُمْ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا بُصِّرُونَ﴾ (٢٨) وَمَا لَا بُصُرُونَ (٢٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، أَضَافَهُ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُبْلَغَ عَنِ الْمُرْسِلِ، وَلِهَذَا أَضَافَهُ فِي سُورَةِ التَّكْوِينِ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (١٠) مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ ﴿التَّكْوِينِ: ١٩-٢١﴾ وَهَذَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئُقِ الْمَلَيْنِ﴾ يَعْنِي أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى جَبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أَيُّ بِمَتَّهِمْ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ وَهَكَذَا قَالَ ههنا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (١١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿فَأَضَافَهُ اللَّهُ تَارَةً إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ وَتَارَةً إِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُبْلَغٌ عَنِ اللَّهِ مَا اسْتَأْمَنَهُ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ وَكَلَامِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَكَيْنِ﴾.

﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (١٢) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٣) ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١٤) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (١٥) وَإِنَّهُ لَنَذْكُرُهُ لِلْمُتَّقِينَ (١٦) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (١٧) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٨) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (١٩) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٢٠) [لَوْ يَقُولُ النَّبِيُّ شَيْئًا عَلَى اللَّهِ لَأَخَذَهُ اللَّهُ بِعَذَابٍ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا﴾ أَيُّ مُحَمَّدًا ﷺ لَوْ كَانَ كَمَا يَزْعُمُونَ مُفْتَرِيًا عَلَيْنَا، فَرَادَ فِي الرِّسَالَةِ أَوْ نَقَصَ مِنْهَا، أَوْ قَالَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ فَسَبَّهَ إِلَيْنَا - وَلَيْسَ كَذَلِكَ - لَعَاجَلُنَاهُ بِالْعُقُوبَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تَنَقَّمْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ فِي الْبَطْشِ، ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ نِيَاطُ الْقَلْبِ وَهُوَ الْعِرْقُ الَّذِي الْقَلْبُ مُعَلَّقٌ فِيهِ (١). وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَكَمُ، وَتَفَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، وَمُسْلِمُ الْبَطِينُ، وَأَبُو صَخْرٍ حُمَيْدُ بْنُ زَيْدٍ (٢). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ هُوَ الْقَلْبُ وَمَرَافَهُ وَمَا يَلِيهِ (٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أَيُّ فَمَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِذَا

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

٥٦٨

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهنا جَمِيمٌ (٢٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ (٢٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ (٢٧) فَلَا أَقْسِمُ بِمَا بُصِّرُونَ (٢٨) وَمَا لَا بُصُرُونَ (٢٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٣٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٣١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (٣٢) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٣) وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٣٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٣٥) ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٣٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٣٧) وَإِنَّهُ لَنَذْكُرُهُ لِلْمُتَّقِينَ (٣٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٣٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٤٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٤١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٤٢)

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا (٥) إِنَّهُمْ بَرُونَ بِعَيْدِ (٦) وَرَنَّهُ فَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)

أَرَدْنَا بِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى فِي هَذَا: بَلْ هُوَ صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَرَّرٌ لَهُ مَا يُبْلَغُهُ عَنْهُ، وَمُؤَيَّدٌ لَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالذَّلَالَاتِ الْقَاطِعَاتِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَذْكُرُهُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ أَيُّ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَالْوُضُوحِ سَيُوجَدُ مِنْكُمْ مَنْ يَكْذِبُ بِالْقُرْآنِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَإِنَّ التَّكْذِيبَ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٤). وَحَكَاهُ عَنْ قَتَادَةَ بِمِثْلِهِ (٥). وَيَحْتَمِلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى الْقُرْآنِ، أَيُّ وَإِنَّ الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ بِهِ لَحَسْرَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ،

(١) الطبري: ٥٩٣/٢٣ (٢) الطبري: ٥٩٣/٢٣ (٣) الطبري: ٥٩٤ (٤) الطبري: ٥٩٤ (٥) الطبري: ٥٩٥
المشور: ٢٧٦/٨ (٣) القرطبي: ٢٧٦/١٨ (٤) الطبري: ٢٧٦/٢٣
٥٩٥ (٥) الطبري: ٥٩٥/٢٣

وَأَمَّا الرُّوحُ فَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: هُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يُشَبِّهُونَ النَّاسَ وَلَيْشُوا نَاسًا. قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ جِبْرِيلُ، وَيَكُونَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِسْمُ جِنْسٍ لِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ، فَإِنَّهَا إِذَا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ^(٥).

[الْمُرَادُ بِيَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الْمُرَادُ بِذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قَالَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَرَوَاهُ الثَّوْرِيُّ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عِكْرَمَةَ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ^(٦). وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَمُوتُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قَالَ: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكَافِرِينَ مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ^(٧). وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي عَمْرِو الْعُدَنِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صُعَصَعَةَ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا أَكْثَرُ عَامِرِيِّ مَالًا، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رُدُّوهُ إِلَيَّ فَرَدُّوهُ فَقَالَ: نُبِتَتْ أُنْثَى دُو مَالٍ كَثِيرٍ. فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: إِيَّيْ وَاللَّهِ إِنْ لِي لِمِائَةِ حُمْرًا وَمِائَةِ أَدْمًا، حَتَّى عَدَّ مِنْ أَلْوَانِ الْإِبِلِ وَأَفْئَانِ الرِّقَاقِ، وَرِبَاطِ الْخَيْلِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِيَّاكَ وَأَخْفَافَ الْإِبِلِ وَأَطْلَافَ النَّعَمِ، يُرَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى جَعَلَ لَوْنُ الْعَامِرِيِّ يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: مَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولُهَا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَجْدَتُهَا وَرَسُولُهَا؟ قَالَ: «فِي عُشْرِهَا وَيُسْرِهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْدَمَ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرَهُ وَأَسْمَنِيهِ وَأَشْرَهُ، ثُمَّ يَبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ فَتَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا، فَإِذَا جَاوَزَتْهُ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُفْضَى بَيْنَ النَّاسِ فَيَرَى سَبِيلَهُ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ. [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿وَلَهُمْ لَحْوُ الْقِيَمِ﴾ أَيِ الْخَبَرِ الصَّدْقِ الْحَقِّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أَيِ الَّذِي أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.

أَجَزُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَاقَّةِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ

تَفْسِيرُ سُورَةِ سَائِلِ سَائِلٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَنْجُو الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَرَ صَبْرًا حَسِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ⑦

[الْأَسْتِعْجَالُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ]

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فِيهِ تَضَمُّنٌ دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ الْبَاءِ كَأَنَّهُ مَقْدَرٌ: اسْتَعْجَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسْتَجْلِبُوكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أَيِ وَعْدَائِهِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قَالَ: ذَلِكَ سُؤَالُ الْكُفَّارِ عَنْ عَذَابِ اللَّهِ وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ^(١). وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دَعَا دَاعٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ: وَهُوَ قَوْلُهُمْ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» [الأنفال: ٣٢]^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاقِعٍ﴾ ① لِلْكَافِرِينَ أَيِ مُرْصَدٌ مُعَدٌّ لِلْكَافِرِينَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَاقِعٍ﴾ جَاءَ ﴿لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ أَيِ لَا دَافِعَ لَهُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ كَوْنَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَنْتَهِ عَنِ الْمَعَارِجِ﴾.

[تَفْسِيرُ ذِي الْمَعَارِجِ]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يَخْنِي الْعُلُوَّ وَالْفَوَاضِلَ^(٣). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مَعَارِجُ السَّمَاءِ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنْجُو الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ ﴿تَنْجُو﴾ تَصْعَدُ.

(١) الطبري: ٥٩٩/٢٣ (٢) الطبري: ٥٩٩/٢٣ (٣) الطبري: ٦٠٠/٢٣

(٤) الطبري: ٦٠٠/٢٣ (٥) الطوال للطبراني: ٢٣٨

(٦) الطبري: ٦٠١/٢٣ (٧) الطبري: ٦٠٣/٢٣

وَإِذَا كَانَتْ لَهُ بَقَرٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولَهَا، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْدَ مَا كَانَتْ وَأَكْثَرُهُ وَأَسْمَنِيهِ وَأَشْرَهُ، ثُمَّ يُطْحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، فَتَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ بِظَلْفِهَا وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَفْصَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فَيَرَى سَبِيلَهُ.

وَإِذَا كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسُولَهَا فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَعْدَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنِيهِ وَأَشْرَهُ حَتَّى يُطْحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ بِظَلْفِهَا وَتَنْطَحُهُ كُلُّ ذَاتِ قَرْنٍ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَفْصَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ، إِذَا جَاوَزَتْهُ أَخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فَيَرَى سَبِيلَهُ فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: وَمَا حَقُّ الْإِبِلِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: أَنْ تُعْطِيَ الْكَرِيمَةَ وَتَمْنَحَ الْغَزِيرَةَ، وَتَقَرَّ الظَّهْرَ وَتَسْقِي الْإِبِلَ^(*) وَتُطْرِقَ الْفَحْلَ^(١). وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائِيُّ^(٢).

(طَرِيقٌ أُخْرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ إِلَّا جُعِلَ صَفَاتِخَ، يُحْمَلُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُكْوَى بِهَا جَهَنَّمُ وَجَنَّتُهُ وَظَهَرُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تُعْدُونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ فِي الْغَنَمِ وَالْإِبِلِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَفِيهِ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ» إِلَى آخِرِهِ^(٣). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِتَمَامِهِ مُتَّفَرِّدًا بِهِ دُونَ الْبُخَارِيِّ^(٤). وَالْغَرَضُ مِنْ إِيرَادِهِ هُنَا قَوْلُهُ: «حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

[تَلْقِيْنُ النَّبِيِّ الصَّبْرَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَاصْبِرْ صَبْرًا حَسِيلًا» أَيِ اصْبِرْ يَا مُحَمَّدٌ عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، وَاسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ اسْتِغْنَاءًا لَوْفُوعِهِ كَقَوْلِهِ: «يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْتَغْفِرُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» [الشورى: ١٨] وَلِهَذَا قَالَ: «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا» أَيِ وَفُوعَ الْعَذَابِ. وَفِيَامِ السَّاعَةِ يَرَاهُ الْكَافِرُ بَعِيدَ الْوُفُوعِ بِمَعْنَى مُسْتَحِيلِ الْوُفُوعِ وَزَيْدُهُ

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

٥٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُصَرُّوهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَيْتِهِ^(١١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ^(١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُهُ^(١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ^(١٤) كَلَّا إِنَّمَا لَطَى^(١٥) نَزَاعَةَ لِلشَّوَى^(١٦) تَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى^(١٧) وَجَعَ فَأَوْعَى^(١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا^(١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزَعًا^(٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا^(٢١) إِلَّا الْمُسْلِمِينَ^(٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ^(٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ^(٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ^(٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيْرَ الَّذِينَ^(٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُسْتَفْضُونَ^(٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنُونٍ^(٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ^(٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ^(٣٠) فَمَنْ ابْغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^(٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ^(٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ^(٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ^(٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ^(٣٥) قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ مَهْطِعِينَ^(٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ^(٣٧) يُطِيعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ^(٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ^(٣٩)

وَقِيًّا^(٤٠) أَيِ الْمُؤْمِنُونَ يَعْتَقِدُونَ كَوْنَهُ قَرِيبًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَمَدٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنْ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ وَوَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.

﴿يَوْمَ تَكُونُ النِّسَاءُ كَالْهَلَلِ﴾ (٨) وَتَكُونُ الْغِيَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا (١٠) يُصَرُّوهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَيْتِهِ (١١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوِّبُهُ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّمَا لَطَى (١٥) نَزَاعَةَ لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزَعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُسْلِمِينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيْرَ الَّذِينَ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُسْتَفْضُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥) قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ مَهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) يُطِيعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)

[أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: الْعَذَابُ وَاقِعٌ بِالْكَافِرِينَ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ النِّسَاءُ كَالْهَلَلِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةُ وَالشَّيْثِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَيِ كَذَرْدِي الرِّبِّتِ وَتَكُونُ الْغِيَالُ كَالْعِهْنِ أَيِ كَالصُّوفِ الْمُنْفُوشِ، قَالَهُ

(*) وفي بعض النسخ: وَتَسْقِي اللَّبَنَ (١) أحمد: ٤٨٩/٢ (٢)

أبو داود: ٣٠٤/٢ والتَّسَائِيُّ: ١٢/٥ (٣) أحمد: ٢٦٢/٢ (٤)

مُجَاهِدٌ وَتَنَادَةُ وَالسُّدِّيُّ^(١). وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ حِمِيمًا﴾^(٢) يُصَرِّوهُمْ أَي لَا يَسْأَلُ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ يَرَاهُ فِي أَسْوَ الْأَحْوَالِ، فَتَشْغَلُهُ نَفْسُهُ عَنْ غَيْرِهِ، قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَبُورُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]^(٣). وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكُرَيْمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَافًا رَكَعًا وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القمان: ٣٣] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ نَدَعِ ثَغْلَهُ إِلَى حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْكُفْرُ مِنْ أَيْحِهِ﴾^(٤) وَأَمِيرِهِ^(٥) وَصَحْبِهِ وَبَيْنَهُ^(٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس: ٣٤-٣٧]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ الْمُجِزْمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ^(٧) وَصَحْبِهِ وَآخِيهِ^(٨) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبَعُ^(٩) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حِمِيمًا ثُمَّ يُجِيبُهُ^(١٠) كَلَّا أَي لَا يَقْبَلُ مِنْهُ فِدَاءٌ وَلَوْ جَاءَ بِأَهْلِ الْأَرْضِ وَبِأَعَزِّ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْمَالِ وَلَوْ بَجِلَ الْأَرْضُ ذَهَبًا، أَوْ مِنْ وَلَدِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا حَشَاشَةً كَبِيدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِذَا رَأَى الْأَهْوَالَ - أَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِهِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ: ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قَبِيلَتُهُ وَعَشِيرَتُهُ^(١١). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَخِذِهِ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ، وَقَالَ أَشْهَبُ عَنْ مَالِكٍ: فَصِيلَتُهُ: أُمُّهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا لَطْفٌ يَصِفُ النَّارَ وَشِدَّةَ حَرِّهَا نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: جِلْدَةُ الرَّأْسِ^(١٢). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَثَابِتُ الْبُنَانِيُّ: ﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾ أَي مَكَارِمَ وَجْهِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾ أَي نَزَاعَةً لِهَامِيَتِهِ وَمَكَارِمَ وَجْهِهِ وَخَلْقِهِ وَأَطْرَافِهِ^(١٣). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تَبْرِي اللَّحْمِ وَالْجِلْدَ عَنِ الْعِظَمِ حَتَّى لَا تَتْرَكَ مِنْهُ شَيْئًا^(١٤). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الشَّوَى: الْأَرَابُ الْعِظَامُ^(١٥). فَقَوْلُهُ نَزَاعَةً قَالَ: تَقْطَعُ عِظَامَهُمْ، ثُمَّ تُبَدِّلُ جُلُودَهُمْ وَخَلْقَهُمْ.^(١٦)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أَي تَدْعُوا النَّارَ إِلَيْهَا أَبْنَاءَهَا الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهَا، وَقَدَّرَ لَهُمْ

أَنَّهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ عَمَلَهَا، فَتَدْعُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلسَانٍ طُلِقَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَانُوا مِنْكُمْ ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أَي كَذَّبَ بِقَلْبِهِ وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِجَوَارِحِهِ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أَي جَمَعَ الْمَالَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَأَوْعَاهُ، أَي: أَوْكَاهُ، وَمَنَعَ حَتَّى اللَّهُ مِنْهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِي النِّقَمَاتِ وَمِنْ إِخْرَاجِ الرِّكَاتِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «لَا تُرْعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكَ»^(١٧).

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾^(١٨) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا^(١٩) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا^(٢٠) إِلَّا الْمُصَلِّينَ^(٢١) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ^(٢٢) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ^(٢٣) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ^(٢٤) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّاتِ اللَّهِ^(٢٥) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ^(٢٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ^(٢٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُجِهِمْ حَافِظُونَ^(٢٨) إِلَّا عَلَى أَرْجَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ^(٢٩) فَمَنْ ابْتَدَعَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ هُوَ الْغَادُونَ^(٣٠) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ذُرُوعًا^(٣١) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ^(٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ^(٣٣) أُولَئِكَ فِي حَقِّهِ مُكْرَمُونَ^(٣٤)

فِي حَقِّهِ مُكْرَمُونَ^(٣٥)

[الْإِنْسَانُ هَالِعٌ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْإِنْسَانِ وَمَا هُوَ مَجْبُولٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الدُّنْيَا: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ يَقُولُهُ: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا﴾ أَي إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ فَرَعَ وَجَزَعَ وَانْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّغْبِ، وَأَيْسَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أَي إِذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بَخِلَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَتَّى اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ: شُحُّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ»^(٣٦). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئِ، بِهِ، وَلَيْسَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَهُ سِوَاهُ^(٣٧).

(١) الطبري: ٦٠٤/٢٣ (٢) الطبري: ٦٠٥/٢٣ العوفي ضعيف (٣) الطبري: ٦٠٦/٢٣ (٤) الطبري: ٦٠٨/٢٣ (٥) الطبري: ٦٠٩/٢٣ (٦) الطبري: ٦٠٩/٢٣ (٧) الطبري: ٦٠٩/٢٣ (٨) كذا عندنا، والرواية عند ابن جرير عن ابن زيد:

ثُمَّ يُجَارِدُ خَلْقَهُمْ وَتُبَدِّلُ جُلُودَهُمْ (٣٤٨٩٤). وبه تستقيم العبارة

(٨) مسلم: ٧١٣/٢ (٩) أحمد: ٣٠٢/٢ (١٠) أبو داود: ٣/

تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِم قَائِمُونَ﴾ أَيْ مُحَافِظُونَ عَلَيْهَا لَا يَزِيدُونَ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهَا وَلَا يَكْتُمُونَهَا ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عَنِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أَيْ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا، فَافْتَتَحَ الْكَلَامَ بِذِكْرِ الصَّلَاةِ وَاخْتَمَمَهُ بِذِكْرِهَا، فَدَلَّ عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِهَا وَالتَّنَوُّيَةِ بِشَرْفِهَا كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ سَوَاءً، وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١، ١٢] وَقَالَ هُنَا: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمِينَ﴾ أَيْ مُكْرَمُونَ بِأَنْوَاعِ الْمَلَادِ وَالْمَسَارِّ.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبِمَ كُفِّرَتْ بَصَائِرُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ النَّبِيِّ عَنِ الشَّامِلِ عَنِ﴾
أَصْلَحَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٢٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَا أَشْفَى رَبِّيَ لَشَرِّهِ وَالْعَرَبِ إِنَّا لَنَقْدِرُونَ ﴿٣٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٣١﴾ فَذَرُّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَادِ يَرْثَا كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ يُؤْفَضُونَ ﴿٣٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٤﴾

[النكير على الكفار وتهديدهم]
يَقُولُ تَعَالَى مُتَكْرِرًا عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ مُشَاهِدُونَ لَهُ وَلَمَّا أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَمَا أَيْدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ قَارُونَ مِنْهُ مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ، شَارِدُونَ بَيْنَنَا وَشِمَالًا فِرْقًا فِرْقًا، وَشِيعًا شِيعًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَفِيرَةٌ ﴿٥١﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْرَةٍ... آيَةُ [المدثر: ٤٩-٥١]. وَهَذِهِ مِثْلُهَا فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبِمَ كُفِّرَتْ بَصَائِرُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ النَّبِيِّ عَنِ الشَّامِلِ عَنِ﴾ أَيْ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ عِنْدَكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أَيْ مُسْرِعِينَ نَافِرِينَ مِنْكَ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أَيْ مُنْطَلِقِينَ ﴿عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الشَّامِلِ عَنِ﴾ وَاحِدَهَا عِزَّةٌ أَيْ مُتَفَرِّقِينَ^(١). وَهُوَ حَالٌ مِنَ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أَيْ فِي حَالٍ تَفَرُّقِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبِمَ كُفِّرَتْ بَصَائِرُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الشَّامِلِ عَنِ﴾ قَالَ:

[إِسْتِثْنَاءُ الْمُصْلِينَ مِمَّا سَبَقَ وَبَيَانُ أَعْمَالِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ]
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا النَّصْلِينَ﴾ أَيْ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الذَّمِّ، إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّعَهُ وَهَدَاهُ إِلَى الْخَيْرِ وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَهُ وَهُمْ الْمُصْلُونَ. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ يُحَافِظُونَ عَلَى أَوْقَاتِهَا وَوَاجِبَاتِهَا. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمَسْرُوقٌ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ^(٢).

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالذَّوَامِ هَهُنَا السُّكُونُ وَالْخُشُوعُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿[المؤمنون: ١، ٢]﴾، قَالَهُ عَفْهُ بْنُ غَامِرٍ. وَمِنْهُ: الْمَاءُ الدَّائِمُ، وَهُوَ السَّاكِنُ الرَّائِدُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الطَّمَأْنِينَةِ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الَّذِي لَا يَطْمَئِنُّ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَى صَلَاتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْكُنْ فِيهَا وَلَمْ يَدُمْ بَلْ يَتَفَرَّقُهَا تَفَرُّقَ الْغَرَابِ فَلَا يُفْلِحُ فِي صَلَاتِهِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الَّذِينَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا ذَاوَمًا عَلَيْهِ وَأَتَبَتْهُ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ غَايِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ أَيْ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبٌ مَقَرَّرٌ لِذَوِي الْحَاجَاتِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾ أَيْ يُوقِنُونَ بِالْمَعَادِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ عَمَلًا مِنْ يَرْجُو الثَّوَابَ وَيَخَافُ الْعِقَابَ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رِجْهِمْ خَشِيعُونَ﴾ أَيْ خَافِقُونَ وَجُلُونَ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أَيْ لَا يَأْمَنُهُ أَحَدٌ مِمَّنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرُهُ إِلَّا بِأَمَانٍ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أَيْ يَكْفُمُونَهَا عَنِ الْحَرَامِ وَيَمْنَعُونَهَا أَنْ تُؤْضَعَ فِي غَيْرِ مَا أَوْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عَلَى أَنْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أَيْ مِنَ الْإِمَاءِ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ فَمَنْ أَبْغَى وَرَأَى ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ أَيْ إِذَا أُوتِمُوا لَمْ يَخُونُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَغْدِرُوا. وَهَذِهِ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَضِدُّهَا صِفَاتُ الْمُتَافِقِينَ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «آيَةُ الْمُتَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٤). وَفِي رَوَايَةٍ: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٥). وَقَوْلُهُ

(١) الطبري: ٦١٢/٢٣ (٢) مسلم: ٥٤١/١ (٣) فتح الباري: ١١١/١ (٤) فتح الباري: ١١١/١ (٥) الطبري: ٦٢٠

الْعَزِيزِينَ: الْعَصَبُ مِنَ النَّاسِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ مُعْرِضِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ حُلِقٌ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِيزِينَ؟»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «أَيُّطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِمَّنْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَعِيمٍ»^(٣) كَلَّا! أَيُّ: أَيُّطَعُ هَؤُلَاءِ- وَالْحَالَةُ هَذِهِ مِنْ

فِرَارِهِمْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَفِرَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ - أَنْ يُدْخِلُوا جَنَّاتِ النَّعِيمِ؟ كَلَّا! بَلْ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُقَرَّرًا لِيُوقِعَ الْمَعَادِ وَالْعَذَابَ بِهِمْ الَّذِي أَنْكَرُوا كُونَهُ، وَاسْتَبَعَدُوا وَجُودَهُ مُسْتَدِلًّا عَلَيْهِمْ بِالْبِدْأَةِ الَّتِي الْإِعَادَةُ أَهْوَنُ مِنْهَا، وَهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» أَيِّ مِنَ الْمَنِيِّ الضَّعِيفِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الَّذِي تَخَلَّكُم مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ» [المرسلات: ٢٠] وَقَالَ: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ

مِمَّ خُلِقَ»^(٤) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَاقِ^(٥) يَخْجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ^(٦) إِنَّهُ عَلَى رَجِيعِهِ لَقَادِرٌ^(٧) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ^(٨) قَالُوا مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ

[الطارق: ٥-١٠] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» أَيُّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، وَسَحَّرَ النُّجُومَ تَبْدُو مِنْ مَّشَارِقِهَا وَتَغِيبُ فِي مَغَارِبِهَا.

وَتَقْرِيرُ الْكَلَامِ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ أَنْ لَا مَعَادَ وَلَا حِسَابَ، وَلَا بَعَثَ وَلَا نُشُورَ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَاقِعٌ وَكَائِنْ لَا

مَحَالَّةَ، وَلِهَذَا أَتَى بِـ لَا، فِي ابْتِدَاءِ الْقَسَمِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ نَفْيٌ، وَهُوَ مَضْمُونُ الْكَلَامِ، وَهُوَ الرَّدُّ عَلَى رَغْبِهِمُ الْفَاسِدِ فِي نَفْيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَدْ شَاهَدُوا مِنْ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ إِقَامَةِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَسْخِيرُ مَا فِيهِمَا: مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ وَسَائِرِ صُنُوفِ الْمَوْجُودَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [غافر: ٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْوَقْفَ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الاحقاف: ٣٣] وَقَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ»^(٩) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [يس: ٨١، ٨٢] وَقَالَ هُنَا: «فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ»^(١٠) عَلَى أَنْ نُبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

٥٧٠

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ^(١١) عَلَى أَنْ نُبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ^(١٢) فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَؤْعُدُونَ^(١٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ^(١٤)

سُورَةُ الْبُورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١) قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ^(٢) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْفُسَهُ وَأَطِيعُوا^(٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا^(٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا^(٦) وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ

فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا^(٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا^(٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا^(٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا^(١٠)

أَيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُعِيدُهُمْ بِأَبْدَانٍ خَيْرٍ مِنْ هَذِهِ فَإِنَّ قُدْرَتَهُ صَالِحَةٌ لِّذَلِكَ «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» أَيُّ بِعَاجِزِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ تَجْعَعَ عَظَامُهُ»^(١١) بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ

شَوَى بَنَانَهُ» [القيامة: ٤، ٣] وَقَالَ تَعَالَى: «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ»^(١٢) عَلَى أَنْ نُبْدِلَ أَمْثَلَكُمْ وَلَيْسَتَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الواقعة: ٦٠، ٦١] وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ «عَلَى أَنْ نُبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ» أَيُّ: أُمَّةٌ تُطِيعُنَا وَلَا تُعَصِّيَانَا، وَجَعَلَهَا كَقَوْلِهِ: «وَأَنْ تَنْزِلُوا بِسَبْدٍ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ»

وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِدَلَالَةِ الْآيَاتِ الْآخِرَةِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «فَذَرَهُمْ» أَيُّ يَا مُحَمَّدُ «يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا» أَيُّ دَعَاهُمْ فِي تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ «حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَؤْعُدُونَ» أَيُّ فَسَيَعْلَمُونَ غَيْبَ ذَلِكَ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

سُورَةُ الْبُورِ

(١) الطبري: ٦٢٠/٢٣ (٢) أحمد: ٩٣/٥ ومسلم: ٣٢٢/١

وأبو داود: ٥٦١/١ والنسائي: ٤/٣ والطبري: ٦٢٠/٢٣

أَيُّ يُمَدُّ فِي أَعْمَارِكُمْ وَبَدْرًا عَنْكُمْ الْعَذَابَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ أَوْقَعَهُ بِكُمْ، وَقَدْ يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الطَّاعَةَ وَالْبِرَّ وَصِلَةَ الرَّحِمِ يَزَادُ بِهَا فِي الْعُمُرِ حَقِيقَةً، كَمَا وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ: «صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ بَادِرُوا بِالطَّاعَةِ قَبْلَ حُلُولِ النَّقْمَةِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَمَرَ تَعَالَى بِكَوْنِ ذَلِكَ لَا يُرَدُّ وَلَا يُمَانَعُ، فَإِنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، الْعَزِيزُ الَّذِي دَانَتْ لِعِزَّتِهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۝ فَمَا زِلْتُ إِلَّا فِي دَعْوَتِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَأَسْتَغْفِرُوا أَسْجِدًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَتَلَّتْهُمْ وَانْتَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ يَتَنَبَّهٌ عَلَيْهَا فَتَبَّ وَتَجَعَلْ لَكُمْ جُنُودٌ فَتَبَّ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَتُؤْتُوا نَفْسًا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِآبَاءِ ۝ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فِيهَا وَخَرُجَكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سِطًا ۝ لِيَسْلَكُوا مِنْهَا سُبُلًا ۝ فِجَارًا ۝﴾

[شَكْوَى نُوحٍ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ اسْتَكَى إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَا صَبَرَ عَلَيْهِمْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَمَا بَيْنَ لِقَائِهِمْ وَوَضَحَ لَهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الرُّشْدِ وَالسَّبِيلِ الْأَقْوَمِ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أَيُّ لَمْ أَتْرُكْ دُعَاءَهُمْ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ امْتِنَالًا لِأَمْرِكَ وَابْتِغَاءً لِطَاعَتِكَ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ أَيُّ كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَقْتَرِبُوا مِنَ الْحَقِّ قَرُّوا مِنْهُ وَحَادُوا عَنْهُ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۝ فَمَا زِلْتُ إِلَّا فِي دَعْوَتِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَأَسْتَغْفِرُوا أَسْجِدًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَتَلَّتْهُمْ وَانْتَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ يَتَنَبَّهٌ عَلَيْهَا فَتَبَّ وَتَجَعَلْ لَكُمْ جُنُودٌ فَتَبَّ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَتُؤْتُوا نَفْسًا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِآبَاءِ ۝ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فِيهَا وَخَرُجَكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سِطًا ۝ لِيَسْلَكُوا مِنْهَا سُبُلًا ۝ فِجَارًا ۝﴾ [فصلت: ٢٦].

(١) ابن شهاب: ٩٣/١ إسناده حسن، راجع الصحيحة للالباني (١٩٠٨).

وَيَذُوقُونَ وَبَالَهُ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْآفَافِ يَرَكًا كَأَنَّهِمْ إِلَى نُصَبٍ يُفْضُونَ﴾ أَيُّ: يَقُومُونَ مِنَ الْقُبُورِ إِذَا دَعَاهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَوْقِفِ الْحِسَابِ يَنْهَضُونَ سِرَاعًا ﴿كَأَنَّهِمْ إِلَى نُصَبٍ يُفْضُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ: إِلَى عِلْمٍ يَسْعَوْنَ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ إِلَى غَايَةِ يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا. وَقَدْ قَرَأَ الْجُمْهُورُ: (إِلَى نُصَبٍ) يَفْتَحُ الثَّوْنُ وَإِسْكَانِ الصَّادِ وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمُنْصُوبِ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿نُصَبٍ﴾ بِضَمِّ الثَّوْنِ وَالصَّادِ وَهُوَ الصَّنَمُ أَيُّ كَانَتْهُمْ فِي إِسْرَاعِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَهْرُولُونَ إِلَى النُّصَبِ إِذَا عَابَتْهُمْ، ﴿يُفْضُونَ﴾ يَتَنَبَّهُونَ أَيُّهُمْ يَسْتَلِمُهُ أَوَّلٌ. وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَيَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ وَمُسْلِمِ الْبُطَيْنِ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَالرَّبِيعَ بْنَ أَنَسٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَعَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ وَابْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلْقَةً أَصْنَعُهُمْ﴾ أَيُّ خَاصِصَةً ﴿رَهْمَهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أَيُّ فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَكَبَرُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ الطَّاعَةِ ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. أَخْرَجَ تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿سَالٍ سَائِلٍ﴾، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ: أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَفُوا وَأَطِيعُوا ۝ يَعِزُّ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾

[دَعْوَةُ نُوحٍ لِقَوْمِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ أَمْرًا لَهُ أَنْ يَنْذِرَهُمْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ قَبْلَ حُلُولِهِ بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا رَفَعَ عَنْهُمْ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أَيُّ بَيْنَ النَّذَارَةِ ظَاهِرُ الْأَمْرِ وَاضِحُهُ، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَفُوا﴾، أَيُّ أَنْتَرُوا مَحَارِمَهُ وَاجْتَنَبُوا مَا يَنْهَى عَنْهُ ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَأَنَهَاكُمْ عَنْهُ ﴿يَعِزُّ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أَيُّ إِذَا فَعَلْتُمْ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَصَدَقْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَ﴿يَنْ﴾ هُنَا قِيلَ: إِنَّهَا زَائِدَةٌ وَلَكِنَّ الْقَوْلَ يَزِيدُهَا فِي الْإِثْبَاتِ قَلِيلٌ. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾

الْمَاءِ الْكَافِرِ

٥٧١

سُورَةُ نُوحٍ

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ اللَّيْلَ فِيهِنَّ تَوَارًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدْكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجْكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْزِرْ إِلَهُنَا إِلَهُتَكُمْ وَلَا تَنْزِرْ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يُعِثُّ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُونَا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

أَيُّ وَاحِدَةٍ فَوْقَ وَاحِدَةٍ، وَهَلْ هَذَا يُتَلَقَّى مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ فَقَطْ أَوْ هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُدْرَكَةِ بِالْحِسِّ مِمَّا عُلِمَ مِنَ التَّسْمِيرِ وَالْكُشُوفَاتِ؟ وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ اللَّيْلَ فِيهِنَّ تَوَارًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ أَيُّ فَارَتْ بَيْنَهُمَا فِي الْإِسْتِنَارَةِ فَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا أُنْمُودَجًا عَلَى حِدَةٍ، لِيُعْرِفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ بِمَطْلَعِ الشَّمْسِ وَمَغِيبِهَا، وَقَدَّرَ لِلْقَمَرِ مَنَازِلَ وَبُرُوجًا وَفَارَتْ نُورُهُ، فَتَارَةً يَزْدَادُ حَتَّى يَتَنَاهَى، ثُمَّ يَنْسِرُ فِي النَقْصِ حَتَّى يَنْسَتِرَ لِيُذِلَّ عَلَى مُضِيِّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَ مَنَازِلَ لِنَقْلِ الْأَقْدَامِ وَالْجَسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هَذَا إِسْمٌ مَصْدَرٌ وَالْإِنْبَاتُ بِهِ هَهُنَا أَحْسَنُ ﴿ثُمَّ يُعِيدْكُمْ فِيهَا﴾ أَيُّ إِذَا مِتُّمْ

ثِيَابَهُمْ ﴿١١﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَنْكَرُوا لَهُ لِقَاءًا يَعْرِفُهُمْ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ: غَطُّوا رُؤُوسَهُمْ لِقَاءًا يَسْمَعُوا مَا يَقُولُ. ﴿وَأَصْرُوا﴾ أَيُّ اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ: مِنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ الْعَظِيمِ الْقَطِيعِ ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ أَيُّ وَاسْتَنَكَفُوا عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَادًا﴾ أَيُّ جَهْرًا بَيْنَ النَّاسِ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَقْلَسْتُ لَهُمْ﴾ أَيُّ كَلَامًا ظَاهِرًا بِصَوْتٍ عَالٍ ﴿وَاسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أَيُّ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَتَوَقَّعَ عَلَيْهِمُ الدَّعْوَةُ لِتَكُونَ أَنْجَعَ فِيهِمْ.

[مَا قَالَ نُوحٌ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ]

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ أَيُّ ارْجِعُوا إِلَيْهِ وَارْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَتَوْبُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ، فَإِنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مَهْمَا كَانَتْ فِي الْكَفْرِ وَالشُّرْكِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿٢٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢١﴾ أَيُّ مُتَوَاصِلَةً الْأَمْطَارِ، وَلِهَذَا تُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلَاةِ الْإِسْتِسْقَاءِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَهَكَذَا رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ لِيَسْتَسْقِيَ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْإِسْتِسْقَاءِ وَقِرَاءَةِ الْآيَاتِ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، وَمِنْهَا هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿٢٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢١﴾ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْعَيْثَ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ أَيُّ إِذَا ثَبُتُمْ إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ، كَثُرَ الزَّرْقُ عَلَيْكُمْ، وَأَسْقَاكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبَتَ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، وَأَنْبَتَ لَكُمْ الزَّرْعَ، وَأَدَّرَ لَكُمْ الصَّرْعَ وَأَمْدَكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ أَيُّ أَعْطَاكُمْ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ، وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ، فِيهَا أَنْوَاعُ الثَّمَارِ، وَخَلَّلَهَا بِالْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهَا. هَذَا مَقَامُ الدَّعْوَةِ بِالْتَّرْغِيبِ. ثُمَّ عَدَلَ بِهِمْ إِلَى دَعْوَتِهِمْ بِالْتَّرْهيبِ فَقَالَ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أَيُّ عَظَمَةً. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ ^(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تُعْظَمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ ^(٢). أَيُّ لَا تَخَافُونَ مِنْ بَاسِهِ وَيَقَمَّتِهِ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلَاقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَيَحْيَى بْنُ رَافِعٍ، وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾

[أَصْنَامُ قَوْمِ نُوحٍ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ]

﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢١) وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَهَذِهِ أَسْمَاءُ أَصْنَامِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ: أَمَّا وَدٌّ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ. وَأَمَّا سُوَاعٌ فَكَانَتْ لَهُذِيلٌ. وَأَمَّا يَغُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَا. وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمْدَانُ. وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمَيْرٍ لِأَلِ ذِي كَلَاعٍ، وَهِيَ: أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ أَنْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ^(٣). وَكَذَا رَوَى عَنْ عِكْرَمَةَ وَالضَّحَّاكِ وَقَتَادَةَ وَابْنِ إِسْحَاقَ نَحْوَ هَذَا، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هَذِهِ أَصْنَامُ كَانَتْ تُعْبَدُ فِي زَمَنِ نُوحٍ^(٤). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ «وَيَعُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا» قَالَ: كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: لَوْ صَوَّرْنَاكُمْ كَمَا كَانَ أَشَوْقَ لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَّرْنَاكُمْ، فَصَوَّرُوهُمْ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرُ، فَعَبَدُوهُمْ.

[دُعَاءُ نُوحٍ عَلَى قَوْمِهِ وَلِمَنْ آمَنَ بِهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَصْلَوْا كَبِيرًا﴾ يَعْنِي الْأَصْنَامَ الَّتِي اتَّخَذُوهَا أَصْلُوا بِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، فَإِنَّهُ اسْتَمَرَّتْ عِبَادَتُهَا فِي الْقُرُونِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، فِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَسَائِرِ صُوفِ بَنِي آدَمَ، وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَائِهِ: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ ﴿[إِبْرَاهِيم: ٣٥، ٣٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ دُعَاءٌ مِنْهُ عَلَى قَوْمِهِ لَتَمْرُدِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، كَمَا دَعَا مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا

﴿وَيُخْرِجَكُمُ إِخْرَاجًا﴾ أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعِيدُكُمْ كَمَا بَدَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْآرْضِ سَاطِطًا﴾ أَيْ بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا وَقَرَّرَهَا وَثَبَّتَهَا بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ، الشُّمُ الشَّامِيَّاتِ ﴿لِتَسْكُنُوا مِنْهَا سُبُلًا فَقَابِلًا﴾ أَيْ خَلَقَهَا لَكُمْ لِتَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا وَتَسْكُنُوا فِيهَا أَيْنَ شِئْتُمْ مِنْ تَوَاجِيعِهَا وَأَرْجَائِهَا وَأَقْطَارِهَا، وَكُلُّ هَذَا مِمَّا يُبَيِّنُهُمْ بِهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَعْمِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَعَلَ لَهُمْ: مِنَ الْمَنَافِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ جَعَلَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَالْأَرْضَ مِهَادًا وَأَوْسَعَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ رِزْقِهِ، فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ وَيُؤَخَذَ، وَلَا يُشْرَكَ بِهِ أَحَدٌ، لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ وَلَا يَدَ وَلَا كُفَّءَ، وَلَا صَاحِبَةَ وَلَا وَلَدَ، وَلَا وَزِيرَ وَلَا مُشِيرَ، بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٢٢) ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٣) وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَقَدْ أَصْلَوْا كَبِيرًا﴾ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

[شَكْوَى نُوحٍ إِلَى رَبِّهِ لِمَا أَجَابَ بِهِ قَوْمُهُ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَنْهَى إِلَيْهِ - وَهُوَ الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَغْرُبُ عَنْهُ شَيْءٌ - أَنَّهُ مَعَ الْبَيَانِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ وَالِدَعْوَةَ الْمُتَوَعَّعَةِ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى التَّرْغِيبِ تَارَةً وَالتَّرْهِيْبِ أُخْرَى: أَنَّهُمْ عَصَوْهُ وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ، وَاتَّبَعُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا مِمَّنْ غَفَلَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَتَمَتَّعَ بِمَالٍ وَأَوْلَادٍ، وَهِيَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ اسْتِدْرَاجٌ وَإِنْظَارٌ لَا إِكْرَامَ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ فُرِئَ: (وَوَلَدُهُ) بِالضَّمِّ وَبِالْفَتْحِ وَكِلَاهُمَا مُتَقَارِبٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿كَبِيرًا﴾ أَيْ عَظِيمًا^(١). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿كَبِيرًا﴾ أَيْ كَبِيرًا وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَمْرٌ عَجِيبٌ وَعَجَابٌ وَعَجَابٌ، وَرَجُلٌ حَسَنٌ وَحَسَانٌ وَجَمَالٌ وَجَمَالٌ، بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ^(٢). وَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ أَيْ بِأَتْبَاعِهِمْ فِي تَسْوِيلِهِمْ لَهُمْ: أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى، كَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالْهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣] وَلِهَذَا قَالَ هُنَا.

(١) الطبري: ٦٣٨/٢٣ (٢) الطبري: ٦٣٨/٢٣ (٣) فتح الباري: ٥٣٥/٨ (٤) الطبري: ٦٤٠/٢٣

سُورَةُ الْجِنِّ

٥٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مِلسًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشِهَابًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعْ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقِينَ قَدْ دَا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْرِجَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: إِلَّا هَلَاكًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِلَّا خَسَارًا. أَيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَخْرَجَ تَفْسِيرَ سُورَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْجِنِّ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِكُلِّ مِّنَ النَّبِيِّينَ فِي قَوْمِهِ، وَأَغْرَقَ أُمَّتَهُ بِتَكْذِيبِهِمْ لِمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

﴿مِمَّا خَطَبْتِهِمْ أَعْرِفُوا فَأَدْجَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝١٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝١٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝١٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ۝١٨﴾

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مِمَّا خَطَبْتِهِمْ﴾ وَفُرِيَ: (خَطَابَتُهُمْ) ﴿أَعْرِفُوا﴾ أَيُّ مِنْ كَثْرَةِ دُنُوبِهِمْ وَعَتُوبِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَخَالَفَتِهِمْ رَسُولَهُمْ ﴿أَعْرِفُوا فَأَدْجَلُوا نَارًا﴾ أَيُّ نَقِلُوا مِنْ تَيَّارِ الْبَحَارِ إِلَى حَرَارَةِ النَّارِ ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ أَيُّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعِينٌ وَلَا مُعِيتٌ، وَلَا مُجِيرٌ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ [هود: ٤٣] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أَيُّ لَا تَتْرُكْ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا دَيَّارًا. وَهَذِهِ مِنْ صَيَغِ تَأْكِيدِ النَّفْيِ، قَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿دَيَّارًا﴾ وَاحِدًا. وَقَالَ السُّدِّيُّ: الدَّيَّارُ الَّذِي يَسْكُنُ الدَّارَ. فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَأَهْلَكَ جَمِيعَ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ حَتَّى وَلَدَ نُوحٌ لِصُلْبِهِ الَّذِي اغْتَزَلَ عَنْ أَبِيهِ، وَقَالَ: ﴿سَنَاقِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] وَنَجَّى اللَّهُ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ الَّذِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ بِحَمْلِهِمْ مَعَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْضُلُوا عِبَادَكَ﴾ أَيُّ إِنَّكَ إِن أَبْقَيْتَ مِنْهُمْ أَحَدًا أَضَلُّوا عِبَادَكَ، أَيُّ الَّذِينَ تَخْلُقُهُمْ بَعْدَهُمْ ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ أَيُّ فَاجِرًا فِي الْأَعْمَالِ كَافِرِ الْقَلْبِ، وَذَلِكَ لِخَبَرَتِهِ بِهِمْ وَمُكْنَتِهِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: يَغْنِي مَسْجِدِي. وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ الْآيَةِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَهُوَ أَنَّهُ دَعَا لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ دَعَاءٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَذَلِكَ يَعُمُّ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ مِثْلُ هَذَا الدُّعَاءِ اقْتِدَاءً بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِمَّا جَاءَ فِي الْأَنَارِ وَالْأَدْعِيَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمَشْرُوعَةِ.

[اِسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِلْقُرْآنِ وَإِيْمَانُهُمْ بِهِ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمِيرًا رَسُولُهُ ﷺ أَنَّ يُخْبِرَ قَوْمَهُ أَنَّ الْجِنَّ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ، فَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَانْقَادُوا لَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدِي إِلَى الرَّشْدِ أَيُّ إِلَى السَّدَادِ وَالتَّجَاحِ ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ رَبَّنَا أَهْلًا﴾ وَهَذَا الْمَقَامُ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الاحقاف: ٢٩] وَقَدْ قَدَّمْنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهَا هُنَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ جَدُّ رَبَّنَا﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَدُّ رَبَّنَا﴾ أَيُّ فِعْلُهُ وَأَمْرُهُ وَقُدْرَتُهُ^(١). وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: جَدُّ اللَّهِ: الْآوَةُ وَقُدْرَتُهُ وَنِعْمَتُهُ عَلَى خَلْقِهِ^(٢). وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ: جَلَالُ رَبَّنَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: تَعَالَى جَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ وَأَمْرُهُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَعَالَى أَمْرُ رَبَّنَا. وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَمُجَاهِدٍ أَيْضًا، وَابْنُ جُرَيْجٍ: تَعَالَى ذِكْرُهُ.

[إِقْرَارُ الْجِنِّ بِأَنَّ اللَّهَ مُنْزَهُ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أَيُّ تَعَالَى عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، أَيُّ قَالَتْ الْجِنُّ: تَنَزَّهَ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ - حِينَ اسْلَمُوا وَأَمَنُوا بِالْقُرْآنِ - عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ثُمَّ قَالُوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿سَفِيهُنَا﴾ يَغْنَوْنَ إِبْلِيسَ. ﴿شَطَطًا﴾ قَالَ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ: ﴿شَطَطًا﴾ أَيُّ جَوْرًا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَيُّ ظُلْمًا كَبِيرًا. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِمْ سَفِيهُنَا إِسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أَيُّ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أَيُّ بَاطِلًا وَزُورًا، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أَيُّ مَا حَسِبْنَا أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ يَتِمَّلُونَ عَلَى الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي نِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَآمَنَّا بِهِ، عَلِمْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

[مِنْ سَبَبِ طُغْيَانِ الْجِنِّ اسْتِعَادَةَ الْإِنْسِ بِهِمْ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَيُّ كُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فَضْلًا عَلَى الْإِنْسِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُوذُونَ بِنَا إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا أَوْ مَكَانًا مُّوحِشًا مِّنْ

الْبَرَارِي وَغَيْرِهَا، كَمَا كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يَعُوذُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْجَانِّ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَشِيءٌ يَسُوؤُهُمْ، كَمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ بِلَادَ أَعْدَائِهِ فِي جَوَارِ رَجُلٍ كَبِيرٍ وَذِمَامِهِ وَخِفَارَتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِنُّ أَنَّ الْإِنْسَ يَعُوذُونَ بِهِمْ مِّنْ خَوْفِهِمْ مِنْهُمْ، زَادُوهُمْ رَهَقًا أَيُّ خَوْفًا وَإِرْهَابًا وَذُعْرًا، حَتَّى بَقُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ مَخَافَةً وَأَكْثَرَ تَعَوُّدًا بِهِمْ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَيُّ إِنَّمَا وَازْدَادَتْ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاءً. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَيُّ اِزْدَادَتْ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ جُرْأَةً^(٣). وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِأَهْلِهِ فَيَأْتِي الْأَرْضَ، فَيَنْزِلُهَا فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنَ الْجِنِّ أَنْ أَضُرَّ أَنَا فِيهِ أَوْ مَالِي أَوْ وَلَدِي أَوْ مَا شِئْتِي. قَالَ قَتَادَةُ: فَإِذَا عَادَ بِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، رَهَقَتْهُمْ الْجِنُّ الْأَذَى عِنْدَ ذَلِكَ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: كَانَ الْجِنُّ يَفْرُقُونَ مِنَ الْإِنْسِ، كَمَا يَفْرُقُ الْإِنْسُ مِنْهُمْ أَوْ أَشَدَّ، فَكَانَ الْإِنْسُ إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا وَادِيًا هَرَبَ الْجِنُّ فَيَقُولُ سَيِّدُ الْقَوْمِ: تَعُوذُ بِسَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي، فَقَالَ الْجِنُّ: نَرَاهُمْ يَفْرُقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرُقُ مِنْهُمْ فَدَنَوْا مِنَ الْإِنْسِ فَأَصَابُوهُمْ بِالْحَبْلِ وَالْجُنُونِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَيُّ إِنَّمَا. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿رَهَقًا﴾ أَيُّ خَوْفًا وَقَالَ مُجَاهِدٌ: زَادَ الْكُفَّارَ طُغْيَانًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ أَيُّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ رَسُولًا، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مُلْبَتً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانِ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَوِيدٍ يَمِنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠

[اِسْتِرَاقُ الْجِنِّ خَبَرَ السَّمَاءِ قَبْلَ بَعَثَةِ الرَّسُولِ وَرَمِيهِمْ بِالشُّهْبِ بَعْدَ الْبُعْثَةِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْجِنِّ حِينَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ حِفْظِهِ لَهُ، أَنَّ السَّمَاءَ مُلْبَتً

(١) الطبري: ٦٤٨/٢٣ (٢) إسناده منقطع الضحاك لم يسمع من ابن عباس (٣) الطبري: ٦٥٥/٢٣

وَأَنَّا مَنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَالْوَالِدُ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لَنَجْزِيَنَّهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ
مَنْ أَضَعُ نَارَ صِرَاطًا وَقُلْ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِن أَدْرِي أَقْرَبُ
مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغُيُوبِ فَلَا
يُظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ مَنْ قَدْ أَبْلَغُوا
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

يَسْتَمْعُونَ مَا يَحْدُثُ فِي السَّمَاءِ مِنْ أَمْرٍ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ
مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيًّا رَسُولًا رُجِعُوا لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَفَزِعَ لِدَلِكِ
أَهْلُ الطَّائِفِ فَقَالُوا: هَلَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّةِ
النَّارِ فِي السَّمَاءِ وَاخْتِلَافِ الشُّهُبِ، فَجَعَلُوا يُعْتَقُونَ
أَرْقَاءَهُمْ وَيُسَيِّبُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ يَالِيلِ بْنِ عَمْرٍو
ابْنُ عُمَيْرٍ: وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الطَّائِفِ، أَمْسِكُوا عَنْ
أَمْوَالِكُمْ وَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَالِمِ النُّجُومِ، فَإِنْ رَأَيْتُمُوهَا مُسْتَفَرَّةً
فِي أَمَكِّيَّتِهَا فَلَمْ يَهْلِكْ أَهْلُ السَّمَاءِ، إِنَّمَا هَذَا مِنْ أَجْلِ ابْنِ
أَبِي كُبَيْشَةَ يَغْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنْ نَظَرْتُمْ فَلَمْ تَرَوْهَا فَقَدْ
هَلَكَ أَهْلُ السَّمَاءِ. فَنَظَرُوا فَرَأَوْهَا، فَكَفُّوا عَنْ أَمْوَالِهِمْ
وَفَزَعَتِ الشَّيَاطِينُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَأَتُوا إِبْلِيسَ فَحَدَّثُوهُ
بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَقَالَ: اتُّوْنِي مِنْ كُلِّ أَرْضٍ بِقَبْضَةٍ
مِنْ تُرَابٍ أَشْمُهَا، فَأَتَوْهُ فَسَمَّ فَقَالَ: صَاحِبُكُمْ بِمَكَّةَ،

حَرَسًا شَدِيدًا وَخُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتْ
الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ،
لَيْلًا يَسْتَرْقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَيُلْقُوهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْكُهَنَةِ
فَيَلْتَمِسُ الْأَمْرَ وَيَخْتَلِطُ وَلَا يَذَرِي مِنَ الصَّادِقِ، وَهَذَا مِنْ
لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحِفْظِهِ لِكِتَابِهِ
الْعَزِيزِ، وَلِهَذَا قَالَ الْجِنُّ: ﴿وَأَنَّا لَنَسْتَأْذِنُكَ لَوْ جَدَدْنَا مُلْكَتْ
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ
يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩، ٨] أَيُّ مَنْ يَرُومُ أَنْ
يَسْتَرْقِيَ السَّمْعَ الْيَوْمَ، يَجِدْ لَهُ شَهَابًا مُرَّصَدًا لَهُ لَا يَخْطِئُهُ
وَلَا يَتَعَدَّاهُ بَلْ يَمْحَقُهُ وَيُهْلِكُهُ. ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمُنْ
فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] أَيُّ مَا نَدْرِي
هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ حَدَثَ فِي السَّمَاءِ، ﴿لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ
يَمُنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وَهَذَا مِنْ أَدْبِهِمْ فِي
الْجَبَّارَةِ حَيْثُ اسْتَدُّوا الشَّرَّ إِلَىٰ غَيْرِ فَاعِلٍ، وَالْخَيْرَ أَصَافُوهُ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» ^(١). وَقَدْ
كَانَتْ الْكَوَاكِبُ يُزَيَّمِي بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَثِيرٍ بَلْ
فِي الْأَحْيَانِ بَعْدَ الْأَحْيَانِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ:
بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ
فَقَالَ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» فَقُلْنَا: كُنَّا نَقُولُ يُوَلِّدُ
عَظِيمٌ، يَمُوتُ عَظِيمٌ فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا
قَضَى الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ ^(٢). وَقَدْ
أُورِدْنَاهُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ بِتَمَامِهِ، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي
حَمَلَهُمْ عَلَى تَطَلُّبِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ، فَأَخَذُوا يَضْرِبُونَ
مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ
بِأَصْحَابِهِ فِي الصَّلَاةِ. فَعَرَفُوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي خُفِظَتْ مِنْ
أَجْلِهِ السَّمَاءُ، فَأَمَّنَ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، وَتَمَرَّدَ فِي طُعْيَانِهِ مَنْ
بَقِيَ. كَمَا تَقَدَّمَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ فِي
سُورَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
الْقُرْآنَ﴾... [الاحقاف: ٢٩] ^(٣).

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ هَذَا الْأَمْرُ، وَهُوَ كَثْرَةُ الشُّهُبِ
فِي السَّمَاءِ وَالرَّمْيُ بِهَا، هَالًا ذَلِكَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَانْزِعْجُوا
لَهُ وَارْتَاغُوا لِذَلِكَ. وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لِحَرَابِ الْعَالَمِ، كَمَا
قَالَ السُّدِّيُّ: لَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ تُحَرَسُ إِلَّا أَنَّ يَكُونَ فِي
الْأَرْضِ نَبِيٌّ أَوْ دِينَ لِلَّهِ ظَاهِرٌ، فَكَانَتْ الشَّيَاطِينُ قَتْلَ
مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ اتَّخَذَتْ الْمَقَاعِدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا،

(١) مسلم: ٥٣٥/١ (٢) مسلم: ١٧٥٠/٤ (٣) فتح الباري: ٥٣٧/٨

يُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ أَوْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ غَيْرُ سَيِّئَاتِهِ^(٢). كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أَيِّ مِنَّا الْمُسْلِمُ وَمِنَّا الْقَاسِطُ، وَهُوَ الْجَائِرُ عَنِ الْحَقِّ النَّكِيبُ عَنْهُ، بِخِلَافِ الْمُقْسِطِ فَإِنَّهُ الْعَادِلُ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رِسْدًا﴾ أَيِّ طَلَبُوا لِأَنْفُسِهِمُ النَّجَاةَ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أَيِّ وَقُودًا تُسَعَّرُ بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَلِيُّ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا^(١١) لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هَذَا عَلَى قَوْلَيْنِ: (أَحَدُهُمَا) وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامَ الْقَاسِطُونَ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِسْلَامِ وَعَدَلُوا إِلَيْهَا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا﴾ أَيِّ كَثِيرًا، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ سَعَةُ الرِّزْقِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾ أَيِّ لِنَحْتَبِرَهُمْ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: لِنَفْسِهِمْ لِنَبْتَلِيَهُمْ مَنْ يَسْتَوِرُ عَلَى الْهِدَايَةِ مِمَّنْ يَزِيدُ إِلَى الْغَوَايَةِ.

(ذِكْرُ مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ) رَوَى الْعَوْفِيُّ نَحْوَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَبِّبِ وَعَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ، وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ حِينَ مُنِعُوا الْمَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ.

(وَالْقَوْلُ الثَّانِي) ﴿وَالْوَلِيُّ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أَيِّ: الضَّلَالِ ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا﴾ أَيِّ: لَأَوْسَعْنَا عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ اسْتِدْرَاجًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا سَوَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وَقَوْلُهُ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُضَاهُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ^(١٢) شَارِعِ هُمْ فِي الْخَيْرِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦] وَهَذَا قَوْلُ أَبِي مِجْلَزٍ لِأَحِقِّ بْنِ حُمَيْدٍ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْوَلِيُّ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أَيِّ طَرِيقَةَ الضَّلَالَةِ. رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٣). وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَالْكَلْبِيُّ وَابْنُ كَيْسَانَ^(٤). وَلَهُ اتِّجَاهٌ، وَيَتَأَيَّدُ بِقَوْلِهِ: ﴿لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أَيِّ عَذَابًا [شَاقًّا شَدِيدًا] مُوجِعًا مُؤْلِمًا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ

فَبَعَثَ سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ فَقَدِمُوا مَكَّةَ فَوَجَدُوا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَدَنُّوا مِنْهُ جِزْصًا عَلَى الْقُرْآنِ، حَتَّى كَادَتْ كَلَامُهُمْ تُصِيبُهُ، ثُمَّ أَسْلَمُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَهُمْ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَقَدْ ذَكَّرْنَا هَذَا الْفَصْلَ مُسْتَقْصَى فِي أَوَّلِ الْبَعْثِ مِنْ (كِتَابِ السِّيَرَةِ) الْمُطَوَّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا^(١٣)﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا^(١٤)﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ ءَامَنَّا بِهِ. فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ. فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا^(١٥)﴾ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رِسْدًا^(١٦)﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا^(١٧)﴾ وَالْوَلِيُّ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذًّا^(١٨) لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا^(١٩)﴾

[لِلْجِنِّ أَصْنَافٌ: مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُ، وَالضَّالُّ وَالرَّاشِدُ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْجِنِّ أَنَّهُمْ قَالُوا مُخْبِرِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أَيِّ غَيْرَ ذَلِكَ ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أَيِّ طَرَائِقَ مُتَعَدِّدَةً مُخْتَلِفَةً وَأَرَاءَ مُتَرَفِّقَةٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أَيِّ مِنَّا الْمُؤْمِنُونَ وَمِنَّا الْكَافِرُ^(١). وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّجَادُّ فِي أَمَالِيهِ سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ: تَرَوْحُ إِلَيْنَا جَنِّي فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْكُمْ؟ فَقَالَ: الْأَرُزُّ، قَالَ: فَأَتَيْنَاهُمْ بِهِ فَجَعَلْتُ أَرَى اللَّقْمَ تَرْفَعُ وَلَا أَرَى أَحَدًا، فَقُلْتُ: فَيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي فِينَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: فَمَا الرَّافِضَةُ فَيْكُمْ؟ قَالَ: شُرْنَا. عَرَضْتُ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَى شَيْخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ [الْمُزِّي] فَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الْأَعْمَشِ.

[إِفْرَارُ عِلْمِهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ الثَّامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ أَيِّ نَعْلَمُ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ حَاصِمَةٌ عَلَيْنَا وَأَنَا لَا نُعْجِزُهُ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْ أَمَكَّنَّا فِي الْهَرَبِ فَإِنَّهُ عَلَيْنَا قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنَّا ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ يَفْتَحِرُونَ بِذَلِكَ وَهُوَ مَفْخَرٌ لَهُمْ، وَشَرَفٌ رَفِيعٌ، وَصِفَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا: فَلَا يَخَافُ أَنْ

(١) الطبري: ٦٥٩/٢٣ (٢) الطبري: ٦٦٠/٢٣ (٣) الطبري:

٦٦٣/٢٣ (٤) البغوي: ٤٠٤/٤

تَلْبُدُ عَلَيْهِ جَمِيعًا^(٧).

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾ قَالَ: تَلَبَّدَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِيُطْفِئُوهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَنْصُرَهُ وَيَمْضِيَهُ وَيُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ نَآوَاهُ^(٨). وَهَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ، وَهُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جَرِيرٍ^(٩) وَهُوَ الْأَظْهَرُ لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْتَرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ أَيُّ قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَمَّا آدَوهُ وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ لِيُطْفِئُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَاجْتَمَعُوا عَلَى عِدَاوَتِهِ ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أَيُّ إِنَّمَا أَعْبُدُ رَبِّي وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَسْتَجِيرُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴿وَلَا أَشْتَرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[الرَّسُولُ ﷺ لَا يَمْلِكُ الضَّرَّ وَلَا الرُّشْدَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أَيُّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يُوحَى إِلَيَّ وَعِنْدَ مَنْ عِبَادُ اللَّهِ، لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غَوَايَتِكُمْ، بَلِ الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يُجِيرُهُ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ أَيْ لَوْ عَصَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى إِنْقَادِي مِنْ عِدَائِهِ ﴿وَلَنْ أَحْدَ مِنْ دُونِهِ مُنْتَحَدًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: لَا مَلْجَأَ^(١٠).

[لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾ إِنْشَاءً مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أَيُّ لَا يُجِيرُنِي مِنْهُ، وَيُخَلِّصُنِي إِلَّا بِإِذَاغِي الرِّسَالَةِ الَّتِي أَرْجَبَ أَدَاءَهَا عَلَيَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أَيُّ أَنَا أَبْلَغُكُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ فَمَنْ يَعْصِ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ جَزَاءٌ عَلَى ذَلِكَ نَارُ جَهَنَّمَ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا أَيُّ لَا مَجِيدَ لَهُمْ عَنْهَا وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَعَوْا مِّنْ أَضْعَافٍ نَّاصِرًا وَقُلَّ عَدَدًا﴾ أَيُّ حَتَّىٰ إِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ

وُمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿عَدَابًا صَعْدًا﴾ أَيُّ مَشَقَّةً لَا رَاحَةَ مَعَهَا^(١١). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ^(١٢). وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: يَفْرُ فِيهَا.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا^(١٣) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْتَرِكُ بِهِ أَحَدًا^(١٤) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا^(١٥) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَحْدَ مِنْ دُونِهِ مُنْتَحَدًا^(١٦) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا^(١٧) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَعَوْا مِّنْ أَضْعَافٍ نَّاصِرًا وَقُلَّ عَدَدًا^(١٨).

[الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَاجْتِنَابِ الشِّرْكِ]

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ أَنْ يُوحِدُوهُ فِي مَحَالِّ عِبَادَتِهِ وَلَا يُدْعَى مَعَهُ أَحَدٌ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ قَالَ: كَانَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَيَعْبَهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُوحِدُوهُ وَحْدَهُ^(١٩). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ قَالَ: قَالَتِ الْجِنَّ لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَ الْمَسْجِدَ وَنَحْنُ نَأْوُونَ؟ أَيْ بَعِيدُونَ عَنْكَ، وَكَيْفَ نَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَأْوُونَ عَنْكَ؟ فَتَرَكْتُ: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢٠).

[إِزْدِحَامُ الْجِنِّ عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ يَتْلُو الْقُرْآنَ كَادُوا يَرْكَبُونَهُ مِنَ الْجِرْصِ، لَمَّا سَمِعُوهُ يَتْلُو الْقُرْآنَ وَدَنُوا مِنْهُ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ حَتَّىٰ أَنَاهُ الرُّسُولُ فَجَعَلَ يَقْرَأُهُ: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ. هَذَا قَوْلٌ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ الْجِنُّ لِقَوْمِهِمْ: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾ قَالَ: لَمَّا رَأَوْهُ يُضَلِّي وَأَصْحَابُهُ يَرْكَعُونَ بِرُكُوعِهِ وَيَسْجُدُونَ بِسُجُودِهِ، قَالَ: عَجِبُوا مِنْ طَوَاعِيَةِ أَصْحَابِهِ لَهُ قَالَ: فَقَالُوا لِقَوْمِهِمْ: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾^(٢١). وَهَذَا قَوْلٌ ثَانٍ وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ أَيْضًا^(٢٢). وَقَالَ الْحَسَنُ: لَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى رَبِّهِمْ كَادَتِ الْعَرَبُ

(١) الطبري: ٦٦٤/٢٣ (٢) الطبري: ٦٦٤/٢٣ (٣) الطبري:

٦٦٥/٢٣ (٤) الطبري: ٦٦٥/٢٣ (٥) الطبري: ٦٦٧/٢٣

(٦) الطبري: ٦٦٧/٢٣ (٧) الطبري: ٦٦٨/٢٣ (٨) الطبري:

٦٦٧/٢٣ (٩) الطبري: ٦٦٨/٢٣ (١٠) الطبري: ٦٦٩/٢٣

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَا يُوعَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَسَيَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ مَنْ أضعَفَ ناصِرًا وأَقْلَ عَدَدًا، هُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤَحَّدُونَ لله تَعَالَى، أَيُّ بَلٍ [الْمُشْرِكُونَ] لَا نَاصِرَ لَهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ وَهُمْ أَقْلَ عَدَدًا مِنْ جُنُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۖ﴾^(١٥)
عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١٨﴾ [الرَّسُولُ ﷺ لَا يَعْرِفُ وَقْتُ السَّاعَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمِيرًا رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ بِوَقْتِ السَّاعَةِ، وَلَا يَذْرِي أَقْرَبَ وَقْتُهَا أَمْ بَعِيدَ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ أَيُّ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي يَتَدَاوَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «لَا يُؤَلَّفُ»^(١٩) تَحْتَ الْأَرْضِ كَذِبٌ لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَمْ نَرَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يُسْأَلُ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ فَلَا يُجِيبُ عَنْهَا، وَلَمَّا تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فِي صُورَةِ أَغْرَابِيٍّ، كَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمُسْتَوْوُلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». وَلَمَّا نَادَاهُ ذَلِكَ الْأَغْرَابِيُّ بِصَوْتِ جَهْرِيٍّ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَيَحْكُ إِنَّهَا كَانَتْ»، فَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَعِدْ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَسْ: فَمَا فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ^(٢٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ﴾^(٢١) إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وَهَكَذَا قَالَ هُئِنَا: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ وَأَنَّهُ لَا يَطْلُعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ﴾^(٢٢) إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ، وَهَذَا يُثْمُّ الرُّسُولَ الْمَلَكِيَّ وَالْبَشَرِيَّ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أَيُّ يَخْصُصُهُ بِمَزِيدٍ مُعَقَّبَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَيَسْأَلُونَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْيِ اللهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢٣) الصُّمَيْرُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يَعُودُ إِلَى

النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ﴾^(٢٤) إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٥﴾ قَالَ: أَرْبَعَةُ حَفَظَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ جَبْرِيلَ. ﴿لِيَعْلَمَ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢٦) وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَهَكَذَا رَوَاهُ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَزَيْدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ﴾ قَالَ: لِيَعْلَمَ نَبِيُّ اللهِ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْ عَنِ اللهِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَفَظَتْهَا وَدَفَعَتْ عَنْهَا^(٢٧). وَكَذَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٢٨). وَقَالَ الْبُغُويُّ: قَرَأَ يَعْقُوبُ: (لِيَعْلَمَ) بِالضَّمِّ أَيُّ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا^(٢٩).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الصُّمَيْرُ عَانِدًا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ قَوْلُ حَكَّاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «رَادِّ الْمَسِيرِ». وَيَكُونُ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ أَنَّهُ يَحْفَظُ رُسُلَهُ بِمَلَائِكَتِهِ لِيَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ أَدَاءِ رِسَالَاتِهِ، وَيَحْفَظُ مَا يُنْزِلُهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ: لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مَعَنَ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [العنكبوت: ١١] إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا قَطْعًا لَا مَحَالَةَ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ هَذَا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْجِنِّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُرْمَلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[سَبَبُ نَزُولِ سُورَتِي الْمُرْمَلِ وَالْمُدَّثِّرِ]

رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْخَالِقِ الْبَزَّازُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ

(*) أي لا يتم عليه في قبره ألف سنة إلا وقد تقوم الساعة الكبرى
(١) فتح الباري: ١٤٠/١ (٢) الطبري: ٦٧٣/٢٣ (٣) عبد الرزاق: ٣٧٣/٣ (٤) الطبري: ٦٧٣/٢٣ (٥) البغوي: ٤/٤٠٦

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُرْ أَيْلًا لَا قِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قِيلًا (٣) أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْبِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْكَذِبِينَ أُولَى النِّعْمَةِ وَمَهْلَهْمُ قِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَمِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَنْقُوتُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ ۖ هِيَ كَانَتْ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

الرَّحِيمُ (٤). وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةَ آيَةٍ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ (٤) [الفاتحة: ١-٤] رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ (٥).

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ الْأَحَادِيثَ الدَّالَّةَ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ وَتَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» (٦). وَ«لَيْسَ مَثًا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٧). وَ«لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِرْمَارًا مِنْ مِرْمِيرِ آلِ

فَقَالُوا: سَمُّوا هَذَا الرَّجُلَ اسْمًا يَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، فَقَالُوا: كَاهِنٌ. قَالُوا: لَيْسَ بِكَاهِنٍ. قَالُوا: مَجْنُونٌ. قَالُوا: لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. قَالُوا: سَاحِرٌ. قَالُوا: لَيْسَ بِسَاحِرٍ، فَتَفَرَّقَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَتَزَمَّلَ فِي ثِيَابِهِ وَتَدَثَّرَ فِيهَا. فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْمُورُ﴾. ثُمَّ قَالَ الْبَرَاءُ: مُعَلَّى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ حَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاحْتَمَلُوا حَدِيثَهُ، لَكِنَّهُ تَفَرَّدَ بِأَحَادِيثَ لَا يَتَّبَعُ عَلَيْهَا (٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ (١) قُرْ أَيْلًا لَا قِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قِيلًا (٣) أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْبِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) [الْأَمْرُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ]

يَأْمُرُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتْرَكَ التَّزَمُّلَ وَهُوَ التَّغَطِّي فِي اللَّيْلِ وَيَنْهَضَ إِلَى الْقِيَامِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وَكَذَلِكَ كَانَ ﷺ مُتَمَثِّلًا مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَدْ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَيْلِيلٌ فَهَجَدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَخْمُومًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وَهَهُنَا بَيِّنٌ لَهُ مِقْدَارُ مَا يَقُومُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ (١) قُرْ أَيْلًا لَا قِيلًا (٢) [المزمل: ١، ٢]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ يَعْنِي يَا أَيُّهَا النَّاسُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمَزْمَلُ فِي ثِيَابِهِ (٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَصَفَهُ﴾ (٢) بَدَلٌ مِنَ اللَّيْلِ ﴿أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قِيلًا﴾ (٣) أَوْ زَدَ عَلَيْهِ (٤) أَيَّ أَمْرِنَاكَ أَنْ تَقُومَ نِصْفَ اللَّيْلِ بِزِيَادَةٍ قَلِيلَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ قَلِيلٍ، لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

[طَرِيقَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْبِيلًا﴾ أَيِ اقْرَأْهُ عَلَى تَهْمُلٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ عَوْنًا عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ يَقْرَأُ السُّورَةَ فَيَرْتَلُّهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلُ مِنْ أَطْوَلٍ مِنْهَا (٣). وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يَمْدُ بِسْمِ اللَّهِ وَيَمْدُ الرَّحْمَنِ وَيَمْدُ

(١) كشف الأستار: ٧٧/٣ إسناده ضعيف جدا وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب (٢) الطبري: ٦٧٧/٢٣ (٣) مسلم: ٥٠٧/١ (٤) فتح الباري: ٧٠٩/٨ (٥) أحمد: ٦/٣٠٢ وأبو داود: ٢٩٤/٤ وتحفة الأحوذى: ٢٤١/٨ (٦) فتح الباري: ٥٢٧/١٣ (٧) فتح الباري: ٥١٠/١٣

دَاوُدَ^(١). يَعْنِي أَبَا مُوسَى، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ كُنْتَ تَسْمَعُ قِرَآءَتِي لَحَبْرَتُهُ لَكَ تَخْيِيرًا. وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا تَتَرَوُهُ نَزْرَ الرَّمْلِ وَلَا تَهْدُوهُ هَذَا الشَّعْرُ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمٌّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ. رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ^(٢). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ. فَقَالَ: هَذَا كَهَذَا الشَّعْرِ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عَشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ^(٣).

[عَظْمَةُ الْقُرْآنِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا قَبِيلًا﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: أَيُّ الْعَمَلِ بِهِ وَقِيلَ: ثَقِيلٌ وَقَتٌ نَزُولُهُ مِنْ عَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَجَدَّهُ عَلَى فَخْدِي فَكَادَتْ تُرَضُّ فَخْدِي^(٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تُحْسِنُ بِالْوَحْيِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْمَعُ صَلَاحًا ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تُقْبَضُ». فَفَرَدَّ بِهِ أَحْمَدُ^(٥). وَفِي أَوَّلِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ: «أَحْيَانًا يَأْتِي فِي مِثْلِ صَلَاحَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَقْضِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَمَثُلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ﷺ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَقْضِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَقَصَّدُ عَرَقًا. هَذَا لَفْظُهُ^(٦). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِذَا كَانَ لِيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَضْرِبُ بِجَرَانِهَا^(٧). الْجِرَانُ هُوَ بَاطِنُ الْعُنُقِ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ ثَقِيلٌ مِنَ الْوُجْهِينِ مَعًا. كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بِنِ اسْلَمَ، كَمَا ثَقُلَ فِي الدُّنْيَا ثَقُلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوَازِينِ.

[شَرَفُ قِيَامِ اللَّيْلِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ وَقَالَ عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ: اللَّيْلُ كُلُّهُ نَاشِئَةٌ^(٨). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٩). يُقَالُ: نَشَأَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: بَعْدَ الْعِشَاءِ^(١٠). وَكَذَا قَالَ

أَبُو مِجَلَزٍ وَقَتَادَةُ وَسَالِمٌ وَأَبُو حَازِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ^(١١). وَالْغَرَضُ: أَنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ سَاعَاتُهُ وَأَوْقَاتُهُ، وَكُلُّ سَاعَةٍ مِنْهُ تُسَمَّى نَاشِئَةً وَهِيَ الْآتَاةُ. وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ هُوَ أَشَدُّ مُوَاطَاةً بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَأَجْمَعُ عَلَى التَّلَاوَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أَيُّ أَجْمَعُ لِلْخَاطِرِ فِي آدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَتَقْهَمِهَا مِنْ قِيَامِ النَّهَارِ، لِأَنَّهُ وَقْتُ انْتِشَارِ النَّاسِ وَلَغَطِ الْأَصْوَاتِ وَأَوْقَاتِ الْمَعَاشِ. وَأَخْرَجَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ: عَنْ الْأَعْمَشِ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَصَوْبُ قِيلًا) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّمَا نَقَرُوهَا ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَصَوْبَ وَأَقْوَمَ وَأَهْيَا وَأَشْبَاهَ هَذَا وَاحِدٌ^(١٢).

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ: الْفَرَاغُ وَالنُّوْمُ^(١٣). وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو مَالِكٍ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: فَرَاغًا طَوِيلًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: فَرَاغًا وَنُعْمَةً وَمُتَلَبِّيًا. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بِنِ اسْلَمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ قَالَ: لِحَوَائِجِكَ فَافْرُغْ لِدِينِكَ اللَّيْلُ. قَالَ: وَهَذَا حِينَ كَانَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ قَرِيبَةً ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْ عَلَى عِبَادِهِ فَخَفَّفَهَا وَوَضَعَهَا وَقَرَأَ: ﴿ثُمَّ آتِلْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِ أَلِيلٍ بِضِفِّمْ حَتَّى بَلَغَ﴾ فَافْرُوهَا مَا بَسَّرَ مِنْهُ^(١٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٧٩] وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ، كَمَا قَالَهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا، وَيَجْعَلَهُ فِي الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ، ثُمَّ يُجَاهِدُ الرُّومَ حَتَّى يَمُوتَ، فَلَقِيَ رَهْطًا مِنْ قَوْمِهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّ رَهْطًا مِنْ قَوْمِهِ سَبَّهَ أَرَادُوا ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

(١) فتح الباري: ٧١٠/٨ (٢) معالم التنزيل: ٢١٥/٨ (٣) فتح الباري: ٢٩٨/٢ (٤) فتح الباري: ١٠٨/٨ (٥) أحمد: ٢٢٢/٢ (٦) فتح الباري: ٢٥/١ (٧) أحمد: ١١٨/٦ (٨) الطبري: ٦٨٣/٢٣ (٩) الطبري: ٦٨٢/٢٣ (١٠) الطبري: ٦٨٢/٢٣ (١١) الطبري: ٦٨٣/٢٣ (١٢) مسند أبي يعلى: ٧/٨٨ (١٣) الطبري: ٦٨٦/٢٣ (١٤) الطبري: ٦٨٦/٢٣

كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لِأَنْبِيئِهَا حَتَّى تُسَافِهَنِي مُسَافَهَةً^(١). هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِتَمَامِهِ وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِنَحْوِهِ^(٢).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ قَامُوا حَوْلًا حَتَّى وَرَمَتْ أَقْدَامُهُمْ وَسُوقُهُمْ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] قَالَ: فَاسْتَرَحَ النَّاسُ^(٣). وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَالسُّدِّيُّ^(٤).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَرِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ۖ يَصْفَهُ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَرَجَمَهُمْ، فَأَنْزَلَ بَعْدَ هَذَا ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَآخَرُونَ يَقِرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ فَوَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَهُ - الْحَمْدُ - وَلَمْ يُصَيِّقْ^(٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ كَرِهَ اللَّهُ لَكَ إِتِبَالَهُ﴾ أَيِ أَكْثَرِ مِنْ ذِكْرِهِ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ وَتَفَرَّغَ لِعِبَادَتِهِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ أَشْغَالِكَ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورٍ دُنْيَاكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَاصْبِرْ﴾ [الشرح: ٧] أَيِ إِذَا فَرَعْتَ مِنْ أَشْغَالِكَ فَانْصَبْ فِي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَتَكُونَ فَارَغَ الْبَالِ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ بِمَعْنَاهُ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ^(٦). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَعَطِيَّةٌ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ ﴿وَيَتَّبِعْ إِلَيْهِ بَتِّيلاً﴾ أَيِ أَخْلَصْ لَهُ الْعِبَادَةَ^(٧). وَقَالَ الْحَسَنُ: اجْتَهِدْ وَابْتَغِ إِلَيْهِ نَفْسَكَ^(٨).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يُقَالُ لِلْعَابِدِ مَتَّبِعٌ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ: نَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ يَعْنِي الْإِنْقِطَاعَ إِلَى الْعِبَادَةِ وَتَرَكَ التَّرَوُّجَ^(٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّ الْشَّرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أَيِ هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَكَمَا أَفْرَدَهُ بِالْعِبَادَةِ فَأَفْرَدَهُ بِالتَّوَكُّلِ، فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] [في] آيَاتِ كَثِيرَةٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى فِيهَا الْأَمْرُ بِإِفْرَادِ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَتَخْصِيصِهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ.

«أَلَيْسَ لَكُمْ فِي أَسْوَةِ حَسَنَةٍ؟» فَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى رَجْعَتِهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْنَا، فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنِ الْوُثْرِ فَقَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكَ بِأَعْلَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوُثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ فَسَأَلْتُهَا ثُمَّ أَرْجَعُ إِلَيَّ فَأَخْبِرُنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلَى حَكِيمِ بْنِ أَلْفَحٍ فَاسْتَلْحَفْتُهُ إِلَيْهَا فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا إِلَيَّ نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِي هَاتَيْنِ الشَّيْعَتَيْنِ شَيْئًا فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا، فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَبَجَاءَ مَعِيَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَقَالَتْ: حَكِيمٌ وَعَرَفْتُهُ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَ: سَعِيدُ بْنُ هِشَامٍ. قَالَتْ: مَنْ هِشَامٌ؟ قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ. قَالَ: فَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ وَقَالَتْ: نِعَمَ الْمَرْءُ كَانَ عَامِرًا. قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: أَلَسْتُ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، ثُمَّ بَدَأَ لِي قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: أَلَسْتُ تَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتَمَهَا فِي السَّمَاءِ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ التَّخْفِيفَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةٍ. فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ ثُمَّ بَدَأَ لِي وَثْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ وَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: كُنَّا نَعُدُّ لَهُ سِوَاكَ وَطْهْرَهُ فَيَسْعُهُ اللَّهُ لِمَا شَاءَ أَنْ يَسْعَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْرُوكَ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُصَلِّي ثَمَانَ رَكَعَاتٍ، وَلَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ، فَيَجْلِسُ وَيَذْكُرُ رَبَّهُ تَعَالَى وَيَدْعُو، ثُمَّ يَنْهَضُ وَمَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ لِيُصَلِّيَ الثَّاسِعَةَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَحْدَهُ ثُمَّ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ، فَيَلِكُ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ فَيَلِكُ تِسْعَ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يَدَاوِمَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ أَوْ مَرَضٌ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً، وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ. فَأَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِهَا فَقَالَ: صَدَقْتُ، أَمَا لَوْ

(١) أحمد: ٥٣/٦ (٢) مسلم: ٥١٢/١ (٣) الطبري: ٢٣/

٦٧٩ (٤) الطبري: ٦٨٠/٢٣ (٥) الطبري: ٦٧٩/٢٣ (٦)

الطبري: ٦٨٩/٢٣ (٧) الطبري: ٦٨٨/٢٣ (٨) الطبري:

٦٨٨/٢٣ (٩) الطبري: ٦٨٧/٢٣

وَالْتَّوْرِي ﴿أَخَذًا وَيَلًا﴾ أَيَّ شَدِيدًا^(٣). أَيَّ فَاحَذَرُوا أَنْتُمْ أَنْ تُكْذِبُوا هَذَا الرَّسُولَ فَيُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَ فِرْعَوْنَ، حَيْثُ أَخَذَهُ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنذَهُ اللَّهُ تَكَلَّ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥] وَأَنْتُمْ أُولَى بِالْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ إِنْ كَذَبْتُمْ رَسُولَكُمْ، لِأَنَّ رَسُولَكُمْ أَشْرَفُ وَأَعْظَمُ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ. وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ.

[الْتَّهْدِيدُ بِعَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَفَيْتُمْ تَنَفُّونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْمًا مَعْمُولًا لِتَنَفُّونَ كَمَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (كَفَيْتُمْ تَخَافُونَ أَيُّهَا النَّاسُ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا إِنْ كَفَرْتُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ تُصَدِّقُوا بِهِ)^(٤)؟ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْمُولًا لِكُفْرَتُمْ فَعَلَى الْأُولَى: كَيْفَ يَخْصُلُ لَكُمْ أَمَانٌ مِنْ يَوْمٍ هَذَا الْفَزَعُ الْعَظِيمُ إِنْ كَفَرْتُمْ، وَعَلَى الثَّانِي: كَيْفَ يَخْصُلُ لَكُمْ تَقْوَى إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَحَدْتُمُوهُ، وَكِلَاهُمَا مَعْنَى حَسَنٌ، وَلَكِنْ الْأَوَّلُ أَوْلَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أَيَّ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهِ وَزَلَالِهِ وَبَلَايِهِ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَدَمَ: ابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتَسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاجِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ أَيَّ بِسَبَبِهِ مِنْ شِدَّتِهِ وَهَوْلِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ أَيَّ كَانَ وَعْدُ هَذَا الْيَوْمِ مَفْعُولًا أَيَّ وَاقِعًا لَا مُحَالَةً، وَكَانَتْ لَا مُحِيدَ عَنْهُ.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٥) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي إِلَالٍ وَتُصَلِّمُ وَلْتَمُ وَطَائِفَةً مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُعَذِّبُ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ فَبَاتَ عَلَيْكَ قَافِرًا مَا يَبْسُرُ مِنَ الْفَرْدَانِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ رَجُوعٌ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَفِتُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يُّجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٦)

[هَذِهِ السُّورَةُ تَذْكِرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أَيَّ السُّورَةَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أَيَّ

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْبِطْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٧) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا^(٨) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا^(٩) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا^(١٠) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا^(١١) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا^(١٢) فَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَيَلًا^(١٣) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا^(١٤) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ^(١٥) كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا^(١٦)

[الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ أَدَى الْكُفَّارِ وَبَيَانُ مَا لَهُمْ عَلَيْهِ]

يَقُولُ تَعَالَىٰ أَمْرًا رَسُولُهُ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يَقُولُهُ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، وَأَنْ يَهْجُرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، وَهُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ مُتَهَدِّدًا لِكُفَّارِ قَوْمِهِ وَمَتَوَعِّدًا، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَقُومُ لِنُصْبِهِ شَيْءٌ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ أَيَّ دَعْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ الْمُتَرَفِّعِينَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، فَإِنَّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ يُطَالِبُونَ مِنَ الْحُقُوقِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أَيَّ رُوَيْدًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤] وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ وَهِيَ الْقَيْدُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَطَاوُسٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ وَأَبُو مِجْلَزٍ وَالضَّحَّاكُ، وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَقَتَادَةُ وَالشَّدِيدِيُّ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَالتَّوْرِيُّ، وَغَيْرٌ وَاحِدٌ^(١٧).

﴿وَجَحِيمًا﴾ وَهِيَ السَّعِيرُ الْمُضْطَرَمَّةُ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْشِبُ فِي الْحُلُقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ^(١٨).

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١٩) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَيَّ تُزَلْزَلُ ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا﴾ أَيَّ تُصِيرُ كَكُتْبَانِ الرَّمْلِ بَعْدَ مَا كَانَتْ جِجَارَةً صَمَاءً، ثُمَّ إِنَّهَا تُنْسَفُ نَسْفًا، فَلَا يَبْقَىٰ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا ذَهَبَ، حَتَّىٰ تُصِيرَ الْأَرْضُ ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾^(٢٠) لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا [طه: ١٠٦، ١٠٧] أَيَّ وَادِيًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ أَيَّ رَابِيَةً، وَمَعْنَاهُ: لَا شَيْءَ يَنْخَفِضُ وَلَا شَيْءَ يَرْتَفِعُ.

[رَسُولُكُمْ ﷺ مِثْلَ رَسُولِ فِرْعَوْنَ وَتَعْلَمُونَ مَصِيرَ فِرْعَوْنَ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مُحَاطًا لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَالْمُرَادُ سَائِرِ النَّاسِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أَيَّ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿كَأَمْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾^(٢١) فَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَيَلًا^(٢٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالشَّدِيدِيُّ

(١) الطبري: ٦٩٠/٢٣، ٦٩١، والدر المنثور: ٣١٩/٨ (٢)

الطبري: ٦٩١/٢٣ (٣) الطبري: ٦٩٣/٢٣ (٤) الطبري:

يَتَذَكَّرُ بِهَا أُولُو الْأَلْبَابِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩] أَيِّ مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى هِدَايَتُهُ كَمَا قَيَّدَهُ فِي السُّورَةِ الْأُخْرَى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

[نَسَخَ وَجُوبَ قِيَامَ اللَّيْلِ وَذَكَرَ أَغْذَارِهِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أَيُّ تَارَةً هَكَذَا وَتَارَةً هَكَذَا، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى الْمُواظَبَةِ عَلَى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ لِأَنَّهُ يَسْقُ عَلَيْكُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أَيُّ تَارَةً يَغْتَدِلَانِ، وَتَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا وَهَذَا مِنْ هَذَا ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أَيُّ الْفَرَضِ الَّذِي أَوْجِبَهُ عَلَيْكُمْ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أَيُّ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ بِوَقْتٍ، أَيُّ وَلَكِنْ قَوْمُوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ، وَعَبَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِالْقِرَاءَةِ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ شُبْحَانَ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيُّ بِقِرَاءَتِكَ ﴿وَلَا تَخَافُهَا﴾ [الإنشراح: ١١٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحِلٌ وَمَاخِرُونَ يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَاخِرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ عِلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ذُووُ أَغْذَارٍ فِي تَرْكِ قِيَامِ اللَّيْلِ مِنْ مَرَضَى لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ، وَمُسَافِرِينَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْمَكَاسِبِ وَالْمَتَاجِرِ، وَآخَرِينَ مُشْغُولِينَ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ فِي حَقِّهِمْ مِنَ الْعَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ بَلِ السُّورَةُ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ وَلَمْ يَكُنِ الْقِتَالُ شُرْعَ بَعْدَ، فَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ بِالْمُعْتَبَاتِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أَيُّ قَوْمُوا بِمَا تَيَسَّرَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أَيُّ أَقِيمُوا صَلَاتَكُمْ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ وَآتُوا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَهَذَا يَدُلُّ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ قَرَضَ الزَّكَاةَ نَزَلَ بِمَكَّةَ، لَكِنْ مَقَادِيرُ النَّصَبِ وَالْمَخْرَجِ لَمْ تُبَيَّنْ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَفَتَاةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَسَخَتْ الَّذِي كَانَ اللَّهُ قَدْ أَوْجِبَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوَّلًا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ^(١). وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
٥٧٥
إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَّابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحِلٌ وَمَاخِرُونَ يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَاخِرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ غَفْوَرٍ رَحِيمٌ

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ^(١) قُرْآنُكَ^(٢) وَرَبِّكَ فَكَيْدٌ^(٣) وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ^(٤)
وَالْأَرْحَافَ^(٥) فَهَجْرٌ^(٦) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ^(٧) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ^(٨)
فَإِذَا نَفَخَ فِي النُّفُورِ^(٩) فَذَلِكَ يَوْمُ مِيزٍ^(١٠) عَسِيرٍ^(١١) عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ مِيسِرٍ^(١٢) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا^(١٣) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَمْدُودًا^(١٤) وَبَنِينَ شُهُودًا^(١٥) وَمَهْدَتْ لَهُ النَّهْجَ^(١٦) ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَرِيدَ^(١٧) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِنْتِنَاعٍ عِنْدَ^(١٨) سَارِقَتِهِ^(١٩) صَعُودًا^(٢٠)

[الْأَمْرُ بِالتَّصَدُّقِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا﴾ يَعْنِي مِنَ الصَّدَقَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُجَازِي عَلَى ذَلِكَ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ أَيُّ جَمِيعُ مَا تَقْدِمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَهُوَ لَكُمْ حَاصِلٌ وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا أَتَيْتُمُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ فِي الدُّنْيَا. وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمُوصِلِيُّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِثْلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ قَالَ: «اعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» قَالُوا: مَا نَعْلَمُ إِلَّا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّمَا مَالُ أَحَدِكُمْ مَا

(١) الطبري: ٦٧٩/٢٣، ٦٨٠ والدر المنثور: ٣٢٢/٨ (٢) فتح الباري: ١٣٠/١ ومسلم: ٤١/١

قَدَمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا آخَرُ^(١). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَيْ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ وَاسْتَغْفَرِهِ فِي أُمُورِكُمْ كُلِّهَا، فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ اسْتَغْفَرَهُ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَدْثَرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَدْثَرِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ^(١) قُرْ فَأَنْذِرْ^(٢) وَرَبِّكَ فَكْذِرْ^(٣) وَيَبَايَكَ فَطَهِّرْ^(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ^(٥) وَلَا تَنْتَنَ تَسْكَكِرْ^(٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ^(٧) فَإِذَا نَقَرَ فِي الْغَاوِرِ^(٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ^(٩) عَلَى الْكَافِرِينَ عَذْرٌ سِيرٌ^(١٠)﴾

[أَوَّلُ آيَاتٍ نَزَلَتْ بَعْدَ اقْرَأْ]

ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوُحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أُمَشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَرَمَلُونِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ^(١) قُرْ فَأَنْذِرْ^(٢) إِلَى ﴿فَاهْجُرْ﴾ - قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ الْأَوْتَانُ - ثُمَّ حَمِيَ الْوُحْيُ وَتَنَابَعَ هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ^(٣). وَهَذَا السِّيَاقُ يَقْضِي أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ الْوُحْيُ قَبْلَ هَذَا، لِقَوْلِهِ: «إِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ. وَهُوَ جَبْرِيلُ حِينَ أَنَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ^(٤) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٥) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْبَرُ^(٦) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ^(٧) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٨)﴾ [العلق: ١-٥] ثُمَّ إِنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ هَذَا فِتْرَةٌ ثُمَّ نَزَلَ الْمَلَكُ بَعْدَ هَذَا.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثُمَّ فَتَرَ الْوُحْيُ عَنِّي فِتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أُمَشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي، قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ:

لَهُمْ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَرَمَلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ^(١) قُرْ فَأَنْذِرْ^(٢) وَرَبِّكَ فَكْذِرْ^(٣) وَيَبَايَكَ فَطَهِّرْ^(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ^(٥) ثُمَّ حَمِيَ الْوُحْيُ وَتَنَابَعَ^(٦). خَرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ^(٧). وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ صَنَعَ لِقُرَيْشٍ طَعَامًا، فَلَمَّا أَكَلُوا مِنْهُ قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِسَاحِرٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِكَاهِنٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِشَاعِرٍ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ سِحْرٌ يُؤْتَرُ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ يُؤْتَرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَزَنَ وَقَتَعَ رَأْسَهُ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَابِعُ الْمُدَّثِرُ^(١) قُرْ فَأَنْذِرْ^(٢) وَرَبِّكَ فَكْذِرْ^(٣) وَيَبَايَكَ فَطَهِّرْ^(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ^(٥) وَلَا تَنْتَنَ تَسْكَكِرْ^(٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ^(٧) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ أَيْ شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْعَزْمِ، وَأَنْذِرَ النَّاسَ، وَبِهَذَا حَصَلَ الْإِرْسَالُ كَمَا حَصَلَ بِالْأَوَّلِ النَّبُوءَةِ. ﴿وَرَبِّكَ فَكْذِرْ﴾ أَيْ عَظَّمَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَبَايَكَ فَطَهِّرْ﴾ يَعْنِي لَا تَكُنْ يَتَابِكَ الَّتِي تَلْبَسُ مِنْ مَكْسِبٍ غَيْرِ طَائِبٍ، وَيُقَالُ: لَا تَلْبَسْ يَتَابَكَ عَلَى مَعْصِيَةٍ^(٨). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: ﴿وَيَبَايَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ اغْسِلْهَا بِالْمَاءِ^(٩). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ لَا يَطْهَرُونَ فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَطْهَرَ وَأَنْ يُطْهَرَ يَتَابُهُ^(١٠). وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(١١).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿وَيَبَايَكَ فَطَهِّرْ﴾ وَقَلْبَكَ وَنَبْتَكَ فَطَهِّرْ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَخُلِقْتَ فَحَسِّنْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالرُّجْزُ﴾ وَهُوَ الْأَصْنَامُ فَاهْجُرْ^(١٢). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَالزُّهْرِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ: إِنَّهَا الْأَوْتَانُ^(١٣). فَكَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَابِعُ النَّبِيَّ أَتَى اللَّهُ وَلَا تَطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَنَفِّقِينَ﴾ [الاحزاب: ١] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

(١) مسند أبي يعلى: ٩٧/٩ (٢) فتح الباري: ١١/٢٦٤ والنسائي: ٢٣٧/٦ (٣) فتح الباري: ٦/٣٦١ ومسلم: ١/١٤٣ (٤) أحمد: ٣/٣٢٥ (٥) فتح الباري: ١/٣٧ ومسلم: ١/١٤٣ (٦) الطبراني: ١١/١٢٥ (٧) الطبري: ٢٤/١١ (٨) الطبري: ٢٤/١٢ (٩) الطبري: ٢٤/١٢ (١٠) الطبري: ٢٤/١٣ (١١) الطبري: ٢٤/١٣ (١٢) الطبري: ٢٤/١٣

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ [الأعراف: ١٤٢] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْتَنُ سَتَكِرُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تُعْطِ الْعَطِيَّةَ تَلْتَمِسُ أَكْثَرَ مِنْهَا. وَقَالَ خُصَيْفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْتَنُ سَتَكِرُ﴾ قَالَ: لَا تَضْعُفُ أَنْ تَسْتَكْرِ مِنْ الْخَيْرِ، قَالَ: تَنْتَنُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: تَضْعُفُ ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَامْزِرْ﴾ أَيِ اجْعَلْ صَبْرَكَ عَلَى أَذَاهُمْ لِيُوجِبَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ ^(٢). وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: إِصْبِرْ عَطِيَّتِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣).

[التَّذَكُّيرُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُفِرَ فِي النَّافِرِ﴾ ^(٨) فَذَلِكَ يَوْمُ عِيسَى ^(٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِ يَسِيرٍ ^(١٠) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالشَّعْبِيُّ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ ^(١١) «النَّافِرُ» الصُّورُ ^(١٢). قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَهَيْئَةِ الْقُرْنِ ^(١٣). وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ: حَدَّثَنَا أَشْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا نُفِرَ فِي النَّافِرِ﴾ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ انْقَمَ الْقُرْنُ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْشُغُ؟» فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا: حَشِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَشْبَاطٍ بِهِ ^(١٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عِيسَى﴾ أَيِ شَدِيدٍ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِ يَسِيرٍ ^(١٥) أَيِ غَيْرِ سَهْلٍ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عِيسَى﴾ وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى قَاضِي الْبُصْرَةِ أَنَّهُ صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَقَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُفِرَ فِي النَّافِرِ﴾ ^(٨) فَذَلِكَ يَوْمُ عِيسَى ^(٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرِ يَسِيرٍ ^(١٠) شَهَقَ شَهَقَةً ثُمَّ خَرَّ مَيِّتًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(١٦).

﴿ذَرَى وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِدًا﴾ ^(١١) وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ^(١٢) وَبَيْنَ شُهُودًا ^(١٣) وَمَهْدَتْ لَهُ نَهْجِدًا ^(١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ^(١٥) كَلَّا إِنَّكَ كَانِ لِإِنِّيْنَا عَبْدًا ^(١٦) سَاحِقَهُمْ صَعُودًا ^(١٧) إِنَّكَ ذَكَرْتَهُ ^(١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ^(١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ^(٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ^(٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ^(٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ^(٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ^(٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ^(٢٥) سَاحِلِيهِ سَفَرًا ^(٢٦) وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ^(٢٧) لَا بُدَّيْ وَلَا نَذْرٌ ^(٢٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ^(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ^(٣٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧٦

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿١١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ﴿١٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿١٥﴾ سَاحِلِيهِ سَفَرًا ﴿١٦﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا بُدَّيْ وَلَا نَذْرٌ ﴿١٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٢٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا لِمَلَائِكَةٍ وَمَا جَعَلْنَا عَنْتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرَدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ خُجُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٢٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ ﴿٢٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّهَا لَإِحدى الْكُتُبِ ﴿٢٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٢٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا آخَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَسَّاءُونَ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْمُصْلِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّكَ تُطْعَمُ الْيَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٥﴾ وَكُنَّا نَكُذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٦﴾ حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٣٧﴾

[تَهْدِيدُ مَنْ قَالَ: أَنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ]

يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لِهَذَا الْخَبِيثِ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعَمِ الدُّنْيَا فَكَفَرَ بِأَنْعَمِ اللَّهُ وَبَدَّلَهَا كُفْرًا، وَقَابَلَهَا بِالْجُحُودِ بآيَاتِ اللَّهِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَهَا مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ، وَقَدْ عَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَهُ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَرَى وَمَنْ خَلَقْتَ وَجِدًا﴾ أَيِ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَحْدَهُ، لَا مَالَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، ثُمَّ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَالًا مَمْدُودًا﴾ أَيِ وَاسِعًا كَثِيرًا وَجَعَلَ لَهُ ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَغِيْبُونَ ^(٨). أَيِ حُضُورًا عَنْده لَا يُسَافِرُونَ بِالتَّجَارَاتِ بَلْ مَوَالِيَهُمْ وَأَجْرَاؤُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَهُمْ قُعُودٌ عِنْدَ آبِيهِمْ يَتَمَتَّعُ بِهِمْ وَيَتَمَلَّى بِهِمْ، وَكَانُوا فِيهَا ذَكَرَهُ السُّدِّيُّ وَأَبُو مَالِكٍ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ^(٩). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ كَانُوا

(١) الطبري: ١٦/٢٤ (٢) الطبري: ١٦/٢٤ (٣) البغوي: ٤/

٤١٤ (٤) الطبري: ١٨/٢٤ (٥) الطبري: ١٨/٢٤ (٦)

أحمد: ٣٢٦/١ (٧) العوفي (٧) الحاكم: ٢٠٦/٢ (٨)

البغوي: ٤١٤/٤ (٩) الدر المنثور: ٣٢٩/٨

عَشْرَةً^(١). وَهَذَا أُبْلُغَ فِي النِّعْمَةِ وَهُوَ إِقَامَتُهُمْ عِنْدَهُ. ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أَيَّ مَكْتَبَةٍ مِنْ صُنُوفِ الْمَالِ وَالْأَنْثَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ^(٢) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَانَا عِندَنَا أَيَّ مُعَانِدًا وَهُوَ الْكُفْرُ عَلَى نِعْمِهِ بَعْدَ الْعِلْمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿صَعُودًا﴾ صَخْرَةً فِي جَهَنَّمَ يُسْحَبُ عَلَيْهَا الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ^(٣). وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿صَعُودًا﴾ صَخْرَةً مَلْسَاءَ فِي جَهَنَّمَ يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهَا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿سَأَرْهِفُهُ صَعُودًا﴾ أَيَّ مَسْقَةٍ مِنَ الْعَذَابِ^(٤). وَقَالَ قَتَادَةُ: عَذَابًا لَا رَاحَةَ فِيهِ^(٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ فَكَرُوا وَمَكَرُوا﴾ أَيَّ إِنَّمَا أَرْهَفْنَاهُ صَعُودًا أَيَّ قُرْبَانَهُ مِنَ الْعَذَابِ الشَّاقِّ لِيُعْلِمَهُ عَنِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ، أَيَّ تَرَوَى مَاذَا يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَفَكَرَ مَاذَا يُخْتَلَقُ مِنَ الْمَقَالِ ﴿وَمَكَرُوا﴾ أَيَّ تَرَوَى ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرُوا﴾^(٦) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرُوا دُعَاءَ عَلَيْهِ ﴿ثُمَّ نَظَرُوا﴾ أَيَّ أَعَادَ النَّظْرَةَ وَالْتَرَوَى ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أَيَّ قَبَضَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَطَبَ ﴿وَبَسَرَ﴾ أَيَّ كَلَحَ وَكَرِهَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَكْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ أَيَّ صَرَفَ عَنِ الْحَقِّ وَرَجَعَ الْفَقْهَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِلْقُرْآنِ ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ أَيَّ هَذَا سِحْرٌ يُقَالُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ قَبْلَهُ، وَيَحْكِيهِ عَنْهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾ أَيَّ لَيْسَ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَهَذَا الْمَذْكُورُ فِي هَذَا السِّيَاقِ هُوَ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِيُّ أَحَدُ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ فِي هَذَا مَا رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي فُحَّافَةَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ خَرَجَ عَلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: يَا عَجَبًا لِمَا يَقُولُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ بِشِعْرِ وَلَا بِسِحْرِ وَلَا يَهْدِي مِنَ الْجُنُونِ، وَإِنَّ قَوْلَهُ لِمَنْ كَلَامُ اللَّهِ فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ النَّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ اتَّخَمُوا وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ صَبَأَ الْوَلِيدُ لَتَضْبُو قُرَيْشٌ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ أَكْفَيْكُمْ شَأْنَهُ فَأَنْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ لِلْوَلِيدِ: أَلَمْ تَرِ إِلَى قَوْمِكَ قَدْ جَعَمُوا لَكَ الصَّدَقَةَ؟ فَقَالَ: أَلَسْتُ أَكْثَرَهُمْ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ إِنَّمَا تَدْخُلُ عَلَى ابْنِ أَبِي فُحَّافَةَ لِتُصِيبَ مِنْ طَعَامِهِ، فَقَالَ الْوَلِيدُ: أَقَدْ تَحَدَّثَ بِهِ عَشِيرَتِي؟ فَلَا وَاللَّهِ لَا أَقْرَبُ ابْنَ أَبِي فُحَّافَةَ وَلَا عَمَرَ، وَلَا ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ، وَمَا قَوْلُهُ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ

خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَا بُدَّيَّ وَلَا نَذْرٌ﴾^(٧). وَقَالَ قَتَادَةُ: زَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ، لَقَدْ نَظَرْتُ فِيمَا قَالَ الرَّجُلُ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِشِعْرِ، وَإِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا أَشْكُ أَنَّهُ سِحْرٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرُوا﴾... الْآيَةُ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قَبَضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَكَلَحَ^(٨). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرًا﴾ أَيَّ سَأُغْمِرُهُ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ جَهَنَّمِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ﴾ وَهَذَا تَهْوِيلٌ لِأَمْرٍهَا وَتَقْصِيمٌ، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا بُدَّيَّ وَلَا نَذْرٌ﴾ أَيَّ: تَأْكُلُ لِحُومَهُمْ وَعُرُوفَهُمْ وَعَصَبَهُمْ وَجُلُودَهُمْ، ثُمَّ تُبَدِّلُ غَيْرَ ذَلِكَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيُونَ. قَالَ ابْنُ بَرِيْدَةَ وَأَبُو سَيَانَ وَغَيْرُهُمَا^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوَائِمٌ لِلْبَشَرِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيَّ لِلْجِلْدِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿لَوَائِمٌ لِلْبَشَرِ﴾ أَيَّ: حَرَّاقَةٌ لِلْجِلْدِ^(١٠). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُحَرِّقُ بَشَرَةَ الْإِنْسَانِ^(١١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا نِسْعَةٌ عَشْرٌ﴾ أَيَّ: مِنْ مُقَدِّمِي الزَّيَّاتِ عَظِيمٌ خَلَقَهُمْ غَلِيظٌ خُلُقُهُمْ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكًا وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَوِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَبَرَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا وَلَا بَرَانًا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ ^(١٢) كَلَّا وَالْقَمَرِ ^(١٣) وَالْأَيْلِ إِذْ أَذْبَرَ ^(١٤) وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ ^(١٥) إِنَّمَا يَلْعَنُ الْكَاذِبُ ^(١٦) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ^(١٧) لِمَن شَاءَ مَكْرًا أَنْ يَتَّقِمَ أَوْ يَتَّخِذَ ^(١٨)

[عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ وَمَا قَالَ الْكَافَرُ حَوْلَ ذَلِكَ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا خِزَانًا﴾ ^(١٩) إِلَّا مَلَكًا زَيَّاتٌ غَلَاظًا شِدَادًا، وَذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حِينَ ذَكَرَ عَدَدُ الْخَزَنَةِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَتَغْلِبُونَهُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكًا﴾ ^(٢٠) أَيَّ: شِدِيدِي الْحَلْقِ لَا يُقَاوِمُونَ وَلَا يُعَالَبُونَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا الْأَسَدَيْنِ وَاسْمَهُ كَلْدَةُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ خَلْفٍ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَكْثَرُونِي مِنْهُمْ اثْنَيْنِ وَأَنَا أَكْفَيْكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ؛ إِعْجَابًا

(١) الطبري: ٢١/٢٤ (٢) الدر المنثور: ٣٣١/٨ (٣)

الطبري: ٢٣/٢٤ (٤) الطبري: ٢٣/٢٤ (٥) الطبري: ٢٤/٢٤

٢٤ (٦) الطبري: ٢٥/٢٤ (٧) الدر المنثور: ٣٣٢/٨ (٨)

الطبري: ٢٧/٢٤ (٩) الطبري: ٢٨/٢٤

مِنْهُ بِنَفْسِهِ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ الْبَقَرَةِ وَيَجَادِبُهُ عَشْرَةَ لَيِّنِ عَوْهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ فَيَتَمَرَّقُ الْجِلْدُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ: إِنَّمَا ذَكَّرْنَا عِدَّتَهُمْ أَنَّهُمْ تِسْعَةُ عَشْرَ، إِنْخِبَارًا مِنَّا لِلنَّاسِ لِيَسْتَفِيحُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَيْ: يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الرَّسُولَ حَقٌّ، فَإِنَّهُ نَطَقَ بِمُطَابَقَةٍ مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَدَّادُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيْ: إِلَى إِيْمَانِهِمْ [أَيْ]: بِمَا يَشْهَدُونَ مِنْ صِدْقِ إِنْخِبَارِ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُتَوَسِّلُونَ وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مِرْءٌ أَيْ: مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أَيْ: يَقُولُونَ مَا الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا هُهْنًا؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيْ: مِنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ يَتَأَكَّدُ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِ أَقْوَامٍ وَيَتَزَلْزَلُ عِنْدَ آخَرِينَ. وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ.

[لَا يَعْلَمُ جُنُودَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: مَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ وَكَثْرَتَهُمْ إِلَّا هُوَ تَعَالَى؛ لِئَلَّا يَتَوَهَّمُ مَوْتَهُمْ أَنَّهُمْ تِسْعَةُ عَشْرٍ فَقَطْ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ الْمَرْوِيِّ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: «فَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿وَمَا هِيَ﴾ أَيْ: النَّارُ الَّتِي وُصِفَتْ^(٢) ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلنَّاسِ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾^(٣) وَأَتْلِيلُ إِذْ أَذْبَرَ﴾ أَيْ: وَلَى ﴿وَالصَّبْحِ إِذَا أَشْرَقَ﴾ أَيْ: أَشْرَقَ ﴿إِنَّمَا لِإِنْدَى الْكُفْرِ﴾ أَيْ: الْعِظَائِمِ يَغْنِي النَّارَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالصَّحَّاحُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ^(٤). ﴿كَذِبًا لِلنَّاسِ﴾ لِمَنْ شَاءَ يَنْكُرُ أَنْ يَقْتَمَ أَوْ يَنْتَهَرَ﴾ أَيْ: لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْبَلَ التَّدَارَةَ وَيَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ أَوْ يَتَأَخَّرَ عَنْهَا وَيُوَلِّي وَيُرَدِّهَا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾^(٥) إِلَّا أَصْحَابَ الْبَيْتِ^(٦) فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ^(٧) عَنِ الْمُجْرِمِينَ^(٨) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ^(٩) قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ^(١٠) وَلَوْ نَكُ نَطُوعُ الْمُسْكِينِ^(١١) وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَاطِئِينَ^(١٢) وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ^(١٣) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ^(١٤) فَما

سُورَةُ الْقِيَمَةِ ٥٧٧
 سُورَةُ الْقِيَمَةِ
 فَما نَعْمُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيعِينَ^(١٨) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ^(١٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مَشْتَفِرَةٌ^(٢٠) فَتَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ^(٢١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتِيَ صُحُفًا مُنشَرَةً^(٢٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ^(٢٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ^(٢٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ^(٢٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ^(٢٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ^(١) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ^(٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عَظَامُهُ^(٣) بَلْ يَدْرِي بَلَدَيْنِ عَلَى أَنْ سُويَ بَنَانُهُ^(٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ^(٥) يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ^(٦) فَإِذَا فِي الْبَصَرِ^(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ^(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ^(١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ^(١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ^(١٢) يَبْتَغُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَآخَرَ^(١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ^(١٤) وَلَوْ لَقِيَ مَعَاذِرَهُ^(١٥) لَا تَحْجِرْكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ بِهِ^(١٦) إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ^(١٧) فَإِذَا قُرْءَانُهُ فَالْتَمِعْ قُرْءَانَهُ^(١٨) ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ^(١٩)

لَنَعْمُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفِيعِينَ^(١٨) فَما لَهُمْ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ^(١٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مَشْتَفِرَةٌ^(٢٠) فَتَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ^(٢١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتِيَ صُحُفًا مُنشَرَةً^(٢٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ^(٢٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ^(٢٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ^(٢٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ^(٢٦)

[مَا يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنَ الْحَوَارِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا أَنَّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ أَيْ: مَعْتَقَلَةٌ بِعَمَلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ^(١). ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْبَيْتِ﴾ فَإِنَّهُمْ ﴿فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ﴾^(٢) عَنِ الْمُجْرِمِينَ^(٣) أَيْ: يَسْأَلُونَ الْمُجْرِمِينَ وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ وَأُولَئِكَ فِي الدَّرَكَاتِ قَائِلِينَ لَهُمْ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٤) قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ^(٥) وَلَوْ نَكُ نَطُوعُ الْمُسْكِينِ^(٦) أَيْ: مَا عَبَدْنَا رَبَّنَا وَلَا أَحْسَنَّا إِلَى خَلْقِهِ مِنْ جَنْسِنَا ﴿وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾

(١) فتح الباري: ٣٤٨/٦، ومسلم: ١٤٦/١ (٢) الطبري: ٢٤/٢٤

٣٢ (٣) الطبري: ٣٣/٢٤ (٤) الطبري: ٣٥/٢٤

تفسير سورة القيامة وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (١) وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ (٢) اَيْحَسِبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامُهُ (٣) بَلَى قَدِيرٌ عَلَى أَنْ سُئِيَ بَنَانُهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ
الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْتَلْ أَتَى يَوْمَ الْقِيَمَةِ (٦) فَإِذَا بَرَأَ الْقَمَرُ (٧)
وَحَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجَمَعَ النَّفْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
الْقَمَرُ (١٠) كَلَّا لَا وَدَرَ (١١) إِنْ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَقِرُ (١٢) يَبْنُو الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى
مَكَاوِرُهُ (١٥)

[الْقَسَمُ عَلَى وَفُوعِ الْمَعَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالرَّدُّ عَلَى حِيلِ
الْمُتَحَابِلِينَ]

قَدْ تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ الْمُقْسَمَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُتَنَبِّهًا جَارِ
الْإِثْبَاتِ «بَلَا» قَبْلَ الْقَسَمِ لَتَأْكِيدِ النَّفْيِ. وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ هَهُنَا
هُوَ إِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَالرَّدُّ عَلَى مَا يُزْعِمُهُ الْجَهْلَةُ مِنَ الْعِبَادِ مِنْ
عَدَمِ بَعْثِ الْأَجْسَادِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ﴾ (١) وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَى أَقْسَمُ
بِهِمَا جَمِيعًا﴾ (٨). وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ
جُبَيْرٍ (٩). فَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَعْرُوفٌ، وَأَمَّا النَّفْسُ اللَّوَامَةُ
فَقَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ
الْمُؤْمِنَ وَاللَّهِ مَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ. مَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي؟ مَا
أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي؟ مَا أَرَدْتُ بِحَدِيثِ نَفْسِي... وَإِنَّ الْفَاجِرَ
يَمْضِي قُدَمَا قُدَمَا مَا يُعَابِتُ نَفْسَهُ (١٠). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ
سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ قَالَ:
تَلُومٌ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَنَحْوُهُ عَنْ عِكْرَمَةَ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي نَجِيجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: تَنْدُمُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَلُومُ
عَلَيْهِ (١١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْعَ عِظَامُهُ﴾ أَيْ: يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؟ أَيُظَنُّ أَنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ عِظَامِهِ وَجَمْعِهَا مِنْ

أَي: نَتَكَلَّمُ فِيهَا لَا نَعْلَمُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: كُلَّمَا غَوَى غَاوٍ
غَوَيْنَا مَعَهُ (١). ﴿وَكَلَّا تَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (٢) حَتَّى آتَنَّا الْيَقِينَ
يَعْنِي الْمَوْتَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هُوَ -
يَعْنِي عُثْمَانَ بْنَ مَطْعُونٍ - فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ» (٣).
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أَيْ: مَنْ كَانَ
مُتَّصِفًا بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةُ
شَافِعٍ فِيهِ؛ لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ إِنَّمَا تَنْجَعُ إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ قَابِلًا،
فَأَمَّا مَنْ وَافَى اللَّهَ كَافِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهُ لَهُ النَّارُ لَا مَحَالَةَ
خَالِدًا فِيهَا.

[النَّكِيرُ عَلَى إِعْرَاضِ الْكُفَّارِ وَمَوْقِفِهِمْ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَمْ يَنْ تَذَكَّرْ مُعْرِضِينَ﴾ أَيْ: فَمَا
لَهُؤُلَاءِ الْكُفَرَاءُ الَّذِينَ قَبْلَكَ عَمَّا تَذَعُوهُمْ إِلَيْهِ وَتَذَكَّرْهُمْ بِهِ
مُعْرِضِينَ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (٥) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ أَيْ:
كَأَنَّهُمْ فِي نَفَارِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ حُمُرٌ مِنْ حُمُرِ
الْوَحْشِ إِذَا فَرَّتْ مِنْ يَرِيدٍ صَبَدَهَا مِنْ أَسَدٍ. قَالَ أَبُو
هُرَيْرَةَ (٦). وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ
يُوسُفَ بْنِ [مِهْرَانَ]، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَسَدُ بِالْعَرَبِيَّةِ.
وَيُقَالُ لَهُ بِالْحَبَشِيَّةِ: قَسْوَرَةٌ، وَبِالْفَارِسِيَّةِ: شِيرٌ، وَبِالْبَطْنِيَّةِ
أَوْبَا (٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا
مُنَشَّرَةً﴾ أَيْ: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ كَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ
وغيره (٥). كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ
حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ قَتَادَةَ: يُرِيدُونَ أَنْ
يُؤْتُوا بَرَاءَةً بِغَيْرِ عَمَلٍ (٦). فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
الْآخِرَةَ﴾ أَيْ: إِنَّمَا أَفْسَدَهُمْ عَدَمُ إِيْمَانِهِمْ بِهَا، وَتَكْذِيبُهُمْ
بُوقُوعَهَا.

[الْقُرْآنُ تَذَكُّرٌ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ تَذَكَّرُوا﴾ أَيْ: حَقًّا إِنَّ الْقُرْآنَ
تَذَكُّرٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ (١٠) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ
أَهْلُ الْفُرْقَيْنِ وَأَهْلُ الْخَيْرِ﴾ أَيْ: هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَخَافَ مِنْهُ، وَهُوَ
أَهْلٌ أَنْ يَغْفَرَ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ. قَالَهُ قَتَادَةُ (٧).
آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(١) الطبري: ٣٧/٢٤ (٢) البيهقي: ٤٠٦/٣ (٣) الطبري: ٤٢/٢٤
(٤) الطبري: ٤٢/٢٤ إسناده ضعيف علي بن زيد بن
جدعان ضعيف كما مر (٥) القرطبي: ٩٠/١٩ (٦) الطبري: ٤٣/٢٤
(٧) الطبري: ٤٤/٢٤ (٨) الطبري: ٤٨/٢٤ (٩)
الدر المنثور: ٤٧/٨ والقرطبي: ٩١/١٩ (١٠) القرطبي: ١٩/٩٣
(١١) الطبري: ٥٠/٢٤

الْمُنْتَفِرُ أَي: الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ.

[أَعْمَالُ الْإِنْسَانِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أَي: يُخْبِرُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ قَلْبِيهَا وَحَدِيثِهَا، أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا، صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُكُوعًا﴾ [الكهف: ٤٩] وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرُهُ أَي: هُوَ شَهِيدٌ عَلَى نَفْسِهِ عَالِمٌ بِمَا فَعَلَهُ وَلَوْ اعْتَذَرَ وَأَنْكَرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يَقُولُ: سَمِعُهُ وَبَصَرُهُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَجَوَارِحُهُ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: شَاهِدٌ عَلَى نَفْسِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: إِذَا شِئْتَ وَاللَّهِ رَأَيْتُهُ بَصِيرًا يُعْيِبُ النَّاسَ وَذُنُوبَهُمْ غَافِلًا عَنْ ذُنُوبِهِ. وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ فِي الْإِنْجِيلِ مَكْتُوبًا: يَا ابْنَ آدَمَ تَبَصَّرْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَتَتَرُكُ الْجَلْعَ فِي عَيْنِكَ لَا تَبْصُرُهُ^(٢).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرُهُ﴾ وَلَوْ جَادَلَ عَنْهَا فَهُوَ بَصِيرٌ عَلَيْهَا^(٣). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرُهُ﴾ وَلَوْ اعْتَذَرَ يَوْمَئِذٍ يَبْطِلُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ^(٤). وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرُهُ﴾ حُجَّتُهُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ لِمَ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُمْ أَكْذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرُهُ﴾ هِيَ الْأَعْتِدَارُ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] وَقَالَ: ﴿وَأَلْفُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿فَأَلْفُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٢٨] وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]^(٥).

﴿لَا تُحْزَنْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُمْ وَقُرْآنَهُ^(٦) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ^(٧) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ^(٨) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْفَاحِشَةَ^(٩) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ^(١٠) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ^(١١) إِلَىٰ ذِيهَا نَاطِقَةٌ^(١٢) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَايِسَةٌ^(١٣) تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا قَارِعَةٌ^(١٤)

[تَعْلِيمٌ تَلْقَى الْوَحْيَ]

هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي كَيْفِيَّةِ تَلْقَائِهِ

أَمَا كَيْفِيَّةُ الْمُتَمَرِّقَةِ؟ ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾ أَي: أَيْطَلُ الْإِنْسَانُ أَنَّا لَا نَجْمَعُ عِظَامَهُ؟ بَلَى سَنَجْمَعُهَا قَادِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ أَي: قُدْرَتُنَا صَالِحَةٌ لِجَمْعِهَا، وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَاهُ أَرْيَدَ مِمَّا كَانَ فَتَجْعَلُ بَنَانَهُ -وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِهِ- مُسْتَوِيَةً، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ يَعْنِي الْأَمَلَ. يَقُولُ الْإِنْسَانُ: أَعْمَلْتُ ثُمَّ أَتُوبُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ هُوَ الْكُفْرُ بِالْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ. قَالَ سَعِيدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي يَضْمِي قُدَمًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ لِيَمْضِيَ أَمَامَهُ رَاكِبًا رَأْسَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الْكَافِرُ يَكْذِبُ يَوْمَ الْحِسَابِ^(١). وَكَذَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ^(٢). وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَي: يَقُولُ: مَتَى يَكُونُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟ وَإِنَّمَا سُؤَالُهُ سُؤَالُ اسْتِيعَادٍ لِقُوعِهِ وَتَكْذِيبٍ لِقُودِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرِضُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقِيمُونَ [سبا: ٢٩، ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى هَهُنَا: ﴿إِنَّمَا يَرَى النَّفَرُ﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بُنُ الْعَلَاءِ ﴿يَرَى﴾ بِكَسْرِ الرَّاءِ أَي: حَارَ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ شَيْبَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَرِيدُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أَي: بَلْ يَنْظُرُونَ مِنَ الْفَرَجِ هَكَذَا وَهَكَذَا لَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ بَصَرٌ عَلَى شَيْءٍ مِنَ شِدَّةِ الرُّعْبِ، وَقَرَأَ آخَرُونَ: (بَرَقَ) بِالْفَتْحِ، وَهُوَ قَرِيبٌ فِي الْمَعْنَى مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْأَبْصَارَ تَنْبَهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَخْشَعُ وَتَحَارُ وَتَذِلُّ مِنْ شِدَّةِ الْأَهْوَالِ وَمِنْ عِظَمِ مَا تُشَاهِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأُمُورِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُصِفَ الْقَمَرُ﴾ أَي: ذَهَبَ ضَوْؤُهُ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ قَالَ مُجَاهِدٌ: كُورًا^(٣). وَقَرَأَ ابْنُ زَيْدٍ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ [التكوير: ٢٠، ٢١] وَرَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَرَأَ: (وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَإِنِّي لَمَكْرُمٌ﴾ أَي: إِذَا عَايَنَ ابْنُ آدَمَ هَذِهِ الْأَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَئِذٍ يُرِيدُ أَنْ يَقَرَّ وَيَقُولَ: أَأَيْنَ الْمَقْرُ؟ أَي: هَلْ مِنْ مَلْجَأٍ أَوْ مَوْئِلٍ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَفِرُ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَي: لَا نَجَاةَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ أَي: لَيْسَ لَكُمْ مَكَانٌ تَتَكَبَّرُونَ فِيهِ، وَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿لَا وَزَرَ﴾ أَي: لَيْسَ لَكُمْ مَكَانٌ تَعْتَصِمُونَ فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

(١) الطبري: ٥٤/٢٤ (٢) الطبري: ٥٤/٢٤ (٣) الطبري:

٥٧/٢٤ (٤) الطبري: ٦٢/٢٤ (٥) الطبري: ٦٤/٢٤ (٦)

الطبري: ٦٥/٢٤ (٧) الطبري: ٦٤/٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧٨

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٦﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١٨﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٠﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢١﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّارَاقِي ﴿٢٢﴾ وَقِيلَ مِنْ رَأَيْكَ ﴿٢٣﴾ وَظُنُّ أَنْهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٤﴾ وَالنَّفْسُ
السَّاقِي بِالسَّاقِ ﴿٢٥﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ﴿٢٦﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَٰى
﴿٢٧﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٢٩﴾ أُولَٰئِكَ
فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣١﴾ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٢﴾
أَلَمْ يَكُنْ نَفْسُهُ مِنْ مَّيِّتَتَيْنِ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَحَقِّقَ فَسَوَىٰ ﴿٣٤﴾ فَعَمِلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذِّكْرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْإِنشِرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

وَجَلَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ مِنْ طُرُقٍ
مُّتَوَاتِرَةٍ عِنْدَ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهَا وَلَا مَنَعُهَا،
كَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ
نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟
فَقَالَ: «هَلْ تُضَاوُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْسَ دُونَهُمَا
سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ
كَذَلِكَ»^(١).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَبْرِ، قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ
هَذَا الْقَمَرَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا»^(٢). وَفِي أَفْرَادٍ
مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ

الْوَحْيِ مِنَ الْمَلِكِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُبَادِرُ إِلَىٰ أَخْذِهِ وَيُسَاقُ
الْمَلِكُ فِي قِرَاءَتِهِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَاءَهُ الْمَلِكُ
بِالْوَحْيِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ، وَتَكْفَلَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ،
وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لِأَدَائِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ
وَيُفَسِّرَهُ وَيُوضِّحَهُ. فَالْحَالَةُ الْأُولَى جَمْعُهُ فِي صَدْرِهِ،
وَالثَّانِيَةُ تِلَاوَتُهُ، وَالثَّلَاثَةُ تَفْسِيرُهُ وَإِبْصَاحُ مَعْنَاهُ. وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَمَكَّلَ بِهِ﴾ أَيُّ: بِالْقُرْآنِ، كَمَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ
وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا
عَلَيْنَا جَمْعُهُ﴾ أَيُّ: فِي صَدْرِكَ ﴿وَوُضِّعَتْهُ﴾ أَيُّ: أَنْ تَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا
قَرَأْتَهُ﴾ أَيُّ: إِذَا تَلَاهُ عَلَيْكَ الْمَلِكُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّيَّ
قُرْآنُهُ﴾ أَيُّ: فَاسْتَمِعَ لَهُ ثُمَّ اقْرَأَهُ كَمَا أَقْرَأَكَ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ﴾ أَيُّ: بَعْدَ حِفْظِهِ وَتِلَاوَتِهِ نُبَيِّنُهُ لَكَ وَنُوضِّحُهُ
وَنُلْهِمُكَ مَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَدْنَا وَشَرَعْنَا. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ
شِدَّةً، فَكَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ قَالَ: فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَا
أُحَرِّكُ شَفْتَيْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، وَقَالَ
لِي سَعِيدٌ: وَأَنَا أُحَرِّكُ شَفْتَيْ كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُ
شَفْتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَمَكَّلَ بِهِ﴾
إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَوُضِّعَتْهُ قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا
قَرَأْتَهُ فَاتَّيَّ قُرْآنُهُ﴾ أَيُّ: فَاسْتَمِعَ لَهُ وَأَنْصَتَ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ﴾ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا انْطَلَقَ جَبْرِيلُ قَرَأَهُ كَمَا أَقْرَأَهُ^(٣).
وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: فَكَانَ إِذَا أَنَا
جَبْرِيلُ أَطْرُقُ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٤).

[سَبَبُ تَكْدِيبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْعَفْلَةُ عَنِ

الْآخِرَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿أَيُّ: إِنَّمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى التَّكْدِيبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمُخَالَفَةِ مَا أَنْزَلَهُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الْحَقِّ وَالْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ: أَنَّهُمْ إِنَّمَا هَمَّتْهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ وَهُمْ
لَا هَوْنَ مُتَشَاغِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ.

[رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ مِنَ النَّصَارَةِ أَيُّ:
حَسَنَةٌ بَهِيَّةٌ مُشْرِقَةٌ مُسْرُورَةٌ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أَيُّ: تَرَاهُ عَيْنَانَا
كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَحِيحِهِ «إِنَّكُمْ
سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيْنَانَا»^(٥). وَقَدْ ثَبَّتَتْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ عَزَّ

(١) أحمد: ٣٤٣/١ (٢) فتح الباري: ٣٩/١ و ٥٤٧/٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠
٥٥٠ و ٧٠٧ و ١٣/٥٠٨ و مسلم: ٣٣٠/١ (٣) فتح الباري:
٤٣٠/١٣ (٤) فتح الباري: ٤٣٠/١٣ و ٤٣١ و مسلم: ١/١
١٦٧ و ١٦٣ (٥) فتح الباري: ٤٢٩/١٣ و مسلم: ٤٢٩/١

[يَحْضُلُ الْيَقِينُ عِنْدَ الْاِخْتِصَارِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالَةِ الْاِخْتِصَارِ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْاَهْوَالِ - تَبَيَّنَا اللَّهُ هُنَاكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ - فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الْقُرْآنَ﴾ إِنَّ جَعَلْنَا كَلَّا رَادِعَةً فَمَعْنَاهَا: لَسْتُ يَا ابْنِ آدَمَ، هُنَاكَ تُكْذِّبُ بِمَا أُخْبِرْتُ بِهِ، بَلْ صَارَ ذَلِكَ عِنْدَكَ عِبَانًا. وَإِنْ جَعَلْنَاهَا بِمَعْنَى: حَقًّا فَظَاهِرٌ، أَيْ: حَقًّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الْقُرْآنَ أَيْ: انْتَزَعَتْ رُوحَكَ مِنْ جَسَدِكَ وَبَلَغَتْ تَرَاقِيكَ، وَالتَّرَاقِي جَمْعُ تَرَقُّوةٍ، وَهِيَ الْعِظَامُ الَّتِي بَيْنَ ثَغْرَةِ التَّخَرُّعِ وَالْعَاتِقِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ وَأَنْتَ حِينُذِ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحَنُّنٌ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿الواقعة: ٨٣-٨٧﴾ وَهَكَذَا قَالَ هَهُنَا: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الْقُرْآنَ﴾ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ مِنْ رَاقٍ يَرْقِي ^(٦). وَكَذَا قَالَ أَبُو فَلَانَةَ: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أَيْ: مِنْ طَيِّبٍ شَافٍ ^(٧). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ ^(٨). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَاللَّفَّتِ النَّاسُ بِالنَّاسِ﴾ يَقُولُ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، فَتَلْقَى الشَّدَّةُ بِالشَّدَّةِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٩). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿وَاللَّفَّتِ النَّاسُ بِالنَّاسِ﴾ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ بِالْأَمْرِ الْعَظِيمِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بَلَاءٌ بِلَاءً. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبُصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّفَّتِ النَّاسُ بِالنَّاسِ﴾ هُمَا سَافَاكَ إِذَا التَّفَتَا ^(١٠). وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: مَاتَتْ رَجُلَاهُ فَلَمْ تَحْمِلَاهُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمَا جَوَالًا ^(١١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ النَّفْسُ﴾ أَيْ: الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ تَرْفَعُ إِلَى السَّمَوَاتِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رُدُّوا عِبْدِي إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ الطَّوِيلِ ^(١٢). وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ ^(١٣) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿الأنعام: ٦١، ٦٢﴾.

الْحَيَّةُ الْحَيَّةُ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبْيَضْ وَجُوهُنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْحَيَّةَ وَتُخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْثِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ^(١٤). وَفِي أَفْرَادٍ مُّسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ بِضَحْكٍ» ^(١٥). يَعْني: فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْعَرَصَاتِ، وَفِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ. وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِطَالَةِ لَا وَرَدْنَا الْأَحَادِيثَ بِطَرَفِهَا وَأَلْفَاطِهَا مِنْ الصَّحَّاحِ وَالْحَسَنِ وَالْمَسَائِدِ وَالشَّيْخِ، وَلَكِنْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ مُفَرَّقًا فِي مَوَاضِعَ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَيْمَةِ الْإِسْلَامِ وَهَذِهِ الْأَنَامِ.

[تَسْوَدُّ وَجُوهُ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ^(١٦) تَظُنُّ أَنْ يَقْلَ بِهَا قَافِرَةٌ هَذِهِ وَجُوهُ الْفَجَّارِ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَاسِرَةً. قَالَ قَتَادَةُ: كَالِحَةً ^(١٧). وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَغَيَّرَ أَلْوَانُهَا ^(١٨). ﴿تَظُنُّ﴾ أَيْ: تَسْتَيْقِنُ ﴿أَنْ يَقْلَ بِهَا قَافِرَةٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: ذَاهِيَةٌ ^(١٩). وَقَالَ قَتَادَةُ: شَرٌّ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: تَسْتَيْقِنُ أَنَّهَا هَالِكَةٌ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَظُنُّ أَنَّ سَتَدْخُلُ النَّارَ، وَهَذَا الْمَقَامُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ سُفُورَةٌ﴾ ^(٢٠) صَاحِبُكَ مُسْتَبْشِرَةٌ ^(٢١) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ^(٢٢) تَرْمَقُهَا قَفَرَةٌ ^(٢٣) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ [عبس: ٣٨-٤٢] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خُشِعَةٌ﴾ ^(٢٤) عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ^(٢٥) تَصَلُّ نَارًا حَامِيَةً ^(٢٦) إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ^(٢٧) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ^(٢٨) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ [الغاشية: ٢-١٠] فِي أَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالسِّيَاقَاتِ.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الْقُرْآنَ﴾ ^(٢٩) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ^(٣٠) وَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ الْفَرَّاقُ ^(٣١) وَاللَّفَّتِ النَّاسُ بِالنَّاسِ ^(٣٢) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ النَّفْسُ ^(٣٣) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ^(٣٤) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ^(٣٥) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَقِنُ ^(٣٦) أَوَّلَ لَكَ قَافِرٌ ^(٣٧) ثُمَّ أَوَّلَ لَكَ قَافِرٌ ^(٣٨) أَحْسَبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُكْرَمَ سُدًى ^(٣٩) أَلَمْ يَكُ نَفْطَةً مِنْ مَّيِّ يَمْنَىٰ ^(٤٠) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ^(٤١) فَعَمَلَ مِنْهُ الْوَجْدَيْنِ الذِّكْرَ وَالْأُنثَىٰ ^(٤٢) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ الْوَلَدَ ^(٤٣)

(١) مسلم: ١٦٣/١ (٢) مسلم: ١٧٨/١ (٣) الطبري: ٢٤/٧٤ (٤) القرطبي: ١١٠/١٩ (٥) الطبري: ٧٤/٢٤ (٦) الطبري: ٧٥/٢٤ (٧) الطبري: ٧٥/٢٤ (٨) الطبري: ٧٨/٢٤ (٩) الطبري: ٧٦/٢٤ (١٠) الطبري: ٧٨/٢٤ (١١) القرطبي: ١١٢/١٩ (١٢) الطوال للطبراني: ٢٣٨

[ذِكْرُ حَالِ الْمُكَذِّبِ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿هَذَا إِنْجَابٌ عَنِ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا مُكَذِّبًا لِلْحَقِّ بِقَلْبِهِ مُتَوَلِّيًا عَنِ الْعَمَلِ بِقَالِيهِ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣٢) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ (٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ أَيُّ: جَذَلَانْ أَشِيرًا بَطْرًا كَسَلَانْ لَا هِمَّةَ لَهُ وَلَا عَمَلَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِمْ سُرُولًا﴾ (٣٤) إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَنْ يَمُوتُوا أَيُّ يَرْجِعُ ﴿إِنِّي إِنْ رُبَّمَا كَانَ بِهِمْ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٣-١٥] وَقَالَ الصَّحَّاحُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ أَيُّ: يَخْتَالُ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: يَتَمَتَّعُ^(٢). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ فَالُوكِ﴾ (٣٥) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَالُوكِ ﴿وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْكَافِرِ بِهِ، الْمُتَبَخِّخِرِ فِي مَشْيِهِ أَيُّ يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَمْشِيَ هَكَذَا، وَقَدْ كَفَرْتَ بِخَالِقِكَ وَبَارِئِكَ؟ كَمَا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالتَّهْدِيدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥] وَكَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَّالُهُ: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَرَوَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿أَوَلَيْكَ فَالُوكِ﴾ (٣٥) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَالُوكِ ﴿قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ ثُمَّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣). رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: ﴿أَوَلَيْكَ فَالُوكِ﴾ (٣٥) ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَالُوكِ ﴿وَعِيدٌ عَلَى أَثَرِ وَعِيدٍ كَمَا تَسْمَعُونَ، وَزَعَمُوا أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ أَبَا جَهْلٍ، أَخَذَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِمَجَامِعِ يَتَابِيهِ ثُمَّ قَالَ: «أَوَلَيْكَ فَالُوكِ، ثُمَّ أَوَلَيْكَ فَالُوكِ» فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ: أَنْتَ عَدُوُّنِي يَا مُحَمَّدٌ؟ وَاللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَعَزُّ مِنْ مَسَى بَيْنَ جَبَانِيهَا.

[لَا يَتْرُكُ الْإِنْسَانُ هَمَلًا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَخْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرُكَ سُؤْيَ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي: لَا يَتَّعِثُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالشَّافِعِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: يَعْنِي لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى. وَالظَّاهِرُ: أَنَّ الْآيَةَ تَعْمُ الْحَالَيْنِ أَيُّ: لَيْسَ يَتْرُكُ فِي هَذِهِ

الدُّنْيَا مُهْمَلًا لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، وَلَا يَتْرُكُ فِي قَبْرِهِ سُؤْيَ لَا يَتَّعِثُ، بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا، مَحْشُورٌ إِلَى اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا: إِثْبَاتُ الْمَعَادِ وَالرُّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْ أَهْلِ الرِّبْعِ وَالْجَهْلِ وَالْعِنَادِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُسْتَدِلًّا عَلَى الْإِعَادَةِ بِالْبُدْءَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ نُظْفَةٌ مِنْ مَنِي يَتْنٍ﴾ أَيُّ: أَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ نُظْفَةً ضَعِيفَةً مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿يَتْنٍ﴾: يُرَاقُ مِنَ الْأَصْلَابِ فِي الْأَرْحَامِ.

﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَلَقًا فَنَسُوْنٍ﴾ أَيُّ: فَصَارَ عِلْقَةً ثُمَّ مُضَعَّةً، ثُمَّ شَكْلٌ وَنُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ فَصَارَ خَلْقًا آخَرَ سَوِيًّا سَلِيمَ الْأَعْضَاءِ، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُ مِنْهُ الَّرَّجُلَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيْنَا أَنْ يُجِئَ الْمَوْتُ﴾ أَيُّ: أَمَا هَذَا الَّذِي أَنْشَأَ هَذَا الْخَلْقَ السَّوِيَّ مِنْ هَذِهِ النُّظْفَةِ الضَّعِيفَةِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعِيدَهُ كَمَا بَدَأَهُ؟! وَتَتَأَوَّلُ الْقُدْرَةَ لِلْإِعَادَةِ إِمَّا بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى بِالنَّسَبَةِ إِلَى الْبُدْءَةِ، وَإِمَّا مُسَاوِيَةً عَلَى الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ. كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الرُّومِ بَيَانُهُ وَتَقْرِيرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[الدُّعَاءُ عِنْدَ خِتَامِ السُّورَةِ]

رَوَى أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿الَّذِينَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيْنَا أَنْ يُجِئَ الْمَوْتُ﴾ قَالَ: سُبْحَانَكَ قَبْلِي. فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٤). تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ، وَلَمْ يَسْمَعْ هَذَا الصَّحَابِيُّ وَلَا يَضُرُّ ذَلِكَ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِنْسَانِ
وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[قِرَاءَةُ سُورَةِ السَّجْدَةِ وَالْإِنْسَانِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ]

قَدْ تَقَدَّمَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: ﴿الْحَمْدُ

(١) الدر المنثور: ٣٦٣/٨ (٢) الطبري: ٨١/٢٤ (٣) النسائي في الكبرى: ٥٠٤/٦ (٤) أبو داود: ٥٤٩/١

تَزِيلُ السَّجْدَةِ وَ «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا»^(٢) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا^(٣) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا^(٤)

[خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ أَوْجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا يُذَكِّرُ لِحَقَارَتِهِ وَضَعْفِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا» ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ أَي: أَخْلَاطٍ. وَالْمَشْجُ وَالْمَشِيجُ: الشَّيْءُ الْمُخْتَلَطُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ» يَعْنِي مَاءَ الرَّجُلِ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ إِذَا اجْتَمَعَا وَاخْتَلَطَا^(٥). ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَ مِنْ طُورٍ إِلَى طُورٍ وَحَالٍ إِلَى حَالٍ وَلَوْ نَ إِلَى لَوْنٍ. وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَالرَّبِيعُ بُنْ أَنَسٍ: الْأَمْشَاجُ هُوَ اخْتِلَاطُ مَاءِ الرَّجُلِ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ^(٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «نَّبْتَلِيهِ» أَي نَخْتَبِرُهُ، كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: «يَلْبُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [الملك: ٢] «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» أَي: جَعَلْنَاهُ سَمْعًا وَبَصَرًا يَتِمَكَّنُ بِهِمَا مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.

[هَدَاهُ اللَّهُ السَّبِيلَ فَهُوَ إِمَّا شَاكِرٌ وَإِمَّا كَفُورٌ]

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» أَي: بَيَّنَّاهُ لَهُ وَوَضَحْنَاهُ وَبَصَّرْنَاهُ بِهِ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: «وَأَمَّا نُمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَبْجُوا أَعْمَى عَلَى الْهَدْيِ» [فصلت: ١٧]، وَكَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» [البلد: ١٠] أَي: بَيَّنَّاهُ لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ. وَهَذَا قَوْلٌ عِكْرِمَةُ وَعَطِيَّةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَمُجَاهِدٌ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ وَالْجُمْهُورُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» تَقْدِيرُهُ: فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِمَّا شَقِيٌّ وَإِمَّا سَعِيدٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُرُ فَبَائِعَ نَفْسِهِ، فَمُوبِقُهَا أَوْ مُعْتِقُهَا»^(٧).

«إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا»^(٨) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا^(٩) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا^(١٠) يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ سُوءٌ مُسْتَقْبَرًا^(١١) وَيُطِيعُونَ أَوْطَاعًا عَلَى حِدَةٍ وَشَكَاةٍ وَبَيْنَا وَأَمِيرًا^(١٢) إِنَّمَا نَطْمَعُكَ لَوْنِهِ اللَّهُ لَا تَرْبُدْ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا^(١٣) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا

فَطِيرًا^(١٤) فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَرُشُورًا^(١٥)

وَجَزَّهَمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا^(١٦)

[جَزَاءُ الْكَافِرِينَ وَالْأَبْرَارِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَرْصَدَهُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ بِهِ مِنْ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالسَّعِيرِ، وَهُوَ اللَّهَبُ وَالْحَرِيقُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ»^(١٧) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ» [عافر: ٧١، ٧٢]، وَلَمَّا ذَكَرَ مَا أَعَدَّهُ لَهُؤْلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ مِنَ السَّعِيرِ قَالَ بَعْدَهُ: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» وَقَدْ عَلِمَ مَا فِي الْكَافُورِ مِنَ التَّبْرِيدِ وَالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ مَعَ مَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّذَازَةِ فِي الْحَتَّةِ. قَالَ الْحَسَنُ: بَرْدُ الْكَافُورِ فِي طِيبِ الرَّنَجِيلِ، وَلِهَذَا قَالَ: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» أَي: هَذَا الَّذِي مُرِجَ لَهُؤْلَاءِ الْأَبْرَارِ مِنَ الْكَافُورِ هُوَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صَرْفًا بِلا مُزْجٍ وَيَزَوُّونَ بِهَا، وَلِهَذَا ضَمَّنَ يَشْرَبُ مَعْنَى «يَرَوِي» حَتَّى عَدَّاهُ بِالْبَاءِ وَنَصَبَ عَيْنًا عَلَى التَّمْيِيزِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» أَي: يَنْصَرِفُونَ فِيهَا حَيْثُ شَاؤُوا، وَأَيَّنَ شَاؤُوا مِنْ قُصُورِهِمْ وَدُورِهِمْ وَمَحَالِسِهِمْ وَمَحَالَتِهِمْ، وَالتَّفْجِيرُ هُوَ الْإِنْبَاقُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنُوعًا» [الاسراء: ٩٠]، وَقَالَ: «وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا» [الكهف: ٣٣].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا^(١٨) وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَتَقَادَةُ^(١٩). وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: يُصَرِّفُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا^(٢٠).

[أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يُوفُونَ بِالْذِّكْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ سُوءٌ مُسْتَقْبَرًا» أَي: يَتَعَبَّدُونَ لِلَّهِ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ الْوَاجِبَةِ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، وَمَا أَوْجَبُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِطَرِيقِ الذِّكْرِ. قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَيْلِيِّ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ»^(٢١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ

(١) مسلم: ٥٩٩/٢ (٢) الطبري: ٨٩/٢٤ (٣) الطبري: ٢٤

٨٩، ٩٠ (٤) مسلم: ٢٠٣/١ (٥) الطبري: ٩٤/٢٤ (٦)

الدر المنثور: ٣٦٩/٨ (٧) الطبري: ٩٥/٢٤ (٨) الموطأ: ٢

سورة الإنسان

٥٧٩

سورة الإنسان

عَيْنَا شَرِبَ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿١﴾ يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَلَا يَنْتَظِرُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٢﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حَبِّهِمْ وَمُسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٣﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَرْبُدْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٤﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿٥﴾ فَوَقَدْتُمْ آلَ شَرِّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿٦﴾ وَحَزَنُكُمْ بِمَا صَبَرُوا أَجَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿٧﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿٨﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيرًا ﴿٩﴾ وَطُفَافٌ عَلَيْهِمْ كَذَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٠﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١١﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِنْ أَجْهَازٍ نَّجِيلًا ﴿١٢﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمُ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا رَأَيْتُمْ رِيًّا وَنَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿١٥﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّو أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿١٦﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١٨﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعِ مَثَلَهُمْ إِنَّمَا أَوْفَكَوْا ﴿١٩﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٠﴾

عَبَّاسُ: ﴿عَبُوسًا﴾ ضَمِيمًا. ﴿قَطَطِيرًا﴾: طَوِيلًا ﴿١٢﴾. وَقَالَ عِكْرَمَةُ وَغَيْرُهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ قَالَ: يَعْنِي الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ عَرَقٌ مِّثْلُ الْقَطْرِانِ ﴿١٣﴾. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿عَبُوسًا﴾ الْعَابِسُ الشَّقِيقَيْنِ ﴿قَطَطِيرًا﴾ قَالَ: [تَقْبِضُ] الْوَجْهِ [بِالْبُصُورِ]. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ: تَعْبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنَ الْهَوْلِ. ﴿قَطَطِيرًا﴾: تَقْلِيلُ الْجَبِينِ وَمَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْهَوْلِ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، الْعَبُوسُ: الشَّرُّ، وَالْقَمَطَرِيرُ: الشَّدِيدُ.

[بَعْضُ التَّفْصِيلِ لِجَزَاءِ الْأَبْرَارِ فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنْ

النَّعِيمِ]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَقَدْتُمْ آلَ شَرِّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ

- (١) فتح الباري: ٥٨٩/١١ (٢) الطبري: ٩٦/٢٤ (٣) الطبري: ٩٦/٢٤ (٤) فتح الباري: ٣٣٤/٣ (٥) الطبري: ٩٧/٢٤ (٦) عبد الرزاق: ٣٣٧/٣ (٧) القرطبي: ١٢٩/١٩ (٨) الطبري: ٩٨/٢٤ (٩) السائي في الكبرى: ٢٥٨/٤ (١٠) الطبري: ٩٨/٢٤ (١١) الطبري: ٩٨/٢٤ (١٢) الطبري: ١٠٠/٢٤ (١٣) الطبري: ٩٩/٢٤

مَالِكٍ ﴿١﴾. وَيَتْرُكُونَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَاهُمْ عَنْهَا؛ خِيفَةً مِنْ شَوْءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْمَعَادِ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي شَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ أَيْ: مُشْتَبِهٌ عَامٌ عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاشْتَبَاهَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: اسْتَطَارَ - وَاللَّهُ - شَرُّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٢﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حَبِّهِمْ﴾ قِيلَ: عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَعَلُوا الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِذَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الطَّعَامِ أَيْ: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ فِي حَالِ مَحَبَّتِهِمْ وَشَهْوَتِهِمْ لَهُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ﴿٣﴾. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا أَلْمَالُ عَلَىٰ حَبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِنَّا مُنْحَرِفِينَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

وَفِي الصَّحِيحِ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ شَحِيحٍ، تَأْمُلُ الْغِنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ» ﴿٤﴾. أَيْ: فِي حَالِ مَحَبَّتِكَ لِلْمَالِ وَجَزْصِكَ عَلَيْهِ وَحَاجَتِكَ إِلَيْهِ، وَلِهَٰذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حَبِّهِمْ مُسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، أَمَّا الْمُسْكِينُ وَالْيَتِيمُ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُمَا وَصِفَتُهُمَا، وَأَمَّا الْأَسِيرُ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ وَالصَّحَّاحُ: الْأَسِيرُ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ ﴿٥﴾. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَسْرَاؤُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّشْرِكِينَ ﴿٦﴾. وَيَشْهَدُ لِهَٰذَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ يُكْرِمُوا الْأَسَارَى، فَكَانُوا يُقَدِّمُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عِنْدَ الْغَدَاةِ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: هُمُ الْعَبِيدُ ﴿٧﴾. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ، لِغُمُومِ الْآيَةِ لِلْمُسْلِمِ وَالْمُشْرِكِ ﴿٨﴾. وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَطَاءٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَقَدْ وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْقَاءِ فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ آخِرُ مَا أَوْصَى أَنْ جَعَلَ يَقُولُ: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ﴿٩﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْمَحْبُوسُ ﴿١٠﴾. أَيْ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ لَهُؤُلَاءِ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ قَائِلِينَ بِلِسَانِ الْحَالِ: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ أَيْ: رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَاهُ ﴿لَا نَرْبُدْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ أَيْ: لَا نَطْلُبُ مِنْكُمْ مُجَازَاةً نَكْفِيؤُنَا بِهَا، وَلَا أَنْ تَشْكُرُونَا عِنْدَ النَّاسِ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَمَّا وَاللَّهُ مَا قَالُوهُ بِالْإِسْتِثْنَاءِ، وَلَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِهِ، لِيَرْغَبَ فِي ذَٰلِكَ رَاغِبٌ ﴿١١﴾. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ أَيْ: إِنَّمَا نَفْعَلُ هَٰذَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَنَا وَيَتَقَلَّبَنَا بِلُطْفِهِ فِي الْيَوْمِ الْعَبُوسِ الْقَمَطَرِيرِ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ

﴿فُطُوهُنَا نَدِيلًا﴾ أَي: مَتَى تَعَاطَاهُ دَنَا الْقُطْفُ إِلَيْهِ وَتَدَلَّى مِنْ أَعْلَى غُضْبِهِ كَأَنَّهُ سَامِعٌ طَائِعٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فُطُوهُنَا دَانِيَةً﴾ [الحاقة: ٢٣] قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿رَدَّلَتْ فُطُوهُنَا نَدِيلًا﴾ إِنْ قَامَ ارْتَفَعَتْ مَعَهُ بِقَدَرٍ، وَإِنْ قَعَدَتْ تَدَلَّتْ لَهُ حَتَّى يَنَالَهَا، وَإِنْ اضْطَجَعَ تَدَلَّتْ لَهُ حَتَّى يَنَالَهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَدِيلًا﴾^(٤). وَقَالَ قَتَادَةُ: لَا يَرُدُّ أَيْدِيَهُمْ عَنْهَا شَوْكٌ وَلَا بَعْدُ^(٥).

[آيَةٌ مِنْ فِصَّةٍ وَأَكْوَابٌ]

وَقَوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِصَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أَي يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْخَدَمُ بِأَوَانِي الطَّعَامِ، وَهِيَ مِنْ فِصَّةٍ وَأَكْوَابِ الشَّرَابِ، وَهِيَ الْكَيْزَانُ الَّتِي لَا عُرَى لَهَا وَلَا خَرَاطِيمَ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَوَارِيرًا﴾^(٦) قَوَارِيرًا مِنْ فِصَّةٍ فَالْأَوَّلُ مَنْصُوبٌ بِخَبَرٍ كَانَ أَي: كَانَتْ قَوَارِيرَ، وَالثَّانِي مَنْصُوبٌ إِمَّا عَلَى الْبَدَلَةِ أَوْ تَمْيِيزٍ لِأَنَّهُ بَيَّنَّهَ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِصَّةٍ﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: بَيَاضُ الْفِصَّةِ فِي صِفَاءِ الرُّجَاجِ^(٧). وَالْقَوَارِيرُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ رُجَاجٍ، فَهَذِهِ الْأَكْوَابُ هِيَ مِنْ فِصَّةٍ، وَهِيَ مَعَ هَذَا شَفَافَةٌ يَرَى مَا فِي بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، وَهَذَا مِمَّا لَا تُظْهِرُ لَهُ فِي الدُّنْيَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَذَرُّهَا قُفَيْرًا﴾ أَي: عَلَى قَدَرِ رِبِّهِمْ، لَا تَزِيدُ عَنْهُ وَلَا تَنْقُصُ، بَلْ هِيَ مُعَدَّةٌ لِدَلِّكَ مُقَدَّرَةٌ بِحَسَبِ رِيٍّ صَاحِبِهَا. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَبِي صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ وَابْنُ أَزْرَى، وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُيَيْدٍ بَنِي عُمَيْرٍ، وَقَتَادَةُ وَالشَّعْبِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٨). وَهَذَا أُبْلَغُ فِي الْأَعْتِنَاءِ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ.

[شَرَابُ الرَّنَجِيلِ وَالسَّلْسِيلِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ رِزَاقُهَا رَنَجِيلًا﴾ أَي: وَيُسْقَوْنَ بِغَيْرِ الْأَبْرَارِ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْأَكْوَابِ ﴿كَأْسًا﴾ أَي: خَمْرًا ﴿كَانَ رِزَاقُهَا رَنَجِيلًا﴾ فَتَارَةٌ يُمَزَّجُ لَهُمُ الشَّرَابُ بِالْكَافُورِ وَهُوَ بَارِدٌ، وَتَارَةٌ بِالرَّنَجِيلِ وَهُوَ حَارٌّ؛ لِيَعْتَدِلَ

وَسُرُورًا. وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّجَانُّسِ الْبَلِغِ ﴿وَقَفَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ أَي: آمَنَهُمْ مِمَّا خَافُوا مِنْهُ ﴿وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ﴾ أَي: فِي وُجُوهِهِمْ ﴿وَسُرُورًا﴾ أَي: فِي قُلُوبِهِمْ. قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَتَادَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ^(٩). وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَذٍ مُسْفَرَةٌ﴾^(١٠) صَاحِبُكَ مُسْتَبْشِرَةٌ. وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا شَرَّ اسْتَنَارَ الْوُجْهُ. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا شَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ فِلَقَةٌ قَمَرٍ^(١١). وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَسْرُورًا تَبَرُّقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ. الْحَدِيثُ^(١٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَّهَمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أَي: بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ أَغْطَاهُمْ وَتَوَلَّاهُمْ وَبَوَّاهُمْ جَنَّةً وَحَرِيرًا أَي: مَنْزِلًا رَحْبًا وَعَيْشًا رَعْدًا وَلِبَاسًا حَسَنًا. وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَرْجَمَةِ هِشَامِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ قَالَ: قُرِئَ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ سُورَةُ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ فَلَمَّا بَلَغَ الْقَارِئُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَّهَمَ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ قَالَ: بِمَا صَبَرُوا عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ فِي الدُّنْيَا.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾^(١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّنُهَا وَذُلَّتْ فُطُوهُنَا نَدِيلًا^(١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِصَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا^(١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِصَّةٍ تَذَرُّهَا قُفَيْرًا^(١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ رِزَاقُهَا رَنَجِيلًا^(١٧) عَيْنًا فِيهَا سَلْسِيلًا^(١٨) وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ مَخْلُودُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ حَبِيتُهُمْ لَوْلَا مَنَعُوكُمْ^(١٩) وَإِذَا رَأَيْتُمْ رَأَيْتُمْ نَعِيمًا وَمُنَاجَا كَبِيرًا^(٢٠) عَلَيْهِمْ يُتَابُ سُنْبُ حَضَرٍ وَاسْتَرْقَتْ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِصَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا^(٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مَشْكُورًا^(٢٢)

[ذِكْرُ الْأَرَائِكِ، وَأَنَّهُ لَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ فِي الْجَنَّةِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ، وَذِكْرُ الْخِلَافِ فِي الْإِتْكَاءِ، هَلْ هُوَ الْأَضْطِجَاعُ أَوْ التَّمَرُّقُ أَوْ التَّرْتِجُ أَوْ التَّمَكُّرُ فِي الْجُلُوسِ، وَأَنَّ الْأَرَائِكَ هِيَ السُّرُرُ تَحْتَ الْحِجَالِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أَي: لَيْسَ عَنْدهُمْ حَرٌّ مُزْعِجٌ وَلَا بَرْدٌ مُؤْلِمٌ، بَلْ هِيَ مِرَاجٌ وَاحِدٌ دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا جَوْلًا.

[دُنُو الظَّلَالِ وَالْقُطُوفِ]

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّنُهَا﴾ أَي: قَرِيبَةً إِلَيْهِمْ أَغْصَانُهَا ﴿وَذُلَّتْ

(١) الطبري: ١٠١/٢٤ (٢) فتح الباري: ٦٥٣/٦ (٣) فتح الباري: ٦٥٣/٦ (٤) الطبري: ١٠٣/٢٤ (٥) الطبري: ٢٤/١٠٣ (٦) الطبري: ١٠٥/٢٤، ١٠٦ (٧) الطبري: ١٠٦/٢٤، ١٠٧ والقرطبي: ١٩/١٤١

الْأَمْرُ، وَهَؤُلَاءِ يُمَزَّجُ لَهُمْ مِنْ هَذَا تَارَةً، وَمِنْ هَذَا تَارَةً، وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ كُلِّ مِثْمَاحٍ صَرَفًا. كَمَا قَالَ قَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(١). وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿عَيْنَا يَتَرَّبُ فِيهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وَقَالَ هَهُنَا: ﴿عَيْنَا فِيهَا سَمْعٌ سَلْسِيلًا﴾ أَي: الزَّنَجِيلُ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ تُسَمَّى سَلْسِيلًا. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِسَلْسِلَةِ مَسِيلِهَا وَجِدَّةِ جَرِيهَا^(٢).

[الْوِلْدَانُ وَالْخِدْمَةُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنَّ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ أَي: يَطُوفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلْخِدْمَةِ وَلَدَانٌ مِنْ وَلَدَانِ الْجَنَّةِ ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أَي: عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مُخَلَّدُونَ عَلَيْهَا لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْهَا، لَا تَزِيدُ أَعْمَارُهُمْ عَنْ تِلْكَ السَّنِّ، وَمَنْ فَسَّرَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُخَرَّصُونَ فِي أَذَانِهِمُ الْأَقْرَطَةُ، فَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ الْمَعْنَى بِذَلِكَ، لِأَنَّ الصَّغِيرَ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ لَهُ ذَلِكَ دُونَ الْكَبِيرِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ أَي: إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي انْتِشَارِهِمْ فِي فِضَاءِ حَوَائِجِ السَّادَةِ وَكَثْرَتِهِمْ وَصَبَاحَةِ وَجُوهِهِمْ، وَحُسْنِ أَلْوَانِهِمْ وَنَيَابِهِمْ، وَحُلِيِّهِمْ، حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا، وَلَا يَكُونُ فِي التَّشْبِيهِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، وَلَا فِي الْمَنْظَرِ أَحْسَنُ مِنَ اللَّؤْلُؤِ الْمَنُورِ عَلَى الْمَكَانِ الْحَسَنِ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ أَي: إِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ثُمَّ﴾ أَي: هُنَاكَ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَسَعَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْجَبَرَةِ وَالسُّرُورِ ﴿رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ أَي: مَمْلُوكَةً لِلَّهِ هُنَاكَ عَظِيمَةً وَسُلْطَانًا بَاهِرًا. وَبَيَّنَّ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَخْرِ أَهْلِ النَّارِ خُروجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا إِلَيْهَا: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا^(٣). فَإِذَا كَانَ هَذَا عَطَاؤُهُ تَعَالَى لِأَذْنَى مَنْ يَكُونُ فِي الْجَنَّةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا هُوَ أَعْلَى مَنْزِلَةً وَأَحْظَى عِنْدَهُ تَعَالَى؟.

[اللباسُ والحلي]

وَقَوْلُهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدِّيٌّ خَضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أَي: لِيَاسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا الْحَرِيرُ وَمِنْهُ سُدُسٌ وَهُوَ رَفِيعُ الْحَرِيرِ كَالْقَمِصَانِ وَنَحْوَهَا مِمَّا يَلْبَسُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْإِسْتَبْرَقُ مِنْهُ مَا فِيهِ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ، وَهُوَ مِمَّا يَلْبَسُ الظَّاهِرَ كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ فِي اللَّبَاسِ ﴿وَمَلَأُوا أَصْوَارَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وَهَذِهِ صِفَةُ

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

٥٨٠

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

وَمِنْ أَلِيلٍ فَأَسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقْتَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقْتَ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلَقْتَ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَلَيْلٌ يُومِذُ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَلَيْلٌ يُومِذُ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

الْأَبْرَارِ، وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُحَلَّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وَلَكَمَا ذَكَرَ تَعَالَى زِينَةَ الظَّاهِرِ بِالْحَرِيرِ وَالْحُلِيِّ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أَي: طَهَّرَ بِوَاطِنِهِمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْعِلِّ وَالْأَدَى وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا انْتَهَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَجَدُوا هُنَاكَ عَنِينَيْنِ، فَكَأَنَّمَا أَلْهَمُوا ذَلِكَ، فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ أَدَى، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنَ الْآخَرَى، فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحَالِهِمْ الظَّاهِرِ وَجَمَالِهِمُ الْبَاطِنِ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا﴾ أَي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ؛ تَكْرِيمًا لَهُمْ وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

(١) الطبري: ١٠٧/٢٤ (٢) الطبري: ١٠٨/٢٤ (٣) مسلم:

١٧٣/١ (٤) القرطبي: ٤٧/١٩

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ [الحاقة: ٢٤] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَدُّوْا أَنْ تُلْكَمُ الْجَنَّةَ آوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ أَيُّ جَزَائِكُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعِ مِنْهُمْ عَائِنًا أَوْ كُفْرًا (٢٤) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنْ آيَاتِ الْآسِجْدِ لَهُمْ وَسَيْحَتُهُ لِيَلاَ طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبَدُّلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

[ذِكْرُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَالذِّكْرِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُثْنًا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تَنْزِيلًا: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أَيُّ: كَمَا أَكْرَمْتُكَ بِمَا أُنْزِلْتُ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ عَلَى قَضَائِهِ وَقُدْرِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَذَرُكَ بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ ﴿وَلَا تَطْعِ مِنْهُمْ عَائِنًا أَوْ كُفْرًا﴾ أَيُّ: لَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ أَرَادُوا صَدَّكَ عَمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، بَلْ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تَيْمُ هُوَ الْفَاجِرُ فِي أَفْعَالِهِ، وَالْكَفُورُ هُوَ الْكَافِرُ قَلْبُهُ ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أَيُّ: أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ ﴿وَمِنْ آيَاتِ الْآسِجْدِ لَهُمْ وَسَيْحَتُهُ لِيَلاَ طَوِيلًا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِ فَتْحِجْدِ يَوْمِ نَافِلَةٍ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ فَرِ الْإِلَإِ قَلِيلًا (٢) يَصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلَ الْقُرْآنَ تَرْيَلًا [المزمل: ١-٤].

[ذِمُّ حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّوْبَةُ عَلَى يَوْمِ الْمَعَادِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُثْنًا عَلَى الْكَفَّارِ وَمَنْ أَشَبَّهُهُمْ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْإِنْصِبَابِ إِلَيْهَا، وَتَرْكِ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي خَلَقْنَاهُمْ^(١). ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبَدُّلًا﴾ أَيُّ: وَإِذَا شِئْنَا بَعَثْنَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَدَّلْنَاهُمْ فَأَعَدْنَاهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بِالْبَدَاءَةِ عَلَى الرَّجْعَةِ. وَقَالَ

ابْنُ زَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبَدُّلًا﴾ أَيُّ: وَإِذَا شِئْنَا أَتَيْنَا بِقَوْمٍ آخَرِينَ غَيْرِهِمْ^(٢). كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٣) وَمَا ذَكَرَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ [فاطر: ١٩، ٢٠].

[الْقُرْآنُ تَذْكِرَةٌ وَالْهُدَايَةُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يَعْنِي: هَذِهِ السُّورَةُ تَذْكِرَةٌ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أَيُّ: طَرِيقًا وَمَسْلَكًا أَيُّ: مَنْ شَاءَ اهْتَدَىٰ بِالْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْنَهُمُ لَوِ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... [النساء: ٣٩]، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْخُلَ فِي الْإِيمَانِ وَلَا يَجُرَّ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أَيُّ: عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ فَيَسِّرُهَا لَهُ وَيُقَيِّضُ لَهُ أَسْبَابَهَا، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَوَاثِيَ فَيَصْرِفُهُ عَنِ الْهُدَى. وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أَيُّ: يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ يَهْدِهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِنْسَانِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ وَقِرَاءَتُهَا فِي الْمَغْرِبِ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيَّنَّا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارٍ بِمِنَى إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا، وَإِنِّي لَأَتْلُفَاهَا مِنْ فِيهِ، وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْتُلُوهَا». فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقِيَّتْ شَرَكُمْ، كَمَا وَقِيَّتْ شَرَهَا»^(٣). وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ^(٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ

(١) الطبري: ١١٨/٢٤ (٢) الطبري: ١١٨/٢٤، ١١٩ (٣)

فتح الباري: ٤٢/٤ (٤) مسلم: ١٧٥٥/٤

بِالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا^(١). وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ سَمِعَتْهُ يَقْرَأُ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَذْكَرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّهَا لَأَخْرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ^(٢). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ بِهِ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ① فَأَلْمِيقَاتٍ ذِكْرًا ② عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ③ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ④ فَإِذَا الْتُحُمُّ طُمِسَتْ ⑤ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑥ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّتَتْ ⑦ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ ⑧ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑨ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑩ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑪ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑫

[قَسَمُ اللَّهِ بِأَشْيَاءٍ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى وُقُوعِ الْمَعَادِ]

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ. وَرَوَى عَنْ مَسْرُوقٍ وَأَبِي الضُّحَى وَمُجَاهِدٍ فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ وَالسُّدِّيُّ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَوَى عَنْ أَبِي صَالِحٍ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ الرُّسُلُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ. وَهَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ فِي الْعَاصِفَاتِ وَالنَّاشِرَاتِ وَالْفَارِقَاتِ وَالْمُلْقِيَاتِ: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهْلِيلٍ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ، عَنْ أَبِي الْعُبَيْدِينَ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنِ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا قَالَ: الرِّيحُ. وَكَذَا قَالَ فِي الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا: إِنَّهَا الرِّيحُ^(٤). وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ^(٥). وَقَطَعُ ابْنُ جَرِيرٍ بِأَنَّ الْعَاصِفَاتِ عَصْفُ الرِّيَّاحِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمَنْ تَابَعَهُ. وَتَوَقَّفَ فِي النَّاشِرَاتِ نَشْرًا هَلْ هِيَ الْمَلَائِكَةُ أَوْ الرِّيحُ كَمَا تَقَدَّمَ؟ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ: أَنَّ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا هِيَ الْمَطَرُ، وَالْأَطْهَرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّعَ﴾ [الحجر: ٢٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧] وَهَكَذَا الْعَاصِفَاتُ هِيَ الرِّيَّاحُ، يُقَالُ: عَصَفَتِ الرِّيَّاحُ إِذَا هَبَّتْ بِتَضْوِيَةٍ، وَكَذَا النَّاشِرَاتُ هِيَ الرِّيَّاحُ الَّتِي تَنْشُرُ السَّحَابَ فِي أَقَاقِ السَّمَاءِ كَمَا يَشَاءُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَلْمِيقَاتٍ ذِكْرًا﴾ ② عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ③ يَعْنِي الْمَلَائِكَةُ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمَسْرُوقٌ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالسُّدِّيُّ

وَالثَّوْرِيُّ^(٦). وَلَا خِلَافَ هَهُنَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى الرُّسُلِ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْهَدَى وَالْعَبْيِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتُلْقِي إِلَى الرُّسُلِ وَخَبْرًا فِيهِ إِعْدَارًا إِلَى الْخَلْقِ وَإِنْدَارًا لَهُمْ عِقَابَ اللَّهِ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ﴾ ④ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ بِهِذِهِ الْأَقْسَامِ أَيُّ: مَا وَعَدْتُمْ بِهِ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ وَبَعَثِ الْأَجْسَادِ وَجَمْعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَمُجَارَاةِ كُلِّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، إِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَوَاقِعٌ أَيُّ: لَكَائِنْ لَا مَحَالَةَ.

[ذَكِّرْ بَعْضَ مَا يَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا الْتُحُمُّ طُمِسَتْ﴾ ⑤ أَيُّ: ذَهَبَ ضَوْوُهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْتُحُمُّ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ ⑥ أَيُّ: انْفَطَرَتْ وَانْشَقَّتْ وَتَذَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا وَوَهَتْ أَطْرَافُهَا.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّتَتْ﴾ ⑦ أَيُّ: ذَهَبَ بِهَا فَلَا يَبْقَى لَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسْأَلُوكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا... الْآيَةَ [طه: ١٠٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَبِّحُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرَتْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ ⑧ قَالَ الْعُوفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: جُمِعَتْ^(٧). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]^(٨). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أُقْبَتْ﴾ ⑧ أُجِّلَتْ^(٩). وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿أُقْبَتْ﴾ ⑧ أُوْعِدَتْ^(١٠). وَكَأَنَّهُ يَجْعَلُهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑨ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑩ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑪ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑫﴾ [المرسلات: ١٢-١٥] يَقُولُ تَعَالَى: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ الرُّسُلُ، وَأَرْجَى أَمْرُهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدِيهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو

(١) أحمد: ٦/٣٣٨ (٢) الموطأ: ١/٧٨ (٣) فتح الباري: ٢/٢٨٧ ومسلم: ١/٣٣٨ (٤) الطبري: ١٢٤/٢٤، ١٢٥ (٥) الطبري: ٢٤/١٢٣ و١٢٤ و١٢٥ و١٢٦ (٦) الطبري: ٢٤/١٢٨، ١٢٩ (٧) الطبري: ٢٤/١٢٩ (٨) الطبري: ٢٤/١٣٠ (٩) الطبري: ٢٤/١٣٠ (١٠) الطبري: ٢٤/١٣٠

سورة المرسلات

٥٨١

سورة المرسلات

أَنفَعَامٍ ﴿٧﴾ يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٨﴾ [إبراهيم: ٤٧، ٤٨] وَهُوَ يَوْمَ الْفُضْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعْظَمًا لِشَأْنِهِ: ﴿وَمَا أَزِدْكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٩﴾ أَيُّ وَيَلْ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٠﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿١٣﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعَمُ الْقَدِيرُونَ ﴿١٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿١٨﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجْسًا شَهِتَ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢١﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ لَكُمُ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٥﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفُضْلِ جَمَعْنَاهُ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ فَإِنْ كَانَ ظَلِيلٌ وَعَيْونٌ ﴿٢٧﴾ وَفَوَكَهَهُمْ مَمَاسِيحُهُمْ ﴿٢٨﴾ كُفُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣١﴾ كُفُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ ﴿٣٢﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَزَكُّوا لَا يَزَكُّوْنَ ﴿٣٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾

شُعْبٍ ﴿٣٧﴾ لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْفَصْرِ ﴿٣٩﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفَرٌ ﴿٤٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفُضْلِ جَمَعْنَاهُ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٤٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

[سَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى مَا وَاهُمْ فِي جَهَنَّمَ

وَشَيْءٌ مِنْ كَيْفِيَّتِهَا]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنَّهُمْ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿أُطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أُطْلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ يَعْنِي لَهَبِ النَّارِ إِذَا ارْتَفَعَ وَصَعِدَ مَعَهُ دُخَانٌ، فَمِنْ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ أَنَّ لَهُ ثَلَاثَ شُعْبٍ ﴿لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ﴾ أَيُّ: ظِلُّ الدُّخَانِ الْمُقَابِلِ لِلْهَبِ لَا ظَلِيلٌ هُوَ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يُغْنِي مِنَ

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦] يَعْنِي مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ الْمُخَالِفِينَ لِمَا جَاءُواهُمْ بِهِ ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ أَيُّ: مِمَّنْ أَشْبَهَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٩﴾ قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُثَمِّنًا عَلَى خَلْقِهِ وَمُحْتَجًّا عَلَى الْإِعَادَةِ بِالْبِدْءَةِ: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ أَيُّ: ضَعِيفٍ حَقِيرٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا فِي حَدِيثِ [بُسْرِ] ابْنِ جِحَاشٍ: «ابْنُ آدَمَ أَتَى تُعْجَزَنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟!» (٢).

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يَعْنِي: جَمَعْنَاهُ فِي الرَّحْمِ وَهُوَ قَرَارُ الْمَاءِ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَالرَّجْمِ مُعَدٌّ لِدَلِكِ حَافِظٌ لِمَا أُوْدِعَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ يَعْنِي: إِلَى مَدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ سِتَّةِ أَشْهُرٍ أَوْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعَمُ الْقَدِيرُونَ﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كِفَاتًا﴾ كِنًا (٣). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يُكْفَتُ الْمَيْتُ فَلَا يَرَى مِنْهُ شَيْءٌ (٤). وَقَالَ الشَّعْبِيُّ بَطْنُهَا لِأَمْوَاتِكُمْ، وَظَهَرُهَا لِأَحْيَائِكُمْ (٥). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَفَادَةً (٦). ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجْسًا شَهِتَ﴾ يَعْنِي الْجِبَالَ، أَرَسَى بِهَا الْأَرْضَ؛ لِثَلَاثِ تَمِيمٍ وَتَضَطَّرَبَ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ أَيُّ: عَذَابًا زَلَالًا مِنَ السَّحَابِ أَوْ مِمَّا أَتْبَعَهُ مِنْ عَيْونِ الْأَرْضِ ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٥) أَيُّ: وَيَلْ لِمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا ثُمَّ بَعْدَ هَذَا يَسْتَمِرُّ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَكُفْرِهِ.

﴿أُطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ أُطْلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ

(١) الطبري: ١٣١/٢٤ (٢) أحمد: ٢١٠/٤ (٣) الطبري:

١٣٤/٢٤ (٤) الطبري: ١٣٤/٢٤ (٥) الطبري: ١٣٤/٢٤

(٦) الطبري: ١٣٤/٢٤، ١٣٥

وَأَشْرَوْا هَيْتًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾
وَبِلْ يَوْمَيْدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ كَلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَبِلْ
يَوْمَيْدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَبِلْ يَوْمَيْدٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

[مَالُ الْمُتَّقِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ عَبْدُوهُ بِأَدَاءِ
الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُونَ
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَيْ: بِخِلَافِ مَا أُولَئِكَ الْأَشْقِيَاءُ فِيهِ مِنْ
ظُلِّ الْيَحْمُومِ وَهُوَ الدُّخَانُ الْأَسْوَدُ الْمُتَشِينُ. وَقَوْلُهُ [تَعَالَى]:
﴿وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَبُونَ﴾ أَيْ: وَمِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ مِمَّهَا
طَلَبُوا وَجَدُوا ﴿كَلُوا وَأَشْرَوْا هَيْتًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ:
يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى
مُخْبِرًا خَبَرًا مُسْتَنَافًا: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أَيْ هَذَا
جَزَاؤُنَا لِمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ ﴿وَبِلْ يَوْمَيْدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[تَهْدِيدٌ لِمُنْكَرِي الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ خِطَابٌ
لِّلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الدِّينِ، وَأَمَرُهُمْ أَمْرٌ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ، فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿كَلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا﴾ أَيْ: مَدَّةً قَلِيلَةً قَرِيبَةً قَصِيرَةً
﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ أَيْ ثُمَّ تُسَاقُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي تَقَدَّمَ
ذِكْرُهَا ﴿وَبِلْ يَوْمَيْدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنَمْلَأَنَّهُمْ قَلِيلًا
ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ مَنَعَ فِي
الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٧٠]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أَيْ: إِذَا أُمِرَ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ مِنَ الْكُفَّارِ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُصَلِّينَ مَعَ الْجَمَاعَةِ امْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ
وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِلْ يَوْمَيْدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثُمَّ
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾. أَيْ: إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا
بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَبِأَيِّ كَلَامٍ يُؤْمِنُونَ بِهِ؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ
حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

أَخِيرَ تَفْسِيرَ سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ
التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

اللَّهِبِ يَعْنِي: وَلَا يَقْبِهِمْ حَرَّ اللَّهِبِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا
تَرَىٰ بِسُكْرِ كَالْقَصْرِ﴾ أَيْ: يَتَطَايَرُ الشَّرُّ مِنْ لَهَبِهَا كَالْقَصْرِ.
قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَالْمُحْصُونِ^(١). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ
وَقَتَادَةُ وَمَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَغَيْرِهِمْ: يَعْنِي أَصُولُ
الشَّجَرِ^(٢). ﴿كَأَنَّهُ جَنَّاتٌ صُفْرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ أَيْ: كَالْإِبِلِ السُّودِ.
قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ
جَرِيرٍ^(٣). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ:
﴿جَنَّاتٌ صُفْرٌ﴾ يَعْنِي: جِبَالُ الشُّفَنِ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ بِسُكْرِ كَالْقَصْرِ﴾
قَالَ: كُنَّا نَعْبُدُ إِلَى الْخَشْيَةِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ وَفَوْقَ ذَلِكَ فَزَعَمُوهُ
لِلْبِنَاءِ فَتَسَمَّيَ الْقَصْرَ ﴿كَأَنَّهُ جَنَّاتٌ صُفْرٌ﴾ جِبَالُ الشُّفَنِ
تُجْمَعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ^(٤) ﴿وَبِلْ يَوْمَيْدٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[عَجَزُ الْمُجْرِمِينَ عَنِ الْكَلَامِ وَتَقْدِيمُ الْعُذْرِ]

وَعَدَمُ الْإِقْدَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَظْقُونَ﴾ أَيْ لَا يَتَكَلَّمُونَ
﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أَيْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ وَلَا
يُؤْذَنُ لَهُمْ فِيهِ لِيَعْتَذِرُوا، بَلْ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَوَقَعَ
الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ، وَعَرَصَتْ الْقِيَامَةُ
حَالَاتٍ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُخْبِرُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ تَارَةً، وَعَنْ
هَذِهِ الْحَالَةِ تَارَةً، لِيَذِلَّ عَلَى شِدَّةِ الْأَهْوَالِ وَالزَّلَازِلِ
يَوْمَيْدٍ، وَلِهَذَا يَقُولُ بَعْدَ كُلِّ فَضْلِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ: ﴿وَبِلْ
يَوْمَيْدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ وَهَذِهِ مُحَاطَةٌ مِنَ الْخَالِقِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ
يَقُولُ لَهُمْ: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُ
جَمْعُهُمْ بِقُدْرَتِهِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفَذُهُمُ
الْبَصَرُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَيَكِيدُونَ﴾ تَهْدِيدٌ
شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدُ أَيْ: إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى أَنْ تَتَخَلَّصُوا مِنْ
قَضَاتِي وَتَنْجُوا مِنْ حُكْمِي فَافْعَلُوا، فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى
ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنَمَعَسَرَ إِلَيْنَا وَإِلَيْهِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْهَدُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِإِطْلَاقِنَا﴾ [الرحمن: ٣٣] وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَصْرُوهِنَّ شَيْئًا﴾
[هود: ٥٧]، وَفِي الْحَدِيثِ: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا
نَعْمِي فَتَنْفَعُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي»^(٥).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٣٨﴾ وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٣٨﴾ كَلُوا

(١) الطبري: ١٦٣/٢٤ (٢) الطبري: ١٣٨/٢٤ (٣) الطبري:

١٣٩/٢٤-١٤١ (٤) فتح الباري: ٥٥٦/٨ (٥) مسلم: ٤/

تفسير سورة النبأ وهي مكية

سورة النبأ

٥٨٢

الأنبياء

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٤﴾ قُلْ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقَنَّاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾
وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَنُتَوَّنُ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَنُفِثَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ
مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
إِلَّا أَحْمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَن نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ (٣) كَلَّا سِعَامُونَ (٤) قُلْ كَلَّا سِعَامُونَ (٥) أَلَمْ يَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقَنَّاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا (١٦)

[الرَّدُّ عَلَى إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لَوْفُوعِ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي تَسْأُلِهِمْ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ إِنْكَارًا لَوْفُوعِهَا ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿أَيُّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُونَ؟ عَنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ، يَعْنِي: الْخَبَرُ الْهَائِلُ الْمُفْطَعُ الْبَاهِرُ﴾ (٢) الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾ يَعْنِي: النَّاسُ فِيهِ عَلَى قَوْلَيْنِ مُؤْمِنٌ بِهِ وَكَافِرٌ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لِمُنْكَرِي الْقِيَامَةِ: ﴿كَلَّا سِعَامُونَ﴾ (٤) قُلْ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ.

[ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ كَالدَّلِيلِ عَلَى قُدْرَتِهِ]

عَلَى الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ]

ثُمَّ شَرَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَيِّنُ قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ وَالْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ وَغَيْرِهِ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٦) أَيُّ: مُمَهَّدَةً لِلْخَلَائِقِ ذُلُولًا لَهُمْ، قَارَةً سَاكِتَةً ثَابِتَةً ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧) أَيُّ: جَعَلَهَا لَهَا أَوْتَادًا أَرْسَاهَا بِهَا وَثَبَّتَهَا وَقَرَّرَهَا حَتَّى سَكَتَتْ وَلَمْ تَضْطَرْبِ بِمَنْ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَنَّاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٨) يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى يَتِمَّتُ كُلُّ مِنْهُمَا بِالْآخِرِ وَيَحْضُلُ التَّنَاسُلُ بِذَلِكَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (٩) أَيُّ: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ، لِتَحْضُلِ الرَّاحَةِ مِنْ كَثْرَةِ التَّرَدَادِ وَالسَّعْيِ فِي الْمَعَاشِ فِي عَرْضِ النَّهَارِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا﴾ (١٠) يَعْنِي النَّاسَ ظِلَامَهُ وَسَوَادَهُ كَمَا قَالَ: ﴿وَالْأَيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا [الشمس: ٤] وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا﴾ (١٠) أَيُّ: جَعَلْنَاهُ

مُشْرِقًا نِيرًا مُضِيئًا؛ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ وَالذَّهَابِ وَالْمَجْيِءِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١٢) يَعْنِي السَّمَوَاتِ السَّبْعَ فِي اتِّسَاعِهَا وَارْتِفَاعِهَا، وَإِحْكَامِهَا وَثِقَاتِهَا، وَتَرْبِيعِهَا بِالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (١٣) يَعْنِي الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ الَّتِي يَتَوَهَّجُ ضَوْوُهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (١٤) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ (١٥) أَيُّ: مِنَ السَّحَابِ (٢). وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ أَيْضًا وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَالثَّوْرِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ (٣). وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ السَّحَابُ الَّتِي تَحْتَلِبُ بِالْمَطَرِ وَلَمْ تُمَطِّرْ بَعْدُ، كَمَا يُقَالُ: امْرَأَةٌ مُعْصِرٌ إِذَا دَنَا

(١) الطبري: ١٥٢/٢٤ (٢) الطبري: ١٥٤/٢٤ (٣) الطبري:

١٥٣/٢٤، والبغوي: ٤٣٧/٤

وَرَوَى الْبَخَارِيُّ [فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا﴾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ». قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَنْبُتُ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَهُوَ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٩).

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أَيْ طُرُقًا وَمَسَالِكَ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرٌّ السَّحَابُ﴾ [النمل: ٨٨] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارة: ٥] وَقَالَ هُنَا: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أَيْ يُخَيَّلُ إِلَى النَّاطِرِ أَنَّهَا شَيْءٌ، وَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ وَبَعْدَ هَذَا تَذَهَبُ بِالْكُلِّيَّةِ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَتَلَوْنَهَا عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أَيْ: مُرْصَدَةً مُعَدَّةً لِلظَّالِمِينَ وَهُمْ الْمُرَدَّةُ الْعُصَاةُ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ ﴿مَتَابًا﴾ أَيْ مَرْجَعًا وَمُنْقَلِبًا وَمَصِيرًا وَنَزَلًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ أَيْ مَا كَثِيرِينَ فِيهَا أَحْقَابًا وَهِيَ جَمْعُ حُقْبٍ، وَهُوَ الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: هَذِهِ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ^(١٠). رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ سَالِمٍ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قَالَ: أَمَّا الْأَحْقَابُ فَلَيْسَ لَهَا عِدَّةٌ إِلَّا الْخُلُودُ فِي النَّارِ، وَلَكِنْ ذَكَرُوا أَنَّ الْحُقْبَ سَبْعُونَ سَنَةً، كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ^(١١). وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ وَهُوَ مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَكُلَّمَا مَضَى حُقْبٌ جَاءَ حُقْبٌ بَعْدَهُ.

حَضُّهَا وَلَمْ تَحْضُ^(١٢). وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ جَلَلِهِ﴾ [الروم: ٤٨] أَيْ: مِنْ بَيْنِهِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَاءً نَجْمًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: نَجَاجًا: مُنْصَبًا^(١٣). وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مُتَنَابِعًا^(١٤). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَثِيرًا^(١٥). وَفِي حَدِيثِ الْمُسْتَحَاضَةِ حِينَ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْعَتْ لَكَ الْكُرْسُفُ». يَعْنِي أَنَّ تَحَنُّنِي بِالْقَطْنِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا أَتُجَّ نَجًا^(١٦). وَهَذَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى اسْتِعْمَالِ النَّجِّ فِي الصَّبِّ الْمُتَنَابِعِ الْكَثِيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ وَجَعَلَتْ أَلْفَافًا أَيْ: لِنُخْرِجَ بِهَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ الْمُبَارَكِ ﴿حَبًّا﴾ يَدْخُرُ لِلْإِنْسَانِ وَالْأَنْعَامِ ﴿وَنَبَاتًا﴾ أَيْ: خُضْرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا ﴿وَجَعَلَتْ﴾ أَيْ: بَسَاتِينَ وَحَدَائِقَ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَالْوَلَوَانِ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ وَرَوَائِحٍ مُتَفَاوِئَةٍ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمِعًا. وَلِهَذَا قَالَ ﴿وَجَعَلَتْ أَلْفَافًا﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿أَلْفَافًا﴾ مُجْتَمِعَةً^(١٧). وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مُتَجَبَّرَةٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَرَزَّعَ وَخَيْلٍ صِنَانٍ وَغَيْرِ صِنَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَنُقُضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٨].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (١٧) يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلظَّالِمِينَ مَتَابًا (٢٢) لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرَدٍّ وَلَا سَرَابًا (٢٤) إِلَّا حِمِيمًا وَنَسْفًا (٢٥) جَزَاءً وَفَقَاءً (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

[تفسير يوم الفصل وتفصيل ما فيه]
يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ مُوَقَّتٌ بِأَجَلٍ مُعْدُودٍ لَا يُزَادُ عَلَيْهِ، وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ وَقْتَهُ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٤] ﴿يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨] قَالَ مُجَاهِدٌ: زُمَرًا زُمَرًا^(١٧). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي: تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ [الإنسان: ٧١]^(١٨)

(١) البغوي: ٤٣٧/٤ (٢) الطبري: ١٥٥/٢٤ (٣) الطبري: ١٥٥/٢٤ (٤) الطبري: ١٥٥/٢٤ (٥) أبو داود: ١٩٩/١ (٦) الطبري: ١٥٦/٢٤ (٧) الطبري: ١٥٨/٢٤ (٨) الطبري: ١٥٨/٢٤ (٩) فتح الباري: ٥٥٨/٨ (١٠) الطبري: ٢٤/١٦٣ (١١) الطبري: ١٦٢/٢٤

سُورَةُ النَّبَاِ

٥٨٣

الْمُتَّقِينَ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
 دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
 حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَن أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَن
 شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
 يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ لِلنَّاصِي كَيْتُ نَارًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُفًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا ﴿٣﴾
 فَالسَّيِّدَاتِ سَبَّحًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾
 تَتَّبِعُنَّهَا رِازِدَةٌ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا
 خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ إِنْ نَأْتِ لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ إِنْ دَاكُنَا
 عِظْمًا فَاخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
 وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَنتَ إِلَّا حَدِيثٌ مَوْسَىٰ ﴿١٥﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: مُتَنَزَّهَا ^(٦). وَقَالَ مُجَاهِدٌ
 وَقَتَادَةُ: فَارْزَوْا فَتَجَاوَزُوا مِنَ النَّارِ ^(٧). وَالْأَطْهَرُ هَهُنَا قَوْلُ ابْنِ
 عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿حَدَائِقَ﴾ وَالْحَدَائِقُ الْبَسَاتِينُ مِنَ
 التَّخِيلِ وَغَيْرِهَا ﴿وَأَعْنَابًا﴾ ^(٣٢) وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿أَيُّ: وَحُورًا
 كَوَاعِبَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: (كَوَاعِبَ)
 أَيُّ: نَوَاهِدٌ، يَعْنُونَ أَنَّ تُدْيِهِنَّ نَوَاهِدٌ لَمْ يَتَدَلَّيْنِ؛ لِأَنَّهُنَّ
 أَبْكَارٌ عُرُبٌ أَتْرَابٌ أَيُّ: فِي سِنٍّ وَاحِدٍ ^(٨). كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ
 فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأْسًا وَدِهَاقًا﴾ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: مَمْلُوءَةٌ مُتَتَابِعَةٌ ^(٩). وَقَالَ عِكْرِمَةُ: صَافِيَةٌ. وَقَالَ
 مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿دِهَاقًا﴾ أَلْمَلَأَى
 الْمُتَرَعَّةَ ^(١٠). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا﴾

[وَذُكِّرَ لَنَا أَنَّ الْمُحْتَبَ ثَمَانُونَ سَنَةً ^(١١)]. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ
 أَنَسٍ: ﴿لَيَتَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لَا يَعْلَمُ عِدَّةَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ إِلَّا
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَذُكِّرَ لَنَا أَنَّ الْمُحْتَبَ الْوَاحِدَ ثَمَانُونَ سَنَةً،
 وَالسَّنَةُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ يَوْمًا، وَكُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
 تَعْدُونَ. رَوَاهُمَا أَيْضًا ابْنُ جَرِيرٍ ^(١٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أَيُّ: لَا
 يَجِدُونَ فِي جَهَنَّمَ بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَعَدَّونَ بِهِ،
 وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ:
 اسْتَشْبَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمُ، وَمِنَ الشَّرَابِ الْغَسَّاقُ ^(١٣). وَكَذَا
 قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: فَأَمَّا الْحَمِيمُ فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدْ
 انْتَهَى حَرُّهُ وَحُمُوهُ، وَالْغَسَّاقُ هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ
 النَّارِ وَعَرَفِهِمْ وَدُمُوعِهِمْ وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ لَا يُسْتَطَاعُ
 مِنْ بَرْدِهِ وَلَا يُوَاجَهُ مِنْ تَنَبُّهِهِ - أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ
 وَكَرَمِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أَيُّ: هَذَا الَّذِي
 صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ وَفَقَ أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي
 كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ
 وَاحِدٍ ^(١٤). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾
 أَيُّ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ثَمَّ دَارًا يُجَازَوْنَ فِيهَا وَيُحَاسَبُونَ
 ﴿وَكَذَبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ أَيُّ وَكَانُوا يَكْذِبُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ
 وَدَلَالِهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ ﷺ، فَيَقَابِلُونَهَا
 بِالْكُذْبِ وَالْمُعَانَدَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿كِذَابًا﴾ أَيُّ تَكْذِيبًا، وَهُوَ
 مُصَدَّرٌ مِنْ غَيْرِ الْفِعْلِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
 كِتَابًا﴾ أَيُّ: وَقَدْ عَلِمْنَا أَعْمَالَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ وَكَتَبْنَاهَا
 عَلَيْهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا
 فَشَرٌّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أَيُّ:
 يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا
 مِنْ جَنْسِهِ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٌ. قَالَ قَتَادَةُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ
 الْأَزْدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَنْزَلْ عَلَى أَهْلِ
 النَّارِ آيَةٌ أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾
 قَالَ: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا ^(١٥).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
 دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
 حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

[الْفَوْزُ الْكَبِيرُ لِلْمُتَّقِينَ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ السَّعَادَةِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ تَعَالَى مِنَ
 الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾

(١) الطبري: ١٦٢/٢٤ (٢) الطبري: ١٦٢/٢٤ (٣) الطبري:

١٦٥/٢٤ (٤) الطبري: ١٦٧/٢٤ (٥) الطبري: ١٦٩/٢٤

(٦) الطبري: ١٧٠/٢٤ والبغوي: ٤٣٩/٤ (٧) الطبري: ٢٤/

١٦٩، ١٧٠ (٨) الطبري: ١٧٠/٢٤ والدر المنثور: ٣٩٨/٨

(٩) الطبري: ١٧٣/٢٤ (١٠) الطبري: ١٧٢/٢٤

[الْقِيَامَةُ قَرِيبَةً]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ بِعُنَى: يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَتَأْكُدُ وَقُوعِهِ صَارَ قَرِيبًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أَيُّ: يُعْرَضُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرُّهَا. قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَبْقَى الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْتَنِي كُتُّ ثُرَابًا أَيُّ: يَوَدُّ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا ثُرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خُلِقَ وَلَا خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ، وَذَلِكَ حِينَ عَايَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَنَظَرَ إِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ قَدْ شَطَرَتْ عَلَيْهِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ. وَقِيلَ: إِنَّمَا يَوَدُّ ذَلِكَ حِينَ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتَصِرُ لِلشَّاءِ الْجَمَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ، فَإِذَا فَرَعَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي ثُرَابًا، فَتَصِيرُ ثُرَابًا. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَلْتَنِي كُتُّ ثُرَابًا﴾ أَيُّ: كُنْتُ حَيَوَانًا فَأَرْجِعْ إِلَى الثَّرَابِ. وَقَدْ وَرَدَ مَعْنَى هَذَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ، وَوَرَدَ فِيهِ آثَارٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَغَيْرِهِمَا. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّبَأِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثْنُ. وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تفسير سورة النَّازِعَاتِ
وهي مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرَقًا﴾ (١) وَالنَّشِيطَاتُ تَشَاطَعًا (٢) وَالسَّيِّحَاتُ سَبَاحًا (٣) فَالسَّيِّحَاتُ سَبَاحًا (٤) فَالْمُدْرَبَاتُ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ (٦) تَتَّبِعُنَا الرَّادَفَةُ (٧) فُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) لَوْ كُنَّا عِظَمًا نَحِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّ خَابِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالنَّاهِرَةِ (١٤)

[الْقَسَمُ بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ عَلَى وَقُوعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمَسْرُوقٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ

كَقَوْلِهِ: ﴿لَا لَقَوْمٌ فِيهَا وَلَا تَائِبٌ﴾ [الطور: ٤٣] أَيُّ: لَيْسَ فِيهَا كَلَامٌ لَاغٍ عَارٍ عَنِ الْفَائِدَةِ وَلَا إِنَّمْ كَذِبٌ، بَلْ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا سَالِمٌ مِنَ النَّقْصِ. وَقَوْلُهُ: ﴿جَزَاءُ بَنِ زَيْكٍ عَطَاءُهُ جِسَابًا﴾ أَيُّ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ جَازَاهُمْ اللَّهُ بِهِ وَأَعْطَاهُمُوهُ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿عَطَاءُ جِسَابًا﴾ أَيُّ: كَافِيًا وَافِيًا شَامِلًا كَثِيرًا، تَقُولُ الْعَرَبُ: أَعْطَانِي فَأَحْسَنِي أَيُّ: كَفَانِي، وَمِثْلُهُ: "حَسْبِيَ اللَّهُ" أَيُّ: اللَّهُ كَافِيٌّ.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (١٥) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُوذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (١٦) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْخَقِيُّ فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَى رَيْبِهِ مَثَابًا (١٧) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْتَنِي كُتُّ ثُرَابًا (١٨)

[لَا يَجْتَرِءُ أَحَدٌ عَلَى التَّكَلُّمِ أَمَامَ اللَّهِ حَتَّى الْمَلَائِكَةِ إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمَلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاءِ مُخَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الْمُرَادُ بِالرُّوحِ هَهُنَا هُوَ جَبْرِيلُ. قَالَهُ الشَّعْبِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالصَّحَّاحُ (١). كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (٢) عَلَنَ قَلْبِكَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وَقَالَ مَقَاتِلُ بْنُ حَبَّانٍ: الرُّوحُ هُوَ أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّبِّ، عَزَّ وَجَلَّ وَصَاحِبُ الْوَحْيِ (٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُوذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥] وَكَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ» (٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أَيُّ: حَقًّا، وَمِنَ الْحَقِّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَمَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ وَعِكْرَمَةُ (٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْخَقِيُّ﴾ أَيُّ: الْكَائِنُ لَا مَحَالَةَ ﴿فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَى رَيْبِهِ مَثَابًا﴾ أَيُّ: مَرْجِعًا وَطَرِيقًا يَهْتَدِي إِلَيْهِ، وَمِنْهَا جَاءَ يَمُرُّ بِهِ عَلَيْهِ.

(١) الطبري: ١٧٦/٢٤ والقرطبي: ١٨٦/١٩ (٢) الدر المنثور:

٤٠٠/٨ (٣) فتح الباري: ٤٣٠/١٣ (٤) الطبري: ١٧٨/٢٤

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

٥٨٤

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَهْبِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
 فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَىٰ ﴿١٨﴾ وَاهْدِك إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
 آيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَسَ نَعْسَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
 فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَارِكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءُ بَنَسْهَا
 ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
 وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
 وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعِلُكَوَالِ أَعْيُنِكَ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ ﴿٣٤﴾
 الْكُبْرَىٰ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يَبْدُؤُا الْإِنْسَانَ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
 لِمَن بَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
 هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
 فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾
 فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَدَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ
 مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا لِالْعَيشَةِ أَوْضَحَهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

النَّاسُ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَهُوَ أَنَّ يَأْمُرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِسْرَافِيلَ فَيَنْفُخَ
 فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الْبَعْثِ، فَإِذَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ قِيَامٌ بَيْنَ
 يَدَيِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ
 يَدْعُوهُمْ فَسَجَّيْنُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُتُونَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا﴾
 [الاسراء: ٥٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَحْدَةً كُلِّج
 بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا
 كُلِّجَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قَالَ

- (١) الطبري: ١٨٥/٢٤ والقرطبي: ١٩٠/١٩ والدر المنثور: ٨/٨
 ٤٠٤ (٢) الطبري: ١٧٨/٢٤ (٣) الدر المنثور: ٨/٤٠٤ (٤)
 الطبري: ١٩٠/٢٤ والقرطبي: ١٩٣/١٩ (٥) القرطبي: ١٩
 ٩٣ والدر المنثور: ٨/٤٠٤ (٦) الطبري: ١٩٠/٢٤ القرطبي:
 ١٩٤/١٩ والدر المنثور: ٨/٤٠٣-٤٠٥ (٧) الطبري: ٢٤/٢٤
 ١٩١ (٨) الطبري: ١٩١/٢٤، ١٩٢ (٩) الطبري: ٢٤/١٩٢
 (١٠) الطبري: ١٩٣/٢٤ (١١) الطبري: ١٩٣/٢٤ والبغوي:
 ٤٤٣/٤ (١٢) الطبري: ١٩٥/٢٤ (١٣) الطبري: ١٩٥/٢٤
 (١٤) القرطبي: ١٩٨/١٩

وَأَبُو صَالِحٍ وَأَبُو الضُّحَى وَالسُّدِّيُّ وَالشَّعْبِيُّ غَرَّبَا: الْمَلَائِكَةُ،
 يَعْنُونَ حِينَ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ بَنِي آدَمَ ^(١). فَمِنْهُمْ مَّنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ
 بِعُسْرٍ فَيَغْرِقُ فِي نَزْعِهَا، وَمِنْهُمْ مَّنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ وَكَأَنَّمَا
 حَلَّتْهُ مِنْ يَسَاطِيطٍ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالنَّيْطِلَتِ نَشْطًا﴾: قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ ^(٢). وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيْحَتِ سَبْعًا﴾ فَقَالَ ابْنُ
 مَسْعُودٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ ^(٣). وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ
 ابْنِ جُبَيْرٍ وَأَبِي صَالِحٍ مِثْلَ ذَٰلِكَ ^(٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالسَّيْقَتِ سَبْعًا﴾ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَمَسْرُوقٍ
 وَمُجَاهِدٍ وَأَبِي صَالِحٍ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَعْني
 الْمَلَائِكَةُ ^(٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمَذْبُوتِ أَمْرًا﴾ قَالَ عَلِيٌّ
 وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ
 أَنَسٍ وَالسُّدِّيُّ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ ^(٦). زَادَ الْحَسَنُ: تُدْبِرُ الْأَمْرَ
 مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، يَعْني: بِأَمْرِ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ.

[صِفَةُ الْقِيَامَةِ وَصِفَةُ النَّاسِ وَأَقْوَالُهُمْ فِيهَا]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ تَنْبُعُهَا الرَّادِفَةُ قَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا التَّمَخَّنَانِ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةُ ^(٧). وَهَكَذَا قَالَ
 مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضُّحَّاكُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ ^(٨). وَعَنْ
 مُجَاهِدٍ: أَمَّا الْأَوَّلَى: وَهِيَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ
 الرَّاجِفَةُ﴾ فَكَفَّوْلُهُ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾
 [المزمّل: ١٤] وَالثَّانِيَةُ: وَهِيَ الرَّادِفَةُ فِيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَلَّتِ
 الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّتَا ذَكَّةً وَجِدَّةً﴾ ^(٩) [الحاقة: ١٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْبُ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
 يَعْني: خَائِفَةٌ ^(١٠). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ ^(١١). أَضْمَرُهَا
 خَشَعَةٌ أَيْ: أَضْطَارُّ أَصْحَابِهَا - وَإِنَّمَا أَضْيِفَتْ إِلَيْهَا
 لِلْمَلَائِكَةِ - أَيْ: ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ مِّمَّا عَائِنَتْ مِنَ الْأَهْوَالِ.
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْمَافِرَةِ﴾ يَعْني مُشْرِكِي
 قُرَيْشٍ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ. يَسْتَبْعِدُونَ وَقُوعَ
 الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَصِيرِ إِلَى الْحَافِرَةِ وَهِيَ الْقُبُورُ. قَالَ
 مُجَاهِدٌ ^(١٢). وَبَعْدَ تَمْزِقِ أَجْسَادِهِمْ وَتَفْتَتِ عِظَامِهِمْ
 وَنُحُورِهَا، وَلِهَٰذَا قَالُوا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً﴾ وَقُرِئَ:
 (نَاجِرَةً) وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: أَيْ: بِأَلِيَّةٍ ^(١٣).
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ الْعَظْمُ إِذَا بَلَى وَدَخَلَتِ الرِّيحُ فِيهِ،
 وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: ﴿يَاكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ:
 قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَيْتَ أَحْيَانَا اللَّهُ بَعْدَ أَنْ تَمُوتَ لِنَحْشُرَنَّ ^(١٤).
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ^(١٥) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ
 أَيْ: فَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا مَثْنِيَّةَ فِيهِ وَلَا تَأْكِيدَ، فَإِذَا

وَحَاصِلُهُ: أَنَّهُ كَثُرَ قَلْبُهُ فَلَمْ يَتَّعِلْ لِمُوسَى بِبَاطِنِهِ وَلَا بِظَاهِرِهِ، وَعَلِمَهُ بِأَن مَّا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ عِلْمُ الْقَلْبِ، وَالْإِيمَانُ عَمَلُهُ، وَهُوَ الْإِنْفِيقَادُ لِلْحَقِّ وَالْخُضُوعُ لَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ أَي فِي مُقَابَلَةِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ جَمْعُهُ السَّحَرَةُ لِيُقَابِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ أَي فِي قَوْمِهِ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا فِرْعَوْنُ بَعْدَ قَوْلِهِ ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] بِأَرْبَعِينَ سَنَةً^(٤). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَاخَذَهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أَي انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي الدُّنْيَا ﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ يَفْسُ الرِّقْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَكُونُ إِلَى الْكَافِرِ يَوْمَ الْفَيْصَةِ لَا يُبْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ أَي لِمَن يَتَعَطَّى وَيَتَزَجَّرُ.

﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ أَنَّمَا فَتَنَّاهُمْ﴾ رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوَّاهَا ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صَهْنَهَا﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿مِنَّا لَكُرٌّ وَلَاقْتِمِرٌ﴾ [القصص: ٣٣] [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَشَدُّ مِنْ إِعَادَةِ الْخَلْقِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُخْتَجًا عَلَى مُنْكَرِي الْبُعْثِ فِي إِعَادَةِ الْخَلْقِ بَعْدَ بَذْنِهِ: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ أَنَّمَا فَتَنَّاهُمْ﴾ يَعْنِي: بَلِ السَّمَاءُ أَشَدُّ خَلْقًا مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَنَاهَا﴾ فَسَرَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أَي: جَعَلَهَا عَالِيَةَ الْبِنَاءِ بَعِيدَةَ الْفَنَاءِ مُسْتَوِيَةَ الْأَرْجَاءِ مُكَلَّلَةً بِالْكَوَاكِبِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صَهْنَهَا﴾ أَي: جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا وَنَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا نَبْرًا وَاضِحًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَعْطَشَ لَيْلَهَا: أَظْلَمَهُ^(٥). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ

ابْنُ عَبَّاسٍ: السَّاهِرَةُ الْأَرْضُ كُلُّهَا^(٦). وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَفَتَادَةُ وَأَبُو صَالِحٍ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ: السَّاهِرَةُ وَجْهُ الْأَرْضِ^(٧). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا بِأَسْفَلِهَا فَأَخْرَجُوا إِلَى أَعْلَاهَا. قَالَ: وَالسَّاهِرَةُ: الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي^(٨).

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿وَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَبِّحُ الْجِبَالَ نَسْبًا﴾ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً [الكهف: ٤٧] وَبَرَزَتْ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا الْجِبَالُ وَهِيَ لَا تُعَدُّ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ يُعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ وَلَمْ يُهْرَقْ عَلَيْهَا دَمٌ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى﴾ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى﴾ ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَهُ﴾ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى﴾ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [الدُّعَا: ١٥] [ذِكْرُ قِصَّةِ مُوسَى وَأَنَّهَا عِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى]

يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ حَتَّى أَخَذَهُ اللَّهُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ، وَكَذَلِكَ عَاقِبَةُ مَنْ خَالَفَكَ وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى﴾ أَي: هَلْ سَمِعْتَ بِخَبَرِهِ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ أَي: كَلَّمَهُ نِدَاءً ﴿بِالْوَادِ الْقَدَسِ﴾ أَي: الْمَطَهَّرِ ﴿طُوًى﴾ وَهُوَ اسْمُ الْوَادِي عَلَى الصَّحِيحِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ طه، فَقَالَ لَهُ: ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤] أَي: تَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَهُ﴾ أَي: قُلْ لَهُ: هَلْ لَكَ أَن تُجِيبَ إِلَى طَرِيقَةٍ وَمَسَلِكٍ تَرْكَبُ بِهِ أَي: تُسَلِّمُ وَتُطِيعُ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَي: أَذِلُّكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ ﴿فَخَشِيَ﴾ أَي: فَصَيَّرَ قَلْبَكَ خَاضِعًا لَهُ مُطِيعًا خَاشِعًا بَعْدَمَا كَانَ قَاسِيًا خَبِيثًا بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي: فَاطَّهَّرَ لَهُ مُوسَى مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْحَقِّ حُجَّةً قَوِيَّةً وَذَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ أَي: فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ،

(١) الطبري: ١٩٨/٢٤ (٢) الطبري: ١٩٨/٢٤ (٣) الطبري:

١٩٨/٢٤ والدر المنثور: ٤٠٨/٨ (٤) القرطبي: ٢٠٢/١٩

(٥) الطبري: ٢٠٦/٢٤ (٦) الطبري: ٢٠٧/٢٤ والدر المنثور:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨٥

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَسَىٰ رَبُّنَا ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْنَىٰ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَبْرُكُ ﴿١﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَنُفِغَهُ الْذِكْرَ ۚ أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَىٰ ﴿٢﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٣﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبُكِي ۖ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٤﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٧﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿٨﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿٩﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٠﴾ قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١١﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٢﴾ مِنْ نَفْثَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٣﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿١٤﴾ ثُمَّ أَمَانَةً أَفْوَرَهُ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَشْرَهُ ﴿١٦﴾ كَلَّا لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرَهُ ﴿١٧﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿١٨﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿١٩﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٠﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢١﴾ وَعَبَا وَقَضَا ﴿٢٢﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٣﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٢٤﴾ وَفَكَهْهَ وَأَبًّا ﴿٢٥﴾ مَتَاعًا لَّكُمُ وَلَا تَعْمَلُونَ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاحَةُ ﴿٢٦﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٢٧﴾ وَأُمِيهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٨﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿٢٩﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٠﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٣١﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٣٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ ﴿٣٣﴾

بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا ﴿١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٢﴾ أَيُّ: مُقْلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٣﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤﴾ إِلَّا رَبُّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٥﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ مُنْذِرٍ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٦﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْهَا لَوْ يَلْبَسُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٧﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (٢): سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَطْمُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَاطِلٍ مُفْطِعٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَهْوَىٰ وَأَمْرٌ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٢﴾ أَيُّ: حِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ابْنُ آدَمَ جَمِيعَ عَمَلِهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَىٰ﴾ [البلد: ٢٣] ﴿وَيُزَيِّنُ الْجَحِيمَ لِمَنْ بَرَىٰ﴾ ﴿٣﴾ أَيُّ: أَظْهَرَتْ لِلنَّاطِرِينَ فَرَاهَا النَّاسُ عِيَانًا ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٥﴾ أَيُّ: تَمَرَّدَ وَعَتَا ﴿٦﴾ وَآثَرَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿٧﴾ أَيُّ: قَدَّمَهَا عَلَىٰ أَمْرِ دِينِهِ وَأَخْرَاهُ ﴿٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٩﴾ أَيُّ: فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَحِيمِ وَإِنْ مَطْعَمُهُ مِنَ الرُّقُومِ، وَمَشْرَبُهُ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١١﴾ أَيُّ: خَافَ الْقِيَامَ

وَجَمَاعَةً كَثِيرُونَ ﴿١٢﴾ وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿١٣﴾ أَيُّ: أَنْتَارَ نَهَارَهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ حِمِّ السَّجْدَةِ أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا دُحِيتَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِ وَاحِدٍ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْجِبَالُ أَسَافًا﴾ أَيُّ: قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا وَأَكَّدَهَا فِي أَمَاكِنِهَا وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، الرَّؤُوفُ بِخَلْقِهِ الرَّحِيمُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآتِيَكُمُ﴾ أَيُّ: دَحَا الْأَرْضَ فَأَتْبَعَ عَيْونَهَا، وَأَظْهَرَ مَكْنُونَهَا، وَأَجْرَى أَنْهَارَهَا، وَأَثْبَتَ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارَهَا وَبَنَاتَهَا. وَتَبَّتْ جِبَالُهَا لِتَسْتَوِيَ بِأَهْلِهَا وَيَقَرَّ قَرَارُهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لِحَلْفِهِ وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَتْعَامِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا وَيَرْكَبُونَهَا مَدَّةَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ، وَيَقْبُضِيَ الْأَجَلَ.

﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ ﴿٢٦﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٢٧﴾ وَيُزَيِّنُ الْجَحِيمَ لِمَنْ بَرَىٰ ﴿٢٨﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٢٩﴾ وَآثَرَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٤﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٣٥﴾ إِلَّا رَبُّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٣٧﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْهَا لَوْ يَلْبَسُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٣٨﴾

[يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ وَأَنَّ وَفَتْهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (٢). سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَطْمُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَاطِلٍ مُفْطِعٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَهْوَىٰ وَأَمْرٌ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٢﴾ أَيُّ: حِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ابْنُ آدَمَ جَمِيعَ عَمَلِهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَىٰ﴾ [البلد: ٢٣] ﴿وَيُزَيِّنُ الْجَحِيمَ لِمَنْ بَرَىٰ﴾ ﴿٣﴾ أَيُّ: أَظْهَرَتْ لِلنَّاطِرِينَ فَرَاهَا النَّاسُ عِيَانًا ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٥﴾ أَيُّ: تَمَرَّدَ وَعَتَا ﴿٦﴾ وَآثَرَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿٧﴾ أَيُّ: قَدَّمَهَا عَلَىٰ أَمْرِ دِينِهِ وَأَخْرَاهُ ﴿٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٩﴾ أَيُّ: فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَحِيمِ وَإِنْ مَطْعَمُهُ مِنَ الرُّقُومِ، وَمَشْرَبُهُ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١١﴾ أَيُّ: خَافَ الْقِيَامَ

(١) الطبري: ٢٠٨/٢٤ (٢) الطبري: ٢١١/٢٤ (٣) فتح

الباري: ١٤٠/١

خَشِيَ اللَّهَ وَخَافَ مَقَامَهُ وَوَعِيدَهُ اتَّبَعَكَ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ،
وَالْخَبِيئَةُ وَالْخَسَارُ عَلَى مَنْ كَذَبَكَ وَخَالَفَكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَا يُلْهَوْنَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ أَي: إِذَا قَامُوا مِنْ
قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَتَّى
كَانَتْهَا عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضُحًى مِنْ يَوْمٍ. وَقَالَ
جُوَيْرٍ عَنْ الصَّحَّاحِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَا
يُلْهَوْنَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ أَمَّا عَشِيَّةٌ فَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ
الشَّمْسِ ﴿أَوْ ضُحًى﴾ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ
النَّهَارِ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: وَقُتَّ الدُّنْيَا فِي أَغْنِ الْقَوْمِ حِينَ
عَايَنُوا الْآخِرَةَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّازِعَاتِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة عبس وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى^(١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى^(٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ يَذَّكَّرُ^(٣) أَوْ
يَذْكُرُ^(٤) فَتَنَعَمَ^(٥) الذِّكْرَى^(٦) أَمَّا مَنْ اسْتَقْبَلَ^(٧) فَاتَتْهُ لَمْ يَصْدَقْ^(٨) وَمَا
عَلَيْكَ إِلَّا يَذَّكَّرُ^(٩) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى^(١٠) وَهُوَ يَخْفَى^(١١) فَاتَتْهُ عَنْهُ
لَعْنَى^(١٢) كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرَةٌ^(١٣) لِمَنْ شَاءَ ذَكْرًا^(١٤) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ^(١٥)
مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ^(١٦) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ^(١٧) كِرَامٍ بَرَرَةٍ^(١٨)﴾

[عَتَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عُيُوسِهِ فِي وَجْهِ رَجُلٍ ضَعِيفٍ:
ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ]

ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ
يَوْمًا يَخَاطِبُ بَعْضَ عِظَمَاءِ قُرَيْشٍ وَقَدْ طَمِعَ فِي إِسْلَامِهِ،
فَبَيْنَمَا هُوَ يَخَاطِبُهُ وَيُنَاجِيهِ إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَ مِمَّنْ
أَسْلَمَ قَلِيمًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ وَيُلِحُّ
عَلَيْهِ، وَوَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ؛ لِيَتِمَّ مِنْ
مُخَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ. وَعَبَسَ فِي
وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى^(١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى^(٢) وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ يَذَّكَّرُ^(٣) أَي: يَحْضُلُ لَهُ زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ فِي نَفْسِهِ ﴿أَوْ يَذْكُرُ^(٤)
فَتَنَعَمَ^(٥) الذِّكْرَى^(٦) أَي: يَحْضُلُ لَهُ اتِّعَاطٌ [وَأَنْزَجَارًا] عَنِ
الْمَحَارِمِ ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَقْبَلَ^(٧) فَاتَتْهُ لَمْ يَصْدَقْ^(٨) أَي: أَمَّا الْغَنِيُّ
فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي ﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَذَّكَّرُ^(٩) أَي: مَا
أَنْتَ بِمُطَالِبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَحْضُلْ لَهُ زَكَاةٌ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ

يَسْعَى^(١٠) وَهُوَ يَخْفَى^(١١) أَي: يَفْضِدُكَ وَيُؤْمُكَ؛ لِيَهْتَدِي بِمَا
تَقُولُ لَهُ ﴿فَاتَتْ عَنْهُ لَعْنَى^(١٢) أَي: تَتَشَاغَلُ، وَمِنْ هُنَا أَمَرَ اللَّهُ
تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ لَا يَخْصُصَ بِالْإِنْذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَاوِي
فِيهِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالسَّادَةِ
وَالْعَبِيدِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصَّغَارِ وَالْكِبَارِ، ثُمَّ اللَّهُ
تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ
الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ.

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى وَابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى^(١) فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، أَتَى إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ أُرْشِدْنِي، قَالَتْ: وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَتْ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ
يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ
بِأَسَاسًا؟». فَيَقُولُ: لَا، فَبَيَّنَ هَذَا أُنْزِلَتْ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى^(١)﴾
وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ
عَائِشَةَ^(٣).

(قُلْتُ): كَذَلِكَ هُوَ فِي الْمَوْطِئِ^(٤).

[أَوْصَافُ الْقُرْآنِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرَةٌ^(١) أَي: هَذِهِ السُّورَةُ أَوْ
الْوَصِيَّةُ بِالسَّوَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِبْلَاحِ الْعِلْمِ بَيْنَ شَرِيفِهِمْ
وَوَضِيعِهِمْ وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسَّيِّدِيُّ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرَةٌ^(١) يَعْنِي
الْقُرْآنَ ﴿مَنْ شَاءَ ذَكْرًا^(٢) أَي: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي
جَمِيعِ أُمُورِهِ وَيَحْتَمِلُ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى الْوَحْيِ لِذِلَالَةِ
الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ^(٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ^(٤) أَي
هَذِهِ السُّورَةُ أَوْ الْعِطَّةُ وَكِلَاهُمَا مُتَلَاوِمٌ، بَلْ جَمِيعُ الْقُرْآنِ
فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ أَيِ مُعَظَّمَةٍ مُوقَرَةٍ ﴿مَرْفُوعَةٍ^(٥) أَيِ غَالِيَةٍ
الْقَدْرِ ﴿مُطَهَّرَةٍ^(٦) أَيِ مِنَ الدَّنَسِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ. وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ^(٧) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالصَّحَّاحُ
وَابْنُ زَيْدٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ^(٨).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: ﴿سَفَرَةٍ^(٩): الْمَلَائِكَةُ، سَفَرَتْ أَصْلَحَتْ
بَيْنَهُمْ وَجَعَلَتْ الْمَلَائِكَةُ إِذَا نَزَلَتْ بَوْحِي اللَّهِ تَعَالَى وَتَأْدِيبِيهِ
كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ^(١٠). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِرَامٍ

(١) الدر المنثور: ٤١٣/٨ (٢) الطبري: ٢٤/٢١٧ (٣) تحفة
الأحوذى: ٢٥٠/٩ (٤) الموطأ: ٢٠٣/١ (٥) الطبري: ٢٤/٢٤
٢٢١ والدر المنثور: ٤١٨/٨ (٦) فتح الباري: ٥٦١/٨

وَمِنْهُ يُقَالُ: الْبُعْثُ وَالنُّشُورُ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْشَرَكُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُوكُمْ﴾ [الروم: ٢٠] (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ثُمَّ نَخْشُوهَا لَحْمًا) [البقرة: ٢٥٩] فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى إِلَّا عَجَبَ الدَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يَرْكَبُ»^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُوا﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ مِنْ أَنَّهُ قَدْ آدَى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ﴿لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُوا﴾ يَقُولُ: لَمْ يُؤَدِّ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ لِزَبْنِهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٩).

وَالَّذِي يَقَعُ لِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ الْمَعْنَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُوا﴾ أَيْ بَعَثَهُ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُوا﴾ أَيْ: لَا يَفْعَلُهُ الْآنَ، حَتَّى تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ وَيَفْرُغَ الْقَدَرُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ سَيُوجَدُ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجَ إِلَى الدُّنْيَا، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ تَعَالَى كَوْنًا وَقَدَرًا، فَإِذَا تَنَاهَى ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْشَرَهُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَأَعَادَهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ.

[إِبْنَاتُ الْحَبِّ وَغَيْرِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ فِيهِ امْتِنَانٌ وَفِيهِ اسْتِذْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ مَا كَانَتْ عِظَامًا بَالِيَةً وَتُرَابًا مُتَمَرِّقًا ﴿أَنَا صَبَّأُ اللَّهَ صَبًّا﴾ أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا﴾ أَيْ: أَشْكَنَاهُ فِيهَا، فَدَخَلَ فِي تَحْوِمِهَا وَتَحَلَّلَ فِي أَجْزَاءِ الْحَبِّ الْمُوَدَّعِ فِيهَا، فَنبَتَ وَازْتَفَعَ وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ﴿فَالْبُنَا فِيهَا جَبًّا﴾ وَغَنَّا وَقَضَّيَا ﴿فَالْحَبُّ كُلُّ مَا يُذَكَّرُ مِنَ الْحُبُوبِ، وَالْعِنَبُ مَعْرُوفٌ، وَالْقَضْبُ هُوَ الْفُضْفُضَةُ الَّتِي تَأْكُلُهَا الدَّوَابُّ رَطْبَةً، وَيُقَالُ لَهَا: الْقَتُّ أَيْضًا. قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَفَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ^(١٠). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الْقَضْبُ: الْعَلْفُ.

(١) أحمد: ٤٨/٦ (٢) فتح الباري: ٥٦٠/٨ ومسلم: ٥٤٩/١ وأبو داود: ١٤٨/٢ وتحفة الأحوذى ٢١٥/٨ والنسائي في الكبرى: ٥٠٦/٦ وابن ماجه: ١٢٤٢/٢ (٣) القرطبي: ١/٩ ٢١٧ الضحاك لم يسمع من ابن عباس (٤) البغوي: ٤٤٨/٤ (٥) الطبري: ٢٢٣/٢٤ العوفي ضعيف (٦) الدر المنثور: ٨/٤١٩ ٢٢٣، ٢٢٤ (٧) الطبري: ٢٢٤/٢٤ (٨) فتح الباري: ٤١٤/٨ ومسلم: ٢٢٧٠/٤ (٩) الطبري: ٢٢٥/٢٤ (١٠) الطبري: ٢٢٦/٢٤

بَرَرَةٍ أَيْ: خَلَقَهُمْ كَرِيمَ حَسَنٍ شَرِيفٍ وَأَخْلَقَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ بَارَةً طَاهِرَةً كَامِلَةً، وَمِنْ هُنَا يَبْغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ وَالرَّشَادِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ^(٢).

﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ (٧) مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ (٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَ (١٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ (١١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (١٢) كَلَّا لَمَّا يَقُضْ مَا أَمَرُوا (١٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (١٤) أَنَا صَبَّأُ اللَّهَ صَبًّا (١٥) ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا (١٦) فَالْبُنَا فِيهَا جَبًّا (١٧) وَغَنَّا وَقَضَّيَا (١٨) وَزَيَّنَّا وَلَخَلَّا (١٩) وَحَلَّابُونَ عَلَاءَ (٢٠) وَفَكَهْهَ وَأَبَا (٢١) مَلَكًا لَكْرًا وَلَاسْتَمِعَكُمُ (٢٢)

[الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ]

يَقُولُ تَعَالَى ذَا مَا لِمَنْ أَنْكَرَ الْبُعْثَ وَالنُّشُورَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ﴾ لِمَنْ الْإِنْسَانُ^(٣). وَكَذَا قَالَ أَبُو مَالِكٍ: وَهَذَا لِجِنْسِ الْإِنْسَانِ الْمَكْذُوبَ لِكثْرَةِ تَكْذِيبِهِ بِلَا مُسْتَنَدٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْإِسْتِغْنَادِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ أَيْ: مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ. وَقَالَ فَتَادَةُ: ﴿مَا أَكْفَرُ﴾: مَا أَلْعَنَهُ^(٤). ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى لَهُ كَيْفَ خَلَقَهُ مِنَ الشَّيْءِ الْحَقِيرِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، كَمَا بَدَأَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (٩) أَيْ: قَدَّرَ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَعَمَلَهُ وَسَقِيَّ أَوْ سَعِيدَ (١٠) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَ (١١) قَالَ الْعُوفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ^(٥). وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ وَأَبُو صَالِحٍ وَفَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٦). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] أَيْ بَيَّنَّاهُ لَهُ وَأَوْضَحْنَاهُ وَسَهَّلْنَاهُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ^(٧). وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أَيْ: أَنَّهُ بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُ أَمَانَةٌ فَأَقْبَرَهُ أَيْ: جَعَلَهُ ذَا قَبْرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَبِرْتُ الرَّجُلَ إِذَا وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَأَقْبَرَهُ اللَّهُ. وَعَصَبْتُ قَرْنَ الثَّوْرِ وَأَعْصَبَهُ اللَّهُ. وَتَبَرَّتْ ذَنْبُ الْبُعِيرِ وَأَبْتَرَهُ اللَّهُ. وَطَرَدْتُ عَنِّي فَلَانًا وَأَطْرَدَهُ اللَّهُ، أَيْ: جَعَلَهُ طَرِيدًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أَيْ: بَعَثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ

الصَّحِيحُ فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ أَنَّهُ إِذَا طُلِبَ إِلَى كُلِّ مِنْ أُولَى الْعَرْمِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْخَلَائِقِ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، حَتَّى إِنْ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدْتَنِي^(١). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُغَرِّقُ الْمَرْءُ مِنْ آخِيهِ^(٢) وَأُخُوهُ وَأَبِيهِ^(٣) وَصَنِيْعِهِ وَبَنِيهِ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: الْأَحَبُّ فَلَا أَحَبَّ، وَالْأَقْرَبُ فَلَا أَقْرَبَ مِنْ هَؤُلَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أَيُّ: هُوَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ غَيْرِهِ. رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ مُشَاةَ غُرُلَا» قَالَ: فَقَالَتْ زَوْجَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَنْظُرُ - أَوْ يَرَى - بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قَالَ: «لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» - أَوْ قَالَ: - مَا أَشْغَلَهُ عَنِ النَّظَرِ^(٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلَا». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: أَيُّبَصِرُ - أَوْ: يَرَى - بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قَالَ: «يَا فُلَانَةُ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ». ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٥).

[وُجُوهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ^(٦) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ أَيُّ: يَكُونُ النَّاسُ هُنَالِكَ قَرِيقَيْنِ وَجُوهُ مُسْفَرَةٌ أَيُّ: مَسْرُورَةٌ فَرِحَتْ مِنَ الشُّرُورِ فِي قُلُوبِهِمْ، قَدْ ظَهَرَ الْبُشْرُ عَلَى وَجُوهِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ^(٧) تَرْفَعُهَا قَدَرَةٌ﴾ أَيُّ: يَعْلُوهَا وَيَغْشَاهَا قَدَرَةٌ أَيُّ: سَوَادٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿تَرْفَعُهَا قَدَرَةٌ﴾ أَيُّ: يَغْشَاهَا سَوَادُ الْوُجُوهِ^(٨). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أَيُّ: الْكَافِرَةُ قُلُوبُهُمْ، الْفَجَرَةُ فِي أَعْمَالِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ إِلَّا فَالَجًا كَفَارًا﴾.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ عَبَسَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

﴿وَرَبُّنَا﴾ وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَدَمٌ وَعَصِيْرُهُ أَدَمٌ وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ وَيَذْهَبُ بِهِ ﴿وَنَحْلًا﴾ يُؤْكَلُ بَلَحًا وَيُسْرًا وَرَطْبًا وَتَمْرًا وَيَبْتًا وَمَطْبُوحًا وَيُعَصَّرُ مِنْهُ رَبُّ وَخَلٌّ ﴿وَحَدَائِقَ غُلَابًا﴾ أَيُّ: بَسَاتِينَ. قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ﴿غُلَابًا﴾: نَخْلٌ غِلَاطٌ كِرَامٌ^(٩). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: كُلُّ مَا التَّفَّ وَاجْتَمَعَ^(١٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَكَهْمُهُ وَأَبَا﴾ أَمَّا الْفَاكِهَةُ فَكُلُّ مَا يُتَفَكَّهُ بِهِ مِنَ الثَّمَارِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْفَاكِهَةُ كُلُّ مَا أُكِلَ رَطْبًا. وَالْأَبُ: مَا أَنْتَبَتْ الْأَرْضُ مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ^(١١). وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْحَشِيشُ لِلْبَهَائِمِ^(١٢).

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَكَهْمُهُ وَأَبَا﴾ فَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تَطْلُنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تَقْلُنِي إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ^(١٣). فَأَمَّا مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿عَسَ وَنَوَّ﴾ فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَفَكَهْمُهُ وَأَبَا﴾ قَالَ: قَدْ عَرَفْنَا الْفَاكِهَةَ فَمَا الْأَبُ؟ فَقَالَ: لَعَمْرُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنْ هَذَا لَهُوَ التَّكْلُفُ^(١٤). فَهُوَ إِسْتَادٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ أَنَسٍ بِهِ، وَهَذَا مُحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ شَكْلَهُ وَجَنْسَهُ وَعَيْنَهُ وَالْأَفْهَوُ وَكُلُّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبَابًا^(١٥) وَعَبَا^(١٦) وَفَضًّا^(١٧) وَزَيْتُونًا وَنَحْلًا^(١٨) وَحَدَائِقَ غُلَابًا^(١٩) وَفَكَهْمُهُ وَأَبَا﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ أَيُّ: عَيْشَةٌ لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ^(٢٠) يَوْمَ يُغَرِّقُ الْمَرْءُ مِنْ آخِيهِ^(٢١) وَأُخُوهُ وَأَبِيهِ^(٢٢) وَصَنِيْعِهِ وَبَنِيهِ^(٢٣) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ^(٢٤) وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ^(٢٥) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ^(٢٦) وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ^(٢٧) تَرْفَعُهَا قَدَرَةٌ^(٢٨) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ^(٢٩)﴾

[يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفَرَأَ النَّاسِ فِيهَا مِنْ أَقَارِبِهِمْ]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الصَّلَاةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَظَّمَهُ اللَّهُ وَحَذَرَهُ عِبَادُهُ^(٣٠). قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَعَلَّهُ اسْمٌ لِلنَّفْحَةِ فِي الصُّورِ^(٣١). وَقَالَ الْبَغَوِيُّ: الصَّلَاةُ يُعْنِي صِيْحَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ أَيُّ تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَادُ تَضْمُنُهَا^(٣٢). ﴿يَوْمَ يُغَرِّقُ الْمَرْءُ مِنْ آخِيهِ^(٣٣) وَأُخُوهُ وَأَبِيهِ^(٣٤) وَصَنِيْعِهِ وَبَنِيهِ﴾ أَيُّ: يَرَاهُمْ وَيَفَرُّ مِنْهُمْ وَيَبْتَغِدُ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْهَوَلَ عَظِيمٌ وَالْخَطْبُ جَلِيلٌ. وَفِي الْحَدِيثِ

(١) الطبري: ٤٢١/٢٢٨، ٢٤ (٢) الطبري: ٢٢٧/٢٤ (٣)

الطبري: ٢٣٠/٢٤، ٢٣١ (٤) الدر المنثور: ٤٢١/٨ (٥)

البغوي: ٤٤٩/٤ مرسل (٦) الطبري: ٢٢٩/٢٤ (٧) الطبري:

٢٣٢/٢٤ (٨) الطبري: ٢٣١/٢٤ (٩) الطبري: ٤٤٩/٢٤

(١٠) مسلم: ١٨٢/١ (١١) الحاكم: ٢٥١/٢ (١٢) تحفة

الأحودي: ٢٥١/٩ (١٣) الدر المنثور: ٤٢٤/٨

تفسير سورة التَّكْوِير
وهي مكية

[مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ وَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾». ^(١) وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ (١٣) فَلَا أَقِيمُ بِالْخَيْسِ (١٤) الْجَوَارِ الْكُنْزِ (١٥) وَالْأَيْلُ إِذَا عَسَسَ (١٦) وَالصَّيْحُ إِذَا انْفَسَ (١٧) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٨) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (١٩) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢٠) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢١) وَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (٢٢) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٣) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٤) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٥) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٧) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٨)

[مَا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ تَكْوِيرُ الشَّمْسِ]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يَعْنِي: أَظْلَمَتْ ^(٣). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْهُ: ذَهَبَتْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَهَبَ ضَوْوُهَا ^(٤). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾ غُورَتْ ^(٥). وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾ أُلْفِيَتْ، وَالتَّكْوِيرُ جَمْعُ الشَّيْءِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُ تَكْوِيرُ الْعِمَامَةِ وَجَمْعُ الثَّيَابِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جَمْعُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرْمِي بِهَا، وَإِذَا فَعِلَ بِهَا ذَلِكَ ذَهَبَ ضَوْوُهَا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٦). انفردَ بِهِ الْبُخَارِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ.

[انْكَدَارُ النُّجُومِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أَي: انْتَثَرَتْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ وَأَصْلُ الْانْكَدَارِ: الْانْصِبَابُ. قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي إِبْنِ كَعْبٍ قَالَ: سَبَّ آيَاتِ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَيْنَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ إِذْ ذَهَبَ ضَوْؤُ الشَّمْسِ فَيَبْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ تَنَازَرَتْ النُّجُومُ، فَيَبْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَاخْتَلَطَتْ، فَفَزَعَتِ الْجِنَّ إِلَى الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنَّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ (١٣) فَلَا أَقِيمُ بِالْخَيْسِ (١٤) الْجَوَارِ الْكُنْزِ (١٥) وَالْأَيْلُ إِذَا عَسَسَ (١٦) وَالصَّيْحُ إِذَا انْفَسَ (١٧) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٨) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (١٩) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢٠) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢١) وَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (٢٢) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٣) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٤) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٥) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٧) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٨)

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

وَالْوُحُوشُ، فَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قَالَ: اخْتَلَطَتْ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَالَ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قَالَ: قَالَتِ الْجِنُّ نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالْخَبَرِ، قَالَ: فَانْظَلُّوا إِلَى الْبَحْرِ فَإِذَا هُوَ نَارٌ تَتَّجَجُ، قَالَ: فَيَبْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ صَدْعَةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَرْضِ السَّابِغَةِ السُّفْلَى وَإِلَى السَّمَاءِ السَّابِغَةِ الْعُلْيَا، قَالَ: فَيَبْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرِّيحُ فَأَمَاتَتْهُمْ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٧). وَهَذَا لَفْظُهُ.

[تَسْيِيرُ الْجِبَالِ، وَتَعْطِيلُ الْعِشَارِ وَحَشْرُ الْوُحُوشِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أَي: زَالَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَنُسِفَتْ فَتَرَكَتِ الْأَرْضُ قَاعًا صَفْصَفًا وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ: عِشَارُ

(١) أحمد: ٢٧/٢ (٢) تحفة الأحوزي: ٢٥٢/٩ (٣) الطبري: ٢٣٧/٢٤ (٤) الطبري: ٢٣٨/٢٤ ضعيف (٥) الطبري: ٢٣٨/٢٤ (٦) فتح الباري: ٣٤٣/٦ (٧) الطبري: ٢٣٧/٢٤

الإبل^(١). قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿عُطِلَتْ﴾ تَرَكْتُ وَسَيِّتٌ^(٢). وَقَالَ أَبُو بَنٍ كَعْبٍ وَالضَّحَّاكُ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا^(٣). وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: لَمْ تُحْلَبْ، وَلَمْ تُصَرَّ تَحْلَى مِنْهَا أَرْبَابُهَا^(٤). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تَرَكْتُ لَا رَاعِي لَهَا^(٥). وَالْمَعْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ مُتَقَارِبٌ. وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْعِشَارَ مِنَ الْإِبِلِ وَهِيَ خَيْرُهَا، وَالْحَوَامِلُ مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلَتْ فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ - وَاجْتَدَتْهَا عَشْرَاءٌ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعُ - قَدْ اشْتَغَلَ النَّاسُ عَنْهَا وَعَنْ كِفَالَتِهَا وَالْإِنْتِفَاعِ بِهَا بَعْدَ مَا كَانُوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا بِمَا دَهَمَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الْمُفْطَعِ الْهَائِلِ، وَهُوَ أَمْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَانْعِقَادِ أَشْبَابِهَا وَوُفُوعِ مُقَدَّمَاتِهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أَيُّ جُمِعَتْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُنْمِئَتْ أَتَمَّ أَتَمَّاكُمْ مَا قَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلِك رِبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُخْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذَّبَابُ. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٦). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالطَّيْرُ تَحْشُرُ﴾ أَيُّ مَجْمُوعَةٌ.

[تَسْجِيرُ الْبَحَارِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ رِضِيِّ اللَّهِ عَنْهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ: أَيْنَ جَهَنَّمُ؟ قَالَ: الْبَحْرُ. فَقَالَ: مَا أَرَاهُ إِلَّا صَادِقًا، ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾ [الطور: ٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٧)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾.

[تَرْوِيجُ النَّفُوسِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أَيُّ: جُمِعَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَى تَطْيِيرِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفافات: ٢٢] وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قَالَ: الضَّرَبَاءُ: كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ⑦ فَأَصْحَبُ الثَّيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الثَّيْمَنَةِ ⑧ وَأَصْحَبُ الشَّقَةِ مَا أَصْحَبُ الشَّقَةِ ⑨ وَالْكَاسِبُونَ الْكَاسِبُونَ [الواقعة: ٧-١٠] - قَالَ -: هُمُ الضَّرَبَاءُ^(٨).

[سُؤَالُ الْمَوْءُودَةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ ⑩ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

هَكَذَا قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ ﴿سُئِلَتْ﴾. وَالْمَوْءُودَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَابِ؛ كَرَاهِيَةِ النَّبَاتِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُسْأَلُ الْمَوْءُودَةُ عَلَى أَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِقَاتِلِهَا، فَإِنَّهُ إِذَا سُئِلَ الْمَظْلُومُ فَمَا ظَنُّ الظَّالِمِ إِذَا؟ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ أَيُّ: سَأَلَتْ. وَكَذَا قَالَ أَبُو الضَّحَى: (سَأَلَتْ) أَيُّ: طَالَبَتْ بِدَمِهَا^(٩). وَعَنِ الشَّدِيدِ وَقَتَادَةَ مِثْلُهُ.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْءُودَةِ، فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ [جُدَامَةَ] بِنْتِ وَهْبٍ أُخْتُ عُكَّاشَةَ قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيَلَةِ فَتَطَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، وَلَا يَصُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ سَيِّئًا». ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ، وَهُوَ الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ»^(١٠). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(١١).

[كَفَّارَةُ وَأَدِ النَّبَاتِ]

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ قَالَ: جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَأَدْتُ بَنَاتٍ لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ: «أَعْتِقِي عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي صَاحِبٌ إِبِلٍ قَالَ: «فَانْحَرِي عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً»^(١٢).

[نَشْرُ الصَّحْفِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الصَّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَتَهُ بِسْمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: يَا ابْنَ آدَمَ، تُمْلِي فِيهَا ثُمَّ تُطْوَى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ رَجُلٌ مَاذَا يُمْلِي فِي صَحِيفَتِهِ^(١٣).

(١) الطبري: ٢٤٠/٢٤ (٢) الطبري: ٢٤٠/٢٤ (٣) الطبري: ٢٤٠/٢٤

(٤) الطبري: ٢٤٠/٢٤ (٥) الطبري: ٢٤٠/٢٤ (٦) القرطبي: ٢٢٩/١٩ (٧) الطبري: ٢٤٢/٢٤ (٨) الطبري: ٢٤٠/٢٤

(٩) الطبري: ٢٤٠/٢٤ (١٠) أحمد: ٤٣٤/٦ (١١) مسلم: ١٠٦٦/٢، ١٠٦٧

(١٢) ابن ماجه: ٦٤٨/١ وأبو داود: ٢١١/٣ وتحفة الأحوذى: ٢٤٩/٦ والنسائي في الكبرى: ١٠٦/٦ (١٣) عبد

الرزاق: ٣٥١/٣ (١٣) الطبري: ٢٤٩/٢٤

وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ إِذَا أَقْبَلَ وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْإِذْبَارِ أَيْضًا، لَكِنَّ الْإِقْبَالَ هُهْنَا أَنْسَبُ، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ وَظَلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِالْفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾ [الليل: ٢٠، ٢١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالصُّحُورِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَجَلَّى ۝﴾ [الضحى: ٢٠، ٢١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَمَلَ اللَّيْلِ سَكَنًا ۝﴾ [الأنعام: ٩٦] وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ: إِنَّ لَفْظَةَ عَسَسَ تُسْتَعْمَلُ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِذْبَارِ عَلَى وَجْهِ الْإِشْرَافِ، فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ كُلُّ مِنْهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالصُّحُورِ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: إِذَا طَلَعَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا أَضَاءَ وَأَقْبَلَ^(٩).

[الْقُرْآنُ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ وَلَيْسَ مِنْ نَتِيجَةِ الْجُنُونِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يَعْنِي: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَتَبْلِغُ رَسُولٍ كَرِيمٍ أَيُّ: مَلَكٍ شَرِيفٍ حَسَنِ الْخَلْقِ بَهِي الْمَنْظَرِ وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالشَّعْبِيُّ وَمِمْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ ابْنُ أَنَسٍ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ^(١٠). ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦٠، ٦١] أَيُّ: شَدِيدُ الْخَلْقِ شَدِيدُ الْبُطْشِ وَالْفِعْلِ ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أَيُّ: لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ ﴿مُطَاعٌ ۝﴾ أَيُّ: لَهُ وَجَاهَةٌ وَهُوَ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ، مُطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى قَالَ قَتَادَةُ: ﴿مُطَاعٌ ۝﴾ أَيُّ: فِي السَّمَوَاتِ يَعْنِي: لَيْسَ هُوَ مِنْ [أَفْنَاءِ]^(*) الْمَلَائِكَةِ، بَلْ هُوَ مِنَ السَّادَةِ وَالْأَشْرَافِ مُعْتَنَى بِهِ ائْتَجِبَ لِهَذِهِ الرَّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمِينٍ﴾ صِفَةٌ لِجِبْرِيلَ بِالْأَمَانَةِ، وَهَذَا عَظِيمٌ جِدًّا أَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يُرَكِّي عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ جِبْرِيلَ، كَمَا زَكَّى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْبَشَرِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِجُنُونٍ﴾ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَمِمْمُونُ بْنُ

[كَشَطُ السَّمَاءِ وَتَسْعِيرُ الْحَجِيمِ وَتَقْرِيبُ الْجَنَّةِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: اجْتَذِبَتْ^(١). وَقَالَ السُّدِّيُّ: كُشِفَتْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُفِرَتْ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ: أُحْمِيَتْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِلَتْ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ وَأَبُو مَالِكٍ وَقَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: أَيُّ قُرِبَتْ إِلَى أَهْلِهَا.

[كُلُّ أَحَدٍ يَلْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا أَخْضَرَهُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَمِلَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هَذَا هُوَ الْجَوَابُ أَيُّ: إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ حِينَئِذٍ تَلْعَلُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَأَخْضَرَتْ ذَلِكَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُتَعَسِّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنُو الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ ۝﴾ الْجَوَارِ الْكُتْسِ^(١١) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ^(١٢) وَالصُّحُورِ إِذَا تَجَلَّى^(١٣) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ^(١٤) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ^(١٥) مُطَاعٌ^(١٦) ثُمَّ أَمِينٍ^(١٧) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِجُنُونٍ^(١٨) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئُقِ الْمُدِينِ^(١٩) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ^(٢٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(٢١) فَإِنَّ نَظَاهُونَ^(٢٢) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ^(٢٣) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ^(٢٤) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٢٥)

[تَفْسِيرُ الْخُسِّ وَالْكُتْسِ]

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ عُمَرُو بْنِ حَرْثٍ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ أَلْصَبَحَ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ ۝﴾ الْجَوَارِ الْكُتْسِ^(١١) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ^(١٢) وَالصُّحُورِ إِذَا تَجَلَّى^(١٣). وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ [خَالِدِ] ابْنِ عَرَفَةَ، سَمِعْتُ عَلِيًّا وَسُئِلَ عَنْ ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ ۝﴾ الْجَوَارِ الْكُتْسِ فَقَالَ: هِيَ النُّجُومُ تَخْسُنُ بِالنَّهَارِ وَتَكْسُنُ بِاللَّيْلِ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِقْبَالُهُ بِظُلَامِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَظْلَمَ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا نَشَأَ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِذَا غَشِيَ النَّاسَ^(٤). وَكَذَا قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ^(٥). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَالْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا عَسَسَ﴾: إِذَا أَذْبَرَ^(٦). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ^(٧). وَكَذَا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَإِبْنَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ﴿إِذَا عَسَسَ﴾ أَيُّ إِذَا ذَهَبَ فَنَوَلَى^(٨).

(١) الطبري: ٢٤٩/٢٤ (٢) مسلم: ٣٣٦/١ والنسائي في الكبرى: ٥٠٧/٦ (٣) الطبري: ٢٥١/٢٤ (٤) الطبري: ٢٤/٢٥٦ (٥) الطبري: ٢٥٦/٢٤ (٦) الطبري: ٢٥٥/٢٤ (٧) الطبري: ٢٥٦/٢٤ (٨) الطبري: ٢٥٦/٢٤ (٩) الطبري: ٢٥٨/٢٤ (١٠) القرطبي: ٢٤٠/١٩ والدر المنثور: ٤٣٣/٨ (*) يقال: هذا رجل من أفناء الناس، أي لا يعلم من هو؟ (أفاده د/البناء)

حِينَ قَدِمُوا مُسْلِمِينَ وَأَمَرَهُمْ فَتَلَّوْا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ قُرْآنِ مُسْلِمَةٍ الْكَذَّابِ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الْهَذْيَانِ وَالرَّكَائِكَةِ فَقَالَ: وَيَحْكُمُ أَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِيَّائِي، مِنْ إِلَهٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟» أَيْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَنْ طَاعَتِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ وَيَتَعَطَّوْنَ «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ» أَيْ: مَنْ أَرَادَ الْهِدَايَةَ فَعَلَيْهِ بِهِذَا الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّهُ [مَنْجَاةٌ] لَهُ وَهِدَايَةٌ، وَلَا هِدَايَةَ فِيمَا سِوَاهُ «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أَيْ: لَيْسَتْ الْمَشِيئَةُ مَوْكُولَةً إِلَيْكُمْ فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى وَمَنْ شَاءَ ضَلَّ، بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. رَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ» قَالَ أَبُو جَهْلٍ: الْأَمْرُ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِم. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»^(٥). آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّكْوِينِ. وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة الانفطار وهي مكية

[فضل سورة الانفطار]

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ مُعَاذُ فَصَّلَى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفَتَأَنَّ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ أَيْنَ كُنْتَ عَنْ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» «وَالضُّحَى» وَ«إِذَا أَلْمَأَمَةُ أَفْطَرَتْ»»^(٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٧). وَلَكِنْ ذَكَرَ «إِذَا أَلْمَأَمَةُ أَفْطَرَتْ» فِي أَفْرَادِ النَّسَائِيِّ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقِيَامَةِ رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: «إِذَا أَلْمَأَمَةُ

مِهْرَانٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْبُودٍ» يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ^(٨). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيُبَيْنِ» يَعْنِي وَلَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٌ «يَلْأَفْقِي الْيُبَيْنِ» أَيْ: الْيُبَيْنِ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى»^(٩) ذُو مِرْقٍ فَاسْتَوَى^(١٠) وَهُوَ بِالْأَفْئِ الْأَعْلَى^(١١) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى^(١٢) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى^(١٣) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى [النجم: ٥-١٠] كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَتَقْرِيرُهُ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى»^(١٤) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى^(١٥) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى^(١٦) إِذْ يَخْتَصِمُ الْمُنْتَهَى مَا يَقَعْنَ^(١٧) فَبَلَكَ إِنَّمَا ذُكِّرْتُ فِي سُورَةِ النَّجْمِ [النجم: ١٣-١٦] وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ.

[لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ضَنِينًا فِي ابْلَاحِ الْوُحْيِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أَيْ: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِظَنِينٍ أَيْ: بِمُتَّهَمٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالضَّادِ أَيْ بِخَيْلٍ. بَلْ يَبْذُلُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: ظَنِينٌ وَضَنِينٌ سَوَاءٌ أَيْ: مَا هُوَ بِكَاذِبٍ، وَمَا هُوَ بِفَاجِرٍ. وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ^(٢). وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْقُرْآنُ غَيًّا فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ فَمَا ضَنَّ بِهِ عَلَى النَّاسِ، بَلْ نَشَرَهُ وَبَلَّغَهُ، وَبَذَلَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَهُ^(٣). وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ قِرَاءَةَ الضَّادِ^(٤).

(قُلْتُ): وَكَلاهما متواتر ومَعْنَاهُ صَحِيحٌ كَمَا تَقَدَّمَ.

[الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَيْسَ بِوُحْيِ الشَّيْطَانِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» أَيْ: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ، وَلَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَسْتَعِينُ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ»^(١٨) وَمَا يَلْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ^(١٩) إِنْ هُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟» أَيْ: فَأَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ بِهِذَا الْقُرْآنَ مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ وَبَيَانِ كَوْنِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْفَدِ بَنِي حَنِيفَةَ

(١) الطبري: ٢٥٩/٢٤ والدر المنثور: ٤٣٤/٨ (٢) الطبري: ٢٦١/٢٤ (٣) الطبري: ٢٦١/٢٤ (٤) الطبري: ٢٦٠/٢٤، ٢٦١ (٥) الطبري: ٢٦٤/٢٤ سفیان الثوري ثقة مدلس وعنعن ولم يصرح بالسماع (٦) النسائي في الكبرى: ٥٠٨/٦ (٧) فتح الباري: ٥٣٢/١٠ ومسلم: ٣٣٩/١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨٧

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ
وَأَخَّرْتَ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كَرَامًا
كَنِينِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫ إِنْ أَلاَ بُرَّارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ
الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ ⑮ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯
وَمَا آذَرَكُمْ مَا يَوْمُ الذِّينِ ⑰ ثُمَّ مَا آذَرَكُمْ مَا يَوْمُ الذِّينِ ⑱
يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ⑲ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ⑳

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا لَوْ أَعْلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ②
وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْ رَزَقُوهُمْ يَخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥

فَوَضَعَ عَلَيْهَا إِصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنِ آدَمَ
أَتَى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ
وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَثِدٌ، فَجَمَعْتَ
وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ وَأَتَى أَوْأُنُ
الصَّدَقَةُ؟»^(٨). وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» قَالَ مُجَاهِدٌ:
فِي أَيِّ شَبَهٍ أَبَوْ أُمُّ أَوْ خَالٍ أَوْ عَمٍّ^(١٠). وَفِي
الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
إِنْ أَمْرَاتِي وَلَدْتُ غُلَامًا أَسْوَدَ، قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟»
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «فَهَلْ
فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَتَى أَتَاهَا ذَلِكَ؟»

كُورَتْ» وَ«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» وَ«إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ⑤
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ
فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ
بِالذِّينِ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كَرَامًا كَنِينِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا
تَفْعَلُونَ ⑫

[مَا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» أَي: انشَقَّتْ كَمَا
قَالَ تَعَالَى: «السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ». «وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ»
أَي: تَسَاقَطَتْ «وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ» قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ^(٢). وَقَالَ
الْحَسَنُ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ فَذَهَبَ مَاوُهَا^(٣). وَقَالَ
قَتَادَةُ: اخْتَلَطَ عَذْبُهَا بِمَالِحِهَا^(٤).

«وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بُحِثَتْ^(٥). وَقَالَ
السُّدِّيُّ: تُبْعَثُ: تُحْرَكُ فَيُخْرِجُ مِنْ فِيهَا «عَلِمْتَ نَفْسَ مَا
قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ» أَي: إِذَا كَانَ هَذَا حَصَلَ هَذَا.

[لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْسَى اللَّهَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» هَذَا
تَهْدِيدٌ، لَا كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّهُ إِزْشَادٌ إِلَى
الْجَوَابِ حَيْثُ قَالَ: الْكَرِيمُ. حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: غَرَّهُ
كَرَمُهُ. بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ أَيِ الْعَظِيمِ حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا
يَلِيْقُ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ:
يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أَجَبْتَ
الْمُرْسَلِينَ؟»^(٦).

وَقَدْ حَكَى الْبَغَوِيُّ عَنِ الْكَلْبِيِّ وَمَقَاتِلٍ أَنَّهُمَا قَالَا:
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَسْوَدِ بْنِ شَرِيْقٍ: ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ
وَلَمْ يُعَاقَبْ فِي الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «مَا غَرَّكَ
بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»^(٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ» أَي: مَا
غَرَّكَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ «الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ» أَي:
جَعَلَكَ سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا، مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُنْتَصِبَهَا، فِي أَحْسَنِ
الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ بُسْرِ بْنِ
جِحَاشٍ الْقُرَشِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ

(١) تحفة الأحوذى: ٢٥٢/٩ (٢) الطبري: ٢٦٧/٢٤ (٣) الطبري: ٢٦٧/٢٤ (٤) الطبري: ٢١٧/٢٤ (٥) الطبري: ٢٦٧/٢٤ (٦) تحفة الأشراف: ٧٠/٧ (٧) البغوي: ٤٥٥/٤ (٨) أحمد: ٢١٠/٤ (٩) ابن ماجة: ٩٠٣/٢ (١٠) الطبري: ٢٧٠/٢٤

قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزْعُهُ عِرْقٌ. قَالَ: «وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزْعُهُ عِرْقٌ»^(١).

[سَبَبُ الْغُرُورِ، وَالتَّنْبِيْهُ عَلَى تَسْجِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ]

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾
[الزَّيَادَةُ وَالتَّقْصَانُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ سَبَبٌ لِلْوَيْلِ وَالْخُسْرَانِ]

رَوَى النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَيْلًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فَحَسَّنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣). وَالْمُرَادُ بِالْمُطَفِّفِ هَهُنَا: الْبَخْسُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِمَّا بِالْإِزْدِيَادِ إِنْ اقْتَضَى مِنَ النَّاسِ، وَإِمَّا بِالتَّقْصَانِ إِنْ قَضَاهُمْ. وَلِهَذَا فَسَّرَ تَعَالَى الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ بِالْخُسَارِ وَالْهَلَاكِ وَهُوَ الْوَيْلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أَيُّ: مِنَ النَّاسِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أَيُّ: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ بِالْوَافِي وَالزَّائِدِ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أَيُّ: يَنْقُصُونَ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُجْعَلَ «كَالُوا» «وَوَزَنُوا» مُتَعَدِّيًا، وَيَكُونُ «هُمْ» فِي مَحَلِّ نَصَبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا ضَمِيرًا مُؤَكَّدًا لِلْمُسْتَبَرِّ فِي قَوْلِهِ: «كَالُوا» وَ «وَزَنُوا» وَيُخْذِفُ الْمَفْعُولَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَكِلَاهُمَا مُتَقَارِبٌ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلَسْتُمْ بِذَلِكَ حَرِيرًا وَاحْسَنُوا تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلْ فَنَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ وَدَمَّرَهُمْ عَلَى مَا كَانُوا يَخْسِرُونَ النَّاسَ فِي الْمِيزَانِ وَالْمِكْيَالِ.

[تَخْوِيفُ الْمُطَفِّفِينَ مِنَ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أَيُّ: إِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكَرِيمِ وَمُقَابَلَتِهِ بِالْمَعَاصِي تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِكُمْ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لِحُوظِينَ (١٠) كِرَامًا كَبِيرِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ يَعْنِي: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلَائِكَةً حَفَظَةً كِرَامًا فَلَا تُقَابِلُوهُمْ بِالْقَبَائِحِ فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٢) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٣) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ (١٤) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٥) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ (١٦) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْآزِفِ (١٧) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ لَیَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٨)﴾

[جَزَاءُ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي. ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ وَالْعَذَابِ الْمُقِيمِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ أَيُّ: يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْقِيَامَةِ ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ أَيُّ: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الرَّاحَةِ وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ أَكَّدهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْآزِفِ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أَيُّ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ وَلَا خَلَاصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى، وَنَذَكَّرُ هَهُنَا حَدِيثَ: «يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَتَقِيدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(٢). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي آخِرِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿لِمَنْ أَلَمَلَكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وَقَوْلُهُ: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الْآزِفِ﴾ [الفاتحة: ٤] قَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: وَالْأَمْرُ - وَاللَّهُ - الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُنَازِعُهُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَبِهِ

(١) فتح الباري: ٣٥١/٩ ومسلم: ١١٣٧/٢ (٢) مسلم: ١/

١٩٣ (٣) النسائي في الكبرى: ٥٠٨/٦ وابن ماجه: ٧٤٨/٢

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿١٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحَّيْنِ ﴿١٨﴾ كِتَابَ
مَرْفُومٍ ﴿١٩﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢١﴾
وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ابْنَانِ قَالَ أَسْطِطِرُّ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُم مَّا كَانُوا يُحْسِنُونَ فَهُم بِأَعْيُنِنَا
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿٢٧﴾
وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلِمُونَ ﴿٢٨﴾ كِتَابَ مَرْفُومٍ ﴿٢٩﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٠﴾
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نُفُوسٍ ﴿٣١﴾ عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٢﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٣٣﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيْقٍ مَّحْتَمٍ ﴿٣٤﴾
خِتَمُهُمْ مِّسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٣٥﴾ وَنَزَّاجُهُ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٣٦﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا كَانُوا مِن الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٤٠﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
حَافِظِينَ ﴿٤٢﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤٣﴾

مَصِيرُهُمْ وَمَا وَاهُمْ لَفِي سِجِّينٍ فَعِيلٌ مِنَ السَّجْنِ وَهُوَ
الضُّيْقُ، كَمَا يُقَالُ: فَسَيْقٌ، وَشَرِيْبٌ، وَخَمِيْرٌ، وَسَكِيْرٌ
وَنَحُوْ ذَٰلِكَ، وَلِهَٰذَا عَظَّمَ أَمْرُهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا
سَحَّيْنِ﴾ أَيُّ هُوَ أَمْرٌ عَظِيْمٌ، وَسِجْنٌ مُّقيْمٌ، وَعَذَابٌ أَلِيْمٌ، ثُمَّ
قَدْ قَالَ قَائِلُونَ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِغَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي
حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ فِي رُوحِ الْكَافِرِ أَكْتُبُوا كِتَابُهُ فِي سِجِّينٍ - وَسِجِّينٌ هِيَ
تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِغَةِ ^(١). - وَلَمَّا كَانَ مَصِيْرُ الْفُجَّارِ إِلَى
جَهَنَّمَ وَهِيَ أَسْفَلُ السَّافِلِيْنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ
أَسْفَلَ سَافِلِيْنَ ^(٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٥، ٦]

(١) فتح الباري: ٥٦٥/٨ (٢) مسلم: ٢١٩٥/٤، ٢١٩٦ (٣)
أحمد: ٣/٦ ومسلم: ٢٨٦٤ وتحفة الأحوذى: ٨٩/٧ (٤) أبو
داود: ٤٨٧/١ (٥) الطبري: ٢٨١/٢٤ إسناده ضعيف فيه شريك
بن عبدالله وهو سَيِّءُ الحفظ (٦) الطبري: ٢٨٠/٢٤ (٧) أبو
داود: ٤٨٦/١ والنسائي: ٢٩٩/٣ وابن ماجه: ٤٣١/١ (٨)
الطوال للطبراني: ٢٣٨

مَعْبُودُونَ ﴿١﴾ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ أَيُّ مَا يَخَافُ أُولَٰئِكَ مِنَ الْبُعْثِ
وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ فِي يَوْمِ عَظِيمٍ
الْهَوْلِ. كَثِيرُ الْفَرْعِ جَلِيلُ الْخَطْبِ، مَنْ خَسِرَ فِيهِ أَذْخَلَ نَارًا
حَامِيَةً؟ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيُّ
يَقُومُونَ حُفَاةَ عَرَاةٍ غُرَلًا فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرَجٍ ضَبَقَ
صَنْكٌ عَلَى الْمُجْرِمِ وَيَتَشَاوَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا تُعْجِزُ
الْقُوَى وَالْحَوَاسَّ عَنْهُ.

رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حَتَّى يَغِيْبَ أَحَدُهُمْ
فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذُنَيْهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ
مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ كِلَاهُمَا عَنْ نَافِعٍ بِهِ ^(١). وَرَوَاهُ
مُسْلِمٌ مِنَ الطَّرِيقَيْنِ أَيْضًا ^(٢).

(حَدِيثٌ آخَرٌ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الْمُقَدَّادِ يَعْنِي ابْنَ
الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا
كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذْنِبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَدَرُ
مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ - قَالَ - فَتَضَهُرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي
الْعَرَقِ كَقَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِيْبَتِهِ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يُلْجِمُهُ الْجَمَامَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ ^(٣).

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ
مِنْ ضَبَقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٤). وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ يَقُومُونَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، لَا يُكَلِّمُهُمْ أَحَدٌ
قَدْ أَلْجَمَ الْعَرَقُ بَرَّهُمْ وَفَاجَرَهُمْ ^(٥). وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ:
يَقُومُونَ مِائَةَ سَنَةٍ. رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ ^(٦). وَفِي سُنَنِ أَبِي
دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
كَانَ يَفْتَتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ: يُكَبِّرُ عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ
عَشْرًا وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْلِيْنِي
وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي» وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضَبَقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٧).

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿١٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحَّيْنِ ﴿١٨﴾ كِتَابَ
مَرْفُومٍ ﴿١٩﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢١﴾
يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ابْنَانِ قَالَ أَسْطِطِرُّ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُم مَّا كَانُوا يُحْسِنُونَ فَهُم بِأَعْيُنِنَا
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿٢٧﴾

[كِتَابُ الْفُجَّارِ وَبَعْضُ أَحْوَالِهِمْ]

يَقُولُ تَعَالَى: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ أَيُّ أَنَّ

وَقَالَ هَهُنَا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿وَهُوَ يَجْمَعُ الضُّيُقَ وَالسُّفُولَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِإِذَا أُلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا مُقَرَّبِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ لَيْسَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ وَإِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرٌ لِمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى سِجِّينٍ أَيْ مَرْفُومٌ مَكْتُوبٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ لَا يُزَادُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، أَحَدٌ. قَالَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ كَعْبٍ الْفَرُطِيُّ^(١). ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَيْ إِذَا صَارُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَا أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ السَّجْنِ وَالْعَذَابِ الْمُهِنِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلِئَلَّ﴾ بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ الْهَلَاكُ وَالْدَّمَارُ كَمَا يُقَالُ: وَلِئَلَّ لِفُلَانٍ. وَكَمَا جَاءَ فِي الْمُسْنَدِ وَالسَّنَنِ مِنْ رِوَايَةِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلِئَلَّ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ النَّاسَ، وَلِئَلَّ لَهُ وَلِئَلَّ لَهُ»^(٢).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْمُكَذِّبِينَ الْفُجَارَ الْكُفْرَةَ: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أَيْ لَا يُصَدِّقُونَ بِقُورَعِهِ وَلَا يَعْتَقِدُونَ كُورَهُ وَيَسْتَبْعِدُونَ أَمْرَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أَيْ مُعْتَدٍ فِي أَفْعَالِهِ مِنْ تَعَاطِي الْحَرَامِ وَالْمُجَاوِزَةِ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ، وَالْأَثِيمُ فِي أَقْوَالِهِ؛ إِنَّ حَدَّثَ كَذِبٍ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا تَكَلَّمَ عَلَيْهِ إِكْنَانًا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الرَّسُولِ يَكْذِبُ بِهِ، وَيَطْرُقُ بِهِ ظَنُّ الشَّيْءِ فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَيْكُزُ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَسْتَبْهَأَ فَهِيَ تَكْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الفرقان: ٥] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَا كَمَا قَالُوا: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلَّمَهَا مِنَ الرَّئِيئِ الَّذِي قَدْ لَيْسَ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وَالرَّئِيئُ يَعْتَرِي قُلُوبَ الْكَافِرِينَ، وَالْعَنِيمُ لِلْأَبْرَارِ وَالْعَنِينُ لِلْمُقَرَّبِينَ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ

مَاجَهُ مِنْ طُرُقٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٣) وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ أَيْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَرٌ وَنَزْلٌ سَجِّينَ، ثُمَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ذَلِكَ مَحْجُورُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ. قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أَيْ ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الْجَزْمَانِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ، مِنْ أَهْلِ النَّيْرَانِ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ أَيْ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّشْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّضْمِيرِ وَالتَّخْفِيرِ.

﴿كَلَّا إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ ٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ٩ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ١٠ يَشْهَدُهُ الْمَلَكُونَ ١١ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٢ عَلَى الْأَرْوَاحِ يَنْظُرُونَ ١٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ١٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ١٥ خِتَمُهُمْ مِنْ عِلَاقٍ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُنَافِسُونَ ١٦ وَمِنْ أَمَامِهِمْ فِي سَتِيرَةٍ ١٧ عَيْنًا يُثْرَبُ بِهَا الْمَنْفُورُونَ ١٨

[كِتَابُ الْأَبْرَارِ وَجَزَاؤُهُمْ]

يَقُولُ تَعَالَى: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ وَهُمْ بِخِلَافِ الْفُجَارِ ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ أَيْ مَصِيرُهُمْ إِلَى عِلِّيَّينَ وَهُوَ بِخِلَافِ سِجِّينَ. عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، قَالَ: سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كُتُبًا وَأَنَا حَاضِرٌ: عَنْ سِجِّينَ قَالَ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِغَةُ وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ. وَسَأَلَهُ عَنْ عِلِّيَّينَ فَقَالَ: هِيَ السَّمَاءُ السَّابِغَةُ وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ^(٤). وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا السَّمَاءُ السَّابِغَةُ^(٥). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ يَعْنِي الْجَنَّةَ^(٦). وَقَالَ غَيْرُهُ: عِلِّيُّونَ: عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَّى^(٧). وَالظَّاهِرُ أَنَّ عِلِّيَّينَ مَأْخُودٌ مِنَ الْعُلُوفِ، وَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ وَارْتَفَعَ عَظُمَ وَاتَّسَعَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُعْظَمًا أَمْرَهُ

(١) الدر المنثور: ٤٤٤/٨ (٢) النسائي في الكبرى: ٥٠٩/٦

(٣) الطبري: ٢٨٧/٢٤ وتحفة الأحودي: ٢٥٣/٩ والنسائي في الكبرى: ٥٠٩/٦ وابن ماجه: ١٤١٨/٢ (٤) الطبري: ٢٤/٢٤

٢٩١ (٥) الطبري: ٢٩٠/٢٤ (٦) الطبري: ٢٩٢/٢٤ (٧) الطبري: ٢٩٢/٢٤

وَمَفْخَمًا شَأْنَهُ ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا عَلِمُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُؤَكِّدًا لِمَا كَتَبَ لَهُمْ: ﴿كَتَبَ مَرْفُوعًا﴾ يَشْهَدُ الْمَقْرُونُ ﴿وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾. قَالَهُ قَتَادَةُ ^(١). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقْرُبُوهَا ^(٢).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ أَيَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَمِيمٌ ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ﴾ وَهِيَ السُّرُرُ تَحْتَ الْجِبَالِ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ يَنْظُرُونَ فِي مُلْكِهِمْ وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ الَّذِي لَا يَنْقُصِي وَلَا يَبِيدُ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا مُقَابِلٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ أَوْلِيكَ الْفَجَارِ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يَبْأَحُونَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى سُرُرِهِمْ وَفُرْشِهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أَيَّ تَعْرِفُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِي ﴿وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أَيَّ صِفَةِ الشَّرَافَةِ وَالْجِسْمَةِ، وَالشُّرُورِ وَالذَّعَةِ وَالرِّيَاسَةِ، مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ النِّعَمِ الْعَظِيمِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ﴾ أَيَّ يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالرَّحِيقُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ ^(٣). رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شَرِبَهُ مَاءٌ عَلَى ظَنِّهِ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْحُومِ. وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَعْطَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَعْطَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ. وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ» ^(٤). وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَتَمْتُمْ مِسْكَ﴾ أَيَّ خَلَطْتُهُ مِسْكَ ^(٥). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: طَيَّبَ اللَّهُ لَهُمُ الْخَمْرَ فَكَانَ آخِرَ شَيْءٍ يُجْعَلُ فِيهَا مِسْكَ خَتَمَ بِمِسْكِ ^(٦). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ ^(٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أَيَّ وَفِي هَذَا الْحَالِ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ؛ وَلْيَتَبَاهَى وَيُكَايَرِ وَيَسْتَبِقِ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُونَ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا فَلَاعْمَلِ الْأَعْمَالُونَ﴾ [الصفافات: ٦١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ أَيَّ وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ الْمَوْصُوفِ: مِنْ تَسْنِيمٍ أَيَّ مِنْ شَرَابٍ يُقَالُ لَهُ: تَسْنِيمٌ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ وَالضَّحَّاكُ ^(٨). وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمَقْرُونُونَ﴾ أَيَّ يَشْرَبُهَا الْمُقْرَبُونَ صِرْفًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨٩

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

عَلَى الْأَرْكَانِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوبَ الْكَافَرُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْأَنْشِقَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًا فَمَنْ لِقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُبُ إِلَى أَهْلِهِمْ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالسَّفَاقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

وَتُزَجَّجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَرْجَا. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمَسْرُوقٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ ^(٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٢٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى الْأَرْكَانِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ هَلْ تُوبَ الْكَافَرُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾

[إِسَاءَةُ الْمُجْرِمِينَ وَاسْتَهْزَاؤُهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيَّ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ،

(١) الطبري: ٢٩٤/٢٤ (٢) الطبري: ٢٩٤/٢٤ (٣) الطبري: ٢٩٦/٢٤ (٤) أحمد: ١٣/٣ إسناده ضعيف فيه عطية العوفي وهو ضعيف مدلس كما مر ذكره عدة مرات أنظر أيضًا سنن الترمذي (٢٤٤٩) (٥) الطبري: ٢٩٧/٢٤ (٦) الطبري: ٢٩٤/٢٤ (٧) الطبري: ٢٩٧/٢٤ (٨) الطبري: ٣٠١/٢٤ (٩) الطبري: ٣٠١/٢٤

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٣﴾ فَمَا مِنْ أَوْفٍ كِتَابٍ بِسْمِئِهِ ﴿٤﴾ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٥﴾ وَنَقَلَبَ إِلَيْنِ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٦﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٨﴾ وَيَصِلُنَّ سَعِيرًا ﴿٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٠﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَجُوزَ ﴿١١﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٢﴾

[انْشِقَاقُ السَّمَاءِ وَتَمْدِيدُ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أَيِ اسْتَمَعَتْ لِرَبِّهَا وَأَطَاعَتْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ، مِنَ الْإِنْشِقَاقِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَحُقَّتْ﴾ أَيِ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرُهُ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُمَانَعُ وَلَا يُعَالَبُ، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أَيِ بُسِطَتْ وَفُرِشَتْ وَوُسِعَتْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أَيِ أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدٌ وَقَتَادَةُ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ^(٣). كَمَا تَقَدَّمَ.

[جَزَاءُ الْأَعْمَالِ حَقٌّ]

وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أَيِ إِنَّكَ سَاحٍ إِلَىٰ رَبِّكَ سَحًّا وَغَامِلٌ غَمَلًا ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَىٰ مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ جَبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأُخْبِرَ [مَنْ] شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ» ^(٤). وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكَ﴾ أَيِ فَمُلَاقٍ رَبِّكَ، وَمَعْنَاهُ فَيَجَازِيكَ بِعَمَلِكَ وَيُكَافِئُكَ عَلَى سَعْيِكَ، وَعَلَى هَذَا فَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَاوِظٌ. قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ يَقُولُ: تَعْمَلُ عَمَلًا تَلْقَى اللَّهُ بِهِ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا ^(٥).

(١) مسلم: ٤٠٦/١ والنسائي في الكبرى: ٥١٠/٦ (٢) فتح الباري: ٢٩٢/١ (٣) الطبري: ٣١٠/٢٤ (٤) مسند الطيالسي: ٢٤٢ إسناده ضعيف لضعف الحسن بن أبي جعفر قال ابن حجر: ضعيف الحديث مع عبادته وفضله [تقريب ١٣٥١] وعن عبيد الزبير وهو مدلس وله شاهد من حديث سهل بن سعد عند الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) والحاكم ٣٢٥/٤ والقضاعي في مسند الشهاب ٤٣٥/١ وصححه الحاكم وأقره الذهبي (٥) الطبري: ٣١٢/٢٤

وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ، أَيِ مُحْتَقِرِينَ لَهُمْ ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أَيِ وَإِذَا انْقَلَبَ أَيُّ رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ انْقَلَبُوا إِلَيْهَا فَكِهِينَ أَيِ مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَلْ اشْتَعَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْفَرُونَ لَهُمْ وَيَحْسُدُونَ لَهُمْ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَصَالُونَ﴾ أَيِ لِكُونِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ دِينِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أَيِ وَمَا بَعَثْ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ حَافِظِينَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَضُدُّ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَلَا كُلُّفُوا بِهِمْ؟ فَلِمَ اشْتَعَلُوا بِهِمْ وَجَحَلُوهُمْ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا فِيهَا وَلَا يُكَلِّمُونَ﴾ ^(١) إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿٢﴾ فَاتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًا حَقًّا أَنْسَوْنَاهُمْ أَنْذَرْنَاهُمْ عَنْهُمْ فَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٣﴾ إِلَىٰ جَزَائِهِمْ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١١] وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أَيِ فِي مُقَابَلَةٍ مَا صَحَّحَ بِهِمْ أَوْلَئِكَ ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يَنْظُرُونَ﴾ أَيِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُقَابَلَةٍ مِنْ رَعَمٍ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُونَ - لَيْسُوا بِضَالِينَ بَلْ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ - يَنْظُرُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» أَيِ هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَقَابِلُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَسْتِزْهَاءِ وَالتَّنْقِصِ أَمْ لَا، يَعْنِي قَدْ جُوزُوا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ وَأَتَمَّهُ وَأَكْمَلَهُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِنْشِقَاقِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[سَجْدَةُ التَّلَاوَةِ فِي سُورَةِ الْإِنْشِقَاقِ]

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَرَأَ بِهِمْ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ فَسَجَدَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَجَدَ فِيهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ ^(١). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ: فَقَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ فَلَا أَرَأَى أَنْ أَسْجُدَ بِهَا حَتَّىٰ أَلْقَاهُ ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ ^(١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ^(٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ^(٣)

[الْعَرْضُ وَالْمُنَاقَشَةُ فِي الْحِسَابِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتَبَهُ يَمِينَهُ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أَيُّ سَهْلًا بِلاَ تَعْسِيرٍ أَيْ لَا يُحَقِّقُ عَلَيْهِ جَمِيعُ دَقَائِقِ أَعْمَالِهِ فَإِنَّ مَنْ حُوسِبَ كَذَلِكَ هَلَكَ لَا مَحَالَةَ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ بِالْحِسَابِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»^(١). وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ^(٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَتَلَبَّ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أَيُّ وَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْحِجَّةِ قَالَهُ قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ «مَسْرُورًا» أَيُّ فَرِحًا مُغْتَبِطًا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْتَبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أَيُّ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، تُثْنِي يَدَهُ إِلَى وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابَتَهُ بِهَا كَذَلِكَ «فَسَوْفَ يَدْعَوُ بُرُورًا» أَيُّ خَسَارًا وَهَلَاكًا «وَيَصِلُ سَعِيرًا»^(٤) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا أَيُّ فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرْحُ الْيَسِيرَ الْحُزْنَ الطَّوِيلَ «إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَمُوتَ» أَيُّ كَانَ يَحْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا^(٥). وَالْحَوْرُ هُوَ الرَّجُوعُ. قَالَ اللَّهُ: ﴿بَلَى إِنْ رَأَيْتَهُ كَانَ يَدُهُ بَصِيرًا﴾ يَعْنِي بَلَى سَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، فَإِنَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا، أَيُّ عَلِيمًا خَبِيرًا.

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ ۖ ﴿١١﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ ﴿١٢﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ ﴿١٣﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۖ ﴿١٤﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿١٥﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۖ ﴿١٦﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ۖ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۖ ﴿١٨﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ ﴿١٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ ﴿٢٥﴾﴾

[الْقِسْمُ عَلَى رُكُوبِ الْإِنْسَانِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ]

رَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَشَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ وَابْنَ عُمَرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمُكْحُولَ بْنَ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، وَبُكَيْرَ بْنَ الْأَشَّجِ، وَمَالِكَ، وَابْنَ أَبِي ذُئْبٍ وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجَشُونِ، أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ^(٥). وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: الشَّفَقُ: الْبَيَاضُ^(٦). فَالشَّفَقُ هُوَ حُمْرَةُ الْأُفُقِ إِذَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كَمَا قَالَهُ

مُجَاهِدٌ^(٧). وَإِمَّا بَعْدَ غُرُوبِهَا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ. قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا ذَهَبَ قِيلَ: غَابَ الشَّفَقُ^(٨). وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الشَّفَقُ: بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحُمُرَتُهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ. وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ: الشَّفَقُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَقْتُ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ»^(٩).

فَفِي هَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّفَقَ هُوَ كَمَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَالْخَلِيلُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وَمَا جَمَعَ^(١٠). قَالَ قَتَادَةُ: وَمَا جَمَعَ مِنْ نَجْمٍ وَدَابَّةٍ^(١١).

وَقَدْ قَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ يَقُولُ: مَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ: إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَاوَاهُ^(١٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا اجْتَمَعَ، وَاسْتَوَى^(١٣). وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا اجْتَمَعَ: إِذَا امْتَلَأَ^(١٤).

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا اسْتَدَارَ^(١٥). وَمَعْنَى كَلَامِهِمْ أَنَّهُ إِذَا تَكَامَلَ نُورُهُ وَأَبْدَرَ جَعَلَهُ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ. هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا اللَّفْظِ^(١٦).

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ^(١٧). فَطَبَقًا بَعْدَ مَا كَانَ رَضِيْعًا، وَشَيْخًا بَعْدَ مَا كَانَ شَابًّا. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ^(١٨): رُخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ، وَشِدَّةً بَعْدَ رُخَاءٍ، وَغَنًى بَعْدَ فَقْرٍ، وَفَقْرًا بَعْدَ غَنًى، وَصِحَّةً بَعْدَ سَقَمٍ، وَسَقَمًا بَعْدَ صِحَّةٍ.

(١) أحمد: ٤٧/٦ (٢) فتح الباري: ٥٦٦/٨ ومسلم: ٤/٢٢٠٤ وتحفة الأحوذى: ٢٥٦/٩ والنسائي في الكبرى: ٥١٠/٦ والطبري: ٣١٣/٢٤ (٣) الطبري: ٣١٥/٢٤ (٤) الطبري: ٣١٧/٢٤ (٥) القرطبي: ٢٧٤/١٩ (٦) عبد الرزاق: ٣/٣٥٨ (٧) الطبري: ٣١٨/٢٤ (٨) القرطبي: ٢٧٥/١٩ (٩) مسلم: ٤٢٦/١ (١٠) الطبري: ٣١٩/٢٤ (١١) الطبري: ٢٤/٣٢٠ (١٢) الطبري: ٣٢١/٢٤ (١٣) الطبري: ٣٢٢/٢٤ (١٤) فتح الباري: ٥٦٧/٨ (١٥) الطبري: ٣٢٣/٢٤ (١٦) الطبري: ٣٢٣/٢٤ (١٧) الطبري: ٣٢٣/٢٤ (١٨) الطبري: ٣٢٣/٢٤

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)
 قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)
 وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)
 إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ الْوَعْدِ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧)
 فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)
 بَلْ هُوَ قَوْرٌ أَنْ تُجِيبَ (٢١) فِي نَوْجٍ مُحْفُوظٍ (٢٢)

سُورَةُ الْاِنْفِاقِ

[التَّكْبِيرُ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ وَتَبَشِيرُهُمْ بِالْعَذَابِ، وَأَنَّ النَّعِيمَ لِلْمُؤْمِنِينَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢﴾ أَيُّ فَمَادًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَالَهُمْ إِذَا قُرِئَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَكَلَامُهُ - وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ - لَا يَسْمَعُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاخْتِرَامًا؟ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٣) أَيُّ مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكْذِيبُ وَالْعِنَادُ وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٤) قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ (١). ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٥) أَيُّ فَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ يَعْنِي لَكِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ يَقْبَلُوهُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَيُّ بِجَوَارِحِهِمْ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ (٦) أَيُّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿غَيْرِ مَنُونٍ﴾ (٧) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ غَيْرُ مَنُونٍ مُنْقُوصٌ (٢). وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالضُّحَّاكُ: غَيْرُ مَحْسُوبٍ (٣). وَحَاصِلُ قَوْلِهِمَا أَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ﴾ وَقَالَ السُّدِّيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿غَيْرُ مَنُونٍ﴾ غَيْرُ مُنْقُوصٍ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِنْشِقَاقِ.

وَالِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تفسير سورة البروج وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)

[تفسير البروج]

يُفَسِّرُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا وَهِيَ النُّجُومُ الْعِظَامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالضُّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: الْبُرُوجُ:

النُّجُومُ (٤). وَقَالَ الْمُنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أَلْخَلَقَ الْحَسَنُ (٥). وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهَا مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، تَسِيرُ الشَّمْسُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شَهْرًا، وَتَسِيرُ الْقَمَرُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَوْمَيْنِ وَثَلَاثًا، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنَزَلَةً وَيَسْتَسِيرُ لَيْلَتَيْنِ (٦).

[تفسير اليوم الموعود وشاهد ومشهود]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَعِيدُ فِيهَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا

(١) الطبري: ٣٢٧/٢٤ (٢) الطبري: ٣٢٧/٢٤ (٣) الطبري:

٣٢٧/٢٤ (٤) القرطبي: ٢٠٠/١٩ (٥) القرطبي: ٢٨٣/١٩

(٦) الطبري: ٣٣٢/٢٤

وَكَلَامُهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاجِرَ ضَرْبُهُ وَقَالَ: مَا حَسَبَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرْبُهُ وَقَالُوا: مَا حَسَبَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ السَّاجِرُ أَنْ يَضْرِبَكَ فَقُلْ: حَسْبِيَ أَهْلِي، وَإِذَا أَرَادَ أَهْلُكَ أَنْ يَضْرِبُوكَ فَقُلْ: حَسْبِيَ السَّاجِرُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ فَطِيعَةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ أَمْرَ الرَّاهِبِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَمْ أَمْرُ السَّاجِرِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ وَأَرْضِي مِنْ أَمْرِ السَّاجِرِ فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَجُوزَ النَّاسُ، وَرَمَاهَا فَفَقَّتْهَا، وَمَضَى النَّاسُ.

فَأَخْبَرَ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ فَقَالَ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي وَإِنَّكَ سَتَبْتَئِلَنِي، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، فَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَسَائِرَ الْأَدْوَاءِ وَيَشْفِيهِمْ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ فَعَوِي فَسَمِعَ بِهِ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: أَشْفِينِي وَلَكَ مَا هَهُنَا أَجْمَعُ، فَقَالَ: مَا أَنَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ آمَنْتَ بِهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ فَدَعَا اللَّهَ فَشَفَاهُ.

ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ فَجَلَسَ مِنْهُ نَحْوَ مَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا فُلَانُ، مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ فَقَالَ: رَبِّي. فَقَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَيُّ بَنِي بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ أَنْ تُبْرِئَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَهَذِهِ الْأَدْوَاءُ؟ قَالَ: مَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَوْلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ أَيْضًا بِالْعَذَابِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَأَتَيْهِ بِالرَّاهِبِ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبِي، فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، وَقَالَ لِلْأَعْمَى: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبِي، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا وَقَالَ: إِذَا بَلَغْتُمْ دُرُوتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَدَمْدِمُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَلَمَّا عَلَوْا بِهِ الْجَبَلَ قَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ

أَعَادَهُ. ﴿وَمَشْهُودٌ﴾ يَوْمَ عَرَفَةَ^(١). وَهَكَذَا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَقَدْ رَوَى مُوقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ أَشْبَهُ^(٢). [وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكَ: الْمَشْهُودُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ].

قَالَ الْبَغَوِيُّ: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْمَشْهُودُ: يَوْمَ عَرَفَةَ^(٣).

[ظَلَّمَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ الْمُسْلِمِينَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾ أَيُّ لَعْنٍ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ وَهِيَ الْخَفْرُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا خَبْرٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَدُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَقَهُرُوهُمْ وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ فَحَقَرُوا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخْذُودًا وَأَجْجُوا فِيهِ نَارًا، وَأَعْدُوا لَهَا وَفُودًا يَسْعُرُونَهَا بِهِ، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ فَقَدَفُوهُمْ فِيهَا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾ الْنَارِ ذَاتِ الْوُودِ ﴿لِذَلِكَ هُمْ عَلَيْهَا مُعَوَّدُونَ﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَقْعُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ أَيُّ مُشَاهِدُونَ لِمَا تَفْعَلُ بِأَوْلِيكَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقْعُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أَيُّ وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُضَامُ مَنْ لَا يَجْتَانِيهِ الْمَنِيْعُ الْحَمِيدُ، فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَسُرْعِهِ وَقَدْرِهِ - وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَّرَ عَلَى عِبَادِهِ هَؤُلَاءِ هَذَا الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ بِهِ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ وَإِنْ خَفِيَ سَبَبُ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنْ تَمَامِ الصِّفَةِ: أَنَّهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَيُّ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

[قِصَّةُ سَاجِرٍ وَرَاهِبٍ وَغُلَامٍ وَمَنْ أَدْخَلَ الْأَخْذُودَ]

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ضَهَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ وَكَانَ لَهُ سَاجِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ السَّاجِرُ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرَ سِنِّي وَحَضَرَ أَجْلِي، فَادْفَعْ إِلَيَّ غُلَامًا لِأَعْلَمَهُ السَّحْرَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلَامًا فَكَانَ يُعَلِّمُهُ السَّحْرَ، وَكَانَ بَيْنَ السَّاجِرِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ رَاهِبٌ فَأَتَى الْغُلَامُ عَلَى الرَّاهِبِ فَسَمِعَ مِنْ كَلَامِهِ فَأَعَجَبَهُ نَحْوَهُ

(١) الطبري: ٣٣٣/٢٤، ٣٣٤ (٢) ابن خزيمة: ١١٦/٣ (٣) البغوي: ٤٦٦/٤

[تُبَانِ أَسْعَدَ أَبِي كَرَبٍ] وَهُوَ تَبَعُ الَّذِي غَزَا الْمَدِينَةَ وَكَسَا
الْكَعْبَةَ وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ حَبْرَيْنِ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ
تَهَوَّدَ مَنْ تَهَوَّدَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ عَلَى يَدَيْهِمَا كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ
إِسْحَاقَ مَبْسُوطًا، فَقَتَلَ ذُو نُوَاسٍ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ فِي
الْأَخْدُودِ عَشْرِينَ أَلْفًا وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُقَالُ
لَهُ: دَوْسُ ذُو نُعْلَبَانَ، ذَهَبَ فَارِسًا، وَطَرَدُوا وَرَاءَهُ فَلَمْ
يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ فَكَتَبَ إِلَى
النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ جَيْشًا مِنْ نَصَارَى
الْحَبَشَةِ يَقْدُمُهُمْ أَرْيَاطُ وَأَبْرَهَةَ فَاسْتَقْبَلُوا الْيَمَنَ مِنْ أَيْدِي
الْيَهُودِ، وَذَهَبَ ذُو نُوَاسٍ هَارِبًا فَلَجَّجَ فِي الْبَحْرِ فَعَرِقَ،
وَاسْتَمَرَّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ فِي أَيْدِي النَّصَارَى سَبْعِينَ سَنَةً، ثُمَّ
اسْتَقْبَلَهُ سَيْفُ بَنِي يَزْنَ الْجُمَيْرِيِّ مِنْ أَيْدِي النَّصَارَى،
لَمَّا اسْتَحْجَاشَ بِكِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ مَنْ فِي
السَّجُونِ فَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ سَبْعِمِائَةٍ، فَفَتَحَ بِهِمُ الْيَمَنَ وَرَجَعَ
الْمَلِكُ إِلَى حِمْيَرَ، وَسَدَّكَرَ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (٣).

[جَزَاءُ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَكُفِّرُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ أَيْ
حَرَقُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ
أَبَرِي (٤). ﴿ثُمَّ لَمْ يَهَيِّؤُوا﴾ أَيْ لَمْ يَقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا وَيَنْدُمُوا
عَلَى مَا أَسْلَفُوا ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرِيقِ﴾ وَذَلِكَ
أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا
إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى
التَّوْبَةِ وَالْمَغْفَرَةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (٢) إِنَّهُمْ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ
(٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (٥) فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ (٦)
هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
تَكْذِيبٍ (٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (١٠) بَلْ هُوَ فَرْدٌ لَا شَاطِرَ لِيَدِهِ (١١) فِي
نُوحٍ مُخْتَلِفٍ (١٢)

[جَزَاءُ الصَّالِحِينَ وَالْبَطْشُ الشَّدِيدُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ]

[الْكَافِرِينَ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ

فُتَاهِهِمْ أَجْمَعُونَ، وَجَاءَ الْغُلَامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى
الْمَلِكِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى،
فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَفَرٍ فِي قُرُقُورٍ فَقَالَ: إِذَا لَجَجْتُمْ بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ
رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَعَرِّقُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَلَجَجُوا بِهِ الْبَحْرَ
فَقَالَ الْغُلَامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَعَرِّقُوا أَجْمَعُونَ.

وَجَاءَ الْغُلَامُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ فَقَالَ: مَا فَعَلَ
أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ:
إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ
مَا أَمَرْتُكَ بِهِ قَتَلْتَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ قَتْلِي، قَالَ: وَمَا
هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ تَصْلُبُنِي عَلَى
جَذَعٍ وَتَأْخُذُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ
الْغُلَامِ. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَفَعَلَ وَوَضَعَ السَّهْمَ
فِي كَبِدِ قَوْسِهِ ثُمَّ رَمَاهُ وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، فَوَقَعَ
السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ السَّهْمِ
وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَقِيلَ لِلْمَلِكِ:
أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْدَرُ؟ فَقَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ
كُلُّهُمْ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السَّكَّكِ، فَخَدَّتْ فِيهَا الْأَخَادِيدُ
وَأُضْرِمَتْ فِيهَا النَّيرانُ، وَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ فَدْعُوهُ،
وَإِلَّا فَأَقْفِمُوهُ فِيهَا، قَالَ: فَكَانُوا يَتَعَادُونَ فِيهَا وَيَتَدَفَّعُونَ،
فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ بِابْنٍ لَهَا ثُرَيْضُهُ، فَكَانَتْهَا تَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِي
النَّارِ فَقَالَ الصَّبِيُّ: اضْبِرِّي يَا أُمَّاهُ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ (١).
وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي آخِرِ الصَّحِيحِ (٢). وَقَدْ أوردَ مُحَمَّدُ
ابْنُ إِسْحَاقَ بَنِي يَسَارٍ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي السَّيَرَةِ بِسِيَاقٍ آخَرَ،
فِيهَا مُخَالَفَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ صَارُوا
بَعْدَ قَتْلِ الْغُلَامِ عَلَى دِينِهِ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ: قَالَ: فَسَارَ إِلَيْهِمْ
ذُو نُوَاسٍ بِجُنْدِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ
الْقَتْلِ فَاخْتَارُوا الْقَتْلَ، فَخَدَّ الْأَخْدُودَ فَحَرَّقَ بِالنَّارِ وَقَتَلَ
بِالسَّيْفِ، وَمَثَلَ بِهِمْ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا،
فَفِي ذِي نُوَاسٍ وَجُنْدِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ:
﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (١) النَّارُ ذَاتُ الْوُقُودِ (٢) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
مُعْمَدُونَ (٣) وَهُمْ عَلَى مَا يَقُولُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٤) وَمَا نَسَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا
أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَرِيزِ الْحَمِيدِ (٥) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) هَكَذَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي
السَّيَرَةِ: أَنَّ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ هُوَ ذُو نُوَاسٍ
وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ، وَيُسَمَّى فِي زَمَانِ مَمْلَكِيَّةِ يُوُسُفَ، وَهُوَ ابْنُ

(١) أحمد: ١٧/٦ (٢) مسلم: ٢٢٩٩/٤ (٣) ابن هشام: ١/

٣٦ (٤) الطبري: ٣٤٤، ٣٤٣/٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩١

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلِمَتْ حَافِظًا ④ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧
يَوْمَ بُلِيَ السَّرَائِرُ ⑨ فَالْهُنَّ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ ⑩ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ ⑪
وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّيْعِ ⑫ إِنَّمَا لَقَوْلُ فَصْلٍ ⑬ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ⑭ لَهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَيَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ وَرِثَتَهُمْ ⑰

سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سُبْحَتَكَ
فَلَا تَنسَى ⑥ إِنْ مَأْشَاءَ اللَّهُ تُدْهِمُهُمْ أَيَّامٌ ⑦ وَيُجَسِّدُكَ
لِلنَّاسِ ⑧ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ⑩
وَيَنْجِنُهَا الْأَشْفَى ⑪ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَى ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮

الْبَقَرَةُ وَالنَّسَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفَتَأَنَّ أَنْتَ يَا مُعَاذُ، مَا
كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقْرَأَ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالشَّمْسِ وَضَحَاهَا
وَنَحْوَهَا؟» (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلِمَتْ حَافِظًا ④ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧
يَوْمَ بُلِيَ السَّرَائِرُ ⑨ فَالْهُنَّ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرَ ⑩

[الْقِسْمُ عَلَى كَوْنِ الْإِنْسَانِ مُحَاطًا بِنِظَامِ اللَّهِ]

يُقْسِمُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنْ
الْكَوَاكِبِ النَّبِيرَةِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ» ثُمَّ قَالَ:
«وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ» ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» قَالَ
قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَى بِاللَّيْلِ

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ بِخِلَافِ مَا أَعَدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْحَرِيقِ
وَالْحَجِيمِ، وَلِهَذَا قَالَ: «ذَلِكَ الْقَوَرُ الْكَبِيرُ» ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:
«إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» أَيْ إِنَّ بَطْشَهُ وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ لَشَدِيدٌ عَظِيمٌ قَوِيٌّ، فَإِنَّهُ
تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاءُ، فِي
مِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّهُ هُوَ
يُبْدِي وَيُخْفِي» أَيْ مِنْ قُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ الثَّامَّةِ يَبْدِي الْخَلْقَ وَيُخْفِيهِ
كَمَا بَدَأَهُ بِلا مَمَانٍ وَلَا مَدَافِعَ «وَهُوَ الْقَوَرُ الْوَدُودُ» أَيْ يَغْفِرُ
ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَخَضَعَ لَدَيْهِ وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ أَيْ
شَيْءٍ كَانَ، «الْوَدُودُ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُوَ
الْحَبِيبُ (١). «ذُو الْعَرْشِ» أَيْ صَاحِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
الْعَالِي عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وَ«الْمَجِيدُ» فِيهِ قِرَاءَتَانِ:
الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْجَزُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ
لِلْعَرْشِ وَكِلَاهُمَا مَعْنَى صَحِيحٌ «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ» أَيْ مَهْمَا
أَرَادَ فَعَلَهُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لِعِظَمَتِهِ
وَقَهْرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ
قِيلَ لَهُ وَهُوَ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ: هَلْ نَظَرَ إِلَيْكَ الطَّيِّبُ؟
قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي فَعَالٌ
لِمَا أُرِيدُ (٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ⑦ فَرَعُونَ وَمُؤَدَّةُ
أَيُّ هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ النَّبَاسِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النِّقْمَةِ الَّتِي لَمْ يَزِدْهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟ وَهَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
«إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» أَيْ إِذَا أَخَذَ الظَّالِمُ أَخْذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا
شَدِيدًا أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
تَكْذِيبٍ» أَيْ هُمْ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ وَكُفْرٍ وَعِنَادٍ «وَاللَّهُ مِنْ
وَرَائِهِمْ خَبِيرٌ» أَيْ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ فَاهِرٌ، لَا يَقْوُونَ لَهُ وَلَا
يُعْجِزُونَهُ «بَلِ هُوَ قَرِيبٌ مَجِيدٌ» أَيْ عَظِيمٌ كَرِيمٌ «فِي لَهَجٍ
مَحْفُوظٍ» أَيْ هُوَ فِي الْمِلَّةِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ
وَالنَّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبُرُوجِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الطَّارِقِ]

وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: صَلَّى مُعَاذُ الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ

أَتَيْنَهُمْ رَسُولًا ﴿٧﴾

[الْقَسَمُ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا وَفَسْلُ مُخَالَفِيهِ]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرَّجْعُ: الْمَطَرُ^(١). وَعَنْهُ: هُوَ السَّحَابُ فِيهِ الْمَطَرُ. وَعَنْهُ: ﴿وَالسَّاءِ ذَاتَ الْبُحْبُوحِ﴾ تَمْطُرُ ثُمَّ تَمْطُرُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: تَرْجِعُ رِزْقَ الْعِبَادِ كُلِّ عَامٍ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَهَلَكُوا وَهَلَكْتَ مَوَاشِيهِمْ^(٢). ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّنَعِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ انْصِدَاعُهَا عَنِ النَّبَاتِ^(٣). وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعِكْرَمَةُ وَأَبُو مَالِكٍ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَقٌّ^(٥). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ. وَقَالَ آخَرُ: حُكْمٌ عَدْلٌ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ أَيْ بَلْ هُوَ جِدٌّ حَقٌّ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ بِهِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أَيْ يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾ أَيْ أَنْظِرْهُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴿أَتَيْنَهُمْ رَسُولًا﴾ أَيْ قَلِيلًا أَيْ وَسْتَرَى مَاذَا أَحْلَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْعُقُوبَةِ وَالْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنَمْنَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَنْظِرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الطَّارِقِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبَّحِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الْأَعْلَى]

(هِيَ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ) وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْنُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرَأَانِ الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَايِدَ وَالصَّبِيَّانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ،

(١) الطبري: ٣٥١/٢٤ (٢) فتح الباري: ٢٥١/٩ (٣) الطبري: ٣٥٢/٢٤ (٤) الدر المنثور: ٤٧٥/٨ (٥) البخاري: ٦١٧٨، ٦١٧٧، ٦١٧٨، ٦١٧٩، ٦١٨٠، ٦١٨١، ٦١٨٢، ٦١٨٣، ٦١٨٤، ٦١٨٥، ٦١٨٦، ٦١٨٧، ٦١٨٨، ٦١٨٩، ٦١٩٠، ٦١٩١، ٦١٩٢، ٦١٩٣، ٦١٩٤، ٦١٩٥، ٦١٩٦، ٦١٩٧، ٦١٩٨، ٦١٩٩، ٦٢٠٠، ٦٢٠١، ٦٢٠٢، ٦٢٠٣، ٦٢٠٤، ٦٢٠٥، ٦٢٠٦، ٦٢٠٧، ٦٢٠٨، ٦٢٠٩، ٦٢١٠، ٦٢١١، ٦٢١٢، ٦٢١٣، ٦٢١٤، ٦٢١٥، ٦٢١٦، ٦٢١٧، ٦٢١٨، ٦٢١٩، ٦٢٢٠، ٦٢٢١، ٦٢٢٢، ٦٢٢٣، ٦٢٢٤، ٦٢٢٥، ٦٢٢٦، ٦٢٢٧، ٦٢٢٨، ٦٢٢٩، ٦٢٣٠، ٦٢٣١، ٦٢٣٢، ٦٢٣٣، ٦٢٣٤، ٦٢٣٥، ٦٢٣٦، ٦٢٣٧، ٦٢٣٨، ٦٢٣٩، ٦٢٤٠، ٦٢٤١، ٦٢٤٢، ٦٢٤٣، ٦٢٤٤، ٦٢٤٥، ٦٢٤٦، ٦٢٤٧، ٦٢٤٨، ٦٢٤٩، ٦٢٥٠، ٦٢٥١، ٦٢٥٢، ٦٢٥٣، ٦٢٥٤، ٦٢٥٥، ٦٢٥٦، ٦٢٥٧، ٦٢٥٨، ٦٢٥٩، ٦٢٦٠، ٦٢٦١، ٦٢٦٢، ٦٢٦٣، ٦٢٦٤، ٦٢٦٥، ٦٢٦٦، ٦٢٦٧، ٦٢٦٨، ٦٢٦٩، ٦٢٧٠، ٦٢٧١، ٦٢٧٢، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٢٧٥، ٦٢٧٦، ٦٢٧٧، ٦٢٧٨، ٦٢٧٩، ٦٢٨٠، ٦٢٨١، ٦٢٨٢، ٦٢٨٣، ٦٢٨٤، ٦٢٨٥، ٦٢٨٦، ٦٢٨٧، ٦٢٨٨، ٦٢٨٩، ٦٢٩٠، ٦٢٩١، ٦٢٩٢، ٦٢٩٣، ٦٢٩٤، ٦٢٩٥، ٦٢٩٦، ٦٢٩٧، ٦٢٩٨، ٦٢٩٩، ٦٣٠٠، ٦٣٠١، ٦٣٠٢، ٦٣٠٣، ٦٣٠٤، ٦٣٠٥، ٦٣٠٦، ٦٣٠٧، ٦٣٠٨، ٦٣٠٩، ٦٣١٠، ٦٣١١، ٦٣١٢، ٦٣١٣، ٦٣١٤، ٦٣١٥، ٦٣١٦، ٦٣١٧، ٦٣١٨، ٦٣١٩، ٦٣٢٠، ٦٣٢١، ٦٣٢٢، ٦٣٢٣، ٦٣٢٤، ٦٣٢٥، ٦٣٢٦، ٦٣٢٧، ٦٣٢٨، ٦٣٢٩، ٦٣٣٠، ٦٣٣١، ٦٣٣٢، ٦٣٣٣، ٦٣٣٤، ٦٣٣٥، ٦٣٣٦، ٦٣٣٧، ٦٣٣٨، ٦٣٣٩، ٦٣٤٠، ٦٣٤١، ٦٣٤٢، ٦٣٤٣، ٦٣٤٤، ٦٣٤٥، ٦٣٤٦، ٦٣٤٧، ٦٣٤٨، ٦٣٤٩، ٦٣٥٠، ٦٣٥١، ٦٣٥٢، ٦٣٥٣، ٦٣٥٤، ٦٣٥٥، ٦٣٥٦، ٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٦٣٥٩، ٦٣٦٠، ٦٣٦١، ٦٣٦٢، ٦٣٦٣، ٦٣٦٤، ٦٣٦٥، ٦٣٦٦، ٦٣٦٧، ٦٣٦٨، ٦٣٦٩، ٦٣٧٠، ٦٣٧١، ٦٣٧٢، ٦٣٧٣، ٦٣٧٤، ٦٣٧٥، ٦٣٧٦، ٦٣٧٧، ٦٣٧٨، ٦٣٧٩، ٦٣٨٠، ٦٣٨١، ٦٣٨٢، ٦٣٨٣، ٦٣٨٤، ٦٣٨٥، ٦٣٨٦، ٦٣٨٧، ٦٣٨٨، ٦٣٨٩، ٦٣٩٠، ٦٣٩١، ٦٣٩٢، ٦٣٩٣، ٦٣٩٤، ٦٣٩٥، ٦٣٩٦، ٦٣٩٧، ٦٣٩٨، ٦٣٩٩، ٦٤٠٠، ٦٤٠١، ٦٤٠٢، ٦٤٠٣، ٦٤٠٤، ٦٤٠٥، ٦٤٠٦، ٦٤٠٧، ٦٤٠٨، ٦٤٠٩، ٦٤١٠، ٦٤١١، ٦٤١٢، ٦٤١٣، ٦٤١٤، ٦٤١٥، ٦٤١٦، ٦٤١٧، ٦٤١٨، ٦٤١٩، ٦٤٢٠، ٦٤٢١، ٦٤٢٢، ٦٤٢٣، ٦٤٢٤، ٦٤٢٥، ٦٤٢٦، ٦٤٢٧، ٦٤٢٨، ٦٤٢٩، ٦٤٣٠، ٦٤٣١، ٦٤٣٢، ٦٤٣٣، ٦٤٣٤، ٦٤٣٥، ٦٤٣٦، ٦٤٣٧، ٦٤٣٨، ٦٤٣٩، ٦٤٤٠، ٦٤٤١، ٦٤٤٢، ٦٤٤٣، ٦٤٤٤، ٦٤٤٥، ٦٤٤٦، ٦٤٤٧، ٦٤٤٨، ٦٤٤٩، ٦٤٥٠، ٦٤٥١، ٦٤٥٢، ٦٤٥٣، ٦٤٥٤، ٦٤٥٥، ٦٤٥٦، ٦٤٥٧، ٦٤٥٨، ٦٤٥٩، ٦٤٦٠، ٦٤٦١، ٦٤٦٢، ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ٦٤٦٥، ٦٤٦٦، ٦٤٦٧، ٦٤٦٨، ٦٤٦٩، ٦٤٧٠، ٦٤٧١، ٦٤٧٢، ٦٤٧٣، ٦٤٧٤، ٦٤٧٥، ٦٤٧٦، ٦٤٧٧، ٦٤٧٨، ٦٤٧٩، ٦٤٨٠، ٦٤٨١، ٦٤٨٢، ٦٤٨٣، ٦٤٨٤، ٦٤٨٥، ٦٤٨٦، ٦٤٨٧، ٦٤٨٨، ٦٤٨٩، ٦٤٩٠، ٦٤٩١، ٦٤٩٢، ٦٤٩٣، ٦٤٩٤، ٦٤٩٥، ٦٤٩٦، ٦٤٩٧، ٦٤٩٨، ٦٤٩٩، ٦٥٠٠، ٦٥٠١، ٦٥٠٢، ٦٥٠٣، ٦٥٠٤، ٦٥٠٥، ٦٥٠٦، ٦٥٠٧، ٦٥٠٨، ٦٥٠٩، ٦٥١٠، ٦٥١١، ٦٥١٢، ٦٥١٣، ٦٥١٤، ٦٥١٥، ٦٥١٦، ٦٥١٧، ٦٥١٨، ٦٥١٩، ٦٥٢٠، ٦٥٢١، ٦٥٢٢، ٦٥٢٣، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦، ٦٥٢٧، ٦٥٢٨، ٦٥٢٩، ٦٥٣٠، ٦٥٣١، ٦٥٣٢، ٦٥٣٣، ٦٥٣٤، ٦٥٣٥، ٦٥٣٦، ٦٥٣٧، ٦٥٣٨، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٤١، ٦٥٤٢، ٦٥٤٣، ٦٥٤٤، ٦٥٤٥، ٦٥٤٦، ٦٥٤٧، ٦٥٤٨، ٦٥٤٩، ٦٥٥٠، ٦٥٥١، ٦٥٥٢، ٦٥٥٣، ٦٥٥٤، ٦٥٥٥، ٦٥٥٦، ٦٥٥٧، ٦٥٥٨، ٦٥٥٩، ٦٥٦٠، ٦٥٦١، ٦٥٦٢، ٦٥٦٣، ٦٥٦٤، ٦٥٦٥، ٦٥٦٦، ٦٥٦٧، ٦٥٦٨، ٦٥٦٩، ٦٥٧٠، ٦٥٧١، ٦٥٧٢، ٦٥٧٣، ٦٥٧٤، ٦٥٧٥، ٦٥٧٦، ٦٥٧٧، ٦٥٧٨، ٦٥٧٩، ٦٥٨٠، ٦٥٨١، ٦٥٨٢، ٦٥٨٣، ٦٥٨٤، ٦٥٨٥، ٦٥٨٦، ٦٥٨٧، ٦٥٨٨، ٦٥٨٩، ٦٥٩٠، ٦٥٩١، ٦٥٩٢، ٦٥٩٣، ٦٥٩٤، ٦٥٩٥، ٦٥٩٦، ٦٥٩٧، ٦٥٩٨، ٦٥٩٩، ٦٦٠٠، ٦٦٠١، ٦٦٠٢، ٦٦٠٣، ٦٦٠٤، ٦٦٠٥، ٦٦٠٦، ٦٦٠٧، ٦٦٠٨، ٦٦٠٩، ٦٦١٠، ٦٦١١، ٦٦١٢، ٦٦١٣، ٦٦١٤، ٦٦١٥، ٦٦١٦، ٦٦١٧، ٦٦١٨، ٦٦١٩، ٦٦٢٠، ٦٦٢١، ٦٦٢٢، ٦٦٢٣، ٦٦٢٤، ٦٦٢٥، ٦٦٢٦، ٦٦٢٧، ٦٦٢٨، ٦٦٢٩، ٦٦٣٠، ٦٦٣١، ٦٦٣٢، ٦٦٣٣، ٦٦٣٤، ٦٦٣٥، ٦٦٣٦، ٦٦٣٧، ٦٦٣٨، ٦٦٣٩، ٦٦٤٠، ٦٦٤١، ٦٦٤٢، ٦٦٤٣، ٦٦٤٤، ٦٦٤٥، ٦٦٤٦، ٦٦٤٧، ٦٦٤٨، ٦٦٤٩، ٦٦٥٠، ٦٦٥١، ٦٦٥٢، ٦٦٥٣، ٦٦٥٤، ٦٦٥٥، ٦٦٥٦، ٦٦٥٧، ٦٦٥٨، ٦٦٥٩، ٦٦٦٠، ٦٦٦١، ٦٦٦٢، ٦٦٦٣، ٦٦٦٤، ٦٦٦٥، ٦٦٦٦، ٦٦٦٧، ٦٦٦٨، ٦٦٦٩، ٦٦٧٠، ٦٦٧١، ٦٦٧٢، ٦٦٧٣، ٦٦٧٤، ٦٦٧٥، ٦٦٧٦، ٦٦٧٧، ٦٦٧٨، ٦٦٧٩، ٦٦٨٠، ٦٦٨١، ٦٦٨٢، ٦٦٨٣، ٦٦٨٤، ٦٦٨٥، ٦٦٨٦، ٦٦٨٧، ٦٦٨٨، ٦٦٨٩، ٦٦٩٠، ٦٦٩١، ٦٦٩٢، ٦٦٩٣، ٦٦٩٤، ٦٦٩٥، ٦٦٩٦، ٦٦٩٧، ٦٦٩٨، ٦٦٩٩، ٦٧٠٠، ٦٧٠١، ٦٧٠٢، ٦٧٠٣، ٦٧٠٤، ٦٧٠٥، ٦٧٠٦، ٦٧٠٧، ٦٧٠٨، ٦٧٠٩، ٦٧١٠، ٦٧١١، ٦٧١٢، ٦٧١٣، ٦٧١٤، ٦٧١٥، ٦٧١٦، ٦٧١٧، ٦٧١٨، ٦٧١٩، ٦٧٢٠، ٦٧٢١، ٦٧٢٢، ٦٧٢٣، ٦٧٢٤، ٦٧٢٥، ٦٧٢٦، ٦٧٢٧، ٦٧٢٨، ٦٧٢٩، ٦٧٣٠، ٦٧٣١، ٦٧٣٢، ٦٧٣٣، ٦٧٣٤، ٦٧٣٥، ٦٧٣٦، ٦٧٣٧، ٦٧٣٨، ٦٧٣٩، ٦٧٤٠، ٦٧٤١، ٦٧٤٢، ٦٧٤٣، ٦٧٤٤، ٦٧٤٥، ٦٧٤٦، ٦٧٤٧، ٦٧٤٨، ٦٧٤٩، ٦٧٥٠، ٦٧٥١، ٦٧٥٢، ٦٧٥٣، ٦٧٥٤، ٦٧٥٥، ٦٧٥٦، ٦٧٥٧، ٦٧٥٨، ٦٧٥٩، ٦٧٦٠، ٦٧٦١، ٦٧٦٢، ٦٧٦٣، ٦٧٦٤، ٦٧٦٥، ٦٧٦٦، ٦٧٦٧، ٦٧٦٨، ٦٧٦٩، ٦٧٧٠، ٦٧٧١، ٦٧٧٢، ٦٧٧٣، ٦٧٧٤، ٦٧٧٥، ٦٧٧٦، ٦٧٧٧، ٦٧٧٨، ٦٧٧٩، ٦٧٨٠، ٦٧٨١، ٦٧٨٢، ٦٧٨٣، ٦٧٨٤، ٦٧٨٥، ٦٧٨٦، ٦٧٨٧، ٦٧٨٨، ٦٧٨٩، ٦٧٩٠، ٦٧٩١، ٦٧٩٢، ٦٧٩٣، ٦٧٩٤، ٦٧٩٥، ٦٧٩٦، ٦٧٩٧، ٦٧٩٨، ٦٧٩٩، ٦٨٠٠، ٦٨٠١، ٦٨٠٢، ٦٨٠٣، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥، ٦٨٠٦، ٦٨٠٧، ٦٨٠٨، ٦٨٠٩، ٦٨١٠، ٦٨١١، ٦٨١٢، ٦٨١٣، ٦٨١٤، ٦٨١٥، ٦٨١٦، ٦٨١٧، ٦٨١٨، ٦٨١٩، ٦٨٢٠، ٦٨٢١، ٦٨٢٢، ٦٨٢٣، ٦٨٢٤، ٦٨٢٥، ٦٨٢٦، ٦٨٢٧، ٦٨٢٨، ٦٨٢٩، ٦٨٣٠، ٦٨٣١، ٦٨٣٢، ٦٨٣٣، ٦٨٣٤، ٦٨٣٥، ٦٨٣٦، ٦٨٣٧، ٦٨٣٨، ٦٨٣٩، ٦٨٤٠، ٦٨٤١، ٦٨٤٢، ٦٨٤٣، ٦٨٤٤، ٦٨٤٥، ٦٨٤٦، ٦٨٤٧، ٦٨٤٨، ٦٨٤٩، ٦٨٥٠، ٦٨٥١، ٦٨٥٢، ٦٨٥٣، ٦٨٥٤، ٦٨٥٥، ٦٨٥٦، ٦٨٥٧، ٦٨٥٨، ٦٨٥٩، ٦٨٦٠، ٦٨٦١، ٦٨٦٢، ٦٨٦٣، ٦٨٦٤، ٦٨٦٥، ٦٨٦٦، ٦٨٦٧، ٦٨٦٨، ٦٨٦٩، ٦٨٧٠، ٦٨٧١، ٦٨٧٢، ٦٨٧٣، ٦٨٧٤، ٦٨٧٥، ٦٨٧٦، ٦٨٧٧، ٦٨٧٨، ٦٨٧٩، ٦٨٨٠، ٦٨٨١، ٦٨٨٢، ٦٨٨٣، ٦٨٨٤، ٦٨٨٥، ٦٨٨٦، ٦٨٨٧، ٦٨٨٨، ٦٨٨٩، ٦٨٩٠، ٦٨٩١، ٦٨٩٢، ٦٨٩٣، ٦٨٩٤، ٦٨٩٥، ٦٨٩٦، ٦٨٩٧، ٦٨٩٨، ٦٨٩٩، ٦٩٠٠، ٦٩٠١، ٦٩٠٢، ٦٩٠٣، ٦٩٠٤، ٦٩٠٥، ٦٩٠٦، ٦٩٠٧، ٦٩٠٨، ٦٩٠٩، ٦٩١٠، ٦٩١١، ٦٩١٢، ٦٩١٣، ٦٩١٤، ٦٩١٥، ٦٩١٦، ٦٩١٧، ٦٩١٨، ٦٩١٩، ٦٩٢٠، ٦٩٢١، ٦٩٢٢، ٦٩٢٣، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥، ٦٩٢٦، ٦٩٢٧، ٦٩٢٨، ٦٩٢٩، ٦٩٣٠، ٦٩٣١، ٦٩٣٢، ٦٩٣٣، ٦٩٣٤، ٦٩٣٥، ٦٩٣٦، ٦٩٣٧، ٦٩٣٨، ٦٩٣٩، ٦٩٤٠، ٦٩٤١، ٦٩٤٢، ٦٩٤٣، ٦٩٤٤، ٦٩٤٥، ٦٩٤٦، ٦٩٤٧، ٦٩٤٨، ٦٩٤٩، ٦٩٥٠، ٦٩٥١، ٦٩٥٢، ٦٩٥٣، ٦٩٥٤، ٦٩٥٥، ٦٩٥٦، ٦٩٥٧، ٦٩٥٨، ٦٩٥٩، ٦٩٦٠، ٦٩٦١، ٦٩٦٢، ٦٩٦٣، ٦٩٦٤، ٦٩٦٥، ٦٩٦٦، ٦٩٦٧، ٦٩٦٨، ٦٩٦٩، ٦٩٧٠، ٦٩٧١، ٦٩٧٢، ٦٩٧٣، ٦٩٧٤، ٦٩٧٥، ٦٩٧٦، ٦٩٧٧، ٦٩٧٨، ٦٩٧٩، ٦٩٨٠، ٦٩٨١، ٦٩٨٢، ٦٩٨٣، ٦٩٨٤، ٦٩٨٥، ٦٩٨٦، ٦٩٨٧، ٦٩٨٨، ٦٩٨٩، ٦٩٩٠، ٦٩٩١، ٦٩٩٢، ٦٩٩٣، ٦٩٩٤، ٦٩٩٥، ٦٩٩٦، ٦٩٩٧، ٦٩٩٨، ٦٩٩٩، ٧٠٠٠، ٧٠٠١، ٧٠٠٢، ٧٠٠٣، ٧٠٠٤، ٧٠٠٥، ٧٠٠٦، ٧٠٠٧، ٧٠٠٨، ٧٠٠٩، ٧٠١٠، ٧٠١١، ٧٠١٢، ٧٠١٣، ٧٠١٤، ٧٠١٥، ٧٠١٦، ٧٠١٧، ٧٠١٨، ٧٠١٩، ٧٠٢٠، ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٠٢٣، ٧٠٢٤، ٧٠٢٥، ٧٠٢٦، ٧٠٢٧، ٧٠٢٨، ٧٠٢٩، ٧٠٣٠، ٧٠٣١، ٧٠٣٢، ٧٠٣٣، ٧٠٣٤، ٧٠٣٥، ٧٠٣٦، ٧٠٣٧، ٧٠٣٨، ٧٠٣٩، ٧٠٤٠، ٧٠٤١، ٧٠٤٢، ٧٠٤٣، ٧٠٤٤، ٧٠٤٥، ٧٠٤٦، ٧٠٤٧، ٧٠٤٨، ٧٠٤٩، ٧٠٥٠، ٧٠٥١، ٧٠٥٢، ٧٠٥٣، ٧٠٥٤، ٧٠٥٥، ٧٠٥٦، ٧٠٥٧، ٧٠٥٨، ٧٠٥٩، ٧٠٦٠، ٧٠٦١، ٧٠٦٢، ٧٠٦٣، ٧٠٦٤، ٧٠٦٥، ٧٠٦٦، ٧٠٦٧، ٧٠٦٨، ٧٠٦٩، ٧٠٧٠، ٧٠٧١، ٧٠٧٢، ٧٠٧٣، ٧٠٧٤، ٧٠٧٥، ٧٠٧٦، ٧٠٧٧، ٧٠٧٨، ٧٠٧٩، ٧٠٨٠، ٧٠٨١، ٧٠٨٢، ٧٠٨٣، ٧٠٨٤، ٧٠٨٥، ٧٠٨٦، ٧٠٨٧، ٧٠٨٨، ٧٠٨٩، ٧٠٩٠، ٧٠٩١، ٧٠٩٢، ٧٠٩٣، ٧٠٩٤، ٧٠٩٥، ٧٠٩٦، ٧٠٩٧، ٧٠٩٨، ٧٠٩٩، ٧١٠٠، ٧١٠١، ٧١٠٢، ٧١٠٣، ٧١٠٤، ٧١٠٥، ٧١٠٦، ٧١٠٧، ٧١٠٨، ٧١٠٩، ٧١١٠، ٧١١١، ٧١١٢، ٧١١٣، ٧١١٤، ٧١١٥، ٧١١٦، ٧١١٧، ٧١١٨، ٧١١٩، ٧١٢٠، ٧١٢١، ٧١٢٢، ٧١٢٣، ٧١٢٤، ٧١٢٥، ٧١٢٦، ٧١٢٧، ٧١٢٨، ٧١٢٩، ٧١٣٠، ٧١٣١، ٧١٣٢، ٧١٣٣، ٧١٣٤، ٧١٣٥، ٧١٣٦، ٧١٣٧، ٧١٣٨، ٧١٣٩، ٧١٤٠، ٧١٤١، ٧١٤٢، ٧١٤٣، ٧١٤٤، ٧١٤٥، ٧١٤٦، ٧١٤٧، ٧١٤٨، ٧١٤٩، ٧١٥٠، ٧١٥١، ٧١٥٢، ٧١٥٣، ٧١٥٤، ٧١٥٥، ٧١٥٦، ٧١٥٧، ٧١٥٨، ٧١٥٩، ٧١٦٠، ٧١٦١، ٧١٦٢، ٧١٦٣، ٧١٦٤، ٧١٦٥، ٧١٦٦، ٧١٦٧، ٧١٦٨، ٧١٦٩، ٧١٧٠، ٧١٧١، ٧١٧٢، ٧١٧٣، ٧١٧٤، ٧١٧٥، ٧١٧٦، ٧١٧٧، ٧١٧٨، ٧١٧٩، ٧١٨٠، ٧١٨١، ٧١٨٢، ٧١٨٣، ٧١٨٤، ٧١٨٥، ٧١٨٦، ٧١٨٧، ٧١٨٨، ٧١٨٩، ٧١٩٠، ٧١٩١، ٧١٩٢، ٧١٩٣، ٧١٩٤، ٧١٩٥، ٧١٩٦، ٧١٩٧، ٧١٩٨، ٧١٩٩، ٧٢٠٠، ٧٢٠١، ٧٢٠٢، ٧٢٠٣، ٧٢٠٤، ٧٢٠٥، ٧٢٠٦، ٧٢٠٧، ٧٢٠٨، ٧٢٠٩، ٧٢١٠، ٧٢١١، ٧٢١٢، ٧٢١٣، ٧٢١٤، ٧٢١٥، ٧٢١٦، ٧٢١٧، ٧٢١٨، ٧٢١٩، ٧٢٢٠، ٧٢٢١، ٧٢٢٢، ٧٢٢٣، ٧٢٢٤، ٧٢٢٥، ٧٢٢٦، ٧٢٢٧، ٧٢٢٨، ٧٢٢٩، ٧٢٣٠، ٧٢٣١، ٧٢٣٢، ٧٢٣٣، ٧٢٣٤، ٧٢٣٥، ٧٢٣٦، ٧٢٣٧، ٧٢٣٨، ٧٢٣٩، ٧٢٤٠، ٧٢٤١، ٧٢٤٢، ٧٢٤٣، ٧٢٤٤، ٧٢٤٥، ٧٢٤٦، ٧٢٤٧، ٧٢٤٨، ٧٢٤٩، ٧٢٥٠، ٧٢٥١، ٧٢٥٢، ٧٢٥٣، ٧٢٥٤، ٧٢٥٥، ٧٢٥٦، ٧٢٥٧، ٧٢٥٨، ٧٢٥٩، ٧٢٦٠، ٧٢٦١، ٧٢٦٢، ٧٢٦٣، ٧٢٦٤، ٧٢٦٥، ٧٢٦٦، ٧٢٦٧، ٧٢٦٨، ٧٢٦٩، ٧٢٧٠، ٧٢٧١، ٧٢٧٢، ٧٢٧٣، ٧٢٧٤، ٧٢٧٥، ٧٢٧٦، ٧٢٧٧، ٧٢

وَسَوَّى كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: هَدَى الْإِنْسَانَ لِلشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاعِيهَا^(٨). وَهَذِهِ الْأَيَّةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِنْخِبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]. أَيْ قَدَّرَ قَدَرًا وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٩). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أَيْ مِنْ جَمِيعِ صُنُوفِ النَّبَاتَاتِ وَالزَّرُوعِ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا^(١٠). وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ زَيْدٍ نَحْوَهُ^(١١).

[الَّذِي لَا يَنْسَى الْوَحْيَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
رَفَعَهُ وَنَسَحَهُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُقْرُوكَ﴾ أَيْ يَا مُحَمَّدُ ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ وَهَذَا إِنْخِبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعْدٌ مِنْهُ لَهُ. بِأَنَّهُ سَيَقْرُؤُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْسَى شَيْئًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَنْسَ﴾ طَلَبٌ، وَمَعْنَى الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا مَا يَقَعُ مِنَ النَّسْخِ أَيْ لَا تَنْسَى مَا نَقَرْتُكَ إِلَّا مَا يَشَاءُ اللَّهُ رَفَعُهُ، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَنْسَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أَيْ يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ وَمَا يُخْفَوْنَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ أَيْ يُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ وَأَقْوَالَهُ، وَتُسَرِّعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا سَمَحًا مُسْتَقِيمًا عَدْلًا، لَا إِعْجَاجَ فِيهِ، وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ.

[الْأَمْرُ بِالتَّذْكِيرِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أَيْ ذَكَرْ حَيْثُ تَنَفَّعَ التَّذْكِيرَةُ، وَمِنْ هَهُنَا يُؤْخَذُ الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا

(١) فتح الباري: ٥٦٩/٨ (٢) فتح الباري: ٢٣٤/٢ ومسلم: ٣٤٠/١ (٣) أحمد: ٢٧١/٤ (٤) أحمد عن أبي: ١٢٣/٥، عن ابن عباس: ٢٩٩/١ وابن أبي: ٤٠٦/٣، عن عائشة: ٦/٢٢٧ (٥) أحمد: ٢٣٢/١ إسناده ضعيف وفيه تدليس أبي إسحاق ولم يصرح (٦) الطبري: ٣٦٧/٢٤ (٧) الطبري: ٣٦٨/٢٤ انظر لعلته ما تقدم وسبق (٨) الطبري: ٣٦٩/٢٤ (٩) مسلم: ٢٠٤٤/٤ (١٠) الطبري: ٣٦٩/٢٤ (١١) الطبري: ٢٤/٣٦٩، ٣٧٠

فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فِي سُورِ مِثْلِهَا^(١). وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتُ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَالْتَمِسِ رَحْمَتَهَا﴾، ﴿وَالْتَمِسْ إِذَا بَخَشَى﴾»^(٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِيدَيْنِ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَهَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْفَرَسِيَّةِ^(٣) وَإِنْ وَافَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَرَأَهُمَا جَمِيعًا^(٤). وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَلَقَطَ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ الشُّنَنِ: كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَهَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْفَرَسِيَّةِ وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَهُمَا. وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِرَى، وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوُتْرِ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ زَادَتْ عَائِشَةُ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سُقْرُوكَ فَلَا تَنْسَ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْفَى (١٠) وَنَجِّنَهَا مِنَ الْغَاسِقِ (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْفَى (١٣)

[الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَمَا يَقُولُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»^(٥).

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى. وَإِذَا قَرَأَ: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فَأَتَى عَلَى آخِرِهَا ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَجْحَى النَّوْءُ﴾ [القيامة: ٤٠] يَقُولُ: سُبْحَانَكَ وَلَيَّ^(٦). وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»^(٧).

[الْخَلْقُ وَالتَّقْدِيرُ وَإِخْرَاجُ النَّبَاتِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ أَيْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنْكَبُوتِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يُؤْمِدُ خَشِيعَةً ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَسْتَقِي مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ﴿٥﴾
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾
وَجُوهٌ يُؤْمِدُ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لَسَعِبَهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي حَنَةِ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرِّيٌّ مُمَثَّلَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَعَذَابُ اللَّهِ أَلَمٌ أَلَدٌ ﴿٢٤﴾
الْأَكْبَرُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٧﴾

كَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِإِخْرَاجِ صَدَقَةِ الْفُطْرِ وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ ﴿٢٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٢٩﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٣٠﴾ وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ سَائِلٌ وَهُوَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ فَلْيَقْدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ صَلَاتِهِ زَكَاةً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٣١﴾ وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٣٢﴾ زَكَّى مَالَهُ وَأَرْضَى خَالِقَهُ ﴿٣٣﴾.

[لَا قِيَمَةَ لِلدُّنْيَا فِي جَنبِ الْآخِرَةِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أَيْ تُقَدِّمُونَهَا عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ وَتَبْدُلُونَهَا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ وَمَعَادِكُمْ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أَيْ ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دُنْيَةٌ فَاتِيَةٌ

يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ، وَقَالَ: حَدَّثَ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَنْجَبُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿١٩﴾! وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أَيْ سَيَنْتَعِظُ بِمَا تَبْلُغُهُ يَا مُحَمَّدُ مَنْ قَلْبُهُ يَخْشَى اللَّهَ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُلَافِيهِ ﴿وَنَجَّحَتِهَا الْأَشْقَى﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكَوْثَى ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿أَي لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَحْيَى حَيَاةً تَنْفَعُهُ، بَلْ هِيَ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ، لِأَنَّ سَبَبَهَا يُشْعِرُ مَا يِعَاقِبُ بِهِ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَأَنْوَاعِ النَّكَالِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَحْيُونَ، وَأَمَّا أَنْاسُ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمُ الرَّحْمَةَ فَيَمِيتُهُمْ فِي النَّارِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشَّفَاعَةُ فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الضَّيَارَةَ فَيَمِيتُهُمْ - أَوْ قَالَ: يَمِيتُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ قَالَ: الْحَيَاةِ، أَوْ قَالَ: الْحَيَوَانِ أَوْ قَالَ: نَهْرِ الْجَنَّةِ - فَيَمِيتُونَ نَبَاتَ الْجَنَّةِ فِي حِمِلِ السَّيْلِ» قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خَضِرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ صَفْرَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ خَضِرَاءَ؟» قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ (٢).

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ، وَلَكِنْ أَنْاسٌ - أَوْ كَمَا قَالَ - تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ - فَيَمِيتُهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أُدِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِئَ بِهِمْ صَبَائِرُ صَبَائِرَ، فَبُشُوا عَلَى أَثْهَارِ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَمِيتُونَ نَبَاتَ الْجَنَّةِ تَكُونُ فِي حِمِلِ السَّيْلِ» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ حَبِثِيذٌ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ (٣). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٦﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٧﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٩﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿٢٠﴾

[بَيَانُ أَهْلِ الْفَلَاحِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أَيْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَابَعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الرُّسُولِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أَيْ أَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا اتِّبَاعًا رِضْوَانِ اللَّهِ وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ وَآمِنَاتًا لِشَرْعِ اللَّهِ. وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ

(١) انظر البخاري كتاب العلم (١٢٧) عن علي تعليقاً وعند مسلم في المقدمة من حديث ابن مسعود نحوه (٢) أحمد: ٥/٣ (٣) أحمد: ١١/٣ (٤) مسلم: ١٧٢/١ (٥) الطبري: ٣٧٤/٢٤ فيه أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس ولم يصرح (٦) الطبري: ٢٤/٣٧٤

وَالْآخِرَةُ شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْتِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى وَبِهِمْ بِمَا يُرَوَّلُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرَكَ الْأَهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضْرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضْرَّ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى» تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ^(١).

[صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى»^(٢) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ: «أَمْ لَمْ يَلْبَسْنَا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى»^(٣) أَلَا لَبَّزْ وَزَرْدٌ وَزَدٌ أَثَرُ^(٤) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى^(٥) وَأَنْ سَعَيْهِمْ سَوْفَ يَرَى^(٦) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى^(٧) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى^(٨) الْآيَاتِ إِلَى آخِرِهِمْ [٣٦-٥٥] وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى^(٩). وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ هَذَا» إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى»^(١٠) وَذَكَرَ أَسَدُ رَبِّهِ فَصَّلَ^(١١) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^(١٢) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى^(١٣) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ هَذَا» أَيُّ مَضْمُونٍ هَذَا الْكَلَامِ [لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى^(١٤) وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ، وَقَدْ رَوَى عَنْ قَتَادَةَ وَابْنِ زَيْدٍ نَحْوَهُ^(١٥). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ سَبِّحْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تفسير سورة الغاشية وهي مكية

[قِرَاءَةُ الْأَعْلَى وَالْغَاشِيَةِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ]

قَدْ تَقَدَّمَ عَنِ الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَالْغَاشِيَةِ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ^(١). وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ أَنَّ الصَّحَّاحَ بْنَ قَيْسٍ سَأَلَ الثَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ: بِمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ مَعَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ^(٢). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّيْسَانِيُّ^(٣)، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ^(٢) عَالِمَةٌ

نَاصِيَةٌ^(٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً^(٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَائِيَةٍ^(٥) لَيْسَ لَهَا

طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ^(٦) لَا يَسْمَعُ وَلَا يَفْقَهُ مِنْ جُجُوجٍ^(٧)

[الْقِيَامَةُ وَمَا يَكُونُ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا]

الْغَاشِيَةُ: مِنْ أَشْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ

وَابْنُ زَيْدٍ^(٨) لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ وَتَعْمَهُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ أَيُّ دَلِيلَةٍ قَالَه قَتَادَةُ^(٩). وَقَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ: تَخَشَّعَ وَلَا يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَالِمَةٌ

نَاصِيَةٌ﴾ أَيُّ قَدْ عَمِلَتْ عَمَلًا كَثِيرًا وَنَصَبَتْ فِيهِ وَصَلَتْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ نَارًا حَامِيَةً. رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ عَنْ أَبِي

عُمَرَ بْنِ الْجَوْنِيِّ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى

عَنْهُ بِذَيْرٍ رَاهِبٍ، قَالَ: فَتَدَاهُ يَا رَاهِبُ، فَأَشْرَفَ. قَالَ:

فَجَعَلَ عُمَرُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

مَا يَبْكِيكَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي

كِتَابِهِ: ﴿عَالِمَةٌ نَاصِيَةٌ﴾^(١٠) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً^(١١) فَذَاكَ الَّذِي

أَبْكَانِي^(١٢).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿عَالِمَةٌ نَاصِيَةٌ﴾

النَّصَارَى^(١٣). وَعَنْ عِكْرَمَةَ وَالسُّدِّيِّ: عَالِمَةٌ فِي الدُّنْيَا

بِالْمَعَاصِي وَنَاصِيَةٌ فِي النَّارِ بِالْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ. قَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ أَيُّ حَارَّةً شَدِيدَةً

الْحَرِّ. ﴿تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَائِيَةٍ﴾ أَيُّ قَدْ انْتَهَى حَرُّهَا وَعَلَيَانِهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ^(١٤). وَقَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَهَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: شَجَرٌ مِنَ النَّارِ^(١٥). وَقَالَ ابْنُ

(١) أحمد: ٤١٢/٤ إسناده منقطع المطلب بن عبدالله لم يسمع

من أبي موسى الأشعري قال البخاري: لا أعرف المطلب بن

(عبدالله) بن حنطب عن أحد من الصحابة سماعًا إلا قوله حدثني

من شهد خطبة النبي ﷺ [جامع التحصيل للعلائي] (٢) الطبري:

٣٧٦/٢٤ (٣) الطبري: ٣٧٧/٢٤ (٤) الطبري: ٣٧٦/٢٤

(٥) مسلم: ٥٩٨/٢ (٦) الموطأ: ١١١/١ (٧) أبو داود: ١/

٦٧٠ والنسائي: ١١٢/٣ (٨) مسلم: ٥٩٨/٢ وابن ماجه: ١/

٣٥٥ (٩) الطبري: ٣٨١/٢٤ (١٠) الطبري: ٣٨٢/٢٤ (١١)

عبد الرزاق: ٢٩٩/٢ والحاكم: ٥٢٢/٢ إسناده منقطع فإن أبا

عمران الجنوني لم يدرك زمان عمر (١٢) فتح الباري: ٥٧٠/٨

(١٣) الطبري: ٣٨٣/٢٤ (١٤) الطبري: ٣٨٥/٢٤

﴿مَبْنُوءَةٌ﴾ أَي هَهُنَا وَهَهُنَا، لِمَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا.
 ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
 رُفِعَتْ (٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
 سُطِحَتْ (١٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (١١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ
 بِمُصَيِّرٍ (١٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (١٣) فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
 الْأَكْبَرَ (١٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (١٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (١٦)
 [الْحَضُّ عَلَى النَّظَرِ فِي خَلْقِ الْإِبِلِ وَالسَّمَاءِ وَالْجِبَالِ
 وَالْأَرْضِ]

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا عِبَادَةً بِالنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى
 قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ فَإِنَّهَا
 خُلِقَتْ عَجِيبٌ وَتَرْكِيبُهَا غَرِيبٌ، فَإِنَّهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ،
 وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَلِينُ لِلْجِئِلِ الثَّقِيلِ وَتَقَادُ لِلْقَائِدِ الضَّعِيفِ،
 وَتُؤْكَلُ وَيَتَنَفَّعُ بِوَبَرِّهَا وَيُسْرَبُ لَبَنُهَا. وَتُبْهَوُا بِذَلِكَ لِأَنَّ
 الْعَرَبَ غَالِبُ دَوَابِّهِمْ كَانَتْ الْإِبِلُ. وَكَانَ شَرِيحُ الْقَاضِي
 يَقُولُ: أَخْرَجُوا بَنًا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى
 السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ! أَي كَيْفَ رَفَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ
 الْأَرْضِ هَذَا الرُّفْعُ الْعَظِيمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ
 إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَتْ وَرَبَّتْهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾
 [ق: ٦٦] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أَي جُعِلَتْ مَنْصُوبَةً فَإِنَّهَا
 ثَابِتَةٌ رَاسِيَةٌ لِقَلَا تَمِيدُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ
 مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَعَادِنِ ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أَي كَيْفَ
 بُسِطَتْ وَمُدَّتْ وَمُهْدَتْ، فَتَبَّهَ الْبَدْوِيُّ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ بِمَا
 يُشَاهِدُهُ مِنْ بَعِيرِهِ الَّذِي هُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاءِ الَّتِي فَوْقَ
 رَأْسِهِ، وَالْجِبَلِ الَّذِي تُجَاهَهُ وَالْأَرْضِ الَّتِي تَحْتَهُ: عَلَى
 قُدْرَةِ خَالِقِ ذَلِكَ وَصَانِعِهِ، وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الْخَالِقُ
 الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَأَنَّهُ الْإِلَهِ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ
 سِوَاهُ.

[قِصَّةُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ]

وَهَكَذَا أَقْسَمَ ضِمَامٌ فِي سَوَالِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا
 رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنَّا نُهَيِّنَا أَنْ
 نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعَجِّبُنَا أَنْ يَجِيءَ
 الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ. فَجَاءَ
 رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ أَتَانَا رَسُولُكَ

عَبَّاسٌ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَأَبُو الْجَوْرَاءِ وَقَتَادَةُ: هُوَ
 الشَّيْرُقُ. قَالَ قَتَادَةُ: فُرِشٌ تُسَمَّى فِي الرَّبِيعِ: الشَّيْرُقُ،
 وَفِي الصَّيْفِ: الضَّرِيعُ. قَالَ عِكْرَمَةُ: وَهُوَ شَجَرَةٌ ذَاتُ
 شَوْكٍ لَا طَلِيَّةَ بِالْأَرْضِ^(١). وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ:
 الضَّرِيعُ نَبْتُ يُقَالُ لَهُ: الشَّيْرُقُ يُسَمَّى أَهْلُ الْحِجَازِ الضَّرِيعَ
 إِذَا يَبَسَ، وَهُوَ سَمٌ^(٢). وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ
 إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هُوَ الشَّيْرُقُ إِذَا يَبَسَ سُمِّيَ الضَّرِيعَ^(٣). وَقَالَ
 سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ
 وَأَسْعَى وَأَخْيَرِهِ^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ
 جُوعٌ﴾ يَعْنِي لَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ وَلَا يَنْدَفِعُ بِهِ مَحْذُورٌ.

﴿وَجُوعٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ﴾ (٨) لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا
 تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْوُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ
 مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَارٌ مَصْضُوفَةٌ (١٥) وَزَكَاتٌ مَبْنُوءَةٌ (١٦)

[حَالُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ ثَبَّتَ بِذِكْرِ السَّعْدَاءِ فَقَالَ: ﴿وَجُوعٌ
 يَوْمَئِذٍ﴾ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نَاعِمٌ﴾ أَي يُعْرِفُ النِّعِمَ فِيهَا وَإِنَّمَا
 حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا. وَقَالَ سُفْيَانُ: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ قَدْ
 رَضِيَتْ عَمَلَهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أَي رَفِيعَةٍ
 بَهِيَّةٍ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَةً﴾ أَي لَا تَسْمَعُ
 فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَةً لَغْوٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا
 يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مریم: ٦٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا لَغْوٌ
 فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِ﴾ [الطور: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
 وَلَا تَأْتِيهِمَا﴾ (١٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [الواقعة: ٢٥، ٢٦] ﴿فِيهَا عَيْنٌ
 جَارِيَةٌ﴾ أَي سَارِحَةٌ، وَهَذِهِ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، وَلَيْسَ
 الْمُرَادُ بِهَا عَيْنًا وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هَذَا جِنْسٌ يَعْنِي فِيهَا عَيُونُ
 جَارِيَاتٍ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجَرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالٍ - أَوْ
 مِنْ تَحْتِ جِبَالٍ - الْمِسْكِ»^(٥). ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْوُوعَةٌ﴾ أَي عَالِيَةٌ
 نَاعِمَةٌ كَثِيرَةُ الْفُرُشِ، مُرْتَفَعَةُ السَّنَكِ عَلَيْهَا الْخُورُ الْعَيْنُ،
 قَالُوا: فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ السُّرُرِ الْعَالِيَةِ
 تَوَاضَعَتْ لَهُ ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ يَعْنِي أَوَانِي الشَّرْبِ مُعَدَّةٌ،
 مُرْصَدَةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا.

﴿وَنَارٌ مَصْضُوفَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّارِيقُ الْوَسَائِدُ^(٦).

وَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالشَّدِّيُّ وَالتَّوْرِيُّ
 وَغَيْرُهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزَكَاتٍ مَبْنُوءَةٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
 الزَّرَائِي: الْبُسْطُ. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَمَعْنَى

(١) الطبري: ٣٨٤/٢٤ (٢) فتح الباري: ٥٧٠/٨ (٣)

الطبري: ٣٨٤/٢٤ (٤) الطبري: ٣٨٤/٢٤ (٥) ابن حبان:

٢٦٢٢ (موارد الظمآن) (٦) الطبري: ٣٨٧/٢٤

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَلَئِيلٍ إِذَا نَسِرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحْبَوْنَ أَمْوَالَ جُلَاجِمًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنذَرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

ولهذا قال: ﴿يَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أَي مَرْجِعُهُمْ وَمُنْقَلِبُهُمْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أَي نَحْنُ نَحْسَبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَنُجَازِيهِمْ بِهَا، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من مسند أحمد وهو غير موجود في نسخ تفسير ابن كثير. (الناشر) (١) أحمد: ١٤٣/٣ (٢) البخاري: ٦٣ ومسلم: ٤١/١ وأبو داود: ٤٨٦ والترمذي: ٦١٩ والنسائي في الكبرى: ٢٤٠١، ٢٤٠٢ وابن ماجه: ١٤٠٢ (٣) الطبري: ٣٩٠/٢٤ (٤) الطبري: ٣٩٠/٢٤ (٥) أحمد: ٣/٣٠٠ (٦) مسلم: ٥٣/١ وتحفة الأحوذى: ٢٦٥/٩ والنسائي في الكبرى: ٥١٤/٦ (٧) فتح الباري: ٩٥/١ عن ابن عمر ومسلم: ٥٢/١

فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ» قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةَ أَمْوَالِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ [أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا قَالَ: «نَعَمْ، صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ] (*) أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ شَيْئًا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ شَيْئًا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ صَدَقَ لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»^(١). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ^(٢).

[لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٣) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَفٍ أَي فَذَكِّرْ يَا مُحَمَّدُ النَّاسَ بِمَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْهِمْ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَفٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ^(٤) أَي لَسْتَ تَخْلُقُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ^(٥). رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٦) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَفٍ^(٧). وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا^(٨). وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٩).

[الْوَعْدُ لِمَنْ تَوَلَّى عَنِ الْحَقِّ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أَي تَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِأَرْكَانِهِ وَكَفَرَ بِالْحَقِّ بِجَنَائِهِ وَلِسَانِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(١٠) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى [الْقِيَامَةُ: ٣١، ٣٢]

تفسير سورة الفجر وهي مكية

[قراءة سورة الفجر في الصلاة]

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: صَلَّى مُعَاذٌ صَلَاةً، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَهُ، فَطَوَّلَ فَصَلَّى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: مُتَافِقٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ الْفَتَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَصَلِّي مَعَهُ فَطَوَّلَ عَلَيَّ، فَأَنْصَرَفْتُ وَصَلَّيْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَعَلِمْتُ نَافِقِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَتَأَنَ يَا مُعَاذُ؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ «سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» «وَالشَّمْسُ وَضَحَهَا» «وَالْفَجْرِ» «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ﴾ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَيَّ جَمْرٍ ⑤ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَثمودَ الَّذِينَ جَاءُوا الْفَصْحَ بِالْوَادِ ⑨ وَرَعَوْنَ رِيَّ الْوَأْدِ ⑩ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمَرِّصَادِ ⑭

[تفسير الفجر وما بعده]

أَمَّا الْفَجْرُ فَمَعْرُوفٌ وَهُوَ الضُّحَى، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عُبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ^(٢). وَعَنْ مَسْرُوقٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: الْمُرَادُ بِهِ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ خَاصَّةً، وَهُوَ خَاتِمَةُ اللَّيَالِي الْعَشْرِ^(٣). وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ الْمُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ^(٤). وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ فِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ»^(٥). رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَشْرَ عَشَرَ الْأَوْسَى، وَالْوَتْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمَ النَّحْرِ»^(٦). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٧)، وَهَذَا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ لَا بَأْسَ بِهِمْ، وَعِنْدِي أَنَّ الْمَثَنَ فِي رَفْعِهِ نَكَارَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ» قَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْوَتْرَ يَوْمَ عَرَفَةَ لِكُونِهِ التَّاسِعِ، وَأَنَّ الشَّفْعَ

يَوْمَ النَّحْرِ لِكُونِهِ الْعَاشِرِ، وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ أَيْضًا^(٨). وَفِي تَفْسِيرِهِمَا أَقْوَالٌ أُخْرَى.

[تفسير الليل]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ إِذَا ذَهَبَ^(٩). وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» حَتَّى يَذْهَبَ بَعْضُهُ بَعْضًا^(١٠). وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ الْعَلَاءِ، وَقَتَادَةُ، وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَابْنِ زَيْدٍ «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» إِذَا سَارَ^(١١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَيَّ جَمْرٍ» أَيُّ لَدَيَّ عَقْلٌ وَلُبٌّ وَحِجَا [وَدِين]، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ جِمْرًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمِنْهُ جِمْرُ الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الطَّائِفَ مِنَ اللَّصُوقِ بِجِدَارِهِ الشَّامِيِّ، وَمِنْهُ جِمْرُ الْبِمَامَةِ، وَحَجَرُ الْحَاكِمِ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّفَ «وَيَقُولُونَ جِمْرًا تَحْجُرُونَا» [الفرقان: ٢٢] كُلُّ هَذَا مِنْ قَبِيلِ وَاحِدٍ، وَمَعْنَى مُتَقَارِبٍ. وَهَذَا الْقَسَمُ هُوَ بِأَوْقَاتِ الْعِبَادَةِ، وَبِنَفْسِ الْعِبَادَةِ مِنْ حَجٍّ وَصَلَاةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرْبِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ عِبَادُهُ الْمُتَّقُونَ الْمُطِيعُونَ لَهُ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ الْمُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ، الْخَاشِعُونَ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

[ذِكْرُ إِهْلَاكِ عَادٍ]

وَلَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ وَعِبَادَتَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ قَالَ بَعْدَهُ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ» وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عَنَاءَ جَبَّارِينَ خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ، مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ جَا حِدِينَ لِكُتْبِهِ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَرَّهُمْ وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ وَعَبْرًا فَقَالَ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ وَهَؤُلَاءِ عَادُ الْأُولَى وَهُمْ وَلَدُ عَادِ بْنِ إِدْرِمَ بْنِ عَوْصِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ^(١٢). وَهُمْ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑧ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا ⑨ فَفَرَقَ الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ تُخَلَّى خَاوِيَةً ⑩ فَهَلْ رَأَى لَهُمْ

(١) النسائي في الكبرى: ٥٥/٦ (٢) الطبري: ٣٩٥/٢٤
والبغوي: ٤٨١/٤ (٣) القرطبي: ٣٩/٢٠ (٤) الطبري: ٢٤/٢٤
٣٩٦ (٥) فتح الباري: ٥٣٠/٢ وأحمد: ٢٢٤/٢ (٦) أحمد:
٣٢٧/٣ (٧) النسائي في الكبرى: ٥١٤/٦ (٨) الطبري: ٢٤/٢٤
٣٩٨، ٣٩٧ (٩) الطبري: ٤٠١/٢٤ حكم العوفي تقدم (١٠)
الطبري: ٤٠١/٢٤ (١١) الطبري: ٤٠١/٢٤ (١٢) الطبري:
٤٠٤/٢٤

وَالسُّدِّيُّ (٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ ❶ فَأَكْرَمُوا فِيهَا
الْفَسَادَ ❷ أَي تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ
وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ ❸ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ❹ أَي أَنْزَلَ
عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ وَأَحْلَلْ بِهِمْ عُقُوبَهُ، لَا يَرُدُّهَا عَنْ
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

[الرَّبُّ بِالْمُرْصَادِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
يَسْمَعُ وَيَرَى (٨) يَعْنِي يَرُصُّدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ وَيُجَارِي كُلًّا
بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَيَعْرِضُ الْخَلَائِقُ كُلَّهُمْ
عَلَيْهِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ وَيُقَابِلُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، وَهُوَ
الْمُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ❶
﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ❷
كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ ❸ وَلَا تَحْشُرُونَ عَلَى طَعَامِهِ
الْيَتِيمِينَ ❹ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا ❺ وَتُخْبِتُونَ أَلْمَالَ
جُمًّا جَمًّا ❻

[الْغَنَى وَالْفَقْرُ اخْتِيَارًا، وَلَيْسَ مِنْ إِكْرَامِ اللَّهِ أَوْ إِهَانَتِهِ
لِلْعَبْدِ]

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيُخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ
اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ❷ سَائِغٌ لَهُمْ فِي
الْغَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ
الْآخِرِ إِذَا ابْتَلَاهُ وَامْتَحَنَهُ وَصَبَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ
ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ ❸ أَي لَيْسَ
الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا وَلَا فِي هَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُصَبِّقُ عَلَى مَنْ
يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
فِي كُلِّ مِنَ الْحَالَيْنِ: إِذَا كَانَ غَنِيًّا بِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ
وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بِأَنْ يُصْبِرَ.

مِنْ بَافِكُو ❶ [الحاقة: ٨٠، ٧] وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فَصَّتْهُمْ فِي الْقُرْآنِ
فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ لِيُعْتَبَرَ بِمَصْرَعِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ؛ زِيَادَةٌ تَعْرِيفٍ بِهِمْ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ
الشَّعْرِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشَّدَادِ وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ
فِي زَمَانِهِمْ خَلْقًا وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَلِهَذَا ذَكَرَهُمْ هُودٌ بِتِلْكَ
النُّعْمَةِ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي
خَلَقَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
[الأعراف: ٦٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ
هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وَقَالَ هَهُنَا: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ
مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾ أَيِ الْقَبِيلَةِ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي بِلَادِهِمْ
لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعَظَمَ تَرْكِيبِهِمْ. قَالَ مُجَاهِدٌ: إِرمَ أُمَّةٌ
قَدِيمَةٌ يَعْنِي عَادًا الْأُولَى. قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ وَالسُّدِّيُّ: إِنَّ
إِرمَ بَيْتٌ مَمْلُوكَةٌ عَادٍ. وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ وَقَوِيٌّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾ أَعَادَ ابْنُ
زَيْدٍ الضَّمِيرَ عَلَى الْعِمَادِ لِإِزْفَاعِهَا. وَقَالَ: بَنَوْا عُمْدًا
بِالْأَحْقَافِ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ (٩). وَأَمَّا قَتَادَةُ وَابْنُ
جَرِيرٍ فَأَعَادَا الضَّمِيرَ عَلَى الْقَبِيلَةِ أَيِ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلُ تِلْكَ
الْقَبِيلَةِ فِي الْبِلَادِ، يَعْنِي فِي زَمَانِهِمْ (١٠). وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ
الصَّوَابُ، وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ لَوْ
كَانَ الْمُرَادُ ذَلِكَ لَقَالَ: الَّتِي لَمْ يُعْمَلْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ،
وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ الْأَصْحَرَ بِالْوَادِ﴾ يَعْنِي يَقْطَمُونَ
الْصَّخْرَ بِالْوَادِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْحُسِرُونَهَا
وَيَخْرِقُونَهَا (١١). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ
زَيْدٍ (١٢) وَمِنْهُ يُقَالُ: «مُجْتَابِي الثَّمَارِ» إِذَا خَرَقُوهَا، وَاجْتَابَ
الثَّوْبَ: إِذَا فَتَحَهُ. وَمِنْهُ الْحَبِيبُ أَيْضًا. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَهَرَبُوهَا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

[ذِكْرُ فِرْعَوْنَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ: الْأَوْدَادُ الْجُنُودُ الَّذِينَ يَسُدُّونَ لَهُ أَمْرَهُ (١٣). وَيُقَالُ:
كَانَ فِرْعَوْنُ يُوتَدُّ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ فِي أَوْدَادٍ مِنْ حَدِيدٍ
يُعَلِّقُهُمْ بِهَا. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ يُوتَدُّ النَّاسُ
بِالْأَوْدَادِ (١٤). وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ

(١) الطبري: ٤٠٦/٢٤ (٢) الطبري: ٤٠٦/٢٤ (٣) الطبري: ٤٠٨/٢٤ (٤) الطبري: ٤٠٨/٢٤ (٥) الطبري: ٤٠٩/٢٤
العوفي من جملة الضعفاء (٦) الطبري: ٤٠٩/٢٤ (٧) الطبري: ٤٠٩/٢٤ (٨) الطبري: ٤١١/٢٤

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿١٥﴾
وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَقْفَةً أَحَدًا ﴿١٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ أَرْجَى
إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّثْمِنَةً ﴿١٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿١٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾
يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بِلَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْنَحُمُ الْعَاقِبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَاقِبَةُ ﴿١٢﴾
فَكَ رَفِيعَةً ﴿١٣﴾ أَوْ اطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ مَرِذَىٰ مَسْجُوعَةٍ ﴿١٤﴾ يَلِيْسَ مَا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾
أَوْ مَسْكِنًا ذَا مَرْتَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بَيْنَانَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْبَلَدِ

الْإِنْسَانُ ﴿١﴾ أَيَّ عَمَلِهِ وَمَا كَانَ أَسْلَفَهُ فِي قَدِيمِ دَهْرِهِ وَحَدِيثِهِ
﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى﴾ أَيَّ وَكَيْفَ تَتَفَعُّهُ الذِّكْرَى ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي
قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يَعْنِي يَتَذَمَّرُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ
الْمَعَاصِي إِنْ كَانَ عَاصِيًا وَيَتَذَمَّرُ لَوْ كَانَ أَرْزَادًا مِنَ الطَّاعَاتِ
إِنْ كَانَ طَائِعًا، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مُحَمَّدِ
ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
قَالَ: «لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمٍ وَلَدَ إِلَى أَنْ
يَمُوتَ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ دَأَّ أَنْهُ رَدَّ
إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ» (٥).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ أَيَّ لَيْسَ
أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعَذِّبِ اللَّهِ مِنْ عَصَاةٍ ﴿وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَقْفَةً أَحَدًا﴾ أَيَّ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا وَوَقْفًا مِنَ الزَّبَانِيَةِ لِمَنْ كَفَرَ
بِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا فِي حَقِّ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ

[مِنْ شَرِّ مَا يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ فِي الْمَالِ]

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ». وَقَرَنَ
بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ (١). ﴿وَلَا تَحْشُرُوا
عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ يَعْنِي لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ وَيَحْتَبِطُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ ﴿وَتَأْكُلُونَ
الثَّرَاتِ﴾ يَعْنِي الْوِثَارَ ﴿أَكَلًا لَمًّا﴾ أَيَّ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ
حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ ﴿وَتَحْجُبُونَ أَلْمَالَ حُبًّا
جَمًّا﴾ أَيَّ كَثِيرًا، زَادَ بَعْضُهُمْ فَاجِشًا.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا
صَفًّا ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
الذِّكْرَى﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ
أَحَدًا﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَقْفَةً أَحَدًا ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾
أَرْجَى إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّثْمِنَةً ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي﴾ وَأَدْخُلِي
جَنَّتِي ﴿٢٠﴾

[يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى كُلُّ بِمَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ]
يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ،
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا﴾ أَيَّ حَقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا﴾
أَيَّ وَطُئَتْ وَمُهْدَتْ وَسُوِّيَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَقَامَ
الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يَعْنِي لِفَضْلِ
الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا يَسْتَشْفَعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِ وَلَدِ
آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - بَعْدَمَا
يَسْأَلُونَ أُولَى الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ
يَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَاكُمْ حَتَّى تَنْتَهِيَ النُّوْبَةُ إِلَى
مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»: فَيَذْهَبُ فَيُشْفَعُ عِنْدَ
اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ، فَيُشْفَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
ذَلِكَ (٢).

وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ كَمَا تَقَدَّمَ
بَيَانُهُ فِي سُورَةِ شُبْحَانَ، فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِفَضْلِ
الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا
صُفُوفًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ
ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ
زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُوتُهَا» (٣). وَهَكَذَا
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

(١) أبو داود: ٣٥٦/٥ (٢) أحمد: ٢٨٢/١ (٣) مسلم: ٤/٢١٨٤
(٤) تحفة الأحوذى: ٢٩٤/٧ (٥) أحمد: ١٨٥/٤

وَسَجَرُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ، وَإِنَّمَا أَجَلْتُ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، أَلَا فَلْيَتْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(٦). وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذُنْ لَكُمْ»^(٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَخُصَيْفٌ وَشُرْحُبِيلُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمْ: يُعْنِي بِالْوَالِدِ: آدَمَ. وَمَا وَلَدَ: وَلَدَهُ^(٨). وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَأَصْحَابُهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لِمَا أَقْسَمَ بِأَمِّ الْقُرَى وَهِيَ الْمَسَاكِينُ أَقْسَمَ بَعْدَهُ بِالسَّائِكِينَ وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ وَلَدَهُ. وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَدُرَّتِيَّةُ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٩) وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَلَدِهِ. وَهُوَ مُحْتَمِلٌ أَيْضًا^(١٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ وَ[ابْنُ] جُرَيْجٍ وَعَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي كَبَدٍ قَالَ: فِي شِدَّةٍ خَلَقَنِي، أَلَمْ تَرَ إِلَيْهِ... وَذَكَرَ مَوْلَدَهُ وَنَبَاتِ أَسْنَانِهِ^(١١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ «فِي كَبَدٍ» نُطْفَةٍ ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» [الاحقاف: ١٥] وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا وَمَعِيشَتُهُ كُرْهٌ فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» فِي شِدَّةٍ وَطَلَبٍ مَعِيشَةٍ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: فِي شِدَّةٍ وَطُولٍ^(١٢). وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي مَشَقَّةٍ^(١٣). وَغَنِ الْحَسَنِ يُكَابِدُ مَضَائِقَ الدُّنْيَا وَشِدَائِدَ الْآخِرَةِ.

[الْإِنْسَانُ مُحَاطٌ بِاللَّهِ وَبِنِعْمَاتِهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يُعْنِي «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» يَأْخُذُ

وَالظَّالِمِينَ. فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وَهِيَ السَّائِكَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ فَيَقَالُ لَهَا: «يَأْتِيْنَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ»^(٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ أَيُّ إِلَى جَوَارِهِ وَتَوَاتِيهِ، وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ «رَاضِيَةً» أَيُّ فِي نَفْسِهَا «مَرْضِيَّةٌ» أَيُّ قَدْ رَضِيتَ عَنْ اللَّهِ وَرَضِيَتْ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا «فَادْخُلِي فِي عِبْدِي» أَيُّ فِي جُمْلَتِهِمْ «وَادْخُلِي جَنَّتِي» وَهَذَا يَقَالُ لَهَا عِنْدَ الْأَخْتِصَارِ وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْضًا. كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اخْتِصَارِهِ، وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، فَكَذَلِكَ هَهُنَا.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَأْتِيْنَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ»^(٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً قَالَ: نَزَلَتْ وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذَا؟ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُ سَمِعَالَ لَكَ هَذَا»^(١). آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَلَدِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
«لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ»^(١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ»^(٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»^(٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ»^(٤) أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ»^(٥) يَقُولُ أَهْلُكَ مَا لَا بُدَّ»^(٦) أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ»^(٧) أَلَوْ تَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ»^(٨) وَلِسَانًا وَسُفْيَانُ»^(٩) وَهَذِيئَةُ التَّجَدُّدِ»^(١٠) [الْقَسَمُ بِحُرْمَةِ مَكَّةَ عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي مَشَقَّةٍ]

هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَكَّةَ أُمِّ الْقُرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّائِكِينَ فِيهَا حَلَالًا لِيُبَيِّنَ عَلَى عَظَمَةِ قَدَرِهَا فِي حَالِ إِحْرَامِ أَهْلِهَا. قَالَ خُصَيْفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ «لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ»^(١) «لَا» رَدٌّ عَلَيْهِمْ «أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ»^(٢). وَقَالَ شَيْبٌ ابْنُ بَشَرَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» يُعْنِي مَكَّةَ «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» قَالَ: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِهِ^(٣). وَكَذَا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَبِي صَالِحٍ، وَعَطِيَّةُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ زَيْدٍ^(٤). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ^(٥). وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَدَّ بِهِ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْصَدُ

(١) ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة: الدر المنثور: ٥١٣/٨ (٢) الدر المنثور: ٥١٧/٨ (٣) القرطبي: ٢٠/٦٠ والدر المنثور: ٥١٨/٨ (٤) القرطبي: ٢٠/٦٠ والدر المنثور: ٥١٨/٨ (٥) الدر المنثور: ٥١٨/٨ (٦) فتح الباري: ٥٦/٤ (٧) فتح الباري: ٢٣٨/١ (٨) القرطبي: ٢٠/٦١ والدر المنثور: ٥١٩/٨ والطبري: ٤٣٢/٢٤ (٩) الطبري: ٤٣٣/٢٤ (١٠) الطبري: ٤٣٣/٢٤ (١١) الطبري: ٤٣٤/٢٤ (١٢) الدر المنثور: ٥٢٠/٨ (١٣) الطبري: ٢٤/٤٣٣

مِنْ طَرَفٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ بِهِ^(٧).
 رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، قَالَ
 السُّلَمِيُّ: قُلْتُ لَهُ: حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 لَيْسَ فِيهِ انْتِقَاصٌ وَلَا وَهْمٌ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ وَلَدَ
 لَهُ ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْجَنَّةَ
 أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْئَةً فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ بَلَغَ بِهِ الْعُدُوَّ أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ كَانَ لَهُ عَتَقٌ رَقَبَةٍ،
 وَمَنْ أَغْتَقَ رَقَبَةً مُؤِمَّةً أَغْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ غُضُو مِنْهُ غُضُوًّا مِنْهُ
 مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ
 أَبْوَابٍ يُدْخِلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا»^(٨). [وَرَوَى مِنْ
 طَرَفٍ] وَهَذِهِ أَسَانِيدُ حَبِذَةٍ قَوِيَّةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: ذِي مَجَاعَةٍ^(٩). وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ
 وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ^(١٠). وَالسَّغْبُ هُوَ الْجُوعُ.
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتِمًّا﴾ أَيُّ أَطْعَمَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِمًّا
 «ذَا مَرَبَّةٍ» أَيُّ ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ
 وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ^(١١). كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ
 الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمُسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى
 ذِي الرَّجَمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ»^(١٢). وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
 وَالنَّسَائِيُّ^(١٣). وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ
 مِسْكِينًا ذَا مَرْبَةٍ﴾ أَيُّ فَقِيرًا مُذْقِعًا لَأَصِقًا بِالثَّرَابِ، وَهُوَ
 الدَّفْعَاءُ أَيْضًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَا مَرْبَةٍ هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي
 الطَّرِيقِ الَّذِي لَا بَيْتَ لَهُ وَلَا شَيْءَ يَبْقِيهِ مِنَ الثَّرَابِ^(١٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَيُّ ثُمَّ هُوَ مَعَ
 هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ الطَّاهِرَةِ مُؤْمِنٌ بِقَلْبِهِ مُحْتَسِبٌ ثَوَابَ
 ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ

مَالَهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَغْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قَالَ: ابْنُ
 آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُسْأَلَ عَنْ هَذَا الْمَالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَأَيْنَ
 أَنْفَقَهُ^(١٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أَيُّ يَقُولُ
 ابْنُ آدَمَ أَنْفَقْتُ مَالًا لُبَدًا أَيْ كَثِيرًا. قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ
 وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُهُمْ^(١٦). ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ
 مُجَاهِدٌ: أَيُّ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَذَا قَالَ
 غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ﴾ أَيُّ
 يُبْصِرُ بِهِمَا ﴿وَلِسَانًا﴾ أَيُّ يَنْطِقُ بِهِ فَيَعْبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ
 ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْكَلَامِ، وَأَكْلِ الطَّعَامِ،
 وَجَمَالًا لِيُوجِهُهُ وَفَمِهِ.

[الْتَمِيزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ نِعْمَةً]

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ الطَّرِيقَيْنِ. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ
 عَاصِمٍ عَنْ زُرَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﴿وَهَدَيْنَاهُ
 النَّجْدَيْنِ﴾ قَالَ: الْخَيْرُ وَالشَّرُّ^(١٧). وَكَذَا رَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ
 عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي وَائِلٍ وَأَبِي صَالِحٍ، وَمُحَمَّدُ
 ابْنُ كَعْبٍ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ فِي آخَرِينَ^(١٨).
 وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
 أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
 شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا] [الإنسان: ٢، ٣].

﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾^(١٩) أَوْ
 إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿يَتِمًّا ذَا مَرْبَةٍ﴾^(٢٠) أَوْ مِسْكِينًا ذَا
 مَرْبَةٍ^(٢١) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا
 بِالرَّحْمَةِ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ﴾^(٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَابِسُوا هُمْ
 أَصْحَابُ النَّارِ^(٢٣) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَسَّدَةٌ^(٢٤).

[الْحَضُّ عَلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ]

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ﴾ أَيُّ أَفْلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ
 الَّتِي فِيهَا النِّجَاةُ وَالْخَيْرُ ثُمَّ يَتَّيْنَهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ
 مَا الْعَقَبَةُ﴾^(٢٥) فَكَ رَقَبَةً^(٢٦) أَوْ إِطْعَمٌ^(٢٧). رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ
 عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْجَانَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَغْتَقَ رَقَبَةً مُؤِمَّةً أَغْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ إِرْبٍ - أَيُّ
 غُضُو - مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُعْتِقُ بِأَلْيَدِ الْيَدِ،
 وَبِالرَّجْلِ الرَّجْلَ، وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ». فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ
 الْحُسَيْنِ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ:
 نَعَمْ. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لِعِلَامٍ لَهُ أَفْرَهُ غِلْمَانِهِ: أَدْعُ
 مُطَرِّفًا، فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: أَذْهَبَ فَأَنْتَ حُرٌّ لِيُوجِهُ
 اللَّهُ^(٢٨). وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

(١) الطبري: ٤٣٦/٢٤ (٢) الطبري: ٤٣٦/٢٤ (٣) الطبري: ٤٣٧/٢٤ (٤) الطبري: ٤٣٧/٢٤ (٥) الطبري: ٤٤٠/٢٤ (٦) أحمد: ٤٢٢/٢ (٧) فتح الباري: ١٧٤/٥ و ٦٠٧/١١ ومسلم: ١١٤٧/٢ وتحفة الأحوذى: ١٤٤/٥ والنسائي في الكبرى: ١٦٨/٣ (٨) أحمد: ٣٨٦/٤ (٩) الطبري: ٤٤٢/٢٤ (١٠) الطبري: ٤٤٢/٢٤ (١١) الدر المنثور: ٥٢٥/٨ (١٢) أحمد: ٢١٤/٤ (١٣) تحفة الأحوذى: ٣٢٤/٣ والنسائي: ٩٢/٥ (١٤) الطبري: ٤٤٤/٢٤

سُورَةُ الشَّمْسِ

٥٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَنُجْمَتُهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ⑥
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَبَتْ ثَمُودُ
بِطَعُونِهَا ⑪ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَغَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮

سُورَةُ الْيَلِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
إِنْ سَعَيْكُمْ لَاشِقَى ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
فَسَنِيْعُهُم لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ يَحْتَلْ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨
فَسَنِيْعُهُم لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنْ عَلَيْنَا
لِلْهُدَى ⑫ وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭

[قَسَمَ اللَّهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ عَلَى فَلَاحٍ مَنْ رَزَقَى نَفْسَهُ وَخَبِيْةٍ
مَنْ دَسَّاهَا]

قَالَ مُجَاهِدٌ: «وَالشَّمْسُ وَنُجْمَتُهَا» أَيْ وَضُوءُهَا ⑧. وَقَالَ
قَتَادَةُ: «وَنُجْمَتُهَا» أَلْهَارُ كُلِّهَا ⑨. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ
أَنْ يُقَالَ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا، لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ
الظَّاهِرُ هُوَ النَّهَارُ «وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا» قَالَ مُجَاهِدٌ:
تَبِعَهَا ⑩. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا»
قَالَ: يَتْلُو النَّهَارُ ⑪. وَقَالَ قَتَادَةُ: «إِذَا تَلَّهَا» لَيْلَةُ
الْهَلَالِ: إِذَا سَقَطَتِ الشَّمْسُ رُؤْيَى الْهَلَالِ ⑫. وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: «وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا» قَالَ مُجَاهِدٌ: أَضَاءَ ⑬.

(١) أبو داود: ٢٣١/٥ (٢) مسلم: ١٨٠٩/٤ (٣) أبو داود:
٢٣٢/٥ (٤) الطبري: ٤٤٧/٢٤ والدر المنثور: ٥٢٦/٨ (٥)
الدر المنثور: ٥٢٦/٨ (*) أو حائط والله أعلم (٦) الطبري:
٤٤٧/٢٤ (٧) فتح الباري: ٢٣٤/٢ ومسلم: ٣٤٠/١ (٨)
الطبري: ٤٥١/٢٤ (٩) الطبري: ٤٥١/٢٤ (١٠) الطبري:
٤٥٢/٢٤ (١١) الطبري: ٤٥٢/٢٤ ضعيف (١٢) الطبري:
٤٥٢/٢٤ ضعيف (١٣) الطبري: ٥٢٩/٢٤

وَسَعَى لَهَا سَعِيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيَهُمْ مَشْكُورًا
[الإسراء: ١٩] وَقَالَ تَعَالَى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ»... آيَةُ [النحل: ٩٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
«وَتَوَّصَّوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَّوْاْ بِالرَّحْمَةِ» أَيْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
الْعَامِلِينَ صَالِحًا، الْمُتَوَّصِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ
وَعَلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الرَّاحِمُونَ
يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُواْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ
فِي السَّمَاءِ» ①. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا
يَرْحَمُ النَّاسَ» ②. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
يُرويه قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ
مِنَّا» ③. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «أُولَئِكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا» أَيْ الْمُتَصِفُونَ
بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

[أَصْحَابُ الْمَشْئِمَةِ وَجَزَاؤُهُمْ]

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَأْتِيَانَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئِمَةِ» أَيْ
أَصْحَابُ الشَّمَالِ «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ» أَيْ مُطَبَّقَةٌ عَلَيْهِمْ فَلَا
مَجِيدَ لَهُمْ عَنْهَا وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ
عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ
الْقُرْطُبِيُّ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ:
«مُؤَصَّدَةٌ» أَيْ مُطَبَّقَةٌ ④. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُغْلَقَةٌ
الْأَبْوَابُ ⑤. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «مُؤَصَّدَةٌ» حِيطٌ ⑥ لَا بَابَ
لَهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: «مُؤَصَّدَةٌ» مُطَبَّقَةٌ فَلَا ضَوْءَ فِيهَا وَلَا فَرَجَ،
وَلَا خُرُوجَ مِنْهَا آخِرَ الْأَبَدِ ⑦.
آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَلَدِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الشَّمْسِ وَضَحَاهَا وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[قِرَاءَةُ وَالشَّمْسِ وَضَحَاهَا فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ]

تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَابِرِ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِ (سَجِّ) أَسْرَ رَبِّكَ الْآخِلَى»،
«وَالشَّمْسُ وَنُجْمَتُهَا» «وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى» ①؟ ②.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَالشَّمْسُ وَنُجْمَتُهَا» ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ⑥
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩

قَالَ: فَفَزَعْتُ مِنْهُ فَرَعًا شَدِيدًا. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ خَلَقَهُ وَمِلْكُ يَدِهِ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، قَالَ: سَدَّدَكَ اللَّهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُكَ لِأَخْبَرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةٍ أَوْ جُهَيْنَةٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ فِيهِ وَيَتَكَادَحُونَ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَمْ شَيْءٌ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيَّهُمْ ﷺ وَأَكَّدْتُ بِهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ». قَالَ: فَفِيمَ نَعْمَلُ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ لِإِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئَهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ فَالْمَهْمَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا» ٨. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ ٩.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ١٠ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١١ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ أَيْ بِطَاعَةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ. وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ وَالرَّذَائِلِ. وَيُرْوَى نَحْوُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعِكْرَمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أَيْ دَسَّاهَا أَيْ أَخْصَلَهَا وَوَضَعَ مِنْهَا، بِخِلَافِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَى حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِي، وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ. كَمَا قَالَ الْعَوْفِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ١٢. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ فَالْمَهْمَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ وَقَفَّ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، وَخَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا» ٩.

(حَدِيثٌ آخَرُ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ. اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ

وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ إِنَّهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ يَعْنِي إِذَا يَغْشَى الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ فَتُظْلِمُ الْأَفَاقُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» هَهُنَا مَصْدَرِيَّةٌ بِمَعْنَى السَّمَاءِ وَبَيْنَاهَا، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى «مَنْ» يَعْنِي السَّمَاءَ وَبَيْنَاهَا. وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ ١٠. وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ وَ«الْبِنَاءُ» هُوَ الرُّفْعُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ﴾ - أَيْ بِقُوَّةٍ - ﴿وَلَنَا لِمُوسَى﴾ ١١ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ١٢ [الذاريات: ٤٧، ٤٨] وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: طَحَّاهَا دَحَّاهَا ١٣. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا لَهَا﴾ أَيْ خَلَقَ فِيهَا ١٤. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: طَحَّاهَا: قَسَّمَهَا ١٥. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَأَبُو صَالِحٍ وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿لَهَا﴾ بَسَطَهَا ١٦.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ أَيْ خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِيَّةٌ أَوْ يُنَصْرَانِيَّةٌ أَوْ يُمَجْسَانِيَّةٌ، كَمَا تَوَلَّدَ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْشُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» أَخْرَجَاهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ١٧. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُفَاءً، فَجَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» ١٨.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمَهْمَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أَيْ فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا، أَيْ: بَيَّنَّ ذَلِكَ لَهَا وَهَدَّاهَا إِلَى مَا قَدَّرَ لَهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿فَالْمَهْمَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بَيَّنَّ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ١٩. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَالثَّوْرِيُّ ٢٠. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَلْمَهْمَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ فِيهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٢١. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّلِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ فِيهِ وَيَتَكَادَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيَّهُمْ ﷺ وَأَكَّدْتُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ؟ قُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ ظُلْمًا؟

(١) الطبري: ٥٣/٢٤ (٢) الطبري: ٥٤/٢٤ (٣) الطبري: ٥٤/٢٤ (٤) الطبري: ٥٤/٢٤ (٥) الطبري: ٥٤/٢٤ (٦) فتح الباري: ٢٩٠/٣ (٧) مسلم: ٢٠٤٨/٤ (٨) الطبري: ٢٤/٢٤ (٩) الطبري: ٥٥/٢٤ (١٠) الطبري: ٥٥/٢٤ (١١) الطبري: ٥٥/٢٤ (١٢) أحمد: ٤٣٨/٤ (١٣) الطبري: ٥٥/٢٤ (١٤) الطبراني: ١٠٦/١١

وَلِيَّهَا وَمَوْلَاَهَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّقُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا». قَالَ زَيْدٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُهَا هُنَّ وَنَحْنُ نَعْلَمُكُمُوهُنَّ^(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢).

وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَزِيُّ وَغَيْرُهُمْ^(٨).
أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الشَّمْسِ وَضَحَاهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ اللَّيْلِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[قِرَاءَةُ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ فِي الْعِشَاءِ]

تَقَدَّمَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمُعَاذٍ: «فَهَلَّا صَلَّيْتَ بِسَجِّ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى» ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾^(٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣)
إِنْ سَعَيْكَ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)
فَسَيَسِّرُ الْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)
فَسَيَسِّرُ الْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١)

[الْقَسَمُ عَلَى اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي سَعْيِهِمْ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى اخْتِلَافِ نَتَائِجِ ذَلِكَ]

أَقْسَمَ تَعَالَى بِـ ﴿اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أَيَّ إِذَا غَشِيَ الْخَلِيقَةَ بِظُلَامِهِ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أَيَّ بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النساء: ٨] وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

[الذاريات: ٤٩] وَلَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ

كَانَ الْمَقْسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا سَعَيْكَ لَشَتَّى﴾ أَيَّ أَعْمَالِ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا

وَمُتَخَالِفَةٌ، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أَيَّ أَمْرٍ بِإِخْرَاجِهِ

وَإِتَّقَى اللَّهُ فِي أُمُورِهِ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أَيَّ بِالْمُجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ. قَالَه قَتَادَةُ^(١٠). وَقَالَ خُصَيْفٌ: بِالنُّوَابِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَيَسِّرُ الْيُسْرَى﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْني

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوِيهَا﴾ (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَفَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَفَوَّسَهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

[تَكْذِيبُ ثُمُودَ وَإِهْلَاكُهُمْ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ثُمُودَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْبُغْيِ. قَالَه مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا^(٣). فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ تَكْذِيبًا فِي قُلُوبِهِمْ بِمَا جَاءَهُ بِهِ رَسُولُهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْهُدَى وَالْيَقِينِ ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أَيَّ أَشَقَى الْقَبِيلَةِ وَهُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أَحْيَرُ ثُمُودَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَمَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] الْآيَةُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَزِيزًا فِيهِمْ شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّاقَةَ وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا فَقَالَ: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾... انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ^(٤). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَمُسْلِمٌ فِي صِفَةِ النَّارِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا^(٥).

[قِصَّةُ نَاقَةِ صَالِحٍ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يَعْني صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أَيَّ اخْذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ أَنْ تَمْشَوْهَا بِسُوءِ ﴿وَسُقْيَاهَا﴾ أَيَّ لَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا فَإِنَّ لَهَا شَرْبَ يَوْمٍ وَلَكُمْ شَرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَفَقَرُوهَا﴾ أَيَّ كَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنَ الصَّخْرَةِ آيَةً لَهُمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَيَّ غَضِبَ عَلَيْهِمْ فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ ﴿فَفَوَّسَهَا﴾ أَيَّ فَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ نَارًا لَهَا عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ. قَالَ قَتَادَةُ: بَلَّغْنَا أَنَّ أَحْيَرَ ثُمُودَ لَمْ يَعْقِرِ النَّاقَةَ حَتَّى تَابِعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَذَكَرَهُمْ وَأَنْثَاهُمْ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْمُ فِي عَقْرِهَا دَمْدَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا^(٦). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ وَثُرِيءٌ: (فَلَا يَخَافُ). ﴿عُقْبَاهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَهُ^(٧).

(١) أحمد: ٣٧١/٤ (٢) مسلم: ٢٠٨٨/٤ (٣) الطبري: ٢٤/٤٥٨

(٤) أحمد: ١٧/٤ (٥) فتح الباري: ٥٧٥/٨ ومسلم: ٢١٩١/٤ وتحفة الأحوذني: ٢٦٨/٩ والنسائي في الكبرى: ٦/٥١٥

(٦) الطبري: ٤٦٠/٢٤ (٧) الطبري: ٤١٦/٢٤ (٨) الطبري: ٤٦١/٢٤ (٩) فتح الباري: ٢٣٤/٢ ومسلم: ١/٣٤٠

(١٠) الطبري: ٤٧٠/٢٤

(حَدِيثٌ آخَرُ مِنْ رِوَايَةِ جَابِرٍ) رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْمَلُ لِأَمْرٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ أَوْ لِأَمْرٍ نَسْتَأْذِنُهُ؟ فَقَالَ: «لِأَمْرٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ» فَقَالَ شِرَاقَةُ: فَيَمِيزُ الْعَمَلُ إِذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»^(٨). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٩).

رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعْتِقُ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يُعْتِقُ عَجَائِزَ وَنِسَاءً إِذَا أَسْلَمْنَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَيُّ بَنِي أَرَاكَ تُعْتِقُ أَنْاسًا ضَعَفَاءَ فَلَوْ أَنَّكَ تُعْتِقُ رَجُلًا جُلْدَاءَ يَقُومُونَ مَعَكَ وَيَمْنَعُونَكَ وَيَدْفَعُونَ عَنْكَ. فَقَالَ: أَيُّ أَبْتٍ إِنَّمَا أُرِيدُ - أَظُنُّهُ قَالَ - مَا عِنْدَ اللَّهِ. قَالَ: فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ فِيهِ: «وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى»^(٥) وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِ^(٦) فَسَيِّئُهُ لِلْمُسْرَى^(٧)^(١٠).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيُّ إِذَا مَاتَ^(١١). وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ^(١٢).

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾^(٧) وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْقَى﴾^(٨) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٩) وَسَيِّئَاتُهَا آلَتْفَى ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(١٠) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾^(١١) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٧﴾^(١٢)

[الْهُدَى وَغَيْرُهُ بِيَدِ اللَّهِ]

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أَيُّ نُبَيِّنُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ^(١٣). وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْهُدَى وَصَلَ إِلَى اللَّهِ وَجَعَلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» [النحل: ٩] حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(١٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أَيُّ الْجَمِيعِ مِلْكُنَا وَأَنَا الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا وَقَوْلُهُ

لِلْخَيْرِ^(١). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ» أَيُّ بِمَا عِنْدَهُ ﴿وَاسْتَقْنَى﴾ قَالَ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ بَخِلَ بِمَالِهِ وَاسْتَعْنَى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ. ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ﴾ أَيُّ بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿فَسَيِّئُهُ لِلْمُسْرَى﴾ أَيُّ لِيَطْرُقَ الشَّرُّ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَتَقَلَّبَ أَقْبَسَهُمْ وَأَصْرَهُمْ كَمَا لَمْ يَوْمُوا بِهِ» أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْهَوْنَ ﴿[الأنعام: ١١٠] وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ لَهُ، وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخُذْلَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَقْدِرُ مُقَدِّرٌ وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

(رِوَايَةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِعَ مِنْهُ أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ؟ قَالَ: «بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِعَ مِنْهُ» قَالَ: فَيَمِيزُ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(٣).

(رِوَايَةُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي حِجَارَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْفَةِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَتَكَسَّ، فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ - أَوْ مَا مِنْ نَفْسٍ مُتَوَسِّسَةٍ - إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ الشَّقَاءِ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَسِيرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيَسِيرُونَ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾^(٥) وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِ^(٦) فَسَيِّئُهُ لِلْمُسْرَى^(٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَقْنَى^(٨) وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ^(٩) فَسَيِّئُهُ لِلْمُسْرَى^(١٠)»^(٤) وَقَدْ أَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ^(٥).

(رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ عَمْرٌو: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ أَفِي أَمْرٍ قَدْ فُرِعَ أَوْ مُبْتَدَأٌ أَوْ مُتَبَعٌ؟ قَالَ: «فِيمَا قَدْ فُرِعَ مِنْهُ، فَأَعْمَلُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنَّ كُلَّ مُيَسَّرٍ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلْسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ»^(٦). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْقَدَرِ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٧).

(١) الدر المنثور: ٥٣٥/٨ (٢) الطبري: ٤٧٢/٢٤ (٣) أحمد: ٥/١ إسناده ضعيف لإبهام الرجل البصري لكن يشهد له ما بعده (٤) فتح الباري: ٥٧٩/٨ (٥) مسلم: ٢٠٣٩، ٢٠٤٠ وأبو داود: ٦٨/٥ وتحفة الأحوذى: ٣٤٠/٦ و ٢٧٠/٩ والنسائي في الكبرى: ٥١٦/٦، ٥١٧ وابن ماجه: ٣٠/١ (٦) أحمد: ٥٢/٢ (٧) تحفة الأحوذى: ٣٣٩/٦ (٨) الطبري: ٤٧٥/٢٤ (٩) مسلم: ٢٠٤١/٤ (١٠) الطبري: ٤٧٣/٢٤ إسناده ضعيف منقطع عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبي بكر مرسل بينهما مائة عام وابن إسحاق مدلس ولم يصرح (١١) الطبري: ٤٧٦/٢٤ (١٢) الطبري: ٤٧٦/٢٤ والقرطبي: ٨٥/٢٠ (١٣) الطبري: ٢٤/٤٧٧ (١٤) الطبري: ٤٧٧/٢٤

سُورَةُ الضُّحَىٰ

٥٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَصْلَهُهُ إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسِيئَ جَبِينِهِ
الَّذِي لَا يُوَفِّي مَالَهُ يَتْرَكِي (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى (٣)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ (٩)
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

﴿وَسِيئَ جَبِينِهِ﴾ (١٥) الَّذِي يُؤْفِي مَالَهُ يَتْرَكِي (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) وَلَكِنَّهُ مُتْعِدُّ الْأُمَّةِ وَسَائِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ
الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًّا
كَرِيمًا جَوَادًا بَذَالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ وَنُصْرَةِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمٍ وَدَنَائِيرٍ بَدَّلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِثَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ
يُكَافَأَ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ
وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ
وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ يَوْمَ صَلُحِ الْحُدَيْبِيَّةِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ لَكَ
عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ. وَكَانَ الصَّدِيقُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ
فِي الْمَقَالَةِ، فَإِنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَرُؤَسَاءِ
الْقَبَائِلِ فَكَيْفَ يَمُنُّ عَدَاؤُهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ
عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ

تَعَالَى: ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلْقَى﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيُّ تَوْهَجٍ (١).
رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ
ابْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ
يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ» حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ
لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَبِيبَةٌ كَانَتْ
عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رَجُلَيْهِ (٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي
إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ وَيَقُولُ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ تَوْضَعُ فِي أَحْصَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي
مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» (٣). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤).

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا مِنْ
لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي
الْمَرْجُلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ
عَذَابًا» (٥). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَصْلَهُهُ إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أَيُّ لَا
يَدْخُلُهَا دُخُولًا يَحِيطُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ إِلَّا الْأَشْقَى ثُمَّ
فَسَّرَهُ فَقَالَ: ﴿الَّذِي كَذَبَ﴾ أَيُّ بِقَلْبِهِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَيُّ عَنِ
الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ وَأَرْكَانِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبَى»
قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ
الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (٦). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِيئَ جَبِينِهِ﴾ (١٥) أَيُّ وَسَيَّرَ خُزْجَ عَنْ
النَّارِ النَّفْيِ النَّفْيِ الْأَتَقَى ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُؤْفِي مَالَهُ
يَتْرَكِي﴾ أَيُّ يَصْرِفُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ لِيُزَكِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَمَا
وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أَيُّ
لَيْسَ بِذَلِكَ مَالَهُ فِي مَكْفَأَةٍ مِنْ أَسَدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، فَهُوَ
يُعْطِي فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ
الْأَعْلَى﴾ أَيُّ طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ رُؤْيُهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ
فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أَيُّ
وَلَسَوْفَ يَرْضَى مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

[سَبَبُ التَّزْوِيلِ وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ]

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ
فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى
الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا
وَأُولَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا فَإِنَّ لَفْظَهَا الْعُمُومُ. وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) الطبري: ٤٧٧/٢٤ (٢) أحمد: ٢٧٢/٤ (٣) أحمد: ٤/

٢٧٤ (٤) فتح الباري: ٤٢٤/١١ (٥) مسلم: ١٩٦/١ (٦)

أحمد: ٣٦١/٢ (٧) فتح الباري: ٢٦٣/١٣

وَالْفَرَمَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الأنعام: ٩٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أَيُّ مَا تَرَكَكَ ﴿وَمَا قَلَّ﴾ أَيُّ وَمَا أَبْغَضَكَ.

[الْآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى]

﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أَيُّ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ هَذِهِ الدَّارِ، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَأَعْظَمَهُمْ لَهَا اطِّرَاحًا، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَكَمَا خَيْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بَيْنَ الْخُلْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الصَّبْرَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَرٌ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ جَعَلَ أَمْسَحَ جَنْبَهُ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَذْنَتُنَا حَتَّى تَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَايِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^(٦). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ مِنْ حَدِيثِ الْمَسْعُودِيِّ بِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٧).

[نِعْمَ الْآخِرَةُ الْكَثِيرَةُ تَنْتَظِرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضًا﴾ أَيُّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يُعْطِيهِ حَتَّى يُرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَفِيمَا أَعَدَّهُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكُوْثَرِ الَّذِي حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُ الْمُجَوَّفِ، وَطِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ كَمَا سَبَّأَنِي. وَرَوَى الْإِمَامُ أَبُو عُمَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: عَرَضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هُوَ مَفْتُوحٌ عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَنْزًا كَنْزًا فَسَّرَ بِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضًا﴾ فَأَعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ أَلْفِ قَصْرٍ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يُبْغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِهِ^(٨). وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ،

رَضِيَ ﷺ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَتْهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْهَا ضَرُورَةٌ فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(١).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ اللَّيْلِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثْنُ.

تفسير سورة الضحى وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضًا (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

[سَبَبُ نَزُولِ سُورَةِ الضُّحَى]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جُنْدَبٍ قَالَ: اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَشْفُ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتْ: أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ! مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣). رَوَاهُ الْخَارِجِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ^(٣) عَنْ جُنْدَبٍ، هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِّي، ثُمَّ الْعَلَقِيُّ، بِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ سَمِعَ جُنْدَبًا قَالَ: أَبْطَأَ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٤).

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنُ أَبْطَأَ عَنْهُ جَبْرِيلُ أَيَّامًا فَتَغَيَّرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَّاهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (٥). وَهَذَا قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالضُّحَى وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الضِّيَاءِ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ أَيُّ سَكَنَ فَأَظْلَمَ وَادْلَهَمَ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالصَّحَّاحُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ. وَذَلِكَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَى﴾ (١١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْقُلُوبُ أَصْبَاحُ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ

(١) فتح الباري: ٢٣/٧ ومسلم: ٧١٢/٢ (٢) أحمد: ٤/٣١٢

(٣) فتح الباري: ١١/٣ و٥٨١، ٥٨٠، ٥٨١ و٦١٩ ومسلم: ١٤٢١/٣، ١٤٢٢ وتحفة الأحوذى: ٢٧٢/٩ والنسائي في

الكبرى: ٥١٧/٦ والطبري: ٤٨٥/٢٤، ٤٨٦ (٤) الطبري: ٤٨٦/٢٤ (٥) الطبري: ٤٨٤/٢٤ والقرطبي: ٩١/٢٠ (٦)

أحمد: ٣٩١/١ تحفة الأحوذى: ٤٨/٧ وابن ماجه: ٢/١٣٧٦

(٨) الطبري: ٤٨٧/٢٤

وَمِثْلُ هَذَا مَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ.

[ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى يُعَدِّدُ نِعَمَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيمًا فَتَاوًى﴾ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوْفِّيَ وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ تُوْفِيَتْ أُمُّهُ أَمِينُهُ بِنْتُ وَهَبٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي كِفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى أَنْ تُوْفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمَرِ ثَمَانُ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عُمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ وَيَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ، وَيُوقِرُهُ وَيَكْفُ عَنْهُ أَدَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنْ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ. هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ إِلَى أَنْ تُوْفِّيَ أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وَجُهَالُهُمْ فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُنَّتَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ الْأَكْمَلِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ أَوْوَهُ وَنَصَرُوهُ وَحَاطُوهُ، وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَكَلَاءَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مِنْ نُسْأَةٍ مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [الشورى: ٥٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أَيْ كُنْتَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ فَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ سِوَاهُ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَقَامِي الْفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالْغَنِيِّ الشَّاكِرِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»^(١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَزُرُقَ كَفَافًا، وَفَتَّحَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٢).

[كَيْفَ تَقْدُرُ هَذِهِ النِّعَمَ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أَيْ كَمَا كُنْتَ يَتِيمًا فَأَوَّاكَ اللَّهُ فَلَا تَقْهَرْ الْيَتِيمَ أَيْ لَا تُذِلُّهُ وَتَنْهَرُهُ، وَتَهْنِئُهُ، وَلَكِنْ أَحْسِنِ إِلَيْهِ وَتَلَطَّفْ بِهِ. قَالَ قَتَادَةُ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَأَلَابِ الرَّحِيمِ^(٣). ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أَيْ وَكَمَا كُنْتَ ضَالًّا فَهَدَاكَ اللَّهُ فَلَا تَنْهَرْ السَّائِلَ فِي الْعِلْمِ الْمُسْتَرْشِدِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أَيْ فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا وَلَا

مُتَكَبِّرًا وَلَا فَحَاشًا وَلَا فَظًّا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي رَدُّ الْمُسْكِينِ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ^(٤). ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أَيْ وَكَمَا كُنْتَ عَائِلًا فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(٥). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: صَحِيحٌ^(٦).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُبْلِيَ بِلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^(٧). تَقَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ.

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الضُّحَى، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْنَّازِعَاتِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِي نَزَّلَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ① وَوَضَعَا عَنكَ وَرَدَكَ ② الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ⑧

[مَعْنَى شَرْحِ الصَّدْرِ]

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي نَزَّلَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يَعْنِي أَنَا شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ أَيْ نَوْرَانَهُ وَجَعَلْنَاهُ فَيْسِحًا رَجِيًّا وَاسِعًا كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْسُحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وَكَمَا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَهُ فَيْسِحًا وَاسِعًا سَمَحًا سَهْلًا، لَا حَرَجَ فِيهِ وَلَا إِصْرَ وَلَا ضَيْقَ.

[بَيَانُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَضَعَا عَنكَ وَرَدَكَ﴾ بِمَعْنَى «يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» [الفتح: ٢] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الْإِنْقَاضُ الصَّوْتُ. وَقَالَ غَيْرٌ وَاجِدٌ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ:

(١) فتح الباري: ٢٧٦/١١ ومسلم: ٧٢٦/٢ بسند آخر وبهذا الإسناد أحمد ٣١٥/٢ (٢) مسلم: ٧٣٠/٢ (٣) القرطبي: ١٠٠/٢٠ (٤) البغوي: ٥٠٠/٤ (٥) أبو داود: ١٥٧/٥ (٦) تحفة الأحوذني: ٨٧/٦ (٧) أبو داود: ١٥٩/٥ فيه تدليس الأعمش وله شاهد ضعيف عند ابن عساكر مع هذا صحيحه الألباني في صحيح سنن أبي داود

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أَيِ أَثْقَلَكَ حَمْلُهُ.

[مَعْنَى رَفَعَ ذِكْرَ النَّبِيِّ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أَذْكَرُ إِلَّا ذُكِّرْتَ مَعِي، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ^(١). وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُشْهَدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ^(٢).

[الْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُوجَدُ الْيُسْرُ ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ. [الْأَمْرُ بِالذِّكْرِ عِنْدَ الْفَرَاغِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ وَلَكَ رَبُّكَ فَارْغَبْ أَيِ إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا وَقَطَعْتَ عِلَاقَتَهَا فَانصَبْ إِلَى الْعِبَادَةِ، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا فَارْغُ الْبَالِ وَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ النِّيَّةَ وَالرَّغْبَةَ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدْفِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»^(٣). وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا أُقِمَتِ الصَّلَاةُ وَحَضَرَ الْعَشَاءُ فَابْدَأُوا بِالْعَشَاءِ»^(٤). قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَقُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَانصَبْ لِرَبِّكَ^(٥).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ أَلَمْ نَشْرَحْ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة التين والزيتون وهي مكية

[قِرَاءَةُ التَّيْنِ بِالصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ]

قَالَ مَالِكٌ وَشُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي سَفَرِهِ فِي إِحْدَى الرُّكْعَتَيْنِ بِالتَّيْنِ وَ الزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ. أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ فِي كُتُبِهِمْ^(٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَ الزَّيْتُونِ﴾ وَطُورِ سَيْنٍ^(٢) وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ^(٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ^(٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ^(٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ^(٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ^(٨)

سُورَةُ التَّيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَ الزَّيْتُونِ^(١) وَطُورِ سَيْنٍ^(٢) وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ^(٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ^(٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ^(٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ^(٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ^(٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ^(٨)

سُورَةُ الزَّيْتُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفْرَأَيْتُمْ رِبَّكَ الَّذِي خَلَقَ^(١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٢) أَفَرَأَيْتُمْ أَكْرَمَ^(٣) الَّذِي عَلَّمَهُ الْقَلَمَ^(٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى^(٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى^(٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى^(٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى^(٩) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ لَهْدَىٰ^(١٠) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى^(١١) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى^(١٢) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى^(١٣) كَلَّا إِنْ لَمْ يَنْتَهِ لِنَفْسِهِ لَلْغَايَةِ^(١٤) نَاصِيَةً كَذِبُهُ خَاطِفَةٌ^(١٥) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ^(١٦) سَنَنْصُرُ الزَّالِيَةَ^(١٧) كَلَّا لَا نَطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ^(١٨)

[تَفْسِيرُ التَّيْنِ وَمَا بَعْدَهُ]

الْمُرَادُ بِالتَّيْنِ، كَمَا رَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَسْجِدُ نُوحٍ الَّذِي عَلَى الْيُودِيِّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ تَيْنُكُمْ هَذَا^(٧). ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ وَقَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ: هُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ: هُوَ هَذَا الزَّيْتُونُ الَّذِي تَغْصِرُونُ^(٨). ﴿وَطُورِ سَيْنٍ﴾ قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٩). ﴿وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ﴾ يَعْنِي مَكَّةَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ وَالْحَسَنُ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ وَكَعْبُ الْأَخْبَارِ^(١١). وَلَا

- (١) الطبري: ٤٩٤/٢٤ (٢) الطبري: ٤٩٤/٢٤ (٣) مسلم: ٣٩٣/١ (٤) فتح الباري: ٤٩٨/٩ (٥) الطبري: ٤٩٧/٢٤ (٦) فتح الباري: ٥٨٣/٨ ومسلم: ٣٣٩/١ وأبو داود: ١٩/٢ وتحفة الأحوذى: ٢٢٦/٢ والنسائي في الكبرى: ٥١٨/٦ وابن ماجه: ٢٧٣/١ (٧) الطبري: ٥٠٢/٢٤ العوفي من جملة الضعفاء (٨) الطبري: ٥٠١/٢٤ (٩) الطبري: ٥٠٣/٢٤ (١٠) الطبري: ٥٠٦، ٥٠٥/٢٤

خِلَافَ فِي ذَلِكَ. وَقَالَ بَعْضُ الْأَيْمَةِ: هَذِهِ مُحَالٌ ثَلَاثَةٌ بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعِزِّ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ:

(فَالأَوَّلُ) مُحَلَّةُ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. (وَالثَّانِي) طُورُ سَيْنِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ. (وَالثَّلَاثُ) مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَعْيُنُ الَّذِي مَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أُرْسِلَ فِيهِ مُحَمَّدًا ﷺ، قَالُوا: وَفِي آخِرِ التَّوْرَةِ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَمَاكِينِ الثَّلَاثَةِ: «جَاءَ اللَّهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ» يَعْني: الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ «وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرٍ» يَعْني جَبَلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ مِنْهُ عِيسَى «وَأَسْتَغْلَنَ مِنْ جِبَالِ قَارَانَ» يَعْني جِبَالَ مَكَّةَ الَّتِي أُرْسِلَ اللَّهُ مِنْهَا مُحَمَّدًا ﷺ فَذَكَرَهُمْ مُخْبِرًا عَنْهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِمْ فِي الزَّمَانِ. وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ ثُمَّ الْأَشْرَفِ مِنْهُ ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهُمَا.

[سَقُوطُ الْإِنْسَانِ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ مَعَ كَوْنِهِ خَلْقًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَنَتِيجَةُ ذَلِكَ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَشَكْلٍ مُنْتَصِبٍ الْقَامَةِ سَوِيٍّ الْأَعْضَاءَ حَسَنِيًّا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أَيَّ إِلَى النَّارِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ^(١). ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْحُسْنِ وَالنَّصَارَةِ مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ يُطِيعِ اللَّهَ وَيَتَّبِعِ الرُّسُلَ. لِهَذَا قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أَيَّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ. وَرَوَى هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةَ حَتَّى قَالَ عِكْرَمَةُ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يَرُدَّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ^(٢). وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٣). وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَمَا حَسُنَ اسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْهَرَمَ قَدْ يُصِيبُ بَعْضَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَى خُسْرًا ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١-٣] وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَيَّ غَيْرُ مَقْطُوعٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَمَّا يَكُونُ﴾ أَيَّ يَا ابْنَ آدَمَ ﴿بَعْدَ الْبَيْنِ﴾ أَيَّ بِالْجِزَاءِ فِي الْمَعَادِ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْبِدَاءَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى الْبِدَاءِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الرَّجْعَةِ بِطَرِيقِ الْأُولَى، فَأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ وَقَدْ عَرَفْتَ

هَذَا؟. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْخَافِئِينَ﴾ أَيَّ أَمَّا هُوَ أَحْكَمُ الْخَافِئِينَ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَمِنْ عَذْلِهِ أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ فَيَنْتَصِفَ لِلْمَظْلُومِ فِي الدُّنْيَا وَمِنْ ظَلَمِهِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فَأَتَى عَلَى آخِرِهَا ﴿إِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْخَافِئِينَ﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»^(٤). آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

تفسير سورة اقرأ وهي أول شيء نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٣ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥
[بَدْءُ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي جِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَأَهُ الْوَحْيُ وَهُوَ فِي غَارٍ جِرَاءَ فَجَأَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: فَاحْذِنِي فَعَطْنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَعَطْنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَعَطْنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قَالَ: فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفَ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي» فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوْعُ. فَقَالَ: «يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي».

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقَ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلَ الْكُلَّ، وَتَقْرِيَ

(١) الطبري: ١١٠، ٥٠٩/٢٤ (٢) الطبري: ٥٠٨/٢٤ (٣) الطبري: ٥١١/٢٤ (٤) أبو داود: ٥٥٠/١

الرَّحْمَنِ ﴿١﴾ أَرَدَيْتَ الَّذِي يَنْفَعُ ﴿٢﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٣﴾ أَرَدَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ
الْمَذْهَبِ ﴿٤﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿٥﴾ أَرَدَيْتَ إِنْ كَذَّبَ رُؤُوسُ ﴿٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ بِأَمْرِ اللَّهِ
بَرِيًّا ﴿٧﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿٨﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ ﴿٩﴾
فَلْيَنْعَلْ نَعَالَيْهِ ﴿١٠﴾ سَنَعْلَ الزَّيْبَانَةَ ﴿١١﴾ كَلَّا لَا تَطْعَمُهُ وَاسْجُدْ
وَاقْتَرِبْ ﴿١٢﴾

[الْوَعِيدُ عَلَى طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ لِأَجْلِ الْمَالِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ دُو فَرَحٍ وَأَشْرٍ وَبَطَرٍ وَطُغْيَانٍ
إِذَا رَأَى نَفْسَهُ قَدْ اسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَالُهُ، ثُمَّ تَهَدَّدُهُ وَتَوَعَّدُهُ
وَوَعظُهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّ إِلَا رَبِّكَ الرَّحْمَنُ﴾ أَيُّ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
وَالْمَرْجِعُ وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَى مَالِكَ مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهُ وَفِيمَ
صَرَفْتَهُ؟

[ذَمُّ أَبِي جَهْلٍ وَالْوَعِيدُ بِمُؤَاخَذَتِهِ]

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَدَيْتَ الَّذِي يَنْفَعُ ﴿١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٢﴾ نَزَلَتْ
فِي أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ
الْبَيْتِ فَوَعظَهُ تَعَالَى بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا فَقَالَ: ﴿أَرَدَيْتَ إِنْ
كَانَ عَلَى الْمَذْهَبِ﴾ أَيُّ فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ: عَلَى
الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ أَوْ ﴿أَمَرَ بِالْقَوَىٰ﴾ يَقُولُهُ، وَأَنْتَ
تَرْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صَلَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَمْ يَكُنْ بِأَمْرِ اللَّهِ
بَرِيًّا﴾ أَيُّ أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُتَهَدِّدِ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ
وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ. وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ. ثُمَّ قَالَ
تَعَالَى مُتَوَعَّدًا وَمُتَهَدِّدًا: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أَيُّ
لَنَسْمَتُهَا سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ قَالَ: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ﴾
يَعْنِي: نَاصِيَةُ أَبِي جَهْلٍ كَاذِبَةٍ فِي مَقَالِهَا خَاطِلَةٌ فِي أَعْمَالِهَا
﴿فَلْيَنْعَلْ نَعَالَيْهِ﴾ أَيُّ قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ أَيُّ لِيَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ
﴿سَنَعْلَ الزَّيْبَانَةَ﴾ وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يَغْلِبُ
أَحْزَبُنَا أَوْ حِزْبُهُ؟

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَيْتَنِي
رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكُعْبَةِ لَأَطَّانٌ عَلَى عُنُقِهِ، فَلَبَّغَ
النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَيْتَنِي فَعَلْتُ لَأَخَذْتُهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٣). وَكَذَا
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِمَا^(٤). وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ
جَرِيرٍ^(٥). وَرَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ،

الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ
حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ
وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ أَمْرًا قَدْ تَنَصَّرَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ
الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ
فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيُّ ابْنِ عَمِّ اسْمَعُ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ
وَرَقَةُ: إِبْنُ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا رَأَى،
فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا التَّائِمُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي
فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ
يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ
أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةُ أَنْ تَوَفَّى وَفَتَرَ الْوُحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَّغْنَا - حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَثِيرًا
يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ
لَيْتَنِي يُلْقِي نَفْسَهُ مِنْهُ تَبْدَى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَبْقَرُ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ،
فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوُحْيِ غَدَا لِيَمِثِلَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى
بِذِرْوَةِ الْجَبَلِ تَبْدَى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ^(١). وَهَذَا
الْحَدِيثُ مُخْرَجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ^(٢).
وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ جِهَةِ سَنَدِهِ وَمَتْنِهِ،
وَمَعَانِيهِ فِي أَوَّلِ شَرْحِنَا لِلْبُخَارِيِّ مُسْتَقْصًى، فَمَنْ أَرَادَهُ فَهُوَ
هُنَاكَ مُحَرَّرٌ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنْ
الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ الْمُبَارَكَاتُ، وَهِيَ أَوَّلُ
رَحْمَةٍ رَحِمَ اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ وَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ.

[عِزَّةُ الْإِنْسَانِ وَشَرَفُهُ بِالْعِلْمِ]

وَفِيهَا التَّنْبِيهُ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عِلْقَةٍ، وَأَنَّ
مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى أَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، فَشَرَفَهُ وَكَرَّمَهُ
بِالْعِلْمِ وَهُوَ الْقَدَرُ الَّذِي امْتَنَارَ بِهِ أَبُو الْبَرِيَّةِ آدَمَ عَلَى
الْمَلَائِكَةِ، وَالْعِلْمُ تَارَةٌ يَكُونُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ فِي
اللِّسَانِ، وَتَارَةٌ يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ بِالْبَيَانِ، ذَهْنِيٌّ وَلَفْظِيٌّ
وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلْزِمُهُمَا مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، فَلِهَذَا
قَالَ: ﴿أَنزَلْنَا رُبُّكَ الْآكَمَ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ ﴿٥﴾ وَفِي الْأَثَرِ: فَيَدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ. وَفِيهِ أَيْضًا: مَنْ
عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ وَرَفَهُ اللَّهُ عَلَّمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ.

﴿كَلَّا إِنْ الْإِنْسَانُ لَطَقُورٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْبَحَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَا رَبِّكَ

(١) أحمد: ٢٣٢/٦ (٢) فتح الباري: ٣٦٨/١٢ ومسلم: ١/ ١٣٩ (٣) فتح الباري: ٥٩٥/٨ (٤) تحفة الأحوذى: ٢٧٧/٩ والنسائي في الكبرى: ٥١٨/٦ (٥) الطبري: ٦٤٩/١٢ ط: علمية.

سُورَةُ الْقَدْرِ ٥٩٨

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ❶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❷ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❸ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ❹ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ❺

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمَ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ❶ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ❷ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ❸ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ❹ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ❺ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ❻ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ❼

الْقَدْرُ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❷ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ❹ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ❺

[فَضْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ]

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْضُوفِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْوُقُوعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعْظَمًا لِشَأْنِ لَيْلَةِ

وَهَذَا لَفْظُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ وَتَوَعَّدَهُ فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْتَهَرَهُ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ! بِأَيِّ شَيْءٍ تُهْدِدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ هَذَا الْوَادِي نَادِيًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَعِذَّ بِنَادِيهِ ❷﴾ سَدَّغَ الزَّيَّاتِيَّةُ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ❶. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَلَأَعْمَرَنَ وَجْهَهُ فِي التَّرَابِ، فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَعَاظَهُ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَبْقَى بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوَلًا وَأَجْنَحَةً قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ غَضُوءًا غَضُوءًا» قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ - لَا أَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ ❶﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ❷. وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ❸.

[تَسْلِيَةُ لِلنَّبِيِّ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَا تُلْمَعُمْ﴾ يَعْنِي يَا مُحَمَّدُ، لَا تُطْعُهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَثْرَتِهَا، وَصَلَّ حَيْثُ شِئْتَ، وَلَا تَبَالِهْ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ وَهُوَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿وَأَسْجُدْ وَقَرَّبْ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ» ❶. وَتَقَدَّمَ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْجُدُ فِي «إِذَا اسْمَاءُ أَسْقَتْ» وَ«أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ❷. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ اقْرَأْ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ.

تفسير سورة القدر وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ❶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❷ لَيْلَةُ

(١) أحمد: ٣٢٩/١ و الترمذي: ٣٣٤٩ و النسائي في الكبرى: ١١٦٨٤ و الطبري: ١٢/٦٤٨ ط: علمية. (٢) الطبري: ١٢/٦٤٩ ط: علمية. (٣) أحمد: ٣٧٠/٢ و مسلم: ٢٧٩٧ و النسائي في الكبرى: ١١٦٨٣ (٤) مسلم: ٣٥٠/١ (٥) مسلم: ١/٤٠٦

مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهِيَ لَيْلَةٌ وَتُرَى: تَسْعُ أَوْ سَبْعُ أَوْ خَامِسَةٌ أَوْ ثَالِثَةٌ أَوْ آخِرُ لَيْلَةٍ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بَلَجَةٌ - كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا - سَاجِدَةٌ سَاجِدَةٌ، لَا بَرْدَ فِيهَا وَلَا حَرَّ، وَلَا يَجُلُ لِكُوكِبٍ يُرْمَى بِهِ فِيهَا حَتَّى يُضَيَّحَ، وَإِنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ، مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَلَا يَجُلُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ»^(١) وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَفِي الْمَنْزِ غَرَابَةٌ وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ نَكَارَةٌ.

وَقَدْ تَرَجَّمَ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ فَقَالَ: «بَابُ بَيَانِ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي كُلِّ رَمَضَانَ» ثُمَّ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَسْمَعُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَالَ: «هِيَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ»^(٢). وَهَذَا إِسْنَادٌ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ، إِلَّا أَنَّ أَبَا دَاوُدَ قَالَ: رَوَاهُ شُعْبَةُ وَسُفْيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ فَأَوْفَقَاهُ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ. ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِيَ فَلْيَرْجِعْ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي أَنْسِيْتُهَا، وَإِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّالِ فِي وَتُرَى، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ». وَكَانَ سَفَفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدًا مِنَ النَّخْلِ وَمَا تَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَرْعَةٌ فَطَطَرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى أَثَرُ الطَّيْنِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَصْدِيقٌ رُؤْيَاهُ. وَفِي لَفْظٍ: فِي صُبْحِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣). قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصَحُّ الرُّوَايَاتِ. وَقِيلَ: لَيْلَةٌ ثَلَاثٌ وَعَشْرِينَ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٤).

وَقِيلَ: تَكُونُ لَيْلَةُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّالِ مِنْ رَمَضَانَ فِي تَاسِعَةِ تَبَتَّى، فِي سَابِعَةِ

الْقَدْرِ الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»^(٥).

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا خَضَرَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرُ مُبَارَكٍ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةُ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»^(٦). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٧). وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتُهَا عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاجْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٨).

[تُرْوَى الْمَلَائِكَةُ وَقَضَاءُ كُلِّ خَيْرٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أَيْ يَكْثُرُ نَزْلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ مَعَ نَزْلِ الْوَحْيِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَنْزِلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بِحَلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضُمُّونَ أَجْنَاحَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ هَهُنَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ غَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: سَلَامٌ هِيَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ قَالَ: هِيَ سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَدَى. وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: تَقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ وَتُقَدَّرُ الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا [هَشْمٌ] عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قَالَ: تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ يَغْنِي هِيَ خَيْرٌ كُلِّهَا لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

[تَعْيِينُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَعَلَامَاتُهَا]

وَيُؤَيَّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي، مَنْ قَامَهُنَّ ابْتِغَاءَ حِسْبَتِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ

(١) الطبري: ٥٣١/٢٤، ٥٣٢ والقرطبي: ١٣٠/٢٠ (٢) أحمد: ٢٣٠/٢ (٣) النسائي: ١٢٩/٤ (٤) فتح الباري: ٤/ ٢٩٤ ومسلم: ٥٢٣/١ (٥) أحمد: ٣٢٤/٥ (٦) أبو داود: ٢/ ١١١ فتح الباري: ٣٢٩/٤ (٧) أحمد: ٣١٨ ومسلم: ٨٢٤/٢ (٨) مسلم: ٨٢٧/٢

تَبَيَّنَ، فِي خَامِسَةِ تَبَيَّنَ^(١).
فَسَرَهُ كَثِيرُونَ بِلَيَالِي الْأَوْتَارِ وَهُوَ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ. وَحَمَلَهُ
الْآخَرُونَ عَلَى الْأَشْفَاعِ. كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ
حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ^(٢).
وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، لَمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ
فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهَا لَيْلَةُ
سَبْعٍ وَعِشْرِينَ^(٣).

تَفْسِيرُ سُورَةِ لَمْ يَكُنْ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى أَبِي]
رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ
يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١]» قَالَ:
وَسَمَانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى^(١٢). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ بِهِ^(١٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾ ١ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ٢ ﴿فِيهَا كُتِبَ
قِيمَةٌ ۖ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُدْتُوا إِلَى الْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَسْبُدُوا لِلَّهِ تَخْلِيلًا ۚ لَهُ الَّذِينَ حَفَفَهُ وَيُغْفِرُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۖ﴾ ٣

[ذَكَرَ حَالِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَالْمُشْرِكِينَ]

أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَهُمْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكُونَ
عَبْدَةُ الْأَوْتَانِ وَالنَّبْرَانِ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنَ الْعَجَمِ. وَقَالَ
مُجَاهِدٌ: لَمْ يَكُونُوا ﴿مُنْفَكِينَ﴾ يَعْنِي مُتَبَعِينَ حَتَّى يَبَيَّنَ لَهُمْ
الْحَقُّ^(١٤). وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ^(١٥): «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» أَيْ

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ زُرِّ سَأَلَتْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قُلْتُ:
أَبَا الْمُنْذِرِ إِنْ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَنْ يَقُمُ الْحَوْلَ
يُصِيبُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ. قَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، ثُمَّ خَلَفَ، قُلْتُ: وَكَيْفَ
تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِالْعَلَامَةِ أَوْ بِالْآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا بِهَا:
تَطْلُعُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا شُعَاعَ لَهَا يَغْنِي الشَّمْسُ^(٤). وَقَدْ رَوَاهُ
مُسْلِمٌ^(٥).

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ فِي لَيْلَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ. وَرَوَى الْإِمَامُ
أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي
رَمَضَانَ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، فَإِنَّهَا فِي وَتَرٍ
إِخْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ،
أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ»^(٦).
وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ
فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنَّهَا لَيْلَةُ سَابِعَةٍ أَوْ تَاسِعَةٍ وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ
الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ
الْحَصَى»^(٧). فَتَرَدَّدَ بِهِ أَحْمَدُ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّهُ قَالَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْتَقِلُ
فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ نَصَّ
عَلَيْهِ مَالِكٌ وَالتَّوْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ
رَاهُوَيْهِ، وَأَبُو ثَوْرٍ وَالمُزَنِّيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُمْ،
وَهُوَ مَخْصِي عَنِ الشَّافِعِيِّ، نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْهُ وَهُوَ الْأَشْبَهُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

دُعَاءُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

وَالْمُسْتَحَبُّ: الْإِكْتِنَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ،
وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْثَرُ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْهُ، ثُمَّ فِي
أَوْتَارِهِ أَكْثَرُ، وَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يُكْتَرَّ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ: اَللَّهُمَّ
إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي. لَمَّا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَمَا

(١) فتح الباري: ٣٠٦/٤ (٢) مسلم: ٨٢٦/٢، ٨٢٧ (٣)
مسلم: ٨٢٨/٢ (٤) أحمد: ١٣٠/٥ (٥) مسلم: ٨٢٨/٢
(٦) أحمد: ٣١٨/٥ (٧) أحمد: ٥١٩/٢ (٨) أحمد: ٦/
١٨٢ (٩) تحفة الأحوذى: ٤٩٥/٩ والنسائي في الكبرى: ٦/
٢١٨ وابن ماجه: ١٢٦٥/٢ (١٠) الحاكم: ٥٣٠/١ (١١)
النسائي في الكبرى: ٢١٩/٦ (١٢) أحمد: ١٣٠/٣ (١٣) فتح
الباري: ٥٩٧/٨ ومسلم: ٥٥٠/١ وتحفة الأحوذى: ٢٩٤/١٠
والنسائي في الكبرى: ٥٢٠/٦ (١٤) الطبري: ٥٣٩/٢٤ (١٥)
الطبري: ٥٣٩/٢٤

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

٥٩٩

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُسْرُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

[ذِكْرُ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَذِكْرُ جَزَائِهِمَا]

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مَالِ الْفُجَّارِ مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، الْمُخَالِفِينَ لِكُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ، وَأَنْبِيََاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُنِي مَا كَيْتَنَ لَا يَحْوِلُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أُنِي شَرُّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللَّهُ وَذَرَّأَهَا، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَبْدَانِهِمْ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِذِهِ الْآيَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَفْصِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ لِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أُنِي بِمَا أَنْفَضَ وَلَا انْقِضَاءَ وَلَا فَرَاغَ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وَمَقَامَ رِضَاهُ

هَذَا الْقُرْآنُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾. ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ وَمَا يَتْلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ مُكْتَسَبٌ فِي الْمَلَا الْأَعْلَى فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ تَرْوَعُهُ مُطَهَّرَةً ﴿١٦﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿عيس: ١٣-١٦﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أُنِي فِي الصُّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ كُتُبٌ مِنَ اللَّهِ قِيمَةٌ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ، لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿١﴾.

[إِنَّمَا وَقَعَ الْاِخْتِلَافُ بَعْدَ مَجِيءِ الْعِلْمِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَنَا، بَعْدَ مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِمْ وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ: «إِنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاسْتَفْتَرَقَ هَذِهِ الْأُمَمُ عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» ﴿٢﴾.

[إِنَّمَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ هُوَ إِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حُفَاءً﴾ أُنِي مُنَحْنَتَيْنِ عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ الْحَنِيفِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ بِمَا أَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَهُنَا ﴿وَيُضْمُوا الصَّلَاةَ﴾ وَهِيَ أَشْرَفُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحَاوِجِ ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِسْمَةِ﴾ أُنِي الْمِلَّةُ الْقَائِمَةُ الْعَادِلَةُ، أَوْ الْأُمَّةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُعْتَدِلَةُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

الْإِنْسَانَ مَا لَهَا ﴿٢﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿١﴾ يَأْنِ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُسْرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٦﴾

[يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ حَالُ الْأَرْضِ وَحَالُ النَّاسِ] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» أَيْ تَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا ^(١) «وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَفْئَالَهَا» يَعْنِي أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَفْئَاتًا أَتَقُولُوا بِهِمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شِقْءٌ عَظِيمٌ» [الحج: ١] وَتَقُولُهُ: «وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ^(٢) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ» [الانشقاق: ٤، ٣] وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «[تَقِيءُ] الْأَرْضُ أَفْئَادًا كَبِدَهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَجُلِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا» ^(٣). وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» أَيْ اسْتَنْكَرَ أَمْرَهَا بَعْدَمَا كَانَتْ قَارَةً سَاكِنةً ثَابِتَةً وَهُوَ مُسْتَقَرٌّ عَلَى ظَهْرِهَا، أَيْ تَقَلَّبَتِ الْحَالُ فَصَارَتْ مُتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً قَدْ جَاءَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا قَدْ أَعَدَّهُ لَهَا مِنَ الزَّلْزَالِ الَّذِي لَا مَحِيدَ لَهَا عَنْهُ، ثُمَّ أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَجِيئَ اسْتَنْكَرَ النَّاسُ أَمْرَهَا، وَتَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» أَيْ تُحَدِّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنْ أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَامَةٍ بِمَا عَمِلَ

عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أَوْثَرَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ» وَرَوَّضُوا عَنْهُ ﴿فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» أَيْ هَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبْدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَجُلٌ أَخَذَ بِعِتَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَةً اسْتَوَى عَلَيْهِ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ [بِالَّذِي يَلِيهِ؟]» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَجُلٌ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ غَنَمِهِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الَّذِي يَسْأَلُ بِاللَّهِ وَلَا يُعْطِي بِهِ» ^(١).

أَخْرَجَ تَفْسِيرَ سُورَةِ لَمْ يَكُنْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ إِذَا زُلْزِلَتْ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ: أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَقْرَأْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ لَهُ: «أَقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الرَّأْيِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: كَبَّرَ سَيِّئِي وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَغَلِظَ لِسَانِي، قَالَ: «فَأَقْرَأْ مِنْ ذَوَاتِ حِمِّ» فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ: «أَقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ الْمُسَبِّحَاتِ» فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَلَكِنْ أَقْرَأْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَذْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ، أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ» ثُمَّ قَالَ: «عَلَيَّ بِهِ» فَجَاءَهُ فَقَالَ لَهُ: «أَمِرْتُ بِیَوْمِ الْأَصْحَى جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ» فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا مَنِحَةً أَتْنِي فَأُصْحِي بِهَا؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِكَ وَتَقْلُمُ أَظْفَارَكَ، وَتَقْصُرُ شَارِبَكَ، وَتَحْلِقُ عَانَتَكَ، فَذَلِكَ تَمَامُ أَصْحَابِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» ^(٢). وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ ^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ^(١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَفْئَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ

(١) أحمد: ٣٩٦/٢ فيه أبو معشر نجيب وهو ضعيف كما سبق وأبو وهب مولى أبي هريرة مجهول ويشهد له حديث ابن عباس عند أحمد (٢١١٦) وإسناده صحيح وحديث أبي سعيد أيضا عنده ١٦/٣ (٢) أحمد: ١٦٩/٢ (٣) أبو داود: ١١٩/٢ والنسائي في الكبرى: ١٦/٥ (٤) الدر المنثور: ٥٩٢/٨ (٥) مسلم: ١٠١٣

دَلُوكَ فِي إِنَاءٍ الْمُتَسَنِّقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ»^(١١) وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: «يَا مَغْشَرُ نِسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِبَارِتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ»^(١٢). يَعْنِي ظَلْفَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظَلْفٍ مُحْرِقٍ»^(١٣).

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا تَصَدَّقَتْ بِعَيْنَيْهِ وَقَالَتْ: كَمْ فِيهَا مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ^(١٤). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِيًا». وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ^(١٥).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَهْلِكُنَّهُ». وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا وَأَجْجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَدَفُوا فِيهَا^(١٥).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ إِذَا زُلْزِلَتْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة العاديات وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿وَأَنْزَلْنَاهُنَّ نَعْمًا﴾ ٤ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾ ٥ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ٧ ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٨ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ٩ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٠ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ١١

(١) أحمد: ٣٧٤/٢ تحفة الأحوذ: ٢٨٥/٩ والنسائي في الكبرى: ١١٦٩٣ (٢) فتح الباري: ٥٩٨/٨ (٣) الطبري: ٥٤٩/٢٤ (٤) الدر المنثور: ٥٩٢/٨ (٥) الطبري: ٢٤/٥٤٨ (٦) الدر المنثور: ٥٩٣/٨ (*) كذا في النسخ المطبوعة لدينا، ولعل الصواب: ليعلموا من الإعلام (٧) فتح الباري: ٨/٥٩٨ (٨) مسلم: ٦٨٠/٢ (٩) فتح الباري: ٣٣٢/٣ (١٠) مسلم: ٢٠٢٦/٤ (١١) فتح الباري: ٤٥٩/١٠ (١٢) أحمد: ٣٨١/٥ (١٣) الموطأ: ٩٩٧/٢ (١٤) أحمد: ١٥١/٦ وابن ماجه: ٤٢٤٣ (١٥) أحمد: ٤٠٢/١

عَلَى ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَهَٰذِهِ أَخْبَارُهَا» ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَوْحَىٰ لَهَا وَأَوْحَىٰ إِلَيْهَا، وَوَحَىٰ لَهَا وَوَحَىٰ إِلَيْهَا وَاحِدٌ^(٢). وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوْحَىٰ لَهَا أَيْ أَوْحَىٰ إِلَيْهَا^(٣). وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَٰذَا مُضْمَنٌ بِمَعْنَىٰ أَذِنَ لَهَا. وَقَالَ شَيْبُ بْنُ بُشَيْرٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» قَالَ: قَالَ لَهَا رَهْطًا: قُولِي. فَقَالَتْ^(٤). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَوْحَىٰ لَهَا أَيْ أَمَرَهَا^(٥). وَقَالَ الْفَرَطِيُّ: أَمَرَهَا أَنْ تَسْئَلَ عَنْهُمْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أَيْ يَرْجِعُونَ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ أَشْتَاتًا أَيْ أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا، مَا بَيْنَ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ مَأْمُورٍ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَأْمُورٍ بِهِ إِلَى النَّارِ. وَقَالَ الشَّيْخُ: أَشْتَاتًا فَرَقًا^(٦). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُؤْخَذَ أَعْمَلُهُمْ﴾ أَيْ [لِيُعْلَمُوا]^(٧) وَيُجَازَوْا بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

[الْجَزَاءُ عَلَىٰ كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَمَلِ]

وَلِهَٰذَا قَالَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨).

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لثَلَاثَةِ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وَزْرٌ. فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ طِيلَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَثَارُهَا وَأَرْوَاتُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ - وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ - كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا وَلَمْ يَسَسَّ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِبَاءً وَزِنَاءً فَهِيَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَزْرٌ» فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النُّحْمِ فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَٰذِهِ الْآيَةُ الْفَادَةُ الْجَمِيعَةَ» ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٧) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٨).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عِدِّيٍّ مَرْفُوعًا: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَبِيعَةٍ»^(٩). وَلَهُ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرَغَ مِنْ

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

٦٠٠

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

وَحَصِّلْ مَا فِي الصُّدُورِ (١) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (٢)

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧)

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)

وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ (١٠) نَارُ حَامِيَةٍ (١١)

سُورَةُ التَّكْوِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ (٥)

عِلْمَ الْيَقِينِ (٦) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٧) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ (٨) ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٩)

الْقُبُورِ (١) أَيُ أَخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ (وَحَصِّلْ مَا فِي الصُّدُورِ (٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَيْرُهُ: يَعْنِي أَبْرَزَ (٣) وَأُظْهِرَ مَا كَانُوا يُسْرُونَ فِي نُفُوسِهِمْ (٤) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (٥) أَيُ لَعَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيَعْمَلُونَ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

أَخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ

(١) الطبري: ٥١٢/٢٤ (٢) الطبري: ٥٦٤/٢٤، ٥٦٥ (٣)

الطبري: ٥٦٦/٢٤ (٤) الطبري: ٥٦٦/٢٤ (٥) الطبري:

٥٦٦/٢٤ (٦) الطبري: ٥٦٩/٢٤

[الْقَسَمُ بِخَيْلِ الْحَرْبِ عَلَى كُفْرَانِ الْإِنْسَانِ وَحِرْصِهِ] يُقْسِمُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيلِهِ فَعَدَتْ وَضَبَحَتْ، وَهُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ الْقَرَسِ جِئِ تَعْدُو ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا﴾ بَعْنِي اضْطِحَاكَ نَعَالَهَا لِلصَّخْرِ فَتَقْدَحُ مِنْهُ النَّارُ ﴿فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ بَعْنِي الْإِغَارَةَ وَقَتِ الصَّبَاحِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا وَيَسْمَعُ الْأَذَانَ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا وَلَا أَغَارَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْمًا﴾ بَعْنِي غَبَارًا فِي مَكَانٍ مُعْتَرِكِ الْخِيُولِ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أَيُ تَوَسَّطْنَ ذَلِكَ الْمَكَانَ كُلَّهُنَّ جَمْعٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: بَعْنِي إِغَارَةَ الْخَيْلِ صُبْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (١). وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْمًا﴾ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي حَلَّتْ فِيهِ، أَثَارَتْ بِهِ الْغُبَارَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٍ وَعِكْرَمَةَ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ: بَعْنِي جَمْعَ الْكُفَّارِ مِنَ الْعَدُوِّ (٢). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسِمُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى أَنَّهُ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَكُفُورٌ جَحُودٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَأَبُو الْجَوَازِ وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو الضَّحَى وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ، وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: الْكُنُودُ الْكُفُورُ (٣). قَالَ الْحَسَنُ: الْكُنُودُ هُوَ الَّذِي يَعُدُّ الْمَصَائِبَ، وَيَنْسَى نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ (٤).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قَالَ قَتَادَةُ وَشَفِيانُ الثَّوْرِيُّ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٥). وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْإِنْسَانِ. قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى كُذُوبِهِ كُنُودًا لَشَهِيدٌ، أَيُ بِلِسَانِ خَالِهِ، أَيُ ظَاهِرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُمْ لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أَيُ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ - وَهُوَ الْمَالُ - لَشَدِيدٌ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الْمَعْنَى وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ (وَالثَّانِي) وَإِنَّهُ لَحَرِيصٌ بِخَيْلٍ مِنَ مَحَبَّةِ الْمَالِ؛ وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

[التَّخْوِيفُ مِنَ الْمَعَادِ]

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُزْهِدًا فِي الدُّنْيَا، وَمُرْعَبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمُنْبَهًا عَلَى مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي

فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا» وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمسُلمٌ^(٨). وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: «إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرْهَا».

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا مَن لَّهُ نَعْلَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ»^(٩). وَتَبَتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اشْتَكَبَ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِتَسْتَيْنِ: نَفْسِي فِي الشَّيْءِ، وَنَفْسِي فِي الصَّنِيفِ، فَأَشْدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الشَّيْءِ مِنْ بَرْدِهَا، وَأَشْدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّنِيفِ مِنْ حَرِّهَا»^(١٠) وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ قَيْحِ جَهَنَّمَ»^(١١).
آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْقَارِعَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكَاثُرِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْتَنَّ بِيَوْمٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨
[نَتِيجَةُ حُبِّ الدُّنْيَا غَفْلَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: أَشْغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمْ الْمَوْتُ وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي الرَّقَاقِ مِنْهُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يَعْنِي: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ»^(١٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ

كَالْهَيْكُمُ الْمَنْفُوشِ ٥ فَلَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأَمَّهُ هَكَايَةً ٩ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١
الْقَارِعَةُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَالْحَاقَّةِ وَالطَّامَّةِ وَالصَّاحَّةِ وَالْغَاشِيَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعْظَمًا أَمْرَهَا وَمُهَوَّلًا لِسَانِهَا: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ يَقُولُهُ: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» أَيُّ فِي انْتِشَارِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ وَدَهَابِهِمْ وَمَجْبِئِهِمْ مِنْ حَيْرَتِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ فَرَّاشٌ مَبْثُوثٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخِرَى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ يَعْنِي قَدْ صَارَتْ كَأَنَّهَا الصُّوفُ الْمَنْفُوشُ الَّذِي قَدْ شَرَعَ فِي الدَّهَابِ وَالتَّمَرُّقِ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ وَفَتَادَةُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿كَالْهَيْكُمُ﴾ الصُّوفُ^(١). ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا يؤولُ إِلَيْهِ عَمَلُ الْعَامِلِينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْإِهَانَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: ﴿فَلَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيُّ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ﴿وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيُّ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَأَمَّهُ هَكَايَةً﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ فَهُوَ سَاقِطٌ هَاوٍ بِأَمِّ رَأْسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَغَبَّرَ عَنْهُ بِأَمِّهِ يَعْنِي دِمَاعَهُ. رَوَى نَحْوُ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ وَأَبِي صَالِحٍ وَفَتَادَةُ^(٢). وَقَالَ فَتَادَةُ: يَهْوِي فِي النَّارِ عَلَى رَأْسِهِ^(٣). وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: يَهْوُونَ فِي النَّارِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ^(٤). وَقِيلَ: مَعْنَاهُ فَأَمَّهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا وَيَصِيرُ فِي الْمَعَادِ إِلَيْهَا: (هَآوِيَةٌ) وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ. قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: وَلَئِنَّمَا قِيلَ لِلْهَآوِيَةِ: أُمُّهُ لِأَنَّهُ لَا مَأْوَى لَهُ غَيْرُهَا^(٥). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْهَآوِيَةُ: النَّارُ هِيَ أُمُّهُ وَمَأْوَاهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَيَأْوِي إِلَيْهَا. وَقَرَأَ: ﴿وَمَا وَلَهُمْ النَّكَارُ﴾ [آل عمران: ١٥١]^(٦) قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرَوَى عَنْ فَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ النَّارُ. وَهِيَ مَأْوَاهُمْ^(٧). وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْهَآوِيَةِ: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أَيُّ حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ قُوَّةُ اللَّهَبِ وَالسَّعِيرِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقَدُونَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا

(١) الطبري: ٥٧٤/٢٤ (٢) الطبري: ٥٧٥/٢٤، ٥٧٦ والقرطبي: ١٦٧/٢٠ (٣) الطبري: ٥٧٦/٢٤ (٤) الطبري: ٥٧٥/٢٤ (٥) الطبري: ٥٧٥/٢٤ (٦) الطبري: ٥٧٦/٢٤ (٧) الطبري: ٥٧٥/٢٤ (٨) فتح الباري: ٦/٣٨٠ مسلم: ٤/٢١٨٤ (٩) أحمد: ٤٣٢/٢ و١٣/٣ (١٠) فتح الباري: ٦/٣٨٠ ومسلم: ٤٣١/١ (١١) فتح الباري: ٢٠/٢ ومسلم: ١/٤٣٠ (١٢) فتح الباري: ٢٥٨/١١

سُورَةُ الْعَصْرِ

٦٠١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣

سُورَةُ الْهَمَزِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٣ كَلَّا لَيُبَدِّلَنِي لِحِطَّةٍ ٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لِحِطَّةُ ٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقَدَةِ ٧ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ٩

سُورَةُ الْفَيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَكَيْتَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥

وَعَمْرُو جَالِسَانِ إِذْ جَاءَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمَا هَهُنَا؟» قَالَا: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! مَا أَخْرَجَنَا مِنْ بَيْتِنَا إِلَّا الْجُوعُ». قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ» فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا بَيْتَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمُ الْمَرْأَةُ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ فَلَانٌ؟» فَقَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَغْدِبُ لَنَا مَاءً، فَجَاءَ صَاحِبُهُمْ يَحْمِلُ قِرْبَتَهُ فَقَالَ: مَرْحَبًا، مَا زَارَ الْعِبَادَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْ نَبِيِّ زَارَنِي الْيَوْمَ، فَعَلَّقَ قِرْبَتَهُ بِكَرْبِ نَخْلَةٍ، وَأَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدَّتِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا كُنْتُ اجْتَنَيْتُ؟» فَقَالَ: أَخْبَيْتُ أَنْ تَكُونُوا الَّذِينَ تَخْتَارُونَ عَلَيَّ أَعْيُنَكُمْ، ثُمَّ أَخَذَ الشَّفْرَةَ فَقَالَ لَهُ

قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَلَهْنُكُمْ التَّكَاثُرُ» يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟^(١) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٢).

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَقْنَى، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(٣). تَقَرَّدَ بِهِ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(٤). وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٥) وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ»^(٦). أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٧).

[الْوَعْدُ بِرُؤْيَا الْجَحِيمِ وَالسُّؤَالُ عَنِ النَّعِيمِ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»^(٨) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ^(٩). وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» يَعْنِي أَيُّهَا الْكُفَّارُ «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» يَعْنِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ^(١٠). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» أَيُّ لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ لَمَا أَتَيْتُمُ التَّكَاثُرَ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ، ثُمَّ قَالَ: «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»^(١١) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ هَذَا تَفْسِيرُ الْوَعِيدِ الْمُنْتَقَدِمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»^(١٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ تَوَعَّدَهُمْ بِهَذَا الْحَالِ، وَهُوَ رُؤْيَا أَهْلِ النَّارِ الَّتِي إِذَا زَفَرَتْ زَفْرَةً وَاحِدَةً خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُّقْرَّبٍ وَنَبِيٍّ مُّرْسَلٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْعَظَمَةِ وَمَعَانِيَةِ الْأَهْوَالِ، عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأَثَرُ الْمَرْوِيُّ فِي ذَلِكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» أَيُّ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا إِذَا قَابَلْتُمْ بِهِ نِعْمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّدَائِيُّ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ

(١) أحمد: ٢٤/٤ (٢) مسلم: ٢٢٧٣/٤ وتحفة الأحوزي: ٩/

٢٨٦ والنسائي في الكبرى: ٥٢١/٦ (٣) مسلم: ٢٢٧٣/٤

(٤) فتح الباري: ٣٦٩/١١ (٥) مسلم: ٢٢٧٣/٤ وتحفة

الأحوزي: ٥٠/٧ والنسائي في الكبرى: ٦٣١/٦ (٦) أحمد:

١١٥/٣ (٧) البخاري: ٦٤٢١ ومسلم: ١٠٤٧ (٨) البغوي:

٥٢٠/٤ (٩) الطبري: ٥٨١/٢٤

الْأَوَّلَانِ، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ [عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَفْصِ أَبِي مَدِينَةَ] قَالَ: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقْيَا لَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ سُورَةَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخِرِ^(٦). وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسَّعَتْهُمْ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾

الْعَصْرُ: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعِشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ. فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، أَيْ فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكِه **﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** فَاسْتَنْتَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ: الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ **﴿وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ﴾** وَهُوَ أَذَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ **﴿وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾** أَيْ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَفْئَادِرِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَصْرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ وَيلَ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ٢﴾ يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ٣﴾ كَلَّا لَيَكْبَدَنَّ فِي الْخُطُوءِ ٤﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا لَخَطَمَهُ ٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقِ ٧﴾ إِنِّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَدَّةٌ ٨﴾ فِي عَذْرِ مُّذَمِّدَةٍ ٩﴾

الْهُمَزُ بِالْقَوْلِ، وَاللَّمَزُ بِالْفِعْلِ، يَغْنِي يَزِدْرِي النَّاسَ وَيَتَقَصُّ بِهِمْ. وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿هَازٍ مُّشَلِّمٍ بِنِيعٍ﴾** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ، طَعَانٌ

النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ» فَذَبَحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ فَأَكَلُوا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَتُسَأَّلَنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ»^(١). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢).

وَبُكِّتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعِمَّتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٣). وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهُمْ مُقَصَّرُونَ فِي شُكْرِ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ لَا يَقُومُونَ بِوَاجِبِهِمَا، وَمَنْ لَا يَقُومُ بِحَقِّ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ فَهُوَ مَغْبُونٌ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ عَفَّانُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَا ابْنَ آدَمَ، حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَرَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعٌ وَتَرَأْسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ؟»^(٤). تَقَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ التَّكْوِينِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

[مَعْرِفَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ السُّورَةِ]

ذَكَرُوا أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَقَدْ عَلَى مُسَيِّمَةِ الْكَذَّابِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَمْرُو، فَقَالَ لَهُ مُسَيِّمَةُ: مَاذَا أَنْزَلَ عَلَى صَاحِبِكُمْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ؟ فَقَالَ: لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ سُورَةٌ وَجِيزَةٌ بَلِيغَةٌ فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ: **﴿وَالْعَصْرِ ١﴾** إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ فَفَكَرَ مُسَيِّمَةُ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ مِثْلَهَا، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: يَا وَبُرَّ يَا وَبُرَّ. إِنَّمَا أَنْتَ أَذْنَانِ وَصَدْرٌ. وَسَائِرُكَ حَفَرٌ تَقْرُ. ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَرَى يَا عَمْرُو؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَغْلَمُ أَنَّكَ تَكْذِبُ^(٥). وَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرَ الْخَزَائِمِيَّ أَسْنَدَ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ (بِمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ) فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْهُ شَيْئًا مِنْ هَذَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ. وَالْوَبُرُ دَوِيَّةٌ تُشَبِّهُ الْهَرَّ، أَعْظَمُ شَيْءٍ فِيهِ أَذْنَاهُ وَصَدْرُهُ وَبَاقِيهِ [لَطِيفٌ] دَمِيمٌ، فَأَرَادَ مُسَيِّمَةُ أَنْ يُرْكَبَ مِنْ هَذَا الْهَذْيَانِ مَا يُعَارِضُ بِهِ الْقُرْآنَ. فَلَمْ يَرُجْ ذَلِكَ عَلَى عَابِدِ

(١) الطبري: ٥٨٣/٢٤ (٢) مسلم: ١٦٠٩/٣ (٣) فتح الباري: ٢٣٣/١١ وتحفة الأحوذى: ٥٨٩/٦ وتحفة الأشراف: ٤٦٥/٤ وابن ماجه: ١٣٩٦/٢ (٤) أحمد: ٤٩٢/٢ (٥) ذكره أيضا في البداية والنهاية: ٣٢٠/٦ ط: زمزم، ونحوه الحافظ في الإصابة ٢٢٥/٣ (٦) المعجم الأوسط: ٥٠٩٧ «مجمع البحرين»

مِعْيَاب^(١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أَي جَمَعَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَأَخْصَى عَدَدَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٨] قَالَهُ السُّدِّيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ^(٢). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أَلْهَاهُ مَالُهُ بِالتَّهَارِ هَذَا إِلَى هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ نَامَ كَأَنَّهُ حَيْفَةً مُنْبَتَّةً. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أَي يَظُنُّ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ يُخْلِدُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ﴿كَلَّا﴾ أَي لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، وَلَا كَمَا حَسَبَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُبَدِّلَنِي فِي الْخُلُقَةِ﴾ أَي لِيُلْقِيَنَّ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ، فِي ﴿الْخُلُقَةِ﴾ وَهِيَ اسْمُ صِفَةٍ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، لِأَنَّهَا تَحْطِمُ مَنْ فِيهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُلُقَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقَدَةِ﴾ قَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ: تَحْرِقُهُمْ إِلَى الْأَفْقَدَةِ وَهُمْ أَحْيَاءُ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ يَبْكِي. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: تَأْكُلُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ فُؤَادَهُ [حَذَوْ حَلْقِهِ]: تَرْجِعُ عَلَى جَسَدِهِ^(٣).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَسَّدَةٌ﴾ أَي مُطْبِقَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي عَمَرٍ مُدَدٍّ﴾ قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: عَمِدٌ مِنْ حَدِيدٍ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: مِنْ نَارٍ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَدْخَلَهُمْ فِي عَمِدٍ مُمَدَّدَةٍ عَلَيْهِمْ - بِعِمَادٍ، فِي أَغْنَاقِهِمْ - السَّلَاسِلُ فَسُدَّتْ بِهَا الْأَبْوَابَ^(٤).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة الفيل وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ﴾ ٢ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ٣ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَابٍ مِنْ لَبَدٍ﴾ ٤ ﴿أَغْلَقَ السَّمَاءَ فَتِلْكَ الْأَبْوَابُ﴾ ٥

هَذِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَمْتَرُ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ، فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى هَذِهِ الْكُعْبَةِ، وَمَحَوِ أَثَرَهَا مِنَ الْوُجُودِ، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ وَأَرْغَمَ

أَنفَهُمْ وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ وَأَصْلَ عَمَلَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِشَرِّ خَبِيئَةٍ، وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى، وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِزْهَاصِ وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ. وَلِسَانُ حَالِ الْقَدْرِ يَقُولُ: لَمْ نَنْصُرْكُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ عَلَى الْحَبْشَةِ لِخَيْرَتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ صِبَاَنَةً لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنَسْرِفُهُ وَنُعْظِمُهُ وَتُوقَرُهُ بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ.

[قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ بِإِيجَازٍ]

وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ وَالتَّقْرِيبِ: قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ - وَكَانَ آخِرُ مُلُوكِ جَمَيْرٍ، وَكَانَ مُشْرِكًا - هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ، وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَلَمْ يَفْلُثْ مِنْهُمْ إِلَّا دَوْسٌ ذُو ثَعْلَبَانٍ، فَذَهَبَ فَاسْتَعَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَكَتَبَ لَهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبْشَةِ لِكُزْنِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرْيَاطَ وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ أَبَا يَكْسُومَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَاسْتَلْبَثُوا الْمَلِكَ مِنْ جَمَيْرٍ، وَهَلَكَ ذُو نُوَاسٍ غَرِيبًا فِي الْبَحْرِ، وَاسْتَقَلَّ الْحَبْشَةُ بِمَلِكِ الْيَمَنِ وَعَلَيْهِمْ هَذَانِ الْأَمِيرَانِ: أَرْيَاطَ وَأَبْرَهَةَ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا وَتَصَاوَلَا وَتَفَانَلَا وَتَصَافَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى اضْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا، وَلَكِنْ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزْ إِلَيْكَ، فَأَيْنَا قَتَلَ الْآخَرَ اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمَلِكِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فِتْيَارًا وَخَلَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاءً، فَحَمَلَ أَرْيَاطَ عَلَى أَبْرَهَةَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَقَمَهُ وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَحَمَلَ عَتُودَهُ مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرْيَاطَ فَقَتَلَهُ وَرَجَعَ أَبْرَهَةَ جَرِيحًا فِدَاوَى جُرْحَهُ قَبْرًا، وَاسْتَقَلَّ بِتَنْدِيرِ جَيْشِ الْحَبْشَةِ بِالْيَمَنِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يَلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لِيَطَّانَ بِلَادَهُ وَيَجُزَّ نَاصِيئَتَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةَ يَتَرَفَّقُ لَهُ وَيُضَانِعُهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ وَيَجْرَابٍ فِيهِ مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ وَجَزَّ نَاصِيئَتَهُ، فَأَرْسَلَهَا مَعَهُ

(١) الطبري: ٥٩٦/٢٤ (٢) الطبري: ٥٩٨/٢٤ والقرطبي: ١٣٨/٢٠ (٣) القرطبي: ١٨٥/٢٠ (٤) الطبري: ٦٠٠/٢٤

وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لِيَطَأَ الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْجِرَابِ فَيَبِّرَ قَسَمُهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي، قَدَبَعْتُ بِهَا إِلَيْكَ فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَقْرَهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَأَرْسَلَ أَبْرَهُةَ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيِّ إِنِّي سَأُبْنِي لَكَ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يَبْنِ قَبْلَهَا مِثْلَهَا، فَسَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيعَةِ الْبِنَاءِ عَالِيَةِ الْفِتَاءِ، مُزَخْرَفَةً الْأَزْجَاءِ، سَمَّيْتُهَا الْعَرَبُ الْقُلَيْسَ لِأَرْفَاعِهَا، لِأَنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهَا تَكَادَ تَشْفُطُ فَلَنَسُوهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنْ أَرْفَاعِ بِنَائِهَا، وَعَزَمَ أَبْرَهُةُ الْأَشْرَمَ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحْجُ إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَرِهَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةَ وَالْفَحْطَانِيَّةَ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا، فَأَخَذَتْ فِيهَا وَكَّرَ رَاجِعًا، فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةَ ذَلِكَ الْحَدَثَ رَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهُةَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِيَبْتِهِمُ الَّذِي صَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهُةَ لِيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ وَلِيُخَرِّبَتْهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ فِئَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا فَأَجْبُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ، فَأَخْرَقَتْ وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.

فَتَأَهَّبَ أَبْرَهُةَ لِذَلِكَ وَسَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرَمَرَمَ لَيْلًا يَصُدُّهُ أَحَدُ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فِيلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْحُجَّةِ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ، يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ، وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْقَالٍ، وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فِيلًا غَيْرُهُ فَاللَّهُ أَعْلَمُ. يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ بِأَنْ يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ وَتَوْضِعَ فِي عُنُقِ الْفِيلِ، ثُمَّ يَزْجُرَ لِيَلْقَى الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَغْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمُ الْمُحَاجَبَةُ دُونَ النَّبِيِّ، وَرَدُّ مَنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ يُقَالُ لَهُ ذُو نَفَرٍ، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهُةَ وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُهُ مِنْ هَدْمِهِ وَخَرَابِهِ، فَأَجَابُوهُ وَقَاتَلُوا أَبْرَهُةَ فَهَرَمَهُمْ لَمَّا يُرِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَرَامَةِ النَّبِيِّ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَسِيرَ ذُو نَفَرٍ، فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ، ثُمَّ مَضَى لَوَجْهِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خُتْعَمَ اعْتَرَضَ لَهُ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ الْخُتْعَمِيُّ فِي قَوْمِهِ شَهْرَانَ وَنَاهِسَ فَقَاتَلُوهُ، فَهَرَمَهُمْ أَبْرَهُةَ، وَأَسِيرَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ،

وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا تَقِيفٌ وَصَانَعُوهُ - خِيفَةً عَلَى بَيْنِهِمُ الَّذِي عِنْدَهُمُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتَ - فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ «أَبَا رِغَالٍ» ذَلِيلًا، فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهُةَ إِلَى الْمُعَمَّسِ - وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ - نَزَلَ بِهِ. وَأَعَارَ جَيْشُهُ عَلَى سَرَحِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا فَأَخَذُوهُ، وَكَانَ فِي السَّرَحِ مَائَتًا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الَّذِي أَعَارَ عَلَى السَّرَحِ بِأَمْرِ أَبْرَهُةَ أَمِيرُ الْمُقَدَّمَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الْأَسْوَدُ بْنُ مَقْصُودٍ فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَبَعَثَ أَبْرَهُةَ حُطَاةَ الْحِمَيْرِيِّ إِلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قُرَيْشٍ وَأَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدُّوه عَنِ النَّبِيِّ، فَجَاءَ حُطَاةٌ قَدْ عَلَى عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهُةَ مَا قَالَ. فَقَالَ لَهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ: وَاللَّهِ مَا تُرِيدُ حَرْبَهُ وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُخْلَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ حُطَاةٌ: فَادْهَبْ مَعِيَ إِلَيْهِ، فَدَهَبَ مَعَهُ.

فَلَمَّا رَأَى أَبْرَهُةَ أَجَلَهُ، وَكَانَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ رَجُلًا جَسِيمًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهُةَ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ مَعَهُ عَلَى الْبَسَاطِ، وَقَالَ لِرُجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لِرُجُمَانِهِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكَ مَائَتِي بِعِيرٍ أَصَابَهَا لِي، فَقَالَ أَبْرَهُةَ لِرُجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتُ أَعَجَبْتُنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مَائَتِي بِعِيرٍ أَصْبَحْتُ لَكَ، وَتَتَرُكُ بَيْنَنَا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ، قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ لَا تَكَلِّمُنِي فِيهِ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنْ لِلنَّبِيِّ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ. قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْنَعَنِي مِنِّي. قَالَ: أَنْتَ وَذَلِكَ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَعَرَضُوا عَلَى أَبْرَهُةَ ثَلَاثَ أَمْوَالٍ يَهَامَةُ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنِ النَّبِيِّ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ.

وَرَدَّ أَبْرَهُةَ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَيْهِ، وَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالتَّحَصُّنِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْحَيْشِ، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحُلُقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللَّهَ وَاسْتَنْصَرُونَ عَلَى أَبْرَهُةَ وَجُنْدِهِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحُلُقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ:

لَا هُمْ إِنَّ الْمَرَّةَ يَمُـ

نَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حَلَاكَ (*)

لَا يَغْلِبَنَّ صَليْبُهُمْ

وَمَحَالُهُمْ غَدُوا مَحَالَكَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أُرْسِلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَلَقَةُ الْبَابِ

ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ:

أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْدَ الْبَيْتِ يَأْتِي بَدَنَهُ مَقْلَدَةً لَعَلَّ بَعْضَ الْجَيْشِ

يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا يَغْيِرُ حَتَّى فَيَسْتَقِيمَ اللَّهُ مِنْهُمْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهُةُ

نَهْيًا لِدُخُولِ مَكَّةَ وَهِيَاءَ فِيهِ، وَكَانَ اسْمُهُ مَحْمُودًا، وَعَبَأَ

جَيْشَهُ فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ نَحَوَ مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ

حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ: أَبْرَكَ مَحْمُودُ أَوْ

ارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ،

ثُمَّ أُرْسِلَ أَذُنُهُ فَبَرَكَ الْفِيلُ وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَسْتَدُ حَتَّى

أَصْعَدَ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَتَى، فَضَرَبُوا فِي

رَأْسِهِ بِالطَّبَرِزِينَ وَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ لَهُمْ فِي مَرَاقِهِ [فَبَزَعُوهُ]

بِهَا لِيَقُومَ فَأَتَى، فَوَجَّهَهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يَهْرَوُ،

وَوَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ

فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهَهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ. وَأُرْسِلَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالُ الْخَطَاطِيفِ وَاللِّسَانِ مَعَ كُلِّ

طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مِثْقَالِهِ وَحَجَرَانِ

فِي رِجْلَيْهِ أَمْثَالُ الْحِمَّصِ وَالْعُدْسِ، وَلَا يُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا

إِلَّا هَلَكَ. وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ، وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتَنَدَّرُونَ

الطَّرِيقَ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدْلَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، هَذَا

وَنُفَيْلٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْجَحَاظِ يَنْظُرُونَ

مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ الْقِتْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ

يَقُولُ:

أَيُّنَ الْمَفَرِّ وَالْإِلَهِ الطَّالِبِ

وَالْأَشْرَمَ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ نُفَيْلٌ فِي ذَلِكَ أَيْضًا:

أَلَا حُبَيْتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا

نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا

رُدَيْنَا لَوْ رَأَيْتَ - وَلَا تَرَبُّهُ -

لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا

إِذَا لَعَنَ رَدَيْنِي وَحَمِدَتِ أَمْرِي

وَلَمْ تَأْسَنِ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا

حَمِدْتُ اللَّهَ إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْرًا

وَحِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا

فَكُلُّ الْقَوْمِ تَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ

كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبَشَانِ دَيْنَا

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَغَيْرُهُ: لَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَهُ الْعَذَابُ

فِي السَّاعَةِ الرَّاهِتَةِ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ سَرِيعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ

جَعَلَ يَتَسَاقَطُ عُضْوَا عُضْوًا وَهُمْ هَارِبُونَ، وَكَانَ أَبْرَهُةُ وَمَنْ

تَسَاقَطَ عُضْوَا عُضْوًا حَتَّى مَاتَ بِلَادِ خَنْمَ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ

وَيَهْلِكُونَ عَلَى كُلِّ مَنَهْلٍ، وَأَصِيبُ أَبْرَهُةُ فِي جَسَدِهِ

وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُطُ أُنْمَلَةٌ أُنْمَلَةٌ حَتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ،

وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ

قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ فِيمَا

يَعُدُّ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ مَارَدٌ عَنْهُمْ مِنْ

أَمْرِ الْحَبَشَةِ، لِبَقَاءِ أَمْرِهِمْ وَمُدَّتِهِمْ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ حِجَارًا مِنْ سِجِّيلٍ (٤)

يَجْعَلُهُمْ كَعَصِيفٍ تَأْكُولُ (٥) ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ (٦) إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةٌ

الْيَسَاءِ وَالْأَصِيفُ (٧) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٨) الَّذِي

أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤] أَيْ لِقَلَّا

يُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ حَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ

الْخَيْرِ لَوْ قَبِلُوهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامَ: الْأَبَابِيلُ الْجَمَاعَاتُ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ الْعَرَبُ

بِوَاجِدِهِ. قَالَ: وَأَمَّا السَّجِّيلُ فَأَخْبَرَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ وَأَبُو

عُبَيْدَةَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الشَّدِيدُ الصُّلْبِ. قَالَ: وَذَكَرَ بَعْضُ

الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ جَعَلْتُهُمَا الْعَرَبُ كَلِمَةً

وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هُوَ سَنَجٌ وَجَلٌّ، يَغْنَى بِالسَّنَجِ: الْحَجَرِ

وَالْجَلِّ: الطِّينِ. يَقُولُ: الْحِجَارَةُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ

الْحَجَرِ وَالطِّينِ. قَالَ: وَالْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ الَّذِي لَمْ

[يُقَصَّبَ]، وَاحِدَتُهُ عَصْفَةٌ (٩). إِنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ. وَقَدْ قَالَ

حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سَلَمَةَ

ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: الْفَرْقُ. وَقَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: [أَبَابِيلُ] يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَقَالَ

(*) جمع جَلَّة وهي جماعة البيوت أي القوم الحلول وقوله:

غَدُوا أي غَدَا (١) ابن هشام: ٥١/١-٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٠٢

سُورَةُ الْفِيلِ

سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ فَرَسٌ ① إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
 ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
 مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّبِ ① فَذَلِكَ الَّذِي
 يَدْعُ الْيَتِيمَ ② وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْيَسْكِينِ ③
 فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
 ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَسْمَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ②
 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

مَسْرُوقُ بْنُ أَبِرْهَةَ، ثُمَّ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَرْنَ الْحِمَيْرِيُّ
 إِلَى كِسْرَى فَاسْتَعَانَهُ عَلَى الْحَبَسَةِ، فَأَنْقَذَ مَعَهُ مِنْ جُيُوشِهِ
 فَقَاتَلُوا مَعَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُلْكَهُمْ وَمَا كَانَ فِي آبَائِهِمْ مِنْ
 الْمُلْكِ، وَجَاءَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ بِالتَّهْنِئَةِ ⑨.

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَتْحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 لَمَّا أَطْلَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى الشَّيْءِ الَّتِي تَهَيَّطَ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ،
 بَرَكْتَ نَافَتُهُ فَرَجَرُوهَا فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَّاتِ الْقَضَاءُ أَيْ
 حَرَنْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقَضَاءُ، وَمَا
 ذَاكَ لَهَا بِخُلُقِي، وَلَكِنْ حَسَسَهَا حَاسِسُ الْفِيلِ - ثُمَّ قَالَ: -
 وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا
 حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا» ثُمَّ رَجَعَهَا فَقَامَتْ ⑪.

(١) الطبري: ٦٠٥/٢٤، ٦٠٦ (٢) الطبري: ٦٠٦/٢٤ (٣)

الطبري: ٦٠٧/٢٤ (٤) الطبري: ٦٠٧/٢٤ (٥) الطبري:

٦٠٧/٢٤ (٦) الدر المنثور: ٦٣٣/٨ (٧) البغوي: ٥٢٩/٤

(٨) الطبري: ٦٩٩/٢٤ (٩) انظر مفصلاً في سيرة ابن هشام:

١٠٣-٩٦/١ (١٠) فتح الباري: ٣٨٨/٥

الْحَسَنُ الْبُصْرِيُّ وَقَتَادَةُ: الْأَبَابِيلُ الْكَثِيرَةُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ:
 [أَبَابِيلُ] شَتَّى مُتَابِعَةٌ مُجْتَمِعَةٌ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَبَابِيلُ
 الْمُخْتَلِفَةُ تَأْتِي مِنْ هَهْنَا، وَمِنْ هَهْنَا أَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ①.
 وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: سَمِعْتُ بَعْضَ التَّحْوِيلِينَ يَقُولُ: وَاحِدُ
 الْأَبَابِيلِ إِبِيلٌ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ
 بْنِ نَوْفَلٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا
 أَبَابِيلَ﴾ هِيَ الْأَقَاطِيعُ كَأَبَابِيلِ الْمُؤَبَّلَةِ ②. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:
 ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: لَهُمْ خَرَّاطِيمٌ كَخَرَّاطِيمِ
 الطَّيْرِ، وَأَكْفٌ كَأَكْفِ الْكِلَابِ ③. عَنْ عُكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا خَرَجَتْ مِنْ
 الْبَحْرِ، لَهَا رُؤُوسٌ كُرُؤُوسِ السَّبَاعِ ④. عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ
 ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: هِيَ طُيُورٌ سُودٌ بِحَرَّةٍ فِي مَنَاقِيرِهَا
 وَأَطَافِيرِهَا ⑤ أَلِحْجَارَةُ. وَهَذِهِ آسَانِيدٌ صَحِيحَةٌ.

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ
 أَصْحَابَ الْفِيلِ بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَنْشِثَ مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ
 الْخَطَاطِيفِ، كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا يَحْمِلُ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ مُجَرَّعَةٍ:
 حَجَرَيْنِ فِي رِجْلَيْهِ وَحَجَرًا فِي مَقَارِهِ، قَالَ: فَجَاءَتْ حَتَّى
 صَفَّتْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، ثُمَّ صَاحَتْ وَأَلْقَتْ مَا فِي أَرْجُلِهَا
 وَمَنَاقِيرِهَا، فَمَا يَقَعُ حَجَرٌ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْ
 دُبُرِهِ، وَلَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ
 الْآخَرِ، وَبَعَثَ اللَّهُ رِيحًا شَدِيدَةً فَضَرَبَتْ الْحِجَارَةَ فَرَادَتْهَا
 شِدَّةً فَأَهْلَكُوا جَمِيعًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَنَلَكُمُ الْكَصِفَ مَأْكُولٍ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ
 جُبَيْرٍ: يَنْعِي التَّنُّ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ هَبْرًا. وَفِي رِوَايَةٍ
 عَنْ سَعِيدٍ: وَرَقُ الْحِنْطَةِ ⑥. وَعَنْهُ أَيْضًا: أَلْعَصْفُ: التَّنُّ،
 وَالْمَأْكُولُ: الْقَصِيلُ يُجَزُّ لِلدَّوَابِّ. وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ
 الْبُصْرِيُّ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَلْعَصْفُ: الْقُشْرَةُ الَّتِي عَلَى
 الْحَبَّةِ كَالْعُلَافِ عَلَى الْحِنْطَةِ ⑦.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: أَلْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ وَوَرَقُ الْبَقْلِ إِذَا
 أَكَلْتَهُ الْبَهَائِمُ فَزَانَتْهُ فَصَارَ [دَرِينًا] ⑧. وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَعَظِيمِهِمْ،
 لَمْ يَتَالَوْا خَيْرًا، وَأَهْلَكَ عَامَتَهُمْ وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ مُخِيرٌ إِلَّا
 وَهُوَ جَرِيحٌ، كَمَا جَرَى لِمَلِكِهِمْ أَبِرْهَةَ، فَإِنَّهُ انْصَدَعَ صَدْرُهُ
 عَنْ قَلْبِهِ حِينَ وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ صَنْعَاءَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَرَى
 لَهُمْ ثُمَّ مَاتَ، فَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَكْسُومُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ

أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَكَذَا أَلْبَدَةَ الَّتِي حَرَمَهَا وَلَمْ كُلْ شَيْءًا
وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَالْقَوْلُ تَعَالَى:
﴿الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أَيُّ هُوَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَهُوَ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أَيُّ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ
بِالْأَمْنِ وَالرُّخْصِ، فَلْيُغْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنْمًا وَلَا نِدًّا وَلَا وَثَنًا، وَلِهَذَا مَنْ
اسْتَجَابَ لِهَذَا الْأَمْرِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ أَمْنِ الدُّنْيَا وَأَمْنِ
الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَصَاهُ سَلَبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾
[النحل: ١١٢، ١١٣].

أَجْرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ إِيْلَافِ قُرَيْشٍ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير السورة التي يذكر فيها الصاعون وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ ﴿٣﴾ قَوْلِيلٌ
لِلْمُضِلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ
بِرَأْمِهِمْ ﴿٦﴾ وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾
[أوصاف مُنْكَرِي الْقِيَامَةِ]

يَقُولُ تَعَالَى: أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ وَهُوَ
الْمَعَادُ وَالْجَزَاءُ وَالثَوَابُ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾
أَيُّ هُوَ الَّذِي يَقْهَرُ الْيَتِيمَ وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يَطْعُمُهُ وَلَا
يُحْسِنُ إِلَيْهِ ﴿وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ
الْيَتِيمِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨] يُعْنِي الْفَقِيرَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ
يَقُومُ بِأَوْدِهِ وَكِفَايَتِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَوْلِيلٌ لِلْمُضِلِّينَ ﴿٤﴾
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: يُعْنِي
الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَلَا يُصَلُّونَ فِي

وَالْحَدِيثُ مِنْ أَفْرَادِ الْبُخَارِيِّ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ،
وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا
الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، أَلَا فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (١).
أَجْرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفِيلِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تفسير سورة إيلاف قريش وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ
وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

هَذِهِ السُّورَةُ مَفْضُولَةٌ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا فِي الْمُضْحَفِ
الْإِمَامِ، كَتَبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)،
وَأَنَّ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِمَا قَبْلَهَا كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ، لِأَنَّ الْمَعْنَى
عِنْدَهُمَا حَبَسْنَا عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَأَهْلَكْنَا أَهْلَهُ ﴿إِلَافٍ
قُرَيْشٍ﴾ أَيُّ لَا يُتْلَفِيهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي بِلَدِهِمْ آمِنِينَ،
وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلِفُونَهُ مِنَ الرِّحْلَةِ فِي الشِّتَاءِ
إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بِلَدِهِمْ آمِنِينَ فِي أَشْفَارِهِمْ،
لِعِظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ لِكُونِهِمْ سُكَّانَ حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنْ عَرَفَهُمْ
اخْتَرَمَهُمْ، بَلْ مَنْ [ضَوَى] إِلَيْهِمْ وَسَارَ مَعَهُمْ آمِنٌ بِهِمْ،
وَهَذَا حَالُهُمْ فِي أَشْفَارِهِمْ وَرِحْلَتِهِمْ فِي شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ،
وَأَمَّا فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبَلَدِ، فَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾
[العنكبوت: ٦٧] وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ﴾
إِلَافِهِمْ ﴿٢﴾ بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَمُفَسِّرٌ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:
﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الصَّوَابُ
أَنَّ اللَّامَ لَا مِ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ
وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، قَالَ: وَذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى أَثْنَمَا سَوْرَتَانِ مُفَصَّلَتَانِ مُسْتَقِلَّتَانِ.

ثُمَّ أَرْسَدَهُمْ إِلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فَقَالَ:
﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ أَيُّ فَلْيُحِلُّوهُ بِالْعِبَادَةِ كَمَا
جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَبَيْنًا مُحَرَّمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا

سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الْعُبَيْدَيْنِ: أَنَّهُ سِئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ
عَنِ الْمَاعُونِ فَقَالَ: هُوَ مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَاسِ
وَالْقُدْرِ وَالذَّلْوِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ^(٦).
آخِرُ تَفْسِيرِ السُّورَةِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ ﴿إِن

شَايَنَّكَ هُوَ الْآزِبُ﴾

رَوَى مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّيَمِيُّ عَنْ أَنَسٍ^(٧). وَاللَّفْظُ
لِمُسْلِمٍ قَالَ: بَيَّنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ
أَغْفَى إغْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةُ سُورَةٍ فَقَرَأُ:
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ ﴿إِن شَايَنَّكَ هُوَ الْآزِبُ﴾ ثُمَّ قَالَ:
«أَتَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ
نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ
عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ،
فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ
لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتَ بَعْدَكَ»^(٨). وَرَوَاهُ أَحْمَدُ ثَلَاثًا عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ قُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ^(٩).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللَّوْلُؤِ،
فَضَرَبْتُ يَدَيَّ إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِشْكٌ أَذْفَرُ،
قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١٠). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَمُسْلِمٌ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ
قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللَّوْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ:

السَّيْرُ»^(١١). وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ
الصَّلَاةِ وَقَدْ التَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ، وَإِنَّمَا عَنْ
فِعْلِهَا بِالْكَلْبَةِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَإِنَّمَا عَنْ فِعْلِهَا فِي
الْوَقْتِ الْمَقْدَرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكَلْبَةِ،
كَمَا قَالَ مَسْرُوقٌ وَأَبُو الضَّحَى^(١٢).

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ^(١٣). وَإِنَّمَا عَنْ
وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُخْرِجُهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا. وَإِنَّمَا عَنْ
أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوُجُوهِ الْمَأْمُورِ بِهِ. وَإِنَّمَا عَنِ
الْخُشُوعِ فِيهَا وَالتَّذَبُّرِ لِمَعَانِيهَا، فَاللَّفْظُ يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ،
وَلِكُلِّ [مَنْ] اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ،
وَمَنْ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّ لَهُ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ
النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُتَافِقِ، تِلْكَ
صَلَاةُ الْمُتَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ
قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَقَرَّرَ أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا
قَلِيلًا»^(١٤). فَهَذَا آخِرُ صَلَاةِ الْعَصْرِ الَّتِي هِيَ الْوُسْطَى، كَمَا
ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةِ، ثُمَّ قَامَ
إِلَيْهَا فَتَقَرَّرَهَا نَقَرَ الْغُرَابِ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا،
وَلِهَذَا قَالَ: لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ
عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مَرَاءةَ النَّاسِ، لَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، فَهُوَ
كَمَا إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِالْكَلْبَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى
يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] وَقَالَ
تَعَالَى هَهُنَا: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا
عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَذَكَرُوا الرِّيَاءَ، فَقَالَ رَجُلٌ يُكْنَى بِأَبِي
يَزِيدٍ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ
خَلْقِهِ، وَحَثَرَهُ وَصَغَرَهُ»^(١٥). وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لِلَّهِ فَاطْلَعَ عَلَيْهِ
النَّاسُ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ رِيَاءً.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَعِينُونَ الْمَاعُونِ﴾ أَيُّ لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ
رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ، حَتَّى وَلَا بِإِعَارَةٍ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ
وَيُسْتَعَانُ بِهِ، مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ
الرِّكَاءِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ أَوْلَى وَأَوْلَى. وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ

(١) الطبري: ٦٣٢/٢٤ (٢) الطبري: ٦٣١/٢٤ (٣) القرطبي:
٢١٢/٢٠ (٤) فتح الباري: ٣٨٦/٦ ومسلم: ٤٣٤/١ (٥)
أحمد: ٢١٢/٢ (٦) الطبري: ٦٣٩/٢٤ (٧) مسلم: ٣٠٠/١
وأبو داود: ١١٠/٥ والنسائي في الكبرى: ٥٣٣/٦ (٨) مسلم:
٣٠٠/١ (٩) أحمد: ١٠٢/٣ (١٠) أحمد: ١٠٣/٣

مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ^(١). وَهُوَ لَقَطُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَغْطَانِيهِ رَبِّي، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَغْنَاهَا كَأَغْنَانِي الْجُزْرِ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ. قَالَ: «إِكْلَاهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ»^(٢).

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنْ نَاسَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: التَّهَرُّ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ^(٣). وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ^(٤). وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعُمُّ التَّهَرُّ وَغَيْرَهُ، لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثَرَةِ وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَمِنْ ذَلِكَ: التَّهَرُّ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ»^(٥). وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٦).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» أَيُّ كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ: التَّهَرُّ الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَتُهُ، فَأَخْلَصَ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ الْمَكْتُوبَةَ وَالنَّافِلَةَ وَتَنَحَّرَ، فَأَعْبَدَهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَانْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «قُلْ إِنِّي صَلَّيْتُ وَنَحَسْتُ وَحَيَّيْتُ وَمَنَافًى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٧)» لَا شَرِيكَ لَمْ وَبِذَلِكَ أَمُرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ: يَعْني بِذَلِكَ نَحْرَ الْبَدَنِ وَنَحْوَهَا^(٨). وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ وَالْحَكَمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ^(٩). وَهَذَا بِخِلَافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ السُّجُودِ لِعَبْرِ اللَّهِ وَالذَّبْحِ عَلَى غَيْرِ اسْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ...» [الأنعام: ١٢١].

[عَدُوُّ النَّبِيِّ هُوَ الْأَبْتَرُ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنِّي شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» أَيُّ إِنْ

مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ وَمُبْغِضَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ وَالثُّورِ الْمُبِينِ، هُوَ الْأَبْتَرُ الْأَقْلُ الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ^(١٠). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ قَالَ: كَانَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرٌ لَا عَقِبَ لَهُ، فَإِذَا هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ^(١١). وَقَالَ سَمُرُ بْنُ عَطِيَّةَ: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ^(١٢).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَعِكْرَمَةُ: نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ^(١٣). وَرَوَى الْبَزَّازُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ، أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الصَّبْرِ الْمُتَّبِعِ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السَّقَايَةِ! فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: فَتَزَلَّتْ: «إِنِّي شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» هَكَذَا رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ^(١٤). وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ، وَذَلِكَ حِينَ مَاتَ ابْنُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: بَيَّرَ مُحَمَّدٌ اللَّيْلَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: «إِنِّي شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانُوا إِذَا مَاتَ ذُكُورُ الرَّجُلِ قَالُوا: بُيِّرَ، فَلَمَّا مَاتَ أَبْنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: بُيِّرَ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «إِنِّي شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» فَتَوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، وَحَاشَا وَكَأَلَا، بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعُهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْمَحْشَرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ النَّتَاجِ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

(١) البخاري: ٤٩٤٦ (٢) أحمد: ٢٢٠/٣ (٣) فتح الباري:

٦٠٣/٨ (٤) الطبري: ٦٤٧/٢٤ (٥) أحمد: ٦٧/٢ (٦)

تحفة الأحوذى: ٢٩٤/٩ وابن ماجه: ١٤٥٠/٢ والطبري: ٢٤/٢٤

٦٥٠ (٧) الطبري: ٦٥٣/٢٤ (٨) الطبري: ٦٥٤/٢٤ (٩)

الطبري: ٦٥٦/٢٤، ٦٥٧ (١٠) ابن هشام: ٧/٢ ابن إسحاق

عنن (١١) الطبري: ٦٥٧/٢٤ (١٢) الطبري: ٦٥٧/٢٤

(١٣) كشف الأستار: ٨٣/٣

تفسير سورة قل يأتياها الكافرون وهي مكية

[قراءة هذه السورة في التواضع]

تَبَّتْ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةَ وَبِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فِي رَكْعَتَي الطَّوَافِ (١). وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ (٢). وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ، قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بَضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً - أَوْ بَضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً - «قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ» وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (٣).

وَرَوَى أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَمَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً - أَوْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً - يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَالرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بِ «قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ» وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (٤). وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: رَمَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ بِ «قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ» وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (٥). وَكَذَا رَوَاهُ الثُّرَيْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأُخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَقَالَ الثُّرَيْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ (٦). وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا تُعَدَّلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، وَإِذَا زُلْزِلَتْ تُعَدَّلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ» (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)

[البراءة من الشرك]

هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهِيَ أَمْرَةٌ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ» يَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمُوَاجِهُونَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمْ كُفَرَاءُ قُرَيْشٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَةَ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ فِيهَا أَنْ يَتَرَأَّى مِنْ دِينِهِمْ بِالْكَلْبَةِ فَقَالَ: «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» يَعْنِي مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» وَهُوَ اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَ«مَا» هَهُنَا بِمَعْنَى

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

٦٠٣

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)

سُورَةُ الْبَصَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَايَ لِي لَهِيَ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ (٢) سَيَصِلُنَّ إِنَّا زَادْنَا لَهُ لَهَبًا (٣) وَأَمْرَاتُهُ
حَمَالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

«مَنْ» ثُمَّ قَالَ: «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» (١) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٢) أَيْ وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ أَيْ لَا أَسْلُكُهَا وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَلِهَذَا قَالَ: «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أَيْ لَا تَقْتَدُونَ بِأَوْامِرِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ، بَلْ قَدْ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ بَلَاءٍ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ: «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى» [النجم: ٢٣].

فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا يَدُلُّهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْْبُدُهُ وَعِبَادَةٍ يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، فَالرَّسُولُ ﷺ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ، وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَام «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» أَيْ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ

(١) مسلم: ٨٨٨/٢ في حديث طويل (٢) مسلم: ٥٠٢/١ (٣) أحمد: ٥٨٠٢٤/٢ (٤) أحمد: ٩٩/٢ (٥) أحمد: ٩٤/٢ (٦) تحفة الأحوذى: ٤٧٠/٢ وابن ماجه: ٣٦٣/١ والنسائي:

أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ^(٣). تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُعِثَ إِلَيَّ نَفْسِي» فَإِنَّهُ مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ^(٤). تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٥): يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ^(٦).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ مِنْ قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» وَقَالَ: «إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمْتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أَسْبَحَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٧) وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا^(٨)» فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا تَوَابًا^(٩). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١٠).

وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هَهُنَا فَتْحُ مَكَّةَ قَوْلًا وَاحِدًا، فَإِنَّ أَحْبَاءَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَتَلَوُّ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ ظَهَرَ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمُضْ سِتَانِ حَتَّى اسْتَوْسَقَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ إِيْمَانًا، وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مُظْهَرٌ لِلْإِسْلَامِ. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ الْأَحْيَاءُ تَتَلَوُّ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: دَعُوهُ وَقَوْمُهُ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ^(١١) الْحَدِيثُ. وَقَدْ حَرَرْنَا غُرُورَ الْفَتْحِ فِي كِتَابِنَا «السِّيَرَةُ» فَمَنْ أَرَادَهُ فَلْيُرَاجِعْهُ هُنَاكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي جَارٌ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَجَاءَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ،

عِبَادَةُ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا كَذَّبُوكُمْ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيغُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَإِنَّا بِرَيْءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] وَقَالَ: ﴿لَمَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصاص: ٥٥]. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: يُقَالُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الْكُفْرُ ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الْإِسْلَامُ. وَلَمْ يَقُلْ: دِينِي، لِأَنَّ الْآيَاتِ بِالنُّونِ فَحَذَفَ الْيَاءَ، كَمَا قَالَ: ﴿فَهُوَ يَهُودِيٌّ وَ﴾ [يَشْفِيهِ] [الشعراء: ٧٨، ٧٩]^(١٢).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[فَضْلُ سُورَةِ النَّصْرِ]

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، وَإِذَا زُلْزِلَتْ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ. وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا ابْنَ عُتْبَةَ، أَتَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قَالَ: صَدَقْتُ^(١٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا^(٢) فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا تَوَابًا^(٣)

[هَذِهِ السُّورَةُ إِخْبَارٌ عَنْ تَمَامِ أَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عَمْرٌو يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحٍ بَذَرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلَكِنَّا أَبْنَاءُ مِثْلِهِ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرْنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجْلِكَ ﴿فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا تَوَابًا﴾ فَقَالَ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ: لَا

(١) فتح الباري: ٦٠٤/٨ (٢) النسائي في الكبرى: ٥٢٥/٦

(٣) فتح الباري: ٦٠٦/٨ (٤) أحمد: ٢١٧/١ (٥) فتح

الباري: ٦٠٥/٨ (٦) ومسلم: ٣٥٠/١ وأبو داود: ٥٤٦/١

والنسائي في الكبرى: ٥٢٥/٦ وابن ماجه: ٢٨٧/١ (٧) أحمد:

٣٥/٨ (٨) مسلم: ٣٥١/١ (٩) فتح الباري: ٦١٦/٧

أَحْمَدُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ يَغْنِي: وَلَدُهُ^(٥). وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَالْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ مِثْلَهُ^(٦). وَذَكَرَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ بِمَالِي وَوَلَدِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أَيْ ذَاتَ لَهَبٍ وَشَرَرٍ، وَإِحْرَاقٍ شَدِيدٍ.

[ذَكَرُ مُصِيرٌ أُمَّ جَبِيلٍ امْرَأَةً أَبِي لَهَبٍ]

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وَكَانَتْ زَوْجَتَهُ مِنْ سَادَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَهِيَ أُمُّ جَبِيلٍ، وَاسْمُهَا أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَتْ عَوْنًا لِّزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ. فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ يَغْنِي تَحْمِيلَ الْحَطَبِ فَتُلْقِي عَلَى زَوْجِهَا لِيَزْدَادَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ، وَهِيَ مُهَيَّأَةٌ لِذَلِكَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَغُرُوبُهُ: مِنْ مَّسَدِ النَّارِ^(٧).

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطِيَّةُ الْجَدَلِيُّ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ زَيْدٍ: كَانَتْ تَصْعُقُ الشُّوكَ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْمَسَدُ: اللَّيْفُ، وَالْمَسَدُ أَيْضًا: حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خوصٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا، وَمَسَدُ الْحَبْلِ أَمْسُدُهُ مَسَدًا: إِذَا أَجَدْتُ فَتْلَهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أَيْ طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ^(٨). أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ يُسَمُّونَ الْبُكَرَةَ مَسَدًا؟

[قِصَّةٌ مِنْ إِبْدَاءِ امْرَأَةٍ أَبِي لَهَبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي وَأَبُو زُرْعَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيُّ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ [ابْنِ تَدْرُسَ] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَبِيلٍ

(١) أحمد: ٣٤٣/٣ (٢) فتح الباري: ٦٠٩/٨ (٣) أحمد: ٣٤١/٤ (٤) أحمد: ٣٤١/٤ (٥) الطبري: ٦٧٧/٢٤ (٦) الطبري: ٦٧٧/٢٤ (٧) الدر المشور: ٦٦٧/٨ (٨) الطبري: ٦٨١/٢٤

فَجَعَلَتْ أَحَدَهُ عَنِ افْتِرَاقِ النَّاسِ وَمَا أَحَدُتُوا، فَجَعَلَ جَابِرٌ يَبْكِي، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا»^(١). آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّصْرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ تَبَّتْ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

[سَبَبُ نَزُولِ السُّورَةِ، وَعِنَادُ أَبِي لَهَبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ] رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبُطْحَاءِ فَصَعِدَ الْجَبَلَ فَنَادَى: «يَا صَبَا حَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ، أَوْ مُمْسِكُكُمْ أَكُنْتُمْ تُصَدَّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبَّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾... إِلَى آخِرِهَا^(٢). وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَامَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: تَبَّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ الْأَوَّلُ دَعَاءٌ عَلَيْهِ وَالثَّانِي خَبَرٌ عَنْهُ، فَأَبُو لَهَبٍ هَذَا هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْعَزَى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو [عُتْبَةَ]، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَبَا لَهَبٍ لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْبَغْضَى لَهُ، وَالْإِزْدِرَاءَ بِهِ، وَالتَّنْقِصَ لَهُ وَلِدَيْهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: رَبِيعَةُ بْنُ عَبَّادٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقٍ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِبُوا» وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ دُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَذَا عُمَةُ أَبُو لَهَبٍ^(٣).

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ سُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ... فَذَكَرَهُ، قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: قُلْتُ لِرَبِيعَةَ: كُنْتُ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ، أَنِّي أَزِفِرُ الْقُرْبَةَ^(٤). تَقَرَّدَ بِهِ

بُنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلَوْلَةٌ وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ:
مَدَمَّمَا أَبَيْنَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ،
فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَقْبَلْتُ وَأَنَا
أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ
تَرَانِي» وَقَرَأَ قُرْآنًا اغْتَضَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِذَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾
[الاسراء: ٤٥] فَأَقْبَلْتُ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أَخْبَرْتُ أَنَّ
صَاحِبَكَ هَجَانِي، فَقَالَ: لَا، وَرَبُّ هَذَا النَّبِيِّ مَا هَجَاكَ،
فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَنَّ ابْنَهُ سَيِّدَهَا. قَالَ:
وَقَالَ الْوَلِيدُ فِي حَدِيثِهِ أَوْ غَيْرُهُ: فَعَثَرْتُ أُمَّ جَبِيلٍ فِي
مِرْطَها وَهِيَ تَطُوفُ بِالنَّبِيِّ فَقَالَتْ: نَعَسَ مَدَمَّمٌ، فَقَالَتْ أُمُّ
حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لَحَصَانٌ فَمَا أَكُلُمُ، وَتَقَافُ
فَمَا أَعْلَمُ، وَكِلْتَانَا مِنْ بَنِي الْعَمِّ، وَقُرَيْشٌ بَعْدَ أَعْلَمُ^(١).
آخِرُ تَفْسِيرِ السُّورَةِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

(ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِهَا وَفَضْلُهَا)

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا
لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ انْشُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) وَلَمْ
يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٣) وَكَذَا رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ، زَادَ ابْنُ جَرِيرٍ وَالتِّرْمِذِيُّ قَالَ:
﴿الصَّمَدُ﴾ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ
إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ وَلَا عَدْلٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ^(٤). وَرَوَاهُ
ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالتِّرْمِذِيُّ فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا، ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ:
وَهَذَا أَصَحُّ^(٥).

(حَدِيثٌ آخَرٌ فِي فَضْلِهَا) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَكَانَتْ فِي جِجَرٍ عَائِشَةُ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ -
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى
سَرِيٍّ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِهِ ﴿قُلْ هُوَ

٦٠٤

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ (٢) وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ۝ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ (٥)

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ (١) مَلِكِ النَّاسِ ۝ (٢) إِلَهِ
النَّاسِ ۝ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَفَاسِ ۝ (٤) الَّذِي
يُوسَسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ (٥)
مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝ (٦)

اللَّهُ أَحَدٌ ۝ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
«سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَضُنُّ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ
الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ» هَكَذَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ
التَّوْحِيدِ^(٥). وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ أَيْضًا^(٦).

(حَدِيثٌ آخَرٌ) رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، عَنْ
أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي
مَسْجِدِ قُبَاءٍ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةَ يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي

(١) فتح الباري: ٦١٠/٨ مسند الحميدي (٣٢٥) وقال حسين
سليم أسد الداراني: "في أصولنا وفي مصادر التخرُّج أيضًا "ابن
تدرس" والصواب أن الراوي عن أسماء هو تدرس جد أبي الزبير
وانظر ترجمة كل من الوليد بن كثير وأسماء في "تهذيب الكمال"
وقال: تدرس جد أبي الزبير ما رأيت له ترجمة. انظر تعليقه على
المسند للحميدي ٣٢٣/١، ٣٢٤. (٢) أحمد: ١٣٣/٥ (٣)
تحفة الأحوذى: ٢٩٩/٩ والطبري: ٦٩١/٢٤ (٤) تحفة
الأحوذى: ٣٠١/٩ (٥) فتح الباري: ٣٦٠/١٣ (٦) مسلم: ٥٥٧/١
والنسائي في الكبرى: ١٧٧/٦

دَاوُدَ وَالتَّوْمِيذِيَّ وَالنَّسَائِيَّ وَقَالَ التَّوْمِيذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ^(٩). وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، وَلَفْظُهُ «تَكْفِكَ كُلَّ شَيْءٍ»^(١٠).

(حَدِيثٌ آخَرٌ) فِي الدُّعَاءِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ. رَوَى النَّسَائِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِهَا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي يَدْعُو يَقُولُ: اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(١١). وَقَدْ أَخْرَجَهُ بَيْهَقِيُّ أَصْحَابُ السَّنَنِ^(١٢). وَقَالَ التَّوْمِيذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(حَدِيثٌ آخَرٌ فِي الْأَسْتِثْفَاءِ بِهِ) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، وَقَرَأَ فِيهِمَا: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَ«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» وَ«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْاِنْسَانِ» ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ. يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(١٣). وَهَكَذَا رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ^(١٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ① اَللّٰهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴿

قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِهَا، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: نَحْنُ نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَالَتِ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» بِغَنِيِّ هُوَ

الصَّلَاةِ وَمِمَّا يَقْرَأُ بِهِ، افْتَتَحَ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَقْرَعَ مِنْهَا، ثُمَّ كَانَ يَقْرَأُ سُورَةَ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَضَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهِذِهِ السُّورَةَ ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِالْأُخْرَى، فِيمَا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا تَدْعَاهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَوْكُمُ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَكَرَهُوا أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَنَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «يَا فَلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟» قَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ». هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا مَجْزُومًا بِهِ^(١).

(حَدِيثٌ فِي كَوْنِهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَفَالَّهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(٢). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ^(٣).

(حَدِيثٌ آخَرٌ) رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَسَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَتَيْنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»^(٤). تَفَرَّدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ.

(حَدِيثٌ آخَرٌ فِي كَوْنِ قِرَاءَتِهَا تَوْجِبُ الْجَنَّةَ) رَوَى الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ عُثَيْبِ بْنِ خُنَيْنٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجَبَتْ - قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: - الْجَنَّةُ»^(٥). وَرَوَاهُ التَّوْمِيذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ، وَقَالَ التَّوْمِيذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ^(٦). وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٧).

(حَدِيثٌ فِي تَكَرُّارِ قِرَاءَتِهَا) رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصَابَنَا عَطَشٌ وَظَلَمَةٌ فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِنَا، فَخَرَجَ فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: «قُلْ» فَسَكَتُ. قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُنْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، تَكْفِكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»^(٨). وَرَوَاهُ أَبُو

(١) فتح الباري: ٢/٢٩٨ (٢) فتح الباري: ٨/٦٧٦ (٣) أبو داود: ٢/١٥٢ والنسائي في الكبرى: ٥/١٦ (٤) فتح الباري: ٨/٦٧٦ (٥) الموطأ: ١/٢٠٨ (٦) تحفة الأحوذى: ٨/٢٠٩ والنسائي في الكبرى: ٦/١٧٧ (٧) فتح الباري: ٢/٢٩٨ (٨) أحمد: ٥/٣١٢ (٩) أبو داود: ٥/٣٢٠ وتحفة الأحوذى: ١٠/٢٨ والنسائي: ٨/٢٥٠ (١٠) النسائي: ٨/٢٥١ (١١) النسائي في الكبرى: تحفة الأشراف: ٢/٩٠ (١٢) أبو داود: ١٤٩٣ والترمذي: ٣٤٧٥ وابن ماجه: ٣٨٥٧ (١٣) فتح الباري: ٨/٦٧٩ (١٤) أبو داود: ٥/٣٠٣ وتحفة الأحوذى: ٩/٣٤٧ والنسائي في الكبرى: ٦/١٩٧ وابن ماجه: ٢/١٢٧٥

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأْنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»^(٤).

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

تَفْسِيرُ سُورَتِي الْمَعُودَتَيْنِ وَهُمَا مَدَنِيَّتَانِ

[مَوْفُتُ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنَ الْمَعُودَتَيْنِ]

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ زُرَّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ابْنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لَا يَكْتُبُ الْمَعُودَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» فَقُلْتُهَا: قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فَقُلْتُهَا. فَتَحَنُّ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ»^(٥).

[فَضْلُ الْمَعُودَتَيْنِ]

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أَنْزَلْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا قَطُّ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» وَ«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»»^(٦) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالتَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٧).

(طَرِيقُ أُخْرَى) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقَبٍ مِنْ تِلْكَ النَّقَابِ إِذْ قَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ أَلَا تَرَكُّبُ؟» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبْتُ هَنِيئَةً ثُمَّ رَكِبَ ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا أَعْلَمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْرَأْنِي: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» وَ«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَالَ:

الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِنْبَاءِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «اللَّهُ الصَّمَدُ» قَالَ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْني الَّذِي يَصْمَدُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي سُودَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِكْمَتِهِ. وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّودَدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَتَّبِعِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفُوٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^(١). وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ: «الصَّمَدُ» السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُودَدُهُ^(٢).

[اللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْكُفُو]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ. كُفُوًا أَحَدٌ» أَيُّ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» يَعْنِي لَا صَاحِبَةٌ لَهُ، وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: «بِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَكَ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَكَ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» [الأنعام: ١٠١] أَيُّ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا» لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا^(٣) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا^(٤) أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا^(٥) وَمَا يَلْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا^(٦) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا^(٧) لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا^(٨) وَلَهُمْ مَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرَارًا [مریم: ٨٨-٩٥].

وَقَالَ تَعَالَى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» لَا يَسْتَفْتُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ^(٩) [الأنبياء: ٢٧، ٢٦] وَقَالَ تَعَالَى: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا» وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ^(١٠) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ [الصافات: ١٥٨، ٥٩] وَفِي الصَّحِيحِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: «لَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ»^(١١). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ

(١) الطبري: ٦٩٢/٢٤ (٢) الطبري: ٦٩٢/٢٤ (٣) فتح الباري: ٣٧٢/١٣ (٤) فتح الباري: ٦١١/٨، ٦١٢ (٥) أحمد: ١٢٩/٥ (٦) مسلم: ٥٥٨/١ (٧) أحمد: ١٤٤/٤ وتحفة الأحوذى: ٣٠٣/٩ والنسائي: ٢٥٤/٨

هَذَا^(١). قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَابْنُ زَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ: وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾^(٢) [الأنعام: ٩٦]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أَيْ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: جَهَنَّمُ وَإِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ: مِمَّا خَلَقَ. ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: (غَاسِقُ اللَّيْلِ إِذَا وَقَبَ) غُرُوبُ الشَّمْسِ. حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُ^(٣). وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْهُ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ، وَالضَّحَّاكُ وَخُصَيْفٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: إِنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ بِظُلَامِهِ^(٤). وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ. وَقَالَ أَبُو الْمُهَزَّمِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الْكُوكَبُ^(٥). وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ: الْغَاسِقُ سَقُوطُ الثُّرَيَّا، وَكَانَتْ الْأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وَقُوعِهَا، وَتَزْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا^(٦).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَمَرُ. (قُلْتُ) وَغَمْدُهُ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ طَلَعَ وَقَالَ: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»^(٧). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي كِتَابَيْهِ التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا^(٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ الْفَقْدَنِ فِي الْعَقْدِ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وَعِكْرَمَةُ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: يَعْنِي السَّوَاحِرَ^(٩). قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا رَقِينَ وَنَفَنَ فِي الْعَقْدِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ أَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَزْوَاجُكَ مِنْ

«كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عَقِيبُ، أَفَرَأَى بِهِمَا كُلَّمَا يَمُتُ وَكُلَّمَا قُمْتَ»^(١٠). وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ^(١١).

(طَرِيقٌ أُخْرَى) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَعَوَّذُوا بِمِثْلِ هَذَيْنِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(١٢).

(طَرِيقٌ أُخْرَى) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: كُنْتُ أُمِشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ؟ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾» فَقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِذٌ بِمِثْلِهَا»^(١٣).

(حَدِيثٌ آخَرٌ) رَوَى النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَلَا أَدُلُّكَ - أَوْ أَلَا أُخْبِرُكَ - بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾» - وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هَاتَانِ السُّورَتَانِ»^(١٤).

وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَتَشْتَدُّ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَأَمْسَحَ بِيَدِهِ عَلَيْهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا^(١٥). وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ^(١٦).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الْجَانِّ وَأَعْيُنِ الْإِنْسَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ^(١٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿١﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ الْفَقْدَنِ فِي الْعَقْدِ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٤﴾

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «الْفَلَقُ»: الصُّبْحُ^(١). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «الْفَلَقُ»: الصُّبْحُ^(٢). وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ مِثْلُ

(١) أحمد: ١٤٤/٤ (٢) أبو داود: ١٥٢/٢ والنسائي: ٨/٢٥٢، ٢٥٣ (٣) الكنى للدولابي: ١٠٦/١ (٤) النسائي: ٨/٢٥٣ (٥) النسائي: ٢٥١/٨ (٦) الموطأ: ٩٤٢/٢ (٧) فتح الباري: ٦٧٩/٨ ومسلم: ١٧٢٣/٤ وأبو داود: ٢٢٠/٤ والنسائي في الكبرى: ٨٦٧/٤ و٣٦٨ وابن ماجه: ١١٦٦/٢ (٨) تحفة الأحوذى: ٢١٨/٦ والنسائي: ٢٧١/٨ وابن ماجه: ١١٦١/٢ (٩) الطبري: ٧٠٠/٢٤ (١٠) الطبري: ٧٠١/٢٤ (١١) الطبري: ٧٠٠/٢٤، ٧٠١ (١٢) الطبري: ٧٠١/٢٤ (١٣) فتح الباري: ٦١٣/٨ (١٤) الطبري: ٧٤٨/١٢، ٧٤٩ (علمية) (١٥) الطبري: ١٤٩/١٢ (علمية) (١٦) الطبري: ١٤٩/١٢ (علمية). (١٧) أحمد: ٦١/٦ (١٨) الترمذي: ٣٣٦٦ (١٩) الطبري: ٧٥٠/١٢، ٧٥١

كُلُّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ^(١).
[بَيَانُ سِحْرِ النَّبِيِّ]

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الطَّبِّ مِنْ صَحِيحِهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَجَرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ - قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السَّحْرِ، إِذَا كَانَ كَذَا - فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ، قَالَ: لَيْدُ بْنُ أَغْصَمَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ، كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرَ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بئرِ ذَرْوَانَ» قَالَتْ: فَأَتَى الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ: «هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أَرَيْتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نَقَاعَةُ الْحِثَاءِ، وَكَأَنَّ نَحْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ». قَالَ: فَاسْتَخْرَجَ [قَالَتْ] فَقُلْتُ: أَفَلَا تَنْتَشِرْتُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهَ أَنْ أُبَيَّرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ سَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّكَاسِ ⑥﴾
هَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ: الرَّبُّوبِيَّةُ وَالْمُلْكُ وَالْإِلَهِيَّةُ، فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ وَالْإِلَهُ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، مَمْلُوكَةٌ عِبْدٌ لَهُ، فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيدَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِالْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُؤَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يُزَيِّنُ لَهُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ» قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٣).

وَبُذِّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ فِي قِصَّةِ زِيَارَةِ صَفِيَّةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُتَعَتِّفٌ، وَخُرُوجِهِ مَعَهَا لَيْلًا لِيَزِدَّهَا إِلَى مَنْزِلِهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَمِيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «إِنَّ

الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا، أَوْ قَالَ: شَرًّا»^(٤).

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قَالَ: الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَعَقَلَ وَسَوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَسَسَ^(٥). وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ^(٦). وَقَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ: ذَكَرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ الْوَسْوَاسَ يَنْفُثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَسَسَ^(٧). وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ قَالَ: هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْمُرُ، فَإِذَا أَطِيعَ خَسَسَ^(٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ هَلْ يَخْتَصُّ هَذَا بِبَنِي آدَمَ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ يُعْمَ بِبَنِي آدَمَ وَالْجِنِّ؟ فِيهِ قَوْلَانِ: وَيَكُونُونَ قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيظًا. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِيهِمْ رِجَالٌ مِنَ الْجِنِّ فَلَا يَدْعُ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ^(٩).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّكَاسِ﴾ هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّهُمْ فَقَالَ: ﴿مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّكَاسِ﴾ وَهَذَا يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِي. وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّكَاسِ﴾ تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَحْدُثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لِأَنَّ آخِرَ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَاسَةِ»^(١٠). وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّيَمِيُّ^(١١).

آخِرُ التَّفْسِيرِ، وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) مسلم: ٢١٨٦ (٢) فتح الباري: ١٠/٢٤٣ (٣) مسلم: ٤/٢١٦٧ (٤) فتح الباري: ٤/٣٢٦ (٥) الطبري: ٢٤/٧٠٩
إسناده ضعيف لأجل شيخ الطبري محمد بن حميد الرازي (٦)
الطبري: ٢٤/٧١٠ (٧) الطبري: ٢٤/٧١٠ (٨) الطبري: ٢٤/٧١٠
٧١٠ (٩) الطبري: ٢٤/٧١١ (١٠) أحمد: ١/٢٣٥ (١١)
أبو داود: ٥/٣٣٦ والسنائي في الكبرى: ٦/١٧١

مراجع التخریج لمخلص تفسیر ابن کثیر

- ١ - الأدب المفرد للبخاري، المكتبة الأثرية، بمبائي، الهند.
- ٢ - أسد الغابة لابن الأثير، الشعب.
- ٣ - أطراف المسند لابن حجر، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.
- ٤ - الأم للشافعي، الشعب.
- ٥ - الإتيقان للسيوطي، الطبعة الثالثة، دار التراث، بالقاهرة.
- ٦ - إرواء الغليل، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٧ - الإصابة لابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٨ - الاستيعاب لابن عبد البر على أسفل الإصابة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٩ - البحر الزخار للبخاري، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- ١٠ - البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
- ١١ - البعث والنشور لابن أبي داود، دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٢ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- ١٣ - تاريخ الطبري، دار سويدان، بيروت، لبنان.
- ١٤ - التاريخ الكبير للإمام البخاري، بدون ذكر المطبعة.
- ١٥ - تحفة الأحوذى للمحدث عبدالرحمن المباركفوري، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ١٦ - تحفة الأشراف، الدار القيمة، بيوندي، بمبائي، الهند.
- ١٧ - تخریج الإحياء للعراقي، دار العاصمة، الرياض.
- ١٨ - تخریج الكشف لابن حجر، في آخر الكشف، وفي بعض الطبقات أسفله.
- ١٩ - ترتيب مسند الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢٠ - الترغيب والترهيب للمنذري، مكتبة شباب الأزهر.
- ٢١ - تفسير البغوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٢٢ - تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية مع التكملة.
- ٢٣ - تفسير عبدالرزاق، مكتبة الرشد، الرياض.
- ٢٤ - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق د/الغامدي - مسودة.
- ٢٥ - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- ٢٦ - التفسير الكبير للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢٧ - تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، لعبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، لبنان.
- ٢٨ - تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ٢٩ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٣٠ - جامع المسانيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- بيروت، لبنان. ٣١ - جزء حسن بن عرفة، مكتبة دار الأقصى، الكويت.
- ٣٢ - الجزء المفقود من مصنف ابن أبي شيبة، دار عالم الكتب، الرياض.
- ٣٣ - حلية الأولياء للأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٣٤ - الدر المنثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٣٥ - الدرر اختصار المغازي والسير لابن عبد البر، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- ٣٦ - دلائل النبوة للأصبهاني، دار الباز، مكة المكرمة.
- ٣٧ - دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٣٨ - الرسالة للإمام الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، بالقاهرة.
- ٣٩ - الروض الأنف للسهيلى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٤٠ - زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤١ - الزهد لهناد بن السري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامى، الكويت.
- ٤٢ - سلسلة الأحاديث الضعيفة للمحدث الألباني، المكتب الإسلامى. بيروت.
- ٤٣ - السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامى.
- ٤٤ - سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص، سورية.
- ٤٥ - سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- ٤٦ - سنن الدارقطني، نشر السنة، ملتان، باكستان.
- ٤٧ - سنن الدارمي، نشر السنة، ملتان، باكستان.
- ٤٨ - سنن سعيد بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٤٩ - السنن الكبرى للبيهقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٥٠ - السنن الكبرى للنسائي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥١ - سنن النسائي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٢ - سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.
- ٥٣ - شرح السنة للبغوي، المكتب الإسلامى، بيروت.
- ٥٤ - الشريعة للأجري، حديث أكاديمى، فيصل آباد، باكستان.
- ٥٥ - شعب الإيمان للبيهقي، الدار السلفية، بمبائى، الهند.
- ٥٦ - شمائل الترمذى، دار العلم، جدة.
- ٥٧ - صحيح ابن حبان، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٨ - صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمى، المكتب الإسلامى.
- ٥٩ - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربى.
- ٦٠ - صفة الجنة لأبي نعيم، بيروت، لبنان.
- ٦١ - الضعفاء للعقيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٦٢ - الطوال للطبراني في آخر الجزء للمعجم الكبير.
- ٦٣ - العظيمة لأبي الشيخ، دار العاصمة، الرياض.

- ٦٤ - علل الحديث لعلي بن المديني، بيروت، لبنان.
- ٦٥ - العلل المتناهية لابن الجوزي، إدارة العلوم الأثرية فيصل آباد، باكستان.
- ٦٦ - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر، (بدون اسم المطبعة).
- ٦٧ - عمل اليوم والليلة للنسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٦٨ - عون المعبود للعلامة شمس الحق العظيم آبادي، نشر السنة، ملتان، باكستان.
- ٦٩ - غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٧٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية، بالقاهرة.
- ٧١ - فتح القدير للشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧٢ - الفردوس للدليمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٣ - فضائل القرآن لأبي عبيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٤ - فضائل القرآن للإمام النسائي، تحقيق فاروق حمادة، دار الثقافة، المغرب.
- ٧٥ - الفقيه والمتفقه للبغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٧٦ - الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٧٧ - كتاب الزهد لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٧٨ - كتاب الصلاة للمروزي، مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
- ٧٩ - كتاب المجروحين لابن حبان، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.
- ٨٠ - الكشف للزمخشري، دار الكتاب العربي.
- ٨١ - كشف الأستار، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٨٢ - مجمع الزوائد للهيثمي، دار الكتاب، بيروت، لبنان.
- ٨٣ - المجموع المغيث للمدني الأصفهاني، دار المدني، جدة.
- ٨٤ - المحرر الوجيز لعبد الحق بن غالب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٨٥ - المختارة للضياء، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- ٨٦ - المراسيل لأبي داود، المكتبة القاسمية، فيصل آباد، باكستان.
- ٨٧ - المستدرک للإمام الحاكم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٨٨ - مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٨٩ - مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ٩٠ - مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.
- ٩١ - مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، ودار صادر، بيروت.
- ٩٢ - مسند الحميدي، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- ٩٣ - مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٩٤ - مشكاة المصابيح للتبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٩٥ - مشكل الآثار للطحاوي، دائرة المعارف، حيدرآباد، الهند.
- ٩٦ - المصنف لابن أبي شيبه، الدار السلفية، بمبائي، الهند.

- ٩٧ - المصنف لعبدالرزاق، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٩٨ - المطالب العالية للحافظ ابن حجر.
- ٩٩ - المعجم الأوسط للطبراني، مكتبة المعارف، الرياض.
- ١٠٠ - المعجم الصغير للطبراني، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ١٠١ - المعجم الكبير للطبراني، الطبعة الثانية، القاهرة.
- ١٠٢ - المغازي للواقدي.
- ١٠٣ - المنتخب من مسند عبد بن حميد، مكتبة السنة، القاهرة.
- ١٠٤ - موارد الزمان للهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٠٥ - الموطأ للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

الفهرس

| | | |
|----|----|---|
| ٢١ | ٥ | مقدمة الطبعة الأولى |
| ٢١ | ٨ | مقدمة الطبعة الثانية |
| ٢١ | ٩ | شرح الرموز المستعملة في التخریج |
| ٢٢ | ١١ | ترجمة المؤلف |
| ٢٢ | ١٥ | [مقدمة ابن كثير] |
| ٢٢ | ١٥ | [الأمر يفهم القرآن] |
| ٢٢ | ١٦ | [أصول التفسير] |
| ٢٣ | ١٦ | [حكم الروايات الإسرائيلية] |
| ٢٣ | ١٧ | [مكانه تفسير التابيعين] |
| ٢٣ | ١٧ | [التفسير بالرأي] |
| ٢٤ | ١٧ | [الأسكوت عن تفسير غير المعلوم] |
| ٢٤ | ١٨ | [وجوه التفسير] |
| ٢٥ | ١٨ | [السور المكية والمدنية] |
| ٢٥ | ١٨ | [عدد آيات القرآن الكريم] |
| ٢٥ | ١٨ | [عدد كلماته وحروفه] |
| ٢٥ | ١٨ | [تقسيمات أخرى للقرآن الكريم] |
| ٢٦ | ١٨ | [التحزيب والتجزئة] |
| ٢٦ | ١٩ | [معنى السورة واشتقاقها] |
| ٢٧ | ١٩ | [معنى الآية] |
| ٢٧ | ١٩ | [معنى الكلمة] |
| ٢٧ | ١٩ | [العجمة والقرآن] |
| ٢٧ | ٢٠ | سورة الفاتحة |
| ٢٨ | ٢٠ | [أسماء الفاتحة ومعناها] |
| ٢٨ | ٢٠ | [عدد آياتها] |
| ٢٨ | ٢٠ | [عدد كلماتها وحروفها] |
| ٢٨ | ٢٠ | [لماذا سميت أم الكتاب] |
| ٢٨ | ٢٠ | [ذكر ما ورد في فضل الفاتحة] |
| ٢٨ | ٢١ | [قراءة الفاتحة في الصلاة] |
| ٢٨ | | الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة |
| ٢٩ | ٢١ | من وجوه |
| | | أوجوب قراءة الفاتحة في الصلوات كلها إماماً كان أو |
| | | مأموماً أو منفرداً] |
| | | [تفسير الاستعاذة وأحكامها] |
| | | [الاستعاذة تكون قبل التلاوة] |
| | | [التعوذ عند الغضب] |
| | | [الاستعاذة واجبة أو مستحبة؟] |
| | | [من لطائف الاستعاذة] |
| | | [معنى الاستعاذة] |
| | | [تسميته الشيطان] |
| | | [معنى الرجيم] |
| | | [البسملة أول آية من سورة الفاتحة] |
| | | [الجهر والأسرار بالبسملة في الصلاة الجهرية] |
| | | فضل في فضلها |
| | | [استحبها في بداية كل عمل] |
| | | [بماذا يتعلق بسم الله] |
| | | [معنى لفظ الجلالة «الله»] |
| | | [تفسير: الرحمن الرحيم] |
| | | [معنى الحمد] |
| | | [الفرق بين الحمد والشكر] |
| | | ذكر أقوال السلف في الحمد |
| | | [فضائل الحمد] |
| | | [الألف واللام في الحمد للاستغراق] |
| | | [معنى الرب] |
| | | [معنى العالمين] |
| | | [وجه تسمية العالم] |
| | | [معنى مالك وملك] |
| | | [معنى تخصيص الملك بيوم الدين] |
| | | [معنى يوم الدين] |
| | | [الملك وملك الأملاك هو الله] |
| | | [تفسير الدين] |

| | | | |
|----|--|----|--|
| ٤٠ | [ذِكْرُ الْمُتَافِقِينَ] | ٢٩ | [مَعْنَى الْعِبَادَةِ لُغَةً وَشَرْعًا] |
| ٤٠ | [مَعْنَى التَّفَاقُقِ] | ٢٩ | [فَوَائِدُ تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ وَالْإِثْقَاتِ] |
| ٤٠ | [بِدَايَةُ التَّفَاقُقِ] | ٢٩ | [الْفَاتِحَةُ إِشَادٌ إِلَى الثَّنَاءِ فَتَجِبُ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَاةِ] |
| ٤١ | [تَفْسِيرُ الْآيَةِ] | ٢٩ | [تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ] |
| ٤٢ | [الْمُرَادُ بِالْمَرَضِ] | ٢٩ | [تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ] |
| ٤٢ | [الْمُرَادُ بِالْفَسَادِ] | ٢٩ | [تَسْمِيَةُ اللَّهِ نَبِيَّهُ عَبْدًا فِي أَشْرَفِ الْمَقَامَاتِ] |
| ٤٢ | [أَنْوَاعُ فَسَادِ الْمُتَافِقِينَ] | ٣٠ | [الْإِشَادُ إِلَى الْعِبَادَةِ عِنْدَ ضَيْقِ الصَّدْرِ] |
| ٤٣ | [مَكْرُ الْمُتَافِقِينَ وَخِدَاعُهُمْ] | ٣٠ | [سِرُّ تَأْخِيرِ الدَّعَاءِ بَعْدَ الْحَمْدِ وَالْوُصْفِ] |
| ٤٣ | [شَيْاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] | ٣٠ | [مَعْنَى الْهِدَايَةِ] |
| ٤٤ | [مَعْنَى الْإِسْتِهْزَاءِ] | ٣٠ | [مَعْنَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ] |
| ٤٤ | [مَكْرُ الْمُتَافِقِينَ وَبَالَهُ عَلَيْهِمْ] | ٣٠ | [سُؤَالُ الْمُؤْمِنِ الْهِدَايَةَ مَعَ اتِّصَافِهِ بِهَا] |
| ٤٤ | [الْمَدُّ وَالطُّغْيَانُ وَالْعَمَّةُ] | ٣٢ | [مُسْتَمَلَاتُ الْفَاتِحَةِ] |
| ٤٥ | [مَثَلُ الْمُتَافِقِينَ] | | [إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَى اللَّهِ دُونَ الْإِضْلالِ وَالرَّدُّ عَلَى |
| ٤٥ | [مَثَلُ آخَرٍ لِلْمُتَافِقِينَ] | ٣٢ | الْقَدَرِيَّةِ] |
| ٤٦ | ذِكْرُ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ | ٣٢ | [التَّائِمِينَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ] |
| ٤٦ | [أَقْسَامُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَقْسَامُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَافِقِينَ] | ٣٣ | تفسير سورة البقرة |
| ٤٧ | [أَقْسَامُ الْقُلُوبِ] | ٣٣ | ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهَا مَعَ آلِ عِمْرَانَ |
| ٤٧ | [تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ] | ٣٤ | [سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدِينَةٌ بِلَا خِلَافٍ] |
| ٤٨ | [دَلَالَةُ وُجُودِ الْبَارِي تَعَالَى] | ٣٥ | [الْكَلامُ حَوْلَ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ] |
| ٤٨ | [إِبْنَاتُ رِسَالَةِ الرَّسُولِ ﷺ] | ٣٥ | [الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ دَالَّةٌ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ] |
| ٤٨ | [الْتِحَادِي وَالْإِعْجَازِ] | ٣٦ | [لَا رَيْبَ فِي الْقُرْآنِ] |
| ٤٩ | [مِنْ وَجْهِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ] | ٣٦ | [إِخْتِصَاصُ الْهِدَايَةِ بِالْمُتَّقِينَ] |
| ٥٠ | [الْقُرْآنُ هُوَ الْمُعْجَزَةُ الْعُظْمَى لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ] | ٣٦ | [مَعْنَى الْمُتَّقِينَ] |
| ٥٠ | [الْمُرَادُ بِالْحِجَارَةِ] | ٣٦ | [الْهِدَايَةُ نَوْعَانِ] |
| ٥١ | [إِنْ جَهَنَّمَ مَوْجُودَةٌ الْآنَ] | ٣٧ | [مَعْنَى التَّقْوَى] |
| ٥١ | [جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ] | ٣٧ | [مَعْنَى الْإِيمَانِ] |
| ٥١ | [مُشَابَهَةُ ثَمَارِ الْجَنَّةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ] | ٣٧ | [الْمُرَادُ بِالْغَيْبِ] |
| ٥١ | [أَزْوَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مُطَهَّرَاتٌ] | ٣٨ | [مَعْنَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ] |
| ٥٢ | [مَثَلٌ لِلنَّبَا] | ٣٨ | [الْمُرَادُ بِالْإِنْفَاقِ] |
| ٥٣ | [الْمُرَادُ بِالْخُشْرَانِ] | ٣٨ | [مَعْنَى الصَّلَاةِ] |
| ٥٤ | [بَيَانُ دَلَالَةِ الْقُدْرَةِ] | ٣٨ | [أَوْصَافُ الْمُؤْمِنِينَ] |
| ٥٤ | [بِدَايَةُ الْخَلْقِ] | ٣٩ | [الْهِدَايَةُ وَالْفَلَاحُ مِنْ نَصِيبِ الْمُؤْمِنِينَ] |
| ٥٤ | [خُلِقَتِ الْأَرْضُ قَبْلَ السَّمَاوَاتِ] | ٣٩ | [مَعْنَى الْحُثْمِ] |
| ٥٥ | [دُحِيتِ الْأَرْضُ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ] | ٤٠ | [إِغْرَابُ غِشَاوَةٍ وَمَعْنَاهَا] |

- ٥٥ [اسْتِخْلَافَ آدَمَ وَبَنِيهِ لِلْمَلَائِكَةِ وَمَا قَالُوهُ]
- ٥٦ [وُجُوبُ نَصَبِ الْخَلِيفَةِ، وَبَعْضُ مَسَائِلِ الْخِلَافَةِ]
- ٥٦ [فَضْلُ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ]
- ٥٧ [إِظْهَارُ فَضْلِ آدَمَ بِعِلْمِهِ]
- ٥٨ [تَكْرِيمُ آدَمَ بِسُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ]
- ٥٨ [دُخُولُ إِبْلِيسَ فِيمَنْ أَمَرَ بِالسُّجُودِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ]
- ٥٨ [كَانَتْ الطَّاعَةُ لِلَّهِ وَالسَّجْدَةُ لِآدَمَ]
- ٥٨ [اسْتِكْبَارُ إِبْلِيسَ]
- ٥٨ [تَكْرِيمُ آخَرُ لِآدَمَ]
- ٥٨ [خُلِقَتْ حَوَاءُ قَبْلَ دُخُولِ آدَمَ الْجَنَّةِ]
- ٥٩ [إِخْتِيَارُ آدَمَ بِالشَّجَرَةِ وَنَوْعُهَا]
- ٥٩ [بَعْضُ صِفَاتِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]
- ٥٩ [لَبَثَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ وَهُبُوطُهُ مِنْهَا]
- ٦٠ [شُبُهَةٌ وَجَوَابُهَا]
- ٦٠ [تَوْبَةُ آدَمَ وَدَعَاؤُهُ]
- ٦١ [حَضُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ]
- ٦١ [إِسْرَائِيلَ لَقَبُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]
- ٦١ [نِعَمَ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ]
- ٦١ [تَذْكِيرُ الْيَهُودِ بِعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ]
- ٦٢ [الْقَهْرُ عَنْ لَيْسَ الْحَقِّ وَكَيْفَانِهِ]
- ٦٣ [إِلَا شَتَاعَانَهُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ]
- ٦٤ [تَذْكِيرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِتَفْضِيلِهِمْ عَلَى الْأُمَمِ]
- ٦٤ [أُمَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ]
- ٦٥ [لَا يُقْبَلُ مِنَ الْكُفَّارِ شَفَاعَةٌ وَلَا فِدَاءٌ، وَلَا يُنْصَرُونَ]
- ٦٦ [تَنْجِيَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَإِعْرَاقُ آلِ فِرْعَوْنَ]
- ٦٦ [صَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ]
- ٦٧ [إِتِّخَاذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعِجْلِ]
- ٦٧ [تَوْبَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ]
- ٦٧ [طَلَبُ خِيَارِهِمْ رُؤْيَةَ اللَّهِ وَإِمَاتَتَهُمْ وَإِحْيَاؤَهُمْ]
- ٦٨ [تَظْلِيلُهُمْ بِالْعِغَامِ وَإِنْزَالُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى عَلَيْهِمْ]
- ٦٩ [فَضِيلَةُ صَحَابَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَائِرِ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ]
- ٦٩ [تَعَنَّتِ الْيَهُودُ بَعْدَ الْفَتْحِ بَدَلًا مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى]
- ٧١ [إِنْفِجَارُ اثْنَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا]
- ٧١ [طَلَبُهُمُ الطَّعَامَ الدَّيْنِيَّ بَدَلَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى]
- ٧٢ [أَضْرَبَ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ عَلَى الْيَهُودِ]
- ٧٢ [تَعْرِيفُ الْكِبَرِ]
- ٧٢ [إِلَايْمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ مَدَارُ النَّجَاةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ]
- ٧٣ [تَعْرِيفُ الْمُؤْمِنِ]
- ٧٣ [وَجْهٌ تَسْمِيَةُ الْيَهُودِ]
- ٧٣ [وَجْهٌ تَسْمِيَةُ النَّصَارَى]
- ٧٣ [الْمُؤْمِنُونَ]
- ٧٣ [الْصَّابِقُونَ]
- ٧٤ [أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ الْيَهُودِ مَعَ رَفْعِ الطُّورِ عَلَيْهِمْ وَتَوَلَّيَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ]
- ٧٤ [إِعْتِدَاؤُهُمْ فِي السَّبَبِ وَمَسْحُهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ]
- ٧٤ [الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ الْمَوْجُودَةُ لَيْسَتْ مِنْ نَسْلِ الْمَسْمُوحَةِ]
- ٧٥ [قِصَّةُ مَقْتُولِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْبَقَرَةَ]
- ٧٦ [تَعَنُّتُهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنِ الْبَقَرَةِ وَتَضْيِيقِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ]
- ٧٦ [إِحْيَاءُ الْمَقْتُولِ وَتَعْيِينُ الْقَاتِلِ]
- ٧٧ [بَيَانُ قَسْوَةِ قُلُوبِ الْيَهُودِ]
- ٧٧ [وُجُودُ قُوَّةِ الْإِذْرَاكِ فِي الْجِمَادَاتِ]
- ٧٨ [قَطْعُ الطَّمَعِ فِي إِيْمَانِ يَهُودَ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ]
- ٧٩ [الْيَهُودُ كَانُوا يُفْرُونَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا يُؤْمِنُونَ]
- ٧٩ [مَعْنَى الْأُمِّيِّ]
- ٧٩ [تَفْسِيرُ الْأَمَانِيِّ]
- ٨٠ [وَيْلٌ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الْمُحَرِّفِينَ]
- ٨٠ [مِنْ أَمَانِيِّ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ لَا يَمُكُونُ فِي النَّارِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً]
- ٨١ [مُحَرَّرَاتِ الذُّنُوبِ إِذَا اجْتَمَعْنَ يُهْلِكْنَ]
- ٨١ [مِيثَاقُ بَنِي إِسْرَائِيلَ]
- ٨٢ [بُنُودُ الْمِيثَاقِ، وَتَقْضِيَتُهُمْ لَهُ]
- ٨٣ [اسْتِكْبَارُ الْيَهُودِ وَتَكْذِيبُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَقَتْلُهُمْ إِيَّاهُمْ]
- ٨٤ [رُوحُ الْقُدْسِ هُوَ جِبْرِيلُ]
- ٨٤ [اسْتِمْرَارُ الْيَهُودِ فِي مُحَاوَلَةِ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ]
- ٨٥ [كَانَتْ الْيَهُودُ تَنْتَظِرُ بَعْثَةَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَعِثَ كَفَرُوا بِهِ]
- ٨٦ [إِدْعَاءُ الْيَهُودِ الْإِيْمَانَ مَعَ كُفْرِهِمْ بِالْحَقِّ]

- ١٠٥ [مَا هِيَ كَلِمَاتُ الْإِنْبَاءِ؟]
- ١٠٦ [عَهْدُ اللَّهِ لَا يَنَالُ الظَّالِمِينَ]
- ١٠٦ [فَضْلُ بَيْتِ اللَّهِ]
- ١٠٧ [مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ]
- ١٠٨ [الْأَمْرُ بِتَطْهِيرِ بَيْتِ اللَّهِ]
- ١٠٨ [تَحْرِيمُ مَكَّةَ]
- ١٠٩ [دُعَاءُ الْخَلِيلِ لِمَكَّةَ بِالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ]
- ١١٠ [بِنَاءُ الْكَعْبَةِ وَالدُّعَاءُ بِقَبُولِ ذَلِكَ الْعَمَلِ]
- ذِكْرُ بِنَاءِ قُرَيْشِ الْكَعْبَةِ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ سِنِينَ
- [الْتِزَاعُ فِي وَضْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَفَضَاءِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ الْقَضَاءِ الْعَادِلِ]
- ١١٢ [بِنَاءُ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْكَعْبَةَ عَلَى مَا كَانَ يُرِيدُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ]
- ١١٣ [حَبْسِيٌّ يَهْدُمُ الْكَعْبَةَ قُرْبَ الْقِيَامَةِ]
- ١١٤ [دُعَاءُ الْخَلِيلِ]
- ١١٥ [تَفْسِيرُ الْمَنَاسِكَ]
- ١١٥ [دُعَاءُ الْخَلِيلِ بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ]
- ١١٥ [تَفْسِيرُ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ]
- ١١٦ [مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، لَا يَرْغَبُ عَنْهَا إِلَّا السَّيْفِيَّةُ]
- ١١٦ [وُجُوبُ الْإِلْتِزَامِ بِالتَّوْحِيدِ حَتَّى الْمَمَاتِ]
- ١١٧ [عَهْدُ يَعْقُوبَ لِبَنِيهِ عِنْدَ الْمَوْتِ]
- الْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ نَبِيِّ وَنَبِيٍّ]
- ١١٨ [تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ]
- ١٢٠ [فَضْلُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ]
- ١٢١ [مِنْ حِكْمَةِ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ]
- ١٢٢ [هَلِ الْقِبْلَةُ عَيْنُ الْكَعْبَةِ أَمْ جِهَةُ الْكَعْبَةِ؟]
- ١٢٣ [مَسْأَلَةُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ كَانَتْ مَعْلُومَةً عِنْدَ الْيَهُودِ]
- ١٢٣ [مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَيْفَانَهُمُ الْحَقُّ]
- ١٢٤ [لِكُلِّ أُمَّةٍ قِبْلَةٌ]
- ١٢٤ [لِمَاذَا تَكَرَّرَ ذِكْرُ نَسْخِ الْقِبْلَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟]
- ١٢٤ [حِكْمَةُ نَسْخِ الْقِبْلَةِ]
- بِعْثَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ تُوجِبُ ذِكْرَ اللَّهِ

- [عِصْيَانُ الْيَهُودِ بَعْدَ أَخْذِ مِيثَاقِهِمْ وَرُؤْيَيْهِمُ الطُّورَ فَوْقَ رُؤْسِهِمْ]
- ٨٦ [دَعْوَةُ الْيَهُودِ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ]
- ٨٧ [جِرْصُهُمْ عَلَى طَوْلِ الْعُمَرِ]
- ٨٨ [عَدَاوَةُ الْيَهُودِ لِيَجْرِيَل]
- ٨٨ [الْتَفْرِيقُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَالْتَفْرِيقِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ]
- ٩٠ [دَلَالَةُ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ]
- ٩٠ [نَقْضُ الْعُهُودِ مِنْ عَادَةِ الْيَهُودِ]
- ٩٠ [الْيَهُودُ طَرَحُوا كِتَابَ اللَّهِ وَأَقْبَلُوا عَلَى السَّحْرِ]
- ٩١ [كَانَ السَّحَرُ قَبْلَ عَهْدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]
- ٩١ [قِصَّةُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَتَفْسِيرُ الْمَلَكَيْنِ]
- ٩٢ [تَعْلَمُ السَّحَرُ كُفْرًا]
- ٩٢ [مِنْ السَّحْرِ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ]
- ٩٣ [قَضَاءُ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ]
- ٩٣ [الْأَدَبُ فِي اخْتِيَارِ الْكَلِمَاتِ]
- ٩٤ [شِدَّةُ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ لِلْمُسْلِمِينَ]
- ٩٤ [الْتَسَخُّ وَتَعْرِيفُهُ]
- [بَيَانُ صِحَّةِ التَّسَخُّ وَالرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ فِي اسْتِحَالَتِهِمْ ذَلِكَ]
- ٩٥ [الْتَهْيُ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ]
- ٩٦ [الْتَهْيُ عَنْ سُؤْلِكَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ]
- ٩٧ [الْتَرْتِيبُ فِي الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ]
- ٩٨ [أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ]
- ٩٩ [تَنَازُعُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا بَيْنَهُمْ كُفْرًا وَعِنَادًا]
- ٩٩ [ظُلْمٌ مَنْ مَنَعَ عَنِ الْمَسَاجِدِ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا]
- ١٠٠ [بِشَارَةُ بَعْلِةِ الْإِسْلَامِ]
- ١٠٠ [اسْتِثْقَالُ الْقِبْلَةِ فِي الصَّلَوَاتِ]
- ١٠١ [قِبْلَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ]
- ١٠١ [الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ وَلَدًا]
- ١٠٢ [كُلُّ شَيْءٍ خَاصٌّ وَقَائِتُ اللَّهِ تَعَالَى]
- ١٠٢ [مَعْنَى الْبَدِيعِ]
- ١٠٣ [أَوْصَافُهُ ﷺ فِي التَّوَرَةِ]
- ١٠٤ [مَعْنَى الثَّلَاوَةِ الْحَقَّةِ]
- ١٠٥ [ذِكْرُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَتَوَلِّيَتِهِ إِمَامَةً النَّاسِ]

- وَشَكَرَهُ [١٢٥]
- فَضْلُ الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ [١٢٥]
- حَيَاةُ الشُّهَدَاءِ [١٢٦]
- يُنْتَلَى الْمُؤْمِنُ فَيُصْبِرُ وَيُؤْجِرُ [١٢٦]
- فَضْلُ الْإِسْتِزْجَاعِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ [١٢٧]
- مَعْنَى نَفْيِ الْجُنَاحِ فِي الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ [١٢٧]
- حُكْمُ السَّعْيِ وَأَصْلُهُ [١٢٧]
- الَّلَعْنُ الدَّائِمُ لِمَنْ كَتَمَ الْأَحْكَامَ الدِّيْنِيَّةَ [١٢٨]
- جَوَازُ لَعْنِ الْكَفَرَةِ [١٢٩]
- ذَلَالَةُ التَّوْحِيدِ [١٢٩]
- أَحْوَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَبَرُّؤُ الْمُتَّبِعِينَ مِنْ تَابِعِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [١٣٠]
- الْأَمْرُ بِأَكْلِ الْحَلَالِ، وَالنَّهْيُ عَنِ اتِّبَاعِ خُطَوَاتِ الشُّبْطَانِ [١٣١]
- الْمُشْرِكُ مُقْلَدٌ [١٣٢]
- مَثَلُ الْمُشْرِكِ مَثَلُ الْحَيَوَانِ [١٣٢]
- الْأَمْرُ بِأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ، وَبَيَانُ الْمُحَرَّمَاتِ [١٣٢]
- إِبَاحَةُ الْحَرَامِ لِلْمُضْطَرِّ [١٣٣]
- ذَمُّ الْيَهُودِ عَلَى كَيْفَانِهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ [١٣٤]
- جَامِعُ الْبِرِّ [١٣٥]
- الْأَمْرُ بِالْفَصَاصِ، وَبَيَانُ مَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ [١٣٦]
- لَوْلِي الدِّمِ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ [١٣٧]
- فَائِدَةُ الْفَصَاصِ وَحِكْمَتُهُ [١٣٧]
- الْأَمْرُ بِالْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، ثُمَّ نَسْخُهَا فِي حَقِّ الْوَرَثَةِ [١٣٨]
- الْوَصِيَّةُ لِقَرِيبٍ لَا يَرِثُ [١٣٨]
- الْوَصِيَّةُ بِالْمَعْرُوفِ [١٣٨]
- فَضْلُ الْعَدْلِ فِي الْوَصِيَّةِ [١٣٩]
- الْأَمْرُ بِالصَّوْمِ [١٣٩]
- فَيْدَةُ الصِّيَامِ لِلْعَجَزَةِ وَكِبَرِي السِّنِّ [١٤٠]
- فَضْلُ رَمَضَانَ وَنَزُولُ الْقُرْآنِ فِيهِ [١٤٠]
- فَضْلُ الْقُرْآنِ [١٤٠]
- إِيجَابُ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ [١٤٠]
- مَسَائِلُ عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ [١٤٠]
- [أُلَيْسَتْ دُونَ الْعُسْرِ]
- ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى إِتِمَامِ الْعِبَادَةِ [١٤١]
- اللَّهُ يَسْمَعُ دُعَاءَ عِبَادِهِ [١٤١]
- الدُّعَاءُ يُقْبَلُ وَلَا يَضِيعُ [١٤٢]
- ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ [١٤٢]
- [إِلَّا ذُنُوبُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ فِي لَيْلِي رَمَضَانَ]
- [أَجْرٌ وَقْتُ السُّحُورِ]
- [اسْتِخْبَابُ السُّحُورِ وَبَيَانُ وَقْتِهِ]
- مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا فَلَا حَرَجَ فِي صِيَامِهِ [١٤٤]
- الصِّيَامُ يَنْتَهِي بِدُخُولِ اللَّيْلِ فَيُسْرَعُ الْإِفْطَارُ عَلَى الْفُورِ [١٤٤]
- النَّهْيُ عَنِ صَوْمِ الرِّصَالِ [١٤٥]
- أَحْكَامُ الْإِغْتِكَافِ [١٤٥]
- الرَّشْوَةُ حَرَامٌ [١٤٦]
- قَضَاءُ الْقَاضِي لَا يُحِلُّ حَرَامًا وَلَا يُحَرِّمُ حَلَالًا [١٤٦]
- السُّؤَالُ عَنِ الْأَهْلَةِ [١٤٦]
- مَدَارُ الْبِرِّ عَلَى الثَّقْوَى [١٤٧]
- الْأَمْرُ بِقِتَالِ مَنْ يَقَاتِلُ، وَيَقْتُلُهُ حَيْثُ وَجَدَ [١٤٧]
- النَّهْيُ عَنِ الْإِعْتِدَاءِ كَالْمُنْتَلَةِ وَالْعُلُولِ [١٤٧]
- الْمُشْرِكُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ [١٤٨]
- حُرْمَةُ الْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ، وَجَوَازُ دَفْعِ الصَّائِلِ [١٤٨]
- الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً [١٤٨]
- حُرْمَةُ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ إِلَّا إِذَا بَدَأَ الْعَدُوُّ بِالْقِتَالِ فِيهَا [١٤٩]
- الْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [١٥٠]
- الْأَمْرُ بِإِتِمَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ [١٥٠]
- إِذَا أُخْصِرَ الْمُحْرِمُ فِي الطَّرِيقِ فَلْيَدْبَحْ وَلْيَحْلِقْ رَأْسَهُ وَيَتَحَلَّلْ [١٥١]
- مَنْ حَلَقَ رَأْسَهُ مُحْرِمًا وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ [١٥٢]
- بَيَانُ التَّمَتُّعِ فِي الْحَجِّ [١٥٢]
- إِذَا لَمْ يَجِدِ التَّمَتُّعَ الْهَدْيَ فَلْيَصُمْ عَشْرَةَ أَيَّامٍ [١٥٣]
- لَا يَتَمَتَّعُ أَهْلُ مَكَّةَ [١٥٤]
- مَتَى يُحْرَمُ لِلْحَجِّ؟ [١٥٤]
- أَشْهُرُ الْحَجِّ [١٥٤]
- النَّهْيُ عَنِ الرَّفَثِ فِي الْحَجِّ [١٥٥]

- ١٥٥ [النَّهْيُ عَنِ الْمُسْقُوفِ فِي الْحَجِّ]
- ١٥٥ [النَّهْيُ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْحَجِّ]
- ١٥٥ [التَّرْغِيبُ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَأَخْذُ الزَّادِ فِي الْحَجِّ]
- ١٥٦ [زَادُ سَفَرِ الْآخِرَةِ]
- ١٥٦ [التَّجَارَةُ فِي الْحَجِّ]
- ١٥٦ [الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ]
- ١٥٧ [وَقْتُ الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَفَاتٍ وَمُزْدَلِفَةَ]
- ١٥٧ [الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ]
- ١٥٧ [الْأَمْرُ بِالْتِزَامِ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا: لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَقِفُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ]
- ١٥٧ [الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ وَبَعْضُ أَدْعِيَةِ الْإِسْتِغْفَارِ]
- ١٥٨ [الْأَمْرُ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَطَلَبِ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَعْدَ قَضَاءِ الشُّكِّ]
- ١٦٠ [الذِّكْرُ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبِ]
- ١٦٠ [بَيَانُ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ]
- ١٦٠ [بَيَانُ أَحْوَالِ الْمَنَافِقِينَ]
- ١٦١ [مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِ رَدُّ النَّصِيحَةِ]
- ١٦١ [مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ الْمُخْلِصِ إِثَارُ مَرْضَاةِ اللَّهِ]
- ١٦٢ [وُجُوبُ الْأَخْذِ بِالْإِسْلَامِ كَامِلًا]
- ١٦٢ [الْحَثُّ عَلَى عَدَمِ التَّأَخِيرِ فِي الْإِيمَانِ]
- ١٦٣ [عِقَابُ تَبْدِيلِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَالسُّخْرِيَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]
- ١٦٣ [الْأَخْتِلَافُ بَعْدَ مَجِيءِ الْعِلْمِ دَلِيلٌ عَلَى الْبَغْيِ وَالضَّلَالِ]
- ١٦٣ [لَا يَحْصُلُ النَّصْرُ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ إِلَّا بَعْدَ الْإِخْتِيَارِ وَالتَّمْيِيزِ]
- ١٦٨ [التَّدْرُجُ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ]
- ١٦٩ [الْأَمْرُ بِإِنْفَاقِ مَا فَضَّلَ مِنَ الْمَالِ]
- ١٦٩ [إِصْلَاحُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى]
- ١٦٩ [تَحْرِيمُ نِكَاحِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ]
- ١٧٠ [الْأَمْرُ بِاغْتِرَالِ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ]
- ١٧١ [تَحْرِيمُ الْوُطْءِ فِي الدُّبْرِ]
- ١٧٣ [النَّهْيُ عَنِ الْيَمِينِ بِتَرْكِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ]
- ١٧٣ [لَعْنُ الْيَمِينِ]
- ١٧٤ [الْإِيْلَاءُ وَحُكْمُهُ]
- ١٧٤ [بَيَانُ عِدَّةِ الْمُطَلَّغَةِ]
- ١٧٥ [مَعْنَى الْفَرْءِ]
- ١٧٥ [يُقْبَلُ كَلَامُ النِّسَاءِ فِي الْحَيْضِ وَالطَّهْرِ]
- ١٧٥ [الزَّوْجُ أَحَقُّ بِالرَّجْعَةِ]
- ١٧٥ [أَحْصَاءُ الزَّوْجَيْنِ]
- ١٧٥ [فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ]
- ١٧٦ [قَضَرُ الطَّلَاقِ عَلَى الثَّلَاثِ، وَبَيَانُ الرَّجْعِيَّةِ وَالْبَائِنَةِ]
- ١٧٦ [النَّهْيُ عَنِ اسْتِزْجَاعِ الْمَهْرِ]
- ١٧٦ [الْإِذْنُ بِالْخُلْعِ وَاسْتِزْجَاعِ الْمَهْرِ فِيهِ]
- ١٧٧ [عِدَّةُ الْمُخْتَلَعَةِ]
- ١٧٧ [إِعْثَاءُ حُدُودِ اللَّهِ ظُلْمًا]
- ١٧٧ [الطَّلَاقُ الثَّلَاثُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ حَرَامٌ]
- ١٧٧ [لَا رَجْعَةَ بَعْدَ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ]
- ١٧٨ [اللَّعْنَةُ عَلَى الْمُحْلِلِ وَالْمُحْلَلِ لَهُ]
- ١٧٨ [مَتَى تَحِلُّ الْمُطَلَّغَةُ ثَلَاثًا لِزَوْجِهَا الْأَوَّلِ]
- ١٧٨ [الْأَمْرُ بِحُسْنِ الْمَعَامَلَةِ مَعَ الْمُطَلَّغَةِ]
- ١٧٩ [نَهْيُ الزَّوْجِيِّ عَنِ مَنَعِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكِحَ زَوْجَهَا الْمُطْلُوقَ]
- ١٧٩ [لَا يَنْكَاحُ إِلَّا بَوْلِي]
- ١٧٩ [سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ]
- ١٧٩ [لَا رِضَاعَةَ إِلَّا فِي مُدَّةِ الرِّضَاعَةِ]
- ١٨٠ [رِضَاعَةُ الْكَبِيرِ]
- ١٨٠ [أُجْرَةُ الرِّضَاعَةِ]
- ١٨٠ [لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارًا]
- ١٨٠ [الْفِطَامُ عَنْ تَرْضَائِ مِنْهُمَا]
- ١٨١ [عِدَّةُ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا]
- ١٨٢ [حُكْمُهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ]
- ١٨٢ [عِدَّةُ أُمِّ الْوَلَدِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا سَيِّدُهَا]
- ١٨٢ [وُجُوبُ الْإِحْدَادِ فِي هَذِهِ الْعِدَّةِ]
- ١٨٢ [إِبَاحَةُ التَّعْرِضِ بِالْخَطْبَةِ فِي الْعِدَّةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ النِّكَاحِ فِيهَا]
- ١٨٣ [الطَّلَاقُ قَبْلَ الدُّخُولِ]
- ١٨٣ [مُنْعَةُ الطَّلَاقِ]
- ١٨٤ [لِلْمَرْأَةِ نِصْفُ الْمَهْرِ إِذَا طُلِّقَتْ قَبْلَ الدُّخُولِ]
- ١٨٥ [الْصَّلَاةُ الْوُسْطَى]

- ١٨٥ [أَلْتَهِيَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ]
- ١٨٦ [صَلَاةُ الْخَوْفِ]
- ١٨٦ [أَلَأْمُرُ بِإِنْتِمَاءِ الصَّلَاةِ فِي حَالَةِ الْأَمْنِ]
- ١٨٦ [تَسْخُ هَذِهِ الْآيَةِ]
- ١٨٧ [وَأُجُوبُ مُتَعَةَ الطَّلَاقِ]
- ١٨٨ [قِصَّةُ هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتِ]
- ١٨٨ [أَلْفِرَارُ مِنَ الْجِهَادِ لَا يَقْرُبُ الْأَجَلَ وَلَا يُبْعِدُهُ]
- ١٨٩ [أَلْقَرَضُ الْحَسَنُ وَتَوَابُهُ]
- ١٨٩ [قِصَّةُ الْيَهُودِ فِي طَلَبِهِمُ الْمَلِكَ وَالْقِتَالَ مَعَهُ، وَاسْتِقَامَةُ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَانْتِصَارُهُمْ]
- ١٩٢ [تَقْضِيلُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ]
- ١٩٣ [فَضْلُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ]
- ١٩٤ [إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ]
- ١٩٤ [وَهَذِهِ الْآيَةُ مُسْتَمْلَةٌ عَلَى عَشْرِ جُمَلٍ مُسْتَفْلَةٍ]
- ١٩٥ [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]
- ١٩٥ [التَّوْحِيدُ هُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى]
- ١٩٧ [مُنَاطَرَةُ خَلِيلِ اللَّهِ مَعَ نُمُرُودَ]
- ١٩٨ [قِصَّةُ غَزِيرٍ]
- ١٩٩ [طَلَبُ خَلِيلِ اللَّهِ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَى]
- ١٩٩ [جَوَابُ طَلَبِ الْخَلِيلِ]
- ١٩٩ [جَزَاءُ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ]
- ٢٠٠ [النَّهْيُ عَنِ إِتْبَاعِ الصَّدَقَاتِ الْمَنِّ وَالْأَدَى]
- ٢٠١ [مِثَالُ ضِيَاعِ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ]
- ٢٠٢ [تَرْغِيبُ إِنْفَاقِ الْمَالِ الطَّيِّبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ]
- ٢٠٣ [الْوَسَاوِسُ الشَّيْطَانِيَّةُ فِي الْإِنْفَاقِ]
- ٢٠٣ [مَعْنَى الْحِكْمَةِ]
- ٢٠٤ [فَضْلُ إِظْهَارِ الصَّدَقَةِ وَإِخْفَائِهَا]
- ٢٠٤ [الصَّدَقَةُ لِلْمُشْرِكِينَ]
- ٢٠٥ [مَنْ أَحَقُّ بِالصَّدَقَةِ]
- ٢٠٥ [مَدْحُ الْمُتَصَدِّقِينَ]
- ٢٠٦ [ذَمُّ أَكْلِ الرِّبَا]
- ٢٠٧ [لَا يُبَارَكُ فِي الرِّبَا]
- ٢٠٧ [إِنَّ اللَّهَ يُرِي الصَّدَقَاتِ كَمَا يُرِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ]
- ٢٠٨ [الْكَافِرُ الْأَيْمُ مُبْعَضٌ عِنْدَ اللَّهِ]
- ٢٠٨ [مَدْحُ الشَّاكِرِينَ]
- ٢٠٨ [أَلَأْمُرُ بِالتَّقْوَى وَاجْتِنَابِ الرِّبَا]
- ٢٠٨ [أَكُلِ الرِّبَا إِغْلَانًا عَنِ الْحَرْبِ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]
- ٢٠٨ [الإِخْسَانُ إِلَى الْمُعْسِرِ]
- ٢١٠ [أَلَأْمُرُ بِكِتَابَةِ الْمُعَامَلَاتِ الْمُؤَجَّلَةِ]
- ٢١٠ [أَلَأْمُرُ بِالْإِشْهَادِ مَعَ الْكِتَابَةِ]
- ٢١٢ [بَيَانُ الرَّهْنِ]
- ٢١٢ [هَلْ يُحَاسَبُ الْعِبَادُ عَلَى مَا أَخْفَوْهُ فِي صُدُورِهِمْ]
- ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ
- ٢١٣ [الْكُرَيْمَتَيْنِ نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِمَا]
- ٢١٤ [تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ]
- ٢١٥ [تفسير سورة آل عمران وهي مدنيّة]
- ٢١٦ [بَيَانُ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَالْمُحْكَمَاتِ]
- ٢١٧ [لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَّا اللَّهُ]
- ٢١٨ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ]
- [تَهْدِيدُ الْيَهُودِ بِأَنَّهُمْ سَيُعْلَبُونَ، وَحَثُّهُمْ عَلَى الْإِعْتِبَارِ]
- ٢١٨ [يَوْمَ بَدْرٍ]
- ٢١٩ [بَيَانُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا]
- ٢٢٠ [جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا كُلِّهَا]
- ٢٢١ [دُعَاءُ الْمُتَّقِينَ وَصِفَاتُهُمْ]
- ٢٢١ [شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ]
- ٢٢١ [الدِّينُ هُوَ الْإِسْلَامُ]
- [الإِسْلَامُ دِينُ النَّاسِ كَافَّةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا]
- ٢٢٢ [ذَمُّ الْيَهُودِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ]
- ٢٢٣ [ذَمُّ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى عَدَمِ تَحْكِيمِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ]
- ٢٢٣ [الإِزْهَادُ إِلَى الشُّكْرِ]
- ٢٢٤ [النَّهْيُ عَنِ مَوَالَاةِ الْمُشْرِكِينَ]
- [اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَيُخْضِرُ كُلَّ أَعْمَالٍ الْعَبْدَ]
- ٢٢٥ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
- ٢٢٥ [حُبُّ اللَّهِ فِي اتِّبَاعِ الرُّسُولِ]
- ٢٢٥ [الْمُصْطَفَوْنَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ]
- ٢٢٦ [قِصَّةُ وَلَادَةِ مَرْيَمَ]
- ٢٢٦ [نُشُوءُ مَرْيَمَ وَكَرَامَتُهَا عَلَى اللَّهِ]

- [تَعْنِيفُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ
الله] ٢٢٦
- [تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ طَاعَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ] ٢٤٧
- [مَا هُوَ حَقُّ تَقَاةِ اللهِ؟] ٢٤٧
- [الْأَمْرُ بِالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ] ٢٤٨
- [الْأَمْرُ بِالْقِيَامِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ] ٢٤٨
- [النَّهْيُ عَنِ التَّفَرُّقَةِ] ٢٤٩
- [تَمَرَّتْ الْأَلْفَةُ وَالْفَرْقَةُ يَوْمَ الْحَشْرِ] ٢٤٩
- [فَضْلُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَكَوْنُهَا خَيْرَ أُمَّةٍ] ٢٥٠
- [نَوْعٌ آخَرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضِيلَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَشَرَفِهَا وَكَرَامَتِهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهَا خَيْرُ
الْأُمَمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ٢٥٠
- [الْإِشَارَةُ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ] ٢٥١
- [فَضْلٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] ٢٥٢
- [بَيَانٌ مِثْلُ مَا يُنْفِقُهُ الْكُفَّارُ] ٢٥٢
- [النَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِطَانَةً] ٢٥٣
- [بَيَانٌ غَزْوَةِ أُحُدٍ] ٢٥٤
- [التَّذْكِيرُ بِنَصْرِ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ فَلَةِ الْعَدُوِّ وَالْعُدُوِّ] ٢٥٥
- [النَّصْرُ بِالْمَلَائِكَةِ] ٢٥٥
- [حُرْمَةُ الرَّبَا عَلَى الْإِطْلَاقِ] ٢٥٧
- [التَّنْبِيْهُ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَحُصُولِ الْجَنَّةِ] ٢٥٨
- [بَيَانٌ حِكْمَةِ مَا أَصْبَحُوا بِهِ يَوْمَ أُحُدٍ] ٢٥٩
- [ذِكْرُ إِشَاعَةِ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَبَيَانُ
الْمَوْفِقِ الصَّحِيحِ فِي حَالَةِ مَوْتِهِ] ٢٦١
- [النَّهْيُ عَنْ طَاعَةِ الْكُفَّارِ، وَبَيَانُ أَسْبَابِ مَا حَصَلَ فِي
أُحُدٍ مِنَ النَّصْرِ وَالْهَرِيمَةِ] ٢٦٢
- [ذِكْرُ مَا أَصَابَ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْهَرِيمَةِ] ٢٦٤
- [دِفَاعُ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ] ٢٦٤
- [إِنْزَالُ الْأَمْنَةِ، وَهِيَ النَّعَاسُ أَثْنَاءَ الْغَزْوَةِ، عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ، وَذِكْرُ هَلَاكِ الْمُنَافِقِينَ] ٢٦٥
- [ذِكْرُ تَوَلَّى بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وَبَيَانُ الْعَفْوِ عَنْهُمْ] ٢٦٦
- [النَّهْيُ عَنْ مُشَابَهَةِ الْكُفَّارِ فِي تَغْلِيْقِ الْمَوْتِ وَأُمُورِ الْقَدْرِ
بِغَيْرِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى] ٢٦٦
- [مِنْ صِفَاتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الرَّحْمَةُ وَاللِّينُ] ٢٦٧
- [دُعَاءُ زَكْرِيَّا وَتَبَشِيرُهُ بِيَحْيَى] ٢٢٧
- [فَضْلُ مَرْيَمَ عَلَى نِسَاءِ عَصْرِهَا] ٢٢٨
- [تَبَشِيرُ مَرْيَمَ الصَّدِيقَةِ بِعِيسَى] ٢٢٩
- [كَلَامُ عِيسَى فِي الْمَهْدِ] ٢٢٩
- [خَلَقَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي] ٢٢٩
- [صِفَاتُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُعْجَزَاتُهُ وَدَعْوَتُهُ] ٢٣٠
- [نُصْرَةُ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] ٢٣١
- [هَمُّ الْيَهُودِ بِقَتْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] ٢٣١
- [مَعْنَى مُتَوَفِّكٍ] ٢٣٢
- [التَّحْرِيفُ فِي دِينِ الْمَسِيحِ] ٢٣٢
- [تَهْدِيدُ الْكُفَّارِ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ٢٣٣
- [الْمُسَائِلَةُ فِي خَلْقِ آدَمَ وَعِيسَى] ٢٣٣
- [الدَّعْوَةُ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] ٢٣٣
- [مَسْأَلَةُ التَّوْحِيدِ مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ] ٢٣٥
- [مُحَاجَّةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ] ٢٣٦
- [حَسَدُ الْيَهُودِ لِلْمُسْلِمِينَ وَكَيْدُهُمْ] ٢٣٧
- [بَيَانُ حَالِ أَمَانَةِ الْيَهُودِ] ٢٣٧
- [لَا نَصِيبَ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ خَالَفَ الْعَهْدَ] ٢٣٨
- [تَحْرِيفُ الْيَهُودِ لِكَلَامِ اللهِ بِلُغَةِ الْإِنْسَانِ] ٢٣٩
- [النَّبِيُّ لَا يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ وَلَا إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ] ٢٣٩
- [أَخَذَ الْمَوِيثَاقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ] ٢٤٠
- [الَّذِينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَلَا يَقْبَلُ غَيْرُهُ] ٢٤١
- [لَا يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ الْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ تَابَ] ٢٤١
- [لَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْكَافِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَلَا فِذْيَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ٢٤٢
- [الْإِنْفَاقُ مِنْ أَحَبِّ الْأَمْوَالِ مِنَ الْبِرِّ] ٢٤٢
- [أَسْئَلَةُ الْيَهُودِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ] ٢٤٣
- [الْكُتْبَةُ أَوَّلُ بَيْتٍ وَضِعَ لِلْعِبَادَةِ] ٢٤٤
- [وَجْهٌ تَسْمِيَةٌ بَكَّةً، وَأَسْمَاءُ مَكَّةَ] ٢٤٥
- [مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ] ٢٤٥
- [الْحَرَمُ مَقَامٌ أَمِنٌ] ٢٤٥
- [بَيَانُ وَجُوبِ الْحُجِّ] ٢٤٦
- [مَعْنَى الْأَسْطِغَاةِ] ٢٤٦
- [مُنْكَرُ الْحُجِّ كَافِرٌ] ٢٤٦

[جَوَازُ الْأَكْلِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ بِقَدْرِ قِيَامِهِمْ عَلَيْهِ] ٢٨٧
[الْأَمْرُ بِالتَّوَرِثِ وَالرَّضْخِ لِحَاضِرِي الْقِسْمَةِ مِنْ غَيْرِ
الْوَرَقَةِ] ٢٨٨
[الْعَدْلُ فِي الْوَصِيَّةِ] ٢٨٨
[الْوَعْدُ لِمَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ] ٢٨٨
[الْأَمْرُ بِالْمَوَارِيثِ وَالْحَضُّ عَلَى تَعْلِيمِهَا] ٢٨٩
[سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ] ٢٨٩
[الْأَوْلَادُ يَرِثُونَ بِحِسَابِ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ] ٢٨٩
[مِيرَاثُ الْبَنَاتِ إِذَا انفردن] ٢٩٠
[مِيرَاثُ الْوَالِدَيْنِ] ٢٩٠
[تَقْدِيمُ الذَّيْنِ ثُمَّ الْوَصِيَّةِ عَلَى الْمِيرَاثِ] ٢٩٠
[مِيرَاثُ الرُّوَجَيْنِ] ٢٩١
[تَعْرِيفُ الْكَلَالَةِ] ٢٩١
[حُكْمُ أَوْلَادِ الْأُمِّ مِنْ غَيْرِ أَبِيهِ] ٢٩١
[الْوَعْدُ عَلَى تَعْدِي الْحُدُودِ فِي الْمَوَارِيثِ] ٢٩٢
[الْأَمْرُ بِحَبْسِ الزَّانِيَةِ فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ نَسْخُ هَذَا الْأَمْرِ] ٢٩٢
[قَوْلُ تَوْبَةِ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ] ٢٩٣
[مَعْنَى إِرْثِ النِّسَاءِ كَرَهَا] ٢٩٤
[الْهَيْ عَنِ الْإِضْرَارِ بِالنِّسَاءِ] ٢٩٤
[الْأَمْرُ بِحُسْنِ عَشْرَةِ النِّسَاءِ] ٢٩٥
[الْهَيْ عَنِ اسْتِرْدَادِ الصَّدَاقِ] ٢٩٥
[تَحْرِيمُ زَوَاجَاتِ الْأَبِ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَحُكْمُ مَنْ خَالَفَ
ذَلِكَ] ٢٩٦
[بَيَانُ الْمُحَرَّمَاتِ الْأَبَدِيَّةِ وَغَيْرِ الْأَبَدِيَّةِ] ٢٩٦
[قَدْرُ مَا يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَمَدَّتُهَا] ٢٩٧
[حُرْمَةُ أُمَّهَاتِ الزَّوْجَاتِ وَبَنَاتِهِنَّ] ٢٩٧
[الرَّبِيبَةُ حَرَامٌ سِوَاءَ كَانَتْ فِي حَجَرِ الرَّجُلِ أَوْ لَمْ تَكُنْ] ٢٩٧
[تَفْسِيرُ الدُّخُولِ] ٢٩٨
[تَحْرِيمُ زَوَاجَاتِ الْأَبْنَاءِ دُونَ زَوَاجَاتِ الْمُتَبَنَّى] ٢٩٨
[شُبْهَةٌ وَجَوَابُهَا] ٢٩٨
[تَحْرِيمُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ فِي النِّكَاحِ] ٢٩٨
[تَحْرِيمُ الْمُحْصَنَاتِ إِلَّا إِذَا صِرْنَ مَلَكَ الْيَمِينِ] ٢٩٨
[إِخْلَالُ نِكَاحٍ غَيْرٍ مِنْ ذِكْرَانِ] ٢٩٨
[بَيَانُ مُتْعَةِ النِّسَاءِ وَحُرْمَتِهَا] ٢٩٩

[الْأَمْرُ بِالشُّورَى وَالْعَمَلُ بِهَا] ٢٦٧
[التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْمَشُورَةِ] ٢٦٨
[الْعُلُولُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ] ٢٦٨
[لَيْسَ الْأَمِينُ وَالْعَالُ سَوَاءٌ] ٢٦٩
[بِعَثَّةِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ] ٢٦٩
[سَبَبُ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَحِكْمَتُهُ] ٢٧٠
[فَضْلُ الشُّهَدَاءِ] ٢٧١
[ذِكْرُ غَرَوَةِ حَمَرَاءِ الْأَسَدِ وَفَضْلُ مَنْ شَهِدَهَا] ٢٧٢
[تَسْلِيَةُ لِلرُّسُولِ ﷺ] ٢٧٤
[دَمُ الْبُخْلِ وَالْوَعْدُ عَلَيْهِ] ٢٧٤
[وَعْدُ اللَّهِ لِلْمُشْرِكِينَ] ٢٧٥
[كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ] ٢٧٥
[لِمَنِ الْقُوْرُ ؟] ٢٧٦
[الْمُؤْمِنُ يُتْلَى وَيَسْمَعُ مِنَ الْعَدُوِّ الْأَذَى] ٢٧٦
[دَمُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى تَبْدِ الْعُهودِ وَكِتْمَانِ الْحَقِّ] ٢٧٧
[دَمُهُمْ عَلَى خِدَاعِهِمْ وَحُبُّهُمْ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَقْعُلُوا] ٢٧٧
[دَلَائِلُ التَّوْحِيدِ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَصِفَاتُهُمْ وَقَوْلُهُمْ
وَدَعَاؤُهُمْ] ٢٧٨
[اسْتِجَابَةُ اللَّهِ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] ٢٨٠
[التَّحْذِيرُ مِنَ الْإِعْثَارِ بِأَهْلِ الدُّنْيَا، وَبَيَانُ مَا لِلصَّالِحِينَ
مِنَ الْجَزَاءِ] ٢٨٠
[حَالُ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَجْرُهُمْ] ٢٨١
[الْأَمْرُ بِالْمُصَابَرَةِ وَالْمُرَابَطَةِ] ٢٨١
[تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ] ٢٨٣
[مَدِينَةٌ، وَبَعْضُ مَا لِهَذِهِ السُّورَةِ مِنْ فَصَائِلَ] ٢٨٣
[الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى وَالتَّذْكِيرُ بِالْخَلْقِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ] ٢٨٤
[الْأَمْرُ بِحِفْظِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى] ٢٨٤
[الْهَيْ عَنِ نِكَاحِ الْيَتِيمَةِ بِصَدَاقِ دُونِ] ٢٨٥
[قَصْرُ الزَّوْجِ عَلَى أَرْبَعٍ مِنَ النِّسَاءِ] ٢٨٥
[الْإِكْتِفَاءُ بِالْوَاحدةِ عِنْدَ خَشْيَةِ عَدَمِ الْعَدْلِ] ٢٨٥
[إِعْطَاءُ الصَّدَاقِ وَاجِبٌ] ٢٨٦
[الْحَجْرُ عَلَى الشُّهَدَاءِ] ٢٨٦
[الْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الْمَحْجُورِينَ بِالْمَعْرُوفِ] ٢٨٦
[الْأَمْرُ بِاخْتِيَارِ الْيَتَامَى، وَدَفْعِ أَمْوَالِهِمْ لَهُمْ عِنْدَ الرُّشْدِ] ٢٨٦

- ٢٩٩ [جَوَارُ نِكَاحِ الْإِمَاءِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِيعْ نِكَاحَ الْحَرَائِرِ]
 ٣٠٠ [عَلَى الْأَمَةِ إِذَا زَنَتْ يَصْفُ عَذَابُ الْحَرَّةِ]
 ٣٠٠ [النَّهْيُ عَنِ الْكَسْبِ الْحَرَامِ]
 ٣٠١ [خِيَارُ الْمَجْلِسِ فِي الْبَيْعِ مِنْ تَمَامِ التَّرَاضِي فِي التَّجَارَةِ]
 ٣٠١ [النَّهْيُ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ وَالْوَعْدُ عَلَيْهِ]
 ٣٠١ [تُكَفَّرُ الصَّغَائِرُ إِذَا اجْتَنِبَتْ الْكِبَائِرُ]
 ٣٠٢ [السَّعْيُ الْمُؤَبَّاتِ]
 ٣٠٢ [النَّهْيُ عَنْ تَمَنِّي مَا فَضَلَ بِهِ غَيْرُهُ]
 ٣٠٣ [عَلَامَةُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ]
 ٣٠٣ [الشُّؤُورُ وَعِلَاجُهُ]
 ٣٠٤ [لَا سَبِيلَ عَلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَطَاعَتْ]
 ٣٠٤ [تَحْكِيمُ حَكَمَيْنِ عِنْدَ خَوْفِ الشَّقَاقِ بَيْنَ الرُّوَجَيْنِ]
 ٣٠٤ [الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَغَيْرِهِمْ]
 ٣٠٥ [حَقُّ الْجَارِ]
 ٣٠٦ [الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَمْلُوكِ]
 ٣٠٦ [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ]
 ٣٠٧ [دَمُ الْبُخْلِ]
 ٣٠٨ [لَا يَطْلُمُ اللَّهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ]
 ٣٠٨ [هَلْ يَخَفُ الْعَذَابُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ]
 ٣٠٨ [مَعْنَى الْأَجْرِ الْعَظِيمِ]
 ٣٠٨ [شَهَادَةُ نَبِيِّنا ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَمَنِّي الْكُفَّارِ الْمَوْتَ]
 ٣٠٩ [النَّهْيُ عَنِ اقْتِرَابِ الصَّلَاةِ فِي حَالِ الشُّكْرِ وَالْجَنَابَةِ]
 ٣١٠ [بَيَانُ التَّيَمُّمِ]
 ٣١٢ [دَعْوَتُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ مَعَ التَّهْدِيدِ]
 ٣١٢ [إِسْلَامُ كَعْبِ الْأَخْبَارِ عِنْدَ سَمَاعِهِ هَذِهِ الْآيَةِ]
 ٣١٣ [لَا يَغْفَرُ الشُّرْكَ أَبَدًا إِلَّا بِالتَّوْبَةِ]
 ٣١٣ [دَمُ الْيَهُودِ وَلَعْنُهُمْ عَلَى تَرْكِتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِيمَانِهِمْ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاغُوتِ وَقَلْبِهِمُ الْهَدَايَةَ وَالْإِيمَانَ]
 ٣١٤ [لَا فَضْلَ لِلْكَفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ]
 ٣١٤ [لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ لِاسْتِنْصَارِهِمُ بِالْمُشْرِكِينَ]
 ٣١٥ [بُخْلُ الْيَهُودِ وَحَسَدُهُمْ]
 ٣١٥ [بَيَانُ عَذَابِ مَنْ يَكْفُرُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ]
 ٣١٥ [بَيَانُ مَالِ الصَّالِحِينَ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَتَعِيمُهَا]
 ٣١٦ [الْأَمْرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ]
 ٣١٦ [الْأَمْرُ بِالْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ]
 ٣١٧ [الْأَمْرُ بِطَاعَةِ الْأَمِيرِ فِي الْمَعْرُوفِ]
 ٣١٧ [الْأَمْرُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عِنْدَ التَّنَازُعِ]
 ٣١٨ [مَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَحَاكَمَ إِلَى مَا سِوَاهُمَا فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ]
 ٣١٨ [دَمُ الْمُنَافِقِينَ]
 ٣١٨ [طَاعَةُ الرَّسُولِ وَاجِبَةٌ حَتْمًا]
 ٣١٨ [لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُحْكَمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي خُصُومَاتِهِ وَيَرْضَى بِهِ فِي فِرَاقَةِ نَفْسِهِ]
 ٣١٩ [أَكْثَرُ النَّاسِ يُعَانِدُونَ لِمَا يُؤْمَرُونَ]
 ٣٢٠ [مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَهُوَ مَعَ الْمُكْرَمِينَ عِنْدَ اللَّهِ]
 ٣٢٠ [ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ]
 ٣٢١ [الْأَمْرُ بِأَخْذِ الْحَذَرِ مِنَ الْعُدُوِّ]
 ٣٢١ [مِنْ عِلَاقَاتِ الْمُنَافِقِينَ التَّخَلُّفُ عَنِ الْجِهَادِ]
 ٣٢١ [الْتَرَاغُيبُ فِي الْجِهَادِ]
 ٣٢١ [الْحِصْصَةُ عَلَى الْقِتَالِ لِلِإِنْفَاقِ الْمُسْتَضْعَفِينَ]
 ٣٢٢ [الْلُومُ عَلَى حُبِّ تَأَخُّرِ فَوْضِ الْقِتَالِ مِمَّنْ كَانُوا يُرِيدُونَهُ]
 ٣٢٢ [لَا مَفْرَءَ مِنَ الْمَوْتِ]
 ٣٢٢ [طَبِيرَةُ الْمُنَافِقِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ]
 ٣٢٣ [طَاعَةُ الرَّسُولِ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ]
 ٣٢٣ [بَيَانُ سَفَاهَةِ الْمُنَافِقِينَ]
 ٣٢٤ [الْقُرْآنُ حَقٌّ]
 ٣٢٤ [النَّهْيُ عَنِ إِشَاعَةِ الْخَبَرِ دُونَ تَحْقِيقِهِ]
 ٣٢٥ [أَمْرُ اللَّهِ رَسُولَهُ بِأَنْ يُبَايِسَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ]
 ٣٢٥ [تَحْرِيسُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ]
 ٣٢٦ [الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ]
 ٣٢٦ [الْأَمْرُ بِرَدِّ السَّلَامِ بِأَحْسَنِ مِنْهُ]
 ٣٢٧ [الْتَكْبِيرُ عَلَى اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ فِيمَنْ رَجَعَ مِنْ أُحُدٍ]
 ٣٢٧ [مَنْ يُقَاتِلْ وَمَنْ لَا يُقَاتِلْ؟]
 ٣٢٨ [حُكْمُ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ خَطَأً]

٣٥١ [عِبَادُ الْيَهُودِ].
 ٣٥٢ [جَرَائِمُ الْيَهُودِ].
 ٣٥٢ [قَوْلُهُمْ فِي مَرِيَمَ وَادْعَاؤُهُمْ قَتْلَ عِيسَى وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ].
 ٣٥٤ [يُؤْمِنُ جَمِيعُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ بِالْمَسِيحِ قَبْلَ مَوْتِهِ].
 [ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي نَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ].
 ٣٥٤ [صِفَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ].
 ٣٥٦ [تَحْرِيمُ طَيِّبَاتِ عَلَى الْيَهُودِ لِأَجْلِ ظُلْمِهِمْ].
 ٣٥٨ [أَوْحِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ مَا أَوْحِيَ إِلَى مَنْ قَبْلَهُ].
 ٣٥٨ [الْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَسُولًا].
 ٣٥٨ [فَضْلُ مُوسَى].
 ٣٥٨ [الْقَصْدُ مِنْ بَعَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ].
 ٣٦٠ [نَهَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَإِطْرَاءِ].
 ٣٦١ [فِرْقُ النَّصَارَى].
 ٣٦١ [الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَسْتَنْجِفُونَ عَنْ كَوْنِهِمْ عِبَادَ اللَّهِ].
 ٣٦٢ [أَوْصَافُ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ].
 ٣٦٢ [حُكْمُ الْكَلَالَةِ، وَهِيَ آخِرُ آيَةِ نَزُولًا].
 [ذِكْرُ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهَا وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ].
 ٣٦٣ [تفسير سورة المائدة].
 ٣٦٤ [فَضَائِلُ الْمَائِدَةِ وَزَمَنُ نَزُولِهَا].
 ٣٦٥ [بَيَانُ مَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ].
 ٣٦٥ [الْأَمْرُ بِاخْتِرَامِ الْحَرَمِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ].
 ٣٦٥ [الْإِهْدَاءُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ].
 ٣٦٦ [تَحْرِيمُ مَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ].
 ٣٦٦ [إِبَاحَةُ الصَّيْدِ بَعْدَ الْحَلَالِ مِنَ الْإِحْرَامِ].
 ٣٦٦ [الْعُدْلُ وَاجِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ].
 ٣٦٧ [مَا حُرِّمَ أَكْلُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ].
 ٣٦٩ [حُرْمَةُ الْاسْتِفْسَامِ بِالْأُزْلَامِ].
 ٣٦٩ [يَأْسُ الْكُفَّارِ وَالشَّيْطَانِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ].
 ٣٧٠ [إِكْمَالُ دِينِ الْإِسْلَامِ].
 ٣٧٠ [إِبَاحَةُ الْمَيْتَةِ فِي حَالَةِ الْاضْطِرَارِ].
 ٣٧١ [بَيَانُ الْحَلَالِ].

٣٢٩ [الْوَعْدُ عَلَى قَتْلِ الْعَمْدِ].
 ٣٢٩ [هَلْ تَقْبَلُ تَوْبَةَ قَاتِلِ الْعَمْدِ؟].
 ٣٣٠ [السَّلَامُ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِسْلَامِ].
 ٣٣١ [لَا يَسْتَوِي الْمُجَاهِدُونَ وَالْقَاعِدُونَ].
 [الْهَيْبَةُ عَنِ الْمُكْتَبِ فِي الْمُسْرِكِينَ لِلْقَادِرِينَ عَلَى الْهَجْرَةِ].
 ٣٣٢ [صَلَاةُ الْفَضْرِ].
 ٣٣٣ [بَيَانُ صَلَاةِ الْخُوفِ وَأَنْوَاعِهَا].
 ٣٣٤ [الْأَمْرُ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ عَقِبَ صَلَاةِ الْخُوفِ].
 ٣٣٥ [الْحَضُّ عَلَى مُطَارَدَةِ الْعَدُوِّ رَغْمَ الْجِرَاحِ].
 ٣٣٦ [الْأَمْرُ بِالْحُكْمِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ].
 [الْتَرَاغِبُ فِي التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْوَعْدُ لِمَنْ يَكْسِبُ الْإِثْمَ أَوْ يَرِي بِهِ الْبَرِيءَ].
 ٣٣٧ [نَجْوَى الْخَيْرِ].
 ٣٣٨ [جَزَاءُ مَنْ شَاقَّ الرَّسُولَ وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ].
 ٣٣٩ [الشِّرْكُ لَا يُغْفَرُ وَالْمُشْرِكُونَ يَغْبُدُونَ الشَّيْطَانَ فِي الْحَقِيقَةِ].
 ٣٣٩ [جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ].
 ٣٤٠ [الْتَجَاحُ لَيْسَ بِالْأَمَانِيِّ بَلْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ].
 ٣٤١ [إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ].
 ٣٤٢ [حُكْمُ النِّسَمَةِ].
 ٣٤٢ [أَحْكَامُ نُشُورِ الزَّوْجِ].
 ٣٤٣ [الْوَصِيَّةُ بِتَقْوَى اللَّهِ].
 ٣٤٤ [الْأَمْرُ بِالْقِيَامِ بِالْعَدْلِ وَبِإِدَاءِ الشَّهَادَةِ لِلَّهِ].
 ٣٤٥ [الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ بَعْدَ الْإِيمَانِ].
 ٣٤٦ [أَحْوَالُ الْمُتَافِقِينَ وَمَصِيرُهُمْ].
 ٣٤٦ [تَرْبُصُ الْمُتَافِقِينَ بِالْمُسْلِمِينَ].
 [مُخَادَعَةُ الْمُتَافِقِينَ اللَّهُ وَكَسَلُهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَتَدْبِيبُهُمْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ].
 ٣٤٨ [الْتَهْيُ عَنْ وَلَاءِ الْكَفَّارِ].
 ٣٤٩ [الْمُتَافِقُونَ - الْمُمُولُونَ لِلْكَفَّارِ - فِي أَشْفَلِ النَّارِ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا].
 ٣٤٩ [الْإِذْنُ بِالْجَهْرِ بِالسُّوءِ لِلْمَظْلُومِ مَعَ تَرْغِيهِ فِي الْعَفْوِ].
 ٣٥٠ [الْإِيمَانُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَالْكُفْرُ بِبَعْضِهِمْ كُفْرٌ خَالِصٌ].

- ٣٨٨ ... [تَعْجِلُ عُقُوبَةَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةَ الرَّجْمِ]
- ٣٨٨ ... [يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْتَرِمَ الْإِنْسَانَ]
- ٣٨٩ ... [تَهْدِيدُ الْمُسْرِفِينَ]
- ٣٨٩ ... [جَزَاءُ الْمُحَارِبِينَ وَالْأَشْرَارِ]
- ٣٩٠ ... [تَسْقُطُ حُدُودُ الْمُحَارِبِينَ إِذَا تَابُوا قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ]
- ٣٩١ ... [الْأَمْرُ بِالْتَّقْوَى وَالْوَسِيلَةَ وَالْجِهَادِ]
- ... لَا تُقْبَلُ الْفِدْيَةُ مِنَ الْكُفَّارِ وَهُمْ يَسْتَمِرُّونَ فِي عَذَابِ
- ٣٩٢ ... [النَّارِ]
- ٣٩٢ ... [الْأَمْرُ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ]
- ٣٩٢ ... [مَتَى تُقَطَّعُ يَدُ السَّارِقِ؟]
- ٣٩٣ ... [تَوْبَةُ السَّارِقِ مَقْبُولَةٌ]
- ٣٩٤ ... [الْتَّلْقِينُ بِعَدَمِ الْحُزْنِ عَلَى تَصَرُّفَاتِ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ]
- ... [تَحْرِيفُ الْيَهُودِ وَمُحَاوَلَةُ انْجِرَافِهِمْ عَنِ الرَّجْمِ فِي قِصَّةِ
- ٣٩٤ ... [الْيَهُودِيِّينَ]
- ٣٩٥ ... [دَّمَ مَقَاصِدِ الْيَهُودِ الرَّائِعَةِ وَمَدَّحُ كِتَابِهِمُ التَّوْرَةِ]
- ٣٩٦ ... [سَبَبُ آخَرٍ فِي نُزُولِ هَذِهِ آيَاتِ الْكَرِيمَاتِ]
- ٣٩٧ ... [يُقْتَلُ الرَّجُلُ بِامْرَأَةٍ]
- ٣٩٧ ... [قِصَاصُ الْجُرُوحِ]
- ٣٩٨ ... [قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ]
- ٣٩٨ ... [الْعُقُوفَةُ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ]
- ٣٩٨ ... [ذِكْرُ عِيسَى وَمَدَّحُ الْإِنْجِيلِ]
- ٣٩٩ ... [مَدَّحُ الْقُرْآنِ وَوَصْفُهُ وَالْأَمْرُ بِالْحُكْمِ بِهِ]
- ٤٠١ ... [الْتَّهْيُ عَنْ مَوَالِئِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ]
- ٤٠٢ ... [سَبَبُ النُّزُولِ]
- ٤٠٢ ... [مِنْ صِفَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَمَنْ يَتَوَلَّى عَنْهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ]
- ٤٠٣ ... [سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ آيَاتِ]
- ٤٠٣ ... [الْتَّهْيُ عَنْ مَوَالِئِ الْكُفَّارِ]
- ٤٠٤ ... [اسْتِهْزَاءُ الْكُفَّارِ بِالصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ]
- ٤٠٤ ... [نِقَمُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَجْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ]
- ٤٠٤ ... [أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْتَحِقُّونَ شَرَّ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
- ٤٠٥ ... [مِنْ عَادَاتِ الْمُنَافِقِينَ إِظْهَارُ الْإِيمَانِ وَإِطْطَانُ الْكُفْرِ]
- ... [الْتَّكْبِيرُ عَلَى الرِّبَّانِيِّينَ وَالْأَخْبَارِ عَلَى تَرْكِهِمْ النَّهْيَ عَنِ
- ٤٠٥ ... [الْمَعَاصِي]
- ٤٠٦ ... [قَوْلُ الْيَهُودِ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ]
- ٣٧١ ... [حُكْمُ صَيْدِ الْجَوَارِحِ الْمُعَلَّمَةِ]
- ٣٧٢ ... [الْتَّسْمِيَةُ عَلَى الْجَارِحِ عِنْدَ إِسْأَلِهِ]
- ٣٧٢ ... [جَلُّ ذَيْبَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ]
- ٣٧٣ ... [جَوَازُ نِكَاحِ الْحَرَائِرِ الْعَفَائِفِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ]
- ٣٧٤ ... [الْأَمْرُ بِالْوُضُوءِ]
- ٣٧٤ ... [الْكَيْتَةُ وَالتَّسْمِيَةُ فِي الْوُضُوءِ]
- ٣٧٤ ... [تَخْلِيلُ اللَّحْيَةِ]
- ٣٧٥ ... [كَفَيْتَةُ الْوُضُوءِ]
- ٣٧٥ ... [وُجُوبُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ دُونَ الْمَسْحِ]
- ٣٧٥ ... [ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ]
- ٣٧٦ ... [الْأَمْرُ بِالتَّخْلِيلِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ]
- ٣٧٦ ... [الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ سَنَةً ثَابِتَةً]
- ٣٧٦ ... [الْأَمْرُ بِالتَّيَمُّمِ عِنْدَ عَدَمِ وَجُودِ الْمَاءِ وَلِلْمَرِيضِ]
- ٣٧٧ ... [الْتَّدْعَاءُ بَعْدَ الْوُضُوءِ]
- ٣٧٧ ... [فَضْلُ الْوُضُوءِ]
- ٣٧٧ ... [الْتَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ الرِّسَالَةِ وَالْإِسْلَامِ]
- ٣٧٨ ... [الْأَمْرُ بِالنِّزَامِ الْعَدْلِ]
- ٣٧٨ ... [كَفَّ أَيْدِي الْكُفَّارِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ]
- ٣٧٨ ... [مِيثَاقُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَعْنُهُمْ عَلَى نَقْضِهِ]
- ٣٧٩ ... [نُقْبَاءُ الْأَنْصَارِ لَيْلَةُ الْعَقَبَةِ]
- ٣٨٠ ... [الْمِيثَاقُ وَنَقْضُهُ]
- ٣٨٠ ... [مِيثَاقُ النَّصَارَى وَنِسْيَانُهُمْ لَهُ وَنَيْبِجَتُهُ]
- ٣٨١ ... [بَيَانُ الْحَقِّ بِالرُّسُولِ وَالْقُرْآنِ]
- ٣٨١ ... [شِرْكُ النَّصَارَى وَكُفْرُهُمْ]
- ٣٨١ ... [الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِمْ: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ]
- ... [تَذْكِيرُ مُوسَى قَوْمَهُ بِنِعَمِ اللَّهِ وَأَمْرُهُ بِدُخُولِهِمْ فِي الْأَرْضِ
- ٣٨٣ ... [الْمُقَدَّسَةِ وَتَمَرُّدُهُمْ عَلَيْهِ]
- ٣٨٤ ... [خُطْبَةُ يَوْشَعَ وَكَالِبِ عَنِ الْجِهَادِ]
- ٣٨٤ ... [حُسْنُ جَوَابِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ بَدْرٍ]
- ٣٨٥ ... [دُعَاءُ مُوسَى عَلَى الْيَهُودِ]
- ٣٨٥ ... [تَحْرِيمُ دُخُولِ الْيَهُودِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً]
- ٣٨٥ ... [فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ]
- ٣٨٦ ... [تَسْلِيَةُ اللَّهِ لِمُوسَى]
- ٣٨٦ ... [قِصَّةُ هَائِيلَ وَقَائِيلَ]

- ٤٢٩ [فَضْلُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَزَمَنُ نَزُولِهَا]
- ٤٢٩ [الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى جَلِيلِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ]
- ٤٣٠ [عِنَادُ الْمُشْرِكِينَ وَتَوَعُّدُهُمْ عَلَيْهِ]
- ٤٣٠ [ذَمُّ الْمُعَانِدِينَ وَإِبَاؤُهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ بَشَرًا]
- ٤٣١ [اللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُنْعِمُ فَيَجِبُ الْإِنْقِيَادُ لَهُ]
- ٤٣٢ [اللَّهُ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ الْقَاهِرُ]
- ٤٣٣ [أَهْلُ الْكِتَابِ يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ]
- ٤٣٣ [يُسْأَلُ الْمُشْرِكُونَ عَنْ شِرْكِهِمْ]
- ٤٣٣ [لَا يَسْتَفِيدُ الشَّقِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ]
- ٤٣٤ [لَا تُفِيدُ الْأَمَانِيُّ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعَذَابِ]
- ٤٣٥ [تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ]
- ٤٣٧ [مُطَالَبَةُ الْمُشْرِكِينَ بِآيَةٍ]
- ٤٣٧ [مَا الْمُرَادُ بِالْأَمْرِ]
- ٤٣٧ [الْكُفَّارُ ضَمٌّ وَكُحْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ]
- ٤٣٧ [إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِدُعَائِهِمْ اللَّهُ وَحْدَهُ عِنْدَ الْعَذَابِ]
- ٤٣٧ [الْعَذَابُ]
- ٤٣٩ [الرَّسُولُ لَا يَمْلِكُ خَزَائِنَ اللَّهِ وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ]
- ٤٣٩ [نَهَى الرَّسُولُ عَنْ طَرْدِ أَصْحَابِهِ الضَّعَفَاءِ وَالْأَمْرَ بِتَكْرِيمِهِمْ إِذَا جَاءُوا]
- ٤٣٩ [الرَّسُولُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَالْجَزَاءُ بِيَدِ اللَّهِ وَلَيْسَ بِيَدِهِ]
- ٤٤١ [لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ]
- ٤٤٢ [الْعِبَادُ بِيَدِ اللَّهِ قَبْلَ الْمَوْتِ وَبَعْدَهُ]
- ٤٤٣ [بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ وَبَطْشِهِ وَقَهْرِهِ]
- ٤٤٤ [الدَّعْوَةُ إِرشَادٌ بغيرِ إكْرَاهٍ]
- ٤٤٤ [النَّهْيُ عَنِ الْجُلُوسِ مَعَ مَنْ يَخْوضُ فِي آيَاتِ اللَّهِ]
- ٤٤٦ [بَيَانُ نَفْخِ الصُّورِ]
- ٤٤٦ [وَعِظُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ]
- ٤٤٧ [انْكِشَافُ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ]
- ٤٤٧ [هَذَا مَقَامُ الْمُتَنَاظَرَةِ لَا طَلُبُ التَّحْقِيقِ]
- ٤٤٩ [الشِّرْكُ هُوَ الظُّلْمُ الْعَظِيمُ]
- ٤٤٩ [هَبْهَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ لِإِبْرَاهِيمَ فِي شَيْخُوخَتِهِ]
- ٤٥٠ [خُصُوصِيَّةُ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ]
- ٤٥٠ [الشِّرْكُ يَحِيطُ أَعْمَالُ الْمُخْلُوقِينَ حَتَّى الرُّسُلِ]
- ٤٠٦ [يَدَا اللَّهِ مَبْسُوطَتَانِ]
- ٤٠٦ [مَا نَزَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَزِيدُ الْيَهُودَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا]
- ٤٠٧ [لَوْ عَمِلَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِكِتَابِهِمْ لَحَصَلَ لَهُمْ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]
- ٤٠٧ [الْأَمْرُ بِالتَّبْلِيغِ وَالْوَعْدُ بِالْعِصْمَةِ]
- ٤٠٨ [لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ]
- ٤٠٩ [كُفْرُ النَّصَارَى وَدَعْوَةُ الْمَسِيحِ لِلتَّوْحِيدِ]
- ٤١٠ [الْمَسِيحُ عَبْدٌ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ]
- ٤١٠ [الْتَهْيُ عَنِ الشِّرْكِ وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ]
- ٤١١ [لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ]
- ٤١١ [أَحَادِيثُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ]
- ٤١١ [ذَمُّ الْمُتَأَفِّقِينَ]
- ٤١٢ [بَيَانُ سَبَبِ النَّزُولِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ]
- ٤١٣ [لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ]
- ٤١٣ [الْعُلُوُّ فِي الْيَمِينِ]
- ٤١٣ [كُفَّارَةُ الْيَمِينِ]
- ٤١٤ [تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ]
- ٤١٥ [تَفْسِيرُ الْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ]
- ٤١٥ [ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ]
- ٤١٧ [حُرْمَةُ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ وَالْإِحْرَامِ]
- ٤١٧ [جَزَاءُ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ أَوْ الْإِحْرَامِ]
- ٤١٩ [إِحْلَالُ صَيْدِ الْبَحْرِ لِلْمُحْرِمِ]
- ٤١٩ [تَحْرِيمُ صَيْدِ الْبَرِّ لِلْمُحْرِمِ]
- ٤٢١ [ذَمُّ السُّؤَالِ بِدُونِ فَائِذَةٍ]
- ٤٢٢ [تَفْسِيرُ الْحَيَوَانَاتِ الْمَذْكُورَةِ]
- ٤٢٤ [الْأَمْرُ بِإِصْلَاحِ النَّفْسِ]
- ٤٢٤ [شَهَادَةُ عَدْلَيْنِ عَلَى الْوَصِيَّةِ]
- ٤٢٥ [يُسْأَلُ الْأَنْبِيَاءُ عَنْ أُمَمِهِمْ]
- ٤٢٦ [تَذَكِيرُ عِيسَى بِالنَّعَمِ]
- ٤٢٦ [بَيَانُ نَزُولِ الْمَائِدَةِ]
- ٤٢٧ [وَأَقْعَةُ تَارِيخِيَّةٌ غَرِيبَةٌ]
- ٤٢٨ [الْمَسِيحُ يَبْرَأُ مِنَ الشِّرْكِ وَيُقَرُّ بِالتَّوْحِيدِ]
- ٤٢٨ [لَا يَنْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الصَّدَقُ]
- ٤٢٩ [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ]

- ٤٧٣ [مَا حُرِّمَ عَلَى الْيَهُودِ مِنَ الْحَلَالِ لِيَتُغِيهِمْ]
- ٤٧٤ [حِيلَةُ الْيَهُودِ وَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ]
- ٤٧٥ [ذِكْرُ مُعَالِطَةِ الرَّدِّ عَلَيْهَا]
- ٤٧٥ [أَلْوَصَايَا الْعَشْرَةَ]
- ٤٧٦ [الْتَّهْيُ عَنْ الشُّرْكِ]
- ٤٧٦ [الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ]
- ٤٧٦ [الْتَّهْيُ عَنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ]
- ٤٧٧ [الْتَّهْيُ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ]
- ٤٧٧ [تَحْرِيمُ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ]
- ٤٧٨ [الْأَمْرُ بِإِفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ]
- ٤٧٨ [الْأَمْرُ بِالشَّهَادَةِ الْعَادِلَةِ]
- ٤٧٨ [الْأَمْرُ بِإِفَاءِ عَهْدِ اللَّهِ]
- [الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالتَّهْيُ عَنْ اتِّبَاعِ السَّبِيلِ الْأُخْرَى]
- ٤٧٨ [مَذْحُ التَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ]
- ٤٨٠ [الْقُرْآنُ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ]
- ٤٨٠ [تَهْدِيدُ مَنْ سَوَّفَ بِإِيمَانِهِ وَتَوْبَتِهِ]
- ٤٨١ [ذَمُّ التَّفَرُّقَةِ]
- ٤٨١ [الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا]
- ٤٨٢ [الْإِسْلَامُ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ]
- ٤٨٢ [الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ]
- ٤٨٣ [دَيْنُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ الْإِسْلَامُ]
- ٤٨٣ [الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِ التَّوَكُّلِ]
- ٤٨٤ [لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى]
- ٤٨٤ [جَعَلَ اللَّهُ النَّاسَ خَلَائِفَ وَمُتَقَاوِي الدَّرَجَاتِ لِيَبْلُوَهُمْ]
- ٤٨٥ [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ]
- ٤٨٥ [أَحْوَالُ قُرَى أَهْلِكَ]
- ٤٨٦ [بَيَانُ وَزْنِ الْأَعْمَالِ]
- ٤٨٧ [سَائِرُ نِعَمِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خُلِقَتْ لِلْإِنْسَانِ]
- ٤٨٧ [قِصَّةُ سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لِأَدَمَ وَاسْتِكْبَارِ إِبْلِيسَ]
- ٤٨٨ [أَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ]
- ٤٨٩ [مَكْرُ الشَّيْطَانِ مَعَ آدَمَ وَحَوَّاءَ وَأَكْلُهُمَا مِنَ الشَّجَرَةِ]
- ٤٩٠ [إِهْبَاطُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ]
- ٤٩١ [إِنزَالُ اللَّبَاسِ وَالرِّيَّةِ]
- ٤٥١ [بَشَرِيَّةُ الرُّسُولِ وَإِنزَالُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ]
- [لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَقْتَرِي عَلَى اللَّهِ وَيَدَّعِي نُزُولَ الْوَحْيِ عَلَيْهِ]
- ٤٥٢ [حَالَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ]
- ٤٥٣ [التَّعْرِيفُ بِاللَّهِ بِبَعْضِ آيَاتِهِ]
- ٤٥٥ [ذَمُّ الْمُشْرِكِينَ]
- ٤٥٦ [مَعْنَى الْبَدِيعِ]
- ٤٥٦ [اللَّهُ هُوَ رَبُّكُمْ]
- ٤٥٦ [رُؤْيُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ]
- ٤٥٧ [تَفْسِيرُ الْبَصَائِرِ]
- ٤٥٨ [الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ الْوَحْيِ]
- ٤٥٨ [الْتَّهْيُ عَنْ سَبِّ آلِهِ الْمُشْرِكِينَ لِئَلَّا يَسُبُّوا اللَّهَ]
- ٤٥٨ [طَلَبُ الْمُعْجَزَاتِ وَالْإِقْسَامُ عَلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ مَجِيئِهَا]
- ٤٦٠ [لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوٌّ]
- ٤٦١ [أَكْثَرُ النَّاسِ فِي ضَلَالٍ]
- ٤٦١ [إِخْلَالُ مَا دُبِحَ بِاسْمِ اللَّهِ]
- ٤٦١ [تَحْرِيمُ مَا دُبِحَ بِغَيْرِ اسْمِ اللَّهِ]
- ٤٦٢ [وَحْيُ الشَّيْطَانِ]
- ٤٦٢ [تَقْدِيمُ قَوْلِ أَحَدٍ عَلَى مَا شَرَعَهُ اللَّهُ شِرْكَ]
- ٤٦٢ [مِثْلُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ]
- ٤٦٣ [أَكْبَارُ الْمُجْرِمِينَ وَحِيلَتُهُمْ وَمَصِيرُهُمْ]
- ٤٦٦ [تَوَلَّيْتُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ عَلَى بَعْضٍ]
- [تَفْرِيعُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ بِالسُّؤَالِ عَنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَاعْتِرَافِهِمْ بِذَلِكَ]
- ٤٦٦ [الْوَعْدُ بِإِذْهَابِهِمْ إِذَا عَصَوْا]
- ٤٦٨ [بَيَانُ بَعْضِ أَعْمَالِ الشُّرْكِ]
- ٤٦٩ [زَيْنُ الشَّيْطَانِ لِلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ]
- ٤٦٩ [بَعْضُ تَحْرِيمَاتِ الْمُشْرِكِينَ فِي الْأَنْعَامِ]
- ٤٧٠ [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الثَّمَرَ وَالْحَبَّ وَالْأَنْعَامَ]
- ٤٧١ [بَيَانُ الْإِسْرَافِ]
- ٤٧١ [فَوَائِدُ الْأَنْعَامِ]
- [كُلُّوا مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهَا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ]
- ٤٧٢ [بَيَانُ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ]
- ٤٧٣ [بَيَانُ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ]

٥٠٧ [قَتْلُ النَّاقَةِ]

[مُحَاوَلَةُ الْمُفْسِدِينَ بِقَتْلِ صَالِحٍ وَبِدَايَةُ الْعَذَابِ بِهِمْ، ثُمَّ نَزُولُ الْعَذَابِ عَلَى ثَمُودَ]

٥٠٧ [قِصَّةُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ]

٥٠٨ [قِصَّةُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَدْيَنَ]

٥٠٩ [إِتِّلَاءُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ]

٥١١ [الْبَرَكَاتُ مَعَ الْإِيمَانِ وَالْبَطْشُ مَعَ الْكُفْرِ]

٥١٢ [قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ]

٥١٣ [عَصَا مُوسَى وَبَدُءُ الْبَيْضَاءِ]

٥١٤ [قَوْلُ قَوْمِ فِرْعَوْنَ فِي مُوسَى: إِنَّهُ سَاحِرٌ وَاتِّفَاقُهُمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ بِالسَّحَرَةِ]

[اجْتِمَاعُ السَّحَرَةِ وَمُقَابَلَتُهُمْ مَعَ مُوسَى وَتَمْوِيهِهُمْ فِي تَحْوِيلِ جِبَالِهِمْ وَعَصِيهِمْ حَيَاتٍ]

٥١٥ [غَلَبَةُ مُوسَى وَإِيمَانُ السَّحَرَةِ]

٥١٦ [تَهْدِيدُ فِرْعَوْنَ السَّحَرَةَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَجَوَابُهُمْ لَهُ]

٥١٦ [تَحْرِيسُ الْقَوْمِ وَاسْتِعْدَادُ فِرْعَوْنَ لِقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَشُكُوى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى وَوَعْدُهُ بِنَصْرِ اللَّهِ]

٥١٧ [إِتِّلَاءُ آلِ فِرْعَوْنَ بِالسَّنِينِ]

٥١٧ [تَمَرُّدُ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَعِقَابُ اللَّهِ لَهُمْ بِآيَاتٍ]

٥١٨ [إِغْرَاقُ آلِ فِرْعَوْنَ فِي الْيَمِّ وَتَوْرِيثُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْأَرْضَ الْمُبَارَكَةَ]

٥١٩ [مُجَاوَزَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ وَمُرُورُهُمْ بِمَعْبُودٍ مُجَسَّمٍ]

٥٢٠ [تَذَكِيرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنِعَمِ اللَّهِ]

٥٢٠ [صَامُ مُوسَى وَانْقِطَعُ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً]

٥٢٠ [طَلَبُ مُوسَى رُؤْيَا رَبِّهِ]

٥٢٢ [إِصْطِفَاءُ مُوسَى وَإِعْطَاؤُهُ الْأُلُوحَ]

٥٢٢ [يُحَرِّمُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ]

٥٢٢ [قِصَّةُ عِبَادَةِ الْعُجُلِ]

٥٢٤ [أَخَذَ مُوسَى الْأُلُوحَ بَعْدَ أَنْ سَكَتَ الْغَضَبُ]

[ذَهَابُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِمْ، وَإِهْلَاكُهُمْ]

٥٢٤ [رَحْمَةُ اللَّهِ مَكْتُوبَةٌ لِلْمُتَّقِينَ الْمُزَكِّينَ الْمُؤْمِنِينَ بِآيَاتِهِ وَبِرَسُولِهِ]

٥٢٥ [صِفَاتُ ذَلِكَ الرَّسُولِ ﷺ]

٥٢٦

٤٩١ [التَّخْذِيرُ مِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ]

٤٩١ [عَمَلُ الْكُفَّارِ الْفَاجِسَةِ وَنَسْبُهَا إِلَى اللَّهِ]

٤٩١ [إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، بَلْ بِالْقِسْطِ وَالْإِحْلَاصِ]

٤٩٢ [مَقْهُومُ الْبَدْءِ وَالْعَوْدَةِ]

٤٩٢ [الْأَمْرُ بِالتَّجَمُّلِ عِنْدَ الدَّهَابِ إِلَى الْمَسَاجِدِ]

٤٩٣ [الْهَيْبَةُ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ]

[الْحَرَامُ هُوَ الْفَوَاحِشُ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ وَالشُّرْكُ وَالْإِفْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ]

٤٩٤ [الْمُشْرِكُونَ الْمُفْتَرُونَ يَتَّالَهُمْ نَصِيهِهُمْ وَيَضِلُّ عَنْهُمْ أَوْلِيَائُهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ]

٤٩٤ [تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ وَتَلَاغِيهِمْ]

٤٩٥ [الْمُكْذِبُونَ لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا]

٤٩٥ [بَيَانُ مَالِ الصَّالِحِينَ وَأَحْوَالِهِمْ]

٤٩٦ [لَأَهْلِ جَهَنَّمَ حَسْرَةٌ فَوْقَ حَسْرَةٍ]

٤٩٧ [لِلْأَعْرَافِ وَأَصْحَابِهَا]

٤٩٧ [نَعِيمُ الْجَنَّةِ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ]

٤٩٨ [لَا مَجَالُ لِلْمُشْرِكِينَ لِلْإِعْتِدَارِ]

٤٩٩ [خُلِقَ الْكَوْنُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]

٤٩٩ [تَفْسِيرُ الْإِسْتِوَاءِ]

٥٠٠ [الْلَيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ]

٥٠٠ [الْتَرَاغِبُ فِي الدُّعَاءِ]

٥٠٠ [الْهَيْبَةُ عَنِ الْإِعْدَاءِ فِي الدُّعَاءِ]

٥٠١ [الْهَيْبَةُ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ]

٥٠١ [مِنْ آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُ يُنْزِلُ الْمَطَرَ وَيُخْرِجُ النَّمْرَ]

٥٠٢ [قِصَّةُ نُوحٍ وَقَوْمِهِ]

٥٠٣ [قِصَّةُ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَسَبُ قَوْمِ عَادٍ]

٥٠٣ [مَسَاكِينُ قَوْمِ عَادٍ]

٥٠٣ [مَا دَارَ بَيْنَ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ]

٥٠٤ [مَصِيرُ قَوْمِ عَادٍ]

٥٠٥ [قِصَّةُ وَافِدِ عَادٍ]

٥٠٦ [مَسَاكِينُ قَوْمِ ثَمُودَ وَنَسَبُهُمْ]

٥٠٦ [قِصَّةُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثَمُودَ]

٥٠٦ [ثَمُودُ طَلَبَتْ نَاقَةً مِنْ صَخْرَةٍ فَظَهَرَتْ]

- ٥٢٧ [عُمُومُ رِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ]
- ٥٢٩ [عُدْوَانُ الْيَهُودِ فِي السَّبَبِ]
- ٥٢٩ [مَسْحُكُهُمْ قِرْدَةً وَنَجَاهُ النَّاهِيْنَ دُونَ السَّاكِنِيْنَ]
- ٥٣٠ [الذَّلَّةُ الدَّائِمَةُ لِلْيَهُودِ]
- ٥٣٠ [اِنْشِارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ]
- ٥٣١ [رَفْعُ الطُّورِ عَلَى رُؤُوسِ الْيَهُودِ لِتَمَرُّدِهِمْ]
- ٥٣٢ [بَيَانُ الْعَهْدِ الْمَأْخُوذِ مِنْ دُرِّيَّةِ آدَمَ]
- [قِصَّةُ بَلْعَمَ بْنِ بَاعُورَاءَ وَمَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يَنْسَلِخُ عَنْ عِلْمِهِ]
- ٥٣٣ [الْكُفْرُ وَالْقُدْرُ]
- ٥٣٥ [بَيَانُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى]
- ٥٣٦ [بَيَانُ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا]
- ٥٣٧ [الرَّسُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا يَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا حَتَّى لِنَفْسِهِ]
- ٥٣٩ [كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادُ آدَمَ]
- ٥٤٠ [إِلَهَةُ الْمُشْرِكِيْنَ لَا تَخْلُقُ وَلَا تَنْصُرُ وَلَا تَمْلِكُ شَيْئًا]
- ٥٤٢ [الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ]
- ٥٤٣ [عَمَلُ أَهْلِ التَّقْوَى عِنْدَ الْوَسْوَسةِ]
- ٥٤٣ [إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ يُمْدِدُونَ فِي الْغِيِّ]
- ٥٤٣ [طَلَبُ الْمُشْرِكِيْنَ الْآيَاتِ]
- ٥٤٤ [الْأَمْرُ بِاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ]
- ٥٤٤ [الْأَمْرُ بِالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ]
- ٥٤٤ [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَهِيَ مَدِينَةُ]
- ٥٤٤ [تَفْسِيرُ الْأَنْفَالِ]
- ٥٤٥ [سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ]
- ٥٤٥ [سَبَبُ آخَرٍ فِي نُزُولِ الْآيَةِ]
- ٥٤٦ [أَوْصَافُ الْمُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ]
- ٥٤٦ [زِيَادَةُ الْإِيمَانِ إِذَا تَلَّى آيَاتُ الْقُرْآنِ]
- ٥٤٦ [بَيَانُ التَّوَكُّلِ]
- ٥٤٦ [بَيَانُ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِيْنَ]
- ٥٤٦ [بَيَانُ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ]
- ٥٤٦ [ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ]
- ٥٤٧ [إِتْبَاعُ الرَّسُولِ بِاعْتِ خَيْرٍ لِلْمُؤْمِنِيْنَ]
- ٥٤٨ [اسْتِغَاثَةُ الْمُسْلِمِيْنَ وَاسْتِجَابَةُ اللَّهِ لَهُمْ بِإِنزَالِ الْمَلَائِكَةِ]
- ٥٤٩ [غَلَبَةُ الثَّعَاسِ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ]
- ٥٥٠ [نُزُولُ الْمَطَرِ لَيْلَةَ بَدْرٍ]
- ٥٥٠ [أَمْرُ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ بِتَثْيِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْقِتَالِ مَعَهُمْ]
- ٥٥١ [الْهَيْبَةُ عَنِ التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَجَزَاؤُهُ]
- ٥٥٢ [قَتْلُ اللَّهِ لِلْكَافِرِيْنَ وَرَمْيُهُمْ بِالْثَّرَابِ]
- ٥٥٢ [إِجَابَةُ اسْتِغْثَاكِ الْمُشْرِكِيْنَ]
- ٥٥٣ [الْأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]
- ٥٥٣ [الْأَمْرُ بِاسْتِجَابَةِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ]
- ٥٥٤ [اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ]
- ٥٥٤ [الْتَحْذِيرُ مِنْ فِتْنَةِ عَامَّةٍ]
- [تَذَكُّيرُ الْمُسْلِمِيْنَ بِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الذَّلِّ وَالضَّعْفِ وَمَا أَلُوْا إِلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ]
- ٥٥٥ [سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْهَيْبَةُ عَنِ الْخِيَانَةِ]
- [ذِكْرُ مَا دَبَّرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ إِجْلَائِهِ]
- ٥٥٦ [زَعَمُ قُرَيْشٍ فِي إِثْبَانِهِمْ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ]
- ٥٥٧ [اسْتِغْثَاكِ الْمُشْرِكِيْنَ وَطَلَبُهُمُ الْعَذَابَ]
- [وُجُودُ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتِغْفَارُ الْمُشْرِكِيْنَ كَانَا أَمَانَتَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ]
- ٥٥٨ [عَذَابُ الْمُشْرِكِيْنَ بَعْدَ ارْتِكَابِهِمُ الْقَطَاطِيعَ]
- [إِنْشَاقُ الْكُفَّارِ أَمْوَالُهُمْ لِلصَّدَقَةِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يُعَوِّدُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ]
- ٥٥٩ [تَرْغِيبُ الْكُفَّارِ فِي التَّوْبَةِ وَتَرْهِيْبُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ]
- ٥٦٠ [الْأَمْرُ بِالْقِتَالِ لِإِنْهَاءِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ]
- ٥٦٢ [حُكْمُ الْغَنِيْمَةِ وَالْفِيءِ]
- ٥٦٣ [بَعْضُ تَفَاصِيلِ يَوْمِ بَدْرٍ]
- ٥٦٤ [تَقْلِيلُ اللَّهِ كُلِّ فِتْنَةٍ فِي عَيْنِ الْآخَرَى]
- ٥٦٥ [تَعْلِيمُ آدَابِ الْحَرْبِ]
- ٥٦٥ [الْأَمْرُ بِاللِّبَاطِ عِنْدَ الْمُقَابَلَةِ]
- ٥٦٦ [كَفِيَّةُ خُرُوجِ الْمُشْرِكِيْنَ لِيَوْمِ بَدْرٍ]
- ٥٦٦ [تَرْبِيعُ الشَّيْطَانِ وَتَغْرِيرُهُ الْمُشْرِكِيْنَ]
- ٥٦٦ [مَوْفِقُ الْمُتَنَافِقِيْنَ يَوْمَ بَدْرٍ]
- ٥٦٧ [ضَرْبُ الْمَلَائِكَةِ الْكُفَّارَ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ]
- ٥٦٨ [الْأَمْرُ بِشِدَّةِ ضَرْبِ مَنْ يَكْفُرُ وَيَنْقُضُ الْعَهْدَ]

[شِرْكُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَكُفْرُهُمْ هُوَ سَبَبُ قِتَالِهِمْ] ٥٨٦
 [مُحَاوَلَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِطْفَاءُ نُورِ الْإِسْلَامِ] ٥٨٧
 [دِينُ الْإِسْلَامِ يَغْلِبُ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ] ٥٨٧
 [التَّحْذِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ الشُّوءِ وَعِبَادِ الضَّلَالِ] ٥٨٧
 [عَذَابُ مَنْ يَخْزِرُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ] ٥٨٨
 [السنَّةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا] ٥٨٩
 [الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ] ٥٩٠
 [الْقِتَالُ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ] ٥٩٠
 [ذَمُّ النَّصْرِ فِي الشَّرْعِ بِالرَّأْيِ] ٥٩١
 [الْعِتَابُ وَالتَّهْدِيدُ عَلَى الشَّاغِلِ عَنِ الْجِهَادِ] ٥٩٢
 [اللهُ نَاصِرٌ نَبِيَّهُ ﷺ] ٥٩٢
 [تَحْسِينُ الْجِهَادِ عَلَى كُلِّ حَالٍ] ٥٩٣
 [سَبَبُ تَخَلُّفِ الْمُتَأَفِّقِينَ وَبَيَانُ حِيلَتِهِمْ] ٥٩٤
 [مُعَانَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى إِذْنِهِ لَهُمْ] ٥٩٤
 [كُشْفُ أَحْوَالِ الْمُتَأَفِّقِينَ] ٥٩٤
 [بَيَانُ هَلَعِ الْمُتَأَفِّقِينَ] ٥٩٧
 [لَمَزُ الْمُتَأَفِّقِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَطَمَعُهُمْ فِيهَا] ٥٩٧
 [بَيَانُ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ] ٥٩٨
 [الْفُقَرَاءُ] ٥٩٨
 [الْمَسَاكِينُ] ٥٩٨
 [الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا] ٥٩٨
 [الْمَوْلَقَةُ قُلُوبُهُمْ] ٥٩٨
 [الرَّقَابُ] ٥٩٨
 [مَا وَرَدَ فِي الْعِتَاقِ] ٥٩٩
 [الْعَارِمُونَ] ٥٩٩
 [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] ٥٩٩
 [ابْنُ السَّبِيلِ] ٥٩٩
 [مِنْ سِمَاتِ الْمُتَأَفِّقِينَ إِذَا ذَاكَ النَّبِيُّ ﷺ] ٥٩٩
 [أَوْمِنَهَا مُحَاوَلَةُ إِرْضَاءِ النَّاسِ بِالْحَلِيفِ الْكَاذِبِ] ٦٠٠
 [أَوْمِنَهَا خَوْفُهُمْ مِنْ إِفْشَاءِ السُّرِّ] ٦٠٠
 [أَوْمِنَهَا تَحَايُّهُمْ وَاعْتِدَارُهُمْ بِالْبَاطِلِ] ٦٠٠
 [بَيَانُ بَعْضِ خِصَالِ الْمُتَأَفِّقِينَ الْآخَرَى] ٦٠١
 [نَصِيحَةُ الْمُتَأَفِّقِينَ بِأَنْ يَغْتَبِرُوا بِمَنْ قَبْلَهُمْ] ٦٠٢
 [صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَحْمُودَةِ] ٦٠٢

[الْأَمْرُ بِتَقْضِ الْعَهْدِ عَلَى سَوَاءٍ] ٥٦٨
 [الْأَمْرُ بِالْإِعْدَادِ حَسَبِ الْمُسْتَطَاعِ حَتَّى يَرْهَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ] ٥٦٨
 [الْأَمْرُ بِالْجُنُوحِ لِلِسَّلَامِ إِنْ جَنَحَ لَهَا الْعَدُوُّ] ٥٦٩
 [التَّذْكِيرُ بِبِعْمَةِ التَّالِيفِ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ] ٥٧٠
 [التَّحْرِيطُ عَلَى الْقِتَالِ وَالتَّنْبِيهُ بِأَنْ الْقَلِيلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَغْلِبُونَ الْكَثِيرَ مِنَ الْكُفَّارِ] ٥٧٠
 [وَعْدُ الْأَسْرَى بِعَوَضٍ أَحْسَنَ إِنْ كَانَ فِيهِمْ خَيْرٌ] ٥٧٢
 [الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] ٥٧٣
 [لَا وَلَايَةَ لِمَنْ آمَنَ وَلَمْ يَهَاجِرْ] ٥٧٣
 [الْكُفَّارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَلَا وَلَايَةَ لَهُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ] ٥٧٤
 [الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا] ٥٧٤
 [الْإِزَارَةُ لِلْأَقَارِبِ] ٥٧٤
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّوْبَةِ [وهي] مَدِينَةُ] ٥٧٥
 [لِمَ لَمْ تُكْتَبِ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ؟] ٥٧٥
 [إِعْلَانُ الْبَرَاءَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ] ٥٧٥
 [أَمِنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ وَلَمْ يَقْضِ فَعَهْدُهُ إِلَى مَدَّتِهِ] ٥٧٦
 [هَذِهِ هِيَ آيَةُ السَّيْفِ] ٥٧٦
 [إِذَا طَلَبَ الْمُشْرِكُ الْأَمْنَ فَيُعْطَى] ٥٧٧
 [تَأْكِيدُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ٥٧٧
 [لَا إِيمَانَ لِأَيَّةِ الْكُفْرِ] ٥٧٨
 [الْحُتُّ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَبَيَانُ بَعْضِ فَوَائِدِهِ] ٥٧٩
 [مِنْ حِكْمَةِ الْقِتَالِ اخْتِيَارُ الْمُسْلِمِينَ] ٥٨٠
 [لَا يَغْمُرُ الْمُشْرِكُونَ مَسَاجِدَ اللَّهِ] ٥٨٠
 [أَهْلُ الْإِيمَانِ يَغْمُرُونَ الْمَسَاجِدَ] ٥٨٠
 [سِقَايَةُ الْحَاجِّ وَعِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَا يُسَاوِيَانِ الْإِيمَانَ وَالْجِهَادَ] ٥٨١
 [الْأَمْرُ بِتَرْكِ مَوَالَةِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَقَارِبَ] ٥٨٢
 [إِنْحِصَارُ الْفَتْحِ عَلَى النَّصْرِ الْعُيُيِّ] ٥٨٢
 [وَقَعَةُ غَزْوَةِ حُتَيْنَ] ٥٨٣
 [مَنْعُ الْمُشْرِكِينَ عَنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] ٥٨٤
 [التَّحْرِيطُ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ] ٥٨٥
 [الْجِزْيَةُ عَلَامَةُ الذَّلَّةِ وَالْكُفْرِ] ٥٨٥

٦٢٦ تفسير سورة يونس - عليه السلام - وهي مكية
 [لا يكون الرسول إلا بشرا]
 ٦٢٦ [الله خالق الكون وربّه والمتصرف فيه]
 ٦٢٧ [مرجع الجميع إلى الله]
 ٦٢٧ [كل شيء شاهد على قدرة الله]
 ٦٢٨ [ماوى منكري الساعة جهنم]
 ٦٢٨ [الجزاء الحسن لأهل الإيمان والعمل الصالح]
 ٦٢٩ [لا يستجيب الله دعاء الشرّ مثل استجابته دعاء الخير]
 ٦٢٩ [الإنسان يذكر الله عند الشدة وينساه عند الرخاء]
 ٦٢٩ [العبادة يهلكك القرون الأولى]
 ٦٣٠ [بيان تعنت رؤساء قريش]
 ٦٣٠ [ثبوت صدق القرآن]
 ٦٣١ [ما يعتقده المشركون في آلهتهم]
 ٦٣١ [الشرّك حادث]
 ٦٣٢ [طلب المشركين آية]
 ٦٣٣ [قلوب الإنسان حين تضيئه الرحمة بعد الضر]
 ٦٣٣ [مثل الحياة الدنيا]
 ٦٣٤ [التزغيب في النعم الدائمة التي لا زوال لها]
 ٦٣٤ [أجر المحسنين]
 ٦٣٥ [جزاء المجرمين]
 ٦٣٥ [تبري آلهة المشركين منهم يوم القيامة]
 [اعتراف المشركين بتوحيد الله في ربوبيته، وإقامته
 الحجة عليهم بذلك]
 ٦٣٧ [القرآن كلام الله حقاً، وبيان إعجازه]
 ٦٣٨ [الأمر بالتبري من المشركين]
 ٦٣٩ [الشعور بقصر الحياة الدنيا عند الحشر]
 ٦٤٠ [ليقتنم من المجرمين سواء في الدنيا أو في الآخرة]
 ٦٤٠ [استعجال المنكرين بيوم القيامة وجوابهم]
 ٦٤١ [القيامة حق]
 ٦٤١ [القرآن موعظة وشفاء ورحمة وهدى]
 ٦٤١ [ليس لأحد سوى الله أن يجلّ أو يحرم شيئاً]
 ٦٤٢ [كل صغير وكبير في علم الله]
 ٦٤٢ [معرفة أولياء الله]
 ٦٤٣ [المرأ بالبشرى الرؤيا الصادقة]

٦٠٢ [البشارة للمؤمنين بالنعم الدائمة]
 ٦٠٤ [الأمر بجهاد الكفار والمنافقين والعظّة عليهم]
 ٦٠٤ [سبب النزول]
 ٦٠٤ [هم المنافقين بقتله ﷺ]
 ٦٠٥ [ومن سمات المنافقين طلب المال ثمّ الخبل بالصدقة]
 ٦٠٥ [ومنها لئلاّ المطوعين والسخريّة من المؤمنين]
 ٦٠٦ [التهبي عن الاستغفار للمنافقين]
 ٦٠٧ [فرح المنافقين على تخلفهم عن الغزوة]
 ٦٠٧ [لا يؤذن للمنافقين بالخروج في الحرب]
 ٦٠٨ [التهبي عن الصلاة على المنافقين]
 ٦٠٨ [دّم المتخلفين عن الجهاد]
 ٦٠٩ [بيان العذر الشرعي لعدم المشاركة في الجهاد]
 ٦١٠ [بيان مكر المنافقين]
 ٦١٠ [الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً]
 ٦١١ [فضائل المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان]
 ٦١٢ [مناقض الأعراب والمدينة]
 ٦١٢ [المؤمنون المتخلفون عن الجهاد كسلاً]
 ٦١٣ [الأمر بأخذ الزكاة وبيان فوائدها]
 ٦١٣ [الوعيد للعصاة]
 ٦١٣ [إرجاء أمر المتخلفين الثلاثة]
 ٦١٤ [مسجد الضرار ومسجد التقوى]
 ٦١٥ [فضل مسجد قباء والصلاة فيه]
 ٦١٥ [الفرق بين المسجدين]
 ٦١٦ [اشترى الله من المجاهدين أنفسهم وأموالهم بالجنة]
 ٦١٧ [التهبي عن الدعاء للمشركين]
 ٦١٨ [لا مواخذة إلا بعد إقامة الحجة]
 ٦١٨ [بيان غزوة تبوك]
 ٦١٩ [قصّة الثلاثة الذين خلفوا]
 ٦٢١ [الأمر بقول الصدق]
 ٦٢٢ [جزاء الخروج للغزوة]
 ٦٢٣ [الأمر بجهاد الكفار والأقرب فالأقرب]
 ٦٢٤ [إيمان المؤمن يزيد وينقص والمنافقون يزادون رجساً]
 ٦٢٤ [إنبياء المنافقين]
 ٦٢٥ [بعثه الرسول ﷺ من الله تعالى]

[الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكُونِ دُونَ غَيْرِهِ] ٦٤٣
 [اللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الرُّوْحَةِ وَالْأَوْلَادِ] ٦٤٤
 [قِصَّةُ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ] ٦٤٤
 [الإِسْلَامُ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ] ٦٤٥
 [عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ السَّيِّئَةِ] ٦٤٥
 [قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ] ٦٤٦
 [بَيِّنَ مُوسَى وَالسَّحَرَةَ] ٦٤٦
 [لَمْ يُؤْمِنْ بِمُوسَى مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ] ٦٤٦
 [تَحْرِيبُ مُوسَى قَوْمَهُ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ] ٦٤٧
 [أَمْرُهُمْ بِالصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ] ٦٤٧
 [دُعَاءُ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ] ٦٤٧
 [نَجَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَقُ آلِ فِرْعَوْنَ] ٦٤٨
 [تَمْكِينُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَرْضِ وَرِزْقُهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] ٦٤٩
 [تَصْدِيقُ الْقُرْآنِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ] ٦٥٠
 [لَمْ يَنْفَعِ الْإِيمَانُ أَحَدًا عِنْدَمَا جَاءَ الْعَذَابُ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ] ٦٥٠
 [لَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَكْزِرَهُ النَّاسُ عَلَى الْإِيمَانِ] ٦٥١
 [الْأَمْرُ بِالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ٦٥٢
 [الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ] ٦٥٢
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ٦٥٣
 [سُورَةُ هُودٍ مِمَّا شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ] ٦٥٣
 [الْقُرْآنُ وَدَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ] ٦٥٣
 [اللَّهُ خَيْرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ] ٦٥٣
 [اللَّهُ مُكْفَلٌ بِأَرْزَاقِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ] ٦٥٤
 [خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ] ٦٥٤
 [جِدَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي التَّبْعِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَاسْتِعْجَالُهُمْ لِلْعَذَابِ] ٦٥٥
 [مَعَانِي الْأُمَّةِ] ٦٥٥
 [تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ] ٦٥٥
 [نُصَائِي الرُّسُولِ عَنْ أَقْوَالِ الْمُشْرِكِينَ وَتَسْلِيَّتُهُ] ٦٥٦
 [بَيَانُ عِجَازِ الْقُرْآنِ] ٦٥٦
 [مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَسْ لَهُ حَظٌّ فِي الْآخِرَةِ] ٦٥٧
 [إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَكُونُ عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ] ٦٥٧
 [مُضْدَاقُ كُلِّ حَدِيثٍ مَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ] ٦٥٨
 [الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الصَّادُونَ عَنْ سَبِيلِهِ هُمُ الْآخَسِرُونَ] ٦٥٨
 [خِزَاءُ أَهْلِ الْإِيمَانِ] ٦٥٩
 [مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ] ٦٥٩
 [قِصَّةُ نُوحٍ وَحِوَارِهِ مَعَ قَوْمِهِ] ٦٦٠
 [جَوَابُ نُوحٍ] ٦٦٠
 [مُطَالَبَةُ قَوْمِ نُوحٍ بِالْعَذَابِ وَجَوَابُهُ لَهُمْ] ٦٦١
 [اسْتِظْرَادُ لَيْثَانَ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ] ٦٦١
 [الْوَحْيُ إِلَى نُوحٍ بِمَصِيرِ الْقَوْمِ وَالْأَمْرُ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهُ] ٦٦١
 [بِدَايَةُ الطُّوفَانِ وَحَمْلُ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] ٦٦٢
 [الرُّكُوبُ فِي السَّفِينَةِ وَجَزْيُهَا فِي الْأَمْوَاجِ الْهَائِلَةِ] ٦٦٣
 [قِصَّةُ غَرَقِ ابْنِ نُوحٍ الْكَافِرِ] ٦٦٣
 [نِهَايَةُ الطُّوفَانِ] ٦٦٣
 [الْعُودُ إِلَى قِصَّةِ ابْنِ نُوحٍ وَذِكْرُ مَا دَارَ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْلَ ابْنِهِ] ٦٦٤
 [الْأَمْرُ بِالتَّزَوُّلِ مِنَ السَّفِينَةِ بِالسَّلَامِ وَالتَّبَرُّكِ] ٦٦٤
 [قِصَصُ الْغَيْبِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا هُوَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ] ٦٦٥
 [قِصَّةُ هُودٍ وَقَوْمِهِ عَادٍ] ٦٦٥
 [الْحَوَارُ بَيْنَ عَادٍ وَهُودٍ] ٦٦٥
 [إِهْلَاكُ عَادٍ وَتَنْجِيَةُ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ] ٦٦٦
 [قِصَّةُ صَالِحٍ وَثَمُودَ] ٦٦٦
 [الْحَوَارُ بَيْنَ صَالِحٍ وَثَمُودَ] ٦٦٧
 [مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَتَبَشِيرُهُمْ إِيَّاهُ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] ٦٦٧
 [مُجَادَلَةُ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْمِ لُوطٍ] ٦٦٨
 [مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى لُوطٍ وَمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الضِّيقِ وَمَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ] ٦٦٩
 [عَجْزُ لُوطٍ وَتَمَنِّيهِ الْقُوَّةَ، وَإِخْبَارُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ] ٦٦٩
 [قَلْبُ قَزِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ وَإِهْلَاكُهُمْ] ٦٧٠
 [قِصَّةُ مَدْيَنَ وَدَعْوَةُ شُعَيْبٍ] ٦٧١
 [جَوَابُ قَوْمِ شُعَيْبٍ] ٦٧١
 [رَدُّ شُعَيْبٍ عَلَى قَوْمِهِ] ٦٧١
 [جَوَابُ قَوْمِ شُعَيْبٍ] ٦٧٢

[الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكُونِ دُونَ غَيْرِهِ] ٦٤٣
 [اللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الرُّوْحَةِ وَالْأَوْلَادِ] ٦٤٤
 [قِصَّةُ نُوحٍ مَعَ قَوْمِهِ] ٦٤٤
 [الإِسْلَامُ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ] ٦٤٥
 [عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ السَّيِّئَةِ] ٦٤٥
 [قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ] ٦٤٦
 [بَيِّنَ مُوسَى وَالسَّحَرَةَ] ٦٤٦
 [لَمْ يُؤْمِنْ بِمُوسَى مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ] ٦٤٦
 [تَحْرِيبُ مُوسَى قَوْمَهُ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ] ٦٤٧
 [أَمْرُهُمْ بِالصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ] ٦٤٧
 [دُعَاءُ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ] ٦٤٧
 [نَجَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَقُ آلِ فِرْعَوْنَ] ٦٤٨
 [تَمْكِينُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَرْضِ وَرِزْقُهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] ٦٤٩
 [تَصْدِيقُ الْقُرْآنِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ] ٦٥٠
 [لَمْ يَنْفَعِ الْإِيمَانُ أَحَدًا عِنْدَمَا جَاءَ الْعَذَابُ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ] ٦٥٠
 [لَيْسَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَكْزِرَهُ النَّاسُ عَلَى الْإِيمَانِ] ٦٥١
 [الْأَمْرُ بِالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ٦٥٢
 [الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ] ٦٥٢
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ٦٥٣
 [سُورَةُ هُودٍ مِمَّا شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ] ٦٥٣
 [الْقُرْآنُ وَدَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ] ٦٥٣
 [اللَّهُ خَيْرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ] ٦٥٣
 [اللَّهُ مُكْفَلٌ بِأَرْزَاقِ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ] ٦٥٤
 [خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ] ٦٥٤
 [جِدَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي التَّبْعِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَاسْتِعْجَالُهُمْ لِلْعَذَابِ] ٦٥٥
 [مَعَانِي الْأُمَّةِ] ٦٥٥
 [تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ] ٦٥٥
 [نُصَائِي الرُّسُولِ عَنْ أَقْوَالِ الْمُشْرِكِينَ وَتَسْلِيَّتُهُ] ٦٥٦
 [بَيَانُ عِجَازِ الْقُرْآنِ] ٦٥٦
 [مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَسْ لَهُ حَظٌّ فِي الْآخِرَةِ] ٦٥٧
 [إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَكُونُ عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ] ٦٥٧
 [مُضْدَاقُ كُلِّ حَدِيثٍ مَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ] ٦٥٨

٦٨٩ [رُؤْيَا مَلِكٍ مُضَرَ]

٦٨٩ [تَغْيِيرُ رُؤْيَا الْمَلِكِ]

..... [تَحْقِيقُ مَا جَرَى بَيْنَ يُوسُفَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَنِسْوَةِ

٦٩٠ [مُضَرَ]

٦٩١ [مَكَانَةُ يُوسُفَ فِي عَيْنِ الْمَلِكِ]

٦٩١ [حُكْمُ يُوسُفَ فِي مُضَرَ]

..... [وُرُودُ إِخْوَةِ يُوسُفَ إِلَى مُضَرَ وَرُجُوعُهُمْ مَعَ الْمِيرَةِ

٦٩١ [وَتَعَاهُدُهُمْ بِإِثْنَانِ أَخِيهِمُ الْأَصْغَرَ]

٦٩٢ [طَلَبُهُمْ مِنْ يَعْقُوبَ أَنْ يَذْهَبُوا بَيْنِيَامِينَ وَجَوَابُهُ]

٦٩٣ [خُرُوجُ الْبَضَاعَةِ مِنَ الْمَتَاعِ]

..... [أَمْرُ يَعْقُوبَ بَنِيهِ أَنْ يَدْخُلُوا مُضَرَ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَةٍ

٦٩٣ [خَشْيَةِ الْعَيْنِ]

٦٩٣ [تَسْلِيَةِ يُوسُفَ لِبَنِيَامِينَ]

٦٩٤ [جَعْلُ صَوَاعِ الْمَلِكِ فِي رَحْلِ أَخِيهِ وَحَبْسُهُ بِهَذِهِ الْحِيلَةِ]

٦٩٥ [إِخْوَةُ يُوسُفَ اتَّهَمُوهُ بِالسَّرَقَةِ]

..... [إِفْتِرَاحُ الْإِخْوَةِ أَخَذَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَدَلَ بَيْنِيَامِينَ وَالرَّدُّ عَلَى

٦٩٥ [هَذَا الْإِفْتِرَاحِ]

٦٩٥ [مُتَسَاوَرَتُهُمْ وَمَشْوَرَةُ كَبِيرِهِمْ]

٦٩٦ [جَوَابُ نَبِيِّ اللَّهِ وَحَالُهُ بَعْدَ سَمَاعِ الْحَبْرِ الْمُؤَلِّمِ]

٦٩٧ [الْأَمْرُ بِتَحْسُسِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ]

٦٩٧ [إِخْوَةُ يُوسُفَ بَيْنَ يَدَيْهِ]

٦٩٧ [تَعَرُّفُ يُوسُفَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَعَفْوُهُ عَنْهُمْ]

٦٩٨ [قَمِيصُ يُوسُفَ وَوَجْدَانُ يَعْقُوبَ رِيحَ يُوسُفَ]

٦٩٨ [جَاءَ يَهُودَا بِالْقَمِيصِ بِشِيرًا]

٦٩٨ [نَدَامَةُ إِخْوَةِ يُوسُفَ]

٦٩٩ [اسْتِثْبَالُ يُوسُفَ أَبَوَيْهِ وَصِدْقُ رُؤْيَا]

٦٩٩ [الدُّعَاءُ بِالْخَاتِمَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ]

٧٠٠ [مَا سَبَقَ مِنَ الْقِصَصِ هُوَ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ]

٧٠٠ [عَدَمُ تَفَكُّرِ النَّاسِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ]

٧٠١ [سَبِيلُ الرُّسُولِ ﷺ]

٧٠١ [الْأَنْبِيَاءُ كَانُوا بَشَرًا وَرَجَالًا]

٧٠٢ [الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْبَشَرِ لَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ]

٧٠٢ [الْعَبْرَةُ فِيمَنْ سَبَقَ]

٧٠٢ [النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ وَضِيْقِ الْحَالِ]

٦٧٢ [رَدُّ شُعَيْبٍ عَلَى قَوْمِهِ]

٦٧٢ [تَهْدِيدُ شُعَيْبٍ قَوْمَهُ]

٦٧٣ [قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ]

٦٧٤ [الْأَتْعَاطُ بِالْفَرَى الْمُهْلَكَةِ]

٦٧٤ [إِهْلَاكُ الْفَرَى ذَلِيلٌ عَلَى قِيَامِ السَّاعَةِ]

٦٧٥ [حَالُ الْأَشْقِيَاءِ وَمَصِيرُهُمْ]

٦٧٥ [حَالُ السَّعْدَاءِ وَمَصِيرُهُمْ]

٦٧٦ [الشَّرْكُ ضَلَالٌ لَا شَكَّ فِيهِ]

٦٧٦ [الْأَمْرُ بِالْإِسْتِقَامَةِ]

٦٧٦ [الْأَمْرُ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ]

٦٧٧ [إِنَّ الْحَسَنَاتِ تَمْحُو السَّيِّئَاتِ]

٦٧٧ [لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ جَمَاعَةٍ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ]

٦٧٨ [لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الْإِيمَانَ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ]

٦٧٨ [الْخَاتِمَةُ]

٦٧٩ [تَفْسِيرُ سُورَةِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهِيَ مَكِّيَّةٌ]

٦٧٩ [أَوْصَافُ الْقُرْآنِ]

٦٧٩ [سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ]

٦٧٩ [رُؤْيَا يُوسُفَ]

٦٧٩ [أَمْرُ وَالِدِ يُوسُفَ بِإِخْفَاءِ الرُّؤْيَا حَدَرًا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ]

٦٨٠ [تَغْيِيرُ رُؤْيَا يُوسُفَ]

٦٨٠ [قِصَّةُ يُوسُفَ وَفِيهَا آيَاتٌ]

٦٨١ [اسْتِثْنَانُ الْإِخْوَةِ بِذَهَابِ يُوسُفَ]

٦٨١ [جَوَابُ الْأَبِ]

٦٨٢ [إِقْلَاءُ يُوسُفَ فِي الْبُئْرِ]

٦٨٢ [مَكْرُ إِخْوَةِ يُوسُفَ مَعَ آبِيهِمْ]

٦٨٢ [إِخْرَاجُ يُوسُفَ مِنَ الْبُئْرِ وَبَيْعُهُ]

٦٨٣ [يُوسُفَ فِي مُضَرَ]

٦٨٣ [حُبُّ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ وَمَكِيدَتُهَا بِهِ]

٦٨٦ [وُصُولُ الْخَبَرِ إِلَى نِسْوَةِ الْمَدِينَةِ وَمَكِيدَتُهُنَّ بِيُوسُفَ]

٦٨٧ [الْقَرَارُ بِسَجْنِ يُوسُفَ وَتَقْيِيدُهُ]

٦٨٧ [سَجْنَانِ يَسْأَلَانِ يُوسُفَ عَنْ تَأْوِيلِ رُؤْيَاهُمَا]

٦٨٧ [دَعْوَةُ يُوسُفَ السَّجِينِينَ إِلَى التَّوْحِيدِ قَبْلَ التَّغْيِيرِ]

٦٨٨ [تَغْيِيرُ الرُّؤْيَا]

٦٨٨ [قَالَ يُوسُفُ لِلْسَّاقِي أَدْكُرْنِي عِنْدَ الْمَلِكِ]

٧١٨ [بَيَانُ عِقَابِ الْكُفَّارِ وَجَزَاءِ الْأَبْرَارِ] ..
 [يَفْرَحُ الصَّادِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ
 ﷺ لِتَصْدِيقِ كُتُبِهِمْ] .. ٧١٨
 [الْأَنْبِيَاءُ كَانُوا بَشَرًا] .. ٧١٩
 [الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ لَيْسَ مِنْ مُسْتَطَاعِ الرُّسُولِ] .. ٧١٩
 [مَا يُمَحَى وَيُزَالُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ] .. ٧١٩
 [عَلَى الرُّسُولِ الْبَلَاغُ وَعَلَى اللَّهِ الْحِسَابُ] .. ٧٢٠
 [مَكْرُ الْكُفَّارِ وَالْوَعْدُ عَلَى ذَلِكَ] .. ٧٢٠
 [الْأَسْتِثْنَاءُ يُعْلَمُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلرَّسَالَةِ
 الْمُحَمَّدِيَّةِ] .. ٧٢٠
 [تفسير سورة إبراهيم - عليه السلام - وهي مَكِّيَّة] .. ٧٢١
 [التَّعْرِيفُ بِالْقُرْآنِ وَمَقْصُودُهُ وَالْوَيْلُ لِمَنْ خَالَفَهُ] .. ٧٢١
 [كُلُّ نَبِيٍّ أَرْسَلَ بِلسَانِ قَوْمِهِ لِيَكُونَ الْهِدَايَةُ أَوْ الضَّلَالُ
 بَعْدَ تَبْيِينِهِ] .. ٧٢١
 [بِعَنَّةِ يُوسُفَ وَوَعْظُهُ لِقَوْمِهِ] .. ٧٢٢
 [تَكْذِيبُ الْأُمَمِ لِرُسُلِهِمْ وَمَا دَارَ بَيْنَهُمْ] .. ٧٢٣
 [الْمُجَادَلَةُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكَفَّارِ] .. ٧٢٤
 [عَدَمُ اعْتِرَافِ الْكُفَّارِ بِرِسَالَةِ الرُّسُلِ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ بَشَرٌ] .. ٧٢٤
 [تَهْدِيدُ الْأُمَمِ رُسُلَهُمْ وَتَبْيِيسُ اللَّهِ لَهُوْلَاءِ الرُّسُلِ] .. ٧٢٤
 [مَثَلٌ لِأَعْمَالِ الْكُفَّارِ] .. ٧٢٦
 [بُرْهَانُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] .. ٧٢٧
 [مُجَادَلَةُ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ] .. ٧٢٧
 [خِطَابُ إِبْرَاهِيمَ أَتْبَاعَهُ وَاعْتِدَارُهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] .. ٧٢٨
 [مَثَلٌ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْقَوْلُ بِالْبَاطِلِ] .. ٧٢٩
 [تَثْبِيتُ الْمُؤْمِنِ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] .. ٧٢٩
 [مَقْصِيرٌ مَنْ بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا] .. ٧٣١
 [الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ] .. ٧٣٢
 [بَيَانُ نِعَمِ اللَّهِ الْعَدِيدَةِ] .. ٧٣٢
 [دُعَاءُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَكَّةَ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ] .. ٧٣٣
 [إِنْمَالُ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ عَنْ غَفْلَةٍ] .. ٧٣٤
 [لَا مُهْلَةَ بَعْدَ مَجِيئِ الْعَذَابِ] .. ٧٣٥
 [لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ] .. ٧٣٦
 [أَحْوَالُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] .. ٧٣٦

٧٠٣ [الْعِبْرَةُ لِمَنْ اعْتَبَرَ] ..
 [تفسير سورة الزعد وهي مَكِّيَّة] .. ٧٠٣
 [الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ] .. ٧٠٣
 [بَيَانُ كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ] .. ٧٠٤
 [الْإِسْتِثْنَاءُ] .. ٧٠٤
 [تَسْخِيرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَجَزَائُهُمَا] .. ٧٠٤
 [آيَاتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ] .. ٧٠٥
 [إِنْكَارُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ عَجِيبٌ] .. ٧٠٥
 [إِسْتِغْثَالُ الْكُفَّارِ بِالْعَذَابِ] .. ٧٠٦
 [طَلَبُ الْمُشْرِكِينَ الْآيَةَ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] .. ٧٠٦
 [عَالَمُ الْعَيْبِ هُوَ اللَّهُ] .. ٧٠٧
 [عِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِكُلِّ ظَاهِرٍ وَخَفِيٍّ] .. ٧٠٧
 [الْمَلَايِكَةُ الْحَفَظَةُ] .. ٧٠٨
 [السَّحَابُ وَالْبُرْقُ وَالرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ] .. ٧٠٨
 [الدُّعَاءُ عِنْدَ الرُّعْدِ] .. ٧٠٨
 [تَمْثِيلُ عَجْرِ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ] .. ٧١٠
 [كُلُّ شَيْءٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ] .. ٧١٠
 [إِبْنَاتُ التَّوْحِيدِ] .. ٧١٠
 [مَثَلَانِ لِيَقَاءِ الْحَقِّ وَقَنَاءِ الْبَاطِلِ] .. ٧١١
 [ذِكْرُ مَزِيدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ] .. ٧١٢
 [جَزَاءُ السَّعْدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ] .. ٧١٢
 [لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ] .. ٧١٢
 [أَوْصَافُ السَّعْدَاءِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ] .. ٧١٣
 [أَوْصَافُ الْأَشْقِيَاءِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى اللَّعْنَةِ وَسُوءِ الدَّارِ] .. ٧١٣
 [السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْقُرْبُ بِإِدِّ اللَّهِ] .. ٧١٤
 [طَلَبُ الْمُشْرِكِينَ الْآيَاتِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] .. ٧١٤
 [طَمَآنِيَّةُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِذِكْرِ اللَّهِ] .. ٧١٥
 [بَيَانُ طُوبَى] .. ٧١٥
 [مِمَّا بُعِثَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، تِلَاوَةُ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَالِدَعْوَةُ
 إِلَيْهِ] .. ٧١٥
 [فَضْلُ الْقُرْآنِ وَجُحُودُ الْكُفَّارِ بِهِ] .. ٧١٦
 [تَسْلِيَةُ لِرُسُولِ اللَّهِ ﷺ] .. ٧١٦
 [لَا اشْتِرَاكَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِوُجُوهِ مِنْ
 التَّوْحُودِ] .. ٧١٧

- تفسير سورة الجحر وهي مكية ٧٣٧
- [يَتَمَنَّى الْكُفَّارُ فِي وَفْتٍ مَا أَنْ لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ] ٧٣٧
- [يَكُلْ قُرْبَةً أَجَلَ يَتَتَبِعُ إِلَيْهِ] ٧٣٨
- [رَمَى الرَّسُولَ بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ وَطَلَبَ نَزُولَ الْمَلَائِكَةِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ] ٧٣٨
- [اسْتَفْهَاءُ مُشْرِكِي كُلِّ أُمَّةٍ بِرُسُلِهِمْ] ٧٣٨
- [الْمُعَانِدُونَ مِنَ الْكُفَّارِ لَا يُؤْمِنُونَ مَهْمَا رَأَوْا مِنْ الْآيَاتِ] ٧٣٩
- [قُدْرَةُ اللَّهِ وَآيَاتُهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ٧٣٩
- [خَزَائِنُ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ] ٧٤٠
- [مُنْعَةُ الرِّيحِ] ٧٤٠
- [الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ] ٧٤٠
- [بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى بَدْءِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ] ٧٤٠
- [مَادَّةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَالْجَانِّ] ٧٤١
- [خَلْقُ آدَمَ وَأَمْرُ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَتَمَرُّدُ إِبْلِيسَ] ٧٤١
- [إِخْرَاجُ إِبْلِيسَ مِنْ مَقَامِهِ عِنْدَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَإِمَهَالُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ٧٤١
- [تَحَدِّي إِبْلِيسَ بِالْإِغْوَاءِ، وَوَعِيدُ اللَّهِ لَهُ بِجَهَنَّمَ] ٧٤٢
- [أَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعَةٌ] ٧٤٢
- [بَيَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَحْوَالِهِمْ] ٧٤٢
- [صِفَةُ إِبْرَاهِيمَ وَتَبْيِيزُهُمْ إِلَيْهِ بَعْلَامٍ] ٧٤٣
- [سَبَبُ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ] ٧٤٣
- [مَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ لُوطٍ] ٧٤٣
- [أَمْرُ لُوطٍ بِخُرُوجِهِ مَعَ أَسْرَتِهِ فِي اللَّيْلِ] ٧٤٤
- [مَجِيءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ رِجَالٌ] ٧٤٤
- [إِهْلَاكُ قَوْمِ لُوطٍ] ٧٤٥
- [قُرْبَةُ سُدُومَ عَلَى الطَّرِيقِ] ٧٤٥
- [إِهْلَاكُ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ: قَوْمِ شُعَيْبٍ] ٧٤٥
- [إِهْلَاكُ أَصْحَابِ الْحَجَرِ، وَهُمْ تَمُودُ] ٧٤٥
- [خُلِقَتِ الدُّنْيَا لِمَصْلَحَةٍ مَا، ثُمَّ تَقُومُ السَّاعَةُ] ٧٤٥
- [الْإِمْتِنَانُ بِالْقُرْآنِ وَالْأَمْرُ بِالْمَرْكِزِ عَلَى دَعْوَتِهِ] ٧٤٦
- [الرَّسُولُ نَذِيرٌ مُبِينٌ] ٧٤٦
- [تفسير المُقْتَسِمِينَ] ٧٤٧
- [الْأَمْرُ بِالصَّدْعِ بِالْحَقِّ] ٧٤٧
- [الْأَمْرُ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَصَمَانٍ كِفَايَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ] ٧٤٨
- [التَّشْجِيعُ عَلَى تَحْمِلِ الْمَسَاقِ، وَالْأَمْرُ بِالْإِزَامِ التَّشْيِيعِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى الْمَوْتِ] ٧٤٨
- [تفسير سورة النحل وهي مكية] ٧٤٩
- [الْإِنذَارُ بِقُرْبِ السَّاعَةِ] ٧٤٩
- [يُرْسِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ بِالْوَحِيدِ] ٧٥٠
- [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْإِنْسَانَ] ٧٥٠
- [الْأَنْعَامُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَنِعْمَةُ مِنْهُ] ٧٥٠
- [بَيَانُ الطَّرِيقِ الدِّينِيِّ] ٧٥١
- [الْمَطَرُ وَفَوَائِدُهُ وَبَيَانُ أَنَّهُ آيَةٌ] ٧٥٢
- [آيَاتٌ فِي تَسْخِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَفِيمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ] ٧٥٢
- [آيَاتٌ فِي الْبَحَارِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالسُّبُلِ وَالْجُجُومِ] ٧٥٣
- [الْعِبَادَةُ حَقٌّ لِلَّهِ] ٧٥٣
- [إِلَهَةُ الْمُشْرِكِينَ مَخْلُوقَةٌ غَيْرُ خَالِقَةٍ] ٧٥٣
- [لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ] ٧٥٤
- [إِعْرَاضُ الْكُفَّارِ عَنِ الْوَحْيِ وَتَضَاعُفَةُ عِقَابِهِمْ] ٧٥٤
- [بَيَانُ مَا فَعَلَهُ السَّاقِطُونَ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ] ٧٥٥
- [أَحْوَالُ الْكَافِرِينَ عِنْدَ وَقَاتِهِمْ وَبَعْدَهَا] ٧٥٥
- [قَوْلُ الْمُتَّقِينَ فِي الْوَحْيِ وَجَزَائُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ عِنْدَ الْوَفَاةِ وَبَعْدَهَا] ٧٥٦
- [مَعْنَى تَأْخِيرِ الْكَافِرِينَ عَنِ الْإِيمَانِ أَنْتِظَارُهُمْ لِلْعَذَابِ] ٧٥٦
- [اسْتِذْلَالُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى شِرْكِهِمْ بِالْقَدَرِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] ٧٥٧
- [الْبَعْتُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ، وَفِيهِ حِكْمَةٌ، وَهُوَ هَيِّزٌ عَلَى اللَّهِ] ٧٥٨
- [جَزَاءُ الْمُهَاجِرِينَ] ٧٥٨
- [مَا أَرْسَلَ رَسُولٌ إِلَّا مِنْ الْبَشَرِ] ٧٥٨
- [كَيْفَ يَأْمُرُ الْمُعْجَرُونَ] ٧٥٩
- [سُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ لِلَّهِ] ٧٦٠
- [اللَّهُ وَحْدَهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ] ٧٦٠
- [مِنْ أَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ التَّنْذِرُ لِلْإِلَهَةِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ] ٧٦١
- [نُفُورُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْبَنَاتِ] ٧٦١
- [لَا يُؤْخَذُ بِالْمَعَاصِي فَوْراً] ٧٦٢

[رَمَى الْمُشْرِكِينَ الرَّسُولَ بِالْإِفْتِرَاءِ لِنَسْخِ بَعْضِ الْآيَاتِ،
وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ] ٧٧٣
[نَسَبَ الْمُشْرِكِينَ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ إِلَى بَشَرٍ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ] ٧٧٣
[قَهَرَ اللَّهُ وَغَضَبَهُ عَلَى الْمُزْنِدِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ] ٧٧٤
[سَبَّ نَزُولِ الْآيَةِ] ٧٧٤
[يُعْفَرُ لِلْمُكْرَهِ إِذْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ بَعْدَ الْإِكْرَاهِ] ٧٧٥
[مَثَلُ لِمَكَّةَ] ٧٧٦
[الْأَمْرُ بِأَكْلِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ وَبِالشُّكْرِ وَبَيَانُ الْحَرَامِ] ٧٧٦
[تَحْرِيمُ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ عَلَى الْيَهُودِ] ٧٧٧
[ذِكْرُ خَلِيلِ اللَّهِ] ٧٧٧
[جَعَلَ السَّبْتُ عَلَى الْيَهُودِ] ٧٧٨
[الْأَمْرُ بِالذَّغْوَةِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] ٧٧٨
[الْأَمْرُ بِالسَّوَادَةِ فِي الْقِصَاصِ] ٧٧٨
تفسير سورة الإسراء وهي مكيّة ٧٧٩
[فَضَّلَ سُورَةَ الْإِسْرَاءِ] ٧٧٩
[بَيَانُ الْإِسْرَاءِ] ٧٧٩
ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي الْإِسْرَاءِ ٧٨٠
رِوَايَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٨٠
رِوَايَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ٧٨١
رِوَايَةُ أَنَسِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ٧٨٢
رِوَايَةُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٨٣
رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٧٨٣
رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٨٤
رِوَايَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٨٤
رِوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٧٨٤
رِوَايَةُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٧٨٥
[زَمَانَ الْإِسْرَاءِ وَأَنَّهُ كَانَ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ يَقْظَةُ لَا مَنَامًا] ٧٨٥
[فَائِدَةٌ حَسَنَةٌ جَلِيلَةٌ] ٧٨٦
[ذِكْرُ مُوسَى وَإِعْطَائِهِ التَّوْرَةَ] ٧٨٦
[ذِكْرُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ الْيَهُودَ يَطْعُونَ مَرَّتَيْنِ] ٧٨٧
[الْإِسْنَادُ الْأَوَّلُ مِنَ الْيَهُودِ وَجَزَاؤُهُمْ عَلَيْهِ] ٧٨٧
[الْإِسْنَادُ الثَّانِي] ٧٨٧
[مَدْحُ الْقُرْآنِ] ٧٨٨
[عَجَلَةُ الْإِنْسَانِ وَدُعَاؤُهُ عَلَى نَفْسِهِ] ٧٨٨

[نَسَبَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى اللَّهِ مَا يَكْرَهُونَ] ٧٦٢
[الْتَّعَزَّى بِمَنْ سَبَقَ] ٧٦٢
[الْقَصْدُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ] ٧٦٢
[الْعِبْرَةُ وَالنِّعْمَةُ فِي الْأَنْعَامِ وَتَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ] ٧٦٣
[وَفِي النَّحْلِ وَعَسَلِهَا نِعْمَةٌ وَغَيْرَةٌ] ٧٦٣
[وَفِي أَطْوَارِ عُمُرِ الْإِنْسَانِ غَيْرَةٌ] ٧٦٤
[وَفِي أُمُورِ مَعَاشِ الْإِنْسَانِ آيَةٌ وَنِعْمَةٌ] ٧٦٥
[وَمِنْ النِّعَمِ وَالْآيَاتِ الْأَزْوَاجُ وَالْأَوْلَادُ وَالْأَحْفَادُ] ٧٦٥
[الْكِبَرُ عَلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ] ٧٦٦
[مَثَلُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ أَوْ لِلتَّوَنِّ وَالْحَقِّ] ٧٦٦
[مَثَلُ آخَرٍ] ٧٦٦
[الْعَيْبُ لِلَّهِ وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ] ٧٦٦
[وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْإِفْتِدَاءُ] ٧٦٦
[وَفِي تَسْخِيرِ الطَّيْرِ فِي جَوْ السَّمَاءِ آيَةٌ] ٧٦٧
[الْبَيُوتُ وَالْأَنْثَاثُ وَالْيَابُتُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ] ٧٦٧
[الظَّلَالُ وَالْجِبَالُ وَسَرَابِيلُ التُّوبِ، وَالْحَدِيدُ أَيْضًا مِنْ
نِعَمِ اللَّهِ] ٧٦٨
[مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] ٧٦٨
[حَالُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحَشْرِ] ٧٦٨
[تَبَرَأَ إِلَهُهُ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهَا] ٧٦٩
[يَسْتَسْلِمُ الْجَمِيعُ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ٧٦٩
[الرَّبِّيَّةُ فِي عَذَابِ الْمُفْسِدِينَ مِنَ الْكَفَّارِ] ٧٦٩
[كُلُّ نَبِيٍّ يَشْهَدُ عَلَى أُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ٧٦٩
[الْقُرْآنُ بَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ] ٧٦٩
[الْأَمْرُ بِالْإِنْصَافِ وَالْإِحْسَانِ] ٧٧٠
[الْأَمْرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَالتَّهْنِي عَنِ الْقَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبُغْيِ] ٧٧٠
[وَأَفْعَةٌ عَيْنٌ لِعُتْمَانَ بْنِ مِطْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ٧٧٠
[الْأَمْرُ بِإِيْقَاءِ الْعَهْدِ] ٧٧٠
[لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً] ٧٧٢
[التَّهْنِي عَنْ أَنْ يُحْلَفَ لِلْخِدَاعِ] ٧٧٢
[لَا تَنْفَضُوا الْأَيْمَانَ لِلدُّنْيَا] ٧٧٢
[الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَجَزَاؤُهُ] ٧٧٢
[الْأَمْرُ بِالِاسْتِعَادَةِ قَبْلَ التَّلَاوَةِ] ٧٧٢

٨٠٤ [فَصَّهُ آدَمَ وَإِلَيْسَ]

٨٠٥ [أَفْلُكُ مِنْ عَلَامَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ]

٨٠٥ [الْكَفَّارُ لَا يَذْكُرُونَ عِنْدَ الضَّرِّ إِلَّا اللَّهَ]

٨٠٦ [أَلَا يَأْتِي عَذَابُ اللَّهِ فِي الْبُرْءِ؟]

٨٠٦ [وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِي الْبَحْرِ...]

٨٠٦ [بَيَانُ شَرَفِ الْإِنْسَانِ وَكَرَمِهِ]

٨٠٧ [كُلُّ أَحَدٍ يُدْعَى بِإِمَامِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

..... [شِدَّةُ عُقُوبَةِ النَّبِيِّ لَوْ رَكَنَ شَيْئًا قَلِيلًا إِلَى الْكُفَّارِ فِي

..... مُطَالَبَتِهِمْ بِتَغْيِيرِ بَعْضِ الْوُحْيِ]

٨٠٧ [سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ]

٨٠٨ [الْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا]

٨٠٨ [اجْتِمَاعُ الْمَلَائِكَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ]

٨٠٩ [الْأَمْرُ بِالتَّحِيدِ]

٨١٠ [حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

٨١١ [الْأَمْرُ بِالْهَجْرَةِ]

٨١١ [وَعِيدُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ]

٨١٢ [الْقُرْآنُ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ]

٨١٢ [عَادَةُ الْإِنْسَانِ فِي حَالَتِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ]

٨١٢ [ذِكْرُ الرُّوحِ]

٨١٣ [الرُّوحُ وَالنَّفْسُ]

٨١٣ [لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِالْقُرْآنِ]

٨١٣ [التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ]

٨١٤ [طَلَبُ قُرَيْشٍ آيَاتِ مُعَيَّنَةٍ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ]

٨١٥ [سَبَبُ رَدِّ طَلَبَاتِ الْمُشْرِكِينَ]

..... [إِنَاءُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْإِيمَانِ لِيَكُونَ الرَّسُولُ بَشَرًا، وَالرَّدُّ

..... عَلَيْهِمْ]

٨١٦ [الْهِدَايَةُ وَالْإِضْلَالُ بِيَدِ اللَّهِ]

٨١٦ [جَزَاءُ أَهْلِ الضَّلَالِ]

٨١٧ [الْإِمْسَاكُ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ]

٨١٧ [تِسْعُ آيَاتٍ لِمُوسَى]

٨١٨ [إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ]

٨١٩ [نَزْلُ بِالْحَقِّ مُتَّفَقًا]

٨١٩ [الْقُرْآنُ حَقٌّ يَعْرِفُ بِهِ السَّابِقُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ]

٨١٩ [لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى]

٧٨٨ [الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ آيَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ الْعِظَامِ]

٧٨٩ [مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ كِتَابٌ أَعْمَالِهِ]

٧٩٠ [لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ ذَنْبَ أَحَدٍ]

٧٩٠ [لَا عَذَابَ إِلَّا بَعْدَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ]

٧٩٠ [مَسْأَلَةُ مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَوْلَادِ الصَّغَارِ]

٧٩١ [كَرَاهَةُ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ]

٧٩١ [قِرَاءَاتُ قَوْلِهِ "أَمْرُنَا" وَمَعَانِيهِ]

٧٩١ [تَهْدِيدُ لِقُرَيْشٍ]

٧٩٢ [جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ]

٧٩٢ [لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ أَحَدًا]

٧٩٣ [الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِحْسَانِ بِالْوَالِدَيْنِ]

٧٩٣ [عُفْرَانُ زَلَّةِ الْوَلَدِ فِي حَقِّ وَالِدَيْهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى اللَّهِ]

٧٩٤ [الْأَمْرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَالتَّهْيِ عَنِ التَّبْدِيرِ]

٧٩٥ [الْإِقْبَادُ فِي الْإِنْفَاقِ]

٧٩٥ [التَّهْيِ عَنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ]

٧٩٦ [الْأَمْرُ بِاجْتِنَابِ الزُّنَا وَأَسْبَابِهِ]

٧٩٦ [التَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ]

..... [الْأَمْرُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي مَالِ النَّيِّمِ وَبِالْكَيْلِ الْأَوْفَى

..... وَالْوِزْنَ الْمُسْتَقِيمِ]

٧٩٦ [لَا تَكَلَّمُوا إِلَّا بِالْعِلْمِ]

٧٩٧ [دَمٌ مَشِيءُ التَّبَخُّرِ]

٧٩٧ [كُلُّ مَا سَبَقَ وَحْيِي وَحِكْمَتِي]

٧٩٨ [الرَّدُّ عَلَى الرَّاعِمِينَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ]

٧٩٨ [كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ]

٧٩٩ [الْحِجَابُ عَلَى قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ]

٨٠٠ [تَنَاجِي قُرَيْشٍ بَعْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ]

٨٠١ [الرَّدُّ عَلَى مَنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ]

٨٠٢ [لِيَتَكَلَّمَ الْعِبَادُ بِالْحُسْنِ وَالْأَدَبِ]

٨٠٢ [تَفْضِيلُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ]

..... [إِلَهُهُ الْمُشْرِكِينَ لَا تَقْدِرُ عَلَى النَّفْعِ وَالضَّرَرِ بَلْ تَطْلُبُ

..... الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ]

٨٠٣ [تَهْلُكُ أَوْ تُعَذَّبُ قَرَى الْكُفَّارِ كُلُّهَا قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ]

٨٠٣ [سَبَبُ عَدَمِ إِزْسَالِ الْآيَاتِ]

٨٠٤ [إِحَاطَةُ اللَّهِ بِالنَّاسِ وَجَعْلُهُ رُؤْيَا النَّبِيِّ فِتْنَةً لَهُمْ]

٨٤٢ [قِصَّةُ قَتْلِ الْغُلَامِ] ..
 ٨٤٢ [قِصَّةُ إِقَامَةِ الْجِدَارِ] ..
 ٨٤٢ [تَأْوِيلُ حَرْقِ السَّفِينَةِ] ..
 ٨٤٢ [تَأْوِيلُ قَتْلِ الْغُلَامِ] ..
 ٨٤٣ [تَأْوِيلُ إِقَامَةِ الْجِدَارِ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ] ..
 ٨٤٣ [هَلْ كَانَ الْخَضِرُ نَبِيًّا] ..
 ٨٤٣ [وَجْهُ تَسْمِيَةِ الْخَضِرِ] ..
 ٨٤٣ [قِصَّةُ ذِي الْقُرْنَيْنِ] ..
 ٨٤٣ [كَانَ ذُو الْقُرْنَيْنِ صَاحِبَ سُلْطَةٍ كَبِيرَةٍ] ..
 ٨٤٤ [دَهَابُهُ وَبُلُوغُهُ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ] ..
 ٨٤٥ [دَهَابُهُ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ] ..
 ٨٤٥ [دَهَابُهُ إِلَى أَرْضِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَبِنَاؤُهُ السِّدِّ] ..
 ٨٤٦ [صَارَ السِّدُّ مَابَعًا وَسَوَفَ يَذُكُّ قُرْبَ الْقِيَامَةِ] ..
 ٨٤٧ [عَرَضَ جَهَنَّمَ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ..
 ٨٤٧ [أَلَا خَسِرُونَ أَعْمَالًا وَجَزَائُهُمْ] ..
 ٨٤٧ [جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ] ..
 ٨٤٨ [لَا تَقْدُ كَلِمَاتُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ] ..
 ٨٤٨ [مُحَمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ وَرَسُولٌ وَالْإِلَهِ وَاحِدٌ] ..
 ٨٤٩ سُورَةُ مَزِيمٍ وَهِيَ مَكْتَبَةٌ ..
 ٨٤٩ [قِصَّةُ زَكَرِيَّا وَدُعَاؤُهُ لِلْوَلَدِ] ..
 ٨٥٠ [قَبُولُ دُعَائِهِ] ..
 ٨٥٠ [أَتَتَعَجَّبُ بَعْدَ قَبُولِ الدُّعَاءِ] ..
 ٨٥٠ [جَوَابُ الْمَلَكِ] ..
 ٨٥٠ [عَلَامَةُ الْحَمْلِ] ..
 ٨٥١ [وِلَادَةُ الْغُلَامِ وَأَوْصَافُهُ] ..
 ٨٥٢ [قِصَّةُ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ] ..
 ٨٥٣ [إِسْتِغْرَارُ الْحَمْلِ ثُمَّ الْوِلَادَةُ] ..
 ٨٥٣ [مَا قِيلَ لَهَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ] ..
 مَرْيَمُ مَعَ الْمَسِيحِ أَمَامَ الْقَوْمِ وَكَبِيرُهُمْ عَلَيْهَا وَرَدُّ
 الْمَسِيحِ عَلَيْهِمْ] ..
 ٨٥٤ [عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَلَيْسَ بِوَلَدِهِ] ..
 ٨٥٦ [أَمَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوْحِيدِ ثُمَّ اخْتَلَفَ النَّاسُ
 بَعْدَهُ] ..
 ٨٥٦ [إِنْدَارُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ] ..

٨١٩ [أَلَا مَرُّ بِالْقِرَاءَةِ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَخَافَةِ] ..
 ٨٢٠ [بَيَانُ التَّوْحِيدِ] ..
 ٨٢٠ سُورَةُ الْكَهْفِ وَهِيَ مَكْتَبَةٌ ..
 ٨٢١ [أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] ..
 ٨٢١ [سَبَبُ نَزُولِ السُّورَةِ] ..
 ٨٢٢ [لَا تَأْسَفْ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِ الْمُشْرِكِينَ] ..
 ٨٢٢ [أَلَدُنْيَا دَارُ الْإِنْبِلَاءِ] ..
 ٨٢٢ [قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ] ..
 ٨٢٣ [إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ وَاعْتِزَالُهُمُ الْقَوْمَ] ..
 ٨٢٥ [مَوْقِعُ الْكَهْفِ] ..
 ٨٢٦ [رُفُودُهُمْ فِي الْكَهْفِ] ..
 ٨٢٦ [إِسْتِيقَاطُهُمْ وَبَعْنُهُمْ أَحَدُهُمْ لِشَرَاءِ الطَّعَامِ] ..
 ٨٢٧ [عُثِرَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَيْهِمْ وَبِنَاؤُهُمْ يَذْكَارًا عَلَى الْكَهْفِ] ..
 ٨٢٨ [عَدَدُهُمْ] ..
 ٨٢٨ [أَلَا سَيِّئَاءُ عِنْدَ الْعَزْمِ عَلَى فِعْلٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ] ..
 ٨٢٩ [مُدَّةُ قِيَامِهِمْ فِي الْكَهْفِ] ..
 ٨٣٠ [أَلَا مَرُّ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَبِالضَّبْرِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] ..
 ٨٣٠ [أَلَحَقَ مِنَ اللَّهِ وَجَزَاءُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ] ..
 ٨٣١ [جَزَاءُ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ] ..
 ٨٣٢ [مَثَلُ الْمُشْرِكِ الْغَنِيِّ وَالْمُسْلِمِ الْفَقِيرِ] ..
 ٨٣٢ [جَوَابُ الْمُؤْمِنِ الْفَقِيرِ] ..
 ٨٣٣ [أَلَتَنِيحُهُ السَّيِّئَةُ لِلْكَفْرِ] ..
 ٨٣٣ [مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] ..
 ٨٣٤ [عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ] ..
 ٨٣٥ [أَهْمُ أَهْوَالِ السَّاعَةِ] ..
 ٨٣٦ [قِصَّةُ آدَمَ وَإِبْلِيسَ] ..
 ٨٣٦ [إِلَهَةُ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَشْهَدُوا خَلْقَ شَيْءٍ حَتَّى أَنْفُسَهُمْ] ..
 ٨٣٧ [عَجَزُ الشُّرَكَاءِ عَنِ الْجَوَابِ وَحُضُورُ الْمُجْرِمِينَ النَّارِ] ..
 ٨٣٧ [تَضَرُّيفُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ] ..
 ٨٣٨ [بَيَانُ تَمَرُّدِ الْكُفَّارِ] ..
 ٨٣٨ [أَظْلَمَ النَّاسُ مَنْ أَعْرَضَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ] ..
 ٨٣٩ [قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ] ..
 ٨٤١ [لِقَاءُ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ وَمُصَاحَبَتُهُ إِيَّاهُ] ..
 ٨٤١ [قِصَّةُ حَرْقِ السَّفِينَةِ] ..

[إِصْطَفَاءُ مُوسَى وَأَمْرُهُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَبِدَعْوَتِهِ
بِالْبَيْنِ وَالرَّفْقِ] ٨٧٤
[خَوْفُ مُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَتَثْبِثُ اللَّهِ إِيَّاهُ] ٨٧٤
[وَعَظُّ مُوسَى أَمَامَ فِرْعَوْنَ] ٨٧٥
[الْحَوَارِ بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ] ٨٧٥
[تَثْبِثَةُ جَوَابِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ] ٨٧٦
[أَرَى فِرْعَوْنَ كُلَّ الْآيَاتِ وَلَمْ يُؤْمِنْ] ٨٧٦
[وَصَفُ فِرْعَوْنَ آيَاتِ مُوسَى بِالسَّحْرِ وَتَذْيِيرُهُ فِي
الْمُعَارَضَةِ] ٨٧٦
[اجْتِمَاعُ الْقَرِيقَيْنِ وَدَعْوَةُ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ] ٨٧٧
[الْمُعَارَضَةُ وَعَلَبَةُ مُوسَى وَإِيمَانُ السَّحَرَةِ] ٨٧٨
[عَذَابُ السَّحَرَةِ] ٨٧٨
[تَقَلُّبُ فِرْعَوْنَ عَلَى السَّحَرَةِ وَنَهْدِيدُهُ وَجَوَابُهُمْ] ٨٧٨
[وَعَظُّ السَّحَرَةِ أَمَامَ فِرْعَوْنَ] ٨٧٩
[خُرُوجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ] ٨٨٠
[تَذْكِيرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ] ٨٨٠
[ذَهَابُ مُوسَى إِلَى مَوْعِدِ اللَّهِ وَوُقُوعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي
عِبَادَةِ الْعِجْلِ] ٨٨١
[نَهْيُ هَارُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَإِضْرَارُهُمْ
عَلَيْهَا] ٨٨٢
[مَا حَصَلَ بَيْنَ مُوسَى وَهَارُونَ بَعْدَ مَا رَجَعَ مُوسَى] ٨٨٣
[كَيْفَ نَحَتَ السَّامِرِيُّ الْعِجْلَ ؟] ٨٨٣
[عِقَابُ السَّامِرِيِّ وَتَحْرِيقُ الْعِجْلِ] ٨٨٣
[الْقُرْآنُ ذَكَرَ اللَّهَ الْجَامِعَ وَبَيَّنَّ عُقُوبَةَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ] ٨٨٤
[نَفْخُ الصُّورِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ] ٨٨٤
[تَنْسِفُ الْجِبَالِ وَتُصَيِّرُ الْأَرْضَ قَاعًا صَفْصَفًا] ٨٨٥
[يَسْعَى النَّاسُ لِصَوْتِ الدَّاعِي] ٨٨٥
[الشَّفَاعَةُ وَالْجَزَاءُ] ٨٨٥
[أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيَتَّبِعِيَ النَّاسُ وَيَتَذَكَّرُوا] ٨٨٦
[أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ النُّزُولِ دُونَ
الِاسْتِعْجَالِ لِقِرَاءَتِهِ] ٨٨٦
[قِصَّةُ آدَمَ وَإِبْلِيسَ] ٨٨٧
[إِنْزَالُ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ وَعَوْدُ الْخَيْرِ لِمَنِ اهْتَدَى وَالشَّرِّ
لِمَنِ بَغَى] ٨٨٨

[وَعَظُّ إِبْرَاهِيمَ لِأَيُّوبَ] ٨٥٨
[جَوَابُ وَالِدِ إِبْرَاهِيمَ] ٨٥٨
[جَوَابُ خَلِيلِ اللَّهِ] ٨٥٨
[وَهَبُ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] ٨٥٩
[ذَكَرُ مُوسَى وَهَارُونَ] ٨٥٩
[ذَكَرُ إِسْمَاعِيلَ] ٨٦٠
[ذَكَرُ إِدْرِيسَ] ٨٦١
[أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ هُمْ الْمُحِبُّونَ] ٨٦١
[خَلْقُهُمُ السُّوءَ وَمَنْ صَلَحَ مِنْهُمْ] ٨٦١
[صِفَةُ جَنَاتِ الثَّانِيْنَ الصَّادِقِينَ] ٨٦٢
[لَا تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ] ٨٦٣
[تَعْجُبُ الْإِنْسَانُ عَلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالرُّدُّ عَلَى
هَذَا التَّعْجِبِ] ٨٦٣
[كُلُّ يَرُدُّ عَلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمُتَّقُونَ] ٨٦٤
[إِفْخَارُ الْكُفَّارِ عَلَى حُسْنِ حَظِّهِمْ مِنَ الدُّنْيَا] ٨٦٥
[يُهْمِلُ الْمُتَمَرِّدُ وَلَا يَهْمِلُ] ٨٦٥
[يُزَادُ فِي هِدَايَةِ الْمُهْتَدِينَ] ٨٦٥
[الرُّدُّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ مِنَ الْكُفَّارِ أَنَّهُ يُعْطَى فِي الْآخِرَةِ
مَا لَا وَلَدًا] ٨٦٦
[يَكْفُرُ إِلَهُهُ الْمُشْرِكِينَ بِعِبَادَتِهِمْ] ٨٦٦
[تَسَلُّطُ الشَّيَاطِينِ عَلَى الْكَافِرِينَ] ٨٦٧
[حَالُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ٨٦٧
[النَّكِيرُ الشَّدِيدُ عَلَى نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَى اللَّهِ] ٨٦٧
[يُجْعَلُ حُبُّ الصَّالِحِينَ فِي الْقُلُوبِ] ٨٦٨
[نَزَلَ الْقُرْآنُ لِلتَّبَشِيرِ وَالْإِنذَارِ] ٨٦٩
سُورَةُ طه وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ٨٦٩
[الْقُرْآنُ تَذْكِرَةٌ وَتَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ] ٨٦٩
[حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] ٨٧٠
[أَوَّلُ الْوَحْيِ إِلَى مُوسَى] ٨٧١
[قَلْبُ عَصَا مُوسَى حَيَّةٌ] ٨٧١
[يُبَيِّضُ يَدُ مُوسَى مِنْ غَيْرِ سُوءٍ] ٨٧٢
[أَمْرُ مُوسَى بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ لِلْبَلَاغِ] ٨٧٢
[دُعَاءُ مُوسَى] ٨٧٢
[الْبِسَارَةُ بِقَبُولِ الدُّعَاءِ وَالتَّذْكِيرُ بِالْمَنْ سَابَقَهُ] ٨٧٣

- ٨٨٨ [الْعَذَابُ الشَّدِيدُ لِلْمُشْرِكِينَ]
- ٨٨٩ [فِي إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ عِبْرَةٌ لِلْمُتَعَبِّرِينَ]
- ٨٨٩ [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَبِإِدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ]
- ٨٨٩ [لَا تَنْظُرْ إِلَى مُنْعَةٍ الْأَغْنِيَاءِ وَاصْبِرْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ]
- ٨٩٠ [طَلَبُ الْمُشْرِكِينَ الْآيَاتِ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ آيَةٌ]
- ٨٩١ تفسير سورة الأنبياء - عليهم السلام - وهي مكية
- ٨٩١ [فَضَّلُ سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ]
- ٨٩١ [السَّاعَةُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا]
- ٨٩١ [قَوْلُ الْكُفَّارِ فِي الْقُرْآنِ وَالرُّسُولِ، وَطَلَبُهُمُ الْآيَاتِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ]
- ٨٩٢ [لَمْ يَكُنِ الرُّسُلُ إِلَّا بَشَرًا]
- ٨٩٣ [فَضَّلُ الْقُرْآنِ]
- ٨٩٣ [كَيْفَ أَهْلَكَ الظَّالِمُونَ؟]
- ٨٩٤ [خَلَقَ الْكَوْنُ بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ]
- ٨٩٤ [كُلُّ شَيْءٍ مَلَكٌ لِلَّهِ وَعَبْدٌ لَهُ]
- ٨٩٤ [الرَّدُّ عَلَى الْآلِهَةِ الْكَافِيَةِ]
- ٨٩٤ [الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ وَيَتَّانُ أَعْمَالُهُمْ وَدَرَجَاتُهُمْ]
- ٨٩٥ [آيَاتُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ]
- ٨٩٧ [لَيْسَ لِأَحَدٍ الْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا]
- ٨٩٧ [اسْتِهْزَاءُ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ]
- ٨٩٨ [اسْتِهْجَالُ الْمُشْرِكِينَ بِالْعَذَابِ]
- ٨٩٨ [الْعِبْرَةُ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ]
- ٨٩٨ [إِنْخِدَاعُ الْمُشْرِكِينَ لِيُطَوَّلَ اسْتِمْتَاعُهُمْ بِالدُّنْيَا وَيَتَّانُ الْحَقُّ لَهُمْ]
- ٨٩٩ [إِنْزَالُ التَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ]
- ٩٠٠ [قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ]
- ٩٠٠ [كَسْرُ الْخَلِيلِ الْأَصْنَامِ]
- ٩٠١ [إِعْتِرَافُ الْقَوْمِ بِعَجْزِ الْآلِهَةِ وَوَعْظُ إِبْرَاهِيمَ]
- ٩٠٢ [إِلْقَاءُ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ وَتَصَرُّفُ اللَّهِ فِيهَا]
- ٩٠٢ [هَجْرَةُ خَلِيلِ اللَّهِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ لُوطٌ]
- ٩٠٣ [ذِكْرُ لُوطٍ]
- ٩٠٣ [ذِكْرُ نُوحٍ وَقَوْمِهِ]
- ٩٠٣ [ذِكْرُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَمَا أُوتِيَا مِنَ الْآيَاتِ وَذِكْرُ قِصَّةِ
- نَفْسِ الْغَنَمِ فِي الرِّزْقِ]
- [سُلْطَنَةُ سُلَيْمَانَ لَا مِثَالَ لَهَا]
- [ذِكْرُ أَيُّوبَ]
- [ذِكْرُ إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذِي الْكِفْلِ]
- [ذِكْرُ يُونُسَ]
- [ذِكْرُ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى]
- [ذِكْرُ عِيسَى وَمَرْيَمَ الصَّدِّيقَةِ]
- [النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ]
- [لَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا مَنْ هَلَكَ]
- [ذِكْرُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ]
- [الْمُشْرِكُونَ وَالْهَهُمْ وَقَوْلُ جَهَنَّمَ]
- [ذِكْرُ حَالِ السَّعْدَاءِ]
- [تَطَوَّى السَّمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
- [الْأَرْضُ يَرُثُهَا الصَّالِحُونَ]
- [مُحَمَّدٌ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ]
- [خِلَاصَةُ الْوَحْيِ أَنْ اغْبُدُوا اللَّهَ]
- [لَا يَعْلَمُ وَقْتُ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا اللَّهُ]
- تفسير سورة النح [وهي مكية]
- [أَهْوَالُ السَّاعَةِ]
- [دَمٌ مُتَّبِعِي الشَّيْطَانِ]
- [دَلَائِلُ النَّبُتِ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَالنَّبَاتِ]
- [تَطَوَّرَ النَّطْفَةُ وَالْجَنِينَ فِي الرَّحْمِ]
- [تَطَوَّرَ الْإِنْسَانُ مِنَ الطُّفُولَةِ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ]
- [مِثَالُ آخَرٍ لِلْبُعْثِ مِنَ النَّبَاتِ]
- [بَيَانُ حَالِ رُؤَسَاءِ الْمُتَّبِدِّعِينَ وَالصَّالِّينَ]
- [مَعْنَى الْعِبَادَةِ عَلَى حَرْفٍ]
- [جَزَاءُ الصَّالِحِينَ]
- [لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ مَهْمَا غَاطَّ عَدُوَّهُ]
- [إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بَيْنَ الْفَرَقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
- [كُلُّ شَيْءٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ]
- [سَبَبُ التَّرْوِيلِ]
- [جَزَاءُ الْكُفَّارِ]
- [جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ]
- [الْوَعْدُ لِمَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]

٩٤٥ [قِصَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ]

٩٤٦ [قِصَّةُ عَادٍ أَوْ ثَمُودَ]

٩٤٧ [ذِكْرُ الْأَمَمِ الْأُخْرَى]

٩٤٧ [قِصَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِرْعَوْنَ]

٩٤٨ [ذِكْرُ عِيسَى وَمَرْيَمَ]

٩٤٨ [الْأَمْرُ بِأَكْلِ الْحَلَالِ وَبِالْعَمَلِ الصَّالِحِ]

٩٤٩ [دِينُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ التَّوْحِيدُ وَالْوَعْدُ لِلَّذِينَ تَقَرَّفُوا]

٩٤٩ [صِفَاتُ أَهْلِ الْخَيْرِ]

٩٥٠ [بَيَانُ عَذَابِ اللَّهِ وَتَقْلِبَاتِ الْمُشْرِكِينَ]

٩٥١ [الْكُرْدُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَدَمَهُمْ]

٩٥١ [الْحَقُّ لَا يَنْتَبِعُ الْهَوَى]

٩٥٢ [الَّتِي لَا يَسْأَلُ أَجْرًا وَيَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]

٩٥٢ [ذِكْرُ أَحْوَالِ الْكُفَّارِ]

٩٥٣ [التَّذَكُّيرُ بِنِعَمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ]

٩٥٣ [اسْتِعَاذُ الْمُشْرِكِينَ بِبَعَثِ بَعْدِ الْمَوْتِ]

..... [إِفْرَارُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالزَّامَهُمْ بِذَلِكَ بِتَوْحِيدِ

٩٥٣ [الْأُلُوهِيَّةِ]

..... [لَا شَرِيكَ لِلَّهِ]

..... [الْأَمْرُ بِالدُّعَاءِ عِنْدَ حُلُولِ النِّقَمِ وَبِالدَّفْعِ الْحَسَنِ

٩٥٥ [وَبِالتَّوَعُّدِ]

..... [تَمَنِّي الْكُفَّارِ عِنْدَ الْإِحْضَارِ]

..... [الْبَرْزُخُ وَعَذَابُهُ]

..... [النَّفْخُ فِي الصُّورِ وَوَرْنُ الْأَعْمَالِ]

..... [تَوْبِيخُ أَهْلِ النَّارِ وَاعْتِرَافُهُمْ بِشِقْوَتِهِمْ وَطَلَبُهُمُ الْخُرُوجَ

٩٥٧ [مِنْهَا]

..... [جَوَابُ اللَّهِ وَرَدُّهُ عَلَى الْكُفَّارِ]

..... [إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ الْعِبَادَ عَبَثًا]

..... [الشَّرْكُ ظُلْمٌ عَظِيمٌ لَا فَلَاحَ لِصَاحِبِهِ]

..... [تَفْسِيرُ سُورَةِ الثَّوْرِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ]

..... [أَهَمِّيَّةُ سُورَةِ الثَّوْرِ]

..... [بَيَانُ حَدِّ الزَّانَا]

..... [لَا تَكُنْ لَدَيْكُمْ رَافَةٌ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ]

..... [أَقِيمُوا الْحَدَّ بِحَضْرَةِ النَّاسِ]

..... [بَيَانُ حَدِّ الْقَذْفِ]

٩٢٢ [مَسْأَلَةُ إِبْرَاهِيمَ بِبُوتِ مَكَّةَ]

..... [الْوَعْدُ لِمَنْ أَرَادَ الْإِلْحَادَ فِي الْحَرَمِ]

..... [بِنَاءُ الْكُعْبَةِ وَالتَّأْذِينَ بِالْحَجِّ]

..... [فِي الْحَجِّ مَنَافِعُ الدَّارَيْنِ]

..... [الْأَجْرُ عَلَى اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي]

..... [جِلَّةُ الْأَنْعَامِ]

..... [الْأَمْرُ بِاجْتِنَابِ الشَّرِّ وَالْكَذِبِ]

..... [بَيَانُ الْأَصَاحِي وَتَفْسِيرُ شُعَائِرِ اللَّهِ]

..... [مَنَافِعُ الْبُذْنِ]

..... [الْتِسَاكُ مَشْرُوعٌ فِي جَمِيعِ مَلِكِ الْعَالَمِ]

..... [الْأَمْرُ بِتَحْرِجِ الْبُذْنِ]

..... [الْمَقْصُودُ مِنَ الْأُضْحِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ إِخْلَاصُ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ]

..... [بِشَارَةِ الدَّفَاعِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ]

..... [الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ، وَهِيَ أَوَّلُ آيَةِ الْجِهَادِ]

..... [وَأَجِبَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ تَمْكِينِهِمْ مِنَ الْحُكْمِ]

..... [عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ]

..... [مُطَالَبَةُ الْكُفَّارِ بِالْعَذَابِ]

..... [جَزَاءُ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَأَهْلِ الْفَسَادِ]

..... [يُدْخِلُ الشَّيْطَانُ فِي أُمِّيَّةِ الرُّسُلِ وَإِبْطَالِ اللَّهِ ذَلِكَ]

..... [لَا يَزَالُ الْكُفَّارُ فِي الشُّكِّ وَالتَّرَدُّدِ]

..... [الْأَجْرُ الْعَظِيمُ لِمَنْ هَاجَرَ لِلَّهِ]

..... [خَالِقُ الدُّنْيَا وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا هُوَ اللَّهُ]

..... [آيَاتُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ]

..... [لِكُلِّ قَوْمٍ مَنَسْكَ]

..... [عِبَادَةُ الْمُشْرِكِينَ غَيْرَ اللَّهِ وَشِدَّةُ انْكَارِهِمْ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ]

..... [بَيَانُ حَقَارَةِ الْأَصْنَامِ وَحِمَاقَةِ عَابِدِيهَا]

..... [إِخْتِيَارُ اللَّهِ رُسُلًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَرُسُلًا مِنَ النَّاسِ]

..... [الْأَمْرُ بِالْعِبَادَةِ وَالْجِهَادِ]

..... [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ]

..... [الْفَلَاحُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَذِكْرُ صِفَاتِهِمْ]

..... [آيَةُ اللَّهِ فِي تَطَوُّرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنَ التُّرَابِ ثُمَّ مِنَ النُّطْفَةِ

..... [إِلَى مَا بَعْدَهَا]

..... [آيَتُهُ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ]

..... [آيَاتُهُ فِي الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْعَامِ]

- [بَيَانُ تَوْبَةِ الْفَاقِدِ] ٩٦٠
- [بَيَانُ اللَّعَانِ] ٩٦١
- [سَبَبُ نَزُولِ آيَةِ اللَّعَانِ] ٩٦١
- [حَدِيثُ الْإِنْفَكِ] ٩٦٢
- [تَأْدِيبُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِشَاعَةِ الْإِنْفَكِ] ٩٦٥
- [فَضْلُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْإِنْفَكِ بِتَوْفِيقِ التَّوْبَةِ لَهُمْ] ٩٦٦
- [التَّأْدِيبُ مَرَّةً أُخْرَى] ٩٦٦
- [تَأْدِيبُ مَنْ يُحِبُّ إِشَاعَةَ الْفَاحِشَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ] ٩٦٦
- [التَّذْكِيرُ بِفَضْلِ اللَّهِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ خُطُوءَاتِ الشَّيْطَانِ] ٩٦٧
- [حُثٌّ لِأُولِي الْفَضْلِ عَلَى الْعَطَاءِ وَالسَّمَاحِ] ٩٦٧
- [الْوَعْدُ عَلَى رَمِي الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ] ٩٦٨
- [عَاشَةُ طَيِّبَةً لِأَنَّهَا لِأَطْيَبِ الْبَشَرِ] ٩٦٨
- [الْأَسْتِثْذَانُ وَآدَابُ الدُّخُولِ فِي الْبُيُوتِ] ٩٦٩
- [الْأَمْرُ بِغَضِّ الْبَصَرِ] ٩٧١
- [أَحْكَامُ الْحِجَابِ] ٩٧٢
- [آدَابُ مَسِي الْمَرْأَةِ فِي الطَّرِيقِ] ٩٧٣
- [الْأَمْرُ بِالنِّكَاحِ] ٩٧٤
- [الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَافِ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النِّكَاحِ] ٩٧٤
- [الْأَمْرُ بِمُكَاتَبَةِ الْعَبِيدِ] ٩٧٥
- [الْتِهْيُ عَنْ إِحْرَافِ الْإِمَاءِ عَلَى الرِّثَا] ٩٧٥
- [ذِكْرُ الْأَنْبَاءِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ] ٩٧٥
- [مَثَلُ نُورِ اللَّهِ] ٩٧٦
- [فَضَائِلُ الْمَسَاجِدِ وَآدَابُهَا وَفَضَائِلُ الْمُتَعَاهِدِينَ لَهَا] ٩٧٧
- [مَثَلَانِ لِنَوْعِي الْكُفَّارِ] ٩٧٩
- [كُلُّ يَسْبَحُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلَهُ الْمُلْكُ] ٩٨٠
- [الْتِهْيُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ بِخَلْقِ السَّحَابِ وَمَا يَتَّبِعُهُ] ٩٨١
- [قُدْرَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِ الدَّوَابِّ] ٩٨١
- [جِبِلُّ الْمُتَأَفِّقِينَ وَحَالُ الْمُؤْمِنِينَ] ٩٨٢
- [وَعْدُ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِخْلَافِ] ٩٨٣
- [الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالطَّاعَةِ، وَبَيَانُ عَجْرِ الْكُفَّارِ وَمَصِيرِهِمْ] ٩٨٥
- [أَوْقَاتُ اسْتِثْذَانِ الْمَمْلُوكِينَ وَالصَّغَارِ] ٩٨٦
- [لَا جُنَاحَ عَلَى الْعَجَائِزِ إِنْ لَمْ يَخْتَجِبْنَ] ٩٨٦
- [الْأَكْلُ مِنْ بُيُوتِ الْأَقْرَبَاءِ] ٩٨٧
- [الْأَسْتِثْذَانُ عِنْدَ الْإِنْصِرَافِ إِذَا مَا كَانُوا عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ] ٩٨٨
- [بَيَانُ الْأَدَبِ فِي مُحَاطَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ] ٩٨٩
- [الْتِهْيُ عَنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ] ٩٨٩
- [يَعْلَمُ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ] ٩٨٩
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفُرْقَانِ [وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ] ٩٩٠
- [تَبَارَكَ اللَّهُ] ٩٩٠
- [بَيَانُ سَفَاهَةِ الْمُشْرِكِينَ] ٩٩١
- [أَقْوَالُ الْكُفَّارِ فِي الْقُرْآنِ] ٩٩١
- [أَقْوَالُ الْكُفَّارِ فِي الرَّسُولِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ وَبَيَانُ مَصِيرِهِمْ] ٩٩٢
- [الْأَنْبَاءُ خَيْرٌ أَمِ الْحَقَّةِ] ٩٩٣
- [تَبَرَّى إِلَهَةُ الْمُشْرِكِينَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ٩٩٤
- [كُلُّ مَنْ سَقَى مِنَ الرَّسُولِ كَانَ بَشَرًا] ٩٩٤
- [بَيَانُ تَعَتُّبِ الْكُفَّارِ] ٩٩٥
- [مُسْتَقَرُّ أَهْلِ الْحَقَّةِ] ٩٩٦
- [أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَمَنَّى الظَّالِمِ اتِّخَاذَ سَبِيلِ الرَّسُولِ] ٩٩٧
- [الرَّسُولُ يَشْكُو مُخَالَفَتِهِ] ٩٩٧
- [الْحُكْمَةُ فِي إِتْرَالِ الْقُرْآنِ مُتَفَرِّقًا وَالرَّدُّ عَلَى الْكُفَّارِ وَبَيَانُ سُوءِ مَصِيرِهِمْ] ٩٩٨
- [تَحْوِيفُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ] ٩٩٩
- [إِسْتِهْزَاءُ الْكَافِرِينَ بِالرَّسُولِ ﷺ] ١٠٠٠
- [إِتِّخَاذُهُمْ أَهْوَاءَهُمْ إِلَهَةً وَكُونُهُمْ أَصْلَ مِنَ الْأَنْعَامِ] ١٠٠٠
- [الْدَّلَائِلُ عَلَى وُجُودِ الْبَارِي وَسَعَةِ قُدْرَتِهِ] ١٠٠٠
- [عُمُومُ رِسَالَتِهِ ﷺ وَتَبَيُّنُهُ عَلَيْهِ وَذِكْرُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ] ١٠٠٢
- [جَهَالَةُ الْمُشْرِكِينَ] ١٠٠٣
- [الرَّسُولُ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ] ١٠٠٣
- [أَمْرُ الرَّسُولِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَذِكْرُ بَعْضِ صِفَاتِهِ] ١٠٠٣
- [دَمُ الْمُشْرِكِينَ] ١٠٠٤
- [بَيَانُ عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ] ١٠٠٤
- [بَيَانُ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ] ١٠٠٥
- [مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ إِجْتِنَابُ الشُّرْكِ وَالْقَتْلِ وَالزُّنَا] ١٠٠٦
- [بَعْضُ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ] ١٠٠٧

١٠٢٧..... [الرُّدُّ عَلَى أَفْرَاءِ الْمُشْرِكِينَ]

١٠٢٨..... [الرُّدُّ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ شَاعِرٌ]

١٠٢٨..... [اسْتِثْنَاءُ شُعْرَاءِ الْإِسْلَامِ]

١٠٢٩..... تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّملِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

١٠٢٩..... [الْقُرْآنُ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ نَذِيرٌ لِلْكَافِرِينَ]

١٠٣٠..... [قِصَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَصِيرُ فِرْعَوْنَ]

..... [ذِكْرُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَتَرْبِيَةُ جُنُودِهِ وَمُرُورُهُ عَلَى وَادِي النَّملِ]

١٠٣١..... [غِيَابُ الْهَظْهَدِ]

..... [الْهَظْهَدُ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِخْبَارُهُ عَنْ سَيِّئِ]

١٠٣٣..... [كِتَابُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَلْقِيسَ]

..... [مُشَاوَرَةُ بَلْقِيسَ مَعَ مَلَكَيْهَا]

١٠٣٤..... [الْهَدْيَةُ وَجَوَابُ سُلَيْمَانَ]

..... [إِحْضَارُ عَرْشِ بَلْقِيسَ فِي لَحْظَةٍ]

١٠٣٥..... [إِخْتِبَارُ بَلْقِيسَ]

..... [قَالَ: إِنَّهُ صَرَّحَ مُرَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرِ]

١٠٣٧..... [بَيْنَ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُؤَدٍّ]

..... [مَكْرُ طَائِفَةِ الْمُفْسِدِينَ وَمَصِيرُ قَوْمِ مُؤَدٍّ]

..... [ذِكْرُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ]

١٠٣٨..... [الْأَمْرُ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رُسُلِهِ]

..... [بَعْضُ أَوَّلَةِ التَّوْحِيدِ]

١٠٣٩..... [قِصَّةُ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ]

..... [بَيَانُ خِلَافَةِ الْأَرْضِ]

١٠٤٠..... [عَالِمُ الْغَيْبِ هُوَ اللَّهُ]

..... [اسْتِثْنَاءُ الْبَعْثِ وَالرُّدُّ عَلَيْهِ]

١٠٤٢..... [الْقُرْآنُ يَقْصُ أَكْثَرَ اخْتِلَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ]

..... [الْأَمْرُ بِالتَّوَكُّلِ فِي الْبَلَاغِ]

..... [خُرُوجُ دَايَةَ الْأَرْضِ]

..... [حَشْرُ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

..... [أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجَزَاءُ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ فِيهِ]

..... [الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَاللَّعْنَةُ بِالْقُرْآنِ]

..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقُصَصِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

١٠٠٨..... [جَزَاءُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ وَالْوَعْدُ لِأَهْلِ مَكَّةَ]

١٠٠٨..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الشُّعْرَاءِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

..... [الْقُرْآنُ وَإِعْرَاضُ الْكُفَّارِ عَنْهُ وَقَهْرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ لَوْ شَاءَ اللَّهُ]

..... [بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ]

..... [بَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّحَرَةِ]

..... [بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَالسَّحَرَةِ]

..... [خُرُوجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ]

..... [مُطَارَدَةُ فِرْعَوْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِعْرَاقُهُ وَإِعْرَاقُ قَوْمِهِ]

..... [وَعَظُّ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَدِّ الشُّرْكِ]

..... [ذِكْرُهُ كَرَّمَ اللَّهُ وَلُطْفُهُ بِهِ]

..... [دُعَاءُ الْخَلِيلِ لِنَفْسِهِ وَأَبِيهِ]

..... [الْمُتَّقُونَ وَالْعَاوُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجِدَالُ الْعَاوِينَ وَحَسْرَتُهُمْ]

..... [ذِكْرُ نُوحٍ وَوَعْدُهُ لِقَوْمِهِ وَجَوَابُهُمْ]

..... [تَهْدِيدُ الْقَوْمِ وَدُعَاءُ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَيْهِمْ وَإِهْلَاكُهُمْ]

..... [وَعَظُّ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ عَادَ]

..... [جَوَابُ قَوْمِ هُودٍ وَعَذَابُهُمْ]

..... [ذِكْرُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُؤَدٍّ]

..... [تَذَكِيرُهُمْ بِأَحْوَالِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ]

..... [جَوَابُ مُؤَدٍّ وَطَلَبُهُمُ الْآيَةَ وَمَجِيئُهُمُ الْعَذَابَ]

..... [ذِكْرُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَعْوَتُهُ]

..... [تَكْبِيرُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِعْلِ قَوْمِهِ، وَجَوَابُهُمْ وَعَذَابُهُمْ]

..... [شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْطُ أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ]

..... [الْأَمْرُ بِإِيْفَاءِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ]

..... [جَوَابُ قَوْمِ شُعَيْبٍ وَتَكْذِيبُهُمْ إِيَّاهُ وَمَجِيئُهُمُ الْعَذَابَ]

..... [الْقُرْآنُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ]

..... [ذِكْرُ الْقُرْآنِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ]

..... [ثَبَتُهُ كُفْرُ قُرَيْشٍ]

..... [الْمُكَذِّبُونَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ]

..... [نَزَلَ بِالْقُرْآنِ جَبْرِيلُ لَا الشَّيْطَانُ]

..... [الْأَمْرُ بِإِنْدَارِ الْأَقْرَبِينَ]

[خَسَفُ قَارُونَ فِي الْأَرْضِ مَعَ دَارِهِ] ١٠٦٦
 [اتَّعَاظُ الْقَوْمِ بِخَسْفِهِ] ١٠٦٦
 [نَعَمُ الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ] ١٠٦٦
 [الْأَمْرُ بِالْبَلَاغِ وَالتَّوْحِيدِ] ١٠٦٧
تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
 [اخْتِيَارُ النَّاسِ حَتَّى يُعْرِفَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ] ١٠٦٨
 [الْمُتَسَيِّئُونَ لَا يَقُولُونَ اللَّهُ] ١٠٦٨
 [يُحَقِّقُ اللَّهُ رَجَاءَ الصَّالِحِينَ] ١٠٦٩
 [الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ] ١٠٦٩
 [عَادَاتُ الْمُنَافِقِينَ وَسُئَةُ اللَّهِ فِي الْإِخْتِيَارِ] ١٠٧٠
 [جُرْأَةُ الْكُفَّارِ فِي تَحْمِلِ خَطَايَا الْآخَرِينَ بِشَرْطِ عَوْدَتِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ] ١٠٧٠
 [ذِكْرُ نُوحٍ وَقَوْمِهِ] ١٠٧١
 [وَعِظُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ] ١٠٧٢
 [أَدْلَةُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١٠٧٢
 [وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ آيَةً فِي النَّارِ] ١٠٧٣
 [وَعِظُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ] ١٠٧٤
 [إِيمَانُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِجْرَتُهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ] ١٠٧٤
 [مَا وَهَبَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ، وَمَا جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ مِنَ النَّبِيِّ وَالْكِتَابِ] ١٠٧٤
 [وَعِظُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا دَارَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ قَوْمِهِ] ١٠٧٥
 [اسْتِئْصَارُ لُوطٍ وَمَجِيءُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ إِلَى لُوطٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ١٠٧٦
 [ذِكْرُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ] ١٠٧٦
 [ذِكْرُ مَا تَمَّ بِهِ إِهْلَاكُ أَقْوَامٍ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ] ١٠٧٧
 [تُمَثِيلُ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ] ١٠٧٧
 [الْأَمْرُ بِالْبَلَاغِ وَالثَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ] ١٠٧٨
 [مُجَادَلَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ] ١٠٧٨
 [كَوْنُ هَذَا الْقُرْآنِ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ] ١٠٧٩
 [طَلَبُ الْمُشْرِكِينَ الْآيَاتِ وَجَوَابُهُمْ] ١٠٨٠
 [اسْتِغْجَالُ الْمُشْرِكِينَ بِالْعَذَابِ] ١٠٨١
 [الْأَمْرُ بِالْهِجْرَةِ وَالْوَعْدُ عَلَيْهَا بِالرِّزْقِ وَالْجَزَاءِ الْحَسَنِ] ١٠٨١
 [أَدْلَةُ التَّوْحِيدِ] ١٠٨٢

[نَبَأُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِرْعَوْنَ وَمَا أَرَادَ اللَّهُ لِقَوْمِهِمَا] ١٠٤٧
 [إِيْحَاءُ التَّدْبِيرِ إِلَى أُمِّ مُوسَى] ١٠٤٨
 [مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَارِ فِرْعَوْنَ] ١٠٤٨
 [شِدَّةُ حُزْنِ أُمِّ مُوسَى وَرُجُوعُهُ إِلَيْهَا] ١٠٤٩
 [قَتْلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنَ الْقَبْطِ] ١٠٥٠
 [قَسْوُ سِرِّ الْقَتْلِ] ١٠٥١
 [مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدْيَنَ وَسَفْيُهُ أَغْنَامَ امْرَأَتَيْنِ] ١٠٥٢
 [مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ يَدَيِ الْوَالِدِ الْمَرَاتَيْنِ وَنِكَاحُ مُوسَى بِإِحْدَاهُمَا عَلَى أَجْرَةٍ رَغِي الْعَنَمِ] ١٠٥٢
 [رُجُوعُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ وَتَكْرِيمُهُ بِالرَّسَالَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ فِي الطَّرِيقِ] ١٠٥٤
 [سُؤَالُ مُوسَى مُؤَاذَرَتَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ وَقَبُولُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ] ١٠٥٥
 [مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ يَدَيِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ] ١٠٥٥
 [اسْتِكْبَارُ فِرْعَوْنَ وَمَصِيرُهُ] ١٠٥٦
 [بَيَانُ نَعَمِ اللَّهِ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] ١٠٥٧
 [الْتِّسِيهِ عَلَى بُرْهَانِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ] ١٠٥٧
 [تَعَنُّتُ الْكُفَّارِ وَجَوَابُهُمْ] ١٠٥٨
 [لَا يُؤْمِنُ الْمُتَمَرِّدُونَ بِالْمُعْجَزَاتِ] ١٠٥٩
 [الْإِفْرَاءُ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالسَّحْرِ] ١٠٥٩
 [جَوَابُ الْإِفْرَاءِ] ١٠٥٩
 [ضَلَالُ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ] ١٠٥٩
 [الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] ١٠٥٩
 [يَهْدِي اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ] ١٠٦٠
 [عَذْرُ أَهْلِ مَكَّةَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالرُّدِّ عَلَيْهِمْ] ١٠٦١
 [التَّعْرِيزُ بِإِهْلَاكِ الْفَرَى وَأَنَّهَا تُهْلَكُ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ] ١٠٦١
 [الدُّنْيَا فَايَةً لَا يَسْتَوِي صَاحِبُهَا وَصَاحِبُ الْآخِرَةِ] ١٠٦٢
 [تَبَرُّؤُ الْمُشْرِكِينَ وَشُرَكَائِهِمْ كُلِّ عَنِ الْآخِرِ] ١٠٦٢
 [مَوْقِفُهُمْ عَنِ الرُّسُولِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٠٦٣
 [اللَّهُ مُفَرِّدُ الْبَالِغِ وَالْعِلْمِ بِالْصَّمَايِرِ وَالْإِخْتِيَارِ] ١٠٦٣
 [الْلَيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ وَدَلَالِ تَوْحِيدِهِ] ١٠٦٤
 [التَّوْبِيخُ وَالزُّجْرُ لِلْمُشْرِكِينَ] ١٠٦٤
 [ذِكْرُ قَارُونَ وَوَعِظُ قَوْمِهِ لَهُ] ١٠٦٤
 [خُرُوجُ قَارُونَ فِي الزَّيْتَةِ وَتَعْلِيْقُ الْقَوْمِ عَلَيْهِ] ١٠٦٥

[الَّذِكْرِ بِالنَّعَمِ] ١١٠٢
 [اعْتَزَأُ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ] ١١٠٣
 [كَلِمَاتُ اللَّهِ لَا تُحْصَى وَلَا تُنْقَدُ] ١١٠٣
 [ذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ] ١١٠٤
 [الْأَمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالْحَشْيَةِ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١١٠٥
 [عَالِمُ الْغَيْبِ هُوَ اللَّهُ] ١١٠٥
 [تفسير سورة الم الشخدة وهي مكية] ١١٠٦
 [فَضْلُ سُورَةِ الْمِ السَّجْدَةِ] ١١٠٦
 [الْقُرْآنُ كِتَابُ اللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ] ١١٠٦
 [اللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ لِلْكَوْنِ] ١١٠٧
 [تَطَوُّرُهُ خَلْقُ الْإِنْسَانِ] ١١٠٧
 [الَرُّدُّ عَلَى اسْتِغَاةِ الْبُعْثِ] ١١٠٨
 [بَيَانُ حَالِ الْمُشْرِكِينَ السَّيِّئِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١١٠٨
 [حَالُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَجَزَائِهِمْ] ١١٠٩
 [لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْفَاسِقُ] ١١١٠
 [كِتَابُ مُوسَى وَإِمَامَةُ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ] ١١١١
 [خُلُوعُ الْجَبْرِ بِالْمَاضِينَ] ١١١١
 [إِحْيَاءُ الْأَرْضِ بِالْمَاءِ دَلِيلُ الْبُعْثِ] ١١١١
 [اسْتِعْجَالُ الْكُفَّارِ لِلْعَذَابِ وَجَوَائِهِمْ] ١١١٢
 [تفسير سورة الأحزاب وهي مدنية] ١١١٢
 [الْأَمْرُ بِالصُّمُودِ فِي وَجْهِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، مُتَّبِعًا وَحْيَ اللَّهِ، وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ] ١١١٢
 [إِنطَالُ النَّبِيِّ] ١١١٣
 [يُنْسَبُ الْمُتَّبِعُ إِلَى أَبِيهِ الْحَقِيقِيِّ] ١١١٣
 [وَلَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأُمُومَةُ أَزْوَاجِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ] ١١١٥
 [الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ] ١١١٦
 [ذِكْرُ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ] ١١١٦
 [إِنْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَاقِفُ الْمُنَافِقِينَ فِي وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ] ١١١٨
 [الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ الرُّسُولِ] ١١١٩
 [مَوْقِفُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَحْزَابِ] ١١١٩
 [مَدْحُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَوْقِفِهِمْ وَإِرْجَاءُ أَمْرِ الْمُنَافِقِينَ] ١١٢٠
 [رَدُّ اللَّهِ الْأَحْزَابَ خَائِبِينَ خَاسِرِينَ] ١١٢١
 [ذِكْرُ غَزْوَةِ نَبِيِّ قُرَيْظَةَ] ١١٢٢

[كُفْرُ قُرَيْشٍ مَعَ مَا خُصُّوا بِنِعْمَةِ الْحَرَمِ حَوْلَهُمْ] ١٠٨٣
 [تفسير سورة الزوم وهي مكية] ١٠٨٤
 [الْتَّبُّ بِغَلَبَةِ الرُّومِ] ١٠٨٤
 [مَنْ هُمُ الرُّومُ؟] ١٠٨٥
 [كَيْفَ غَلَبَ قَيْصَرُ عَلَى كِسْرَى؟] ١٠٨٥
 [دَلَالَةُ التَّوْحِيدِ] ١٠٨٧
 [الْأَمْرُ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ] ١٠٨٨
 [مِنْ آيَاتِ اللَّهِ] ١٠٨٩
 [إِعَادَةُ الْخَلْقِ أَهْوَنُ] ١٠٩٠
 [مَثَلُ يَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ] ١٠٩١
 [الْأَمْرُ بِاتِّزَامِ التَّوْحِيدِ] ١٠٩١
 [تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ مِنَ التَّوْحِيدِ إِلَى الشُّرْكِ وَمِنَ الْفَرَحِ إِلَى الْيَأْسِ حَسَبَ الظُّرُوفِ] ١٠٩٢
 [الْأَمْرُ بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَمَا وَرَدَ فِي رِبَا الْهَدْيَةِ] ١٠٩٣
 [الْخَلْقُ وَالرُّزْقُ وَالْإِمَانَةُ وَالْإِحْيَاءُ بِيَدِ اللَّهِ] ١٠٩٣
 [آثَارُ الذُّنُوبِ فِي الدُّنْيَا] ١٠٩٣
 [الْأَمْرُ بِالْإِسْقَامَةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٠٩٤
 [مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الرِّيحُ] ١٠٩٥
 [إِحْيَاءُ الْأَرْضِ دَلِيلُ الْبُعْثِ] ١٠٩٥
 [الْكُفَّارُ أَمْوَاتٌ، صُمٌّ وَعُمِّيٌّ] ١٠٩٦
 [ذِكْرُ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ الْمُخْتَلِفَةِ] ١٠٩٦
 [جَهَالَةُ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ١٠٩٧
 [ضَرْبُ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ وَعَدَمُ اعْتِبَارِ الْكُفَّارِ بِهَا] ١٠٩٧
 [مَا رُويَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ الشَّرِيفَةِ وَاسْتِحْبَابِ قِرَائَتِهَا فِي الْفَجْرِ] ١٠٩٧
 [تفسير سورة لقمان وهي مكية] ١٠٩٧
 [مِنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْأَشْتِغَالِ بِلَهْوِ الْحَدِيثِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ] ١٠٩٨
 [ذِكْرُ مَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنِ] ١٠٩٨
 [أَدْلَةُ التَّوْحِيدِ] ١٠٩٩
 [ذِكْرُ لُقْمَانَ] ١٠٩٩
 [وَصِيَّةُ لُقْمَانَ لِابْنِهِ] ١١٠٠
 [الْأَمْرُ بِالْإِقْصَادِ فِي الْمَشْيِ] ١١٠١
 [نَصَائِحُ لُقْمَانَ] ١١٠٢

[تَخْيِيرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ] ١١٢٣
 [نِسَاءُ النَّبِيِّ لَسَنَ كَعَامَةِ النِّسَاءِ] ١١٢٤
 [الْأَمْرُ بِآدَابِ تَكُونُ أُمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا أَسْوَةٌ] ١١٢٥
 [أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ] ١١٢٥
 [الْأَمْرُ بِالْعَمَلِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ] ١١٢٦
 [بَيَانُ سَبَبِ الثَّرْوَةِ] ١١٢٧
 [بَيَانُ سَبَبِ الثَّرْوَةِ] ١١٢٨
 [عِتَابُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي قِصَّةِ زَيْدٍ وَزَيْنَبَ وَتَرْوِجُهُ
 إِثَابَهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ وَالْعِدَّةِ لِلْبَطَالِ النَّبِيِّ] ١١٢٩
 [مَدْحُ الْمُبْلَغِينَ لِرِسَالَاتِ اللَّهِ] ١١٣٠
 [الرَّسُولُ لَيْسَ أَبَا أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ] ١١٣١
 [هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ] ١١٣١
 [فَضِيلَةُ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ] ١١٣٢
 [صِفَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] ١١٣٤
 [الْمُنْعَةُ وَعَدَمُ الْإِعْتِدَادِ لِلْمُطْلَقَةِ قَبْلَ الْمَيْسِسِ] ١١٣٥
 [بَيَانُ النِّسَاءِ اللَّاتِي أَخْلَسَ لِلنَّبِيِّ ﷺ] ١١٣٥
 [تَخْيِيرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَبُولِ الْوَاهِبَةِ نَفْسَهَا أَوْ رَدِّهَا عَلَى
 قَوْلٍ] ١١٣٧
 [الْقَوْلُ الْآخَرُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ] ١١٣٧
 [مُجَازَاةُ الْأَزْوَاجِ عَلَى اخْتِيَارِهِنَّ صُحْبَةَ الرَّسُولِ] ١١٣٨
 [آدَابُ الدُّخُولِ فِي بُيُوتِ النَّبِيِّ وَالْأَمْرُ بِالْحِجَابِ] ١١٣٩
 [الْأَنَّهُ عَنِ إِذَاءِ الرَّسُولِ وَبَيَانُ حُرْمَةِ أَزْوَاجِهِ عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ] ١١٤٠
 [مَنْ لَا تَحْتَجِبُ الْمَرْأَةُ مِنْهُ مِنَ الْأَقَارِبِ] ١١٤٠
 [الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ] ١١٤٠
 [وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ الدُّعَاءِ] ١١٤٢
 [فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ] ١١٤٢
 [وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ كُلَّمَا ذُكِرَ] ١١٤٢
 [الْقَوْلُ الْآخَرُ فِي ذَلِكَ] ١١٤٣
 [مَوَاقِعُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ] ١١٤٣
 [أَثَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ] ١١٤٣
 [مَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ مُلْعُونٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ١١٤٤
 [الْوَعْدُ لِلْمُفْتَرِينَ] ١١٤٥
 [الْأَمْرُ بِالْحِجَابِ] ١١٤٥
 [الْتِّبِيَةُ وَالتَّهْدِيدُ لِلْمُنَافِقِينَ الْأَشْرَارِ] ١١٤٦
 [لَا يَعْلَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا اللَّهُ] ١١٤٦
 [لَعْنُ الْكُفَّارِ وَخُلُودُهُمْ فِي النَّارِ وَحَسْرَتُهُمْ] ١١٤٦
 [إِفْتِرَاءُ الْيَهُودِ عَلَى مُوسَى] ١١٤٧
 [أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّقْوَى وَالصَّدَقِ] ١١٤٧
 [حَمْلُ الْإِنْسَانِ الْأَمَانَةَ] ١١٤٧
 [نَتِيجَةُ حَمْلِ الْأَمَانَةِ] ١١٤٨
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبَأٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١١٤٨
 [الْحَمْدُ وَعِلْمُ الْغَيْبِ لِلَّهِ فَقَطْ] ١١٤٨
 [إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لِيُجْزَى كُلُّ حَسَبٍ عَمَلِهِ] ١١٤٩
 [إِنْكَارُ الْكُفَّارِ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] ١١٥٠
 [بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ] ١١٥٠
 [فَضْلُ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ] ١١٥١
 [وَفَاةُ سُلَيْمَانَ] ١١٥٢
 [كُفْرَانُ سَبَأٍ وَعَذَابُهُمْ] ١١٥٢
 [سَدُّ مَارِبَ وَسَيْلُ الْعَرِمِ] ١١٥٣
 [تِجَارَةُ سَبَأٍ وَذَهَابُهَا] ١١٥٤
 [تَضَدِيقُ إِبْلِيسَ ظَنَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ] ١١٥٥
 [عَجْزُ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ] ١١٥٥
 [لَا شَرِيكَ لِلَّهِ فِي أَمْرٍ مَا] ١١٥٦
 [بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً] ١١٥٧
 [سُؤَالُ الْكُفَّارِ عَنْ وَقْتِ الْقِيَامَةِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] ١١٥٨
 [إِتِّفَاقُ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا عَلَى إِنْكَارِ الْحَقِّ وَمُشَاجَرَتُهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١١٥٨
 [تَكْذِيبُ الْمُتَرَفِّينَ بِالرُّسُلِ وَاعْتِرَازُهُمْ بِالْأَمْوَالِ
 وَالْأَوْلَادِ] ١١٥٩
 [بِرَاءَةُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عَابِدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١١٦٠
 [أَقْوَالُ الْكُفَّارِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] ١١٦١
 [طَرِيقُ الْفَضْلِ فِيمَا رَمَوْا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الْجُنُونِ] ١١٦١
 [لَا أَسْأَلُكُمْ أَجْرًا عَلَى الْبَلَاغِ] ١١٦٢
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ فَاطِرٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١١٦٣
 [ذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ] ١١٦٣
 [لَا مُمْسِكَ لِرَحْمَةِ اللَّهِ] ١١٦٤
 [دَلِيلُ التَّوْحِيدِ] ١١٦٤

[تَخْيِيرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ] ١١٢٣
 [نِسَاءُ النَّبِيِّ لَسَنَ كَعَامَةِ النِّسَاءِ] ١١٢٤
 [الْأَمْرُ بِآدَابِ تَكُونُ أُمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا أَسْوَةٌ] ١١٢٥
 [أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ] ١١٢٥
 [الْأَمْرُ بِالْعَمَلِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ] ١١٢٦
 [بَيَانُ سَبَبِ الثَّرْوَةِ] ١١٢٧
 [بَيَانُ سَبَبِ الثَّرْوَةِ] ١١٢٨
 [عِتَابُ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي قِصَّةِ زَيْدٍ وَزَيْنَبَ وَتَرْوِجُهُ
 إِثَابَهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ وَالْعِدَّةِ لِلْبَطَالِ النَّبِيِّ] ١١٢٩
 [مَدْحُ الْمُبْلَغِينَ لِرِسَالَاتِ اللَّهِ] ١١٣٠
 [الرَّسُولُ لَيْسَ أَبَا أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ] ١١٣١
 [هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ] ١١٣١
 [فَضِيلَةُ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ] ١١٣٢
 [صِفَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] ١١٣٤
 [الْمُنْعَةُ وَعَدَمُ الْإِعْتِدَادِ لِلْمُطْلَقَةِ قَبْلَ الْمَيْسِسِ] ١١٣٥
 [بَيَانُ النِّسَاءِ اللَّاتِي أَخْلَسَ لِلنَّبِيِّ ﷺ] ١١٣٥
 [تَخْيِيرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَبُولِ الْوَاهِبَةِ نَفْسَهَا أَوْ رَدِّهَا عَلَى
 قَوْلٍ] ١١٣٧
 [الْقَوْلُ الْآخَرُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ] ١١٣٧
 [مُجَازَاةُ الْأَزْوَاجِ عَلَى اخْتِيَارِهِنَّ صُحْبَةَ الرَّسُولِ] ١١٣٨
 [آدَابُ الدُّخُولِ فِي بُيُوتِ النَّبِيِّ وَالْأَمْرُ بِالْحِجَابِ] ١١٣٩
 [الْأَنَّهُ عَنِ إِذَاءِ الرَّسُولِ وَبَيَانُ حُرْمَةِ أَزْوَاجِهِ عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ] ١١٤٠
 [مَنْ لَا تَحْتَجِبُ الْمَرْأَةُ مِنْهُ مِنَ الْأَقَارِبِ] ١١٤٠
 [الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ] ١١٤٠
 [وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ الدُّعَاءِ] ١١٤٢
 [فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ] ١١٤٢
 [وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ كُلَّمَا ذُكِرَ] ١١٤٢
 [الْقَوْلُ الْآخَرُ فِي ذَلِكَ] ١١٤٣
 [مَوَاقِعُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ] ١١٤٣
 [أَثَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ] ١١٤٣
 [مَنْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ مُلْعُونٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ١١٤٤
 [الْوَعْدُ لِلْمُفْتَرِينَ] ١١٤٥
 [الْأَمْرُ بِالْحِجَابِ] ١١٤٥

[بَيَانُ عَيْشِ أَهْلِ الْجَنَّةِ] ١١٨٦
 [مَكَانُ الْكُفَّارِ بِالْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَجْرُهُمْ] ١١٨٦
 [الْحَتْمُ عَلَى أَقْوَاهِ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١١٨٧
 [إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعَلِّمْ رَسُولَهُ الشَّعْرَ] ١١٨٨
 [لَا نَعَامَ آيَةٌ وَنِعْمَةٌ] ١١٨٨
 [إِلَهَةُ الْمُشْرِكِينَ لَا تَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِمْ] ١١٨٩
 [تَسْلِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ] ١١٨٩
 [إِنْكَارُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَالرَّدُّ عَلَى ذَلِكَ] ١١٨٩
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ الصَّافَّاتِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١١٩١
 [فَضْلُ سُورَةِ الصَّافَّاتِ] ١١٩١
 [تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ] ١١٩١
 [الْمَعْبُودُ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ] ١١٩٢
 [تَرْزِيقُ السَّمَاءِ وَجَفْظُهَا مِنَ اللَّهِ] ١١٩٢
 [ثُبُوتُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١١٩٣
 [أَهْوَالُ يَوْمِ الدِّينِ] ١١٩٣
 [تَخَاضُّمُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١١٩٤
 [جَزَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَعِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ] ١١٩٥
 [اجْتِمَاعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَجَوَارِ أَحَدِهِمْ مَعَ صَاحِبِهِ الْمُشْرِكِ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ يُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ ... وَشُكْرُهُ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى] ١١٩٦
 [قِصَّةُ إِسْرَائِيلَ] ١١٩٧
 [ذِكْرُ شَجَرَةِ الزُّقُومِ وَأَصْحَابِهَا] ١١٩٨
 [ذِكْرُ نُوحٍ وَقَوْمِهِ] ١١٩٩
 [قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ] ١٢٠٠
 [هَجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ وَابْتِلَاؤُهُ بِذَبْحِ إِسْمَاعِيلَ وَنِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] ١٢٠١
 [ذِكْرُ الْآثَارِ الْوَارِدَةِ بِأَنَّ الدَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَقْطُوعُ بِهِ] ١٢٠٣
 [ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ] ١٢٠٤
 [ذِكْرُ إِيَّاسَ] ١٢٠٤
 [ذِكْرُ إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ] ١٢٠٥
 [ذِكْرُ قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ] ١٢٠٥
 [الرَّدُّ عَلَى مَنْ يُنْبِئُ اللَّهَ الْوَلَدَ وَيَجْعَلُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ لَهُ] ١٢٠٧
 [لَا يُؤْمِنُ بِكَلَامِ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ أَصْلٌ مِنْهُمْ] ١٢٠٨
 [مَقَامُ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحُهُمْ صُفُوفًا] ١٢٠٨

[الْتِمْلِيَةُ بِكَذِيبِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِ وَالتَّيْبَةِ عَلَى الْمَعَادِ] ١١٦٥
 [جَزَاءُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْمَعَادِ] ١١٦٥
 [دَلِيلُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١١٦٥
 [مَنْ يَرِدُ الْعَرْةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيُطِيعِ الْعَزِيزَ] ١١٦٦
 [أَلْعَمَلُ الصَّالِحِ هُوَ يَرْفَعُ إِلَى اللَّهِ] ١١٦٦
 [اللَّهُ خَالِقُ وَعَلَامُ لِلْغُيُوبِ] ١١٦٦
 [مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ] ١١٦٧
 [إِلَهَةُ الْمُشْرِكِينَ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُطْمِيرٍ] ١١٦٨
 [الْأَنَاسُ مُفْتَقِرُونَ إِلَى اللَّهِ وَكُلٌّ يَحْمِلُ أَوْزَارَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١١٦٨
 [لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ] ١١٦٩
 [بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ] ١١٧٠
 [الْمُسْلِمُونَ هُمْ تُجَارُ الْآخِرَةِ] ١١٧٠
 [الْقُرْآنُ كِتَابُ اللَّهِ الْحَقُّ] ١١٧١
 [وَرَنَةُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ] ١١٧١
 [فَضْلُ الْعُلَمَاءِ] ١١٧١
 [جَزَاءُ الْكُفَّارِ وَحَالُهُمْ فِي جَهَنَّمَ] ١١٧٢
 [التَّيْبَةُ عَلَى عَجْرِ الشُّرَكَاءِ وَقُدْرَةُ اللَّهِ الْغَالِيَةِ] ١١٧٤
 [نَمَتِي الْكُفَّارِ مَجِيءٌ نَذِيرٌ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ كَفَرُوا بِهِ] ١١٧٤
 [ذِكْرُ النَّاتِجِ السَّيِّئَةِ لَتَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ] ١١٧٥
 [حِكْمَةُ تَأْجِيلِ الْمَوَاحِدَةِ] ١١٧٥
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ يَسٍ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١١٧٥
 [الرَّسُولُ بَعَثَ مُنْذِرًا] ١١٧٥
 [حَالُ مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةُ] ١١٧٦
 [قِصَّةُ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ مَعَ الرُّسُلِ، وَهِيَ تُفِيدُ إِهْلَاكَ الْمُكْذِبِينَ] ١١٧٨
 [يَا حَسْرَةً عَلَى الْمُكْذِبِينَ] ١١٨١
 [الرَّدُّ عَلَى عَقِيدَةِ النَّاسُخِ] ١١٨١
 [ثُبُوتُ الصَّانِعِ لِلْعَالَمِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١١٨٢
 [وَمِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ] ١١٨٢
 [وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ حَمْلُهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ] ١١٨٤
 [بَيَانُ ضَلَالِ الْمُشْرِكِينَ] ١١٨٥
 [اسْتِيعَادُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْبُعْثِ] ١١٨٥
 [نَفْخَةُ الْبُعْثِ] ١١٨٥

[مَالُ الْمَكْذِبِينَ] ١٢٢٩
 [مَثَلُ الشَّرِكِ] ١٢٢٩
 [مَوْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفُرُشٌ وَاحْتِصَامُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ] ١٢٢٩
 [جَزَاءُ الْكَاذِبِينَ الْمَكْذِبِينَ وَالصَّادِقِينَ الْمُصْذِقِينَ] ١٢٣١
 [اللَّهُ كَافٍ لِعَبْدِهِ] ١٢٣١
 [إِعْزَافُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْكَوْنِ
 وَإِقْرَارُهُمْ بِعَجْزِ إِلَهُهِمْ] ١٢٣١
 [اللَّهُ الَّذِي يُبَيِّتُ وَيُخَيِّي] ١٢٣٢
 [لَا شَفَاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَاشْتِرَازُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ
 ذِكْرِهِ تَعَالَى وَخَدَهُ] ١٢٣٣
 [تَقْوِيضُ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى اللَّهِ] ١٢٣٣
 [لَا تُقْبَلُ ذِيَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٢٣٣
 [تَقَلُّبُ الْإِنْسَانِ إِذَا أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ بَعْدَ الضَّرِّ] ١٢٣٤
 [الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْعَذَابُ] ١٢٣٥
 [ذِكْرُ أَحَادِيثَ فِيهَا نَفْيُ الْقُتُوبِ] ١٢٣٦
 [عَاقِبَةُ الْكَاذِبِينَ عَلَى اللَّهِ وَعَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ] ١٢٣٧
 [اللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ، وَالْإِشْرَاقُ بِهِ يُخْطِطُ الْعَمَلُ] ١٢٣٧
 [مَا قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ] ١٢٣٨
 [الْفَتْخُ فِي الصُّورِ وَالْقَضَاءِ وَالْجَزَاءِ] ١٢٣٩
 [يُسَاقُ الْكُفَّارُ إِلَى جَهَنَّمَ] ١٢٤٠
 [يُذْهَبُ بِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ] ١٢٤٠
 [ذِكْرُ سَعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ - نَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ أَنْ
 يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا] ١٢٤٢
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُؤْمِنِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٢٤٣
 [فَضْلُ آلِ حَمٍّ] ١٢٤٣
 [مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ الْجِدَالُ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَبَيَانُ مَا
 يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ] ١٢٤٤
 [حَمَلَةُ الْعَرْشِ يَحْمَدُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ] ١٢٤٤
 [نَدَامَةُ الْكُفَّارِ بَعْدَ دُخُولِ النَّارِ] ١٢٤٥
 [أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدَهُ مَهْمَا كَانَ] ١٢٤٦
 [وَحْيُ اللَّهِ لِإِنْدَارِ عِبَادِهِ يَوْمَ التَّلَاقِ] ١٢٤٧
 [الْإِنْدَارُ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَضَاءُ اللَّهِ فِيهِ] ١٢٤٨
 [عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ السَّيِّئَةِ] ١٢٤٨
 [قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ] ١٢٤٩

[تَمَنَّى فُرُشٍ لَوْ كَانَ عِنْدَهَا ذِكْرٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ] ١٢٠٨
 [الْوَعْدُ بِالنَّصْرِ وَالْأَمْرُ بِالتَّوَلَّى عَنْ فُرُشٍ] ١٢٠٨
 سورة ص ١٢٠٩
 [تَعَجُّبُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْقُرْآنِ] ١٢١٠
 [ذِكْرُ سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ] ١٢١١
 [التَّذْكِيرُ بِمَنْ أَهْلِكَ مِنَ الْأَقْوَامِ السَّابِقِينَ] ١٢١٢
 [ذِكْرُ دَاوُدَ] ١٢١٣
 [قِصَّةُ الْخُصَمَيْنِ] ١٢١٤
 [سَجْدَةُ صَ] ١٢١٤
 [الْوَصِيَّةُ لِلْحُكَّامِ وَالسَّلَاطِينِ] ١٢١٤
 [الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الدُّنْيَا] ١٢١٥
 [ذِكْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ١٢١٥
 [إِتِلَاءُ سُلَيْمَانَ ثُمَّ التَّفَضُّلُ عَلَيْهِ] ١٢١٦
 [ذِكْرُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ] ١٢١٧
 [ذِكْرُ الْمُضْطَّظِّينَ الْأَخْيَارِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ] ١٢١٩
 [بَيَانُ مَابِ السُّعْدَاءِ] ١٢١٩
 [بَيَانُ مَالِ الْأَشْقِيَاءِ] ١٢٢٠
 [تَخَاضُّمُ أَهْلِ النَّارِ] ١٢٢٠
 [رِسَالَةُ الرَّسُولِ ﷺ نَبَأٌ عَظِيمٌ] ١٢٢١
 [قِصَّةُ آدَمَ وَإِبْلِيسَ] ١٢٢١
 تفسير سورة الزمر وهي مكيّة ١٢٢٢
 [فَضْلُ سُورَةِ الزُّمَرِ] ١٢٢٢
 [الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالرَّدُّ عَلَى الشَّرِكِ] ١٢٢٢
 [الْإِسْتِشْهَادُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ] ١٢٢٣
 [يَغْضَبُ اللَّهُ مِنَ الْكُفْرِ وَيَرْضَى مِنَ الشُّكْرِ] ١٢٢٤
 [مِنْ كُفْرِ الْإِنْسَانِ: ذِكْرُهُ اللَّهَ فِي الشَّدَةِ، وَالشَّرِكُ بِهِ بَعْدَ
 الْفَرَجِ] ١٢٢٥
 [لَا يَسْتَوِي الْمُطِيعُ وَالْعَاصِي] ١٢٢٥
 [الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى وَالْهَجْرَةِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ] ١٢٢٦
 [الْكَوْثُفُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ] ١٢٢٦
 [الْإِشَارَةُ لِلصَّالِحِينَ] ١٢٢٦
 [مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] ١٢٢٧
 [لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْحَقِّ وَأَهْلُ الضَّلَالِ] ١٢٢٨
 [وَصَفُ الْقُرْآنِ] ١٢٢٨

[إِلْشَارَةُ إِلَى النَّاسِي بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] ١٢٧١
 [كُلُّ يُجَازَى حَسَبَ عَمَلِهِ] ١٢٧١
 [عَلَّمَ السَّاعَةَ عِنْدَ اللَّهِ] ١٢٧١
 [تَقَلَّبَ الْإِنْسَانُ حِينَ تُصِيبُهُ السَّرَاءُ بَعْدَ الضَّرَاءِ] ١٢٧٢
 [الْقُرْآنُ وَدَلَائِلُ صَدَقِهِ] ١٢٧٢
 تفسير سورة الشورى وهي مَكِّيَّة ١٢٧٣
 [الْوَحْيُ وَعَظَمَةُ اللَّهِ] ١٢٧٣
 [أَوْحَى الْقُرْآنَ لِلْإِنْدَارِ بِهِ] ١٢٧٤
 [اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَاكِمُ الْخَالِقُ] ١٢٧٤
 [دِينُ الرُّسُلِ وَاجِدٌ] ١٢٧٥
 [وَجْهُ الْإِخْتِلَافِ] ١٢٧٦
 [تَنْبِيهُ لِمَنْ جَادَلَ فِي الدِّينِ] ١٢٧٧
 [رَزَقَ اللَّهُ وَعَظَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ١٢٧٧
 [تَشْرِيعُ الْعِبَادِ شِرْكٌ] ١٢٧٨
 [فَرَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مِيزَانِ الْحَشْرِ] ١٢٧٨
 [الْإِشَارَةُ بِنِعَمِ الْحَنَّةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ] ١٢٧٨
 [رَمَى النَّبِيُّ بِاخْتِلَاقِ الْقُرْآنِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ] ١٢٧٩
 [اللَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ] ١٢٧٩
 [الْحِكْمَةُ فِي عَدَمِ بَسْطِ الرِّزْقِ] ١٢٨٠
 [مِنْ آيَاتِ اللَّهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ] ١٢٨٠
 [سَبَبُ الْمَصَائِبِ الْغُضَيَّانِ] ١٢٨٠
 [الْأَسْفُنُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ] ١٢٨١
 [صِفَاتُ مَنْ يَسْتَحِقُّ مَا عِنْدَ اللَّهِ] ١٢٨١
 [فَضِيلَةُ الْعَفْوِ وَخِيَارُ الْإِنْتِصَارِ مِنَ الظَّالِمِ] ١٢٨٢
 [حَالُ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٢٨٣
 [الْحُثُّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٢٨٣
 [بَيَانُ كَيْفِيَةِ الْوَحْيِ] ١٢٨٥
 تفسير سورة الزخرف وهي مَكِّيَّة ١٢٨٥
 [تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَكْذِيبِ قُرَيْشٍ] ١٢٨٦
 [اعْتِرَافُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الْخَلْقِ وَمَزِيدُ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ] ١٢٨٦
 [التَّكْبِيرُ عَلَى جَعْلِ الْمُشْرِكِينَ لِلَّهِ وَلَدًا] ١٢٨٧
 [بَيَانُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا حُجَّةَ لَهُمْ] ١٢٨٨
 [إِعْلَانُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرَاءَةِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ] ١٢٨٩
 [اعْتِرَاضُ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى اللَّهِ فِي إِنْزَالِ الْقُرْآنِ وَجَوَابُهُ] ١٢٨٩

[تَأْيِيدُ مُوسَى بِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وَخِطَابُ هَذَا
 الرجل ١٢٥٠
 [اسْتِهْزَاءُ فِرْعَوْنَ بِرَبِّ مُوسَى] ١٢٥٢
 [مُؤَاصَلَةُ خِطَابِ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ] ١٢٥٢
 [نِهَآئَةُ الْخِطَابِ وَمَصِيرُ الْفَرِيقَيْنِ] ١٢٥٣
 [ثُبُوتُ عَذَابِ الْقَبْرِ] ١٢٥٣
 [تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ] ١٢٥٤
 [نُصْرَةُ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ] ١٢٥٥
 [الْإِشَارَةُ إِلَى نَجَاحِ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِمِثْلِ مُوسَى
 وَبَنِي إِسْرَائِيلَ] ١٢٥٦
 [الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١٢٥٦
 [الْأَمْرُ بِالْدُّعَاءِ] ١٢٥٧
 [آيَاتُ اللَّهِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ] ١٢٥٧
 [الْتِهَامُ عَنِ الشَّرْكِ وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ] ١٢٥٨
 [مَصِيرُ الْمُجَادِلِينَ الْمُكْذِبِينَ] ١٢٥٩
 [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالْإِشَارَةُ بِالْفَتْحِ] ١٢٦٠
 [الْأَنْعَامُ أَيْضًا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ] ١٢٦٠
 [الْعِبَرَةُ بِحَالِ مَنْ سَبَقَ] ١٢٦٠
 تفسير سورة فصلت وهي مَكِّيَّة ١٢٦١
 [صِفَةُ الْقُرْآنِ وَأَقْوَالُ الْمُعْرِضِينَ] ١٢٦١
 [الدُّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ] ١٢٦٢
 [بَعْضُ تَفَاصِيلِ خَلْقِ هَذَا الْكَوْنِ] ١٢٦٣
 [تَنْبِيهُ لِلْمُكْذِبِينَ وَتَذَكِيرُ لَهُمْ بِقِصَّةِ عَادٍ وَثَمُودَ] ١٢٦٤
 [يَوْمَ الْحَشْرِ تَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُجْرِمِينَ عَلَيْهِمْ] ١٢٦٥
 [قُرْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ سُوءَ الْأَعْمَالِ] ١٢٦٦
 [تَوَاصِي الْكُفَّارِ بِالْإِمْتِنَاعِ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَجَزَاءُ
 ذَلِكَ] ١٢٦٦
 [الْإِشَارَةُ لِلْمُؤَحِّدِينَ دَوِيِ الْأَسْتِقَامَةِ] ١٢٦٧
 [فَضْلُ الدُّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ] ١٢٦٨
 [الْحِكْمَةُ فِي الدُّعْوَةِ وَغَيْرَهَا] ١٢٦٨
 [مِنْ آيَاتِ اللَّهِ] ١٢٦٩
 [عِقَابُ الْمُتَلَحِّدِينَ وَوَصْفُ الْقُرْآنِ بِكَوْنِهِ مَصُونًا
 مَحْرُوسًا مِنَ الْبَاطِلِ] ١٢٧٠
 [الْمُشْرِكُونَ وَأَثَرُ الدُّعْوَةِ فِيهِمْ] ١٢٧٠

[فَضَّلَ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاخْتَلَفُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ] ١٣٠٨
 [تَحْذِيرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ سُلُوكِ مَنَهِجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ] ١٣٠٨
 [لَا تَسْتَوِي حَيَاةُ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَمَمَاتُهُمَا] ١٣٠٨
 [مُعْتَقِدُ الْكَافِرِ وَحُجَّتُهُ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ] ١٣٠٩
 [بَغْضُ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا] ١٣١٠
 سُورَةُ الْأَخْفَافِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ١٣١١
 [أَلْقُرْآنُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللهِ وَالْكَوْنُ مَخْلُوقٌ لَهُ بِالْحَقِّ] ١٣١١
 [الرَّدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ] ١٣١١
 [أَقْوَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ] ١٣١٢
 [أَلْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ الْحَقُّ وَمَوْفِقُ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْهُ] ١٣١٣
 [وَصِيَّةُ اللهِ بِالْوَالِدَيْنِ] ١٣١٤
 [أَسْتَبْطِ الْحُكْمَ عَلَى مُدَّةِ الْحَمْلِ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ] ١٣١٥
 [ذِكْرُ الْأَوْلَادِ الْعَاقِينَ وَمَصِيرُهُمْ] ١٣١٦
 [قِصَّةُ عَادٍ] ١٣١٧
 [قِصَّةُ اسْتِمَاعِ الْجَنِّ لِلْقُرْآنِ] ١٣١٩
 [دَلِيلُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١٣٢٠
 [أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّبْرِ] ١٣٢٠
 تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقِتَالِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ ١٣٢١
 [جَزَاءُ الْكُفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ] ١٣٢١
 [الْأَمْرُ بِضَرْبِ رِقَابِ الْعَدُوِّ وَشَدِّ وَثَاقِهِ ثُمَّ الْمَنُّ أَوْ
 الْفِدَاءُ] ١٣٢١
 [فَضْلُ الشُّهَدَاءِ] ١٣٢٢
 [أَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ] ١٣٢٢
 [الْثَّارُ لِلْكَفَّارِ وَالْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ] ١٣٢٣
 [لَا يَسْتَوِي عَابِدُ الْحَقِّ وَعَابِدُ الْهَوَى] ١٣٢٤
 [نَعْتُ الْجَنَّةِ بِأَنْهَارِهَا] ١٣٢٤
 [بَيَانُ حَالِ الْمُتَافِقِينَ وَالْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِسْتِغْفَارِ] ١٣٢٥
 [حَالُ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ وَمَرِيضِ الْقَلْبِ عِنْدَ نَزُولِ الْأَمْرِ
 بِالْجِهَادِ] ١٣٢٦
 [الْأَمْرُ بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ] ١٣٢٧
 [دَمُّ الْأَرْتِدَادِ] ١٣٢٧
 [كُفْتُ سِرِّ الْمُتَافِقِينَ] ١٣٢٨
 [إِحْبَاطُ عَمَلِ الْكُفَّارِ وَالْأَمْرُ بِمَلَا حَقَّتِهِمْ] ١٣٢٨
 [بَيَانُ حَقَارَةِ الدُّنْيَا وَالْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ] ١٣٢٩

[لَيْسَ الْمَالُ مِنْ عَلَامَةِ الرِّضَا] ١٢٩٠
 [السَّيْطَانُ قَرِينُ الْمُعْرِضِ عَنِ الرَّحْمَنِ] ١٢٩١
 [لَا يُهْدَى مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ] ١٢٩١
 [إِنْتِقَامُ اللهِ مِنْ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ وَاقِعٌ] ١٢٩١
 [الْحَثُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ] ١٢٩١
 [آيَاتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضِحْكُ آلِ فِرْعَوْنَ وَتَنَاقُصُهُمْ
 عُهْدُهُمْ] ١٢٩٢
 [خِطَابُ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ وَمُؤَاخَذَةُ اللهِ إِيَّاهُ] ١٢٩٢
 [إِسْتِخْفَافُ فَرِيْسَ لَابِنْ مَرْيَمَ، وَدَرَجَتُهُ عِنْدَ اللهِ] ١٢٩٣
 [تَأْتِي الْقِيَامَةُ بَعَثَتُهُ وَتَفْعُ الْعِدَاوَةُ بَيْنَ الْأَخِلَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ] ١٢٩٦
 [بِشَارَةِ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَدُخُولُهُمُ الْجَنَّةَ] ١٢٩٦
 [عَاقِبَةُ الْأَشْقِيَاءِ السَّيِّئَةِ] ١٢٩٧
 [لَيْسَ لِلَّهِ وَلَدٌ] ١٢٩٧
 [بَيَانُ تَقَرُّدِ الرَّبِّ] ١٢٩٧
 [نَفْيُ شَفَاعَةِ الْأَوْثَانِ] ١٢٩٨
 [إِعْتِرَافُ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ اللهِ فِي الْخَلْقِ] ١٢٩٨
 [شُكْوَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اللهِ] ١٢٩٨
 تَفْسِيرُ سُورَةِ الدُّخَانِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ١٢٩٨
 [فَضْلُ سُورَةِ الدُّخَانِ] ١٢٩٨
 [نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] ١٢٩٨
 [تَحْوِيلُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي تَأْتِي السَّمَاءُ
 بِالدُّخَانِ] ١٢٩٩
 [الْقَوْلُ الثَّانِي فِي تَفْسِيرِ الدُّخَانِ] ١٣٠٠
 [تَفْسِيرُ الْبُطْمَةِ الْكُبْرَى] ١٣٠١
 [قِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ وَنَجَاةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ] ١٣٠١
 [الرَّدُّ عَلَى مُنْكَرِي الْقِيَامَةِ] ١٣٠٣
 [خُلِقَتِ الدُّنْيَا لِحُكْمَةٍ] ١٣٠٤
 [حَالُ الْمُشْرِكِينَ وَعَذَابُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٣٠٤
 [حَالُ الْمُتَّقِينَ وَنِعْمَتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ] ١٣٠٥
 تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّجَافَةِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ١٣٠٥
 [الْإِزْشَادُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ] ١٣٠٦
 [صِفَاتُ الْأَفَّاكِ الْأَيْمِ وَجَزَاؤُهُ] ١٣٠٦
 [فِي تَسْخِيرِ الْبَحْرِ وَغَيْرِهِ آيَاتٌ] ١٣٠٧
 [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ] ١٣٠٧

- [النَّهْيُ عَنِ الظَّنِّ] ١٣٥٠
- [طَرِيقَةُ تَوْبَةِ الْمُتَغَابِ وَالنَّعَامِ] ١٣٥١
- [كُلُّ النَّاسِ بَنُو آدَمَ وَحَوَّاءَ] ١٣٥١
- [الْكُرْمُ بِالتَّقْوَى] ١٣٥٢
- [الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُسْلِمِ] ١٣٥٢
- تفسير سورة ق وهي مكية ١٣٥٣
- [بِدَايَةُ الْمُفَصَّلِ] ١٣٥٣
- [فَضْلُ سُورَةِ ق] ١٣٥٤
- [تَعَجُّبُ الْكُفَّارِ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْمَعَادِ، وَالرُّدُّ عَلَيْهِمْ] ١٣٥٤
- [بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْمَعَادِ] ١٣٥٥
- [تَذْكِيرُ قُرَيْشٍ بِهَلَاكِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ] ١٣٥٦
- [الْإِعَادَةُ أَسْهَلُ] ١٣٥٦
- [إِحَاطَتُهُ تَعَالَى وَحِفْظُهُ لِكُلِّ مَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ] ١٣٥٦
- [التَّذْكِيرُ بِسَكْرَةِ الْمَوْتِ وَتَفْخِ الصُّورِ وَمَا يَلِيهِ مِنْ الْحَشْرِ] ١٣٥٧
- [شَهَادَةُ الْمَلِكِ وَأَمْرُ اللَّهِ بِالْقَاءِ الْكَافِرِ فِي جَهَنَّمَ] ١٣٥٨
- [اِخْتِصَامُ الْإِنْسَانِ وَالشَّيْطَانِ عِنْدَ اللَّهِ] ١٣٥٨
- [أَحْوَالُ جَهَنَّمَ وَالْجَنَّةِ وَأَهْلِيهَا] ١٣٥٨
- [تَهْدِيدُ الْكُفَّارِ بِالْعَذَابِ وَأَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ] ١٣٦٠
- [الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ] ١٣٦٠
- [التَّذْكِيرُ بِبَعْضِ مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٣٦١
- [تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ] ١٣٦١
- تفسير سورة الذاريات وهي مكية ١٣٦١
- [التَّأْكِيدُ عَلَى صِدْقِ وَفُوعِ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ] ١٣٦٢
- [إِخْتِلَافُ أَقْوَالِ الْمُشْرِكِينَ] ١٣٦٢
- [جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ وَصِفَاتُهُمْ] ١٣٦٣
- [آيَاتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالنَّفْسِ] ١٣٦٤
- [حَدِيثُ صَيْفِ بْنِ إِدْرِيسَ] ١٣٦٤
- [شَأْنُ الْمَلَائِكَةِ إِهْلَاكُ قَوْمِ لُوطَ] ١٣٦٥
- [الْعِبَرُ مِنْ قِصَّةِ فِرْعَوْنَ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ نُوحَ] ١٣٦٦
- [دَلَائِلُ التَّوْحِيدِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ رُوحَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] ١٣٦٧
- [تَكْذِيبُ كُلِّ قَوْمٍ رَسُولَهُمْ عَلَى طَرِيقِ وَاحِدٍ] ١٣٦٧

- تفسير سورة الفتح وهي مدنية ١٣٢٩
- [فَضْلُ سُورَةِ الْفَتْحِ] ١٣٢٩
- [سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ] ١٣٣٠
- [نُزُولُ السَّكِينَةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ] ١٣٣١
- [صِفَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] ١٣٣١
- [بَيَعَةُ الرُّضْوَانِ] ١٣٣١
- ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ ١٣٣٢
- ذِكْرُ سَبَبِ هَذِهِ الْبَيَعَةِ الْعَظِيمَةِ ١٣٣٢
- [الْعُدْرُ الْمَكْذُوبُ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحُدُوبِ وَوَعِدَ اللَّهُ عَلَيْهِ] ١٣٣٥
- [الْإِحْبَارُ بِمَرِيدِ الْجِهَادِ وَأَنَّهُ يَكُونُ فَوْقَانَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ] ١٣٣٥
- [الْأَعْدَارُ الشَّرْعِيَّةُ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ مَعَ الْأَمْرِ بِالطَّاعَةِ] ١٣٣٦
- [الْبَشَارَةُ بِالرِّضَا وَالْمَغَانِمِ لِأَهْلِ بَيَعَةِ الرُّضْوَانِ] ١٣٣٦
- [الْبَشَارَةُ بِالْمَغَانِمِ الْكَثِيرَةِ] ١٣٣٧
- [الْبَشَارَةُ بِجَمِيعِ الْفَتْوحَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٣٣٧
- [لَوْ قَاتَلَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِالْحُدُوبِ لَفَرُّوا وَلَمْ يَضْمُدُوا] ١٣٣٧
- [حُكْمُ اللَّهِ فِي كَفِّ الْقِتَالِ] ١٣٣٨
- [وَفُوعُ ضُلُحِ الْحُدُوبِ، مَعَ كَوْنِ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابَ الْحَقِّ وَالْعَلِّيَّةِ، وَذِكْرُ مَصَالِحِهِ] ١٣٣٨
- [وَهَذَا ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي قِصَّةِ الْحُدُوبِ] ١٣٣٩
- [بَيَانُ صِدْقِ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ] ١٣٤٢
- [الْبَشَارَةُ بِغَلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْعَالَمِ] ١٣٤٤
- [صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ] ١٣٤٤
- تفسير سورة الحُجُرَات وهي مدنية ١٣٤٥
- [النَّهْيُ عَنِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْأَمْرُ بِتَعْظِيمِهِ وَالتَّأَدُّبِ مَعَهُ] ١٣٤٥
- [دَمٌ مَنْ يُنَادِي النَّبِيَّ ﷺ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ] ١٣٤٧
- [الْأَمْرُ بِالتَّثَبُّتِ إِنْ جَاءَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ] ١٣٤٧
- [حُكْمُ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ الْأَصْلَحُ] ١٣٤٨
- [الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ] ١٣٤٨
- [الْأَمْرُ بِالِإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِقِتَالِ الْفِتَنِ الْبَاغِيَةِ] ١٣٤٨
- [النَّهْيُ عَنِ الشَّخَرَةِ وَالِإِخْتِقَارِ] ١٣٤٩

[بَيَانُ صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ] ١٣٨٠
 [لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وَزْرَ أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٣٨٠
 [بَعْضُ صِفَاتِ الرَّبِّ، وَأَنَّهُ يُعِيدُ الْإِنْسَانَ كَمَا بَدَأَهُ،
 وَذَكَرَ بَعْضُ مَا فَعَلَهُ بِعِبَادِهِ] ١٣٨١
 [الْإِنذَارُ وَالنَّبِيَّةُ وَالْأَمْرُ بِالسَّجْدَةِ وَالْخُضُوعِ] ١٣٨٢
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٣٨٢
 [اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ] ١٣٨٣
 [ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ] ١٣٨٣
 [عِنَادُ الْمُشْرِكِينَ وَمَوْفِقُهُمُ السَّيِّئُ] ١٣٨٤
 [سُوءُ أَحْوَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٣٨٤
 [قِصَّةُ قَوْمِ نُوحٍ، وَالْعِبْرَةُ بِهَا وَبِقِصَصِ الْأَقْوَامِ] ١٣٨٥
 [قِصَّةُ عَادٍ] ١٣٨٥
 [قِصَّةُ ثَمُودَ] ١٣٨٦
 [قِصَّةُ قَوْمِ لُوطٍ] ١٣٨٦
 [قِصَّةُ آلِ فِرْعَوْنَ] ١٣٨٧
 [نُصْحُ فُرَيْسٍ وَتَهْدِيدُهُمْ] ١٣٨٧
 [عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] ١٣٨٨
 [كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ] ١٣٨٨
 [التَّهْدِيدُ بِتَفْذِيرِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِمْ] ١٣٨٩
 [عَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ الْحَسَنَةُ] ١٣٨٩
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٣٩٠
 [تَوْطِئَةٌ عَنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ] ١٣٩٠
 [الْقُرْآنُ أَنْزَلَهُ الرَّحْمَنُ وَعَلَّمَهُ] ١٣٩٠
 [آيَاتُ اللَّهِ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] ١٣٩٠
 [الْإِنْسَانُ مَعْمُورٌ بِنِعَمِ اللَّهِ] ١٣٩١
 [بَيَانُ خَلْقِ آدَمَ وَالْجَنَّةِ] ١٣٩١
 [الْإِمْتِنَانُ بِكَوْنِهِ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ] ١٣٩٢
 [الْإِمْتِنَانُ بِتَوْعِي الْبَحْرِ وَالسُّفُنِ] ١٣٩٢
 [بَيَانُ شَأْنِ اللَّهِ وَبِقَائِهِ وَعَنَاهُ] ١٣٩٢
 [تَهْدِيدٌ لِلثَّقَلَيْنِ وَبَيَانٌ لِهَوْلِ مَا يُصِيبُهُمَا] ١٣٩٣
 [بَيَانُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِ الْمُجْرِمِينَ] ١٣٩٣
 [أَحْوَالُ الْمُتَّقِينَ وَنِعْمَتُهُمْ فِي الْجَنَّاتِ] ١٣٩٥
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٣٩٨
 [فَضْلُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ] ١٣٩٨

[مَا كَانَ خَلْقُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِعِبَادَةِ اللَّهِ] ١٣٦٧
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ الطُّورِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٣٦٧
 [فَضْلُ سُورَةِ الطُّورِ] ١٣٦٧
 [قَسَمُ اللَّهِ عَلَى وَقُوعِ الْعَذَابِ] ١٣٦٨
 [وَصَفُ يَوْمِ الْعَذَابِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ] ١٣٦٩
 [وَصَفُ مَالِ السَّعْدَاءِ] ١٣٦٩
 [لُحُوقُ دُرِّيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ فِي الْمَنْزِلَةِ] ١٣٦٩
 [عَذَابُ اللَّهِ مَعَ أَهْلِ الذُّنُوبِ] ١٣٧٠
 [وَصَفُ حَمْرِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِ أَهْلِهَا] ١٣٧٠
 [تَبَرُّتُهُ الرَّسُولِ مِمَّا اتَّهَمَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَتَوَعُّدُهُمْ
 وَتَحْدِيثُهُمْ] ١٣٧١
 [أَسْئَلُهُ تَثْبِثُ التَّوْحِيدَ وَتَنْفِي حَيْلَ الْمُشْرِكِينَ] ١٣٧١
 [بَيَانُ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمْ يَعْذَّبُونَ] ١٣٧٢
 [أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ بِالصَّبْرِ وَالنَّصِيحِ] ١٣٧٢
 [تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّجْمِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٣٧٣
 [أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ] ١٣٧٣
 [أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالْوَحْيِ] ١٣٧٤
 [رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى] ١٣٧٤
 [مُعَلِّمُ الرَّسُولِ الْأَمِينُ هُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ] ١٣٧٤
 [تَفْسِيرُ فَكَانَ قَابُ قَوْسَيْنِ] ١٣٧٥
 [أَهْلُ رَأْيِ النَّبِيِّ ﷺ رَبُّهُ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ؟] ١٣٧٥
 [غَشِيَانُ الْمَلَائِكَةِ وَالنُّورِ وَالْأَلْوَانِ السَّدْرَةِ] ١٣٧٦
 [الْأَرْدُّ عَلَى عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ وَبَيَانُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ] ١٣٧٦
 [الْأَرْدُّ عَلَى مُعْتَقِدِ الْمُشْرِكِينَ فِي تَذْكِيرِ الْأَنْذَادِ وَتَأْنِيثِ
 الْمَلَائِكَةِ] ١٣٧٨
 [لَا يَحْصُلُ الْخَيْرُ بِالتَّمَنِّي] ١٣٧٨
 [لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ] ١٣٧٨
 [الْأَرْدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي رَعْوِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ
 اللَّهِ] ١٣٧٨
 [الْأَمْرُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ] ١٣٧٩
 [اللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، فَهُوَ يُجَازِي كُلًّا بِحَسَبِهِ] ١٣٧٩
 [صِفَةُ الْمُحْسِنِينَ وَغَفْرَانِ اللَّحْمِ دُونَ الْكِبَايِرِ] ١٣٧٩
 [الْتَرَاغِبُ فِي التَّوْبَةِ وَالنَّهْيُ عَنْ تَرْكِيَةِ النَّفْسِ] ١٣٧٩
 [الَّذَلَمُ لِمَنْ تَوَلَّى عَنِ الطَّاعَةِ وَبَجَلَ بِالْمَالِ، وَالْأَرْدُّ عَلَيْهِ] ١٣٨٠

١٤٢١..... [الظَّهَارُ وَكَفَّارَتُهُ]
 ١٤٢٣..... [بَيَانُ عَاقِبَةِ أَغْدَاءِ الدِّينِ]
 ١٤٢٣..... [عِلْمُ اللَّهِ مُحِيطٌ بِالْخَلْقِ]
 ١٤٢٣..... [بَيَانُ شَرَارَةِ الْيَهُودِ]
 ١٤٢٤..... [آدَابُ النَّجْوَى]
 ١٤٢٥..... [آدَابُ الْمَجْلِسِ]
 ١٤٢٥..... [فَضْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ]
 ١٤٢٦..... [الْأَمْرُ بِالصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ يُتَاجَى الرَّسُولُ]
 ١٤٢٦..... [دَمُّ الْمُنَافِقِينَ]
 ١٤٢٧..... [ذِلَّةُ الْمُخَالِفِينَ لِلَّهِ وَعَلَيْهِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]
 ١٤٢٨..... [لَا يُؤَادُّ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ]
 ١٤٢٨..... [تفسير سورة النحش وهي مدينة
 ١٤٢٩..... [يُسَبِّحُ اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ]
 ١٤٢٩..... [ذَكَرُ مَا حَلَّ بَيْنِي النَّصِيرِ]
 ١٤٣٠..... [سَبَبُ غَزْوَةِ بَنِي النَّصِيرِ]
 ١٤٣١..... [مَا وَقَعَ مِنْ قَطْعِ الشَّجَلِ كَانَ بِإِذْنِ اللَّهِ]
 ١٤٣٢..... [أَمْوَالُ الْفَتَى وَمَصَارِفُهَا]
 ١٤٣٣..... [الْأَمْرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى]
 ١٤٣٤..... [بَيَانُ الْمُسْتَحَقِّينَ الْأَخِيرِينَ لِأَمْوَالِ الْفَتَى، وَفِيهِ فَضْلُ
 ١٤٣٤..... [الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ]
 ١٤٣٤..... [كَانَ الْأَنْصَارُ لَا يَخْشَدُونَ الْمُهَاجِرِينَ]
 ١٤٣٤..... [إِيثَارُ الْأَنْصَارِ]
 ١٤٣٦..... [وَعَدُ الْمُنَافِقِينَ الْكُذْبَ لِبَنِي النَّصِيرِ]
 ١٤٣٦..... [مَثَلُ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ]
 ١٤٣٧..... [الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى وَالِاسْتِعْدَادَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ]
 ١٤٣٧..... [لَا يَسْتَوِي أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ]
 ١٤٣٧..... [بَيَانُ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ]
 ١٤٣٨..... [تَمْجِيدُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ]
 ١٤٣٨..... [الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى]
 ١٤٣٨..... [كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لِلَّهِ]
 ١٤٣٩..... [تفسير سورة الممتحنة وهي مدينة
 ١٤٣٩..... [سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ]
 ١٤٤٠..... [الْأَمْرُ بِعَادَاةِ الْكُفَّارِ وَتَرْكِ مَوَالَاتِهِمْ]
 [لِلْمُسْلِمِينَ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِهِ فِي تَرْبِهِمْ

١٣٩٨..... [ذَكَرُ أَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]
 ١٣٩٨..... [النَّاسُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
 ١٣٩٩..... [السَّابِقُونَ وَجَزَاؤُهُمْ]
 ١٤٠١..... [أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَجَزَاؤُهُمْ]
 ١٤٠٣..... [أَصْحَابُ الشَّمَالِ وَأَحْوَالُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ]
 ١٤٠٥..... [ثَبُوتُ الْقِيَامَةِ وَدَلِيلُ الْمَعَادِ]
 [التَّثْبِيهُ عَلَى تَقَرُّدِ اللَّهِ بِالزَّرْعِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ، وَخَلْقِ النَّارِ،
 وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ]
 ١٤٠٥..... [قَسَمُ اللَّهِ عَلَى عَظَمَةِ الْقُرْآنِ]
 ١٤٠٧..... [عَدَمُ اسْتِطَاعَةِ رَدِّ الرُّوحِ حِينَ تَبْلُغُ الْخُلُقُومَ، دَلِيلٌ عَلَى
 ١٤٠٨..... [الْمَحَاسِنِ]
 [أَحْوَالِ النَّاسِ عِنْدَ الْإِخْتِصَارِ، وَمَصِيرُ كُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ]
 ١٤٠٨..... [تفسير سورة الحديد وهي مدينة
 ١٤٠٩..... [فَضْلُ سُورَةِ الْحَدِيدِ]
 ١٤٠٩..... [يُسَبِّحُ جَمِيعُ الْكَوْنِ لِلَّهِ وَذَكَرُ بَعْضِ صِفَاتِهِ]
 ١٤١٠..... [سُمُولُ عِلْمِ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ]
 ١٤١١..... [الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ وَالْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ]
 ١٤١٢..... [فَضْلُ الْإِنْفَاقِ وَالْقِتَالِ قَبْلَ الْفَتْحِ]
 ١٤١٣..... [الْحَثُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ]
 ١٤١٣..... [يُعْطَى الْمُؤْمِنُونَ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ]
 ١٤١٤..... [أَحْوَالُ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
 [الْحَضُّ عَلَى الْخُشُوعِ وَالنَّهْيُ عَنْ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ أَهْلِ
 ١٤١٤..... [الْكِتَابِ]
 ١٤١٥..... [أَجْرُ الْمُصَدِّقِ وَالصَّادِقِ وَالشَّهَدَاءِ وَمَصِيرُ الْكُفَّارِ]
 ١٤١٦..... [الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهُوَ وَلَعِبٌ]
 ١٤١٧..... [كُلُّ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَهُوَ بِقَدَرٍ]
 ١٤١٨..... [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ]
 ١٤١٨..... [دَمُ الْبُخْلِ]
 ١٤١٨..... [أُزِيلَ الْأَنْبِيَاءُ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالْعَدْلُ وَالْحَقُّ]
 ١٤١٨..... [فَوَائِدُ الْحَدِيدِ]
 ١٤١٩..... [فُسُقُ الْكَثِيرِ مِنْ أُمَّمِ الْأَنْبِيَاءِ]
 ١٤٢٠..... [يُؤْتَى مُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الْأَجْرَ مَرَّتَيْنِ]
 ١٤٢١..... [تفسير سورة المجادلة مدينة
 ١٤٢١..... [سَبَبُ التَّوَلُّو]

تفسير سورة المنافقين وهي مدنية ١٤٥٥
 [أَحْوَالُ الْمُنَافِقِينَ وَتَقْلَبَانَهُمْ] ١٤٥٥
 [إِعْرَاضُهُمْ عَنِ اسْتِغْفَارِ الرَّسُولِ وَعَنِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مَنْ
 عِنْدَهُ] ١٤٥٦
 [الْحَثُّ عَلَى عَدَمِ الْإِسْتِغَالِ بِأَشْبَابِ الدُّنْيَا، وَعَلَى
 الصَّدَقَةِ قَبْلَ الْمَوْتِ] ١٤٥٨
 تفسير سورة التغابن وهي مدنية وقيل: مكية ١٤٥٨
 [التَّشْبِيحُ لِلَّهِ وَذِكْرُ خَلْقِهِ وَعِلْمِهِ] ١٤٥٨
 [الْإِنذَارُ بِبَيَانِ إِهْلَاكِ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْكُفَّارِ] ١٤٥٩
 [الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَمَاتِ حَقٌّ] ١٤٥٩
 [ذِكْرُ يَوْمِ التَّعَابُنِ] ١٤٥٩
 [مَا يُصِيبُ الْمَرْءَ فَهُوَ بِإِذْنِ اللَّهِ] ١٤٦٠
 [الْأَمْرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ] ١٤٦٠
 [التَّوْحِيدُ] ١٤٦٠
 [التَّحْذِيرُ مِنْ فِتْنَةِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ] ١٤٦٠
 [الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى بِقَدْرِ الْإِشْطَاعَةِ] ١٤٦١
 [التَّرْغِيبُ فِي الصَّدَقَةِ] ١٤٦١
 تفسير سورة الطلاق وهي مدنية ١٤٦١
 [تَطْلُقُ الْمَرْأَةُ لِعِدَّتِهَا، وَلَا تُخْرَجُ مِنْ بَيْتِهَا، وَتُحْصِي
 عِدَّتُهَا] ١٤٦١
 [الْتَفَتُهُ وَالسُّكْنَى عَلَى الزَّوْجِ فِي عِدَّةِ الرَّجْعَةِ] ١٤٦٢
 [مَضْلَحَةُ الْإِعْتِدَادِ فِي بَيْتِ الزَّوْجِ] ١٤٦٣
 [لَا نَفَقَةَ وَلَا سَكْنَى لِلْمَبْثُوتَةِ] ١٤٦٣
 [الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُطَلَّقةِ سَوَاءَ أَرَادَ الرَّجْعَةَ أَوْ
 الْفِرَاقَ] ١٤٦٣
 [الْأَمْرُ بِالْإِشْهَادِ عَلَى الرَّجْعَةِ] ١٤٦٤
 [يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُمْ وَيُكْفِيهِمْ] ١٤٦٤
 [عِدَّةُ الْآيَةِ وَالَّتِي لَمْ تَحْضُرْ] ١٤٦٤
 [عِدَّةُ الْحَامِلِ] ١٤٦٥
 [تَسْكُنُ الْمُطَلَّقةُ حَسَبَ مَا يَجِدُ الزَّوْجُ] ١٤٦٦
 [الْكَفَى عَنِ التَّضْيِيقِ عَلَى الْمُطَلَّقةِ] ١٤٦٦
 [نَفَقَةُ الْحَامِلِ الْبَائِسِ عَلَى الزَّوْجِ حَتَّى تَضَعَ الْحَمْلَ] ١٤٦٦
 [تَأْخُذُ الْأُمُ الْمُطَلَّقةُ أَجْرَةَ الرِّضَاعَةِ إِنْ أَرْضَعَتْ] ١٤٦٦
 [قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُتَّقِيَةِ] ١٤٦٦

عَنْ قَوْمِهِمُ الْكُفَّارِ] ١٤٤٠
 [عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْدَائِهِمْ مَوَدَّةً] ١٤٤٢
 [يَجُوزُ الْإِحْسَانُ إِلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَ فِي الدِّينِ] ١٤٤٢
 [الْكَفَّارُ] ١٤٤٢
 [تَخْصِيصُ الْمُسْلِمَاتِ بَعْدَ رَدِّهِنَّ إِلَى الْكُفَّارِ إِذَا
 هَاجَرْنَ بَعْدَ الْحُدُوثِ] ١٤٤٣
 [حُرْمَةُ الْمُسْلِمَاتِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَالْمُشْرِكَاتِ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ] ١٤٤٣
 [الْأُمُورُ الَّتِي يُبَايَعُ عَلَيْهَا النِّسَاءُ] ١٤٤٤
 تفسير سورة الصف وهي مدنية ١٤٤٦
 [فَضْلُ سُورَةِ الصَّفِّ] ١٤٤٦
 [دَمٌ مَنْ يَقُولُ قَوْلًا لَا يَفْعَلُهُ] ١٤٤٦
 [خِطَابُ مُوسَى لِقَوْمِهِ عَلَى آدَاهُمْ وَإِزَاعَهُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ] ١٤٤٧
 [تَبَشِيرُ عِيسَى بَنِيَّانَا ﷺ بِاسْمِهِ أَحْمَدُ] ١٤٤٧
 [ذِكْرُ أَظْلَمِ النَّاسِ وَالْإِبَارَةُ بِإِتِمَامِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَعَلَيْتِهِ
 عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ] ١٤٤٨
 [الْجَارَةُ الْمُنْجِيَّةُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ] ١٤٤٨
 [الْمُسْلِمُونَ أَنْصَارُ الدِّينِ فِي كُلِّ حَالٍ] ١٤٤٩
 [طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ آمَنَتْ بِعِيسَى وَأُخْرَى كَفَرَتْ بِهِ] ١٤٤٩
 [نَضْرُ اللَّهُ الطَّائِفَةَ الْمُؤْمِنَةَ] ١٤٤٩
 تفسير سورة الجمعة وهي مدنية ١٤٥٠
 [فَضْلُ سُورَةِ الْجُمُعَةِ] ١٤٥٠
 [يُسَبِّحُ اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ] ١٤٥٠
 [الْأَمْنَانُ بِعِزَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] ١٤٥٠
 [مُحَمَّدٌ رَسُولُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ] ١٤٥١
 [دَمُ الْيَهُودِ وَدَعْوَتُهُمْ لِمَتْنَى الْمَوْتِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَاهَلَةِ] ١٤٥١
 [الْجُمُعَةُ وَالْأَوَامِرُ وَالْآدَابُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ] ١٤٥٢
 [الْأَمْرُ بِالسَّعْيِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ] ١٤٥٣
 [فَضْلُ الْجُمُعَةِ] ١٤٥٣
 [الْمُرَادُ بِاللَّدَاءِ إِذَا نَافَخَ الْمُطْبَعُ] ١٤٥٤
 [حُرْمَةُ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ بَعْدَ نِدَاءِ الْجُمُعَةِ وَالتَّرْغِيبِ فِي
 طَلَبِ الرِّزْقِ بَعْدَهَا] ١٤٥٤
 [الْكَفَى عَنِ الْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْإِمَامِ يَخْطُبُ] ١٤٥٤

١٤٨٠ [الإِيمَانِ وَالْكَفْرِ]

١٤٨١ [مَثَلٌ لِدَهَابِ كَسْبِ الْكُفَّارِ] ..

١٤٨٢ [جَزَاءُ الْمُتَّقِينَ وَأَنَّهُمْ لَا يُجْعَلُونَ كَالْمُجْرِمِينَ]

١٤٨٢ [أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

١٤٨٣ [وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ يُكَذِّبُ بِالْقُرْآنِ]

..... [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمُ الْإِسْتِعْجَالِ مِثْلُ يُونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ]

١٤٨٣ [إِصَابَةُ الْعَيْنِ حَقٌّ] ..

١٤٨٣ [رَمِيَ الْكُفَّارُ وَجَوَائِبُهُمْ]

١٤٨٥ [تفسير سورة الحاقة وهي مكية]

١٤٨٥ [الْتِّبِيَةُ عَلَى عَظَمِ الْقِيَامَةِ]

١٤٨٥ [ذِكْرُ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ] ..

١٤٨٦ [الْتَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ السَّيْفِينِ]

١٤٨٧ [ذِكْرُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

١٤٨٧ [عَرَضُ بَنِي آدَمَ عَلَى اللَّهِ]

١٤٨٧ [فَرْحُهُ مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَحُسْنُ حَالِهِ]

١٤٨٨ [سُوءُ حَالٍ مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ]

١٤٨٩ [الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ]

١٤٨٩ [لَوْ تَقَوَّلَ النَّبِيُّ شَيْئًا عَلَى اللَّهِ لَأَخَذَهُ اللَّهُ بِعَذَابٍ]

١٤٩٠ [تفسير سورة سأل سائل وهي مكية]

١٤٩٠ [الْإِسْتِعْجَالُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ]

١٤٩٠ [تفسير ذي المآرج]

١٤٩٠ [الْمُرَادُ بِيَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ]

١٤٩١ [تَلْقِينَ النَّبِيَّ الصَّبْرَ]

١٤٩١ [أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]

١٤٩٢ [الْإِنْسَانُ هَالِكٌ]

١٤٩٣ [إِسْتِثْنَاءُ الْمُصَلِّينَ مِمَّا سَبَقَ وَيَتَانِ أَعْمَالِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ]

١٤٩٣ [الْتَّذْكِيرُ عَلَى الْكُفَّارِ وَتَهْدِيدُهُمْ]

١٤٩٥ [تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية]

١٤٩٥ [دَعْوَةُ نُوحٍ لِقَوْمِهِ]

١٤٩٥ [شَكْوَى نُوحٍ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ]

١٤٩٦ [مَا قَالَ نُوحٌ حِينَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ]

١٤٩٧ [شَكْوَى نُوحٍ إِلَى رَبِّهِ لِمَا أَجَابَ بِهِ قَوْمُهُ]

١٤٩٧ [أَصْنَامُ قَوْمِ نُوحٍ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ]

١٤٦٧ [جَزَاءُ الْمُتَوَّعِنِ عَنْ أَمْرِ الرَّبِّ]

١٤٦٧ [صِفَةُ الرَّسُولِ ﷺ]

١٤٦٧ [بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ]

١٤٦٧ [تفسير سورة التَّحْرِيمِ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ]

..... [عِتَابُ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ فِي تَحْرِيمِهِ الْحَلَالِ وَيَتَانِ كُفَّارَتِهِ، وَتَأْدِيبِ الْأَرْوَاحِ عَلَى تَضْيِيقِهِ]

١٤٦٨ [تَعْلِيمُ الْأَهْلِ الْأَدَبِ وَالِدِّينَ]

١٤٧١ [وَقُودُ جَهَنَّمَ وَمَلَايِكَتُهَا]

١٤٧١ [لَا يَقْبَلُ عَذْرُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

١٤٧١ [الْتَّرْغِيبُ فِي التَّوْبَةِ النَّصُوحِ]

١٤٧٢ [الْأَمْرُ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ]

١٤٧٢ [لَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ عِنْدَ اللَّهِ مَهْمَا كَانَ قَرِيبًا]

١٤٧٣ [لَا يَضُرُّ الْكَافِرَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللَّهِ]

١٤٧٣ [تفسير سورة الزلزال وهي مكية]

١٤٧٣ [فَضْلُ سُورَةِ الْمُلْكِ]

..... [تَمْجِيدُ اللَّهِ وَذِكْرُ خَلْقِهِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْجُجُومِ]

١٤٧٣ [صِفَةُ جَهَنَّمَ وَالِدَّاحِلِينَ فِيهَا]

١٤٧٥ [جَزَاءُ مَنْ خَسِيَ رَبَّهُ بِالْغَيْبِ]

١٤٧٥ [نِعْمَةُ اللَّهِ فِي تَسْخِيرِ الْأَرْضِ لِعِبَادِهِ]

١٤٧٦ [كَيْفَ تَأْمَنُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى مُوَاحَذَتِكُمْ كَيْفَمَا شَاءَ]

١٤٧٦ [طَبْرَانِ الطُّيُورِ يَقْدِرُهُ اللَّهُ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ بَصِيرٌ بِكُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ]

١٤٧٦ [لَا يَنْصُرُكُمْ أَحَدٌ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا اللَّهُ]

١٤٧٧ [مَثَلُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ]

١٤٧٧ [قُدْرَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَدَلَالَتُهَا عَلَى الْمَعَادِ]

١٤٧٧ [مَوْتُ الْمُؤْمِنِ لَا يُجِيرُ الْكَافِرَ فَلْيَتَّكِرْ فِي خَلَاصِهِ]

١٤٧٨ [الْتَّذْكِيرُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي نَبْعِ الْمَاءِ وَالتَّخْوِيفُ بِدَهَائِهِ]

١٤٧٨ [تفسير سورة ن وهي مكية]

١٤٧٨ [تفسير القلم]

١٤٧٩ [الْقَسَمُ بِالْقَلَمِ عَلَى عَظَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ]

١٤٧٩ [تفسير إِنَّكَ لَمَلَكٌ خَلَقْتَ عَظِيمًا]

١٤٧٩ [الْتَّنْهَى عَنْ قَبُولِ ضَغْطِ الْمَكْذِبِينَ وَمُقْتَرَحَاتِهِمْ بَيْنَ]

- [دُعَاءُ نُوحٍ عَلَى قَوْمِهِ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ] ١٤٩٧.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْجِنِّ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٤٩٨.....
- [إِسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِلْقُرْآنِ وَإِيمَانُهُمْ بِهِ] ١٤٩٩.....
- [إِفْرَارُ الْجِنِّ بِأَنَّ اللَّهَ مُنْزَعٌ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ] ١٤٩٩.....
- [مِنْ سَبَبِ طُعْيَانِ الْجِنِّ اسْتِعَاذَةَ الْإِنْسِ بِهِمْ] ١٤٩٩.....
- [إِسْتِرَاقُ الْجِنِّ خَبَرَ السَّمَاءِ قَبْلَ بَعَثَةِ الرَّسُولِ وَرَمِيَهُمْ بِالشُّهْبِ بَعْدَ الْبَعَثَةِ] ١٤٩٩.....
- [لِلْجِنِّ أَصْنَافٌ: مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَالضَّالُّونَ وَالرَّائِضُونَ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْهُمْ] ١٥٠١.....
- [إِفْرَارُ عِلْمِهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ] ١٥٠١.....
- [الْأَمْرُ بِالْوَحِيدِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِكِ] ١٥٠٢.....
- [إِزْدِحَامُ الْجِنِّ عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ] ١٥٠٢.....
- [الرَّسُولُ ﷺ لَا يَمْلِكُ الضَّرَّ وَلَا الرُّشْدَ] ١٥٠٢.....
- [لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] ١٥٠٢.....
- [الرَّسُولُ ﷺ لَا يَعْرِفُ وَقْتُ السَّاعَةِ] ١٥٠٣.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٥٠٣.....
- [سَبَبُ نُزُولِ سُورَتَيْ الْمُزْمَلِ وَالْمُدَّثِّرِ] ١٥٠٣.....
- [الْأَمْرُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ] ١٥٠٤.....
- [طَرِيقَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ] ١٥٠٤.....
- [عَظَمَةُ الْقُرْآنِ] ١٥٠٥.....
- [شَرَفُ قِيَامِ اللَّيْلِ] ١٥٠٥.....
- [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ عَلَى أَدَى الْكُفَّارِ وَبَيَانُ مَا لَهُمْ عَلَيْهِ] ١٥٠٧.....
- [رَسُولُكُمْ ﷺ مِثْلُ رَسُولِ فِرْعَوْنَ وَتَعْلَمُونَ مَصِيرَ فِرْعَوْنَ] ١٥٠٧.....
- [التَّهْدِيدُ بِعَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٥٠٧.....
- [هَذِهِ السُّورَةُ تَذَكُّرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] ١٥٠٧.....
- [نَسْخُ وَجُوبِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَذِكْرُ أَغْدَارِهِ] ١٥٠٨.....
- [الْأَمْرُ بِالتَّصَدُّقِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ] ١٥٠٨.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفُتُّوحِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٥٠٩.....
- [أَوَّلُ آيَاتِ نَزَلَتْ بَعْدَ افْرَأ] ١٥٠٩.....
- [التَّذَكُّيرُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٥١٠.....
- [تَهْدِيدُ مَنْ قَالَ: أَنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ] ١٥١٠.....
- [عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ وَمَا قَالَهُ الْكُفَّارُ حَوْلَ ذَلِكَ] ١٥١١.....
- [لَا يَعْلَمُ جُنُودَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ] ١٥١٢.....
- [مَا يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنَ الْجَوَارِ] ١٥١٢.....
- [الْكَبِيرُ عَلَى إِعْرَاضِ الْكُفَّارِ وَمَوْفِقِهِمْ] ١٥١٣.....
- [الْقُرْآنُ تَذَكُّرَةٌ] ١٥١٣.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقِيَامَةِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٥١٣.....
- [الْقَسَمُ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالرَّدُّ عَلَى جِبِلِّ الْمُتَحَابِلِينَ] ١٥١٣.....
- [أَعْمَالُ الْإِنْسَانِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥١٤.....
- [تَعْلِيمُ تَلْقَى الْوَحْيِ] ١٥١٤.....
- [سَبَبُ تَكْذِيبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حُبُّ الدُّنْيَا وَالْعَقْلَةُ عَنِ الْآخِرَةِ] ١٥١٥.....
- [رُؤْيُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ] ١٥١٥.....
- [تَسَوُّدُ وَجْهِ الْعُصَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥١٦.....
- [يَحْصُلُ الْيَقِينُ عِنْدَ الْإِخْتِصَارِ] ١٥١٦.....
- [ذِكْرُ حَالِ الْمَكْذِبِ] ١٥١٧.....
- [لَا يُتْرَكُ الْإِنْسَانُ هَمَلًا] ١٥١٧.....
- [الدُّعَاءُ عِنْدَ خِتَامِ السُّورَةِ] ١٥١٧.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٥١٧.....
- [قِرَاءَةُ سُورَةِ السَّجْدَةِ وَالْإِنْسَانِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ] ١٥١٧.....
- [خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ] ١٥١٨.....
- [هَذَا اللَّهُ السَّبِيلُ فَهُوَ إِمَّا شَاكِرٌ وَإِمَّا كَفُورٌ] ١٥١٨.....
- [جَزَاءُ الْكَافِرِينَ وَالْأَبْرَارِ] ١٥١٨.....
- [أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ] ١٥١٨.....
- [بَعْضُ التَّفْصِيلِ لِجَزَاءِ الْأَبْرَارِ فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ] ١٥١٩.....
- [ذِكْرُ الْأَرَائِكِ، وَأَنَّهُ لَا حَرَّ وَلَا بَرَدَ فِي الْجَنَّةِ] ١٥٢٠.....
- [دُنُو الطَّلَالِ وَالْقَطُوفِ] ١٥٢٠.....
- [آيَةُ مِنْ فَضْهِ وَأَكْوَابِ] ١٥٢٠.....
- [شَرَابُ الرَّنَجِيلِ وَالسُّسْبِيلِ] ١٥٢٠.....
- [الْوِلْدَانُ وَالْخَدَمُ] ١٥٢١.....
- [الْلِبَاسُ وَالْحُلِيِّ] ١٥٢١.....
- [ذِكْرُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ وَالْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالدُّكْرِ] ١٥٢٢.....
- [دَمُ حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّيْبَةُ عَلَى يَوْمِ الْمَعَادِ] ١٥٢٢.....
- [الْقُرْآنُ تَذَكُّرَةٌ وَالْهُدَايَةُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ] ١٥٢٢.....

- [دُعَاءُ نُوحٍ عَلَى قَوْمِهِ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ] ١٤٩٧.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْجِنِّ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٤٩٨.....
- [إِسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِلْقُرْآنِ وَإِيمَانُهُمْ بِهِ] ١٤٩٩.....
- [إِفْرَارُ الْجِنِّ بِأَنَّ اللَّهَ مُنْزَعٌ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ] ١٤٩٩.....
- [مِنْ سَبَبِ طُعْيَانِ الْجِنِّ اسْتِعَاذَةَ الْإِنْسِ بِهِمْ] ١٤٩٩.....
- [إِسْتِرَاقُ الْجِنِّ خَبَرَ السَّمَاءِ قَبْلَ بَعَثَةِ الرَّسُولِ وَرَمِيَهُمْ بِالشُّهْبِ بَعْدَ الْبَعَثَةِ] ١٤٩٩.....
- [لِلْجِنِّ أَصْنَافٌ: مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَالضَّالُّونَ وَالرَّائِضُونَ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْهُمْ] ١٥٠١.....
- [إِفْرَارُ عِلْمِهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ] ١٥٠١.....
- [الْأَمْرُ بِالْوَحِيدِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِكِ] ١٥٠٢.....
- [إِزْدِحَامُ الْجِنِّ عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ] ١٥٠٢.....
- [الرَّسُولُ ﷺ لَا يَمْلِكُ الضَّرَّ وَلَا الرُّشْدَ] ١٥٠٢.....
- [لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ] ١٥٠٢.....
- [الرَّسُولُ ﷺ لَا يَعْرِفُ وَقْتُ السَّاعَةِ] ١٥٠٣.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٥٠٣.....
- [سَبَبُ نُزُولِ سُورَتَيْ الْمُزْمَلِ وَالْمُدَّثِّرِ] ١٥٠٣.....
- [الْأَمْرُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ] ١٥٠٤.....
- [طَرِيقَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ] ١٥٠٤.....
- [عَظَمَةُ الْقُرْآنِ] ١٥٠٥.....
- [شَرَفُ قِيَامِ اللَّيْلِ] ١٥٠٥.....
- [الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ عَلَى أَدَى الْكُفَّارِ وَبَيَانُ مَا لَهُمْ عَلَيْهِ] ١٥٠٧.....
- [رَسُولُكُمْ ﷺ مِثْلُ رَسُولِ فِرْعَوْنَ وَتَعْلَمُونَ مَصِيرَ فِرْعَوْنَ] ١٥٠٧.....
- [التَّهْدِيدُ بِعَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٥٠٧.....
- [هَذِهِ السُّورَةُ تَذَكُّرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] ١٥٠٧.....
- [نَسْخُ وَجُوبِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَذِكْرُ أَغْدَارِهِ] ١٥٠٨.....
- [الْأَمْرُ بِالتَّصَدُّقِ وَعَمَلِ الْخَيْرِ] ١٥٠٨.....
- [تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفُتُّوحِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ] ١٥٠٩.....
- [أَوَّلُ آيَاتِ نَزَلَتْ بَعْدَ افْرَأ] ١٥٠٩.....
- [التَّذَكُّيرُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٥١٠.....
- [تَهْدِيدُ مَنْ قَالَ: أَنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ] ١٥١٠.....
- [عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ وَمَا قَالَهُ الْكُفَّارُ حَوْلَ ذَلِكَ] ١٥١١.....
- [لَا يَعْلَمُ جُنُودَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ] ١٥١٢.....
- [مَا يَدُورُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنَ الْجَوَارِ] ١٥١٢.....

١٥٢٢..... تفسير سورة المزلزلات وهي مكية
[تُرْوَلْ هَذِهِ السُّورَةُ وَقَرَأَتْهَا فِي الْمَغْرِبِ] ١٥٢٢.....
[قَسَمَ اللَّهُ بِأَشْيَاءَ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ] ١٥٢٣.....
[ذَكَرَ بَعْضُ مَا يَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥٢٣.....
[الِدَعْوَةُ إِلَى الْإِعْتِبَارِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ] ١٥٢٤.....
[سَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى مَا وَاهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَشَيْءٍ مِنْ كَيْفِيَّتِهَا] ١٥٢٤.....
[عَجَزَ الْمُجْرِمِينَ عَنِ الْكَلَامِ وَتَقْدِيمِ الْعَذْرِ وَعَدَمَ الْإِفَادَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥٢٥.....
[مَالَ الْمُتَّقِينَ] ١٥٢٥.....
[تَهْدِيدٌ لِمُنْكَرِي الْقِيَامَةِ] ١٥٢٥.....
تفسير سورة النبا وهي مكية ١٥٢٦.....
[الرَّدُّ عَلَى إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لَوْقُوعِ الْقِيَامَةِ] ١٥٢٦.....
[ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ كَالدَّلِيلِ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ] ١٥٢٦.....
[تَفْسِيرُ يَوْمِ الْفَضْلِ وَتَفْصِيلُ مَا فِيهِ] ١٥٢٧.....
[الْفَوْزُ الْكَبِيرُ لِلْمُتَّقِينَ] ١٥٢٨.....
[لَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلَى التَّكَلُّمِ أَمَامَ اللَّهِ حَتَّى الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ] ١٥٢٩.....
[الْقِيَامَةُ قَرِيبَةٌ] ١٥٢٩.....
تفسير سورة النازعات وهي مكية ١٥٢٩.....
[الْقَسَمُ بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ عَلَى وَقُوعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ] ١٥٢٩.....
[صِفَةُ الْقِيَامَةِ وَصِفَةُ النَّاسِ وَأَقْوَالُهُمْ فِيهَا] ١٥٣٠.....
[ذَكَرَ قِصَّةَ مُوسَى وَأَنَّهَا عِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى] ١٥٣١.....
[خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَشَدُّ مِنْ إِعَادَةِ الْخَلْقِ] ١٥٣١.....
[يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ وَأَنَّ وَقْتُهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ] ١٥٣٢.....
تفسير سورة عبس وهي مكية ١٥٣٣.....
[عَتَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَبُوسِهِ فِي وَجْهِ رَجُلٍ ضَعِيفٍ: ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ] ١٥٣٣.....
[أَوْصَافُ الْقُرْآنِ] ١٥٣٣.....
[الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١٥٣٤.....
[إِبْنَاتُ الْحَبِّ وَغَيْرِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ] ١٥٣٤.....

[يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفَرَارُ النَّاسِ فِيهَا مِنْ أَقَارِبِهِمْ] ١٥٣٥.....
[وُجُوهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥٣٥.....
تفسير سورة التكاوير وهي مكية ١٥٣٦.....
[مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ] ١٥٣٦.....
[مَا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ تَكْوِيرُ الشَّمْسِ] ١٥٣٦.....
[إِنْكَدَارُ النُّجُومِ] ١٥٣٦.....
[تَسْيِيرُ الْجِبَالِ، وَتَعْطِيلُ الْعِشَارِ وَخَشَرُ الْوُحُوشِ] ١٥٣٦.....
[تَسْجِيرُ الْبِحَارِ] ١٥٣٧.....
[تَرْوِيجُ الشُّوسِ] ١٥٣٧.....
[سُؤَالُ الْمَوْتُودَةِ] ١٥٣٧.....
[كَفَّارَةُ وَأَدِ الْبَنَاتِ] ١٥٣٧.....
[نَشْرُ الصُّخْرِ] ١٥٣٧.....
[كُشْطُ السَّمَاءِ وَتَسْيِيرُ الْجَحِيمِ وَتَقَرُّبُ الْجَنَّةِ] ١٥٣٨.....
[كُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا أَخْضَرَهُ] ١٥٣٨.....
[تَفْسِيرُ الْخُسْفَى وَالْكَسْفِ] ١٥٣٨.....
[الْقُرْآنُ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ وَلَيْسَ مِنْ نَسِجَةِ الْجُنُونِ] ١٥٣٨.....
[لَمْ يَكُنِ الشَّيْءُ ضَيَّنًا فِي إِبْلَاحِ الْوَحْيِ] ١٥٣٩.....
[الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَيْسَ بِوَحْيِ الشَّيْطَانِ] ١٥٣٩.....
تفسير سورة الانفطار وهي مكية ١٥٣٩.....
[فَضْلُ سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ] ١٥٣٩.....
[مَا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥٤٠.....
[لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْسَى اللَّهَ] ١٥٤٠.....
[سَبَبُ الْغُرُورِ، وَالتَّثْبِيهِ عَلَى تَسْجِيلِ الْمَلَائِكَةِ لِأَعْمَالِ] ١٥٤١.....
[جَزَاءُ الْأَبْرَارِ وَالْفَجَّارِ] ١٥٤١.....
تفسير سورة المطففين وهي مدنية ١٥٤١.....
[الزِّيَادَةُ وَالتَّقْصَانُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ سَبَبٌ لِلزُّوْلِ وَالْخُسْرَانِ] ١٥٤١.....
[تَخْوِيفُ الْمُطْفَفِينَ مِنَ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ١٥٤١.....
[كِتَابُ الْفَجَّارِ وَبَعْضُ أَخْوَالِهِمْ] ١٥٤٢.....
[كِتَابُ الْأَبْرَارِ وَجَزَائِهِمْ] ١٥٤٣.....
[إِسَاءَةُ الْمُجْرِمِينَ وَاسْتَهْزَاؤُهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ] ١٥٤٤.....
تفسير سورة الانشقاق وهي مكية ١٥٤٥.....
[سَجْدَةُ الثَّلَاوَةِ فِي سُورَةِ الْإِنْشِقَاقِ] ١٥٤٥.....
[إِنْشِقَاقُ السَّمَاءِ وَتَمْدِيدُ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] ١٥٤٥.....

- ١٥٥٦..... [لَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ]
- ١٥٥٦..... [الْوَعْدُ لِمَنْ تَوَلَّى عَنِ الْحَقِّ]
- ١٥٥٧..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٥٧..... [قِرَاءَةُ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي الصَّلَاةِ]
- ١٥٥٧..... [تَفْسِيرُ الْفَجْرِ وَمَا بَعْدَهُ]
- ١٥٥٧..... [تَفْسِيرُ اللَّيْلِ]
- ١٥٥٧..... [ذِكْرُ إِهْلَاكِ عَادٍ]
- ١٥٥٨..... [ذِكْرُ فِرْعَوْنَ]
- ١٥٥٨..... [الرَّبُّ بِالْمِرْصَادِ]
- ١٥٥٨..... [الْغَنَى وَالْفَقْرُ اخْتِيَارًا، وَلَيْسَا مِنْ إِكْرَامِ اللَّهِ أَوْ إِهَانَتِهِ لِلْعَبْدِ]
- ١٥٥٩..... [مِنْ شَرِّ مَا يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ فِي الْمَالِ]
- ١٥٥٩..... [يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى كُلُّ بِمَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ]
- ١٥٦٠..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَلَدِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٦٠..... [الْقَسَمُ بِحُرْمَةِ مَكَّةَ عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي مَشَقَّةٍ]
- ١٥٦٠..... [الْإِنْسَانُ مُحَاطٌ بِاللَّهِ وَبِنِعْمَاتِهِ]
- ١٥٦١..... [الْتَّمِيزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ نِعْمَةً]
- ١٥٦١..... [الْحَضُّ عَلَى سُلُوكِ سَبِيلِ الْخَيْرِ]
- ١٥٦٢..... [أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَجَزَائُهُمْ]
- ١٥٦٢..... تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالشَّمْسِ وَضَحَاها وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٦٢..... [قِرَاءَةُ وَالشَّمْسِ وَضَحَاها فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ]
- ١٥٦٢..... [قَسَمَ اللَّهُ بِمَخْلُوقَاتِهِ عَلَى فَلَاحٍ مَنْ رَزَقَ نَفْسَهُ وَخَيِّتَهُ مَنْ دَسَّاهَا]
- ١٥٦٤..... [تَكْذِيبُ ثُمُودَ وَإِهْلَاكُهُمْ]
- ١٥٦٤..... [قِصَّةُ نَاقَةِ صَالِحٍ]
- ١٥٦٤..... تَفْسِيرُ سُورَةِ اللَّيْلِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٦٤..... [الْقَسَمُ عَلَى اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي سَعْيِهِمْ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى اخْتِلَافِ نَتَائِجِ ذَلِكَ]
- ١٥٦٥..... [الْهَدَى وَغَيْرُهُ بِيَدِ اللَّهِ]
- ١٥٦٦..... [سَبَبُ التَّزْوِيلِ وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ]
- ١٥٦٧..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الضُّحَى وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٦٧..... [سَبَبُ نَزُولِ سُورَةِ الضُّحَى]
- ١٥٦٧..... [الْآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى]
- ١٥٦٧..... [نَعَمُ الْآخِرَةُ الْكَثِيرَةُ تَنْتَظِرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ]
- ١٥٦٨..... [ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ]

- ١٥٤٥..... [جَزَاءُ الْأَعْمَالِ حَقٌّ]
- ١٥٤٦..... [الْعَرَضُ وَالْمُنَاقَشَةُ فِي الْحِسَابِ]
- ١٥٤٦..... [الْقَسَمُ عَلَى رُكُوبِ الْإِنْسَانِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ]
- ١٥٤٦..... [التَّكْبِيرُ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ وَتَبْشِيرُهُمْ بِالْعَذَابِ، وَأَنَّ النِّعَمَ لِلْمُؤْمِنِينَ]
- ١٥٤٧..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٤٧..... [تَفْسِيرُ الْبُرُوجِ]
- ١٥٤٧..... [تَفْسِيرُ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ]
- ١٥٤٨..... [ظَلَمَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ الْمُسْلِمِينَ]
- ١٥٤٨..... [قِصَّةُ سَاحِرٍ وَزَاهِبٍ وَعَلَامٍ وَمَنْ أُذْجِلَ الْأَخْدُودُ]
- ١٥٤٩..... [جَزَاءُ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ]
- ١٥٤٩..... [جَزَاءُ الصَّالِحِينَ وَالتَّبَطُّشُ الشَّدِيدُ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَافِرِينَ]
- ١٥٥٠..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٥٠..... [فَضْلُ سُورَةِ الطَّارِقِ]
- ١٥٥٠..... [الْقَسَمُ عَلَى كَوْنِ الْإِنْسَانِ مُحَاطًا بِنِظَامِ اللَّهِ]
- ١٥٥١..... [كَيْفِيَّةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ذَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى رَجْعِهِ]
- ١٥٥١..... [يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ قُدْرَةٌ وَلَا نُصْرَةٌ]
- ١٥٥١..... [الْقَسَمُ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا وَفَسْلُ مُخَالَفِيهِ]
- ١٥٥١..... تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبِّحَ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٥١..... [فَضْلُ سُورَةِ الْأَعْلَى]
- ١٥٥٢..... [الْأَمْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَمَا يَقُولُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ]
- ١٥٥٢..... [الْخَلْقُ وَالتَّقْدِيرُ وَإِخْرَاجُ النَّبَاتِ]
- ١٥٥٢..... [التَّوْبَةُ ﷻ لَا يَنْسَى الْوَحْيَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ رَفَعَهُ وَنَسَخَهُ]
- ١٥٥٢..... [الْأَمْرُ بِالتَّذْكِيرِ]
- ١٥٥٣..... [بَيَانُ أَهْلِ الْفَلَاحِ]
- ١٥٥٣..... [لَا قِيَمَةَ لِلدُّنْيَا فِي جَنْبِ الْآخِرَةِ]
- ١٥٥٤..... [صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى]
- ١٥٥٤..... تَفْسِيرُ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ
- ١٥٥٤..... [قِرَاءَةُ الْأَعْلَى وَالْغَاشِيَةِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ]
- ١٥٥٤..... [الْقِيَامَةُ وَمَا يَكُونُ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ فِيهَا]
- ١٥٥٥..... [حَالُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]
- ١٥٥٥..... [الْحَضُّ عَلَى النَّظَرِ فِي خَلْقِ الْإِبِلِ وَالسَّمَاءِ وَالْجِبَالِ وَالْأَرْضِ]
- ١٥٥٥..... [قِصَّةُ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ]

- | | | | |
|------|--|------|---|
| ١٥٧٨ | [كَيْفَ تُقَدَّرُ هَذِهِ النِّعَمَ] | ١٥٦٨ | [أَلْقَسَمُ بِخَلِيلِ الْحَرْبِ عَلَى كُفْرَانِ الْإِنْسَانِ وَحِرْصِهِ] |
| ١٥٧٨ | تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية | ١٥٦٨ | [الْخَوْفُ مِنَ الْمَعَادِ] |
| ١٥٧٨ | [مَعْنَى شَرْحِ الصُّدْرِ] | ١٥٧٨ | تفسير سورة الفارقة وهي مكية |
| ١٥٧٨ | [بَيَانُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ] | ١٥٧٩ | تفسير سورة التكاثر وهي مكية |
| ١٥٦٨ | [مَعْنَى رَفْعِ ذِكْرِ النَّبِيِّ] | ١٥٧٩ | [تَنْبِيْهُ حُبِّ الدُّنْيَا غَفْلَةً عَنِ الْآخِرَةِ] |
| ١٥٦٩ | [الْبَيْسُ بَعْدَ الْعُسْرِ] | ١٥٨٠ | [الْوَعْدُ بِرُؤْيَا الْحَجِيمِ وَالسُّؤَالُ عَنِ النَّعِيمِ] |
| ١٥٦٩ | [الْأَمْرُ بِالذِّكْرِ عِنْدَ الْفَرَاغِ] | ١٥٨١ | تفسير سورة العصر وهي مكية |
| ١٥٦٩ | تفسير سورة التين والزيتون وهي مكية | ١٥٨١ | [مَعْرِفَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ لِلْعَجَازِ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ السُّورَةِ] |
| ١٥٦٩ | [قِرَاءَةُ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ بِالصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ] | ١٥٨١ | تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهي مكية |
| ١٥٦٩ | [تَفْسِيرُ التَّيْنِ وَمَا بَعْدَهُ] | ١٥٨٢ | تفسير سورة الفيل وهي مكية |
| ١٥٧٠ | [سُقُوطُ الْإِنْسَانِ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ مَعَ كَوْنِهِ خَلْقًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَنَتِيجَةُ ذَلِكَ] | ١٥٨٢ | [قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ بِإِيجَازٍ] |
| ١٥٧٠ | تفسير سورة اقرأ وهي أول شيء نزل من القرآن | ١٥٨٦ | تفسير سورة ليلاف قرنيش وهي مكية |
| ١٥٧٠ | [بَدْءُ بُيُوتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ] | ١٥٨٦ | تفسير الشورة التي يذكر فيها الماعون وهي مكية |
| ١٥٧١ | [عَزَّةُ الْإِنْسَانِ وَشَرَفُهُ بِالْعِلْمِ] | ١٥٨٦ | [أَوْصَافُ مُنْكَرِي الْيَاسَمَةِ] |
| ١٥٧١ | [الْوَعْدُ عَلَى طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ لِأَجْلِ الْمَالِ] | ١٥٨٧ | تفسير سورة الكوثر وهي مدنية، وقيل: مكية |
| ١٥٧١ | [ذَمُّ أَبِي جَهْلٍ وَالْوَعْدُ بِمَوَاحِدَتِهِ] | ١٥٨٨ | [عَدُو النَّبِيِّ هُوَ الْأَبْتَرُ] |
| ١٥٧٢ | [تَسْلِيَةُ لِلنَّبِيِّ] | ١٥٨٩ | تفسير سورة قل يأتينا الكافرون وهي مكية |
| ١٥٧٢ | تفسير سورة القدر وهي مكية | ١٥٨٩ | [قِرَاءَةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي التَّوَافُلِ] |
| ١٥٧٢ | [فَضْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ] | ١٥٨٩ | [الْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ] |
| ١٥٧٣ | [نُزُولُ الْمَلَائِكَةِ وَقَضَاءُ كُلِّ خَيْرٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] | ١٥٩٠ | تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية |
| ١٥٧٣ | [تَعْيِينُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَعَلَامَاتُهَا] | ١٥٩٠ | [فَضْلُ سُورَةِ النَّصْرِ] |
| ١٥٧٤ | [دُعَاءُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ] | ١٥٩٠ | [هَذِهِ السُّورَةُ إِخْبَارٌ عَنْ تَمَامِ أَجَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ] |
| ١٥٧٤ | تفسير سورة لم يكن وهي مدنية | ١٥٩١ | تفسير سورة تبت وهي مكية |
| ١٥٧٤ | [قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى أَبِي] | ١٥٩١ | [سَبَبُ نُزُولِ السُّورَةِ، وَعِنَادُ أَبِي لَهَبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ] |
| ١٥٧٤ | [ذِكْرُ حَالِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ] | ١٥٩١ | [ذِكْرُ مَصِيرِ أُمِّ جَمِيلٍ (امْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ)] |
| ١٥٧٥ | [إِنَّمَا وَقَعَ الْأَخْتِلَافُ بَعْدَ مَجِيئِ الْعِلْمِ] | ١٥٩١ | [قِصَّةٌ مِنْ إِدْءِ امْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ] |
| ١٥٧٥ | [إِنَّمَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ هُوَ إِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ] | ١٥٩٢ | تفسير سورة الإخلاص وهي مكية |
| ١٥٧٥ | [ذِكْرُ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَخَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَذِكْرُ جَزَائِهِمَا] | ١٥٩٢ | [ذِكْرُ سَبَبِ نُزُولِهَا وَفَضْلُهَا] |
| ١٥٧٦ | تفسير سورة إذا زلزلت وهي مكية | ١٥٩٤ | [اللَّهُ مُنْزَعٌ عَنِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْكُفُو] |
| ١٥٧٦ | [فَضْلُ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ] | ١٥٩٤ | تفسير سورتي الماعون والمائدة وهما مدنيتان |
| ١٥٧٦ | [يَوْمُ الْيَاسَمَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ حَالُ الْأَرْضِ وَحَالُ النَّاسِ] | ١٥٩٤ | [مَوْفِقُ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنَ الْمُعَوَّدَتَيْنِ] |
| ١٥٧٧ | [الْجَزَاءُ عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ مِنَ الْعَمَلِ] | ١٥٩٤ | [فَضْلُ الْمُعَوَّدَتَيْنِ] |
| ١٥٧٧ | تفسير سورة العاديات وهي مكية | ١٥٩٦ | [بَيَانُ سِحْرِ النَّبِيِّ] |
| | | ١٥٩٧ | مراجع التخرج لمخلص تفسير ابن كثير |